



فتوح الغيب

## فتوح الغيب

في الكشف عن قناع الريب

تأليف : الإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي

الطبعة الأولى : ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

جميع الحقوق محفوظة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ©

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية بالأردن : (٢٠١٠/٧/٢٥٣٣)

الرقم المعياري الدولي : ٩٧٨٩٩٥٧٢٣١٨٠٤

ما ورد في حواشي هذا الكتاب يعبر عن رأي محققه ولا يعبر بالضرورة عن رأي الجائزة

ص.ب.: ٤٢٠٤٢ دبي - الامارات العربية المتحدة

هاتف: +٩٧١٤٢٦١٠٦٦٦

فاكس: +٩٧١٤٢٦١٠٠٨٨

الموقع على الانترنت: [www.quran.gov.ae](http://www.quran.gov.ae)

البريد الالكتروني: [Rs@quran.gov.ae](mailto:Rs@quran.gov.ae)

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

وحدة البحوث والدراسات

أُسَهَّرَ فِي نَشْرِ هَذَا الْكِتَابِ

ADIB



مصرف أبوظبي  
الإسلامي

# فتوح الغيب

في الكشف عن قناع الرب

وَهُوَ حَاشِيَةُ الطَّيْبِيِّ عَلَى الْكَشَافِ  
لِلْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّيْبِيِّ  
المتوفى سنة ٧٤٣ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

(الجزء الثاني عشر)

تفسير السور من القصص إلى نهاية فاطر

حَقَّقَ هَذَا الْجُزْءَ

الدكتور عمر حسن القيام

الباحث بجامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن

المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب

الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء

دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة القصص

### مكية، وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[طسّم \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١-٣﴾]

﴿مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ مفعول ﴿نَتْلُو﴾، أي: نتلو عليك بعض خبرهما ﴿بِالْحَقِّ﴾ محققين، كقولهِ: ﴿تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ﴾. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِنَا أَنَّهُ يُؤْمِنُ، لِأَنَّ التَّلَاوَةَ إِنَّمَا تَنْفَعُ هَؤُلَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

## سورة القصص

### مكية، وهي ثمانون وثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (نَتْلُو عَلَيْكَ بَعْضَ خَبْرِهِمَا)، يريدُ أَنْ ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ نَبَأِ مُوسَى﴾ للتبعيض؛ وَهُوَ مَفْعُولٌ ﴿نَتْلُو﴾ [القصص: ٣]. وَقَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿نَتْلُو﴾ مَفْعُولُهُ مَحذُوفٌ، دَلَّتْ عَلَيْهِ صِفَتُهُ، تَقْدِيرُهُ: شَيْئًا مِنْ نَبَأِ مُوسَى؛ فـ ﴿مِنْ﴾ لِلْبَيَانِ. وَعَلَى قَوْلِ الْأَخْفَشِ ﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٌ<sup>(١)</sup>.  
قوله: (لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِنَا أَنَّهُ يُؤْمِنُ)، يريدُ أَنْ يُنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠١٦).

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٤]

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ جملة مستأنفة كالتفسير للمُجْمَل، كأن قائلًا قال: وكيف كان نَبُوهُمَا؟ فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مملكته؛ قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف. ﴿شِيَعًا﴾ فِرْقًا يُشْبِعُونَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ وَيُطِيعُونَهُ، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَلْوِي عُنُقَهُ. قَالَ الْأَعْمَشِيُّ:

إنما كان لأن يتلوه على المؤمنين والكافرين جميعًا: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. لكن اختصاص المؤمنين بالذكر لانتفاعهم به؛ فإذن المراد بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣]: لقوم سيؤمنون، وعليه قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلشَّاقِينَ﴾ [البقرة: ٢] أي: الضالين الصائرين إلى التقوى، وهو مجازٌ باعتبار ما يؤول، وقال فيه: «إن الضالين فريقان؛ فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم، وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى؛ فلا يكون هدى للفريق الباقيين على الضلالة؛ فبقي أن يكون هدى لهؤلاء»، وإليه الإشارة بقوله: «إنما ينفع هؤلاء دون غيرهم».

والمعنى: نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون وما جرى بينهما لقوم علم أن التلاوة تنفع فيهم دون من عداهم من المصّرّين، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَن مِّنْ يَّخَافُ وَعَيْدٍ﴾ [ق: ٤٥] قال: إن التذكير لا ينفع إلا فيمن يخاف الوعيد دون المصّرّ على الكفر<sup>(١)</sup>.

وقلت: هذا الإنباء العجيب الشأن متضمن لإثبات القضاء والقدر، وقد علم الله سبحانه وتعالى أن بعضًا من الذين يدعون الإيمان لا يؤمنون بالقدر؛ فقال: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ تعريضًا بهم؛ فعلى هذا يمكن أن يجعل ﴿بِالْحَقِّ﴾ حالًا من المجرور؛ أي: نتلو عليك نبأهما مُلتبسًا بالحق لاشتغاله على القضاء والقدر.

قوله: (قد طغى فيها وجاوز الحد)، يعني: معنى ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ طغى فيها؛ من قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣] أي: استكبارًا وتجبّرًا.

(١) انظر: «الكشاف» (١٤: ٥٦٢) بتصرف يسير.

## وَبَلَدَةٍ يَرَهُبُ الْجَوَابُ دُلْجَتَهَا حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَتَنَغَّى الشَّيْعَا

أَوْ يُشِيعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي طَاعَتِهِ، أَوْ أَصْنَافًا فِي اسْتِخْدَامِهِ يَتَسَخَّرُ صِنْفًا فِي بِنَاءِ، وَصِنْفًا فِي حَزَبٍ وَصِنْفًا فِي حَفْرِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ ضَرَبَ عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ، أَوْ فِرْقًا مُخْتَلَفَةً قَدْ أُغْرِيَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ، وَهَمَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْقَبْطُ. وَالطَّائِفَةُ الْمُسْتَضْعَفَةُ: بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَسَبَبُ ذَبْحِ الْأَبْنَاءِ: أَنَّ كَاهِنًا قَالَ لَهُ: يَوْلَدُ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَذْهَبُ مُلْكُكَ عَلَيَّ

الراغب: العُلُوُّ ضدُّ السُّفْلِ، والعُلُوِّيُّ والسُّفْلِيُّ: المنسوبُ إليهما، والعُلُوُّ: الارتفاعُ، وقد علا يَعْلُو عُلُوًّا وَعَلِيَ يَعْلَى عِلَاءً فَهُوَ عِلِيٌّ؛ فـ «علا» بالفتحِ في الأَمَكِنَةِ والأَجْسَامِ أَكْثَرَ، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ﴾ [الإنسان: ٢١]، وَيُسْتَعْمَلُ فِي المَحْمُودِ والمَذْمُومِ؛ قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ [الإسراء: ٤٣]، وقال: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٨٣]. والعليُّ: رفيعُ القدرِ من «عَلِيٍّ»، فإذا وُصِفَ به اللهُ تعالى فمعناه أنه يعلو أن يحيطَ به وصفُ الواصفين، بل علمُ العارفين؛ وعلى ذلك يُقال: تعالى اللهُ، وحُصِّصَ التَّفَاعُلُ للمبالغة لا للتكلف كما في البَشْرِ. و﴿عُلُوًّا﴾ في قوله: ﴿عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ ليس مصدرًا، كما أن قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيْلًا﴾ [الزمل: ٨] كذلك، و«استعلى» قد يكونُ للعُلُوِّ المذموم، وقد يكونُ طَلَبُ العلاءِ أي الرفعة، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤] يَحْتَمِلُ الوجهين. ولاعتبارِ العلوِّ قِيْلَ للمكانِ المُشْرِفِ، وللشَّرَفِ: العلياءُ، وعلاوةُ الشيء: أعلاه؛ ولذلك قِيلَ للرأسِ والعُنُقِ: علاوة، ولما يُجْمَلُ فوقَ الأحمالِ: علاوة<sup>(١)</sup>.

قوله: (وبلدة يرهب الجواب دُلجتها) البيت<sup>(٢)</sup>: البلدة: المفازة، الجواب: القَطَاعُ، دُلجتها: من أدلج: إذا سارَ آخِرَ الليلِ، والدُلجة: الساعةُ مِنَ الليلِ.

تراه: أي الجواب. يقول: رَبُّ بِلَدَةٍ - يخافُ الجوابُ أن يَسِيرَ فيها في الدُلجةِ حتى تراه يطلبُ يمينًا وشمالًا مَنْ يُشِيعُهُ مِنْ خَوْفِهِ - أنا قطعُها بلا شِيعِ.

(١) «مفردات القرآن» ص ٥٨٢-٥٨٤.

(٢) للأعشى في «ديوانه» ص ١٥٣.



يده. وفيه دليلٌ بينٌ على ثخانةٍ حُمقِ فرعون؛ فإنه إن صدقَ الكاهنُ لم يدفعِ القتلَ الكائن، وإن كَذَبَ فما وجهُ القتلِ؟ و﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ حالٌ من الضَّميرِ في ﴿وَجَعَلَ﴾، أو صفةٌ لـ ﴿شَيْعًا﴾، أو كلامٌ مستأنف. و﴿يُدَيِّحُ﴾ بدلٌ من ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾. وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بيانٌ أنَّ القتلَ ما كانَ إلا فعلَ المُفسِدِينَ فحسب؛ لأنه فعلٌ لا طائلَ تحته، صدقَ الكاهنُ أو كذبَ.

[﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَهْلًا لِلْأَرْضِ﴾ \* وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَبِّيَ فَرَعُونَ وَهَمَنْ وَخُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٥-٦﴾]

فإن قلت: علامَ عطفَ قوله: ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ﴾ وعطفه على ﴿نَتَلَّوْا﴾ و﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ غيرُ سديد؟ قلتُ: هي جملةٌ معطوفةٌ على قوله: ﴿إِنَّ فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ لأنها

قوله: (لأنه فعلٌ لا طائلَ تحته)، يعني: ذبحُ الأبناءِ واستحياءُ البناتِ منه لم يكنْ إلا للفسادِ فحسب، ولو كانَ فيه نوعٌ صلاحٍ أو متضمنًا لمصلحةٍ نفسه وخصاله بما كانَ يخافُ منه ربُّها عُذْرٌ ولم يُسمِّ فسادًا بالنسبةِ إليه. ولَمَّا كانَ خُلُوعًا مِنْ ذَلِكَ عُدَّ فسادًا صِرْفًا؛ ولذلك قال: ﴿مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، أي: الكاملينَ في الفسادِ والمعدودينَ في رُمرتهم، قالَ اللهُ: ﴿إِذَا هُمْ يَبْعَثُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣] قالَ المصنِّفُ: «والبغيُّ يكونُ بحقَّ كاستيلاءِ المسلمينَ على أرضِ الكُفْرَةِ وهُدْمِ دُورِهِمْ وإحراقِ زروعِهِمْ وقلعِ أشجارِهِمْ كما فعلَ رسولُ اللهُ ﷺ بِنبي قُرَيْظَةَ»<sup>(١)</sup>.

قوله: (وعطفه على ﴿نَتَلَّوْا﴾ و﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ غيرُ سديد)، أما على ﴿نَتَلَّوْا﴾ فإنه لو عطفَ عليه لخرَجَ عن أن يكونَ بعضَ المتلَّوِّ ومن<sup>(٢)</sup> نبياً موسى وفرعون، وإنه من أعجبِ وأهمِّ

(١) انظر: «الكشاف» (٧: ٤٦١) والذي قاله المصنِّف من فعلِ رسولِ اللهِ ﷺ لم يكن مع بني قُرَيْظَةَ، بل المشهور في السيرة أنه حاصرهم ونزلوا على حكمِ سعد بن معاذٍ رضيَ اللهُ عنه، أما التحريقُ وقطعُ الأشجارِ فإنها حصلَ مع بني النضير، وهو ثابتٌ في «الصحيح» أخرجه البخاري (٤٠٣١) ومسلم (١٧٤٦) وغيرهما من حديثِ ابنِ عمر رضيَ اللهُ عنهما.

(٢) في (ط): «من» دون واو.

نظيرة تلك في وقوعها تفسيراً للنبي موسى وفرعون، واقتصاصاً له. ﴿وَنُرِيدُ﴾: حكاية حالٍ ماضية، ويجوز أن تكون حالاً من ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾، أي: يستضعفهم فرعون، ونحن نريد أن نؤمن عليهم. فإن قلت: كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم؟ وإذا أراد الله شيئاً كان، ولم يتوقف إلى وقتٍ آخر، قلت: لئما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع، جعلت إرادته وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم. ﴿أَيُّعَةً﴾ مُقَدِّمِينَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، يَطُّ النَّاسُ أَعْقَابَهُمْ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قادة يُقتدى بهم في الخير.

المُتَّبِأُ بِهِ<sup>(١)</sup>؛ بل هو المقصود في الإنباء. وأما على ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ فلأنه: إما صفة لـ ﴿شَيْعًا﴾، أو حالٌ من فاعلٍ ﴿وَجَعَلَ﴾، أو استئناف، ولا كلام في فساد الأولين. وأما الثالث فيكون على سؤال سائلٍ مورده ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا﴾، فلم ينطبق عليه ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾ [القصص: ٥]، و﴿يُدَيِّحُ﴾ و﴿وَرَيْسَتَيْ﴾ بدلانٍ من ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ وحكهما حكمه؛ فبقي أن يكون عطفاً على ﴿إِنْ فَرَعُونَ﴾ الآية، وإن اختلفنا اسميةً وفعليةً. وتأويله: إن فرعون فعل بهم ما فعل من الاستضعاف والاستخدام والقتل والفناء، ونحن قضينا عكس ذلك من جعلهم متمكنين في الأرض أقوىاء أئمةً مُقَدِّمِينَ بَاقِينَ بَعْدَهُمْ وارثين ديارهم، ولم يكن إلا ما أردنا. هذا معنى قولنا: هذا الإنباء مُتَضَمِّنٌ لِإثباتِ القضاءِ والقدر. ومعنى أن يكون «نريد» حالاً من «أن يستضعف» يعود إلى هذا.

قوله: (كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة؟)، يعني: لزم من هذا التقرير الجمع بين المتنافيين. وخلاصة الجواب: أن الله تعالى لما أراد أن يؤمن على بني إسرائيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه، وكانت تلك المنة قريبة الوقوع، جعلت كأنها واقعة مقارنة لاستضعافهم. وقريب منه قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا \* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١، ٢]. وقال صاحب «المطلع»: أراد الله تعالى حال استضعافهم إياهم أن يؤمن عليهم بالخلاص في وقت قدره الله وقضاه.

قوله: (يطأ الناس أعقابهم)، العبارة كناية عن أنهم كثيرٌ والأتباع مقدمون.

(١) في النسخة «ف»: «النبأ».

وعن مجاهدٍ رضي الله عنه: دُعَاةٌ إِلَى الْخَيْرِ، وَعَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَوَلَاةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]. ﴿الْوَرِثِيَّةُ﴾ يَرِثُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مُلْكِهِمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُمْ. مَكَّنَ لَهُ: إِذَا جَعَلَ لَهُ مَكَانًا يَقْعُدُ عَلَيْهِ أَوْ يَرْقُدُ، فَوَطَّأَهُ وَمَهَّدَهُ، وَنَظِيرُهُ: أَرْضٌ لَهُ. وَمَعْنَى التَّمْكِينِ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَهِيَ أَرْضُ مِصْرَ وَالشَّامِ: أَنْ يَجْعَلَهَا بَحِيثٌ لَا تَنْبُو بِهِمْ وَلَا تَغْتُ عَلَيْهِمْ؛ كَمَا كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْجَبَابِرَةِ، وَيُنْفَذُ أَمْرَهُمْ، وَيُطْلَقُ أَيْدِيَهُمْ وَيُسَلِّطَهُمْ. وَقُرِي: (وَيَرَى فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا)، أَي: يَرُونَ مِنْهُمْ مَا حُدْرُوهُ: مِنْ ذَهَابِ مُلْكِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ عَلَى يَدِ مَوْلُودِ مِنْهُمْ.

[﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّبِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [٧]

الْيَمُّ: الْبَحْرُ. قِيلَ: هُوَ نَيْلٌ مُضِرٌّ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْمُرَادُ بِالْخَوْفَيْنِ حَتَّى أَوْجِبَ أَحَدُهُمَا وَنُهِى عَنِ الْآخِرِ؟ قُلْتُ: أَمَّا الْأَوَّلُ فَالْخَوْفُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا صَاحَ خَافَ أَنْ يَسْمَعَ الْجِرَانَ صَوْتَهُ فَيَنْمُوا. وَأَمَّا الثَّانِي، فَالْخَوْفُ عَلَيْهِ مِنَ الْغَرَقِ وَمِنَ الضَّيَاعِ

قَوْلُهُ: (أَرْضَ لَهُ)، الْأَسَاسُ: تَأْرَضَ فَلَانٌ: لَزِمَ الْأَرْضَ؛ فَلَمْ يَبْرَحْ. تَقُولُ: فَلَانٌ إِنْ رَأَى مَطْمَعًا تَعْرَضَ، وَإِنْ أَصَابَ مَطْمَعًا تَأْرَضَ.

قَوْلُهُ: (وَلَا تَغْتُ عَلَيْهِمْ)، الْأَسَاسُ: أَعْتَّ فَلَانٌ فِي كَلَامِهِ؛ إِذَا تَكَلَّمَ بِهَا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَسَمِعْتُ صَبِيًّا مِنْ هُدَيْلٍ يَقُولُ: غَثَّتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ؛ أَي: لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نَعِيشَ فِيهَا؛ لِقَوْلِهِمْ: اجْتَوَى الْمَكَانَ؛ إِذَا لَمْ يَسْتَمِرِّعْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، وَكَذَلِكَ اسْتَوْحَمَ.

قَوْلُهُ: (وَقُرِي: «وَيَرَى فِرْعَوْنُ»)، حَمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ: «وَيَرَى» بِالْيَاءِ التَّحْتَانِيَّ مَفْتُوحَةً وَفَتْحَ الرَّاءِ وَرَفَعَ الْأَسْمَاءَ الثَّلَاثَةَ، وَالْبَاقُونَ: بِالنُّونِ مَضْمُومَةً وَكَسَرَ الرَّاءِ وَفَتْحَ الْيَاءِ وَنَصَبَ الْأَسْمَاءَ<sup>(١)</sup>.

(١) وَحِجَّتُهُمْ أَنْ مَا قَبْلَهُ لِلْمَتَكَلِّمِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَهُ كَذَلِكَ. انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٤٢.

ومن الوقوع في يد بعض العيون المبتوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان، وغير ذلك من المخاوف. فإن قلت: ما الفرق بين الخوف والحزن؟ قلت: الخوف عم يلحق الإنسان لِمُتَوَقِّع. والحزن: عم يلحقه لِمَ وَاقِيع؛ وهو فراقه والإخطار به، فنهيت عنها جميعاً، وأومنت بالوحي إليها، ووعدت ما يسليها ويطمئن قلبها ويملؤها غبطة وسروراً؛ وهو رده إليها وجعله من المرسلين. ورؤي: أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعون ألف وليد. ورؤي: أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبال بني إسرائيل مُصَافِيَةً لها، فقالت لها: لينفَعني حبك اليوم، فعالجتها، فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه، وارتعش كل مفصل منها، ودخل حبه قلبها، ثم قالت: ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون، ولكني وجدت

قوله: (وهو فراقه والإخطار به)، نشر لما سبق على غير الترتيب. وقال الإمام: كأنه قيل: ولا تخافي من هلاكه، ولا تحزني بسبب فراقه؛ فإننا رادوه إليك لتكوني أنت المرصعة له، وجاعلوه من المرسلين إلى أهل مصر والشام<sup>(١)</sup>.

قال أبو رجاء أحمد بن عبد الله: حدثنا أبو الحسين علي بن الصباح قال: سمع أعرابي رجلاً يقرأ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية، قال للقارئ: أعده؛ فأعادها، فقال: أشهد أن هذا كلام رب العالمين؛ في آية واحدة أمران ونهيان وخبران وبشارتان: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ خبر، و﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ أمر، ﴿فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ فَكَلِّمِيهِ﴾ أمر، ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ نهيان، ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بشارتان.

روي عن الأصمعي: كلمتني جارية أعرابية فاستفصحت كلامها؛ فقالت: أين أنت من كلام الله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ كيف جمع بين أمرين ونهيين وبشارتين؟! قوله: (حين أقربت)، الجوهري: أقربت المرأة؛ إذا قرب ولادها، وكذلك الفرس والشاة؛ فهي مقرب، ولا يقال للناقة.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٤: ١٩٤).

لابنكِ حُبًّا ما وَجَدْتُ مثله فاحفظيه، فلَمَّا خَرَجْتُ جَاءَ عيونُ فرعون، فَلَفَّتُهُ في خِرْقَةٍ ووضعته في تَنْوِيرٍ مَسْجُورٍ، لم تعلم ما تصنعُ لِمَا طَاشَ من عقلها، فطلبوا فلم يُلْفُوا شيئاً، فخرجوا وهي لا تدري مكانه، فسمعت بُكاءه من التَّنُورِ، فانطلقت إليه وقد جعلَ اللهُ النَّارَ عليه بَرْدًا وسلامًا. فلَمَّا أَلَحَّ فرعونُ في طَلَبِ الوِلْدَانِ أوحى اللهُ إليها فألقته في اليمِّ. وقد رُوِيَ أنَّها أَرْضَعَتْهُ ثلاثةَ أَشْهُرٍ في تَابُوتٍ من بَرْدِيٍّ مطليٍّ بالقار من داخله.

[﴿فَأَلْقَتْهُمُ الْعَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَكَنَ وَحُنُودَهُمَا

كَانُوا خَاطِبِينَ﴾ ٨]

اللَّامُ في ﴿لِيَكُونَ﴾ هي لامٌ كِي؛ التي معناها التعليل، كقولك: جئتُكَ لتُكْرِمَنِي سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارِدٌ على طريق المجازِ دُونَ الحقيقة، لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاطِ أن يكون لهم عَدُوًّا وَحَزَنًا، ولكن: المحبةُ والتبنيُّ، غيرَ أن ذلك لَمَّا كان نتيجةَ التقاطهم له وثمرته، شُبِّهَ بالداعي الذي يفعلُ الفاعلُ الفعلَ لأجله، وهو الإكرامُ الذي هو نتيجةُ المجيء، والتأدبُ الذي هو ثمرةُ الضربِ في قولك: ضربته ليتأدب. وتحريره: أن هذه اللامُ حُكْمُهَا حُكْمُ الأَسَدِ، حيثُ استُعيرتْ لِمَا يُشْبِهُ التعليل، كما يُستعارُ الأَسَدُ لِمَنْ يُشْبِهُ الأَسَدَ. ....

قوله: (في تابوتٍ من بردِيٍّ)، الجوهرِي: البردِيُّ بالفتح: نباتٌ معروف، قيل: نبتٌ تُسَدُّ به خصائصُ البيوت، والخصاصةُ بالفتح: الخللُ والثقبُ الصغير.

قوله: (وتحريره: أن هذه اللامُ حُكْمُهَا حُكْمُ الأَسَدِ؛ حيثُ استُعيرتْ لِمَا يُشْبِهُ التعليل كما يُستعارُ الأَسَدُ لِمَنْ يُشْبِهُ الأَسَدَ)، وتلخيصُ المعنى: شُبِّهَ هذا الترتيبُ الذي ليس مطلوبًا بالأوّلِ الثاني وهو التقاطهم ليكونَ عَدُوًّا هُمْ بالترتيبِ الحقيقيِّ وهو أن يكونَ الثاني مطلوبًا بالأوّلِ كالإكرامِ بالمجيءِ في قولك: جئتُكَ لتُكْرِمَنِي، وأذخَلَ المشبّهةَ في جنسِ المشبّه به؛ فاستُعيرَ للترتيبِ المشبّه ما كان مستعملًا في الترتيبِ المشبّه به، وهو لامٌ «كي».

وَقُرَيْ: (وَحُزْنَا) وَهِيَ لَعْنَان: (كَالْعُدْم) وَالْعُدْم) ﴿كَانُوا خَطِيعِينَ﴾ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ خَطُؤُهُمْ فِي تَرْبِيَةِ عَدُوِّهِمْ بِيَدِ مَنْهُمْ. أَوْ كَانُوا مُذْنِبِينَ مُجْرِمِينَ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ رَبِّي عَدُوَّهُمْ وَمَنْ هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ. ....

وقيل: ﴿فَالنَّقْطَةُ: أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحُزْنَا﴾<sup>(١)</sup>، فيكون استعارة مُصْرَحَةً؛ لأنَّ المذكورَ لفظُ المستعارِ منه، كاستعارة لفظِ الأسدِ للمقدام، وتبعية؛ لأنَّ الحروفَ مِنَ الاستعارةِ بِمَعْزَلٍ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَقْعُ مَوْصُوفَاتٍ؛ فَالاستعارةُ تَقْعُ فِي مَعَانِيهَا ثُمَّ تَسْرِي مِنَ الْمَعَانِي إِلَيْهَا، وَتَهْكِمِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلَ.

قوله: (وَقُرَيْ: «وَحُزْنَا»)، حمزة والكسائي: «حُزْنَا» بضم الواو وإسكان الزاي، والباقون: بفتحهما<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿كَانُوا خَطِيعِينَ﴾ (في كل شيء)، يريد أن قوله: ﴿فِرْعَوْنَ وَهَمَنَ﴾ الآية تذييلٌ واعتراضٌ؛ بدليل قوله: «فليس خطوهم بيديهم».

قوله: (أو كانوا مُذْنِبِينَ)، فعلُ الأول: ﴿خَطِيعِينَ﴾؛ مِنَ الْخَطِإِ فِي الرَّأْيِ، وَعَلَى هَذَا؛ مِنْ: خَطِيعٌ: أَذْنَبَ. قَالَ فِي «الْأَسَاسِ»: خَاطِئِينَ: مِنْ: أَخْطَأَ فِي الْمَسْأَلَةِ أَوْ فِي الرَّأْيِ، وَخَطِيعٌ خَطَأٌ عَظِيمًا؛ إِذَا تَعَمَّدَ الذَّنْبَ. فَالجملةُ استئنافٌ لبيانِ الموجبِ؛ بدليلِ قوله: «وَمَنْ هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِمْ»؛ فَعَلِيَ هَذَا مَعْنَى اللَّامِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَالتقدير: نريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ قَدَرْنَا مَا قَدَرْنَا وَدَبَّرْنَا مَا دَبَّرْنَا؛ لِيَكُونَ مُوسَى عَدُوًّا لَهُمْ وَحُزْنَا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا خَطِيعِينَ مُجْرِمِينَ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: «فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ رَبِّي عَدُوَّهُمْ»<sup>(٣)</sup> وَمَنْ هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِمْ. وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ كَمَا سَيَجِيءُ تَقْرِيرُهُ.

(١) من قوله: «لهم بالترتيب الحقيقي» إلى هنا سقط من (ح).

(٢) وهما لعنان كالعرب والعرب والعجم والمعجم. أفاده مكِّي بن أبي طالب في «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (٢: ١٧٢).

(٣) من قوله: «فعل هذا معنى اللام على ظاهره» إلى هنا سقط من (ط).

وَقُرِي: (خاطين)، تخفيفُ خاطين، أو خاطين الصواب إلى الخطأ.

[«وَقَالَتْ أُمْرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» ﴿٩﴾]

روي أَنَّهُمْ حِينَ التَّقَطُّوا التَّابُوتَ عَالَجُوا فَتَحَهُ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَعَالَجُوا كَسْرَهُ فَأَعْيَاهُمْ، فَدَنَتْ آسِيَةُ فَرَأَتْ فِي جَوْفِ التَّابُوتِ نُورًا، فَعَالَجَتْهُ فَفَتَحَتْهُ، فَإِذَا بِصَبِيِّ نُورُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يَمْصُ إِبْهَامَهُ لَبَنًا فَأَحْبَبُوهُ، وَكَانَتْ لِفِرْعَوْنَ بِنْتُ بَرِصَاءَ، وَقَالَتْ لَهُ الْأَطْبَاءُ: لَا تَبْرَأُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْبَحْرِ، يَوْجُدُ فِيهِ شِبْهُ إِنْسَانٍ دَوَاؤُهَا رَيْقُهُ، فَلَطَّخَتْ الْبَرِصَاءُ بَرِصَهَا بِرَيْقِهِ فَبَرَأَتْ. وَقِيلَ: لَمَّا نَظَرْتُ إِلَىٰ وَجْهِ بَرَأَتْ، فَقَالَتْ: إِنَّ هَذِهِ لَنَسْمَةٌ مَبَارَكَةٌ، فَهَذَا أَحَدُ مَا عَطَفَهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ الْعَوَاةُ مِنْ قَوْمِهِ: هُوَ الصَّبِيُّ الَّذِي نَحْذِرُ مِنْهُ، فَأَذَّنَ لَنَا فِي قَتْلِهِ، فَهَمَّ بِذَلِكَ فَقَالَتْ آسِيَةُ «قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ» فَقَالَ فِرْعَوْنُ: لِكَ لَا لِي. وَرَوَى فِي حَدِيثٍ: «لَوْ قَالَ هُوَ قُرَّةُ عَيْنِي لِي كَمَا هُوَ لَكَ، لَهْدَاهُ اللَّهُ كَمَا هَدَاهَا»، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ، أَي: لَوْ كَانَ غَيْرَ مَطْبُوعٍ عَلَى قَلْبِهِ كَأَسِيَةِ؛ لَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهَا، وَلَا سَلَّمَ كَمَا أَسَلَّمْتُ، هَذَا - إِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ - تَأْوِيلُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ. وَرَوَى أَنَّهُ قَالَتْ لَهُ: لَعَلَّهُ مِنْ قَوْمِ آخَرِينَ لَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قَوْلُهُ: (وَقُرِي: «خاطين»)، وَهِيَ شَاذَةٌ<sup>(١)</sup>. وَقَوْلُهُ: «أَوْ خَاطِينَ الصَّوَابِ» هُوَ مِنَ الْخَطْوِ: مُجَاوِزَةٌ الصَّوَابِ. الْأَسَاسُ: وَمِنَ الْمَجَازِ: لَنْ يُحِطَّكَ مَا كُتِبَ لَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُحِطَّكَ، وَتَخَطَّأَتْهُ النَّبْلُ: تَجَاوَزَتْهُ.

قَوْلُهُ: (وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ)، أَي: هَذَا الْحَدِيثُ. وَقَوْلُهُ: «هَذَا» مَبْتَدَأٌ، وَ«تَأْوِيلُهُ» الْخَبْرُ، وَ«إِنْ صَحَّ» مَعَ جَوَابِهِ الْمَقْدَرِ مُعْتَرِضَةٌ.

(١) بل هي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع، كما في «إنحاف فضلاء البشر» ص ٧٩، وقراءته من القراءات

العشر، وليست شاذة.

﴿قَرَّتْ عَيْنٌ﴾: خبرٌ مُبتدأٌ محذوف، ولا يَقْوَى أن نجعله مُبتدأً و﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خبراً، ولو نُصِبَ لكانَ أقوى. وقراءةُ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ دليلٌ على أنه خبر، قرأ: (لا تقتلوه قرّة عين لي ولك)، بتقديم (لا تقتلوه). ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فإن فيه مخايل اليُمْنِ ودلائل النَّفْعِ لأهله، وذلك لما عاينتُ من النُّورِ وارتضاع الإبهام وبرء البرصاء، ولعلّها توسّمت في سيئاته النَّجَابَةِ المؤذنة بكونه نفاعاً. أو نبتّاه، فإنه أهلٌ للتبني، ولأن يكون ولداً لبعض الملوك. فإن قلت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال، فما ذو حالها؟ قلت: ذو حالها آل فرعون. وتقديرُ الكلام: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً

قوله: ﴿قَرَّتْ عَيْنٌ﴾ خبرٌ مُبتدأٌ محذوف، وقال أبو البقاء: أي: هو قرّة عين، و﴿لي ولك﴾ صفتان لـ ﴿قَرَّتْ عَيْنٌ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: (ولا يَقْوَى أن نجعله مُبتدأً و﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خبراً)، قال الزجاج: يَبْحُ هذا التقدير؛ فيكون كأنه قد عرّف أنه قرّة عين له.

قوله: (ولو نُصِبَ لكانَ أقوى)، قال الزجاج: ويجوزُ النصب؛ ولكنه لم يأت فيه رواية على معنى: لا تقتلوا قرّة عين لي ولك، لا تقتلوه. كما تقول: زيداً لا تضره<sup>(٢)</sup>.

قوله: (توسّمت) يقال: توسّمت فيه الخير، أي: تفرّست، والتوسّم: التأمل في وسم الشيء.

قوله: (النّجابه)، الجوهري: رجلٌ نجيبٌ، أي: كريمٌ بين النّجابه.

قوله: (أو نبتّاه)، تفسيرٌ لقوله تعالى: ﴿أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلِداً﴾. وقوله: «ولأن يكون ولداً لبعض الملوك» عطفٌ تفسيريٌّ لقوله: «للتبني».

قوله: (ذو حالها آل فرعون)، قال القاضي: يجوزُ أن يكونَ حالاً من القائلِ والمقولِ له؛ أي: وهم على الخطأ في التقاطه وفي طمع النفع منه والتبني له، أو من أحدِ ضميرَي ﴿نَتَّخِذْهُ﴾ على

(١) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠١٦).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٣٣-١٣٤).



وحزنا، وقالت امرأة فرعون كذا، وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه.

وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ الآية: جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه، مؤكدة لمعنى خطيئهم. وما أحسن نظم هذا الكلام عند المتراض بعلم محاسن النظم.

أن الضمير للناس؛ أي: وهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد تبيناه<sup>(١)</sup>.

قوله: (وما أحسن [نظم] هذا الكلام عند المتراض بعلم محاسن النظم)، وذلك أن قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾ تفصيل لقوله: ﴿نَتَلَوَا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ على ما سبق. وما أجل ثم فصل وحص بلفظ الإنباء إلا لاشتغال هذا المنبأ به على أمره شأن، وليس ذلك إلا لبيان أن ما قدره الله كائن لا محالة، وأن الحدَر لا يُغني عن القدر، وإذا جاء القضاء عمي البصر؛ فإن<sup>(٢)</sup> فرعون وقومه لما قضى هلاكهم على يد الكليم عليه السلام واجتهدوا في الدفع، فعلموا ما لا طائل تحته بل عكسوا؛ حيث أفني البريء من قتل الأبناء، ورُبِّي من عليه دماؤه؛ فسلبت عقولهم وأبفت مشاعرهم؛ فالتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً وهم لا يشعرون. فحسّن لذلك أن يؤكد بقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّكَ وَحُزْنَكَ مَا كَانُوا خَطِيعِينَ﴾ على التفصيل؛ ليؤذن بأن ذلك الجَم الغفير بعد ذلك التحذير زلوا عن دفع التقدير؛ فاللام في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ مجرى على حقيقته.

وتمام تقريره أن يُقال: إنا أردنا أن نمن على المستضعفين، وأن نجعلهم الوارثين، وأن نري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون؛ دبّرنا ما دبّرنا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا مَوْجِبًا أَنْ أَرْضِعِيهِ فَمَا أَخْفَىٰ عَلَيْهِ فَكَلِمَةٍ فِي الْبَيْتِ﴾، فامتثلت أمرنا وألقت في اليم، والقاه اليم بالساحل؛ فقضينا على آل فرعون التقاطه؛ ليظهر من لطيف تقديرنا عداوته وسبب حزنه، وهم لا يشعرون بذلك.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٨٤).

(٢) في النسخة «ف»: «قال»، وهو خطأ.

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لَلنَّيْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [١٠-١١]

﴿فَرِحًا﴾ صَفْرًا مِنَ الْعَقْلِ. وَالْمَعْنَى: أَتَمَّا حِينَ سَمِعَتْ بِوُقُوعِهِ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ طَارَ عَقْلُهَا لِمَا دَهَمَهَا مِنْ فَرَطِ الْجَزَعِ وَالذَّهْشِ. وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْدَمْتَهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٣] أَي: جُوفٌ لَا عُقُولَ فِيهَا، وَمِنْهُ بَيْتُ حَسَّانَ:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخِبٌ هَوَاءً

وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأَلِيْقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ [طه: ٣٩]؛ حَيْثُ جَعَلَ ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ جَوَابًا لِلأَمْرِ، وَمُسَبَّبًا عَنِ الْإِلْقَاءِ. وَقَدْ سَبَقَ قُبَيْلَ هَذَا فِي كَلَامِ الْمُصَنِّفِ مَا يَعْبُذُ هَذَا الْمَعْنَى، وَنَبَّهْنَاكَ عَلَيْهِ. فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمْرِ مُوسَىٰ﴾ عَطْفٌ عَلَى مُقَدَّرَاتٍ شَتَّى بِحَسَبِ مَا يِقْتَضِيهِ الْحَالُ وَالْقِصَّةُ. وَأَقُولُ: مَا أَحْسَنَ نَظْمَ هَذَا الْكَلَامِ عِنْدَ الْمُرْتَاضِي بِعِلْمِ مُحَاسِنِ النَّظْمِ، وَمَا أَظْهَرَهُ مِنْ سُلْطَانٍ عَلَى الْقَوْلِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالْمُصَنِّفُ لَوْ تَنَبَّهَ عَلَى هَذِهِ الدَّقِيقَةِ لَمَا نَبَّهْنَا عَلَيْهَا، وَالْجَمْلَةُ عَلَى ذَلِكَ <sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَي: جُوفٌ لَا عُقُولَ فِيهَا)، وَهُوَ جَمْعُ أَجُوفٍ. الْأَسَاسُ: رَجُلٌ أَجُوفٌ وَجُوفٌ: جَبَانٌ لَا فُؤَادَ لَهُ، وَقَوْمٌ جُوفٌ.

قَوْلُهُ: (أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ) الْبَيْتُ <sup>(٢)</sup>، «نَخِبٌ»: الْأَسَاسُ: نَخِبٌ: لَا فُؤَادَ لَهُ، وَقَدْ نَخِبَ قَلْبُهُ <sup>(٣)</sup> كَأَنَّهَا تُرْعَى؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَخَبْتُ الشَّيْءَ وَأَنْتَخَبْتُهُ: إِذَا نَزَعْتَهُ، وَمِنْهُ الْإِنْخَابُ؛ كَأَنَّكَ

(١) مِنْ قَوْلِهِ: «وَالْمُصَنِّفُ لَوْ تَنَبَّهَ إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ح) وَ(ف).

(٢) «دِيوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ» (١: ١٨) مِنْ قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ:

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عِذْرَاءٍ مَنْزِلَهَا خَلَاءُ

وَأَبُو سُفْيَانَ: هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ.

(٣) فِي (ح) وَ(ف): «وَقَدْ نَخِبَ عَلَيْهِ»، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى الْجَادَةِ فِي «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ».

وذلك أن القلوب مراكز العقول. ألا ترى إلى قوله: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾؟ ويدل عليه قراءة من قرأ: (فَرِغًا). وقرئ: (قَرِعًا) أي: خاليًا؛ من قولهم: أعوذ بالله من صفر الإناء وقصر الفناء، وفرغًا، من قولهم: دماؤهم بينهم فرغ، أي: هذر، يعني: بطل قلبها وذهب، وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها ﴿لَتُبْدَى بِهِ﴾ لتصح به. والضمير لموسى والمراد: بأمره وقصته، وأنه ولدها ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بإلهام الصبر، كما يُربط على الشيء المنقلبت ليقر ويطمئن ﴿لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصدقين بوعد الله، وهو قوله: ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ﴾ ويجوز: وأصبح فؤادها فارغًا من الهم، حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بآته ولدها؛ لأنها لم تملك نفسها فرحًا وسرورًا بما سمعت، لولا أنا طماننا قلبها وسكننا

تنتزعه من بين الأشياء. قال: ومن المجاز: قولهم للجبان: إنه لهواء خالي القلب من الجراءة ﴿وَأَفِدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٣] والأصل: الجؤ.

قوله: (ويدل عليه)، أي: على أن معنى ﴿فَرِغًا﴾: فارغًا من العقل.

قوله: (من قرأ: «فَرِغًا»<sup>(١)</sup>). وقرئ: «قَرِعًا»، قال ابن جني: الحسن وابن طيب<sup>(٢)</sup>: (فَرِغًا) بالفاء والزاي، ومعناه: قلًا يكاد يخرج من غلافه، فيكشف؛ منه ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنِ قُلُوبِهِمْ﴾ [سبا: ٢٣] أي: كُشِفَ عنها. وقرأ ابن عباس: «قَرِعًا» بالقاف والراء، ومعناه راجع إلى فارغًا؛ وذلك أن الرأس الأقرع وهو الخالي عن الشعر، وإذا خيل عن الشعر فقد انكشف منه. وعنه (فَرِغًا) أي: هذرًا وباطلاً. يؤكد ذلك كله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله: (لتصح به)، أي: لتبدي به؛ من البدو وهو الترية، لا من البدو بمعنى الظهور. الأساس: ومن المجاز: أضحَرَ بالأمر وأضحَره: أظهره.

(١) حكاة فطرب عن بعض أصحاب النبي ﷺ. انظر: «المحتسب» (٢: ١٤٨).

(٢) وزاد أيضًا: فضالة بن عبيد وأبا هذيل.

(٣) «المحتسب» (٢: ١٤٨).

قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج، لتكون من المؤمنين الواثقين بوعده الله لا بتبني فرعون وتعطفه. وقرئ: (موسى)، بالهمز: جعلت الصمّة في جارة الواو وهي الميم كما فيها، فهزمت كما تمز وأو وجوه. و﴿فصيه﴾ أتبعي أثره وتتبعي خبره. وقرئ: (فبصرت) بالكسر، يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة، بمعنى: عن

قوله: (ليكون من المؤمنين الواثقين بوعده الله لا بتبني فرعون وتعطفه)، فإن قلت: ما الفرق بين هذه العبارة وبين ما سبق من المؤمنين من المصدقين بوعده الله؟ قلت: الأول مبني على أن ﴿فريغاً﴾ بمعنى: فارغاً من العقل من فرط الجزع والدهش، فالمناسب أن يقال: كادت تظهر بأمر موسى من الغم؛ لولا أن الله تعالى أهدى الصبر لتفر وتكون من المصدقين بوعده الله وهو: ﴿إن أراؤوه ليليب﴾. والثاني مبني على أن ﴿فريغاً﴾ بمعنى: فارغاً من الهم والحزن - عكس الأول -، فالمناسب أن يقال: كادت تظهر بأمر موسى من الفرح؛ لولا أن ربنا على قلبها كرامة لها؛ ليكون فرحها وابتهاجها من الوثوق بوعده الله وهو: أنه حافظه ورأه إليها، ولا يكون فرحها من تبني فرعون؛ فإن هذا الفرح سخطة من الله تعالى؛ فالإيمان على المعنى الأول بمعنى التصديق، وعلى الثاني بمعنى الوثوق. روى المصنف عن أبي زيد<sup>(١)</sup>: ما آمنت أن أجد صحابة؛ أي: ما وثقت، وحققت: صرت ذا أمن؛ أي: ذا سكون وطمأنينة.

قوله: (يُقال: بصرت به)، الراغب: البصر: يُقال للجارية الناضرة؛ كقوله تعالى: ﴿كلمج البصر﴾ [النحل: ٧٧]، وللقوة التي فيها. ويُقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر؛ كقوله تعالى: ﴿فكشفتنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢]، ولا يكاد يُقال للجارية: بصيرة. ويُقال من الأول: أبصرت، ومن الثاني: أبصرتُه وبصرت به. وقلما يُقال: بصرت في الجارية، ويقال: رأيتُه لَمحا بصراً؛ أي: نظراً بتحديد. وقوله تعالى: ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ [الإسراء: ١٢] أي: مضيئة، وقوله: ﴿وكأنوا مستبصرين﴾ [العنكبوت: ٣٨]، أي: طالبين البصيرة. ويجوز أن يُستعار الاستبصار للإبصار، نحو استعارة الاستجابة للإجابة<sup>(٢)</sup>.

(١) قوله: «أبي زيد» سقط من النسخة «ح».

(٢) «مفردات القرآن» ص ١٢٧.

بُعْد. وقرئ: (عن جانب)، (وعن جنب). والجنبُ: الجانبُ. يقالُ: قعدَ إلى جنبه وإلى جانبه، أي: نظرتُ إليه مُزوَّرةً مُتجانفةً مُخاتلةً. وهم لا يُحْسِنونَ بأُختها، وكان اسمُها مريم.

[﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِیحُونَ﴾ \* فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ، كَمَا تَفَرَّقَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنُ وَتَعْلَمُ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٢-١٣]

التَّحْرِيمُ: استعارةٌ لِلْمَنْعِ؛ لأنَّ من حُرِّمَ عليه الشَّيْءُ فَقَدْ مُنِعَهُ. ألا ترى إلى قولهم: محظور، وحجر، وذلك لأنَّ الله منعه أن يرضع ثدياً، فكان لا يقبلُ ثديي مُرضِعٍ قط، حتى أهتمهم ذلك. والمراضع: جمعُ مُرضِع، وهي المرأة التي تُرضع. أو جمعُ مَرَضِع، وهو موضعُ الرِّضَاعِ يعني: الثدي، أو الرِّضَاعُ. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبلِ فَصَّصها أثره. رُوِيَ أَنَّهَا لَمَّا قَالَتْ: ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِیحُونَ﴾ قال هَامَانُ: إِنَّا لَتَعْرِفُهُ وَتَعْرِفُ أَهْلَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَرَدْتُ: وَهُمْ لِلْمَلِكِ ناصِحون. والنُّصِیح: إخلاصُ العملِ من شائِبِ الفساد،

قوله: (مخاتلة)، الجوهري: خَتَلَهُ وخَاتَلَهُ؛ إِذَا خَادَعَهُ، التَخَاتُلُ: التَخَادُع.

قوله: (قال هَامَانُ: إِنَّا لَتَعْرِفُهُ وَتَعْرِفُ أَهْلَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَرَدْتُ: وَهُمْ لِلْمَلِكِ ناصِحون)، الانتصاف: فَخَلَصَتْ بِهِدِهِ الْكَلِمَةَ مِنَ التَّهْمَةِ وَأَحْسَنَتْ، وَلَيْسَ بِيَدْعٍ؛ لِأَنَّهَا مِنْ بَيْتِ النَّبِیَّةِ وَأُخْتُ النَّبِيِّ؛ فَحَقِيقٌ بِهَا ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

قال صاحبُ «الإنصاف»: ما ذكره الزمخشريُّ وصاحبُ «الانتصاف» بعيداً؛ لأنَّ اللُّغَةَ الَّتِي كَانَتْ تَتَكَلَّمُ بِهَا أُخْتُ مُوسَى غَيْرُ هَذِهِ اللُّغَةِ؛ فَالْأَلْفَاظُ الْمُتَلَوَّةُ فِي الْقُرْآنِ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْنَى الْأَلْفَاظِ الَّتِي قَالَتْهَا، وَهَذَا الاحْتِمَالُ إِنَّمَا نَشَأَ مِنْ تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ وَاحْتِمَالِ الضَّمِيرِ لِلْأَمْرَيْنِ فِيهَا؛ فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُهَا فِي لُغَتِهَا لِلْأَمْرَيْنِ.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٣٩٦).

فانطلقت إلى أمها بأمرهم، فجاءت بها والصبي على يد فرعون يُعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع، فحين وجد ريجها استأنس وأتقّم ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه فقد أبى كلّ ندي إلا نديك؟ قالت: إنّي امرأة طيبة الرّيح طيبة اللبن، لا أوتى بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها وأجرى عليها، وذهبت به إلى بيتها، وأنجز الله وعده في الرّد، فعندها ثبت واستقرّ في علمها أن سيكون نبياً، وذلك قوله: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يريد: وليثبت علمها ويتمكّن. فإن قلت: كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها؟ قلت: ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع، ولكنه مال

وقلت: هذا الأسلوب من الكلام الموجّه أو الإيهام وأيُّ بُعد في وقوع نحوه في لغة أخرى لا سيما في الضمير، وقد روى محيي السنّة عن ابن جرير والسدي نحوه<sup>(١)</sup>.

قوله: (يُعلله شفقة)، الجوهري: علله بالشيء: لهأه به؛ كما يُعلّل الصبي بشيء من الطعام يتجزأ به عن اللبن.

قوله: (واستقرّ في علمها أن سيكون نبياً)، وذلك أنه تعالى وعدها بخصلتين في قوله: ﴿إِنَّا نَأْتِيهِمْ لَيْلًا وَجَاءَهُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فعندما أنجز الوعد بإحدى الخصلتين حققت أن الأخرى ستكون؛ فكان الرّد علة لتحقيق حصول الرسالة؛ ولهذا قال: إن الرّد إنما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله.

قوله: (ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع)، مذهب الشافعي رحمه الله: جواز أخذ الوالدة من المولود له أجر الرضاع<sup>(٢)</sup>، وأبو حنيفة رحمه الله لا يجوز<sup>(٣)</sup>؛ فورد السؤال على مذهبه.

(١) «معالم التنزيل» (٦: ١٩٥).

(٢) وعبارته رضي الله عنه في «الأم» (٤: ٢٦): «والإجارات أصول في أنفسها يبيع على وجهها، وهذا كله جائز قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتَأُونَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦] فأجاز الإجارة على الرضاع.... إلى آخر كلامه رحمه الله. ولتمام الفائدة انظر: «روضة الطالبين» (٩: ٦٧).

(٣) يوضحه قول السرخسي رحمه الله في «المبسوط» (٥: ٢٠٨): «والرضاع والنفقة على الوالد لقوله تعالى: ﴿أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتَأُونَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦] يعني مؤنة الرضاع، وهذا بخلاف حال قيام النكاح بينهما، =

حربيٌّ كانت تأخذه على وجه الاستباحة. وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ داخلٌ تحت علمِها. المعنى: لتعلم أن وعد الله حقٌّ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حقٌّ فيرتابون. ويُشبهُ التعريضُ بما فرطَ منها حينَ سمعتُ بخبرِ موسى، فجزعتُ وأصبحَ فؤادها فارغاً. يروى أنها حينَ أَلقتِ التَّابُوتَ في اليمِّ جاءها الشَّيْطَانُ فقال لها: يا أمُّ موسى، كرهتِ أن يقتلَ فرعونُ موسى فتؤجري، ثمَّ ذهبَت فتولَّيتِ قتله؟ فلمَّا أتاها الخبرُ بأنَّ فرعونَ أصابه قالت: وَقَعَ في يَدِ العَدُوِّ، فَنَسِيتُ وَعَدَ اللهُ. ويجوزُ أن يتعلَّقَ ﴿وَلَكِنَّ﴾ بقوله: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ﴾ ومعناه: أن الرَّدَّ إنَّما كانَ لهذا الغرضِ الدِّينيِّ،

قوله: (ويُشبهُ التعريضُ)، أي بِأَمِّ موسى؛ يعني: قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تنبيهٌ لها على أن ما ذهبتُها من فرطِ الجزعِ والدَّهشِ في أوَّلِ الأمرِ كانَ من قِلَّةِ العِلْمِ، والجَهْلِ بتدبيرِ الله؛ كما أن قوله تعالى: ﴿لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ \* إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٠، ١١] كانَ تعريضاً بموسى من وَكْرَةِ القِبْطِيِّ وقوله فيه: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: ١٦].

قوله: (ويجوزُ أن يتعلَّقَ ﴿وَلَكِنَّ﴾ بقوله: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ﴾)، أي: يختصُّ به دونَ المعطوفين - يعني: ﴿نَفَرًا عَيْنُهَا وَلَا تَحْرَبْنَ﴾ - بشهادةِ إعادةِ حرفِ التعليلِ، وكانَ مُستغنى<sup>(١)</sup> عنه بالعاطفِ؛ فدَلَّ ذلكَ على شدَّةِ العنايةِ به، وأنَّه الغرضُ الأصليُّ؛ فاختصَّ لذلكَ به لأنَّه لا يُستدرَكُ بذلكَ إلا في أمرٍ يعزُّ الوصولُ إليه، ولأنَّ كلَّ أحدٍ يعلمُ ضرورةً أن فرحَ الثكلى وذهابَ حُرْزِها إنَّما يكونُ بوجدانٍ مَفْقُودِها؛ ولكنَّ لا يعرفُ أن الرَّدَّ لصدقِ<sup>(٢)</sup> الوعدِ إلا الواقفونَ على أسرارِ الله تعالى ودقائقِ حكمته؛ فعلى هذا جملةُ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

= فإنَّها لا تستوجبُ الأجرَ على إرضاعِ الولدِ، لأنَّ في حالِ بقاءِ النكاحِ الرِّضَاعُ من الأعمالِ المستحقَّةِ عليها ديناً انتهى، ولتتامِ الفائدةِ انظر: «بدائع الصنائع» للكاساني (٤: ٤١).

(١) في النسخة «ف»: «مُسْتغْنَى»، وهو خطأ.

(٢) في النسخة «ف»: «بصدق»، وهي جيِّدةٌ مُتَّجِهَةٌ.

وهو علمها بصدق وعد الله. ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن.

[﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَآيَاتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٤]

﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ واعتدل وتم استحكامه، وبلغ المبلغ الذي لا يزداد عليه، كما قال

لقيط:

واستحملوا أمركم لله دركمو سوء المريرة لا قحما ولا صرعا

يَعْلَمُونَ ﴿ معطوفة على جملة العلة والمعلول، وعلى الأول عطف على ما سد مسد المفعولين لقوله: ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾.

قوله: (وَبَلَغَ الْمَبْلَغَ الَّذِي لَا يُزَادُ عَلَيْهِ)، وعن بعضهم: وفي الحديث: «إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، قالت الحكماء: هي التي على العاقل اللبيب إذا شارقها أن يستوي وعلى الأديب الأريب إذا أناخ عليها أن يرعوي.

قوله: (وَاسْتَحْمَلُوا أَمْرَكُمْ) البيت<sup>(٢)</sup>، استحملته: سألته أن يحتملي أمركم؛ أي: أمر الخلافة. لله دركم أي: خيركم وصالح عمليكم؛ لأن الدر أفضل ما يحتلب، وإذا ذموا قالوا: لا در الله دره؛ أي: لا كثر خيره ولا زكى عمله. والشزر من القتل: ما كان إلى فوق، خلاف دور المغزل؛ يقال: حبل مشزور؛ أي: شديد القتل. والمريرة: العزيمة، أو من المرة، وهي القوة، والمري من الجبال: ما لطف وطال واشتد، ورجل ذو مرة: إذا كان سليم الأعضاء صحيحا. وشيخ قحم: هرم، مثل: قحل. والصرع - بفتحين - الضعيف. يقول: قلدوا أمر الخلافة رجلا قادرا قويا غير الهرم والضعيف الذي لا رأي له، لا قحما ولا صرعا؛ كقوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْنَكَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

(١) سبق تحريجه.

(٢) للقيط بن يعمر الإيادي في «ديوانه» ص ٤٩، وهو تلفيق من البيتين التاليين:

فقلدوا أمركم لله دركمو  
حتى استمرت على شزر مريرته  
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا  
مستحكم السن لا قحما ولا صرعا



وذلك أربعون سنة، ويروى: أنه لم يُبعث نبيٌّ إلا على رأس أربعين سنة. العلم: التّوراة. والحُكم: السُّنة. وحكمة الأنبياء: سُنَّتُهُمْ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْتِ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤] وقيل: معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمّتهم قبل البعث، فكان لا يفعل فعلاً يستجهل فيه.

[﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ أَبِي لَهَبٍ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَى الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [١٥-١٧]

المدينة: مصر. وقيل: مدينة منف من أرض مصر. وحين غفلتهم: ما بين العشاءين. وقيل: وقت القائلة. وقيل: يوم عيد لهم هم مُستغنون فيه بلهوهم. وقيل: لما شبَّ وعقل أخذ يتكلّم بالحق وينكر عليهم، فأخافوه، فلا يدخل قرية إلا على تغفل. وقرأ سيبويه: (فاستعانه). ﴿من شيعته﴾ من شايعة على دينه من بني إسرائيل. وقيل: هو السامريّ ﴿من عدوه﴾ من مخالفيه من القبط، وهو فاتون، وكان يتسخّر الإسرائيليّ لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون. و(الوكز): الدفْعُ بأطراف الأصابع. وقيل: بجمع الكف، وقرأ ابن مسعود: (فلكزّه) باللام. ﴿فقضى عليه﴾ فقتله. فإن قلت: لم جعل

قوله: (مدينة منف)، مُنِعَ الصّرف؛ لاجتماع التّأنيث والعلميّة والعجمة، كماه وجور في اسم بلديّتين.

قوله: (وقت القائلة)، أي: الظّهرة، وقد يكون بمعنى القيلولة؛ وهي النوم في الظّهرة.

قوله: (فلكزّه)، الجوهرية: اللّكزُ: الضّربُ بالجمع على الصّدر، وقيل: على جميع الجسد.

قوله: (﴿فقضى عليه﴾ فقتله)، الأساس: وقضى المريض نَحْبَهُ، قَضَى عَلَيْهِ بَصْرَهُ قِضَاهُ<sup>(١)</sup>، وأتت عليه القاضية أي: المنيّة.

(١) قوله: «قضاء» زيادة ليست في «أساس البلاغة».

قتل الكافر من عمل الشيطان، وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه؟ قلت: لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل، فكان ذنباً يستغفر منه. عن ابن جريج: «ليس لنبى أن يقتل؛ ما لم يؤمر». ﴿بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف، تقديره: أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبن؛ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾، وأن يكون استعطافاً، كآته قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة، فلن أكون، إن عصمتني، ظهيراً للمجرمين. وأراد بمظاهرة المجرمين: إما صُحبة فرعون وانتظامه في جملة، وتكثيره سواده؛ حيث كان يركب برُكوبه؛ كالولد مع الوالد، وكان يُسمى ابن فرعون. وإما مظاهرة من أدت مظهرته إلى الجرم والإثم، كمظاهرة الإسرائيليّ المؤدية إلى القتل الذي لم يحلّ له. وعن ابن عباس: لم يسثن فأتيتي به مرة أخرى. يعني: لم يقل: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ إن شاء الله. وهذا نحو قوله: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣]

قوله: (وأن يكون استعطافاً)، قال ابن الحاجب: القسم جملة إنشائية يؤكد بها جملة أخرى؛ فإن كانت خبرية فهو القسم لغير الاستعطاف، وإن كانت طلبية فهو للاستعطاف. وقلت: الاستعطاف يُستفاد من اللفظ الذي يُشعرنا بالعطف والحنو؛ فكان الداعي يستعطف المدعو بنعمة المغفرة، ويجعلها وسيلة لطلب العزيمة، وقد لمح إليه في أول «النساء». وبما يدل على أن الاستعطاف ليس بقسم أن المصنّف جعله هاهنا قسماً للقسم؛ لأن القائل إذا قال: تالله لأفعلن كذا؛ انعقد اليمين، ولو قال: تالله أفعل كذا؛ لا ينعقد اليمين. وعلى الوجه الثالث - وهو قوله: «بما أنعمت عليّ من القوة» - : الباء سببية؛ فحينئذ لا يكون قسماً، ولا استعطافاً؛ فالمعنى: بسبب ما أنعمت عليّ من القوة؛ أشكرك، فلن أستعمل القوة إلا في مظاهرة أوليائك. قال في قوله تعالى: ﴿رَبِّ بِمَا آغَوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ [الحجر: ٣٩]: «ويجوز أن لا<sup>(١)</sup> يكون قسماً، ويكون المعنى: بسبب تسبيحك لإغوائي أقسم لأفعلن».

(١) لفظة «لا» سقطت من (ط)، وهي ثابتة في «الكشاف».

وعن عطاءٍ رحمه الله: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: إِنَّ أَخِي يَضْرِبُ بِقَلَمِهِ وَلَا يَعْدُو رِزْقَهُ. قَالَ: فَمَنْ الرَّأْسُ؟ يَعْنِي: مَنْ يَكْتُبُ لَهُ؟ قَالَ: خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ. قَالَ: فَأَيْنَ قَوْلُ مُوسَى؟ وَتِلَاذَةُ الْآيَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الظَّلْمَةِ وَأَشْبَاهِ الظَّلْمَةِ وَأَعْوَانِ الظَّلْمَةِ؟ حَتَّى مِنْ لَاقٍ لَهُمْ دَوَاةٌ أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا، فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ حَدِيدٍ فَيُرْمَى بِهِ فِي جَهَنَّمَ». وَقِيلَ مَعْنَاهُ: بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ مِنَ الْقُوَّةِ، فَلَنْ أَسْتَعْمِلَهَا إِلَّا فِي مُظَاهَرَةِ أَوْلِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ وَالْإِيمَانِ بِكَ، وَلَا أَدْعُ قِطِيًّا يَغْلِبُ أَحَدًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

[﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ. قَالَ لَهُ: مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ \* فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ \* ١٨ -

[١٩]

﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ المكروه وهو الاستفادة منه، أو الأخبار وما يقال فيه، ووصف الإسرائيليِّ بالغيِّ؛ لأنه كان سببَ قتلِ رجلٍ، وهو يقاتلُ آخر. وقرئ: (يَبْطِشُ)، بالصِّمِّ. والذي هو عدوٌّ لهما: القبطيُّ؛ لأنه ليسَ على دينِهما، ولأنَّ القبطَ كانوا أعداءَ بني إسرائيل. والجبارُ: الذي يفعلُ ما يريدُ من الضُّربِ والقَتْلِ بظلم، لا ينظرُ في العواقبِ، ولا يدفَعُ

قوله: (لا يعدو رزقه)، أي: لا يتجاوزُ عما عُيِّنَ له مِنَ الرزقِ، أي: الأجرِ على عمله.

قوله: (مَنْ لَاقٍ لَهُمْ دَوَاةٌ)، الجوهرية: لَاقَتْ الدَوَاةُ تَلِيْقٌ؛ أي: لَصِقَتْ، وَلِقَتْهَا أَنَا؛ يتعدى ولا يتعدى، وهي مَلِيْقَةٌ: إِذَا أَصْلَحَتْ مِدَادَهَا. الأساس: لِقَتْ الدَوَاةُ، وَأَلْقَتْهَا؛ فَلَاقَتْ، وَهَذِهِ لِيَقَّةُ الدَوَاةِ؛ أي: بعضُ أخلاطِها.

قوله: (وَالْجَبَّارُ: الَّذِي يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)، الراغب: وَالْجَبَّارُ فِي صِفَةِ الْإِنْسَانِ: مَنْ يَجْبُرُ نَقِيصَتَهُ بِأَدْعَاءِ مَنْزِلَةٍ مِنَ التَّعَالِيِّ لَا يَسْتَحِقُّهَا، وَهَذَا لَا يُقَالُ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الدَّمِّ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]. وَأَمَّا

بألتي هي أحسن: وقيل: المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله، ولما قال هذا أفسى على موسى؛ فانتشر الحديد في المدينة، ورفى إلى فرعون، وهما بقتله.

[﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ٢٠]

في وصفه تعالى فقد قيل: سُمِّيَ بذلك من: جَبَرْتُ الفقير<sup>(١)</sup>؛ لأنه تعالى هو الذي يَجْبُرُ النَّاسَ بفائض نعمة، وقيل: لأنه يَجْبُرُ النَّاسَ أي: يَقْهَرُهُم على ما يريد. ودفعه بعض أهل اللغة من حيث اللفظ؛ لأن «فعالاً» لا يُبنى من: أفعلت؛ فأجيب بأن ذلك من لفظ الجبر المروي في قولهم: لا جبر ولا تفويض، لا من الإخبار.

وأنكر ذلك جماعة من المعتزلة من حيث المعنى؛ فقالوا: يتعالى الله عن ذلك، وليس بمُنْكَر؛ فإنه تعالى قد أجبر الناس على أشياء لا انفكاك لهم منها حسب ما تقتضيه حكمته لا على ما تنوهمه الغواة والجهلة؛ وذلك كما كراههم على المرض والموت والبعث، وسخر كلاً منهم لصناعة وطريقة من الأخلاق، وجعله مجبراً في صورةٍ مُخَيَّرٍ؛ قال تعالى: ﴿تَحَنَّنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]. وقد روي عن علي رضي الله عنه: يا باري المسموكات<sup>(٢)</sup> وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها<sup>(٣)</sup>.

وأصل الجبر: إصلاح الشيء بضرٍ من القهر؛ يقال: جَبَرْتُهُ فأنجبر، وقد يُقال تارة في الإصلاح المجرد؛ كقول القائل: يا جابر كل كسير، ومسهل<sup>(٤)</sup> كل عسير، وتارة في القهر المجرد كقوله: لا جبر ولا تفويض.

قوله: (ورقى إلى فرعون)، الجوهري: رقى عليه كلاماً يزيقه: إذا رَفَعَ، وفي استعماله بـ«إلى» تضمين معنى الانتهاء.

(١) في النسخ الخطية: «القصر». وهو على الجادة في «مفردات القرآن»، وعليه دار كلام الزمخشري في تفسير هذا الحرف في «أساس البلاغة» (جبر).

(٢) في (ح) و(ف): «السموات»، والجادة ما أثبتناه من (ط)، وأراد به السهوات المرتفعة.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» برقم (٩٠٨٩).

(٤) في (ط): «وميسر».

قيل: الرَّجُلُ: مؤمنٌ آل فرعون، وكان ابن عمِّ فرعون، و﴿يَسَعَى﴾ يجوزُ ارتفاعه؛ وصفًا لرجل، وانتصابه حالًا عنه؛ لأنه قد تخصص بأن وُصِفَ بقوله: ﴿مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾، وإذا جُعِلَ صلة لـ «جاء»، لم يَجْزُ في ﴿يَسَعَى﴾ إلا الوصف. والائتمار:

قوله: (وإذا جُعِلَ - أي: ﴿مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ - صلة «جاء»<sup>(١)</sup>) لم يَجْزُ في ﴿يَسَعَى﴾ إلا الوصفُ، لأن ذا الحالِ نكرةٌ صرْفَةٌ. كأن مِيلَ صاحبِ «المفتاح» إلى هذا الوجه؛ حيث قال: ذَكَرَ المَجْرورَ بعدَ الفاعِلِ وهو مَوْضِعُهُ، وفي «يس» قَدَمَهُ لِكُونِهِ أَهَمُّ؛ لأنَّ الكلامَ هناك في سوءِ مُعامَلَةِ أصحابِ القريةِ للرُّسُلِ<sup>(٢)</sup>، وكانَ مَطْنَةٌ لأنَّ يَجِيْلُ السامِعُ في فكرِهِ: أكانتْ تلكَ القريةُ بحافَاتِها كذلك، أم كانَ هناكَ قَطْرٌ مُنْبِتٌ خَيْرٌ؟ فانْتَظَرَ مَساقَ حديثِهِ فَقَدَّمَ لهذا العارضِ بخلافِهِ هاهنا؛ فإنَّ المترتَّبَ إخبارٌ مُخْبِرٌ، كما قال المصنَّفُ في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: «أي: الإخبارَ وما يُقالُ فيه»<sup>(٣)</sup>. بَقِيَ أن يُقالَ: لِمَ قَدَّمَ المَجْرورَ على الوصفِ ومرتبته التأخير؟ والأظهرُ أنَّ المَجْرورَ صلةٌ ﴿يَسَعَى﴾، والجُملةُ وصفٌ لـ ﴿رَجُلٌ﴾؛ لأنَّ موسى عليه السلامُ كانَ مُخْتَفِيًا في بعضِ أَقْطارِ المدينةِ وأكنافِها، مترقِّبًا لِمُخْبِرٍ يُخْبِرُهُ، والرجلُ كانَ مؤمنًا مُعْتَنِيًا بِشأنِ نبيِّ الله؛ فحينَ أَطْرَقَ<sup>(٤)</sup> سمعَهُ مؤامِرَةُ القومِ سعى مِن عِندِهِم إليه انتهازًا للفرصة؛ ومن ثَمَّ أَتْبَعَهُ بقوله: ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: مِنَ الَّذِينَ لَهُمُ مَساهِمَةٌ<sup>(٥)</sup> في النُّصْحِ لك. وأكَّده بأنَّ قوله: ﴿لَكَ﴾ بيانٌ وليسَ بِصلةٍ لِلناصِحِينَ؛ أي جوابٌ لِمَنْ يقولُ: لِمَنْ يَنْصَحُ؟ كقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٤٢٠]. قال الزَّجَّاجُ: ﴿لَكَ﴾ ليسَ مِن صِلَةِ ﴿النَّاصِحِينَ﴾؛ لأنَّ الصِّلَةَ لا تَتَقَدَّمُ على الموصولِ، كأنه قال: إني مِنَ النَّاصِحِينَ يَنْصَحُونَ لك، وفي الكلام: «نَصَحْتُ لك» أكثرُ مِن نَصَحْتُكَ<sup>(٦)</sup>.

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «صلة لـ (جاء)» والمعنى واحد.

(٢) في (ط): «القرية الرجل».

(٣) «مفتاح العلوم» ص ١٠٤.

(٤) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «طَرَق».

(٥) في النسخة «ح»: «مساهمة».

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٣٨).

التَّشَاوُرِ. يُقَالُ: الرَّجُلَانِ يَتَأَمَّرَانِ وَيَأْتَمَّرَانِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَأْمُرُ صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ، أَوْ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ. وَالْمَعْنَى: يَتَشَاوَرُونَ بِسَبَبِكَ. ﴿لَكَ﴾ بَيَانٌ، وَلَيْسَ بِصَلَةِ النَّاصِحِينَ.

[﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٢١]

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ التَّعَرُّضُ لَهُ فِي الطَّرِيقِ، أَوْ أَنْ يُلْحَقَ.

[﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ٢٢]

﴿تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ﴾ قَصَدَهَا وَنَحَوَهَا. وَمَدْيَنُ: قَرْيَةٌ شَعِيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سُمِّيَتْ بِمَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ تَكُنْ فِي سُلْطَانِ فِرْعَوْنَ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مِصْرَ مَسِيرَةٌ ثَمَانٍ، وَكَانَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَا يَعْرِفُ إِلَيْهَا الطَّرِيقَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَرَجَ وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِالطَّرِيقِ إِلَّا أَحْسَنُ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ. وَ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وَسَطُهُ وَمُعْظَمُ نَهْجِهِ. وَقِيلَ: خَرَجَ خَائِفًا لَا يَعِيشُ إِلَّا بِوَرَقِ الشَّجَرِ، فَمَا وَصَلَ حَتَّى سَقَطَ خُفُّ قَدَمِهِ. وَقِيلَ: جَاءَهُ مَلَكٌ عَلَى فَرَسٍ بِيَدِهِ عَنزَةٌ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَدْيَنَ.

[﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّكَاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ \* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ \* فَجَاءَهُتَهُمَا إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى آسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آبَى يَدْعُوكَ لِيجزئك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه، وقصص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين \* قالت إحداهما يأتيت أستعجرك إني خير من أستعجرت القوي الأمين \* قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين

قوله: (وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِالطَّرِيقِ إِلَّا أَحْسَنُ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ)، هَذَا الْاِسْتِثْنَاءُ نَحْوُ: ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ \* [لَا مَنْ أَى اللَّهُ يَغْلِبُ سَلِيمٌ] \* [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

قوله: (عَنزَةٌ)، النِّهَاطُ: مِثْلُ نِصْفِ الرُّمْحِ أَوْ أَكْبَرَ، وَفِيهَا سِنَانٌ مِثْلُ سِنَانِ الرُّمْحِ.

عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَّجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ  
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ  
فَلَا عُدُونَكَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَانِقُولٌ وَكَيْلٌ ﴿٢٣-٢٨﴾

﴿مَاءَ مَدْيَنَ﴾ ماؤهم الذي يَسْتَقُونَ منه، وكان بئرا فيما روي. ووروده:  
جيبته والوصول إليه. ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ وجد فوق شفيره ومُستَقَاهُ، ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة  
كثيفة العدد، ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ من أناسٍ مختلفين، ﴿مِنْ دُونِهِمْ﴾ في مكانٍ أسفل  
من مكانهم. والدُّودُ: الطَّرْدُ والدَّفْعُ، وإِنَّمَا كَانَتَا تَدُودَانِ؛ لِأَنَّ عَلَى الْمَاءِ مَنْ هُوَ أَقْوَى  
مِنْهُمَا؛ فَلَا تَتَمَكَّنَانِ مِنَ السَّقِيِّ. وقيل: كَانَتَا تَكْرَهَانِ الْمُرَاحِمَةَ عَلَى الْمَاءِ. وقيل: لثَلَا  
تَخْتَلِطُ أَغْنَامُهُمَا بِأَغْنَامِهِمْ. وقيل: تَدُودَانِ عَنِ وُجُوهِمَا نَظَرَ النَّاطِرِ لِتَسْتُرِهِمَا. ﴿مَا  
حَطَبُكُمَا﴾: ما شَأْنُكُمَا؟ وحقيقته: ما مخطوبكما؟ أي: مطلوبكما من الدِّيَادِ، فسُمِّي

قوله: ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة كثيفة العدد ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ من أناسٍ مختلفين، أما تقييدها  
بالكثيفة؛ فمِنْ تَحْصِيصِ ذِكْرِ «الْأُمَّة».

النهاية: يُقَالُ لِكُلِّ جَيْلٍ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَ: أُمَّة. وفي الحديث: «لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ  
تَسْبُحُ لَأَمْرَتْ بِقَتْلِهَا»<sup>(١)</sup>.

الراغب: الأُمَّة: جماعة يجمعهم أمرٌ ما؛ إما دينٌ واحد، أو زمانٌ واحد، أو مكانٌ واحد؛  
سواء كَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الْجَامِعُ تَسْخِيرًا أَوْ اخْتِيَارًا<sup>(٢)</sup>. وأما معنى «أناسٍ مختلفين»؛ فمِنْ  
التعريفِ في «النَّاسِ»، وهو ما تَعَوَّرَفَ وَاشْتَهَرَ أَنَّ مَنْ يَجْتَمِعُ حَوْلِي شَفِيرِ الْبِئْرِ لِأَجْلِ  
الاستقاءِ مِنْهُمْ. وقريبٌ منه قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠،  
والأعراف: ١٦٠].

قوله: (ما مخطوبكما؟)، أي: ما مطلوبكما؟ مِنْ قَوْلِهِمْ: خَطَبْتُ الْمَرْأَةَ خِطْبَةً؛ أَي: طَلَبْتُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٨٣٤) وابن ماجه (٣٢٠٥) وأبو داود (٢٨٤٧) وغيرهم من

حديث عبد الله بن مَعْقَلٍ، وانظر تمام تخريجه في «صحيح ابن جبان» (٥٦٥٦).

(٢) «مفردات القرآن» ص ٨٦.

المخطوبَ خطبًا، كما سَمَى المَشْتُونَ شَأْنَا في قولك: ما شَأْنُكَ؟ يقال: شَأْنْتُ شَأْنَهُ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَهُ. وقرئ: (لَا نُسْقِي) و﴿يُصْدِرُ﴾ و(الرُّعَاءُ)، بضمِّ النونِ والياءِ والرَّاءِ. والرُّعَاءُ: اسمُ جمعِ كالرُّخَالِ والثَّنَاءِ. وأما ﴿الرِّعَاءُ﴾ بالكسرِ فقياس، كصِيَامِ وقيامِ. ﴿كَبِيرٌ﴾ كبيرُ السِّنِّ. ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ فسقى غَنَمَهُمَا لأجلِهما. ورُوي أَنَّ الرُّعَاةَ كانوا يضعونَ على رأسِ البئرِ حَجْرًا لا يُقَلُّه إلا سبعةُ رجال. وقيل: عَشْرَةٌ. وقيل: أربَعُونَ. وقيل: مئة، فأقلُّه وَخَدَهُ. ورُوي أَنَّهُ سَأَلَهُمْ دَلْوًا من ماءٍ فأعطوه دَلْوَهُمْ

تَزَوَّجَهَا. الأساس: وَمِنَ المَجاز: فلانٌ يَخْطُبُ عَمَلٌ كذا؛ يَطْلُبُهُ، وما خَطْبُكَ؟ وما شَأْنُكَ الذي تَخْطُبُهُ؟

قوله: (وَقَرِئَ: «لَا نُسْقِي» و﴿يُصْدِرُ﴾)، المشهورة: ﴿لَا نُسْقِي﴾ بفتحِ النونِ، و﴿يُصْدِرُ﴾ بفتحِ الياءِ وضمِّ الدالِ: ابنُ عامِرٍ وأبو عمرو، والباقون: بضمِّ الياءِ وكسرِ الدالِ<sup>(١)</sup>. وسأل بعضهم عن الفرقِ بينَ يصدرُ بفتحِ الياءِ وضمُّها من حيثِ المعنى، وأجيب: أَنَّ الأوَّلَ دَلٌّ على فرطِ حيائِهما وتفاديهما مِنَ الاختلاطِ بالأجانبِ، وَأَنَّ الثاني دَلٌّ على إصدارِهِمُ المواشي، ولم يُفْهَمُ مِنْهُ صدورُهُم عن الماءِ.

قوله: (كالرُّخَالِ)، الجوهري: الرِّخْلُ بكسرِ الخاءِ: الأنتى من أولادِ الضَّانِ، والجمع: رُخَال. والثنا: جمعُ الثني؛ وهو الذي يُلقَى ثنيتَهُ من ذواتِ الظَّلْفِ والحافرِ في السَّنَةِ الثالثة، وفي الخُفِّ في السَّنَةِ السادسة. قال الحريريُّ في «دُرَّةِ الغَوَاصِ»: وقد جُمِعَ «رِخْلُ» بفتحِ الرِّاءِ وكسرِ الخاءِ على «رُخَالِ» بضمِّ الرِّاءِ، وهو بما جُمِعَ على غيرِ القياسِ. حُكِيَ أَنَّ أبا زيدٍ حَكَى أَنَّ العَرَبَ تقولُ في مُلْحِجِها: قِيلَ للضَّانِ: ما أَعَدَدْتَ للثَّنَاءِ؟ قال: أَجَزُّ جُفَالاً، وَأَتْنِجُ رُخَالاً، وَأُحَلِّبُ كُثْبًا ثِقَالاً، ولَنْ تَرى مثلي مالا<sup>(٢)</sup>. وفُسِّرَ أَنَّ الجُفَالَ: الكثير، والكُثْبَ: جَمْعُ كُثْبَةٍ؛ وهي ما انصَبَ ومار، ومنهُ سُمِّيَ الكُثيبُ مِنَ الرَّمْلِ.

قوله: (لا يُقَلُّه)، التَّهْيَاة: يقال: أَقَلَّ الشَّيْءُ يُقَلُّه واسْتَقَلَّه يَسْتَقَلُّه؛ إِذا رَفَعَهُ وَحَمَلَهُ.

(١) ولتأمِ الفائدة انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (٢: ١٧٢).

(٢) «دُرَّةُ الغَوَاصِ في أوْهامِ الخواصِ» ص ١١٦.



وقالوا: استقي بها، وكانت لا ينزعها إلا أربعون، فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة، وروى عنها وأصدرهما. ورُوي أنه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما. وقيل: كانت بئراً أخرى عليها الصخرة. وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف. والمعنى: أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحم عليه أمة من أناسٍ مختلفة متكاثفة العدد، ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما متوقفتين لفراغهم، فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع، ولكنه رحمهما فأغاثهما، وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده، وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجيلة، وفيه - مع إرادة اقتصاص أمره، وما أوتي من البطش والقوة، وما لم يغفل عنه، على ما كان به من انتهاء فرصة الاحتساب - ترغيب في الخير، وانهاز فرصة، وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين، والأخذ بسيرهم ومذاهبهم. فإن قلت: لم ترك المفعول غير مذكور في قوله: ﴿يَسْقُونَ﴾ و﴿تَذُودَانِ﴾ و﴿لَا تَسْقَى﴾؟ قلت: لأن الغرض هو الفعل لا المفعول. ألا ترى أنه إنما

قوله: (فما أخطأت همته)، أي: ما تجاوزت الأساس: ومن المجاز: تحطأه المكروه.

قوله: (تلك الفرصة)، الجوهرية: الفرصة هي الشرب والتوبة؛ يقال: وجد فلان فرصة؛ أي بُهزة، وانهزها إذا اغتنمها.

قوله: (وفيه)، خبر، والمبتدأ «ترغيب»، و«ما أوتي» عطف تفسيري على «أمره»، و«ما لم يغفل عنه» عطف على «البطش والقوة»، وهو عبارة عن الجزم البليغ والتيقظ التام؛ ولذلك أوقع «على ما كان به» حالاً من فاعل لم يفعل على وجه التتميم والمبالغة؛ أي على ما كان به من النصب وسقوط الخوف والجوع. و«من» - في «من انهاز الفرصة» - بيان «ما لم يغفل عنه»، المعنى: أدمج في هذا الكلام - مع اقتصاص أمر موسى عليه السلام من القوة والتيقظ في تلك الحالة - ترغيب المؤمنين في الخير، وانهاز الفرصة فيه، والبعث على الاقتداء بسنة الصالحين من المرسلين. ويجوز أن يكون «وما لم يغفل عنه» عطفًا على «ما أوتي».

قوله: (لأن الغرض هو الفعل لا المفعول)، فإن قلت: هل من فرق بين هذا وما ذهب

رَجْمَهُمَا لِأَنَّهُمَا كَانَتَا عَلَى الدِّيَادِ وَهُم عَلَى السَّقْيِ، وَلَمْ يَرَحْمَهُمَا لِأَنَّ مَذُودَهُمَا غَنَمٌ وَمَسْقِيَهُمْ  
إِبِلٌ مَثَلًا، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمَا ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ المقصودُ فِيهِ السَّقْيُ لَا الْمَسْقِيَّ.  
فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ طَابَقَ جَوَابُهُمَا سُؤَالَه؟ قُلْتُ: سَأَلَهُمَا عَنْ سَبَبِ الدَّوْدِ فَقَالَتَا: السَّبَبُ فِي  
ذَلِكَ أَنَا امْرَأَتَانِ ضَعِيفَتَانِ مَسْتَوْرَتَانِ لَا نَقْدِرُ عَلَى مَسَاجِلَةِ الرِّجَالِ وَمَزَاحَمَتِهِمْ، فَلَا بُدَّ

إِلَيْهِ صَاحِبُ «الْمَفْتَاخِ» مِنْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي تَرْكِ الْمَفْعُولِ إِلَى مَجْرَدِ الْاِخْتِصَارِ؛ لِانْصِبَابِ الْكَلَامِ  
إِلَى إِرَادَةِ: يَسْقُونَ مَوَاشِيَهُمْ، إِلَى آخِرِهِ<sup>(١)</sup>؟

قُلْتُ: نَعَمْ؛ لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْفَلْظِ، وَأَنَّ التَّرْكَ لَصَوْنِ الْكَلَامِ عَنِ الْعَبَثِ لِنِيَابَةِ<sup>(٢)</sup> قِرَائِنِ  
الْأَحْوَالِ. وَالْمَصْنُفُ نَظَرَ إِلَى الْمَعْنَى وَأَنَّ الْمَفْعُولَ مَرْفُوضٌ غَيْرٌ مُلْتَفِتٌ إِلَيْهِ؛ فَلِكُلِّ وَجْهَةٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مِنْ تَنْزِيلِ الْمُتَعَدِّي مَنْزِلَةَ الْإِلْزَامِ إِيَّاهَا لِلْمَبَالِغَةِ؛ فَأَيْنَ الْمَبَالِغَةُ؟  
قُلْتُ: وَهُمْ بَعِيدٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: «الْغَرَضُ هُوَ الْفِعْلُ لَا الْمَفْعُولُ» أَنَّهُمْ قَدْ يَقْصِدُونَ فِي  
الْكَلَامِ الْمَحْتَوِي عَلَى مَعَانِي إِلَى مَعْنَى مِنْهَا قَصْدًا أَوْلِيًّا، وَيُوهِمُونَ أَنَّ مَا سِوَاهُ مُطْرَحٌ؛ أَلَا تَرَى  
إِلَى قَوْلِهِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِشَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]: تَرَكَ الْمَفْعُولَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ  
الْمَعَزَّزَ بِهِ وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ مُنْصَبًّا إِلَى غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ جَعَلَ سِيَاقَهُ لَهُ وَتَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ، كَأَنَّ  
مَا سِوَاهُ مَرْفُوضٌ مَطْرُوحٌ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (كَيْفَ طَابَقَ جَوَابُهُمَا سُؤَالَه؟)، يَعْنِي أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَهُمَا عَنْ شَأْنِهِمَا  
وَمَطْلُوبِهِمَا بِقَوْلِهِ: ﴿مَا خَطَبُكُمَا﴾ وَكَانَ الظَّاهِرُ أَنَّ يَقُولَا: شَأْنُنَا أَنَّنَا نَرِيدُ السَّقْيَ، وَلَا قُدْرَةَ  
لَنَا عَلَيْهِ مِنَ الزَّحْمَةِ. وَأَجَابَ: إِنَّ جَوَابَهُمَا ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾  
مَعْنَاهُ: سَبَبُ دَوْدِنَا ضَعْفُنَا وَعَجْزُنَا وَضَعْفُ مُتَوَلِّي أَمْرِنَا؛ وَهُوَ أَبُوْنَا. وَفِي اِخْتِصَابِهَا  
الْأَبَ بِالذِّكْرِ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ لَيْسَ لَهُمْ رَجُلٌ يَقُومُ بِذَلِكَ؛ فَأَوْجَبَ ذَلِكَ أَنَّ يُفَسَّرَ قَوْلُهُ: ﴿مَا  
خَطَبُكُمَا﴾ بِقَوْلِنَا: مَا سَبَبُ دَوْدِكُمَا؟ لِيَتَطَابَقَا.

(١) «مفتاح العلوم» ص ١٠٠.

(٢) فِي (ح) وَ(ف): «لشائبة».

(٣) انظر: «الكشاف» (١٣: ٢١).

لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا، وما لنا رَجُلٌ يقومُ بذلك، وأبونا شيخٌ قد أضعفهُ الكِبَرُ؛ فلا يصلحُ للقيامِ به: أبلنا إليه عُذْرُهُما في توليها السقي بأنفسهما. فإن قلت: كيف ساعَ لِنبيِّ الله الذي هو شُعيبٌ عليه السَّلامُ أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية؟ قلت: الأمرُ في نفسه ليسَ بمَحْظورٍ؛ فالدينُ لا ياباه. وأما المروءة، فالتأسُّ مختلفون في ذلك، والعاداتُ مُتباينةٌ فيه، وأحوالُ العربِ فيه خِلافٌ أحوالِ العَجَمِ، ومذهبُ أهلِ البَدْوِ فيه غيرُ مذهبِ أهلِ الحَضَرِ، خصوصاً إذا كانتِ الحالةُ حالةَ صَرورة. ﴿إِنِّي﴾ لأيِّ شيءٍ ﴿أَنْزَلْتَ إِلَيَّ﴾ قليلٍ أو كثيرٍ، غثٌ أو سَمِينٌ لـ ﴿فَقِيرٌ﴾؛ وإنا عُدَيٌّ ﴿فَقِيرٌ﴾ باللام؛ لأنَّه ضمنَ معنى سائلٍ وطالبٍ. قيل: ذَكَرَ ذلك وخضرةُ البَقْلِ تترأى في بطنه

فإن قلت: فَلِمَ عَدَلَّ عَنِ السَّوَالِ الظاهرِ إلى قوله: ما مخطوبكما؟ أي: ما مطلوبكما من الذِّيار؟ قلت: مقصودُ نبيِّ الله من قوله: ما مطلوبكما من الذِّيار<sup>(١)</sup>؟ أن يُجَابَ بطلبِ المعونة منه؛ لكرمه ورحمته على الضعفاء. ولما كانتا من بيتِ النُّبوة؛ حَمَلْنَا قوله على ما يُجَابُ عنه بالسَّببِ، وفي ضَمْنِهِ طلبُ المعونة؛ لأنَّ إظهارَهُما العَجْزَ ليسَ إلا لذلك، وهذا وإنه ليسَ في الكلامِ ما يدلُّ على ضعفِهما؛ بل فيه أماراتٌ على حيائيهما وسترِهما كما سَبَقَ في بيانِ اختلافِ القراءتين في «يصدر». وكذا قوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾ على أنها قالتا: ﴿لَا سَقِي﴾ دون: لا نَقْدِرُ على السقي. ومعنى ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: آنا مع حيائنا إنما تصدِّينا لهذا الأمر؛ لِكِبَرِهِ وضعفه، وإلا كانَ عليه أن يتولاه.

قوله: (أبلنا إليه عُذْرُهُما)، الأساس: أبلَيْتُهُ عُذْرًا؛ إذا بَيَّنْتَهُ لَهُ بَيَانًا لا لَوْمَ عليكَ بَعْدَهُ. وحقيقته: جَعَلْتُهُ بِالْيَا بَعْدْرِي؛ أي: خابراً له عالمًا بكنهه.

قوله: (ترأى في بطنه)، الأساس: ترأى الجمعان، وترأَتْ لنا فلانة: تصدَّتْ لنا لِنَرَاهَا، وعلى وجهِ رُوءِ الحُمقِ<sup>(٢)</sup>؛ وهو ما يُرى عليه من آياته البيِّنة التي لا تخفى على الناظرِ كأنها تتكلَّمُ به وتنادي عليه.

(١) من قوله: «قلت: مقصود نبي الله» إلى هنا، سقط من (ط).

(٢) في (ط): «الحق».

من الهُزال، ما سأل الله إلا أكلةً. ويُحتملُ أن يريد: إني فقيرٌ من الدنيا لأجل ما أنزلت إليّ من خير الدين؛ وهو النجاة من الظالمين؛ لأنه كان عند فرعون في مُلكٍ وثروة: قال ذلك رضا بالبدلِ السنيّ، وفرحًا به، وشكرًا له، وكان الظلُّ ظلَّ سمرّة. ﴿عَلَى أَسْتَحْيَا﴾: في موضع الحال، أي: مُستحييةٌ مُتخفّرةٌ. وقيل: قد استترت بِكُمْ دِرْعِهَا. رُوِيَ أَنَّهُمَا لَمَّا رَجَعَتَا إِلَى أَبِيهِمَا قَبْلَ النَّاسِ، وَأَغْنَاهُمَا حُفْلُ بَطَانٍ، قَالَ لَهَا: مَا أَعْجَلَكُمَا؟ قَالَتَا: وَجَدْنَا رَجُلًا صَالِحًا رَحِمَنَا فَسَقَى لَنَا، فَقَالَ لِأَحَدَاهُمَا: اذْهَبِي فَادْعِيهِ لِي، فَتَبِعَهَا مُوسَى فَالزقتِ الرِّيحُ ثوبَهَا بِجَسَدِهَا فوصفته، فقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فلما قصص عليه قصته قال له: لا تخف فلا سلطانَ لفرعونَ بأرضنا. فإن قلت: كيف ساعَ لموسى أن يعملَ بقولِ امرأة، وأن يمشيَ معها وهي أجنبيّة؟ قلتُ: أمّا العملُ بقولِ امرأة؛ فكما يُعملُ بقولِ الواحدِ حرًّا كانَ أو عبدًا، ذكرًا كانَ أو

قوله: (إني فقيرٌ من الدنيا لأجل ما أنزلت إليّ)، «ما» - على هذا - موصولةٌ، و«من» بيان، والتنكيرُ في «خير» للنوع والتعظيم؛ ولذلك أضافه إلى الدين. وعلى الأوّل «ما» موصوفة، والتنكيرُ للشيوع؛ ومن ثمّ قدّرَ أولًا لأيّ شيء، وثانيًا قليل أو كثير، غث أو سمين. وأمّا فائدة الماضي في «ما أنزلت» على التأويلِ الثاني؛ فظاهر، وأمّا على الأوّل؛ فللاستعطف، أي: ربّ إني سائلُ الآن ما كنتُ أعهدُه في الأيامِ الماضيةِ ممّا أسدُّ به جوعتي من قليل أو كثير، غث أو سمين؛ لأنني محتاجٌ إليه؛ لأن معنى التضمين أن يُقال: أنا سائلُ الطعامِ في حالِ كوني محتاجًا إليه. ويؤيّدُ هذا التأويلَ قوله: «ما سألَ الله إلا أكلة»، وقولُ ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنها: سألَ نبيُّ الله فلقَ خُبزٍ يُقيمُ به صُلبه.

قوله: (مُتخفّرة)، الجوهرى: الخفّر - بالتحريك - : شدّةُ الحياء، تقولُ منه: خفّر - بالكسر - ، وجاريةٌ خفّرةٌ ومُتخفّرةٌ.

قوله: (حُفْل)، جمعُ حافلٍ. الجوهرى: ضُرْعُ حافلٍ؛ أي: مُمتلئٌ لبنًا.

قوله: (فوصفته)، الأساس: ومن المجاز: وجْهها يصفُ الحُسن، ومعناه ما سبقَ أنفأ، وهو ما يُرى عليه من آيته البينة التي لا تخفى على الناظر، إلى آخره.

أنثى في الأخبار، وما كانت إلا مُحْبِرَةً عن أبيها بأنه يدعوه لِيَجْزِيَهُ. وأمّا مُمَاشِئَهُ امرأَةً أجنبية؛ فلا بأس بها في نظائِرِ تلك الحال، مع ذلك الاحتياطِ والتَوَرُّعِ. فإن قلت: كيف صح له أخذ الأجر على البرِّ والمعروف؟ قلت: يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البرِّ والمعروف. وقيل: إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر، ولكن على سبيل التَّقْبُلِ لمعروفٍ مُبْتَدَأً. كيف وقد قصَّ عليه قَصَصَهُ وعَرَفَهُ أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب؟ ومثله حَقِيقٌ بأن يُضَيَّفَ ويُكْرَمَ؛ خصوصاً في دارِ نبيٍّ من أنبياء الله، وليس بمُنْكَرٍ أن يفعل ذلك لاضطرارِ الفقْرِ والفاقة طلباً للأجر. وقد روي ما يعضدُ كِلَا القولين: روي أنها لما قالت: ﴿لِيَجْزِيَكَ﴾، كره ذلك، ولما قدم إليه الطَّعامَ امتنع، وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً، ولا نأخذ على المعروف ثمناً، حتى قال شعيب: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا. وعن عطاء بن السائب: رفع صوته بدعائه لِيُسْمِعَهُمَا، فلذلك قيل له: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ﴾، أي: جزاء سَقِيكَ. والقَصَصُ: مصدرٌ كالعَلَلِ، سُمِّيَ به المَقْصُوصُ. كُبراهُما: كانت تُسَمَّى صفراء، والصُّغرى: صُفَيْرَاء. وصفراء: هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره، وهي التي تزوجها.

قوله: (بطلاع الأرض)، أي: ملئها. الأساس: وملأت له القَدَحَ حتى كادَ يطلعُ من نواحيه، ومنه: قدحُ طِلاع: ملآن. وعن الحسن: لأن أعلم أني بريء من النفاق أحبُّ إليَّ من طِلاعِ الأرضِ ذهباً.

قوله: (وعن عطاء بن السائب: رفع صوته بدعائه)، وهو قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ هذا يعضدُ القول الثاني، وهو قوله: «وليس بمُنْكَرٍ أن يفعل ذلك لاضطرارِ الفقْرِ».

قوله: (والقَصَصُ مصدر)، يُقال: قَصَّ يَقْصُ قَصًّا وقَصَصًا، سُمِّيَ به المقصوص؛ كالعَلَلِ وهو الشُّرْبُ الثاني، سُمِّيَ لما يُعَلُّ به.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن شعيباً أحفظته الغيرة فقال: وما علمك بقوته وأمانته؟ فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو، وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته، وأمرها بالمسئ خلفه. وقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسَتْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾: كلام حكيم جامع لا يزداد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان؛ أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك. وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقُه سياق المثل والحكمة أن تقول: استأجره لقوته وأمانته. فإن قلت: كيف جعل ﴿خَيْرَ مَنْ آسَتْجَرْتَ﴾ اسماً لـ ﴿إِنَّ﴾ و﴿الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ خبراً؟ قلت: هو مثل قوله: .....

قوله: (أحفظته الغيرة)، الجوهري: الحفيظة: الغضب، وكذلك الحفيظة بالكسر.

قوله: (وقد استغنت بإرسال هذا الكلام)، إشارة إلى أن هذا الكلام مع كونه من الجوامع هو أيضاً دليل على إثبات هذا المدعى؛ لأن الحكم أن من فيه هاتان الخصلتان فهو صالح للاستتجار، وقد شوهد فيه ذلك؛ فوجب أن يختار لذلك، فذكر الدليل العام وترك الخاص لاستغناؤه عنه؛ لأن الكلام سياق له.

قوله: (سياقه سياق المثل)، أي أن قوله: ﴿خَيْرَ مَنْ آسَتْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ لعمومه صار مثلاً.

قوله: (كيف جعل ﴿خَيْرَ مَنْ آسَتْجَرْتَ﴾ اسماً؟)، وخلاصته أن المعرف باللام أو غل في التعريف من المضاف. وقيل: إن المضمرة أعرف المعارف؛ لأن الشيء لا يضمن إلا وقد عرف، فهو بمنزلة وضع اليد؛ فلذا لا يوصف كسائر المعارف، ثم العلم؛ لأنه موضوع على شيء بعينه، ثم المبهمة؛ لأنه يُعرف بالعين والقلب نحو: هذا؛ للحاضر، ثم المحلى باللام؛ لأنه يُعرف بالقلب لا غير، ثم المضاف؛ لأن تعرفه من غيره<sup>(١)</sup>. ويمكن أن يقال: إن ﴿مَنْ آسَتْجَرْتَ﴾ موصولة، وهو أعرف من المعرف باللام، ولما أضيف إليه «أفعل» امتزجا. وقال هذا القائل: إن المضاف إليه كما نزل منزلة التنوين من المضاف صار بمنزلة شيء واحد، فلما

(١) لتبام الفائدة انظر: «شرح شذور الذهب» لابن هشام الأنصاري ص ١٣٤ فما بعدها.

## أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا      أَسِيرٌ تَقِيْفٌ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ

امتزجا معنى كَانَ معنى الامتزاج المعنوي على قدر امتزاج المعنى، والألفاظ قوالب المعاني؛ فَيُعْتَبَرُ أَمْرُ الْمُضَافِ لِمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ.

وقلت: هذا إذا لم يُنظَرْ إلى المقام، وأجرى التعريف في ﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ على الجنس، وأما إذا جُعِلَ مرادًا به موسى عليه السلام و﴿مَنْ أَسْتَجَرْتُ﴾ على عموميه، لأن ﴿مَنْ﴾ موصولة أو موصوفة؛ كأنه قيل: إن خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَهُ موسى، لم يَصِحَّ ما قاله. ويؤيدُ الثاني استشهادهُ بالبيت؛ فإنَّ التعريفَ في «الناس» للجنس قطعًا، والمرادُ بالأسيرِ في «أسيرِ ثقيف» خالد بن عبد الله؛ فصَحَّ ما ذهب إليه المصنِّفُ من أنَّ ﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ هو الاسمُ وأنَّ الاهتمامَ هو سَبَبُ تقديم الخَيْرِ وجعلِهِ اسمًا، أو هو من بابِ القلبِ للمبالغة. ولَمَّا كَانَ مُقْتَضَى الْحَالِ - أي شيخوختهُ وحيَاؤُهُمَا - هو الذي أَوْجَبَ قِيَامًا يَهْتَمُّ بِهَا مُسْتَأْجِرًا يَسْتَأْجِرُونَهُ لها؛ كَانَ ذَلِكَ مَطْلُوبًا لِدَاتِهِ، وَكَانَتِ الْقُوَّةُ وَالْأَمَانَةُ تَابِعَتَيْنِ<sup>(١)</sup> لَهُ تُعْرَفُ بِالذُّوقِ. أَوْ يُقَالُ: إِنَّ الْفَاصِلَةَ هِيَ الَّتِي اسْتَدَعَتْ تَأْخِيرَ ﴿الْأَمِينِ﴾، و﴿الْأَمِينِ﴾ اسْتَدَعَى مَقَارَنَةَ الْقَوِيِّ مَعَهُ.

الانتصاف: هذا أَجْمَلُ في مدح النساءِ للرجالِ مِنَ المدحِ الخاصِّ وخصوصًا [إن كانت]<sup>(٢)</sup> فهمتُ أَنَّ أباهَا يَزُوجُهَا مِنْهُ. وما أَحْسَنَ ما أَخَذَ الْفَارُوقُ مِنْ هَذَا المعنى فقال: أشكو إلى الله ضَعْفَ الْأَمِينِ وَخِيَانَةَ الْقَوِيِّ، ففي ضَمَنِ هَذِهِ الشُّكَايَةِ سَوَأُ اللهُ أَنْ يُتَّحِفَهُ بِقَوِيِّ أَمِينٍ يَسْتَعِينُ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا<sup>(٤)</sup>) البيت، قاله أبو الشَّغْبِ<sup>(٥)</sup> في خالدِ بنِ عبدِ الله القسريِّ وهو أسيرٌ في يدِ يوسفَ بنِ عمر، بالغَ في العمومِ وهو مِنَ الإغراقِ المذمومِ. قال أبو البقاء: «حَيًّا وَمَيِّتًا» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ «خَيْرٍ» وَمِنْ الضَّمِيرِ فِيهِ، وَالْعَامِلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ

(١) في النسخ الخطية: «تابعتان» بالرفع، وهو خطأ.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من الانتصاف يقتضيها السياق.

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٠٣).

(٤) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «وهالكًا».

(٥) العَبْسِيُّ كما في «شاهد الإنصاف» (٣: ٤٠٣).

في أنّ العناية هي سبب التّقديم، وقد صدّقت حتّى جعل لها ما هو أحقّ بأن يكون خبراً اسماً، وورود الفعل بلفظ الماضي؛ للدلالة على أنّه أمر قد جُرب وعُرف. ومنه قولهم: أهون ما أعملت لساناً مُمخّج. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس ثلاثة: بنت شُعيب، وصاحب يوسف، في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ [يوسف: ٢١]، وأبو بكر في عمّار. روي أنّه أنكحه صفراء. وقوله: ﴿هَلْتَيْنِ﴾ فيه دليل على أنّه كانت له غيرهما. ﴿تَأْجُرْنِي﴾: من أجرته إذا كنت له أجيراً، كقولك: أبوته إذا كنت له أباً، و﴿ثَمَنِي حَبِيبٍ﴾ ظرفه.....

«خير»: أي: يُفضّل الناس في حياته وموته. وأن يكون تمييزاً؛ أي أن أحياء وموتاه أفضل الأحياء والأموات، كقولك: زيد أقره الناس عبيداً؛ أي: عبيده أقره العبيد<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقد صدّقت)، أي العناية التي أوجبت تغيير الكلام.

قوله: (أهون ما أعملت لساناً مُمخّج)، الأساس: ومن المجاز: أمر مُمخّج؛ فيه فضل وخير، ولهذا لساناً مُمخّج؛ حسن الشفاعة، وله لساناً مُمخّج؛ ذلّق قوياً على الكلام، والاستشهاد بأن «أعملت» جاء بلفظ الماضي. وفي «مجمع الأمثال»: أهون مرزئة لساناً مُمخّج، قال الميداني: أمخّ العظم إذا صار فيه المخ، والمعنى: أهون معونة على الإنسان أن يُعين بلسانه دون المال؛ أي كلام حسن<sup>(٢)</sup>. وقال المصنّف في «المستقصى»: مثله قوله:

وَأَيْسَرُ مَا يُحِبُّ بِهِ الْمَرْءُ حِلَّهُ  
مِنَ الْعَاهِنِ الْمَوْجُودِ أَنْ يَتَكَلَّمَ<sup>(٣)</sup>

يُقال: أعطاه من عاهن ماله وأهنه؛ أي: تالده.

قوله: (٤) (وأبو بكر في عمر رضي الله عنهما)، يعني: حين استخلفه.

(١) لم أجده في «التيان لأبي البقاء العكبري».

(٢) «مجمع الأمثال» (٢: ٤٠٦).

(٣) «المستقصى» (١: ٤٤٤) من غير عزو لأحد.

(٤) من قوله: «قوله: وأيسر ما يحب به المرء خله» إلى هنا سقط من (ف).



أَوْ مِنْ: أَجْرْتُهُ كَذَا؛ إِذَا أَثْبَتَهُ إِسَاءَهُ. وَمِنْهُ: تَعْزِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (أَجْرَكُمْ اللَّهُ وَرَحِمَكُمْ).  
 ﴿ثُمَّ نَفَى حَجَّجٍ﴾: مَفْعُولٌ بِهِ، وَمَعْنَاهُ: رِعْيَةٌ ثَمَانِي حَجَّجٍ، فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ صَحَّ أَنْ  
 يُنَكِّحَهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ؟ قُلْتُ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَقْدًا لِلنِّكَاحِ، وَلَكِنْ مُوَاعِدَةً  
 وَمَوَاصِفَةً أَمْرٍ قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ عَقْدًا لَقَالَ: قَدْ أَنْكَحْتُكَ وَلَمْ يَقُلْ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ  
 أَنْكِحَكَ﴾. فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ صَحَّ أَنْ يُمَهَّرَهَا إِجَارَةً نَفْسِهِ فِي رِعْيَةِ الْغَنَمِ، وَلَا بُدَّ مِنْ  
 تَسْلِيمِ مَا هُوَ مَالٌ؟ أَلَا تَرَى إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ كَيْفَ مَنَعَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً بِأَنْ يُخْدِمَهَا سَنَةً،  
 وَجَوَّزَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِأَنْ يُخْدِمَهَا عَبْدَهُ سَنَةً، أَوْ يُسْكِنَهَا دَارَهُ سَنَةً، لِأَنَّهُ فِي الْأَوَّلِ: مُسَلَّمٌ  
 نَفْسُهُ وَلَيْسَ بِمَالٍ، وَفِي الثَّانِي: هُوَ مُسَلَّمٌ مَالًا وَهُوَ الْعَبْدُ أَوِ الدَّارُ، قُلْتُ: الْأَمْرُ عَلَى  
 مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى مَا ذَكَرْتُ. وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ: فَقَدْ جَوَّزَ التَّزَوُّجَ عَلَى الْإِجَارَةِ لِبَعْضِ  
 الْأَعْمَالِ وَالْخِدْمَةِ، إِذَا كَانَ الْمُسْتَأْجِرُ لَهُ أَوْ الْمَخْدُومُ فِيهِ أَمْرًا مَعْلُومًا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ  
 جَائِزًا فِي تِلْكَ الشَّرِيعَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَهْرُ شَيْئًا آخَرَ، .....

قوله: (أَوْ مِنْ: أَجْرْتُهُ كَذَا؛ إِذَا أَثْبَتَهُ<sup>(١)</sup> إِسَاءَهُ)، الْأَسَاسُ: يَجْعَلُهَا أَجْرًا عَلَى التَّزْوِيجِ؛  
 يَرِيدُ الْمَهْرَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَوْهُنَّ بِأُجُورِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٥]، كَأَنَّهُ قَالَ: عَلَى أَنْ تُمَهِّرَنِي  
 عَمَلٌ هَذِهِ الْمُدَّةَ. وَأَصْلُهُ: أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى مَا فَعَلْتِ، وَأَنْتَ مَا جُورِ.

قوله: (ومواصفة أمر)، «الأساس»: وَأَصَفْتُهُ الشَّيْءَ مُوَاصِفَةً<sup>(٢)</sup>، وَنَهَيْتُ عَنْ بَيْعِ الْمُوَاصِفَةِ  
 وَهُوَ أَنْ يَبِيعَ الشَّيْءَ بِصِفَتِهِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ يَبْتَاغَهُ وَيُدْفَعَهُ.

قوله: (أَنْ يُمَهَّرَهَا)، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: «يَمَهَّرُهَا» بِفَتْحِ الْيَاءِ. يُقَالُ: أَمَهَّرَ الْمَرْأَةَ:  
 سَمَّى لَهَا مَهْرًا، وَمَهَّرَهَا: أَعْطَاهَا مَهْرَهَا. وَخُطِّعَ الْحَرِيرِيُّ فِي قَوْلِهِ: وَمَاهَرًا لَهَا كَمَا مَهَرَ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّ سَلْمَةَ<sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّ حَالَةَ الْخِطْبَةِ حَالَةُ التَّسْمِيَةِ، لِأَنَّ حَالَةَ إِعْطَاءِ الْمَهْرِ.

(١) فِي النُّسخَةِ «ف»: «أَثْبَتَهُ».

(٢) فِي النُّسخَةِ «ح»: «وَأَضَعْتُهُ الشَّيْءَ مُوَاصِفَةً».

(٣) انظُر: «مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ» ص ٦٧.

وإنما أراد أن يكون راعي غنمه هذه المدة، وأراد أن يُنكِحَ ابنته، فذكر له المرادين، وعلّق الإنكاح بالرعية على معنى: أتّي أفعلُ هذا إذا فعلتُ على وجهِ المعاهدة لا على وجهِ المعاقدة. ويجوزُ أن يستأجره لرعية ثمانين سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه، ثم يُنكِحُه ابنته به، ويجعلُ قوله: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ﴾ عبارةً عما جرى بينهما. ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ﴾ عَمَلِ عَشْرِ حِجَجٍ ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ فإتمامه من عندك. والمعنى: فهو من عندك لا من عندي، يعني: لا أُلزِمُكَه ولا أحتِمُه عليك، ولكنك إن فعلته فهو منك تفضُّلٌ وتبرُّع، وإلا فلا عليك ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ﴾ بالزمام أتمُّ الأجلين وإيجابه. فإن قلت: ما حقيقة قولهم: شققتُ عليه، وشقَّ عليه الأمر؟ قلت: حقيقة أن الأمر إذا تعاطمك فكأنه شقَّ عليك ظنك بائنين، تقولُ تارةً: أطيَّقه، وتارةً: لا أطيَّقه. أو وعدَه المُساهلةَ والمُسامحةَ من نفسه، وآته لا يسقُّ عليه فيما استأجره له من رعي غنمه، ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المُسترعين، من المناقشة في مُراعاة الأوقات، والمُداقة في استيفاء الأعمال، وتكليف الرعاة أشغالاً خارجةً من حدِّ الشرط، وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسْمَحِ في معاملات الناس. ومنه الحديث: «كان رسولُ الله ﷺ شريكِي، فكان خيرَ شريكٍ لا يُدارِي ولا يُشارِي

قوله: (وإنما أراد أن يكون راعي غنمه)، غاية ما يقال: إن هذا عقدٌ فيه خطر؛ حيثُ علّق به عقدُ النكاح، وهذا لا يقدحُ في بابِ النكاح؛ لأن النكاح لا يفسدُ بالشرطِ الفاسدِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (فكأنه شقَّ عليك ظنك بائنين)، يريد أن أصلَ المَشَقَّةِ مِنَ الشَّقِّ كما قال في الأنفال: والمُشاقَّةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشَّقِّ؛ لأن كلاً مِنَ الْمُتَعَادِينَ فِي شَقِّ خِلَافٍ شَقُّ صَاحِبِهِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (أو وعدَه المُساهلةَ)، عطفٌ على قوله: «وما أريدُ أن أَمْسُقَ عَلَيْكَ بِالزَّمَامِ أتمُّ الأجلين».

قوله: (كان رسولُ الله ﷺ شريكِي) الحديث رواه أبو داودَ عن السائبِ بنِ أبي السائبِ

(١) لتمام الفائدة انظر: «الوسيط في المذهب» للإمام الغزالي (٣: ٧٧).

(٢) انظر: «الكشاف» (٧: ٤٧).

ولا يُباري» وقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يدلُّ على ذلك، يريدُ بالصَّلاح: حسنَ المُعاملةِ ووَطَاءَةَ الخُلُقِ، ولينَ الجَانِبِ. ويجوزُ أن يريدَ الصَّلاحَ على العموم. ويدخلُ تحته حسنُ المُعاملة، والمرادُ باشتراطِ مشيئةِ الله فيما وَعَدَ من الصَّلاح: الاتكالُ على توفيقه فيه ومَعُونَتِهِ، لا أَنَّهُ يستعملُ الصَّلاحَ إِنْ شَاءَ اللهُ، وإن شاء استعملَ خِلافَهُ. ﴿ذَلِكَ﴾ مُبتدأ، و﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ خبرُهُ، وهو إشارةٌ إلى ما عاهدَهُ عليه شُعَيْب، يريدُ؛ ذلك الذي قَلَّتْه وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائمٌ بيننا جميعاً، لا نَخْرُجُ كِلَانَا عنه، لا أنا عَمَّا شرطت عليَّ ولا أنت عَمَّا شرطت على نَفْسِكَ. ثم قال: أَيَّ أَجَلٍ قَضَيْتُ مِنَ الأَجَلَيْنِ: أطولهما الذي هو العَشر، أو أقصرهما الذي هو

قال: أتيتُ النبي ﷺ فجعلوا يُثْنُونَ عليَّ ويذكرونني؛ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أنا أعلمُكم به» فقلت: صدقتُ بأبي وأمي؛ كنتُ شريكِي فنعِمَ الشريك؛ كنتُ لا تُداري ولا تُماري<sup>(١)</sup>. وفي روايةِ رزين: «لا تُشاري»<sup>(٢)</sup> بدلُ «لا تُداري». قال في «الفائق»: المُماراة: المُجادلة، من: مَرِيَ الناقة؛ لأنه يستخرجُ ما عندهُ مِنَ الحُجَّة. والمُداراة: المُخاتلة، من: داراه؛ إذا ختَلَه. ويكونُ تحقيقُ المُداراةِ وهي مدافعةُ ذي الحَقِّ عن حَقِّه. والمُشاراة: المُلاجة.

قوله: (لا أَنَّهُ يستعملُ الصَّلاح)، أي ليسَ معنى «إِنْ شَاءَ اللهُ» التعليقُ كما هو على ظاهرِهِ؛ إنما هو التبرُّكُ واستئزَالُ التوفيق. ونحوهُ قولُ أصحابِ الشافعي: أنا مؤمنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.

قوله: (قائمٌ بيننا)، خبرٌ لقوله: «ذَلِكَ الذي قَلَّتْه»، أي: مُراعَى بَيْننا نتعاهدُهُ أنا وأنت؛ فيكونُ كالقائم، وهو على منوالِ قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: ٥٥، الأنفال: ٣، النمل: ٣، لقمان: ٤] إذا أريدَ بالإقامةِ التجلُّد؛ مِنْ قولِهِم: قامَ بالأمر، وقامتِ الحربُ على ساقِها.

قوله: (لا يَخْرُجُ كِلَانَا)، ويجوزُ: «لا نَخْرُجُ» بالنونِ على تأكيدِ «كِلَانَا» للضمير؛ كقوله: «ويعلمُ سنلقاهُ كِلَانَا» بالنونِ والياء.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٨) وابن ماجه (٢٢٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦: ٧٨) وانظر تمام

تخرجه في «مسند الإمام أحمد» (١٥٥٤١).

(٢) في (ج) و(ف): «تساري» بالسين المهملة.

الثَّانِ ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ أي: لا يُعْتَدَى عَلَيَّ في طلبِ الزِّيَادَةِ عليه. فإن قلت: تصوّرُ العُدْوَانَ إِنَّمَا هو في أَحَدِ الأَجَلَيْنِ الذي هو الأَقْصَرُ؛ وهو المُطَالِبَةُ بِتَمَمَةِ العَشْرِ، فما معنى تعليقِ العُدْوَانِ بهما جميعًا؟ قلتُ: معناه كما أَنِّي إن طُولِبْتُ بِالزِّيَادَةِ على العَشْرِ كان عُدْوَانًا لا شَكَّ فيه، فكذلك؛ إن طُولِبْتُ بِالزِّيَادَةِ على الثَّانِ. أرادَ بذلك تَقْرِيرَ أمرِ الخِيَارِ، وَأَنَّهُ ثَابِتٌ مُسْتَقَرٌّ، وَأَنَّ الأَجَلَيْنِ على السَّوَاءِ: إمَّا هذا وإمَّا هذا من غيرِ تَفَاوُتٍ بَيْنَهُمَا في القَضَاءِ، وَأَمَّا التَّمَمَةُ فمَوْكُولَةٌ إلى رَأْيِي: إن شئتُ أَتَيْتُ بها، وإلَّا لم أُجْبِرْ عليها. وقيل: معناه فلا أَكُونُ مُعْتَدِيًا، وهو في نَفْيِ العُدْوَانِ عن نَفْسِهِ، كقولك: لا إِثْمَ عَلَيَّ، ولا تَبِعَةَ عَلَيَّ. وفي قِراءَةِ ابنِ مَسْعُودٍ: (أَيُّ الأَجَلَيْنِ ما قَضَيْتُ). وقرئَ: (أَيُّمَا) بِسُكُونِ الياءِ، كقولِهِ:

قوله: (وَقُرِئَ «أَيُّمَا» بِسُكُونِ الياءِ)، قَالَ ابنُ جِنِّي: «هي قِراءَةُ الحَسَنِ، وفي تَخْفِيفِ هَذِهِ الياءِ طَرِيقَانِ:

أحدهما: تَضْعِيفُ الحَرْفِ، وقد اَمْتَدَّ عَنْهُمْ حَذْفُ أَحَدِ المَثَلَيْنِ؛ نحو: أَحَسْتُ وَأَمْسْتُ. والآخرُ: أَنَّ الياءَ حَرْفٌ ثَقِيلٌ مُنْفَرِدَةٌ؛ فكيفَ بها إِذَا ضَعُفَ<sup>(١)</sup>؟ واعلَمْ أَنَّ «أَيًّا» عِنْدَنَا بِمِثْلِ عَيْنِهِ وَأَوْ وَلائِمُهُ ياءٌ؛ فهوَ مِنْ بابِ «أَوَيْتَ» قِياسًا واشْتِقاقًا. أما القِياسُ؛ فإنَّ الأَصْلَ «أوي» فَاجْتَمَعَ الواوُ والياءُ، وَسَبِقَتِ الواوُ بِالسُّكُونِ فَقَلِبَتِ ياءٌ وَأُدْغِمَت. وأما الاِشْتِقاقُ؛ فإنها أَيْنَ وَقَعَتْ هِيَ بَعْضُ مَنْ كُلِّ، كقولنا: أَيُّ النَّاسِ عِنْدَكَ؟ وَبَعْضُ الشَّيْءِ أَوْ إلى جَمِيعِهِ؛ فَأَصْلُهَا على هَذَا «أوي» ثُمَّ أُدْغِمَت كما مَضَى. فإذا حُذِفَتِ الياءُ تَخْفِيفًا؛ فإنها الثَّانِيَةُ، فإذا زَالَتِ الثَّانِيَةُ؛ أَوْجَبَ القِياسُ أَنْ تَعوَدَ الأَوَّلَى إلى أَصْلِهَا وهو الواوُ؛ فيقال: أَوْما الأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ. والذي يَحْسُنُ<sup>(٢)</sup> عِنْدِي إِظْهَارُ العَيْنِ ياءً، وَإِنما حُذِفَتِ اللامُ تَخْفِيفًا<sup>(٣)</sup> وهي مَنوِيَّةٌ مُرادَةٌ؛ فَقَلِبَتِ العَيْنُ ياءً لِيَدُلَّ على إِرادَةِ الياءِ التي هي اللامُ، كما صَحَّتِ الواوُ الثَّانِيَةُ في

(١) في «المحتسب»: «ضُعِفَتْ»، وهو الجادة.

(٢) في «المحتسب»: «حَسَنٌ... إِظْهَارٌ».

(٣) من قوله: «فإنها الثانية فإذا زالت الثانية» إلى هنا سقط من (ط).

تَنْظَرْتُ نَصْرًا وَالسَّامِكِينَ أَيُّهَا عَلِيٌّ مِنَ الْغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهُ

وعن ابنِ قُطَيْبٍ: (عدوان)، بالكسر. فإن قلت: ما الفرق بين موقعي (ما) المَزِيدَةِ في الْفِرَاءَتَيْنِ؟ قلتُ: وقعتُ في المُسْتَفِيضَةِ مُؤَكَّدَةً لِإِهَامٍ، أَي: زائدة في شباعها، وفي الشَّاذَّةِ تَأْكِيدًا لِلْقَضَاءِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَيُّ الْأَجْلِينَ صَمَّمْتُ عَلَى قَضَائِهِ وَجَرَّدْتُ عَزِيمَتِي لَهُ. الْوَكِيلُ: الَّذِي وَكَّلَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ، وَلَمَّا اسْتَعْمَلَ فِي مَوْضِعِ الشَّاهِدِ وَالْمُهَيِّمِينَ وَالْمُقَيِّتِ، عُدِّيَ بَعْلَى لِدَلَالَتِهِ. رُوِيَ أَنَّ شُعَيْبًا كَانَتْ عِنْدَهُ عَصَا الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِمُوسَى بِاللَّيْلِ: ادْخُلْ ذَلِكَ الْبَيْتَ فَخُذْ عَصًا مِنْ تِلْكَ الْعَصِيِّ. فَأَخَذَ عَصًا هَبَطَ بِهَا آدَمٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَزَلِ الْأَنْبِيَاءُ يَتَوَارَثُونَهَا حَتَّى وَقَعَتْ إِلَى شُعَيْبٍ، فَمَسَّهَا وَكَانَ مَكْفُوفًا، فَضَنَّ بِهَا فَقَالَ:

قَوْلِهِ: «وَكَحَلَّ الْعَيْنَيْنِ بِالْعَوَاوِرِ» دَلَالَةٌ عَلَى الْبِئَاءِ فِي «الْعَوَاوِرِ»، وَإِنَّا حُذِفَتْ اسْتِحْسَانًا وَتَخْفِيفًا لَا وَجُوبًا. وَأَنْشَدَنَا أَبُو عَلِيٍّ لِلْفَرَزْدَقِ:

تَنْظَرْتُ نَصْرًا وَالسَّامِكِينَ

الْبَيْتِ». تَمَّ كَلَامُ ابْنِ جِنِّي (١).

العَوَار: الْجَبَانُ، وَالْجَمْعُ: الْعَوَاوِرُ، وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْوِضْ فِي الشَّعْرِ، وَقُلْتَ: الْعَوَاوِرُ. تَنْظَرْتُ: أَيِ انْتَهَرْتُ. وَالسَّامِكَانُ: نَجْمَانُ الْأَعْزَلِ: وَهُوَ الَّذِي لَا شَيْءَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالرَّامِحُ: هُوَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَوَاكِبُ. وَهَلَّ السَّحَابُ وَاسْتَهَلَّ: إِذَا انْصَبَّ شَدِيدًا، وَ«نَصْرًا» اسْمُ الْمَدْرُوحِ، وَأَيُّهَا أَصْلُهُ: أَيُّهَا؛ فَسَكَنَ الْبِئَاءَ لِلضَّرُورَةِ، وَ«مِنْ» - فِي «مِنَ الْغَيْثِ» - لِلْبَيَانِ، وَالْمَوَاطِرُ: جَمْعُ مَاطِرَةٍ؛ أَي: سَحَابَةٌ مَاطِرَةٌ. الْمَعْنَى: انْتَهَرْتُ نَصْرًا وَتَوَّءَ السَّامِكِينَ، أَيُّهَا اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهُ عَلِيٌّ مِنَ الْغَيْثِ؛ لِأَنِّي لَمْ أَفَرِّقْ بَيْنَ النَّصْرِ وَبَيْنَ السَّامِكِينَ فِي الْجُودِ.

قَوْلُهُ: (وَفِي الشَّاذَّةِ)، أَيِ قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ لِأَنَّ «مَا» عَلَى الْمَشْهُورَةِ: تَأْكِيدٌ لِلْمَفْعُولِ، وَفِيهِ إِهَامٌ؛ فزَادَ فِي إِهَامِهِ. وَفِي الشَّاذَّةِ: تَأْكِيدٌ لِلْفِعْلِ فزَادَ فِي تَأْكِيدِ إِسْنَادِهِ (٢).

(١) «المحتسب» (٢: ١٥-١٥٢)، ولتمام الفائدة انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١: ٧).

(٢) انظر: «مختصر شواذ القرآن» ص ١١٢، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٣: ٢٧٩).

غَيْرَهَا، فَمَا وَقَعَ فِي يَدِهِ إِلَّا هِيَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ شَأْنًا. وَقِيلَ: أَخَذَهَا جَبْرِيلُ بَعْدَ مَوْتِ آدَمَ، فَكَانَتْ مَعَهُ حَتَّى لَقِيَ بِهَا مُوسَى لَيْلًا. وَقِيلَ: أَوْدَعَهَا شُعَيْبًا مَلَكًا فِي صُورَةِ رَجُلٍ، فَأَمَرَ بِنْتَهُ أَنْ تَأْتِيَهُ بَعْضًا، فَأَتَتْهُ بِهَا فَرَدَّهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ تَقْعُ فِي يَدِهَا غَيْرُهَا، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمَ لِأَنَّهَا وَدِيعَةٌ، فَتَبِعَهُ فَاخْتَصَمَا فِيهَا، وَرَضِيَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا أَوَّلُ طَالِعٍ، فَأَتَاهُمَا الْمَلَكُ فَقَالَ: أَلْقِيَاهَا؛ فَمَنْ رَفَعَهَا فَهِيَ لَهُ، فَعَالَجَهَا الشَّيْخُ فَلَمْ يُطْفِئْهَا، وَرَفَعَهَا مُوسَى.

وَعَنِ الْحَسَنِ: مَا كَانَتْ إِلَّا عَصًا مِنَ الشَّجَرِ اعْتَرَضَهَا اعْتِرَاضًا. وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: الشَّجَرَةُ الَّتِي مِنْهَا نُودِيَ شَجَرَةُ الْعَوْسَجِ، وَمِنْهَا كَانَتْ عِصَاهُ. وَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ شُعَيْبٌ: إِذَا بَلَغْتَ مَفْرَقَ الطَّرِيقِ فَلَا تَأْخُذْ عَلَى يَمِينِكَ، فَإِنَّ الْكَلَاءَ وَإِنْ كَانَ بِهَا أَكْثَرُ، إِلَّا أَنْ فِيهَا تَنْيِينًا أَخْشَاهُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْغَنَمِ، فَأَخَذْتَ الْغَنَمَ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى كَفِّهَا، فَمَشَى عَلَى أَثَرِهَا فَإِذَا عَشَبٌ وَرَيْفٌ لَمْ يَرِ مِثْلَهُ، فَنَامَ فَإِذَا بِالتَّنِينِ قَدْ أَقْبَلَ، فَحَارَبَتْهُ الْعِصَا حَتَّى قَتَلْتَهُ وَعَادَتْ إِلَى جَنْبِ مُوسَى دَامِيَةً، فَلَمَّا أَبْصَرَهَا دَامِيَةً وَالتَّنِينُ مَقْتُولًا ارْتَاخَ لِذَلِكَ، وَلَمَّا رَجَعَ إِلَى شُعَيْبٍ مَسَّ الْغَنَمِ، فَوَجَدَهَا مَلَأَى الْبُطُونِ غَزِيرَةَ اللَّبَنِ، فَأَخْبَرَهُ مُوسَى فَفَرِحَ، وَعَلِمَ أَنَّ لِمُوسَى وَالْعِصَا شَأْنًا، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي وَهَبْتُ لَكَ مِنْ نَتَاجِ غَنَمِي هَذَا الْعَامَ كُلَّ أَدْرَعٍ وَدَرْعَاءَ، فَأَوْحِيَ إِلَيْهِ فِي الْمَنَامِ: أَنْ أَضْرِبَ بَعْصَاكَ مُسْتَقَى الْغَنَمِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ سَقَى فَمَا أَخْطَأَتْ وَاحِدَةً إِلَّا وَضَعَتْ أَدْرَعًا وَدَرْعَاءَ، فَوَفَى لَهُ بِشَرْطِهِ.

قَوْلُهُ: (اعْتَرَضَهَا اعْتِرَاضًا)، أَي: أَخَذَهَا مِنْ عُرْضِ الشَّجَرِ، أَي: وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْجَارِ. الْجَوْهَرِيُّ: قَوْلُهُمْ: اضْرِبْ عُرْضَ الْحَائِطِ؛ أَي: اعْتَرِضْهُ حَيْثُ وَجَدْتَ مِنْهُ أَيَّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِيهِ.

قَوْلُهُ: (أَدْرَعٌ وَدَرْعَاءُ)، الْجَوْهَرِيُّ: الْأَدْرَعُ مِنَ الْخَيْلِ وَالشَّاءِ: مَا اسْوَدَّ رَأْسُهُ وَابْيَضَّ سَائِرُهُ، وَالْأَنْثَى: دَرْعَاءُ.

[﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ \* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَّيْ أَفْتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّيْ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ \* أَسْلَكَ بِدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ \* ٢٩-٣٢]

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَى؟ فقال: (أبعدهما وأبطأهما).

وروي أنه قال: (قضى أوفأهما، وتزوج صغراًهما)، وهذا خلاف الرواية التي سبقت. الجذوة - باللغات الثلاث، وقرئ بهن جميعاً -: العود الغليظ، كانت في رأسه ناراً أو لم تكن، قال كثير:

قوله: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَىٰ)، الحديث من رواية البخاري عن سعيد ابن جبير قال: سألتني يهودي: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَى؟ فقلت: لا أدري، حتى أقدم على حيز العرب، فسألت ابن عباس، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما؛ لأن رسول الله إذا قال فعل<sup>(١)</sup>.

قوله: (قضى أوفأهما)، أي: أطيبيها.

قوله: (وهذا خلاف الرواية التي سبقت)، أي: تزوج صغراًهما، فإنه قال: كبرأهما كانت تُسمى «صفرا» والصغرى «صفيرا»، وصفراها هي التي ذهبَتْ به، وهي التي تزوجها.

قوله: (وقرئ بهن جميعاً)، عاصم: بفتح الجيم، وحمزة: بضمها، والباقون: بكسرها<sup>(٢)</sup>. «الجدوة» مبتدأ، والخبر «العود»، وما بينها معترضة.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٤).

(٢) وهي لغات كلها في الجدوة من النار. انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (١٧٣: ٢).

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلِي يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزَلَ الْجُدَى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِيرٍ

وقال:

وَأَلْقَى عَلَى قَبْسٍ مِنَ النَّارِ جَذْوَةً شَدِيدًا عَلَيْهِ حَرُّهَا وَالتَّهَابُهَا

﴿مِنْ﴾ الأولى والثانية لابتداء الغاية، أي: أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة. و﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿مِنَ شَطِئِ الْوَادِي﴾، بدلٌ الاشتغال؛ لأنَّ

الراغب: الجذوة: التي تبقى من الحطب بعد الالتهاب، الجمع: جُدَى بضم الجيم وكسرها. قال الخليل: يُقال: جَذَا يجذو، نحو: جثا يجثو؛ إلا أن «جذا» أدل على اللزوم، يُقال: جَذَا القُرَادُ في جنب البعير؛ إذا اشتدَّ التزاقُّ به، ومنه: أَجَذَتِ الشَّجَرَةُ: صَارَتْ ذَاتَ جَذْوَةٍ، وفي الحديث: «كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجَذِيَّةِ»<sup>(١)</sup>.

الأرزة بفتح الراء وسكونها: شجرة الأرز، وهو خشبٌ معروف، وقيل: هو الصنوبر. قوله: (بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلِي) البيت<sup>(٢)</sup>، الحواطِب: الجواري اللاتي يطلبن الحطب، والجزل: الحطب اليابس العظيم، والخَوَّار: الضعيف؛ مِنَ الخَوَّر، يقال: رُمِحَ خَوَّارٌ، وَرَجُلٌ خَوَّارٌ. والدَعْر: مصدرٌ دَعَرَ دَعْرًا؛ فهو عودٌ دَعِرٌ: رديٌّ كثيرُ الدخان، ومنه أُخِذَتْ الدَعَارَةُ وهي: الفِسْقُ والخُبْثُ.

قوله: (وَأَلْقَى عَلَى قَبْسٍ مِنَ النَّارِ) البيت<sup>(٣)</sup>، الجذوة: القَبْسةُ مِنَ النار، والمرادُ بها النَمِمةُ؛ أي: ألقى على قبسٍ جَذْوَةً مِنَ النَمِمةِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ حَرُّهَا وَالتَّهَابُهَا؛ لأنها هَيَّجَتْ نَارَ العداوةِ وَالفتنَةَ بَيْنَ القومِ.

استشهد بالبيتِ الأوَّلِ على أَنَّ الجذوة: العودُ الغليظُ وليس في رأسِهِ نارٌ، وبالبيتِ الثاني على أَنَّ الجذوة: هي التي على رأسِها نارٌ.

(١) «مفردات القرآن» ص ١٩٠، وانظر الحديث المذكور في «صحيح مسلم» (٢٨١٠).

(٢) لابن مقبل في «ديوانه» ص ٤١.

(٣) لم أهد إلى قائله.



الشَّجْرَةَ كَانَتْ نَابِتَةً عَلَى الشَّاطِئِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف: ٢٣] وَقُرِيءَ: ﴿الْبُقْعَةَ﴾ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ. وَ﴿الرَّهْبِ﴾ بِفَتْحَتَيْنِ، وَضَمَّتَيْنِ، وَفَتْحٍ وَسُكُونٍ، وَضَمٍّ وَسُكُونٍ: وَهُوَ الْخَوْفُ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَضْمْتُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾؟ قُلْتَ: فِيهِ مَعْنِيَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَوْلُهُ: (كَقَوْلِهِ: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾)، يَعْنِي: إِبْدَالُ ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مِنَ شَطِئِ الْوَادِ﴾ بِإِعَادَةِ الْعَامِلِ بَدَلَ الْاِسْتِمَالِ كِإِبْدَالِ ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾.

قَوْلُهُ: (وَقُرِيءَ: ﴿الْبُقْعَةَ﴾ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ)، بِالضَّمِّ: سَبْعَةٌ، وَبِالْفَتْحِ: شَادَّةٌ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَ﴿الرَّهْبِ﴾ بِفَتْحَتَيْنِ)، حِفْصٌ: ﴿الرَّهْبِ﴾ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَإِسْكَانِ الْهَاءِ<sup>(٢)</sup>، وَالْحَرَمِيَانِ وَأَبُو عَمْرٍو: بِفَتْحِهَا، وَبِالْباقُونَ: بِضَمِّ الرَّاءِ وَإِسْكَانِ الْهَاءِ<sup>(٣)</sup>.

الراغب: الرهب: مخافة مع تحرز.

قَوْلُهُ: (مَا مَعْنَى [قَوْلِهِ]: ﴿وَأَضْمْتُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾؟)، يَعْنِي: عَلَّلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ وَعَقَبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ سَدًّا يَعْضُدُّ التَّعْلِيلُ؛ فَمَا مَوْقِعُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَضْمْتُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾؟ وَأَجَابَ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَافَ خَوْفًا شَدِيدًا وَأُزْعِجَ إِزْعَاجًا قَوِيًّا، كَأَنَّهُ قَبْلَ التَّوَلَّى أَلْقَى الْعَصَا حِينَ صَارَتْ حَيَّةً بِيَدِهِ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُؤَمِّنَ جَأَشُهُ وَيُزِيلَ خَوْفَهُ بِهَا وَيُنْهَاهُ عَمَّا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْاِتِّقَاءِ بِالْيَدِ لِعِضَابَتِهِ، وَيَمْنَحَهُ بَدَلَهُ مُعْجِزَةً أُخْرَى؛ قَالَ أَوَّلًا: ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ إِزَالَةَ لِلْخَوْفِ، وَقَالَ ثَانِيًا: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ امْتِنَانًا عَلَيْهِ بِمَوْهَبَةٍ أُخْرَى؛ مَزِيدًا لِانْشِرَاحِ صَدْرِهِ، وَقَالَ ثَالِثًا: ﴿وَأَضْمْتُمْ

(١) وعن قرأها الأشهبُ العُقَيْلِيُّ. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٣: ٢٨٢).

(٢) وأراد به التخفيف مثل شُغْرٍ وَشَعْرٍ. انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٤٤.

(٣) وهما لغتان.

لَمَّا قَلَبَ اللَّهُ الْعَصَا حَيَّةً: فَزَعَّ واضطربَ، فَاتَّقَاهَا بِيَدِهِ كما يفعلُ الخائفُ من النَّيِّءِ، فْقِيلَ لَهُ: إِنَّ اتَّقَاءَكَ بِيَدِكَ فِيهِ غَضَاضَةٌ عندَ الأعداءِ. فإذا أَلْقَيْتَهَا فكَمَا تَنْقَلِبُ حَيَّةً، فَأَدْخِلْ يَدَكَ تَحْتَ عَضْدِكَ مَكَانَ اتَّقَائِكَ بِهَا، ثُمَّ أَخْرِجْهَا بِيضَاءً لِيَحْصُلَ الأَمْرَانِ: اجْتِنَابُ ما هو غَضَاضَةٌ عَلَيْكَ، وإظهارُ مُعْجِزَةٍ أُخْرَى. والمرادُ بِالْجَنَاحِ: اليَدُ؛ لأنَّ يَدِي الإنسانِ بمنزلةِ جَنَاحِي الطَّائِرِ. وإذا أَدْخَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ عَضْدِ يَدِهِ الْيُسْرَى، فَقَدْ ضَمَّ جَنَاحَهُ إِلَيْهِ. والثَّانِي: أَنْ يَرَادَ بِضَمِّ جَنَاحِهِ إِلَيْهِ: تَجَلُّدُهُ وَضَبْطُهُ نَفْسَهُ. وَتَشَدُّدُهُ

إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴿ تَعْلِيماً لَهُ مَكَانَ اتَّقَائِهِ بِهَا. وَفِي الْحَقِيقَةِ قَوْلُهُ: ﴿ أَسْأَلُكَ بِدَكَ ﴾، ﴿ وَأَضْمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ أَمْرٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: اجْعَلْ يَدَكَ الْيُمْنَى تَحْتَ عَضْدِكَ الْيُسْرَى؛ لِأَنَّ الْجَنَاحَ عِبَارَةٌ عَنِ الْيَدِ، لَكِنْ صَيَّرَهُمَا شَيْئَيْنِ، لِيُعْلَقَ بِكُلِّ غَرَضًا، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «وَإِنَّمَا كَرَّرَ الْمَعْنَى الْوَاحِدَ لِاخْتِلَافِ الْغَرَضَيْنِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْغَرَضَ فِي أَحَدِهِمَا خُرُوجُ الْيَدِ بِيضَاءً، وَالثَّانِي إِخْفَاءُ الرَّهْبِ» وَالْإِمَامُ نَقَلَ الْجَوَابَيْنِ بَتَمَامِهِمَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ، وَقَالَ: أَحْسَنُ النَّاسِ كَلَامًا فِيهِ صَاحِبُ «الْكَشَافِ»<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (فَاتَّقَاهَا بِيَدِهِ)، أَي: جَعَلَ يَدَهُ حَاجِزَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَخُوفِ كَمَا فِي حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا اتَّقِينَا إِذَا اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَلَمْ يَكُنْ إِلَى الْعَدُوِّ أَقْرَبُ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (غَضَاضَةٌ)، يُقَالُ: غَضَّ مِنْهُ يَغْضُ غَضَاضَةً؛ أَي: وَضَعَ وَنَقَصَ مِنْ قَدْرِهِ. وَ«كَمَا» - فِي قَوْلِهِ: «فَكَمَا تَنْقَلِبُ» - مِثْلُهُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: كَمَا أَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ فَعَفَرَ اللَّهُ لَهُ، نَقَلَهُ الْمَالِكِيُّ عَنْ سَيُوبِيهِ. وَقَالَ فِي «الْلُّبَابِ»: الْكَافُ فِي قَوْلِهِمْ: كَمَا حَضَرَ زَيْدٌ قَامَ عَمْرٌو لِلْقِرَانِ فِي الْوُقُوعِ.

قَوْلُهُ: (أَنْ يُرَادَ بِضَمِّ جَنَاحِهِ [إِلَيْهِ]: تَجَلُّدُهُ وَضَبْطُهُ نَفْسَهُ)، يَعْنِي: قَوْلُهُ: ﴿ وَأَضْمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ تَجَلُّدِهِ وَضَبْطِهِ، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنْ فِعْلِ الطَّائِرِ عِنْدَ الْأَمْنِ بَعْدَ الْخُوفِ؛ فَيَكُونُ بِهَذَا الْوَجْهِ مُسْتَعَارًا عَلَى التَّمْثِيلِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مُسْتَعَارٌ مِنْ فِعْلِ

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٤: ٢١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٣٤٦) والبزار (٧٢٢) وأبو يعلى (٣٠٢) والنسائي في «السنن الكبرى»

عند انقلاب العصا حيّة حتى لا يضطرب ولا يرهب؛ استعارة من فعل الطائر؛ لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما. وإلا فجناحاه مضمومان إليه مُسَمَّران. ومنه ما يُحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن كاتبًا له كان يكتب بين يديه، فانفَلَت منه فلتة رِيح، فحَجَل وانكسر، فقام وضرب بقلمه الأرض، فقال له عمر: خذ قلمك، واضمُّ إليك جناحك، وليُفْرِخ رَوْعك، فإني ما سمعتها من أحدٍ أكثر مما سمعتها من نفسي.

ومعنى قوله: ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ من أجل الرهب، أي: إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمُّ إليك جناحك: جُعِلَ الرَّهْبُ الَّذِي كَانَ يَصِيبُهُ سَبَبًا وَعِلَّةً فِيهِ أَمْرٌ بِهِ مِنْ ضَمِّ جَنَاحِهِ إِلَيْهِ. ومعنى: ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾، وقوله: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ على أحد التفسيرين: واحد؛ ولكن خولف بين العبارتين، وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين؛ وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي

الطائر عند هذه الحالة، ثم كثر استعماله في التجلُد وضبط النفس حتى صار مثلاً فيه وكناية عنه؛ فعلى هذا يكون تميمًا المعنى ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾.

قوله: (وليُفْرِخ رَوْعك)، الأساس: ومن المجاز: أفرخ رَوْعك؛ أي: خلا قلبك من الهممُ حُلُوَّ الْبَيْضَةِ مِنَ الْفَرُخِ، هذا ظاهر. وأما «أفرخ روعك» فمن رواه بالفتح فوجهه أن يُراد زوال ما يتوقعه المرتاع؛ فإذا زال ذلك انقلب الرَوْعُ أَمْنًا. فجعل زوال المتوقع الذي هو مُتَعَلِّقُ الرَوْعِ بِمَنْزِلَةِ الْفَرُخِ مِنَ الْبَيْضَةِ، وكثُر حتى صار في معنى الكشف والزوال.

قوله: (على أحد التفسيرين)، وهو الوجه الأول؛ لأن المعنى على ما سبق: فأدخل يدك اليمنى تحت عضدك اليسرى؛ فخولف بين العبارتين بأن ذكر اليد أولاً والجناح ثانياً، وإنما كرر المعنى الواحد لئِنْبَاطِ بِكُلِّ مَرَّةٍ مَعْنَى مُخَالَفٍ. وعلى الوجه الثاني قوله: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ مجرى على حقيقته كما في الأول؛ لكن قوله: ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ كناية عن التجلُد والتشدد.

الثاني: إخفاء الرَّهَب. فإن قلت: قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً وفي الآخر مضموماً إليه، وذلك قوله: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وقوله: ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَيَّ جَنَاحَكَ﴾ [طه: ٢٢] فما التوفيق بينهما؟ قلت: المراد بالجناح المضموم: هو اليد اليمنى، وبالمضموم إليه: اليد اليسرى وكل واحد من يميني اليدين ويسراهما: جناح. ومن بدع التفاسير: أن الرَّهَب: الكُم، بلغة حمير، وأهم يقولون: أعطني مما في رهيك، وليت شعري كيف صحته في اللغة؟! وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترضى عربيتهم؟ ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل؟ على أن موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زُمانقة.....

قوله: (ومن بدع التفاسير: أن الرَّهَب: الكُم، بلغة حمير<sup>(١)</sup>)، قال محيي السنة: قال الأصمعي: سمعت بعض الأعراب يقول: أعطني ما في رهيك؛ أي: في كُمك<sup>(٢)</sup>. أي: اضمم إليك يدك وأخرج من الكُم؛ لأنه تناول العصا ويده في كُمه وهو بعيد؛ ولهذا قال: «ليت شعري كيف موقعه في الآية؟».

قوله: (من الأثبات)، الأساس: هو ثبت من الأثبات؛ إذا كان ذا حجة لثبته في روايته، ووجدت فلاناً من الثقات والأعلام<sup>(٣)</sup> الأثبات.

قوله: (زُمانقة)، النهاية: وفي حديث ابن مسعود: أن موسى عليه السلام أتى فرعون وعليه زُمانقة، أي: جبة صوف<sup>(٤)</sup>. والكلمة أعجمية، قيل: هي عبرانية، وقيل: فارسية<sup>(٥)</sup>؛ أصله: أشترُبانة؛ أي: متاع الجمال.

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٩: ٢٩٧٥).

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٢٠٧).

(٣) في (ط): «الأعلام» دون واو.

(٤) ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤: ١٠١).

(٥) ذكرها الجواليقي في «المعرب» ص ١٧١، ونقل كلام أبي عبيد السابق. وزاد: ولم أسمعها في غير هذا الحديث.

من صُوفٍ لا كُمِّي لها. ﴿فَذَانِكَ﴾ قرئَ مُحْفَفًا ومُشَدَّدًا، فالمُخَفَّفُ مُثْنَى ذاك. والمُشَدَّدُ مُثْنَى «ذلك». ﴿بُرْهَانَانِ﴾ حُجَّتَانِ بَيِّنَتَانِ نِيرَتَانِ. فَإِنْ قَلْتَ: لَمْ سُمِّيَتْ الْحُجَّةُ بُرْهَانًا؟ قَلْتُ: لِبَيَاضِهَا وَإِنَارَتِهَا مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْمَرْأَةِ الْبَيْضَاءِ: بَرَهْرَهَةٌ، بِتَكَرِيرِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ مَعًا. وَالذَّلِيلُ عَلَى زِيَادَةِ النُّونِ قَوْلُهُمْ: أْبْرَةَ الرَّجُلُ، إِذَا جَاءَ بِالْبُرْهَانِ. وَنَظِيرُهُ تَسْمِيَتُهُمْ إِيَّاهَا سُلْطَانًا؛ مِنَ السُّلَيْطِ وَهُوَ الزَّيْتُ، لِإِنَارَتِهَا.

[﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ \* وَأَخِي هَكَرُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاكَ فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [٣٣-٣٤]

يقال: رَدَأْتُهُ: أَعْتَتُهُ. والرَّدءُ: اسمٌ ما يُعَانُ به، (فِعْلٌ) بمعنى (مفعولٍ) .....

قوله: (لا كُمِّي لها)، مثل: لا غلامِي لك، ولا أبا لك، في سقوطِ النونِ وإقحامِ اللامِ بينَ المضافِ والمضافِ إليه لتأكيدِ الإضافة.

قوله: (قُرئَ مُحْفَفًا ومُشَدَّدًا)، ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو: «فَذَانِكَ» بتشديدِ النونِ<sup>(١)</sup>، والباقون: بتخفيفِها.

قوله: (والمُشَدَّدُ مُثْنَى «ذلك»)، قيل: أصلُه: ذانِ لك؛ قَلِبَتِ اللامُ نونًا وأدغِمَتِ النونُ في النونِ. وقالَ الزجاجُ: وكانَ «ذَانِكَ» مُشَدَّدًا تَشْنِيَةً «ذَلِكَ»، و«ذَانِكَ» مُحْفَفًا تَشْنِيَةً «ذَلِكَ»؛ جَعَلَ بَدَلَ اللامِ تشديدَ النونِ في «ذَانِكَ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (بَرَهْرَهَةٌ)، الأساس: أْبْرَةَ فلان: جاءَ بالبُرْهَانِ، وبَرَهَنَ مَوْلَدًا، والبُرْهَانُ: بيانُ الْحُجَّةِ وإيضاحُها؛ مِنَ الْبَرَهْرَهَةِ، وَهِيَ الْبَيْضَاءُ مِنَ الْجَوَارِي؛ كَمَا اسْتَقَّ السُّلْطَانُ مِنَ السُّلَيْطِ لِإِضَاعَتِهِ.

قوله: (والرَّدءُ: اسمٌ ما يُعَانُ به)، الراغب: الرَّدءُ الذي يَتَّبِعُ غَيْرَهُ مُعِينًا لَهُ، وَقَدْ أَرْدَأَنِي، وَالرَّدءُ فِي الْأَصْلِ مِثْلُهُ؛ لَكِنْ تَعَوَّرَفَ فِي الْمَتَأَخَّرِ الْمَذْمُومِ، يُقَالُ: رَدَأَ الشَّيْءُ رُدْءًا؛ فَهُوَ رَدِيءٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) ولتعليل هذا الحرف انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٤٤-٥٤٥.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٤٣).

(٣) «مفردات القرآن» ص ٣٥٠.

كما أن الدَّفءَ اسمٌ لما يُدْفَأُ به. قال سلامةُ بن جندلٍ:

وِردني كُلُّ أبيضٍ مَشْرَفِيٍّ      شَحِيدِ الحَدِّ عَضِبِ ذِي فُلُولِ

وَقُرِيءَ: (رِدَا) على التَّخْفِيفِ، كما قُرِيءَ (الحَب). ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ بِالرَّفْعِ وَالْجَزْمِ صِفَةٌ وَجَوَابٌ، وَنَحْوُ: ﴿وَلَيْتَا يَرْتُنِي﴾ سِوَاهُ. فَإِنْ قُلْتَ: تَصْدِيقُ أَخِيهِ مَا الْفَائِدَةُ فِيهِ؟ قُلْتَ: لَيْسَ الْعَرَضُ بِتَصْدِيقِهِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: صَدَقْتَ، أَوْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: صَدَقَ مُوسَى، وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يُلَخِّصَ بِلِسَانِهِ الْحَقَّ، وَيَبْسُطَ الْقَوْلَ فِيهِ، وَيُجَادِلَ بِهِ الْكُفَّارَ - كَمَا يَفْعَلُ الرَّجُلُ الْمُنْطِقِيُّ ذُو الْعَارِضَةِ، فَذَلِكَ جَارٍ مَجْرَى التَّصْدِيقِ الْمُقَيَّدِ، كَمَا يُصَدِّقُ الْقَوْلُ

قَوْلُهُ: (كَمَا أَنَّ الدَّفءَ اسْمٌ لِمَا يُدْفَأُ بِهِ)، الْجَوْهَرِيُّ: الدَّفءُ: السَّخُونَةُ؛ تَقُولُ مِنْهُ: دَفِئَ الرَّجُلُ دَفَاءً؛ مِثْلُ: كَرِهَ كَرَاهَةً، وَكَذَلِكَ: دَفِئَ دَفْءًا؛ مِثْلُ: ظَمِئَ ظَمًا، وَالاسْمُ: الدَّفءُ، بِالْكَسْرِ، وَهُوَ: الشَّيْءُ الَّذِي يُدْفِئُكَ، وَالْجَمْعُ: الْأَدْفَاءُ.

قَوْلُهُ: (وِردني كُلُّ أبيضٍ مَشْرَفِيٍّ) البيت (١)، أَي: عَوْنِي كُلُّ سَيْفٍ مَصْقُولٍ شَحِيدِ حديدِ عَضِبٍ ماضٍ، الْمَشْرَفِيُّ: مَنْسُوبٌ إِلَى مَشَارِفِ الشَّامِ، وَالْفُلُولُ: الْكَسْرُ فِي حَدِّ السَّيْفِ.

قَوْلُهُ: (وَقُرِيءَ: «رِدَا» عَلَى التَّخْفِيفِ)، نَافِعٌ: «رِدَا» بِفَتْحِ الدَّالِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ، وَالْباقُونَ: بِاسْكَانِ الدَّالِ وَبِالْهَمْزِ، وَحَمْزَةٌ: عَلَى مَذْهَبِهِ فِي الْوَقْفِ (٢).

قَوْلُهُ: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بِالرَّفْعِ وَالْجَزْمِ، عَاصِمٌ وَحَمْزَةٌ: بِالرَّفْعِ، وَالْباقُونَ: بِالْجَزْمِ. وَعَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ: الْجَوَابُ مَحذُوفٌ (٣).

قَوْلُهُ: (ذُو الْعَارِضَةِ)، النُّهَيْمِيُّ: فِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْأَهْتَمِ (٤): قَالَ لِلزُّبَيْرِ قَانَ: إِنَّهُ شَدِيدُ الْعَارِضَةِ؛ أَي: شَدِيدُ النَّاحِيَةِ ذُو جَلْدٍ وَصِرَامَةٍ.

(١) لم أجده في ديوان سلامة بن جندل، ولم أهتم إلى قائله.

(٢) ولتمام الفائدة انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٤٥.

(٣) ولتمام الفائدة انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (٢: ١٧٣).

(٤) في (ط) «الأهيم».

بالبرهان؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَخِي هَكَرُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١﴾، وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك، لا لقوله: صدقت؛ فإنَّ سَحْبَانَ وَبَاقِلًا يَسْتَوِيَانِ فِيهِ -، أَوْ يَصِلُ جَنَاحُ كَلَامِهِ بِالْبَيَانِ، حَتَّى يُصَدِّقَهُ الَّذِي يَخَافُ تَكْذِيبَهُ، فَأَسْنَدَ التَّصْدِيقِ إِلَى هَرُونَ؛ لِأَنَّهُ السَّبَبُ فِيهِ إِسْنَادًا مَجَازِيًّا. وَمَعْنَى الإِسْنَادِ المَجَازِيِّ: أَنَّ التَّصْدِيقَ حَقِيقَةً فِي المُصَدِّقِ، فَإِسْنَادُهُ إِلَيْهِ حَقِيقَةٌ، وَلَيْسَ فِي السَّبَبِ تَصْدِيقٌ، وَلَكِنْ اسْتَعِيرَ لَهُ الإِسْنَادُ؛ لِأَنَّهُ لَابَسَ التَّصْدِيقِ بِالسَّبَبِ كَمَا لَابَسَهُ الفَاعِلُ بِالمُبَاشَرَةِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا الوَجْهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ وَقِرَاءَةُ

قَوْلُهُ: (وَيَصِلُ<sup>(١)</sup>) جَنَاحُ كَلَامِهِ بِالْبَيَانِ)، شَبَّهَ الكَلَامَ المَاضِي بِالسَّهْمِ المُرْسَلِ، فَإِذَا وَصَلَ السَّهْمُ بِالجَنَاحِ؛ فَصَدَّ الرَّمِيَّةَ فَلَا يَلْتَوِي عِنْدَهَا<sup>(٢)</sup>، كَذَلِكَ الكَلَامُ إِذَا بَيَّنَّ وَزَيَّدَ فِي بُرْهَانِهِ؛ تَمَكَّنَ عِنْدَ السَّامِعِ وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ قَلْبِهِ. وَالفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الوَجْهِ<sup>(٣)</sup> هُوَ أَنَّ هَارُونَ فِي الأَوَّلِ كَانَ نَاقِلًا لِكَلَامِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَمُؤَدِّيًا عَلَى وَجْهِ أَيْبَنَ وَأَكْشَفَ؛ فَمَعْنَى ﴿يُصَدِّقُنِي﴾: يُلَخِّصُ كَلَامِي، فَإِنَّ الكَلَامَ المُلَخِّصَ مُؤَثِّرٌ؛ فَكَأَنَّهُ يُصَدِّقُهُ فِيهَا إِدْعَاءً، وَالمَعْنَى عَلَى الثَّانِي: يُؤَيِّدُ<sup>(٤)</sup> كَلَامِي بِالبَرهَانِ وَالبَيَانِ؛ فَيُصَدِّقُنِي قَوْمِي بِسَبَبِهِ. فَالمُصَدِّقُ عَلَى الأَوَّلِ هَارُونَ، وَعَلَى الثَّانِي القَوْمِ. وَالأَوَّلُ مِنْ إِطْلَاقِ المُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ، وَالثَّانِي مِنْ الإِسْنَادِ المَجَازِيِّ.

قَوْلُهُ: (وَمَعْنَى الإِسْنَادِ المَجَازِيِّ)، يَعْنِي: أَنَّ التَّصْدِيقَ حَقِيقَةٌ فِي القَوْمِ وَهُمُ الَّذِينَ يَبَاشِرُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِسْنَادُ الفِعْلِ إِلَيْهِمْ حَقِيقَةٌ، وَلَيْسَ فِي هَارُونَ تَصْدِيقٌ؛ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ السَّبَبُ فِي التَّصْدِيقِ اسْتَعِيرَ الإِسْنَادُ لَهُ، وَنَحْوُهُ: بَنَى الأَمِيرُ المَدِينَةَ؛ وَالأَمِيرُ إِنَّمَا أَمَرَ بِالبِنَاءِ، فَأَسْنَدَ إِلَى الحَامِلِ كَمَا أَسْنَدَ إِلَى المَبَاشِرِ.

قَوْلُهُ: (وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا الوَجْهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾)، لِأَنَّ التَّقْدِيرَ: أَرْسَلُهُ

(١) كَذَا فِي الأَصُولِ الخَطِيئَةِ، وَفِي «الكَشَافِ»: «أَوْ يَصِلُ».

(٢) فِي النِّسْخَةِ «ف»: «عِنْدَهَا».

(٣) فِي النِّسْخَةِ «ف»: «الْوَجْهُ الأَوَّلُ»، وَلا مَعْنَى لِهَذِهِ الزِّيَادَةِ.

(٤) فِي (ط): «يُزَيِّدُ».

من قرأ: (ردءاً يُصدّقوني)، وفيها تقوية للقراءة بجزم (يُصدّقني).

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنشَاوَمِنْ أَتْبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾ [٣٥]

العَضُدُ: قَوَامُ الْيَدِ، وَبِشَدِّهَا تَشْتَدُّ. قَالَ طَرْفَةُ:

أَبْنِي لُبَيْنَى لَسْتُ بِيَدِ الْأَيْدَا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

وَيُقَالُ فِي دُعَاءِ الْخَيْرِ: شَدَّ اللَّهُ عَضُدَكَ، وَفِي ضِدِّهِ: فَتَّ اللَّهُ فِي عَضُدِكَ. وَمَعْنَى ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سَنُقَوِّيكُ بِهِ وَنُعِينُكَ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْيَدَ تَشْتَدُّ

مَعِيَ لِيَكُونَ سَبَبًا لِأَنْ يُصَدِّقَنِي قَوْمِي. فَقِيلَ لَهُ: لِمَ ذَلِكَ؟ فَأَجَابَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ. وَهُوَ الْوَجْهَ؛ لِأَنَّهُ مُقَابِلُ لِقَوْلِهِ: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾. وَلَمَّا كَانَ جُلُّ غَرَضِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدِّينُ وَكَانَ يُؤَثِّرُهُ عَلَى حِظِّ نَفْسِهِ؛ جَاءَ بِ«أَنْ» فِي هَذَا التَّعْلِيلِ، وَبِالْفَاءِ فِي الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ تَعْلِيلٌ لِتَصَدِيقِ الْقَوْمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أُرْسِلُهُ مَعِيَ رِدْءًا لِأَنْ يُصَدِّقَنِي قَوْمِي؛ لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ.

قَوْلُهُ: (وَفِيهَا)، أَي: فِي قِرَاءَةِ «يُصَدِّقُونِي» تَقْوِيَةً لِقِرَاءَةِ مَنْ جَزَمَ؛ لِأَنَّ «يُصَدِّقُونِي» لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِقَوْلِهِ: ﴿رِدْءًا﴾؛ لِعَدَمِ الْمَطَابَقَةِ؛ فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ كِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِرْسَالَ عِلَّةٌ لِلتَّصَدِيقِ، وَتَقْرِيرُهُ: أَنْ يُصَدِّقُونِي؛ اسْتِثْنَاءٌ كَأَنَّهُ قِيلَ (١): لِمَ تُرْسِلُهُ؟ فَقِيلَ فِي الْجَوَابِ: يُصَدِّقُونِي أَي: لِأَجْلِ أَنْ يُصَدِّقُونِي؛ اعْتِمَادًا عَلَى فَهْمِ السَّامِعِ. وَ«يُصَدِّقَنِي» بِالْجَزْمِ جَوَابُ الْأَمْرِ؛ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: أَنْ تُرْسِلَهُ مَعِيَ يُصَدِّقَنِي؛ فَالْأَوَّلُ سَبَبٌ لِلثَّانِي.

قَوْلُهُ: (أَبْنِي لُبَيْنَى) الْبَيْتُ (٢)، لُبَيْنَى: مُصَغَّرُ اسْمِ أُمَّةٍ؛ غَيْرَهُمْ بِكُونِهِمْ أَبْنَاءَ أُمَّةٍ، وَنَصَبَ «يَدًا»، وَالْمُسْتَشْنَى مِنْهُ مَجْرُورٌ بِالْبَاءِ؛ فَجَعَلَ الْاسْتِثْنَاءَ مِنْ مَوْضِعِ الْبَاءِ لَا مِنْ لَفْظِهِ.

قَوْلُهُ: (وَمَعْنَى) ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: سَنُقَوِّيكُ بِهِ وَنُعِينُكَ؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ،

(١) سقط لفظ «قيل» من النسخة «ح».

(٢) سبق تخريجه.



بِشِدَّةِ الْعَضْدِ. وَالْجَمْلَةُ تَقْوَى بِشِدَّةِ الْيَدِ عَلَى مَزَاوِلَةِ الْأُمُورِ. وَإِنَّمَا لِأَنَّ الرَّجُلَ شُبَّهَ  
بِالْيَدِ فِي اشْتِدَادِهَا بِاشْتِدَادِ الْعَضْدِ، فَجُعِلَ كَأَنَّهُ يَدٌ مُشْتَدَّةٌ بَعْضِدٍ شَدِيدَةٍ. ﴿سُلْطَنًا﴾  
غَلْبَةً وَتَسْلُطًا. أَوْ حُجَّةً وَاضِحَةً ﴿بَيِّنَاتًا﴾ مُتَعَلِّقٌ بِنَحْوِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ ﴿فِي تَسْبِيحِ آيَاتِكَ﴾،  
أَي: إِذْهَبَا بِآيَاتِنَا. أَوْ بـ ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَنًا﴾، أَي: نَسْلُطُكُمْ بِآيَاتِنَا. أَوْ بـ (لَا يَصِلُونَ)،  
أَي: تَمْتَنِعُونَ مِنْهُنَّ بِآيَاتِنَا. أَوْ هُوَ بَيَانٌ لـ ﴿الْفَلِيبُونَ﴾ لَا صَلَاةَ، لِامْتِنَاعِ تَقَدُّمِ الصَّلَاةِ عَلَى  
الْمَوْضُولِ. وَلَوْ تَأَخَّرَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا صَلَاةً لَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَسَمًا جَوَابَهُ: ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾،  
مُقَدِّمًا عَلَيْهِ. أَوْ مِنْ لَعْنِ الْقَسَمِ.

[﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا كُنَّا بِهِ نَدِينَا  
فِي آيَاتِنَا الْأُولَى﴾ [٣٦]

يعني: أن قوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ عبارة عن قولنا: سَنُقَوِّيكَ، وطريقه وجهان:  
أحدهما: أن يكون مجازاً مرسلًا من باب إطلاق السبب على المسبب بمرتبين؛ فإن الأصل:  
سَنُقَوِّيكَ بِهِ، ثُمَّ نَقْوِي يَدَكَ بِهِ، ثُمَّ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِهِ.

وثانيهما: أن يكون استعارة؛ شبه حالة موسى بالتقوي بأخيه بحالة اليد المتقوي  
بالعضد؛ فجعل كأنه يدٌ مُشْتَدَّةٌ بَعْضِدٍ شَدِيدَةٍ.

قوله: (أَوْ هُوَ بَيَانٌ لـ ﴿الْفَلِيبُونَ﴾ لَا صَلَاةَ)، كأنه قيل: بماذا نغلب؟ وأجيب:  
﴿بَيِّنَاتًا﴾.

قوله: (قَسَمًا جَوَابَهُ: ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾)، فيه تساهل؛ لأن جواب القسَم لا يتقدم عليه،  
ولا يكون فيه فاء. ولعل مراده أن ما قبله يدل على أن جوابه محذوف.

قوله: (أَوْ مِنْ لَعْنِ الْقَسَمِ)، قيل: أي لا جواب له؛ يعني: مطلقاً لا لفظاً ولا تقديراً؛ بل  
جاء به مقحماً لمجرد التأكيد؛ كقولك: زيدٌ وأبيك منطلق. قال صاحب «الفرائد»: جوابه  
محذوف؛ لأن التقدير: زيدٌ منطلقٌ والله إن زيدا لمنطلق، تُرِكَتْ لِدَلَالَةِ الْجَمْلَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَإِنَّمَا  
سُمِّيَ لَعْنًا؛ لِأَنَّ الْقَائِلَ غَيْرُ قَاصِدِ الْقَسَمِ، وَإِنَّمَا أُجْرِيَ عَلَى لِسَانِهِ بِطَرِيقِ الْعَادَةِ. وَقُلْتُ: هَذَا  
لَا يَجُوزُ فِي كَلَامِ اللَّهِ الْمَجِيدِ لَا سِيَّامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿سِحْرٌ مُّفْتَرَى﴾ سِحْرٌ تَعْمَلُهُ أَنْتَ، ثُمَّ تَفْتَرِيهِ عَلَى اللَّهِ. أَوْ: سِحْرٌ ظَاهِرٌ افْتِرَاؤُهُ. أَوْ: مَوْصُوفٌ بِالْاِفْتِرَاءِ كَسَائِرِ أَنْوَاعِ السِّحْرِ، وَلَيْسَ بِمُعْجِزَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ حَالٌ مَنْصُوبَةٌ عَنْ هَذَا، أَيْ: كَائِنًا فِي زَمَانِهِمْ وَأَيَّامِهِمْ، يَرِيدُ: مَا حُدِّثْنَا بِكَوْنِهِ فِيهِمْ، وَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونُوا كَاذِبِينَ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ سَمِعُوا وَعَلِمُوا بِنَحْوِهِ. أَوْ يَرِيدُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ فِي فَطَاعَتِهِ. أَوْ: مَا كَانَ الْكُفَّانُ يُخْبِرُونَ بِظُهُورِ مُوسَى وَجِيئِهِ بِهَا جَاءَ بِهِ. وَهَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُمْ حُجُّوا وَبُهِتُوا، وَمَا وَجَدُوا مَا يَدْفَعُونَ بِهِ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ إِلَّا قَوْلَهُمْ: هَذَا سِحْرٌ وَبِدْعَةٌ لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا.

[ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ۖ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ

لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ ]

يقول: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم، حيث جعله نبياً وبعثه بالهدى، ووعدته حسن العقبى: يعني نفسه، ولو كان - كما تزعمون - كاذباً ساجراً مُفْتَرِياً لما أهله لذلك؛ لأنه غني حَكِيمٌ لا يُرْسِلُ الكاذِبِينَ، ولا يُبَيِّنُ السَّاجِرِينَ، ولا يُفْلِحُ عنده الظالمون. و﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ هي العاقبة المحمودة. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقِبَى الدَّارِ \* جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عَقِبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢]، والمراد بالدَّارِ: الدُّنْيَا، وَعَاقِبَتُهَا وَعُقْبَاهَا: أَنْ تُنْتَمَ لِلْعَبْدِ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَتُلْقَى الْمَلَائِكَةَ بِالْبُشْرَى عِنْدَ الْمَوْتِ. فَإِنْ قَلَّتْ: الْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ وَالْمَذْمُومَةُ؛ كِلْتَاهُمَا يَصْحُحُ أَنْ تُسَمَّى عَاقِبَةَ الدَّارِ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا إِمَّا أَنْ تَكُونَ خَاتِمَتُهَا بِخَيْرٍ أَوْ بِشَرٍّ،

قوله: (أو موصوفٌ بالافتراء كسائر أنواع السحر)، هذا بناءٌ على مذهبه أن السحر لا أثر له في نفسه، وأنه حيلةٌ وتمويه؛ كما نصَّ عليه في البقرة عند قوله: ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فعلى هذا الوجه ﴿مُفْتَرَى﴾ باقٍ على إطلاقه، وهو صفةٌ مؤكدة، وعلى الوجه الأول صفةٌ مُخَصَّصَةٌ مُقَيَّدَةٌ بِمَا ذَكَرَهُ؛ أَيْ: مَا جِئْتَ بِهِ لَيْسَ بِمُعْجِزٍ؛ بَلْ هُوَ سِحْرٌ تَفْتَرِيهِ أَنْتَ عَلَى اللَّهِ، أَوْ: لَيْسَ بِمُعْجِزٍ؛ بَلْ هُوَ سِحْرٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ خَافٍ عَلَى أَحَدٍ.

فَلِمَ اخْتَصَّتْ خَاتَمَتُهَا بِالْخَيْرِ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ دُونَ خَاتَمَتِهَا بِالشَّرِّ؟ قُلْتُ: قَدْ وَضَعَ اللهُ سَبْحَانَهُ الدُّنْيَا مَجَازًا إِلَى الْآخِرَةِ وَأَرَادَ بَعَادَهُ أَنْ لَا يَعْمَلُوا فِيهَا إِلَّا الْخَيْرَ، وَمَا خَلَقَهُمْ

قوله: (الدنيا مجازًا إلى الآخرة)، أي: موضع الجواز وممرًا إلى الآخرة.

قوله: (وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير)، وهو مدفوع بقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]. قَالَ مُحْيِي السُّنَّةِ: ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العقبى المحمودة<sup>(١)</sup>.

وقلت: لعل معنى كونها محمودة أنها مقترنة بقوله: ﴿لَهُ﴾؛ فلو قيل: «عليه» أو ما يجري مجراها - كما سيجيء بعين هذا ﴿فَنَسَبْنَاهُمْ فِي الْآيَةِ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ - لانقلبت إلى السوء، ولو لم يُقَيَّدْها بأحدهما جاز أن تُقَيَّدَ بالمحمودة أو بالسوء.

الانتصاف: أما وَجْهُ العاقبة المطلقة وإرادة الخير بها فهو أن الله هدى الناس إليها ووعدهم ما في سلوكها من النجاة - إذ هي المأمور بها، وعملت معاملة ما هو مراد، وإن لم تكن مرادة<sup>(٢)</sup> - والنعيم، ونهاهم عن ضدها وتوعد عليه بالعقاب الأليم، وركب فيهم عقولاً تُرشدهم إلى عاقبة الخير، وأزاح عنهم؛ فكان من حقهم أن يسلكوا طريق الخير، وأن يجعلوها نصب أعينهم؛ فأطلقت العاقبة للخير لذلك؛ إذ هي المأمور بها، وعملت معاملة ما هو مراد وإن لم تكن مرادة. ثم قال: «لولا قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] لقلت: استعمال اللام هو الدال على كونها خيرًا، واستعمال «عليهم» على كونها شرًا<sup>(٣)</sup>.

وقلت: الآية غير مانعة عن ذلك؛ فإن قرينة اللعنة والسوء مانعة عن إرادة الخير، وإنما أتى بـ ﴿لَهُ﴾ ليؤذن أنها حقان ثابتان لهم لازمان إياهم. ويعضده التقديم المفيد للاختصاص.

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٢٠٨).

(٢) من قوله: «إذ هي المأمور بها» إلى هنا، سقط من (ح) و(ف).

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشف» (٣: ٤١١).

إِلَّا لِأَجْلِهِ؛ لِيَتَلَقَّوْا خَائِمَةَ الْخَيْرِ وَعَاقِبَةَ الصِّدِّيقِ، وَمَنْ عَمِلَ فِيهَا خِلَافَ مَا وَضَعَهَا اللَّهُ لَهُ فَقَدْ حَرَفَ؛ فَإِذَنْ عَاقِبَتُهَا الْأَصْلِيَّةُ هِيَ عَاقِبَةُ الْخَيْرِ. وَأَمَّا عَاقِبَةُ الشُّوْءِ فَلَا اعْتِدَادَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا مِنْ نَتَائِجِ تَحْرِيفِ الْفُجَّارِ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: (قَالَ مُوسَى) بَغِيرِ وَاوٍ، عَلَى مَا فِي مِصَاحِفِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ حَسَنَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَوْضِعَ مَوْضِعُ سَوَالٍ وَبِحِثِّ عَمَّا أَجَابَهُمْ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ تَسْمِيَّتِهِمْ مِثْلَ تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ سِحْرًا مُفْتَرَى. وَوَجْهُ الْأُخْرَى: أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ. وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا، لِيُوزَنَ النَّاطِرُ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْقَوْلِ، وَيَتَبَصَّرَ فَسَادَ أَحَدِهِمَا وَصِحَّةَ الْآخَرِ، وَيُضَدِّهَا تَبَيُّنَ الْأَشْيَاءِ. وَقُرِيَ: ﴿تَكُونُ﴾ بِالْبِأَاءِ وَالنَّاءِ.

[﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوهَا أَلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنَنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ٣٨ ]

رُوي أَنَّهُ لَمَّا أَمَرَ بِنَاءِ الصَّرْحِ، جَمَعَ هَامَانَ الْعَمَالَ حَتَّى اجْتَمَعَ خَمْسُونَ أَلْفَ بِنَاءٍ سِوَى الْأَتْبَاعِ وَالْأَجْرَاءِ، وَأَمَرَ بِطَبْخِ الْأَجْرِّ وَالْحِصِّ، وَنَجَرَ الْخَشَبَ وَضَرَبَ الْمَسَامِيرَ، فَشَيْدُوهُ حَتَّى بَلَغَ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ بِنْيَانُ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، فَكَانَ الْبَانِي لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقِفَ عَلَى رَأْسِهِ بَيْنِي، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَضَرَبَهُ بِجَنَاحِهِ فَفَقَّعَهُ ثَلَاثَ قِطْعٍ: وَقَعَتْ قِطْعَةٌ عَلَى عَسْكَرِ فِرْعَوْنَ فَقَتَلَتْ أَلْفَ أَلْفِ رَجُلٍ، وَقَعَتْ قِطْعَةٌ فِي الْبَحْرِ، وَقِطْعَةٌ فِي الْمَغْرِبِ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ عَمَالِهِ إِلَّا قَدْ هَلَكَ. وَيُرْوَى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ: أَنَّ فِرْعَوْنَ ارْتَقَى فَوْقَهُ فَرَمَى بِنُشَابِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَفْتِنَهُمْ فَرُدَّتْ إِلَيْهِ وَهِيَ مَلْطُوخَةٌ بِالدَّمِّ؛ فَقَالَ: قَدْ قَتَلْتُ إِلَهَ مُوسَى، فَعِنْدَهَا بَعَثَ اللَّهُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهْدَمِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ.

قوله: ﴿وَقُرِيَ﴾ ﴿يَكُونُ﴾ ﴿بِالْبِأَاءِ وَالنَّاءِ﴾، حمزة والكسائي: بِالْبِأَاءِ التَّحْتَانِيَّةِ، وَالْبِاقُونَ: بِالنَّاءِ<sup>(١)</sup>.

(١) وَحِجَّةٌ مِنْ قَرَأَ بِالْبِأَاءِ أَنَّ تَأْنِيثَ الْعَاقِبَةِ غَيْرَ حَقِيقِي، وَحِجَّةٌ مِنْ قَرَأَ بِالنَّاءِ تَأْنِيثُ الْعَاقِبَةِ. فَذَهَبَ بِنِ الْفَلْظِ لِإِلَى الْمَعْنَى. انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٤٦.

قَصَدَ بِنْفِي عِلْمِهِ بِإِلَهٍ غَيْرِهِ: نَفْيَ وُجُودِهِ، مَعْنَاهُ: مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨] مَعْنَاهُ: بِنَا لَيْسَ فِيهِنَّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعِلْمَ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِلَّا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ مَعْدُومًا لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ مَوْجُودًا، فَمَنْ ثَمَّ كَانَ انْتِفَاءُ الْعِلْمِ بِوُجُودِهِ لِانْتِفَاءِ وُجُودِهِ. وَعُبِّرَ عَنِ انْتِفَاءِ وُجُودِهِ بِانْتِفَاءِ الْعِلْمِ بِوُجُودِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّ إِلَهًا غَيْرَهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ عِنْدَهُ، وَلَكِنَّهُ مَظْنُونٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، وَإِذَا ظَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَاذِبًا فِي إِثْبَاتِهِ إِلَهًا غَيْرَهُ وَلَمْ يَعْلَمْهُ كَاذِبًا، فَقَدْ ظَنَّ أَنَّ فِي الْوُجُودِ إِلَهًا غَيْرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَخْدُولُ ظَانًّا ظَنًّا كَالْيَقِينِ؛

قَوْلُهُ: (قَصَدَ بِنْفِي عِلْمِهِ بِإِلَهٍ غَيْرِهِ: نَفْيَ وُجُودِهِ)، الْإِنْتِصَافُ: وَهَمَّ فِيهِ الزَّمْخَشَرِيُّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَبَّرَ عَنِ نَفْيِ الْمَعْلُومِ بِنْفِي الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ [يونس: ١٨]؛ فَظَنَّ أَنَّ سِرَّ التَّعْبِيرِ شَامِلٌ لِكُلِّ تَعَلُّقٍ بِالْمَعْلُومِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ بَلْ هَذَا التَّعْبِيرُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي عِلْمِ اللَّهِ؛ لِعُمُومِ تَعَلُّقِهِ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ؛ حَتَّى لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، وَعِلْمُ الْمَخْلُوقِينَ لَيْسَتْ لَهُ هَذِهِ الدَّرَجَةُ<sup>(١)</sup>.

وَقُلْتُ: إِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَدْعِي الْإِلَهِيَّةَ؛ فَعَامَلَ بِعِلْمِهِ مَعَامَلَةَ عِلْمِ اللَّهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ طَغَى وَتَكَبَّرَ وَقَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَهَنَّمَنُ عَلَى الطَّيْنِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: اطْبِخْ لِي الْأَجْرَ؛ تَعَاظُمًا، كَمَا قَالَ مَنْ لَهُ الْعِظْمَةُ حَقِيقَةً: ﴿وَمَتَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ [الرعد: ١٧]. وَمِنْ تَعَاظُمِهِ نِدَاؤُهُ لَوْزِيرِهِ بِاسْمِهِ وَبِحَرْفِ النِّدَاءِ، وَتَوْسِيطِ نِدَائِهِ خِلَالَ الْأَمْرِ.

قَوْلُهُ: (وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ)، يَعْنِي أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ وَارَدَ عَلَى الشُّكِّ وَإِجْرَائِهِ مَجْرَى سَائِرِ عُلُومِ الْخَلْقِ فِي أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ تَعَلُّقِهِ بِوُجُودِ أَمِيرٍ نَفْيُ ذَلِكَ الْأَمْرِ؛ فَهُوَ أَحَقُّرٌ مِنْ ذَلِكَ، وَيُؤَيِّدُهُ اسْتِعْمَالُهُ «لَعَلَّ» وَالظَّنَّ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ كَلَامَهُ الْأَوَّلَ كَانَ تَمْوِيهَاً وَتَلْبِيْسًا عَلَى الْقَوْمِ، وَالثَّانِي مُوَاضَعَةً مَعَ صَاحِبِ سِرِّهِ هَامَانَ؛ فإِثْبَاتُ الظَّنِّ فِي الثَّانِي لَا يَدْفَعُ أَنْ يَكُونَ نَفْيُ الْعِلْمِ فِي الْأَوَّلِ لِنَفْيِ الْمَعْلُومِ.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤١٣).

بل عالمًا بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَٰبِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢] لَمَا تَكَلَّفَ ذَلِكَ الْبُنْيَانَ الْعَظِيمَ، وَلَمَا تَعَبَ فِي بِنَائِهِ مَا تَعِبَ، لَعَلَّهُ يُطَلِّعُ بِزَعْمِهِ إِلَى إِلَهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا مُفْرِطًا الْجَهْلِ بِهِ وَبِصِفَاتِهِ؛ حَيْثُ حَسِبَ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ كَمَا كَانَ هُوَ فِي مَكَانٍ، وَأَنَّهُ يُطَلِّعُ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يُطَلِّعُ إِلَيْهِ إِذَا قَعَدَ فِي عِلِّيَّتِهِ، وَأَنَّهُ مَلِكُ السَّمَاءِ؛ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَرْضِ. وَلَا تَرَى بَيْنَهُ أُثْبِتَ شَهَادَةً عَلَى إِفْرَاطِ جَهْلِهِ وَغِبَاوَتِهِ وَجَهْلِ مَلِيَّتِهِ وَغِبَاوَتِهِمْ؛ مِنْ أَتَمِّ رَامُوا نَيْلَ أَسْبَابِ السَّمَاوَاتِ بِصَرَاحِ بَيِّنَتِهِ، وَلَيْتَ شِعْرِي؛ أَكَانَ يُلَبِّسُ عَلَى أَهْلِ بِلَادِهِ وَيَضْحَكُ مِنْ عَقُولِهِمْ، حَيْثُ صَادَفَهُمْ أَغْبَى النَّاسِ وَأَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ وَأَشْبَهُهُمْ بِالْبَهَائِمِ بِذَلِكَ؟ أَمْ كَانَ فِي نَفْسِهِ بِتِلْكَ الصِّفَةِ؟ وَإِنْ صَحَّ مَا يُحْكَى مِنْ رُجُوعِ النُّشَابَةِ إِلَيْهِ مَلْطُوخَةً بِالْدَّمِ، فَتَهَكَّمَ بِهِ بِالْفِعْلِ، كَمَا جَاءَ التَّهَكُّمُ بِالْقَوْلِ، فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِنُظْرَائِهِ مِنَ الْكُفْرَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُفَسَّرَ الظَّنُّ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ؛ بِالْيَقِينِ، كَقَوْلِهِ: .....

قوله: (يُطَلِّعُ إِلَيْهِ)، المَطَّلَعُ: المَاتِي؛ يُقَالُ: أَيْنَ مَطَّلَعُ هَذَا الْأَمْرِ؟ أَي: مَاتَاهُ الَّذِي يُطَلِّعُ

عَلَيْهِ مِنْ إَشْرَافٍ إِلَى (١) انحدار.

قوله: (فِي عِلِّيَّتِهِ)، أَي: عُزْفَتِهِ، هِيَ فُعَيْلَةٌ؛ مِثْلُ: مُرْبِقَةٌ، وَأَصْلُهَا: عُلْيُوءَةٌ. وَقِيلَ: هِيَ

الْعِلْيَةُ بِالْكَسْرِ عَلَى فُعَيْلَةٍ؛ جُعِلَ مِنَ الْمُضَاعَفِ؛ إِذْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ فُعَيْلَةٌ.

قوله: (عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ)، أَي: عَلَى أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ بِنَفْيِ عِلْمِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا عَلِمْتُ

لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ نَفْيَ وَجُودِ إِلَهِ غَيْرِهِ؛ أَي: مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي الْبَتَّةَ، وَإِنِّي عَلَى

يَقِينٍ أَنَّ مُوسَى كَاذِبٌ؛ فَحِينَئِذٍ يَتَنَاقَضُ الْأَمْرُ بِبِنَاءِ الصَّرْحِ، كَمَا قَالَ فِيهَا سَبْقُ: «لَوْ لَمْ يَكُنْ

الْمَخْذُولُ ظَانًّا؛ لَمَا تَكَلَّفَ ذَلِكَ الْبُنْيَانَ».

(١) فِي (ط): «أَوْ»، وَالْمَثْبُوتُ أَوْفَقَ لِكَلَامِ الْجَوْهَرِيِّ فِي «الصَّحَاحِ»، وَكَلَامِ الْمُؤَلِّفِ مُسْتَفَادٌ مِنْهُ.

## فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفَيْ مُدَجِّجٍ

ويكون بناء الصَّرح مناقضة لما ادَّعاه من العلم واليقين، وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم. أو لم تخف عليهم، ولكن كلاً كان يخاف على نفسه سوطه، وسيفه، وإنما قال: ﴿فَأَوْقَدِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطَّيْنِ﴾، ولم يقل: اطبخ لي الأجر واتخذته، لأنه أول من عمل الأجر، فهو يعلمه الصنعة، ولأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن وعلو طبقتيه، وأشبه بكلام الجبارة.

قوله: (فقلت لهم ظنوا بالفئ مدجج)، تمامه:

سراهم في الفارسي المسرّد<sup>(١)</sup>

مدجج: مغطى في السلاح؛ من: دججت الساء إذا تغيمت، والسراة: الرؤساء، وظنوا - بضم الظاء - : أمر، الفارسي: الدنغ المنسوب إلى الفارس<sup>(٢)</sup>، وهو مثل في الجودة. يُنذر قوماً بهجوم جيش تام السلاح؛ أي: قلت لهم: أيقنوا بإتيان ذلك الجيش.

قوله: (أحسن طباقاً لفصاحة القرآن)، قال صاحب «المثل السائر»: فانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَوْقَدِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطَّيْنِ﴾؛ فإنه كما جيء بما يقتضي أن يذكر لفظ «الأجر» عدل منه إلى هذه العبارة، ولم يذكر لفظ «القرمذ» كما فعل النابغة:

أو ذمية في مرمر مرفوعة      بُنيت بأجر يشاد بقرمذ

فإن أولى العبارتين مُبتدلة سخيفة متداولة بين العامة، والثانية متنافرة وحشية غريبة يضعان الكلام من قدره<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وأشبه بكلام الجبارة)، أي: أوقدي على هذا الشيء المسمى بالطين؛ كأنه شيء حقير لا يصلح من مثل الملوك أن يتلفظ به، ويدخل في تسميته في زمرة العامة؛ كما عبّر الله

(١) سبق تحريجه.

(٢) في النسخة «ف»: «وهم».

(٣) «المثل السائر» (١: ١٨٦). وانظر البيت في «ديوان النابغة الذبياني» ص ٩٣.

وأمر هامان - وهو وزيره ورفيقه - بالإيقاد على الطين منادى باسمه بـ«يا» في وسط الكلام؛ دليل التعظيم والتجبر. وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال: ما علمت أن أحداً بنى بالآجر غير فرعون. والطلوع والاطلاع: الصعود. يقال: طلع الجبل واطلع: بمعنى.

﴿وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُثُوذُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَرْتَجِعُونَ﴾  
 \* فَأَخَذْنَاهُ وَجُثُوذَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾

[٤٠-٣٩]

الاستكبار بالحق: إنما هو لله عز وجل، وهو المتكبر على الحقيقة، أي: المتبالغ في كبرياء الشأن. قال رسول الله ﷺ فيها حكى عن ربه: «الكبرياء رداي، والعظمة إزاراي؛ فمن نازعني واحداً منها ألقىته في النار». وكلُّ مُستكبرٍ سواه فاستكباره بغير الحق.....

تعالى بقوله: ﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ النُّعْمِ﴾ [الرعد: ١٧] عَنِ الْفِيلِز، ويناسبه نداؤه هامان بـ«يا» وهو قريب حاضر؛ لكن بعيد من حيث المرتبة.

قوله: (بـ«يا» في وسط الكلام)، يعني أن هامان كان حاضراً بين الملاء، وداخلاً في الخطاب؛ بل هو المخاطب الأول لكونه وزيره ومشيرته؛ فاخصاصه من بينهم بالنداء، ثم بـ«يا» الدالة على البعيد، ثم تصريحه باسمه - ما كان إلا إظهاراً للكبرياء. قال صاحب «المفتاح»: «يا» في مثل هذا المقام تبعيد للمنادى وإيدان بالتهاون به<sup>(١)</sup>.

قوله: (الكبرياء رداي)، الحديث رواه أبو داود عن أبي هريرة مع تغيير يسير<sup>(٢)</sup>، ولمسلم رواية على غير هذه العبارة.

(١) «مفتاح العلوم» ص ١٨٢.

(٢) سبق تخريجه.



﴿يُرْجَعُونَ﴾ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ من الكلام الفخيم الذي دلَّ به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانِه. شبههم استحقاقاً لهم واستقلالاً لعددهم، وإن كانوا الكثر الكثير والجَمَّ الغفير، بحصيات أخذهنَّ أخذٌ في كفه فطرهنَّ في البحر. ونحو ذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شِمَخَاتٍ﴾ [المرسلات: ٢٧]، ﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَاذَكَةً وَجِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وما هي إلا تصورات وتمثيلات لاقتداره، وأن كلَّ مقدور وإن عَظُمَ وجَلَّ، فهو مُسْتَضَعَّرٌ إلى جنبِ قُدْرَتِهِ.

[﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ \* وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ٤١-٤٢]

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ﴾؟ قلت: معناه: ودعونا هم أئمة دُعاة إلى النار، وقلنا: إنهم أئمة دُعاة إلى النار، كما يُدعى خلفاء

قوله: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالضم والفتح، نافع وحمزة والكسائي: بالفتح، والباقون: بالضم.

قوله: (دعونا هم أئمة...، وقلنا: إنهم أئمة دُعاة إلى النار)، قال محيي السنة: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً﴾ قادة رؤساء يدعون إلى النار<sup>(١)</sup>، وقال الإمام: قد تمسك الأصحاب بها في كونه تعالى خالفاً للخير والشر<sup>(٢)</sup>.

الانصاف: لا فرقَ عندنا بين قوله: ﴿وَجَعَلْنَا نُورًا وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ [الأنعام: ١] ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٢] وبين هذه الآية؛ فمن حمل الجعل على التسمية هاهنا فهو بمثابة من حملة على التسمية هناك<sup>(٣)</sup>.

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٢٠٩).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٤: ٢١٧).

(٣) «الانصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤١٦).

الحقِّ أئمةً دُعاةً إلى الجنة. وهو من قولك: جعله بخيلاً وفاسقاً، إذا دعاه وقال: إنّه بخيلٌ وفاسقٌ. ويقول أهل اللُغة في تفسير فسقه وبخله: جعله بخيلاً وفاسقاً. ومنه قوله عزّ وعلا: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا ﴾ [الزخرف: ١٩] ومعنى دعوتهم إلى النار: دعوتهم إلى موجباتها من الكُفر والمعاصي. ﴿ وَيَوْمَ أَلْفِكُمَا لَا يَنْصُرُونَ ﴾ كما يُنصّر الأئمةُ الدُعاةُ إلى الجنة. ويجوز: خذلناهم حتى كانوا أئمةً الكُفر. ومعنى الخذلان: منع الألفاف، وإنما يُمنعها من عليمٍ أنّها لا تنفع فيه، وهو المُصمّم على الكُفر الذي لا تُغني عنه الآياتُ والنُذر، ومجرأه مُجرى الكناية؛ لأنّ منع الألفاف يردّف التّصميم، والغرضُ بذكره: التّصميمُ نفسه، فكأنّه قيل: صمّموا على الكُفر حتى كانوا أئمةً فيه، دُعاةً إليه وإلى سوءِ عاقبته.

فإن قلت: وأيُّ فائدةٍ في تركِ المرذوفِ إلى الرادفة؟ قلت: ذكرُ الرادفةِ يدلُّ على وجود المرذوف؛ فيعلم وجود المرذوف مع الدليل الشاهد بوجوده، فيكون أقوى لإثباته من ذكره. ألا ترى أنّك تقول: لولا أنّه مُصمّم على الكُفر، مقطوعٌ أمره، مبتوتٌ حكمه؛ لما مُنعت منه الألفاف، فبذكر منع الألفاف يحصل العلم بوجود التّصميم على الكُفر وزيادة؛ وهو قيامُ الحجّة على وجوده. وينصّر هذا الوجه قوله: ﴿ وَيَوْمَ أَلْفِكُمَا لَا يَنْصُرُونَ ﴾

قوله: (ويجوز: خذلناهم حتى كانوا أئمة الكُفر)، الوجه الأوّل قول الجبائي، وهذا قول الكعبي. يريد: أنّ مؤدّى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً ﴾ من حيث التأويل إلى هذا المعنى؛ وهو: خذلناهم حتى كانوا أئمة. وإنما قال: «وإنما يمنعها من عليمٍ أنّها لا تنفع» بناءً على أنّ رعاية الأصلاح واجبة، وهو منح الألفاف. وهم إنّما خذلوا ومُنِع عنهم الألفاف من جهة أنفسهم؛ وهو تصميمهم على الكُفر. ورجع معنى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً ﴾ إلى قوله: «صمّموا على الكُفر»؛ لأنه رديفُه ولازمُه؛ فيكون ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً ﴾ كنايةً عن «صمّموا على الكُفر». ولعمري إنّ هذا التعسّف لا يركبُه إلا من عمي عنه الجادة.

قوله: (وينصّر هذا الوجه - أي: أنّ المراد: خذلناهم - قوله: ﴿... لَا يَنْصُرُونَ ﴾)؛ فإنه من باب ردّ العجز على الصدر من حيث المعنى؛ لأنّ الخذلان هو عدم النُصرة.

كانه قيل: وخذلناهم في الدنيا، وهم يوم القيامة مخذولون، كما قال: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: طردًا وإبعادًا عن الرحمة ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المُبْعَدِينَ.

[﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بِصَكَيرٍ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤٣]

﴿بصَكَيرٍ﴾ نصبٌ على الحال. والبصيرة: نُورُ القلبِ الذي يَسْتَبْصِرُ به، كما أنَّ البصرَ نورُ العينِ الذي تُبْصِرُ به، يريد: آتيناه التوراة أنوارًا للقلوب؛ لأنها كانت

وقلت: ويمكن أن يقال: وجعلناهم في الدنيا قادة رؤساء أقوياء ذوي سلطنة وعلبة، وانقلب في الآخرة الأمر فصارت تلك القدرة عجزًا، والتقدمُ نكوصًا؛ فلا ينصُرهم من ذلك ناصر، ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: هلاكًا بالغرق، وبعْدًا عن رحمة الله. أو: لسانُ سوءٍ بأن يلعنهم اللاعنون إلى قيام الساعة، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾. قوله: ﴿هُم مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المُبْعَدِينَ، عبَّرَ عن الطردِ والبُعدِ بالقُبْح؛ إذ لا ارتياب أنه لم يُرَدَّ به قُبْحُ الصورة؛ فإذن الآية على وزانِ قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَسَاءَلُونَ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩].

روى محيي السنة عن ابن عباس: من المشوَّهين بسواد الوجه ورُزفة العيون<sup>(١)</sup>؛ يُقال: قَبَحَهُ اللهُ وقَبَحَهُ؛ إذا جعله قبيحًا، وقَبَحَهُ قَبَحًا وقُبُوحًا؛ إذا أبعدَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

قوله: (آتيناه التوراة أنوارًا للقلوب)، أي: مُشابهًا لأنوارِ القلوب؛ شَبَّه التوراةَ بالأنوارِ التي تَسْتَبْصِرُ بها القلوب؛ فتعرفُ بها حقيقة الأشياءِ فكما أن فاقِدَ هذه الأنوارِ خابِطٌ في ظلماءِ التعسُّف؛ كذلك فاقدها واقعٌ في مهوأة الضلالة، تائهٌ في بيداء الكُفْرِ. فقوله: «لأنها كانت عمياء» تعليلٌ للتشبيه وجعل ﴿بصَكَيرٍ﴾ وصفًا لـ ﴿الْكِتَابِ﴾. ولذلك كان قوله: «لأنهم كانوا يخبطون» تعليلًا لقوله: «إرشادًا»؛ يعني: إنما أوقع ﴿بصَكَيرٍ﴾ حالًا من

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٢١٠).

عُمِيًّا لَا تَسْتَبْصِرُ وَلَا تَعْرِفُ حَقًّا مِنْ بَاطِلٍ. وَإِرْشَادًا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَخْطُونَ فِي ضَلَالٍ. ﴿وَرَحْمَةً﴾؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ عَمِلُوا بِهَا وَصَلُوا إِلَى نَيْلِ الرَّحْمَةِ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إِرَادَةَ أَنْ يَتَذَكَّرُوا، شُبِّهَتْ الْإِرَادَةُ بِالْتَّرَجِّي فَاسْتُعِيرَ لَهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ: تَرَجِّي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِتَذَكَّرْتَهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤]

[﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْقِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ٤٤]

﴿الْفَرْقِيُّ﴾ الْمَكَانُ الْوَاقِعُ فِي شِقِّ الْغَرْبِ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ مِيقَاتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الطُّورِ، وَكُتِبَ اللَّهُ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ. وَالْأَمْرُ الْمَقْضِيُّ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْوَحْيُ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ؛ وَالْحِطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: وَمَا كُنْتُ حَاضِرَ الْمَكَانِ الَّذِي أَوْحِينَا فِيهِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا كُنْتُ مِنْ جُمْلَةِ الشَّاهِدِينَ لِلْوَحْيِ إِلَيْهِ، أَوْ عَلَى الْوَحْيِ إِلَيْهِ؛ .....

﴿الْكِتَابِ﴾؛ لِيُؤْذَنَ بِشِدَّةِ احْتِيَاجِ الْقَوْمِ إِلَى مَا تُفْتَحُ بِهِ قُلُوبُهُمُ الْعَمِيَاءَ. وَإِنَّا أَرَدْنَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَهَدَى﴾؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْطُونَ فِي ضَلَالٍ، وَعَقِبُهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِيُنَادِيَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا بُعْدَاءَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَا عَمِلُوا بِمَقْتَضَى الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ عَمِلُوا بِهِ لَوْصَلُوا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ. جَعَلَ الْفَاطَ الْآيَةَ كُلَّهَا تَعْرِضَاتٍ بِالْيَهُودِ، وَدَلَّ عَلَى مَكَانِ التَّعْرِضِ قَوْلُهُ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

قَوْلُهُ: (كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤])، يَعْنِي: شَبَّهَ حَالَةَ إِيْتَاءِ الْكِتَابِ لِاسْتَبْصَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاهْتِدَائِهِمْ، وَتَرَجِّي مُوسَى مِنْهُمْ التَّذَكُّرَ، بِحَالَةِ بَعْثِهِ وَأَخِيهِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَتَرَجِّيهِمَا مِنْهُ التَّذَكُّرَ وَالْخَشْيَةَ؛ فَاسْتَعْمَلَ هَاهُنَا كَلِمَةَ التَّرَجِّي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ هُنَاكَ.

قَوْلُهُ: (وَمَا كُنْتُ حَاضِرَ الْمَكَانِ)، إِلَى قَوْلِهِ: (حَتَّى تَقَفَ مِنْ جِهَةِ الْمَشَاهِدَةِ) قَدْ ذَكَرْنَا فَائِدَةَ هَذَا الْأَسْلُوبِ فِي «الْبَقْرَةَ» عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

قَوْلُهُ: (أَوْ عَلَى الْوَحْيِ إِلَيْهِ)، عَلَى هَذَا: الشَّاهِدُ بِمَعْنَى الْقَائِمِ بِالشَّهَادَةِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ: بِمَعْنَى الْحَاضِرِ.

وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات، حتى تقفَ من جهة المُشاهدة على ما جرى من أمر موسى عليه السَّلام في ميقاته وكتبه التَّوراة له في الألواح، وغير ذلك.

[﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ٤٥]

فإن قلت: كيف يتصل قوله: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ بهذا الكلام؟ ومن أي وجه يكون استدراكاً له؟ قلت: اتصَّاله به وكونه استدراكاً له، من حيث أن معناه: ولكننا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قُرُونًا كثيرة ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ على آخرهم: وهو

قوله: (كيف يتصل قوله: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾؟)، توجيه السؤال: أن وضع «لكن» على أن يكون ما بعدها مخالفاً لما قبلها نفيًا وإثباتًا؛ فكيف موقعها هاهنا؟ وتلخيص الجواب أن ليس الاعتبار بصورة النفي والإثبات؛ وإنما المعتبر المعنى؛ فإنه تعالى لما نفى عن رسول الله ﷺ أولاً كونه بجانب الغربي، وكونه مشاهدًا للوحي إلى موسى عليه السَّلام وقضاء الأمر له من المكالمة وكتابة التوراة وغيرهما، والمراد نفي علمه بذلك، أثبت له العلم ثانيًا بتلك القصة وبسائر قصص الأنبياء؛ فكانه قيل: ما كنت داريًا بذلك بطريق من طرق العلم؛ لكن جعلناك داريًا بطريق الوحي بأن أرسلناك أخوج ما يكون الناس إلى إرسالك؛ لفتور الوحي مدة متطاولة. فوضع قوله: ﴿أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ [القصص: ٤٥] موضع «أرسلناك وكسبنا لك العلم»؛ وضعًا للسبب موضع المُسبَّب؛ لأن إطالة فترة الوحي واندراس العلوم سبب لإرسال الرُّسل وكسبهم العلوم. ويدل على هذا التأويل تصريح لفظ ﴿مُرْسِلِينَ﴾ بعد حرف الاستدراك في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾. وفي قصة موسى عليه السَّلام والطور: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ ومن ثم علله بقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْتَهُمْ مِنْ نُذِيرٍ﴾، وإليه الإشارة بقوله: «فإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين».

قوله: ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ على آخرهم، أي: تطاول العُمُر على آخرهم؛ بمعنى: طال أمد انقطاع الوحي على القرن الذي أنت فيهم. وقال في «الأساس»: تطاول علينا الليل: طال،

الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ ﴿الْعُمُرُ﴾ أَي: أمدُ انقطاعِ الوحيِّ واندرستِ العلوم، فوجِبَ إرسالُك إليهم، فأرسلناكَ وكسيناكَ العلمَ بِقِصَصِ الأنبياءِ وقِصَّةِ موسى عليهمُ السَّلام، كأنه قال: وما كُنْتَ شاهداً لمُوسى وما جرى عليه، ولكنَّا أوحيناُهُ إليك؛ فذكرَ سببَ الوحيِّ الذي هو إطالةُ الفترة؛ ودلَّ به على المُسبِّبِ على عادةِ الله عزَّ وجلَّ في اختصاراته؛ فإذن: هذا الاستدراكُ شبيهُ الاستدراكينِ بعده ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا﴾ أَي: مُقيماً ﴿فَتَأْوِيًا مَدِينًا﴾؛ وهم شعيبُ والمؤمنون به. ﴿تَلَّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ تَقْرُؤُهَا عَلَيْهِمْ تَعَلُّماً مِنْهُمْ، يريد: الآياتِ التي فيها قِصَّةُ شعيبٍ وقومه، ولكنَّا أرسلناكَ وأخبرناكَ بها وعلمناكَها.

[ ﴿وَمَا كُنْتَ بِمَجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْتَ مِنْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٤٦]

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يُرِيدُ مَنَادَةَ موسى عليه السَّلامُ ليلَةَ المناجاةِ وتكليمه، ﴿وَلَكِنْ﴾

وَمِنَ المَجازِ: وطالَ عليه الطولُ؛ أَي: طالَ عُمُرُه<sup>(١)</sup>.

الراغب: الأمدُ والأبْدُ: متقاربان؛ لكنَّ الأبْدَ: عبارةٌ عن مُدَّةِ الزمانِ الذي ليسَ لها حدُّ محدودٌ ولا يتقيدُ، ولا يُقال: أبْدٌ كذا. والأمدُ: مُدَّةٌ لها حدُّ مجهولٌ إذا أُطلق، وقد تُنحصرُ نحوُ أن يُقال: أمدٌ كذا؛ كما يُقال: زمانٌ كذا. والفرقُ بينَ الزمانِ والأمدِ: أنَّ الأمدَ يُقالُ باعتبارِ الغاية، والزمانَ عامٌّ في المبدأ والغاية. ولذلك قال بعضهم: الأمدُ والمدى متقاربان<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿تَأْوِيًا﴾ أي مقيماً، الراغب: الثَّوَاءُ: الإقامةُ مع الاستقرار، وقيل: مَنْ أُمُّ مَثْوَاك؟ كنايةٌ عَمَّنْ نَزَلَ<sup>(٣)</sup> بِهِ ضيفاً، والثَّوِيَّةُ: مأوى الغنم<sup>(٤)</sup>.

(١) هذه الفقرة وردت في (ط) هنا، ووردت في (ح) و(ف) بعد فقرة «قوله»: ﴿تَأْوِيًا﴾ أي: مقيماً.

(٢) «مفردات القرآن» ص ٨٨.

(٣) في (ح) و(ف): «ترك»، والصوابُ ما أثبتناه من (ط).

(٤) «مفردات القرآن» ص ١٨١.

عَلَّمْنَاكَ ﴿رَحْمَةً﴾ وقرئ: (رحمة)، بالرفع، أي: هي رحمة ﴿مَا أَنْتَهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ في زمانِ الفِترَةِ بينَكَ وبينَ عيسى؛ وهي خمسُ مئةٍ وخمسونَ سنةً، ونحوه قوله: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا أَبَاؤَهُمْ﴾ [يس: ٦].

﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤٧]

﴿لَوْلَا﴾ الأولى: امتناعيةٌ وجوابها محذوفٌ، والثانية: تحضيضيةٌ، وإحدى الفاءين: للعطف، والأخرى: جوابٌ ﴿لَوْلَا﴾، لكونها في حكم الأمر، من قِيلَ أَنَّ الْأَمْرَ بَاعِثٌ عَلَى الْفِعْلِ، والباعثُ والمُحَضِّضُ من وادٍ واحدٍ. والمعنى: ولولا أَنَّهُمْ قَائِلُونَ إِذَا عَوْفُوا بِمَا قَدَّمُوا مِنَ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي: هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ مَحْتَجِّينَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ: لَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ، يعني: أَنَّ إِرْسَالَ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ إِنَّمَا هُوَ لِيُلْزِمُوا الْحُجَّةَ وَلَا يُلْزِمُوها، كقوله: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾. فَإِن قُلْتَ: كَيْفَ اسْتِقَامَ هَذَا الْمَعْنَى وَقَدْ جُعِلَتِ الْعُقُوبَةُ هِيَ السَّبَبُ فِي الْإِرْسَالِ.....

قوله: (في زمانِ الفِترَةِ بينَكَ وبينَ عيسى وهي خمسُ مئةٍ وخمسونَ سنةً)، روينا عن البخاريِّ عن سلمانِ الفارسيِّ قال: فِترَةُ بَيْنَ عيسى ومحمدٍ صلواتُ الله عليهما ستُّ مئةَ سنةٍ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال)، يعني: لَمَّا جُعِلَتْ قَوْلُهُ: ﴿فَيَقُولُوا﴾ عَطْفًا عَلَى ﴿أَن تُصِيبَهُمْ﴾، وَجُعِلَتْ ﴿فَنَتَّبِعَ﴾ جَوَابَ ﴿لَوْلَا﴾ الثَّانِيَةِ، وَقَدَّرْتَ الْكَلَامَ: لَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ؛ لَمَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ، لَزِمَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْعُقُوبَةَ هِيَ السَّبَبُ فِي الْإِرْسَالِ لَوْلَا<sup>(٢)</sup> الْقَوْلُ. وَالْقَوْلُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ السَّبَبُ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

(١) أخرجه البخاري (٣٩٤٨).

(٢) في النسخة «ف»: «لا القول». وهو غير مُتَّجِه.

بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿ [النساء: ١٦٥]، ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]. فأجاب بقوله: «القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرُّسل».

قال صاحب «الفرائد»: لا شك أن «أن» في ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ﴾ مصدرية، وهي داخلَةٌ على ﴿فَيَقُولُوا﴾، وقد عَطِفَ على ﴿تُصِيبَهُمْ﴾ بالفاء؛ فالتقدير: لولا إصابتهم فيقولوا كذا؛ فيكون سببُ إرسالِ الرسلِ المجموعِ لا الواحدَ فَحَسَبَ؛ فالواحدُ جزءُ السببِ، وجزءُ السببِ لا يكونُ سبباً؛ فقوله: «القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسالِ الرسل» ليس بمستقيم، وكذا قوله: «جُعِلَتِ العقوبةُ كأنها سببُ الإرسالِ بواسطة القول».

ويمكنُ أن يُقال: القولُ يكونُ سبباً على تقدير وجودِ العقوبة؛ فيكونُ القولُ سبباً لا المجموع. فالجوابُ أن يُقال: القولُ لم يكنُ سبباً في نفسِ الأمر، بل على التقدير، فإذا لم يكن القولُ بدونِ التقديرِ سبباً كانَ المجموعُ سبباً؛ لأننا لا نعني بِكُونِ المجموعِ سبباً إلا تَوَقُّفَ المسببِ عليه، وقد كانَ متوقفاً عليه، وهو المطلوب. وقوله: «إنما السببُ في قولهم هذا هو العقابُ لا غير، لا التأسُّفُ على ما فاتهم من الإيمانِ بخالقهم» هذا قولٌ مجردٌ عن الدليل؛ لم لا يجوزُ أن يكونَ السببُ هو المجموعُ؛ أعني: العقابُ والتأسُّف. تمَّ كلامه.

وقلتُ: قولُ المصنِّف: «هو المقصودُ بأن يكونَ سبباً لإرسالِ الرسل» لا يُنافي أن يكونَ له سببٌ آخر، وأنَّ المجموعَ ليسَ بسببٍ؛ بل المرادُ أن القولَ هو المقصودُ الأوَّلُ من مجموعِ السببِ. على أن هذه الآيةَ على وِزَانِ قوله تعالى: ﴿لَيْتَ لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]. ولا ارتيابُ في استقلالِ القولِ في السببية؛ فعلى هذا يحتاجُ في جعلِ العقوبةِ سبباً بإيلائه حرفَ الامتناعِ إلى عذر؛ ولهذا قال: «لَمَّا كَانَتْ هِيَ السببَ للقول...؛ جُعِلَتِ العقوبةُ كأنها سببٌ» على التشبيه، ولا بدَّ لهذا العُدولِ والتشبيهِ من فائدة، وما هي إلا ما قال: إنهم لو لم يُعاقبوا على كفرهم؛ لم يقولوا ذلك.

الانْتِصَافُ: فإن قيل: كيف استقامَ جعلُ العقوبةِ سببَ الإرسالِ لا القول؛ لدخولِ حرفِ الامتناعِ عليها دونَه؟ قلتُ: العقوبةُ سببُ القول؛ فهي سببُ السببِ؛ فجُعِلَتِ سبباً.



وفي عطفه السبب الأصلي عليه مزيد العناية بسبب السبب؛ لكونه مقصود السياق. وأيضاً في هذا النظم تنبيه على سببية كل واحدٍ منهما؛ أما الأول؛ فلاقترانه بحرف التعليل وهو ﴿أَنْ﴾. والثاني بالفاء، ولا يُعطى هذا المعنى إلا من المتلوه. تم كلامه (١).

وأما قضية النظم؛ فإن قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرِيِّ﴾، ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدِينٍ﴾، ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتَا﴾ تخلصات من ذكر موسى إلى إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، وإلزام الحجة على المعاندين من أهل الكتاب والمشركين. يعني: إنك تُخبر عن هذه الغيوب وهم عالمون أنك أمي لم تقرأ ولم تأخذ من أحد، ولا أنت حضرت هناك فتخبر عنها؛ بحيث لم تخرم حرفاً، ولم يكن ذلك إلا من طريق الوحي كما قال: ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾. والقوم الذين ما أتاهم من نذير هم مشركو العرب، ولا بد من إرسالك إليهم؛ وإلا فلهم أن يقولوا - إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي -: هلاً أرسلت إلينا رسولا فتتبع آياتك؟ وإلى هذا المعنى ينظر قوله: «ولو لا قوهم هذا إذا أصابتهم مصيبة؛ لما أرسلنا» ويعضد هذا الترتيب الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾؛ فإنها نحو قول الشاعر:

قالوا: خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول، فقد جئنا خراساناً (٢)

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، ووضع المظهر وهو ﴿الْحَقُّ﴾ موضع المضمَر؛ فإن فيه الإشعار بقطع الحجة، وأنه المؤيد بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة، والهادي إلى ما يُزلفهم إلى المقام الأسنى والدرجات الحسنى، ويبعدهم عما يُوقِعُهُمْ في ورطات الردى، ونحوها مما يدخل تحت معنى الحق. المعنى: فلما جاءهم مثل هذا الحق الساطع والنور اللامع عندما كانوا أقرق شيء إليه؛ تعاموا وتصاموا واقترحوا عليه من الآيات ما ظهر به عنادهم وتمردهم؛ فقالوا: ﴿لَوْلَا أَوْقِيَتْ مِثْلَ مَا أَوْقِيَتْ مُوسَى﴾.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤١٨).

(٢) سبق تخريجه.

لا القول، لدخول حرف الامتناع عليها دونه؟ قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرُّسُل، ولكنَّ العقوبة لما كانت هي السَّبب للقول، وكان وجوده بوجودها، جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها ﴿لَوْلَا﴾، وحيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المُعطيَّة معنى السَّببية، ويؤول معناه إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبةٌ كما أرسلنا، ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة، وهي: أنهم لو لم يُعاقبوا مثلاً على كفرهم وقد عاينوا ما ألحُّوا به إلى العلم اليقيني؛ لم يقولوا: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ وإنما السَّبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير؛ لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم. وفي هذا من الشهادة القويَّة على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى، كقوله تعالى: ﴿وَوَرَدُوا الْعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. ولما كانت أكثر الأعمال تُزاوَل بالأيدي جُعِلَ كُلُّ عَمَلٍ مُعْتَبَرًا عَنْهُ باجتراح الأيدي، وتقديم الأيدي، وإن كان من أعمال القلوب، وهذا من الاتساع في الكلام، وتصيير الأقل تابعاً للأكثر، وتغليب الأكثر على الأقل.

[﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ﴾ [٤٨]

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ وهو: الرَّسُولُ الْمَصْدُوقُ بِالْكِتَابِ الْمُعْجِزِ، مع سائر

قوله: (جُعِلَ كُلُّ عَمَلٍ مُعْتَبَرًا عَنْهُ باجتراح الأيدي)، «جَعَلَ» بمعنى: صَيَّرَ، ومُعْتَبَرًا: ثاني مفعوليته. المعنى: عَبَّرَ عَنْ كُلِّ الْأَعْمَالِ - وَإِنْ لَمْ يَصْدُرْ عَنِ الْيَدِ - باجتراح الأيدي<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ الْأَصْلَ فِي الْمَزَاوِلِ وَالْمَعَالِجَةِ الْأَيْدِي. ونحوه في الأسلوب: ﴿فَأَنشَأَتْ أَهْلُ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

قوله: (وهو الرَّسُولُ الْمَصْدُوقُ وَالْكِتَابُ<sup>(٢)</sup> الْمُعْجِزِ)، يعني: وَضَعَ ﴿الْحَقُّ﴾ مَوْضِعَ

(١) من قوله: «جعل بمعنى: صيَّر» إلى هنا، سقط من (ط) و(ح).

(٢) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «بالكتاب».

المُعْجِزَاتِ، وَقَطَعْتَ مَعَاذِيرُهُمْ وَسُدَّ طَرِيقَ احْتِجَاجِهِمْ ﴿قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾ من الكتابِ المُنزَلِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَمِنْ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً، وَفَلَقَ الْبَحْرَ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْآيَاتِ؛ فَجَاءُوا بِالْأَقْرَاحَاتِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى التَّعَنُّتِ وَالْعِنَادِ، كَمَا قَالُوا: لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. ﴿أَوْلَمْ يَكْفُرُوا﴾ يَعْنِي: أَبْنَاءَ جَنَسِهِمْ، وَمَنْ مَذْهَبُهُمْ مَذْهَبُهُمْ وَعِنَادُهُمْ عِنَادُهُمْ، وَهُمْ الْكُفْرَةُ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿يَمَّا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾، وَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ كَانَ لِلْعَرَبِ أَصْلٌ فِي أَيَّامِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَمَعْنَاهُ عَلَى هَذَا: أَوْ لَمْ يَكْفُرْ آبَاؤُهُمْ؟ ﴿قَالُوا﴾ فِي مُوسَى وَهَارُونَ: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ أَي: تَعَاوَنَا. وَقَرِيءٌ: (أَظَاهَرَا) عَلَى الْإِدْغَامِ. وَ﴿سِحْرَانِ﴾ بِمَعْنَى: ذَوَا سِحْرٍ. أَوْ: جَعَلُوهُمَا سِحْرَيْنِ مُبَالَغَةً فِي وَصْفِهِمَا بِالسِّحْرِ.

الرسول؛ لَأَنَّ التَّعْرِيفَ فِيهِ لِلْعَهْدِ، وَالْمَعْهُودُ ﴿رَسُولًا﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ عَلَى كُلِّ مَا يُنْسَبُ وَيُضَافُ إِلَى الرَّسُولِ عَلَى وَجْهِ يُرْهِقُ كُلَّ بَاطِلٍ وَيُدْحِضُ كُلَّ حُجَّةٍ. وَمِنْ ثَمَّ قَالَ: «وَقَطَعْتَ مَعَاذِيرُهُمْ، وَسُدَّ طَرِيقَ احْتِجَاجِهِمْ».

قَوْلُهُ: ﴿أَوْلَمْ يَكْفُرُوا﴾ يَعْنِي: أَبْنَاءَ جَنَسِهِمْ، الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ مَحذُوفٌ؛ أَي: أَوْلَمْ يُوْتِ مُوسَى مَا أَوْفَىٰ مِنَ الْآيَاتِ وَلَمْ يَكْفُرْ قَوْمُهُ الْمَعَانِدُونَ<sup>(١)</sup> كَهَؤُلَاءِ.

قَوْلُهُ: (قَدْ كَانَ لِلْعَرَبِ أَصْلٌ فِي أَيَّامِ مُوسَى)، أَي: نَسَبَةٌ مِنْ حَيْثُ الْكُفْرُ وَالْعِنَادُ، كَمَا أَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةً مِنْ حَيْثُ الْإِيمَانِ. أَوْ أَنَّ أَبَا الْعَرَبِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَبَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِسْحَاقَ. وَالْفَاءُ فِي «فَمَعْنَاهُ» نَتِيجَةٌ؛ بِنَاءٍ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ.

قَوْلُهُ: (و﴿سِحْرَانِ﴾ بِمَعْنَى: ذَوَا سِحْرٍ)، وَهِيَ قِرَاءَةٌ عَاصِمٍ وَحَمْزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ<sup>(٢)</sup>.

(١) فِي النِّسْخِ الْخَطِيئَةِ: «الْمَعَانِدِينَ»، وَهُوَ خَطَأٌ.

(٢) قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: «وَقَوْلُ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ جَرَى عَقِيبَ ذِكْرِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾، فَجَرَتْ الْقِصَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْكِتَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُوَاهِدِينَ مِثْلَهُمَا﴾ فَهَذَا عَلَى كِتَابَيْنِ اللَّذَيْنِ قَالُوا فِيهِمَا ﴿سِحْرَانِ﴾ فَلَا يَكُونُ مَا بَيْنَهُمَا دَاخِلًا فِي قِصَّتَيْهِمَا أَوْلَىٰ بِهِ». انْتَهَى بِحُرُوفِهِ مِنْ «حِجَّةِ الْقِرَاءَاتِ» ص ٥٤٧.

أَوْ أَرَادُوا: نوعانٍ مِنَ السَّحْرِ. ﴿يَكُلُّ﴾ بِكُلِّ واحدٍ مِنْهُمَا. فَإِنْ قُلْتَ: بِمِ عَلَّقْتَ قَوْلَهُ: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ؟ قُلْتَ: بـ ﴿أَوْلَمْ يَكْفُرُوا﴾، وَلي أَنْ أَعْلَقَهُ بـ ﴿أَوْقَى﴾، فَيَنْقَلِبُ الْمَعْنَى إِلَى أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ الَّذِينَ قَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ كَمَا كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِالْقُرْآنِ؛ فَقَدْ كَفَرُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِالتَّوْرَةِ، وَقَالُوا فِي مُوسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا. أَوْ فِي الْكِتَابَيْنِ: سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا؛ وَذَلِكَ حِينَ بَعَثُوا الرَّهْطَ إِلَى رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ يَسْأَلُونَهُمْ عَنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُ نَعْتُهُ وَصِفَتُهُ،

قَوْلُهُ: (أَوْ أَرَادُوا نَوْعَانِ مِنَ السَّحْرِ)، قَالَ صَاحِبُ «التَّقْرِيبِ»: يَعْنُونَ التَّوْرَةَ وَالْقُرْآنَ. قُلْتُ: يُؤَيِّدُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَاتُونَا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾.

قَوْلُهُ: (بِمِ عَلَّقْتَ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ؟)، أَيْ: فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ: «قَدْ كَانَ لِلْعَرَبِ أَصْلٌ فِي زَمَنِ مُوسَى»، وَكَذَا فِي الْحَاشِيَةِ، وَفِيهِ تَفْصِيلٌ؛ وَهُوَ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿يَكْفُرُوا﴾: إِمَّا لِلْكَفْرَةِ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَيَتَعَلَّقُ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ بـ ﴿يَكْفُرُوا﴾ لَا بـ ﴿أَوْقَى﴾؛ لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أَوْقَى الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَإِنَّمَا وَبَّخَ الْحَاضِرِينَ فِي زَمَنِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ جِنْسِهِمْ فِي الْعِنَادِ. وَإِنَّمَا لِأَبَاءِ الْكَفْرَةِ الْحَاضِرَةِ. فَالتَّوْبِيخُ نَحْوُ التَّوْبِيخِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١، ٩٢].

وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الضَّمِيرُ لِلْكَفْرَةِ الْحَاضِرَةِ، وَيُعَلَّقُ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ بـ ﴿أَوْقَى﴾، كَمَا قَالَ: «وَلِي أَنْ أَعْلَقَهُ بـ ﴿أَوْقَى﴾» وَفِي كَلَامِهِ حَذْفٌ؛ أَيْ: وَلِي أَنْ أَعْلَقَهُ بـ ﴿أَوْقَى﴾ وَأَجْعَلَ الضَّمِيرَ فِي ﴿يَكْفُرُوا﴾ لِلْحَاضِرِينَ لَا لِأَبَائِهِمْ؛ فَيَنْقَلِبُ الْمَعْنَى، إِلَى آخِرِهِ. فَعَلَى هَذَا: إِذَا قُرِئَ «سَاحِرَانِ» أَوْ «سَاحِرَانِ» وَأُرِيدَ: سَاحِرَانِ؛ كَانَ الْمُرَادُ مُحَمَّدًا وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَإِنْ أُرِيدَ نَوْعَانِ مِنَ السَّحْرِ؛ فَالْمُرَادُ التَّوْرَةُ وَالْقُرْآنَ.

قَوْلُهُ: (فَقَالُوا<sup>(١)</sup> فِي مُوسَى وَمُحَمَّدٍ: سَاحِرَانِ [تَظَاهَرَا]، أَوْ فِي الْكِتَابَيْنِ: سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا)،

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ؛ بِالْفَاءِ، وَكَذَا هُوَ فِي نَصِّ «الْكَشَافِ» مِنْ (ط)، لَكِنْ فِي الْأَصْلِ الْخَطِيئِ مِنْ «الْكَشَافِ» وَفِي الْمَطْبُوعِ: «وَقَالُوا» بِالْوَاوِ.

وأنه في كتابهم، فرجع الرَّهْطُ إلى قُريش فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا عند ذلك: ساحران تظاهرا.

﴿ قُلْ فَآتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[٤٩]

﴿هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ مما أُنزِلَ على موسى عليه السَّلامُ ومما أُنزِلَ عليَّ. هذا الشَّرْطُ من نحو ما ذكرتُ أنه شرطُ المُدِلِّ بالأمرِ المتحقِّقِ لصِحَّتِهِ؛ لأنَّ امتناعَ الإتيانِ بكتابٍ أهدي من الكِتابَيْنِ أمرٌ معلومٌ متحقِّقٌ لا مجالَ فيه للشَّكِّ. ويجوزُ أن يُقصدَ بحرفِ الشَّكِّ: التَّهَكُّمُ بهم.

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٥٠]

فإن قلت: ما الفرقُ بينَ فعلِ الاستجابةِ في الآية، وبينه في قوله: .....

هذا التفسيرُ بناءً على القراءةَ الثانية. قال الزجاج: والثاني أظهر؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَآتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ﴾. ولقائلٍ أن يقول: لا يَمْنَعُ هذا من حَمَلِ ﴿سِحْرَانِ﴾ على محمدٍ وموسى عليهما السلام؛ لأنَّ المعنى: قل فآتوا بكتابٍ من عند الله هو أهدي من كتابيهما<sup>(١)</sup>، ويؤيدهُ قراءةٌ من قرأ «ساحران».

قوله: (هذا الشرطُ من نحو ما ذكرتُ)، أي في سورة الشعراء: ﴿ أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥١] قال: «وهو الشرطُ الذي يبيحُ به المُدِلُّ بأمره المتحقِّقِ بصِحَّتِهِ، ونظيره قولُ العاِمِلِ لِمَنْ يُؤخِّرُ جُعْلَهُ: إِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ لَكَ فَوْقَنِي حَقِّي».

المُدِلُّ: الواثق، وهو يُدِلُّ بفُلاَنٍ: يثقُ به.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٤٨).

### فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ

حيثُ عُدِّيَ بغيرِ اللّامِ؟ قلت: هذا الفعلُ يتعدى إلى الدُّعاءِ بنفسِه وإلى الدّاعي باللامِ، ويُحذفُ الدُّعاءُ إذا عُدِّيَ إلى الدّاعي في الغالب، فيُقال: استجابَ اللهُ دعاءَه، أو استجابَ له، ولا يكادُ يُقال: استجابَ له دُعاءَه. وأمّا البيئُ فمعناه: فلم يستجب دُعاءَه، على حذفِ المُضاف. فإن قلت: فالاستجابةُ تقتضي دُعاءً ولا دُعاءَ هاهنا. قلت: قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أمرٌ بالإتيان، والأمرُ بعُثْ على الفعلِ ودُعاءٌ إليه، فكأنه قال: فإن لم يستجيبوا دُعاءَكَ إلى الإتيانِ بالكتابِ الأهدى، فاعلم أنّهم قد ألزموا ولم يبقَ لهم حُجَّةٌ إلا اتباعُ الهوى، ثم قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ لَا يَتَّبِعُ فِي دِينِهِ إِلَّا هَوَاهُ يَغْتَرِهُدَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: مطبوعاً على قلبه، ممنوعاً الألفاظ. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يُلطفُ بالقومِ الثَّابِتِينَ على الظُّلمِ؛ الذين اللَّاطِفُ بهم عابثٌ. وقوله ﴿يَغْتَرِهُدَىٰ﴾ في موضعِ الحال، يعني: مخذولاً مخلىً بينه وبين هواه.

[﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥١]

قُرئ: ﴿وَصَّلْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف. والمعنى: أن القرآنَ أتاهم مُتتابعاً متواصلاً، وعداً ووعيداً، وقصصاً وعبراً، ومواعظاً ونصائح: إرادة أن يتذكروا فيفعلوا. أو:

قوله: (فلم يستجبهُ عند ذلك مُجيب)، أوله:

وداع دعائاً من مُجيبٍ إلى الندى<sup>(١)</sup>

أي: رَبِّ دَاعٍ دعا: هل من مُجيبٍ إلى الندى؟ أي: هل أحدٌ يَمْنَحُ المُسْتَمِنِينَ؟ فلم يُجِبْهُ أحدٌ.

قوله: ﴿وَصَّلْنَا﴾، بالتشديد: السبعة، وبالتخفيف: شاذة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (متتابعاً متواصلاً، وعداً ووعيداً)، قال الزجاج: وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ؛ أي: فصلناه

(١) لكعب بن سعد الغنوي. سبق تخريجه.

(٢) وقد قرأها الحسن البصري رحمه الله. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٣: ٢٩٥).

نزل عليهم نُزُولا مُتَّصِلًا بَعْضُهُ فِي أَثَرِ بَعْضٍ. كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُنْذَرَةٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥].

[﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ مِنْ قَبْلِهِ، هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٢]

نزلت في مؤمني أهل الكتاب. وعن رِفاعَةَ بنِ قَرظَةَ: نزلت في عَشْرَةِ أَنَا أَحَدُهُمْ. وقيل: في أَرْبَعِينَ مِنْ مُسْلِمِي أَهْلِ الْإِنْجِيلِ: اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ جَاؤُوا مَعَ جَعْفَرٍ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَثِنَايَةَ مِنَ الشَّامِ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ لِلْقُرْآنِ.

[﴿وَلِذَا يَمُوتُ يَأْتِيهِمْ قَوْلُ آيَاتِنَا إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ٥٣]

فإن قلت: أي فرق بين الاستثنائيين: إنه وإنا؟ قلت: الأول تعليل للإيمان به، لأن كونه حقاً من الله حقيقاً بأن يؤمن به. والثاني: بيان لقوله: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾؛ لأنه يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِيْمَانًا قَرِيبَ الْعَهْدِ وَبَعِيدَهُ، فَأُخْبِرُوا أَنَّ إِيْمَانَهُمْ بِهِ مُتَقَادِمٌ؛ لِأَنَّ آبَاءَهُمُ الْقَدَمَاءُ قَرَأُوا فِي الْكُتُبِ الْأَوَّلِ ذِكْرَهُ وَأَبْنَاؤُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: مِنْ قَبْلِ وُجُودِهِ وَنُزُولِهِ. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: كَاتِبِينَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ صِفَةٌ كُلُّ مُوَحِّدٍ مُصَدِّقٍ لِلْوَحْيِ.

[﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ﴾ ٥٤]

بأن وصلنا ذكر الأنبياء أو أفاضلهم من مضي، بعضها ببعض<sup>(١)</sup>. والحاصل أن الوصل يقتضي التتابع وإنما يقال: وصل؛ إذا كان بين الكلامين اتصالاً معنويًّا ومناسبة، أو اتصالاً لفظيًّا بأن يكون الكلام متتابعاً مسروداً لم يقع بينهما فاصلة.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل وجوده، قيل: أشار إلى مذهبه<sup>(٢)</sup>.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٤٨).

(٢) يعني: في القول بخلق القرآن، وكونه لم يكن موجوداً ثم وجد.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ. أَوْ: بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ وَبَعْدَ نَزْوِلِهِ. أَوْ: بِصَبْرِهِمْ عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ. وَنَحْوَهُ: ﴿رَبُّوْتِكُمْ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]. ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ بِالطَّاعَةِ الْمَعْصِيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ. أَوْ: بِالْحِلْمِ الْأَذَى.

[﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْنِيْ الْجَهْلِيْنَ﴾ ٥٥]

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ تَوَدِيعٌ وَمُتَارَكَةٌ. وَعَنْ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَلِمَةٌ حِلْمٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَا تَبْنِيْ الْجَهْلِيْنَ﴾ لَا تُرِيدُ مَخَالَطَتَهُمْ وَصُحْبَتَهُمْ، فَإِنْ قُلْتَ: مَنْ خَاطَبُوا بِقَوْلِهِمْ ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾؟ قُلْتَ: اللَّاغِيْنَ الَّذِينَ دَلَّ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾.

[﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٦]

﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُدْخَلَ فِي الْإِسْلَامِ كُلِّ مَنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَدْخَلَ فِيهِ مِنْ قَوْمِكَ وَغَيْرِهِمْ، لِأَنَّكَ عَبْدٌ لَا تَعْلَمُ الْمَطْبُوعَ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ غَيْرِهِ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾

قَوْلُهُ: (تَوَدِيعٌ وَمُتَارَكَةٌ)، نَقَلَ فِي «المَطْلَع» عَنِ الزَّجَّاجِ: لَمْ يَرِيدُوا بِقَوْلِهِمْ: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ التَّحِيَةَ؛ وَإِنَّمَا أَرَادُوا: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْمُتَارَكَةَ وَالتَّسْلِيمَ<sup>(١)</sup>، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: سَلِّمْتُمْ مِنَّا، لَا نُعَارِضُكُمْ بِالشَّتْمِ وَالْأَذَى.

قَوْلُهُ: ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: لَا تَقْدِرُ، وَإِنَّمَا فَسَّرَهُ بِهَذَا وَعَلَّلَهُ بِقَوْلِهِ: «لِأَنَّكَ عَبْدٌ لَا تَعْلَمُ»؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ الْاسْتِدْرَاكِ وَضَعْتَ لِتَدْخُلَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَغَايِرَيْنِ نَفِيًّا وَإِجَابًا، فَلِذَا دَلَّ قَوْلُهُ: «وَلَكِنَّ اللَّهَ» إِلَى آخِرِهِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَقْدِرُ عَلَى الْهُدَايَةِ لِعَلْمِهِ بِالْمُهْتَدِي، يَجِبُ أَنْ يُفَسَّرَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ بِقَوْلِهِ: لَا تَقْدِرُ عَلَى الْهُدَايَةِ لِأَنَّكَ عَبْدٌ لَا تَعْلَمُ الْمُهْتَدِي.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٤٩).



يُدْخِلُ فِي الْإِسْلَامِ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ وهو الذي عَلِمَ أَنَّهُ غَيْرُ مَطْبُوعٍ عَلَى قَلْبِهِ، وَأَنَّ الْأَلْطَافَ تَنْفَعُ فِيهِ، فَيَقْرُنُ بِهِ الْطَافَةَ حَتَّى تَدْعُوهُ إِلَى الْقَبُولِ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ بِالْقَابِلِينَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ. قَالَ الزَّجَّاجُ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: «يَا مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ، أَطِيعُوا مُحَمَّدًا وَصَدَّقُوهُ تَفْلِحُوا وَتَرْتُدُّوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا عَمُّ، تَأْمُرُهُمُ بِالنَّصِيحَةِ لِأَنْفُسِهِمْ وَتَدْعُهُا لِنَفْسِكَ؟ فَقَالَ: فَمَا تُرِيدُ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُرِيدُ مِنْكَ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَإِنَّكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا: أَنْ تَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، قَدْ عَلِمْتُ إِنَّكَ لَصَادِقٌ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: خَرَجَ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَلَوْلَا أَنْ تَكُونَ عَلَيْكَ وَعَلَى

قَوْلُهُ: (قَالَ الزَّجَّاجُ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ)، وَالْمَذْكُورُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: أَجْمَعَ الْمَفْسُورُونَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ. ثُمَّ قَالَ: وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءُ نَزْوِهَا بِسَبَبِ أَبِي طَالِبٍ، وَهِيَ عَامَةٌ لِأَنَّهُ لَا يَهْدِي إِلَّا اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ، وَلَا يُرْشِدُ وَلَا يُوقِفُ إِلَّا اللَّهُ، وَكَذَلِكَ هُوَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ (١).

رَوَيْنَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنِ ابْنِ الْمَسْتَيْبِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ؛ فَقَالَ: «أَيُّ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِيَّةٍ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرِغُبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخَرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (٢).

وَعَنْ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ عِنْدَ الْمَوْتِ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ أَشْهَدُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَأَبَى؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (٣).

قَوْلُهُ: (خَرَجَ عِنْدَ الْمَوْتِ)، بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَالرَّاءِ. الْجَوْهَرِيُّ: الْخَرْجُ - بِالْتَّحْرِيكِ - الرِّخَاوَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ يُقَالُ: خَرَجَ الرَّجُلُ أَي: صَعُفَ. النَّهْأِيَّةُ: وَيُرْوَى بِالْجِيمِ وَالزَّايِ؛ وَهُوَ:

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٤) ومسلم (٢٤) و(٣٩).

(٣) «سنن الترمذي» (٣١٨٨) وهو في «مسند أحمد» (٩٦٨٥).

بَنِي أَبِيكَ غَضَاضَةً وَمَسَبَّةً بَعْدِي، لَقَلْتُهَا، وَلَا قَرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ عِنْدَ الْفِرَاقِ، لِمَا أَرَى مِنْ شِدَّةِ وَجْدِكَ وَنَصِيحَتِكَ، وَلَكِنِّي سَوْفَ أَمُوتُ عَلَى مِلَّةِ الْأَشْيَاحِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَهَاشِمِ وَعَبْدِ مَنَافٍ.»

[ ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَى مَعَكَ نُنَخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِوْءُ إِلَيْهِ نَمَرَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٥٧ ]

قالت قريش - وقيل: إن القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف -: نحن نعلم أنك على الحق، ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك، وإنما نحن أكلة رأس، أي: قليلون أن يتخطفونا من أرضنا، فالقمة لهم الله الحجر. بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمه البيت وآمن قطانه بحرمته، وكانت العرب في الجاهلية حوهم يتغاورون ويتناحرون، وهم آمنون في حرمهم لا يخافون، وبحرمه البيت هم قارون بوادٍ غير ذي زرع، والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب، فإذا خوهم الله ما خوهم من الأمن والرزق بحرمه البيت وحدها وهم كفره عبدة أصنام؛ فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف، ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمه البيت حرمه الإسلام، وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة، .....

الخوف. وقال ثعلب: إنها هو بالخاء والراء.

قوله: (غضاضة)، ذلة ومنقصة.

قوله: (أكلة رأس، أي: قليلون)، كيفيهم رأس واحد، وهو جمع «أكل».

قوله: (أن يتخطفونا من أرضنا)، التخطف: الانتزاع بسرعة.

قوله: (فالقمة لهم الله الحجر)، القمة الحجر: الرمة الحجة؛ من: إقام الأمم الشدي.

قوله: (يتغاورون)، الأساس: التغاور: التناحر، وفلان مغاير ومغاور، ومغاور من قوم مغاوير. والأوب: المرجع، كل أوب: كل وجه.

وإلى الحرمِ مجازاً. ﴿يُجَيِّئُ إِلَيْهِ﴾ تُجَلِّبُ وَتُجَمِّعُ. قُرِئَ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ. وَقُرِئَ: (تُجَنِّي)،  
بِالنُّونِ، مِنَ الْجَنِيِّ. وَتَعَدِّيَّتُهُ بِـ«إِلَى» كَقَوْلِهِ: يَجْنِي إِلَيَّ فِيهِ، وَيَجْنِي إِلَى الْخَافَةِ وَ«تُمْرَاتٌ»:  
بِضْمَتَيْنِ وَبِضْمَةٍ وَسُكُونٍ. وَمَعْنَى الْكُلِّيَّةِ: الْكَثْرَةُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾  
[النمل: ٢٣] ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ متعلق بقوله ﴿مَنْ لَدُنَّا﴾ أَي: قَلِيلٌ مِنْهُمْ  
يُفْرُونَ بِأَنَّ ذَلِكَ رِزْقٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَكْثَرُهُمْ جَهْلَةٌ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَلَا يَفْطِنُونَ لَهُ،  
وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَعَلِمُوا أَنَّ الْخَوْفَ وَالْأَمْنَ مِنْ عِنْدِهِ. وَلَمَّا خَافُوا التَّخَطُّفَ

قوله: (وإلى الحرم مجازاً)، إذا جعل ﴿ءَامِنًا﴾ صفة لـ ﴿حَرَمًا﴾. قَالَ فِي الْبَقْرَةِ: «أَوْ آمِنًا  
مَنْ فِيهِ؛ كَقَوْلِكَ: نَهَارُهُ صَائِمٌ وَلَيْلُهُ قَائِمٌ».

قوله: (قُرِئَ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ)، نافع: بِالتَّاءِ الْفَوْقَانِيَّةِ، وَبِالْيَاءِ (١)، وَبِالنُّونِ: شاذ.  
وَالجَنِيِّ: قَطَعَ التَّمْرَ.

قوله: (ويجني إلى الخافة)، الجوهري: الخافة: الخريطة من آدم يشتاز فيها العسل (٢).

قوله: (و«تُمْرَاتٌ» بِضْمَتَيْنِ)، قَالَ ابْنُ جَنِّي: هِيَ قِرَاءَةُ أَبَانَ بْنِ ثَعْلَبٍ، جُمِعَ «تَمْرَةٌ»  
عَلَى «تُمْرٍ»؛ نَحْوُ: خَشْبِيَّةٍ وَخُشْبٍ، وَأَكْمَةٍ وَأَكْمٍ، ثُمَّ ضُمَّتِ الْمِيمُ إِشْبَاعًا وَتَمَكِينًا، ثُمَّ جُمِعَ  
«تُمْرٌ» عَلَى تُمْرَاتٍ جَمَعَ التَّائِيثُ؛ فَجَرَى مَا لَا يَعْقِلُ مَجْرَى الْمُؤْنِثِ، وَعَلَيْهِ قَالُوا: يَا ثَارَاتِ  
فِلَانٍ؛ جَمْعُ ثَارٍ (٣).

قوله: (ومعنى الكُلِّيَّةِ: الكثرة)، عن بعضهم: كلمة «كل» للإحاطة؛ فاستعيرت لنفس  
الكثير؛ لأنه مجموع المعنى مفرد اللفظ.

قوله: (ولا يَفْطِنُونَ)، الْفِطْنَةُ كَالْفَهْمِ؛ تَقُولُ: فَطَنْتُ الشَّيْءَ - بِالْفَتْحِ - ، وَقَدْ فَطِنَ -  
بِالْكَسْرِ - فِطْنَةً وَفَطَانَةً. وَفِي حَدِيثِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَمْ يَفْطِنُنِي حَتَّى فَطِنْتُ لَهَا (٤).

(١) لأن تَأْنِيثَ التَّمْرَاتِ غَيْرَ حَقِيقِي. انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٤٨.

(٢) يقال: شار العَسَلُ يَشُورُهُ وَاشْتَارَهُ يَشْتَارُهُ؛ اجْتَنَاهُ مِنْ خَلَايَاهُ وَمَوَاضِعِهِ. «اللسان العرب» مادة (شور).

(٣) «المحتسب» (٢: ١٥٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٠٣٠) وأبو داود (٤٨٩٨) وغيرهما من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ  
عنها.

إِذَا آمَنُوا بِهِ وَخَلَعُوا أَندَادَهُ. فَإِنْ قُلْتَ: بِمِ انتَّصَبَ رِزْقًا؟ قُلْتَ: إِنْ جَعَلْتَهُ مَصْدَرًا جَارَ أَنْ يَنْتَصِبَ بِمَعْنَى مَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَى ﴿يُجْتَوَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿وَيُرْزَقُ ثَمَرَاتِ كُلِّ شَيْءٍ﴾: وَاحِدٌ، وَأَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لَهُ. وَإِنْ جَعَلْتَهُ بِمَعْنَى: مَرْزُوقٌ، كَانَ حَالًا مِنْ الثَّمَرَاتِ لِتَخْصُصِهَا بِالِإِضَافَةِ، كَمَا تَنْتَصِبُ عَنِ النَّكْرَةِ الْمُتَخَصِّصَةِ بِالصِّفَةِ.

[﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيْشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِيْثِيْنَ﴾ ﴿٥٨﴾]

هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرُّقود في ظلال الأمن وخفض العيش، فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر، فدمرهم الله وخرَّب ديارهم. وانتصبت معيشتها ﴿إِذَا بِحَذْفِ الْجَارِ وَإِيصَالِ الْفِعْلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ ﴿وَإِذَا عَلَى الظَّرْفِ بِنَفْسِهَا، كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ ظَنِّي مُقِيمٌ. أَوْ بِتَقْدِيرِ حَذْفِ الزَّمَانِ الْمُضَافِ، أَصْلُهُ: بَطَرَتْ أَيَّامَ مَعِيْشَتِهَا، كَخُفُوقِ

قوله: (وخلعوا أندادهم)، النهاية: هو من: خلعت الثوب؛ إذا ألقىته عنك. شُبِّهَتْ الطاعةُ واشتغالها على الإنسان به، ومنه سُمِّيَ الأميرُ إِذَا عَزَلَ: خَلِيْعًا؛ كَأَنَّهُ قَدْ لَبَسَ الْإِمَارَةَ ثُمَّ خَلَعَهَا.

قوله: (من إنعام الله عليهم بالرُّقود في ظلال الأمن وخفض العيش)، قال:

مَنْ كَانَ بِالدُّنْيَا أَخَا ثِقَةٍ بِهَا      وَالْأَمْنُ مَذْهَبٌ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ  
عَطَفْتُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّدَى بِقَوَابِلِ      قَدْ نَامَ عَنْهَا نَاطِرًا لِحِذَارِهِ<sup>(١)</sup>

قوله: (فغمطوا)، أي: حَقَرُوا. وغمطُ الناس: الاحتقارُ لهمُ والإِزْرَاءُ بهم، قاله الجوهري.

قوله: (وإما على الظرف بنفسها)، سماءُ ظرفًا مجازًا؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ مُؤَوَّلٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَفْعَلَةٌ» لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ؛ كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ ظَنِّي مُقِيمٌ؛ أَي: فِي ظَنِّي، وَالْعَامِلُ فِي «ظَنِّي» الْمُنْتَزَعُ مِنْ مَعْنَى الْجُمْلَةِ كَالِإِخْبَارِ وَالِإِسْنَادِ وَالْحُكْمِ.

(١) لم أهد إلى قائل البيتين.

النَّجْمِ، وَمَقْدَمِ الْحَاجِّ. وَإِنَّمَا بَتَضْمِينِ ﴿بَطَّرَتْ﴾ مَعْنَى: (كفرت) و(غَمِطت). وقيل: البَطْرُ سوءُ احتِمَالِ الْغِنَى، وَهُوَ: أَنْ لَا يُحْفَظَ حَقُّ اللَّهِ فِيهِ. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مِنَ السُّكْنَى. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمْ يَسْكُنْهَا إِلَّا الْمُسَافِرُ وَمَازُ الطَّرِيقِ يَوْمًا، أَوْ سَاعَةً، وَيَحْتَمَلُ أَنْ شُوِّمَ مَعَاصِي الْمُهْلِكِينَ بَقِيَ أَثَرُهُ فِي دِيَارِهِمْ، فَكُلُّ مَنْ سَكَنَهَا مِنْ أَعْقَابِهِمْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَرَثِيُّنَ﴾ لِتِلْكَ الْمَسَاكِينِ مِنْ سَاكِنِيهَا، أَي: تَرَكْنَاهَا عَلَى حَالٍ لَا يَسْكُنُهَا أَحَدٌ، أَوْ: خَرَبْنَاهَا وَسَوَّيْنَاهَا بِالْأَرْضِ.

تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينَئِذَا وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتَّبِعُ

[﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكِ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾]

قَوْلُهُ: (وَأَمَّا بَتَضْمِينِ ﴿بَطَّرَتْ﴾ مَعْنَى «كفرت»)، الْأَسَاسُ: وَمِنْ الْمَجَازِ: بَطَّرَ فُلَانٌ نِعْمَةَ اللَّهِ؛ أَي: اسْتَخَفَّهَا فَكَفَّرَهَا، وَلَمْ يَسْتَرْجِحْهَا فَيَشْكُرْهَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَطَّرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾.

قَوْلُهُ: (البَطْرُ: سُوءُ احْتِمَالِ الْغِنَى؛ وَهُوَ أَنْ لَا يُحْفَظَ حَقُّ اللَّهِ فِيهِ)، النِّهَايَةُ: فِي الْحَدِيثِ: «الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ»<sup>(١)</sup> هُوَ أَنْ يَجْعَلَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ حَقًّا مِنْ تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ بَاطِلًا.

قَوْلُهُ: ﴿﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مِنَ السُّكْنَى﴾، يُقَالُ: سَكَنْتُ دَارِي وَأَسْكَنْتُهَا غَيْرِي، وَالْإِسْمُ مِنْهُ: السُّكْنَى؛ كَمَا أَنَّ الْعُنْبِيَّ مِنَ الْإِعْتَابِ. فَقَوْلُهُ: «إِلَّا قَلِيلًا مِنَ السُّكْنَى» مَعْنَاهُ: إِلَّا سَكْنَى قَلِيلًا.

قَوْلُهُ: (أَي: تَرَكْنَاهَا عَلَى حَالٍ لَا يَسْكُنُهَا أَحَدٌ)، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى وَارِثٌ هُوَ: أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا فِي الْعَاقِبَةِ زَائِلَةٌ عَمَّنْ ادَّعَى مَلَكَهَا، صَائِرَةٌ إِلَيْهِ تَعَالَى لِمَا يَنَادِي: لِمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ؟ فَيُقَالُ: اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

قَوْلُهُ: (تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ) الْبَيْتُ<sup>(٢)</sup> لِلْمَتْنِيِّ، يَعْنِي: تَتَّبِعُ الْأَثَارُ الْأَصْحَابَ، أَي: الْأَثَارُ تَبْقَى بَعْدَ صَاحِبِهَا زَمَانًا مِنَ الدَّهْرِ، ثُمَّ تَفْنَى وَتَتَّبِعُ صَاحِبَهَا فِي الْفَنَاءِ.

(١) أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) للمتنبى في «ديوانه» بشرح الواحدي (١: ٣٥٣)، وللفائدة انظر: «ربيع الأبرار» للزمخشري (١: ٢٧٠).

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي﴾ القرية التي هي أمها، أي: أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها ﴿رَسُولًا﴾ لإلزام الحجة وقطع المعذرة، مع علمه أنهم لا يؤمنون. أو: وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني: مكة رسولاً؛ وهو محمد ﷺ خاتم الأنبياء. وقرئ: (إمها) بضم الهمزة وكسرهما لاتباع الجر، وهذا بيان لعدله وتقديسه عن الظلم، حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم، ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل، .....

قوله: (وقصبتها التي هي أعمالها)، الجوهري: قصبه القرية: وسطها، وقصبه السواد: مدينتها.

قوله: (إلزام الحجة وقطع المعذرة، مع علمه أنهم لا يؤمنون)، هذا يهدم قاعدة مذهبه؛ لأنهم أن يعتذروا بسابق علمه فيقولوا: أليس في علمك وحكمك آنا لا نؤمن؟ فكيف لنا أن نأتي على خلاف علمك؟ وليس الجواب عنه إلا أن يقال: ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قوله: (أو: وما كان في حكم الله وسابق قضائه)، هذا الوجه مبني على قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا لَنَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الإسراء: ٥٨]، ومن أمارات القيامة بعثة الرسول ﷺ؛ ولهذا قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»<sup>(١)</sup>. والوجه الأول أوفق لتأليف النظم؛ لأنه تعالى لما قال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرْتِ مَعِيشَتَهَا﴾ ﴿بَيْنَ أَنْ الْإِهْلَاكُ إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا أَوْلَاهُمْ مِنَ النِّعْمَةِ، وَمَنْ أَجَلَّ النِّعْمَةِ بَعَثَ الرَّسُولَ وَشَكَرَ الْاِقْتِدَاءَ بِهَدَاهُمْ وَالِاِقْتِفَاءَ بِأَثَارِهِمْ.

قوله: (إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل)، الانتصاف: هذا سؤال وارد على

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٤) ومسلم (٢٩٥١) وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وفي الباب عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم، ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ لِيُظْلِمَ وَأَهْلَهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

فنص في قوله: ﴿يُظْلِمَ﴾ أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلماً منه، وأن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم، دل على ذلك بحرف النفي مع لامه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

[﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[٦٠]

وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا؛ فما هو إلا تمتع وزينة أياماً قلائل، وهي مدة

القدرية؛ إذ لو كانت العقول تحكم بأحكام التكليف؛ لقامت الحجة على الناس، وإن لم يكن بعثه، ولا يجدون عنه جواباً<sup>(١)</sup>.

قوله: (ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم)، يعني: أن الله تعالى لا يعامل خلقه بعلمه؛ بل يعاملهم بفعلهم.

قوله: (فنص في قوله: ﴿يُظْلِمَ﴾ أنه لو أهلكهم وهم مصلحون؛ لكان ذلك ظلماً منه)، فجوابه أنه لم لا يجوز أن يكون معناه: ليس من شأنه وعادته إلا التفضل والرحمة؛ فلا يهلكهم في حال صلاحهم، ولو فرض إهلاكها فبعده؛ لأنه يتصرف في ملكه؟ كما سبق.

قوله: (وأي شيء أصبتموه)، أبرز الضمير المنصوب ليؤذن بأن «ما» - في ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ - موصولة، وقد بينت بقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾؛ فأفادت الشروع فأجيب بالفاء في قوله: ﴿فَمَتَّعُ﴾ على طريق الإخبار والتنبيه، كما في قوله: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. ويؤيده قوله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾؛ لأنه قرينة، وليست ﴿وَمَا﴾ إلا موصولة.

وأما إفادة الحصر في قوله: «فما هو إلا تمتع وزينة» فمن مفهوم التركيب؛ لأن الآية من

(١) «الانصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٢٤).

الحياة الْمُتَقَصِّصِيَّة. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك ﴿وَأَبْقَى﴾؛ لأنَّ بقاءه دائمٌ سرمدٌ. وقرئ: (يعقلون) بالياء، وهو أبلغُ في الموعظة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَّ الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصنافٍ: المؤمن، والمُنَافِق، والكافر؛ فالمؤمن يتزوَّد، والمُنَافِقُ يتزيَّن، والكافرُ يتمتَّع».

[ ﴿أَمَّنْ وَعَدْنَهُ وَعَدَّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَهُ مَنَعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

مِنَ الْمُحْضَرِّينَ ﴿٦١﴾ ]

هذه الآيةُ تقريرٌ وإيضاحٌ للتي قبلها. و(الوعد الحسن): الثواب؛ .....

التقسيم الحاضر، كأنه قيل: إنَّ ما يتصلُ بكم ما هو من عند الله، أو غير ذلك. فالأوَّلُ باقٍ لا محالة، والثاني فانٍ ولا شك فيه.

قوله: (وقرئ: «يعقلون»)، بالياء التحتانية: أبو عمرو<sup>(١)</sup>، وهو أبلغُ في الموعظة؛ لأنَّ الخطابَ مع أهل مكة، كأنه لما عدلَ من الخطابِ إلى الغيبةِ أدنَّ بأنَّ أولئك البُعداءَ من الخير لا عقل لهم؛ حيثُ يُؤثرونَ الفاني على الباقي، والديءَ الحقيِرَ على الشريفِ العظيم. روى الإمامُ عن الشافعي رضي الله عنه: مَنْ أوصى بثُلثِ ماله لأعقلِ الناسِ صرفَ إلى المشتغلين بطاعةِ الله؛ لأنَّ أعقلِ الناسِ مَنْ أعطى القليلَ وأخذَ الكثير. فكانه رضي الله عنه اقتبسَ المعنى من هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله: (هذه الآيةُ تقريرٌ وإيضاح)، أما كونه تقريرًا فإنه صرَّبَ المعنيين - أعني: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ - مثلًا في هذه الآية، وأخرجها مخرج المشبه والمشبه به، وأدخلَ همزة الإنكارِ على فاءِ التعقيبِ العاطفةِ لهذه الجملةِ على الأولى. والمعنى: أبعدُ هذا التفاوتِ الظاهرِ يستويان؟ أي: أبناءُ الدنيا والآخرة. وأما البيانُ فإنه تعالى ذكرَ أنَّ ما أوتوا من شيءٍ فهو تمتُّعٌ وزينةٌ أيامًا قلائل. ولم يبيِّنْ في تلك الآيةِ مالها وسوءَ مغيبها بيِّنَ في هذه الآيةِ أنَّ المآلَ أتمُّه يُحْضَرُونَ النار، وذكرَ فيها أنَّ ما عندَ الله خيرٌ وأبقى. ولم يبيِّنْ العاقبةَ فيه؛ بيِّنَ في

(١) انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٤٧.

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٨)، ولتأم الفائدة انظر: «روضة الطالبين» (٦: ١٦٩).



لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق، وأي شيء أحسن منها؟ ولذلك سَمَى اللهُ الجنةَ بالحُسنَى. ﴿وَلَقِيَهُ﴾ كقولهِ تعالى: ﴿وَلَقَنَّهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾، وعكسه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ من الذين أُحْضِرُوا النَّارَ، ونحوه: ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢٧] قيل: نزلت في رسولِ اللهِ ﷺ وأبي جهل. وقيل: في عليٍّ وحزرةٍ وأبي جهل. وقيل: في عمارِ بنِ ياسرٍ والوليدِ بنِ المغيرة. فإن قلت: فسّر لي الفاءَينِ وتُثمِّ، وأخبرني عن مواقعِها. قلت: قد ذكّر في الآية التي قبلها متاعَ الحياةِ الدُّنيا وما عندَ اللهُ وتفاوتتِها، ثم عقبه بقوله: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾ على معنى: أبعدَ هذا التَّفَاوُتِ الظَّاهِرِ يُسَوِّي بَيْنَ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَأَبْنَاءِ الدُّنْيَا؟ فهذا معنى الفاءِ الأولى وبيانُ موقعِها. وأما الثانيةُ فللتسبب: لأنَّ لِقَاءَ الموعودِ مُسَبَّبٌ عن الوعدِ الذي هو الضَّمانُ في الخير. وأما ﴿تُثمِّ﴾ فلتراخي حالِ الإحضارِ عن حالِ التَّمَتُّعِ، لا لتراخي وقتِه عن وقتِه. ....

هذه أن الموعود الجنة، وإليه الإشارة بقوله: «والوعد الحسن: الثواب» إلى قوله: «ولذلك سَمَى اللهُ الجنةَ بالحُسنَى».

قوله: (لأنه منافع دائمة)، تعليلٌ لتفسيرِ الوعدِ الحُسنِ بالثواب. وإنما قيّد التعريفَ بقوله: «على وجه التعظيم»؛ لأنَّ المنافعَ الدنيويةَ ليستُ للتعظيم؛ أكثرها بل جُلُّها استدراج، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا تُمَلَى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِسْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وقيّد الاستحقاقَ إشارةً إلى مذهبه؛ فإنه مقيدٌ عندنا على وجه التفضُّل.

قوله: (وأما ﴿تُثمِّ﴾ فلتراخي حالِ الإحضارِ عن حالِ التَّمَتُّعِ، لا لتراخي وقتِه عن وقتِه)، لأنه أبلغُ وأكثرُ إفادةً لأنَّ تأخرَ زمانِ الإحضارِ عن زمانِ التَّمَتُّعِ ظاهرٌ بيّن، لا يحتاجُ إلى التنبيةِ عليه. قال صاحبُ «الفرائد»: لا مانعَ أن تكونَ مستعملةً في حقيقتها وهو التراخي في الزمان، والحملُ على المجازِ بدونِ المانعِ باطل. ويمكنُ أن يُقالَ: متعناه زمانًا وهو زمانُ حياتِه، ثمَّ أُحْضِرَ يومَ القيامةِ.

وَقُرِئَ: (ثُمَّ هُوَ) بِسُكُونِ الْهَاءِ، كَمَا قِيلَ (عَضُدٌ) فِي (عَضُدٍ)؛ تَشْبِيهًا لِلْمُنْفَصِلِ بِالْمُتَّصِلِ، وَسُكُونُ الْهَاءِ - فِي (فَهْوٍ)، (وَهْوٍ)، وَ(لَهْوٍ) - أَحْسَنُ؛ لِأَنَّ الْحَرْفَ الْوَاحِدَ لَا يُنْطَقُ بِهِ وَحْدَهُ؛ فَهُوَ كَالْمُتَّصِلِ.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [٦٢]

﴿شُرَكَائِيَ﴾ مَبْنِيٌّ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَفِيهِ تَهَكُّمٌ، فَإِنْ قُلْتَ: (زَعَمَ) يَطْلُبُ مَفْعُولَيْنِ، كَقَوْلِهِ:

وَلَمْ أَزْعُمِكَ عَنْ ذَلِكَ مَعْرُلاً

فَأَيْنَ هُمَا؟ قُلْتَ: مَحذُوفَانِ، تَقْدِيرُهُ: الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَهُمْ شُرَكَائِي . . . . .

وَقُلْتَ: مَنْ مُنِحَ الذَّوْقَ السَّلِيمَ وَالطَّبْعَ الْمُسْتَقِيمَ فَلْيَذُقْ مَا أَثَرُهُ مَعَ قَوْلِنَا: مَتَّعْنَاهُ أَيَّامًا قَلِيلًا ثُمَّ أَوْقَعْنَاهُ فِي مَشَاقِّ الْأَبَدِ، عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢]؛ هَلْ يَجِدُ لَهُ رَوْقًا وَبِهَاءً؟ وَلنَحَقُّ أَنْ أَرَبَابَ الْبَلَاغَةِ وَأَصْحَابَ الْفِصَاحَةِ إِذَا وَجَدُوا الطَّرِيقَ إِلَى الْمَجَازِ عَدَلُوا عَنِ الْحَقِيقَةِ؛ لِتَضْمِينِهِ مِثْلَ هَذِهِ اللَّطَائِفِ.

قَوْلُهُ: (وَقُرِئَ: «ثُمَّ هُوَ» بِسُكُونِ الْهَاءِ)، قَرَأَهَا قَالُونَ وَالْكَسَائِي (١).

قَوْلُهُ: (وَلَمْ أَزْعُمِكَ عَنْ ذَلِكَ مَعْرُلاً)، أَوْلُهُ:

وَإِنَّ الَّذِي قَدْ عَاشَ يَا أُمَّ مَالِكٍ يَمُوتُ . . . . .

وَيُرْوَى:

عَدَدَتْ قُسِيرًا إِذْ فَخَرَتْ فَلَمْ أَسَأْ بِذَلِكَ (٢) . . . . .

(١) وَحُجَّتُهُمْ أَنَّ الْهَاءَ إِذَا اتَّصَلَتْ بِفَاءٍ أَوْ وَاوٍ كَانَتْ فِي قَوْلِهِمْ أَجْمَعِينَ سَاكِنَةً. وَ«ثُمَّ» أَخْتُ الْفَاءِ وَالْوَاوِ

فَجَرَتْ نَجْرَاهُمَا فِي حُكْمٍ مَا بَعْدَهَا. انظُر: «حُجَّةُ الْقِرَاءَاتِ» ص ٥٤٨.

(٢) هَذِهِ الرِّوَايَةُ ذَكَرَهَا سَيَّبُوِيهِ فِي «الْكِتَابِ» (١: ١٢١) وَعَزَاهُ لِلنَّبَاغَةِ الْجَعْفَدِيِّ.

ويجوزُ حذفُ المفعولينِ في بابِ «ظننت»، ولا يصحُّ الاقتصارُ على أحدهما.

قوله: (ويجوزُ حذفُ المفعولينِ في بابِ «ظننت»، ولا يصحُّ الاقتصارُ على أحدهما)، وذكر في «المفصل»: «وليس لك أن تقول: حَسِبْتُ زَيْدًا، وَتَسَكَّتْ؛ لِفَقْدِ مَا عَقَدْتَ عَلَيْهِ حَدِيثَكَ، فَأَمَّا الْمَفْعُولَانِ مَعًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَسَكَّتَ عَنْهُمَا<sup>(١)</sup>. وذكر في فاتحة سورة العنكبوت: أَنَّ الْحُسْبَانَ لَا يَصِحُّ تَعَلُّقُهُ بِمَعَانِي الْمَفْرَدَاتِ وَلَكِنْ بِمَضَامِينِ الْجُمَلِ، إِلَى آخِرِهِ.

وقال بعضهم: فَمَنْ قرأ «الكاشفة»<sup>(٢)</sup> وضح الفرق بين امتناع طرح أحد المفعولين وبين جواز طرح أحد الشطرين في باب المبتدأ والخبر، مع أن البابين من حيث المعنى سيان؛ وذلك أن تعلق تلك الأفعال بمضامين الجملة وهي أمور خفية في نفسها؛ إذ هي من المعقولات الذهنية لا من الملفوظات، والتعلق بها أمر خفي، ولو طرح أحد الشطرين لتراكم الخفاء، بخلاف الجملة الخبرية؛ فإن مراتب الخفاء فيه أقل، فاعرفه. وأما جواز طرح المفعولين؛ فلأن عند طرحهما ينتفي المضمون وتعلق الفعل به، ويصير الغرض نفس إحداث ذلك الفعل.

وقلت: هذا كلام حسن؛ فإن قوله تعالى: ﴿وَوَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ١٢] حينئذ بمنزلة: فلان يعطي ويمنع في الشيع في جميع ما فسد من الظن. وقول القائل: مَنْ يَسْمَعُ يَحُلُّ؛ أي: مَنْ يَسْمَعُ يَحُلُّ الْمَسْمُوعَ صَحِيحًا؛ إذ معنى «مَنْ يَسْمَعُ»: مَنْ يَرَكُنُ إِلَى السَّمَاعِ<sup>(٣)</sup>. والآية واردة على هذا.

وقال صاحب «التحفة»: معنى الاقتصار أن لا يكون أحد المفعولين مرادًا، فأما إذا حذف لقريئة دلت عليه وهو مراد معني؛ فليس اقتصارًا، كما لا يسمى حذف الخبر اقتصارًا على المبتدأ؛ لأن الحذف لا يجوز إلا بدليل. وأما باب «كسوت» فيجوزُ الاقتصارُ بدليل وبغير دليل؛ لأن الأول منها غير الثاني. فأما قول الأخفش: إذا دخلت هذه الأفعال على «أن»

(١) «المفصل في صنعة الإعراب» للزخشي ص ٣٤٧.

(٢) لعله يريد كتاب «شرح الكافية الشافية» لابن مالك النحوي. وهو كتاب مشهور، وقد صدر عن

جامعة أم القرى في خمسة أجزاء بتحقيق عبد المنعم هريدي.

(٣) في (ط): «الاستماع».

نحو: ظننتُ أنك قائم؛ فالمفعول الثاني منها محذوف، والتقدير: ظننتُ قيامك كائناً؛ لأنَّ المفعول مع «أنَّ» المفتوحة بتأويل المفرد. وأما سيبويه فيرى أنها سَدَّتْ مَسَدَ المفعولين، وأجازَ الكوفيونَ الاقتصارَ على الأولِ إذا سَدَّ شيء مَسَدَ الثاني كما في بابِ المبتدأ، نحو: أقائمُ أخواك؟ فيقولُ على هذا: ظننتُ قائماً أخواك. وقال المالكِي: إذا دَلَّ دليلٌ على أحدهما جازَ حذفُهُ، كقوله:

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنُ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقٍ وَلَكِنْ لَا أَحَالَ تَلَاقِيَا<sup>(١)</sup>

أي: لا أَحَالَ الكائنَ تَلَاقِيَا، أو: لا أَحَالَ بعدَ البَيِّنِ تَلَاقِيَا. وعليه قولُ المصنِّفِ في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]: ويجوزُ أن يكونَ ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ فاعلاً؛ والمعنى: ولا تحسبنَّهُم الذين قتلوا أَمْواتًا؛ أي: أنفُسَهُم. إنما جازَ حذفُهُ لأنَّهُ في الأصلِ مبتدأ؛ فحُذِفَ كما حُذِفَ المبتدأ في قوله: ﴿أَحْيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؛ أي: هُم أَحْيَاء. وقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٧] الأصل: لا تحسبنَّهُم الذين كَفَرُوا مُعْجِزِينَ، ثُمَّ حُذِفَ الضميرُ الذي هو المفعولُ الأول. وكان الذي سَوَّغَ ذلكَ أن الفاعلَ والمفعولَينِ لَمَّا كانا كشيءٍ واحد؛ اقتنعَ بذكرِ الاثنينِ عن ذِكرِ الثالث.

وقلتُ: في هذا القيدِ إعلامٌ بشدةِ الاهتمامِ بمضامينِ الجُمَلِ دُونَ مفرداتها، ولعلَّ السرَّ أن هذه الأفعالَ قيودٌ للمضامينِ<sup>(٢)</sup> تدخلُ على الجملةِ الاسميةِ لبيانِ ما هيَ عنه؛ لأنَّ النسبةَ قد تكونُ عن عِلْمٍ وقد تكونُ عن ظنٍّ، فَلَوِ اقْتَصَرَ على أحدِ طرفي الجملةِ لقيامِ قرينةٍ يورثُهم أن الذي سبقَ له الكلامُ والذي هو مهتمُّ بشأنِهِ الطرفُ المذكور، وليسَ المضمونُ مما يُعنى به. نعم إذا كانَ الفاعلُ والمفعولُ لشيءٍ واحدٍ يهونُ الخطبُ.

ويؤيِّدُهُ ما ذكرَهُ صاحبُ «الإقليد»: أنك إذا قلتَ: حسبتُ زيدًا منطلقًا؛ فقد عقدتَ الحديثَ على أن زيدًا مضمونٌ انطلاقةً عندك، فَلَوِ قلتَ: حسبتُ زيدًا، وسكتَ؛ فقدتَ ما

(١) ذكره ابن داود الأصبهاني في «الزهرة» (١: ٤٦٧) وعزاه لجميل بن معمر.

(٢) في (ط): «بمضامين».

﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِنَاءً يُعْبَدُونَ ﴾ [٦٣]

﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الشياطينُ أو أئمة الكُفْرِ ورؤوسه. ومعنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجبَ عليهم مُقتضاهُ وثبت، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، [السجدة: ١٣] و﴿هَؤُلَاءِ﴾ مُبتدأ، و﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ صفة،.....

هو فيه الفائدة العظمى وهو الثاني؛ لأنه هو الذي وقع فيه الشك، وقصدك بهذا التركيب أن تُخبر بذلك لا الإخبار بذات زيد؛ وإنما تذكر «زيداً» ليرتب الثاني عليه. ولو قلت: حسبت منطلقاً وسكت؛ خرج من يدك ما يفيدُه الأولى، وهو أنه هو الذي انطلقه مطلقاً عندك؛ فإذا لا بد من ذكر كليهما. وأما قول القائل: إن تعلق تلك الأفعال بمضامين الجمل، وهي أمور خفية، إلى آخره؛ فمدفوعٌ بجواز حذف أحد شطري اسم إن وخبره، وأنها لتوكيد مضمون الجملة.

قوله: و﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ صفة، روى صاحب «الكشف» عن أبي علي أنه قال: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ خبرٌ مبتدأً آخر، والتقدير: هؤلاء هم الذين أغويناهم، و﴿أغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ استئناف، ولا يكون «الذين أغويناهم» صفة لـ﴿هَؤُلَاءِ﴾ ويكون ﴿أغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبراً؛ لأنه حينئذ لا يكون مفيداً بقوله: ﴿أغْوَيْنَاهُمْ﴾ زيادة لم تستفد بالصفة والموصوف.

قال: فإن قلت: فلم لا يكون قوله: ﴿أغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبراً، وجاز لتعلق قوله: ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾<sup>(١)</sup> به؛ فيكون مفيداً فائدة زائدة ليست في الصفة والموصوف؛ والجواب: إن ذلك يُوجب أن يكون قوله: ﴿غَوَيْنَا﴾ جارياً مجرى ما لا بد منه من أحد جزئي الجملة، وهذا لا يجوز؛ لأنه ظرف، والظروف فصالات في الكلام بمنزلة المفعول، فكما لا يجوز: زيداً ضرب؛ بنصب «زيد» على أنه مفعول «ضرب»، وفي «ضرب» ضمير يعود إليه؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون الفضلة لا بد منه لعود الضمير إليه؛ فكذا لا يجوز هذا هاهنا. هذا كلامه.

(١) من قوله: «استئناف، ولا يكون» إلى هنا، سقط من (ط).

والرّاجع إلى الموصولِ محذوفٌ، و﴿أَعْوَيْنَهُمْ﴾ الخبر، والكافُ صفةٌ مصدرٍ محذوفٌ، تقديرُهُ: أعويناهم، فغوّوا غيًّا مثلَ ما غوّينا، يعنون: أنّا لم نغوِ إلا باختيارنا، لا أنّ

وقد قال [أبو] <sup>(١)</sup> عثمان: إنا رأينا الظرفَ الذي يدعيه فضلة لا بدّ منه، كقولهم: زيدٌ قائمٌ عمرو في داره؛ فلا بدّ من قولك: في داره؛ ليعودَ من الجملة إلى «زيد» ضمير، وهو فضلةٌ في الكلام؛ فكذا هاهنا ينبغي أن يكونَ ﴿أَعْوَيْنَا﴾ خبراً؛ لتعلّقِ قوله: ﴿كَمَا عَوَيْنَا﴾ به وإن كانَ فضلةً <sup>(٢)</sup>.

وأما المصنّف فقد خالفَ أبا عليٍّ وأبا عثمانَ أيضاً، وذهبَ إلى أنه كرّرَ ﴿أَعْوَيْنَا﴾ في الخبر؛ ليلتقَى به المصدرُ الذي يُوجبُ إضمارَ فعلٍ يطابقُه؛ لأنَّ ﴿كَمَا عَوَيْنَا﴾ غيرُ مطابقٍ لـ ﴿أَعْوَيْنَا﴾، فيفيدُ تشبيهَ الغواية بالغواية؛ ولذلك قال: إنّنا لم نغوِ إلا باختيارنا؛ لأنّ فوّقنا مُغوين. ومثُلُ الآية في تكريرِ الخبرِ للتوكيدِ والتعليلِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥] إذا قيل: استزلاهم الشيطان هو التوّلي كما سبق، وفائدة التكريرِ والتعليلِ وتقديرِ فاءِ التعقيبِ الإيذانُ بتسجيلِ استحقاقِ العذابِ من غيرِ إمهال؛ إذ المعنى: أعويناهم فغوّوا، ولم تتخلفْ غوايتهم عن إغوائنا إياهم؛ أي: أطاعونا بسُرعةٍ من غيرِ رويةٍ وتّفكّرٍ.

والذي يقتضيه التّظنُّ أن يُرادَ بقوله: ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الشركاءُ مِنَ الشياطينِ والجنِّ بشهادةِ قوله: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَعْبدُونَ﴾، وقوله: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ بعده؛ وذلك أنّ الشركاءَ لما خذلوهم وتبرّؤوا منهم قيلَ لهمُ مؤيخاً: هؤلاءُ شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنّهم يشفعون لكم وينصرونكم؛ فادعوهم ليستجيبوا لكم. فحينئذٍ المعنى: هؤلاءُ الذين أعويناهم فغوّوا كما غوّينا نحنُ بإغواءِ قاهر. لأنّ الأصلَ في التشبيهِ أن يكونَ الوجهُ شاملاً للطرفين؛ فلا بدّ من تقديرِ «قاهر». ويعضدهُ قوله: ﴿فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

(١) زيادة لازمة، وأبو عثمان هو المازني، سبق التعريف به.

(٢) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ١٠٢٧-١٠٢٨).

فوقنا مُغْوِينَ أَعْوَنَا بِقَسْرِ مِنْهُمْ وَإِلْجَاءٍ. أَوْ دَعَوْنَا إِلَى الْغَيِّ وَسَوَّوْهُ لَنَا، فَهَؤُلَاءِ كَذَلِكَ  
 غَوَّوْا بِاخْتِيَارِهِمْ؛ لِأَنَّ إِغْوَاءَنَا لَهُمْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا وَسَوْسَةً وَتَسْوِيلًا لَا قَسْرًا وَإِلْجَاءً، فَلَا  
 فَرْقَ إِذْنٍ بَيْنَ غَيِّنَا وَعَيْبِهِمْ. وَإِنْ كَانَ تَسْوِيلُنَا دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، فَقَدْ كَانَ فِي مُقَابَلَتِهِ  
 دَعَاءُ اللَّهِ لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِمَا وَضَعَ فِيهِمْ مِنْ أُدْلَةِ الْعَقْلِ، وَمَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ مِنَ الرُّسُلِ،  
 وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الْمَشْحُونَةِ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْمَوَاعِظِ وَالزُّوْجِرِ، وَنَاهَيْكَ  
 بِذَلِكَ صَارِفًا عَنِ الْكُفْرِ وَدَاعِيًا إِلَى الْإِيمَانِ، وَهَذَا مَعْنَى مَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنِ الشَّيْطَانِ  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا  
 أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
 قَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى أَوَّلَ شَيْءٍ، حَيْثُ قَالَ لِإِبْلِيسَ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ  
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]. ﴿نَبْرَانًا إِلَيْكَ﴾ مِنْهُمْ وَمِمَّا اخْتَارُوهُ مِنَ الْكُفْرِ

قوله: (ناهيك بذلك صارفاً)، عن بعضهم: ناهيك ونهاك ونهيك؛ أي: حسبك، يُقال:  
 هذا رجل ناهيك من رجل، وأنهاك من رجل. وتأويله أنه بجده وغنايه ينهاك عن تطلب  
 غيره. قال:

هو الشيخ الذي حدثت عنه نهاك الشيخ مكرمة وفخرًا<sup>(١)</sup>

وهذه امرأة ناهيك من امرأة؛ تُذَكَّرُ وتُنوَّثُ، وتُنثَى وتُجْمَعُ؛ لأنه اسمُ فاعل. وإذا قلت:  
 نهيك من رجل، كما تقول: حسبك من رجل؛ لم تُنثَ ولم تُجْمَعُ؛ لأنه مصدر. وتقول في  
 المعرفة: هذا عبدُ الله ناهيك من رجل؛ فتُنصِبُ «ناهيك» على الحال.

قوله: (والله تعالى قدّم هذا المعنى)، وهو أن إغواء الشيطان لم يكن إلا وسوسةً  
 وتسويلاً، لا قسراً وإلجاءً.

قوله: (أول شيء)، أي: أول قصة حكاها عن إبليس، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ  
 مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

(١) ذكره الجوهري في «الصحاح» (نهي) من غير عزو لأحد.

بأنفُسِهِمْ، هَوَىٰ مِنْهُمْ لِلْبَاطِلِ وَمَقْتًا لِلْحَقِّ، لَا بِقُوَّةٍ مِّنَّا عَلَى اسْتِكْرَاهِهِمْ وَلَا سُلْطَانٍ ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَانًا يَعْْبُدُونَ﴾ إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَيُطِيعُونَ شَهَوَاتِهِمْ. وَإِخْلَاءُ الْجُمْلَتَيْنِ مِنَ الْعَاطِفِ؛ لِكُونِهَا مُقَرَّرَتَيْنِ لِمَعْنَى الْجُمْلَةِ الْأُولَى.

[﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ \* وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ \* فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ٦٤-٦٦]

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ لَوْجِهِ مِنْ وُجُوهِ الْحَيْلِ يَدْفَعُونَ بِهِ الْعَذَابَ. أَوْ: لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُهْتَدِينَ مُؤْمِنِينَ، لَمَّا رَأَوْهُ. ....

قوله: (وَإِخْلَاءُ الْجُمْلَتَيْنِ مِنَ الْعَاطِفِ؛ لِكُونِهَا مُقَرَّرَتَيْنِ لِمَعْنَى الْجُمْلَةِ الْأُولَى)، إِحْدَاهُمَا: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾، وَثَانِيهَا: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَانًا يَعْْبُدُونَ﴾، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَدْ رَكِبْتُمْ صِمَاءَ مَعْضَلَةَ  
تَفْرِي الْبِرَاطِيلَ تَفْلُقُ الْحَجَرَ<sup>(١)</sup>

وَذَلِكَ أَنَّ الشُّرَكَاءَ لَمَّا سَمِعُوا: ﴿إِنَّ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تَبَرَّأُوا عَنْهُمْ بِقَوْلِهِمْ أَوْلَا: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾؛ أَي: غَوَوْا بِاخْتِيَارِهِمْ؛ لِأَنَّ إِغْوَاءَنَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا وَسوسةً وَتَسْوِيلًا لَا قَسْرًا، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ غَيْبِنَا وَغَيْبِهِمْ.

قوله: (﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ لَوْجِهِ مِنْ وَجُوهِ الْحَيْلِ يَدْفَعُونَ بِهِ الْعَذَابَ)، فَالْجَوَابُ مَحذُوفٌ، وَدَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ.

قوله: (أَوْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُهْتَدِينَ مُؤْمِنِينَ؛ لَمَّا رَأَوْهُ)، وَالْجَوَابُ أَيْضًا مَحذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾. وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُهْتَدِينَ فِي الدُّنْيَا لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ؛ فَقَوْلُهُ: «لَمَّا رَأَوْهُ» مُتَعَلِّقٌ بِالْوَجْهِ الثَّانِي، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْوَجْهِينِ.

(١) ذَكَرَهُ الزَّمخَشَرِيُّ فِي «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ» (بِرَطْلٍ) وَعِزَاهُ لِبَيْهَسٍ.



أَوْ تَمْتَنُوا لَوْ كَانُوا مُهْتَدِينَ. أَوْ تَحَيَّرُوا عِنْدَ رُؤْيِيهِ .....

قوله: (أَوْ تَمْتَنُوا لَوْ كَانُوا مُهْتَدِينَ)، وَلَدًا<sup>(١)</sup> «لو» معنى التمني لجامع الامتناع، ولم يَحْتَجَّ<sup>(٢)</sup> إلى الجواب. قَالَ صَاحِبُ «التقريب»: وفيه نظر؛ إِذْ حَقُّهُ أَنْ يُقَالَ: لَوْ كُنَّا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحِكَايَةِ؛ كَأَقْسَمَ لَيَضْرِبَنَّ، أَوْ عَلَى تَأْوِيل: وَلَوْ مُتَمَنِّينَ هِدَايَتَهُمْ.

قوله: (أَوْ تَحَيَّرُوا عِنْدَ رُؤْيِيهِ)، يعني وَضَعَ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ مَوْضِعَ «تَحَيَّرُوا لِرُؤْيِيهِ» عَلَى إِرَادَةِ التَّمْنِي؛ إِمَّا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ لَشِدَّةِ مَا رَأَوْا، أَوْ مِنْ اللَّهِ عَلَى الْمَجَازِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٣].

قَالَ الْمَصْنَفُ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ تَمْنِيًا لِإِيمَانِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلِيَتَّهَمُوا أَمَنُوا، وَعَلَى إِرَادَةِ التَّحَيَّرِ النِّظْمُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا حَوَّطُوا بِقَوْلِهِ: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُفِّرْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] وَالشُّرَكَاءُ أَظْهَرُوا الْبِرَاءَةَ مِنْهُمْ، ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ تَهَكُّمًا: أَيْنَ شُرَكَائِكُمْ؟ أَي: نَاصِرِكُمْ وَمُعِينِكُمْ، فَادْعُوهُمْ فَإِذَا دَعَوْهُمْ وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ قَدْ دَنَا؛ تَحَيَّرُوا وَبُهِتُوا وَلَحِقَهُمْ مَا لَا يُوصَفُ كُنْهَهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُقَالُ بِلِسَانِ الْحَالِ تَرَحُّمًا عَلَيْهِمْ: لِيَتَّهَمُوا كَانُوا مُهْتَدِينَ. فَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْمُسَبِّبِ عَلَى السَّبَبِ؛ لِأَنَّ تَحَيَّرَهُمْ سَبَبٌ حَامِلٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ. وَفِي قَوْلِهِ: «حَكَى أَوْلَا مَا يُؤْبِخُهُمْ» إِشْعَارًا بِهَذَا النِّظْمِ. قَالَ الْحَيْرِيُّ<sup>(٣)</sup>: فِي قَوْلِهِ: «لَوْ كَانُوا مُهْتَدِينَ فِي الدُّنْيَا؛ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ» نَظْرًا؛ لِأَنَّ الدَّالَّ عَلَى الْمَحْذُوفِ ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ وَهُوَ مُثَبَّتٌ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَدَّرَ الْمَحْذُوفُ مِنْفِيًّا. وَالصَّوَابُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ: لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ لَرَأَوْا الْعَذَابَ؛ أَي: لَوْ لَمْ يَكُونُوا ضَالِّينَ فِي الدُّنْيَا لَعَلِمُوا الْعَذَابَ مَوْجُودًا مَوْجُودًا. وَجَوَابُهُ سَبَقَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَتَّقُوا فَتَنَةَ لَا تُصِيبَنَّ﴾ [الأنفال: ٢٥] فِي مَسْأَلَةٍ: لَا تَدْنُ مِنَ الْأَسَدِ يَأْكُلُكَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: إِنْ دَنَوْتَ يَأْكُلُكَ؛ لِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ إِلَى الْمَعْنَى كُلِّ الْمِيلِ، حَتَّى إِنْهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى إِجْبَابِ اللَّفْظِ وَنَفْيِهِ.

(١) فِي النِّسْخَةِ «ف»: «وَوَكَّدَ».

(٢) فِي النِّسْخَةِ «ح» وَ(ط): يَحْتَجُّ.

(٣) الْإِمَامُ الْجَلِيلُ الْمَفْسَرُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ (ت ٤٣٠هـ) كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ وَهُوَ تَفْسِيرُ مَشْهُورٍ، وَكُتِبَتْ فِي الْقِرَاءَاتِ، وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا مَبَارِكًا، لَهُ تَرْجُمَةٌ حَسَنَةٌ فِي «طَبَقَاتِ الْمَفْسَّرِينَ» لِلْسِّيُوطِيِّ ص ٣٦، وَ«طَبَقَاتِ الْمَفْسَّرِينَ» لِلدَّوَوْدِيِّ (١: ١٠٦).

وَسَدِرُوا فَلَا يَهْتَدُونَ طَرِيقًا. حَكَى أَوْلَا مَا يُؤْبِخُهُمْ بِهِ مِنْ اتِّخَاذِهِمْ لَهُ شُرَكَاءَ، ثُمَّ مَا يَقُولُهُ الشَّيَاطِينُ أَوْ أَيْمَتُّهُمْ عِنْدَ تَوْبِيخِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا وَبَّخُوا بِعِبَادَةِ الْآلِهَةِ، اعْتَذَرُوا بِأَنَّ الشَّيَاطِينَ هُمُ الَّذِينَ اسْتَعْوَوْهُمْ وَزَيَّنُوا لَهُمْ عِبَادَتَهَا، ثُمَّ مَا يُشْبِهُ الشَّهَادَةَ بِهِمْ مِنْ اسْتِغَاثَتِهِمْ آلِهَتَهُمْ وَخِذْلَانِهِمْ لَهُمْ، وَعَجْزُهُمْ عَنِ نُصْرَتِهِمْ، ثُمَّ مَا يُيَكِّنُونَ بِهِ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ وَإِزَاحَةِ الْعِلَلِ ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ فَصَارَتِ الْأَنْبَاءُ كَالْعَمَى عَلَيْهِمْ جَمِيعًا لَا تَهْتَدِي إِلَيْهِمْ ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لَا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا يَتَسَاءَلُ النَّاسُ فِي الْمُسْكِلاتِ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَسَاوَوْنَ جَمِيعًا فِي عَمَى الْأَنْبَاءِ عَلَيْهِمْ

قوله: (وَسَدِرُوا)، الجوهري: السادر: المتحير، والسدر: تحيّر البصر.

قوله: (حكى أولاً)، يعني قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ الآية، وقوله: «ثم ما يقوله الشياطين» يعني به قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الآية، وقوله: «ما يشبه الشهادة»؛ أي قوله: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ وهو كما يقول لمن استظهر بغيره في النصرة واعتمد عليه ثم خذله عند الحاجة إليه: ادع ناصرك ينصرك، وقوله: «ثم ما ييكتون به»، أي: قوله ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾.

قوله: (لأنهم إذا وَّبَّخُوا بعبادة الآلهة)، تعليل لتقديم حكاية الله ما يؤبِّخُهُمْ بِهِ، وهو: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ على حكاية ما تقوله الشياطين؛ وهو قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾.

قوله: (فصارت الأنباء كالعَمَى)، هذا التشبيه إشارة إلى أن «الأنباء» في قوله: ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ استعارة مكنية، يدل عليه قوله: «لا تهتدي إليهم». قال القاضي: أصله: فعموا عن الأنباء؛ لكنه عكس مبالغة، يريد أنه من باب القلب؛ كقوله:

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ<sup>(١)</sup>

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٠١) والبيت المذكور لأبي تمام في «ديوانه» ص ١٤٠، وتمام البيت:

وأزى الجنى اشتارته أيد عواسل

والعجزِ عنِ الجواب. وقرئ: (فَعُمِّيَتْ)، والمرادُ بالنبأ: الخبرُ عما أجابَ به المرسلُ إليه رسوله، وإذا كانتِ الأنبياءُ هُولَ ذلك اليومِ يتتَعَتَعُونَ في الجوابِ عن مثلِ هذا السؤالِ، ويُفَوِّضُونَ الأمرَ إلى علمِ الله، وذلك قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] فما ظنك بالضلالِ من أُمهم.

﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ [٦٧]

﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ ﴾ من المُشْرِكِينَ مِنَ الشُّرْكِ، وَجَمَعَ بَيْنَ الإِيَابِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ﴿ فَعَسَىٰ أَنْ ﴾ يُفْلِحَ عِنْدَ اللَّهِ، و﴿ وَعَسَىٰ ﴾ من الكِرَامِ تَحْقِيقًا. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: تَرْجِي التَّائِبِ وَطَمَعُهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَلِيَطْمَعُ أَنْ يُفْلِحَ.

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٦٨]

الْخِيَرَةُ مِنَ التَّخْيِيرِ، كَالطَّيْرَةِ مِنَ التَّطْيِيرِ: تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى: الْمَصْدَرِ وَهُوَ التَّخْيِيرُ، وَبِمَعْنَى: الْمُتَخَيَّرِ كَقَوْلِهِمْ: مُحَمَّدٌ خَيْرُهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ.

قوله: (يتتعتعون)، النهاية: في الحديث: «يقرأ القرآن ويتتعتع فيه»<sup>(١)</sup>، أي: يتردد في قراءته ويتبلد فيها لسانه.

قوله: (الخيرة من التخير)، النهاية: الخير ضد الشر؛ تقول منه: خرت يا رجل؛ فانت خاير، وخير. وخار الله لك؛ أي: أعطاك ما هو خير لك. والخيرة - بسكون الياء - الاسم منه، والخيرة - بالفتح - الاسم من قولك: اختاره الله، ومحمد ﷺ خيرة الله من خلقه؛ تُقال بالفتح والسكون.

(١) وهو ثابت في «الصحيح»، أخرجه مسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخَيْرَةُ﴾ بيان لقوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾؛ لأنَّ معناه: ويختارُ ما يشاء، ولهذا لم يدخلِ العاطف. والمعنى: أنَّ الخَيْرَةَ لله تعالى في أفعاله، وهو أعلمُ بوجوهِ الحكمةِ فيها، ليسَ لأحدٍ من خلقه أن يختارَ عليه. قيل: السَّبَبُ فيه قولُ الوليدِ بنِ المُغيرة: ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيْبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: لا يبعثُ الله الرُّسُلَ باختيارِ المرسلِ إليهم. وقيل: معناه: ويختارُ الذي لهم فيه الخَيْرَةُ، أي: يختارُ للعبادِ ما هو خيرٌ لهم وأصلح، وهو أعلمُ بمصالحهم من أنفسهم،

قوله: (وقيل: معناه: ويختارُ الذي لهم فيه الخَيْرَةُ)، عطفٌ على قوله: ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخَيْرَةُ﴾ بيان لقوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾. و﴿مَا﴾ على الأوَّلِ نافية؛ لا ينبغي لأحدٍ من خلقه أن يختارَ عليه؛ فيكون تفسيراً لقوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾؛ لأنَّ معناه: يختارُ ما يشاء؛ لعطفه على ﴿يَخْلُقُ﴾. قال مكِّي بنُ أبي طالب: و﴿مَا﴾ على أن تكونَ موصولةً ليسَ بمختارٍ؛ لأنه لا عائدٌ يعودُ على ﴿مَا﴾، وهو أيضاً بعيدٌ في المعنى والاعتقاد؛ لأنَّ كونها للنفي يوجبُ أن يعَمَّ جميعَ الأشياء، وأنها حدثتْ بقدرةِ الله واختياره، وليسَ للعبد فيها شيءٌ غيرُ اكتسابه بقدرِ من الله. وكونها موصولةً لم يعَمَّ جميعَ الأشياء؛ فإنها مختارةٌ لله تعالى؛ بل إنه تعالى يختارُ ما لهم فيه الخَيْرَةُ وما ليسَ لهم فيه خَيْرَةٌ موقوفة، وهو مذهبُ القَدَرِيَّةِ والمعتزلة<sup>(١)</sup>.

وقيل: معنى الآية: وربُّكَ يا محمد يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ لولايتهِ ورسالتهِ من يريد. ثمَّ ابتدأ بنفي الاختيارِ عن المشركين، وأنه لا قدرةَ لهم؛ فقال: ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخَيْرَةُ﴾ أي: ليسَ الولايةُ والرسالةُ وغيرُ ذلكَ باختيارهم ولا بمُرادهم.

وقال القاضي: فظاهرةُ نفي الاختيارِ عنهم رأساً، والأمرُ كذلكَ عند التحقيق؛ فإنَّ اختيارَ العبادِ مخلوقٍ باختيارِ الله، منوطٌ بدواعٍ لا اختيارَ هم فيها<sup>(٢)</sup>.

وقلتُ: والذي يقتضيه النظمُ هذا؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿كَمْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾، وأحوالُ الشركاءِ

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٤٧).

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٠١).

من قولهم في الأمرين: ليس فيها خيرة لمختار. فإن قلت: فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما موصولة؟ قلت: أصل الكلام: ما كان لهم فيه الخيرة، فحذف (فيه) كما حذف منه في قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] لأنه مفهوم. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: الله بريء من إشراكهم، وما يحملهم عليه من الجرأة على الله، واختبارهم عليه ما لا يختار.

[﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ \* وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٦٩-٧٠]

﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ من عداوة رسول الله وحسده ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من مطاعينهم فيه، وقولهم: هلا اختير عليه غيره في النبوة.

مستطردة بينهما لذكر الإحضار، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ كالتذليل، وبيان أنه هو الذي يخلق ما يشاء؛ يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ليس لأحد أن يتصرف في ملكه ويشاركه في خلقه. ولهذا ختمه بقوله ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ويدخل في هذا العام حديث سبب النزول أيضًا.

قوله: (من قولهم في الأمرين: ليس فيها خيرة لمختار)، يعني: إذا جعل ﴿مَا﴾ موصولة والمراد المتخير؛ فلا بد من وجود شيئين ليختار أحدهما من الآخر. والمثال يحتمل وجهين: أحدهما أن الأمرين مختاران فليس لأحد أن يترك أحدهما ويختار الآخر، وأنها سيان في الكراهة؛ فليس فيها مختار يختاره المختار.

قوله: (واختيارهم عليه)، قيل: هو عطف على «ما» في «وما يحملهم»، أو على الضمير المجرور في «عليه»؛ أي: الله بريء مما يحملهم على إشراكهم وعلى اختيارهم على الله ما لا يختار؛ نحو: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]. وقلت: ويجوز أن يكون عطفًا على «الجرأة على الله» على سبيل التفسير؛ لأن اختيارهم على الله ما لا يختار جرأة على الله من قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ وهو المُستأثرُ بالإلهية المُختصُّ بها، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقريرٌ لذلك، كقولك: الكعبةُ القبلة، لا قبلةَ إلا هي. فإن قلت: الحمدُ في الدنيا ظاهرٌ فما الحمدُ في الآخرة؟ قلت: هو قولهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] والتَّحْمِيدُ هناك على وجهِ اللذة لا الكُلفة. وفي الحديث: «يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَ» ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء بين عباده.

[﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ \* وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٧١-٧٣]

قوله: (المستأثرُ بالإلهية)، يُقال: استأثر بكذا: اختصَّ به واستبد، والاسم: الأثرة بالتحريك.

النهاية: الاستثثار: الانفرادُ بالشيء. وإفادة التركيبِ هذا المعنى مِنْ جَعَلِ اسْمِ ﴿اللَّهُ﴾ خبراً لـ ﴿وَهُوَ﴾؛ ولهذا كان ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقريراً له.

قوله: (وفي الحديث: «يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ»)، الحديثُ مِنْ روايةِ مُسلمٍ وأبي داودَ عن جابرٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَفَلَوْنَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ» قالوا: فما بألِّ الطعام؟ قال: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ»<sup>(١)</sup>.

النهاية: الإلهامُ: أَنْ يُلْقِي اللهُ فِي النَّفْسِ أَمْرًا يَبْعَثُهُ عَلَى الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْوَحْيِ.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) وأبو داود (٤٧٤٣) وغيرهما.

﴿أَرَيْتَهُ﴾ وقرئ: (أرئيتم): بحذف الهمزة، وليس بحذف قياسي. ومعناه: أخبروني من يقدر على هذا؟ والسرمد: الدائم المتصل، من السرد وهو المتابعة. ومنه قولهم في الأشهر الحرم: ثلاثة سرد، وواحد فرد، والميم مزيدة. ووزنه (فَعْمَل). ونظيره. دَلَامِصٌ؛ مِنَ الدَّلَاصِ. فإن قلت: هلا قيل: بنهارٍ تتصرَّفون فيه،.....

قوله: (وقرئ: «أرئيتم» بحذف الهمزة)، الكسائي<sup>(١)</sup>.

قوله: (ومنه قولهم في الأشهر الحرم)، الجوهري: قيل لأعرابي: تعرف الأشهر الحرم؟ قال: نعم، ثلاثة سردٌ وواحدُ فرد؛ فالسرد: ذو القعدة، ذو الحجة، والمحرم. والفرد: رجب.

قوله: (دَلَامِصٌ؛ مِنَ الدَّلَاصِ)، الجوهري: الدَلِيسُ والدَّلَاصُ: البراق؛ يُقال: درعٌ دِلاصٌ، وأذرعٌ دِلاصٌ. والدَلَامِصُ: البراق والميم زائدة.

قوله: (هلا قيل: بنهارٍ تتصرَّفون فيه - أي: بدلَ قوله: ﴿بِضِيَاءٍ﴾ - كما قيل: ﴿بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾)، يريد أن الآيتين متقابلتان؛ ففي الثانية جيء بقوله: ﴿بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ وهو مطابق لسائر الآيات؛ فلم عدل في الأول عن الظاهر إلى خلافه؟ وأجاب عنه أنه إنما وُضِعَ ﴿بِضِيَاءٍ﴾ موضع «بنهارٍ تتصرَّفون فيه»، والضياء ضوء الشمس؛ لقوله تعالى: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ [يونس: ٥]، ليؤذن بأن منافع النهار ليست مقصورة على التصرف؛ فإن منافعها متكاثرة، ولهذا لا يطلع عليه كل أحد؛ كأنه قيل: أتيناكم بضياء الشمس؛ ليتسهل لكم جميع ما تفتقرون إليه من التصرف في المعاش وغيره. ولهذا أتى بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ تميمًا لهذا المعنى؛ لأن مدرك السمع أكثر من مدرك البصر، واستفادة العقل من السمع أجل من استفادته من البصر، وبقوله: ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ تميمًا لذلك؛ لأن أعظم فوائد الليل الهدوء فيه والسكون، ولهذا صرح به في الآية، وهو شيء قليل؛ ولهذا يطلع عليه كل أحد، والناس في إدراكه بالبصر مستونون.

فإن قلت: فلم لم يقل: بظلام؟ قلت: لأنه وإن لم يؤهم أن فائدة الليل متكاثرة؛ إذ كل أحد يعلم فائدته، لكنه بما يكرهه الطبع ويتنفر عنه، بخلاف الضوء؛ فإنه نعمة في ذاته،

(١) انظر: «حجة القراءات» ص ٢٥٠.

مقصودٌ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ الَّذِي أَبْعَدَ مِنَ التَّكْلِيفِ أَنْ يُجْعَلَ ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ تذييلًا للتوبيخ الذي يعطيه قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ﴾ إلى آخره، وكذا في الثانية - على ما في «المعالم»: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماعٌ فهمٍ وقبول، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه مِنَ الخطأ. تَمَّ كَلَامُهُ<sup>(١)</sup> - لِيَجْتَمِعَ لَهُمُ الصَّمَمُ وَالْعَمَى مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْ سَمَاعِ الْبِرَاهِينِ، وَالْإِغْمَاضِ عَنْ رُؤْيَةِ الشُّوَاهِدِ.

وَلَمَّا كَانَتْ اسْتِدَامَةُ اللَّيْلِ أَشَقَّ مِنَ اسْتِدَامَةِ النَّهَارِ؛ لِأَنَّ النَّوْمَ الَّذِي هُوَ أَجَلُ الْغُرُضِ فِيهِ شَبِيهٌ بِالْمَوْتِ، وَالْإِبْتِغَاءُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ بَعْضُ فَوَائِدِ النَّهَارِ شَبِيهٌ بِالْحَيَاةِ، قَبِيلٌ فِي الْأُولَى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ أَي: سَمَاعٌ فَهْمٌ، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَأِ؛ لِيُطَابِقَ كُلٌّ مِنَ التَّذْيِيلَيْنِ الْكَلَامَ السَّابِقَ مِنَ التَّشْدِيدِ وَالتَّوْبِيخِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَخْبِرُونِي إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ؛ أَفَلَا تَسْمَعُونَ مِثْلَ هَذِهِ الدَّلَائِلِ الْبَاهِرَةِ وَالنُّصُوصِ الْمَتَظَاهِرَةِ لِتَعْرِفُوا أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؟ وَأَخْبِرُونِي إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ الشُّوَاهِدَ الْمَنْصُوبَةَ الدَّالَّةَ عَلَى الْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ لِتَقْفُوا عَلَى أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ؟ وَفِيهِ أَنْ دَلَالَةَ النَّصِّ أَوْلَى وَأَقْدَمُ مِنَ الْعَقْلِ.

وَقَالَ الرَّاعِبُ فِي «عُرَّةِ التَّنْزِيلِ»: إِنْ نَسَخَ اللَّيْلُ بِالنَّيْرِ الْأَعْظَمِ أَبْلَغُ فِي الْمَنَافِعِ وَأَضْمَنُ لِلْمَصَالِحِ مِنْ نَسَخِ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْجَنَّةَ نَهَارًا دَائِمًا لَا لَيْلَ مَعَهُ؟ لِأَنَّ اللَّيْلَ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ لِلِاسْتِرَاحَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِالْجِمَامِ وَالرَّاحَةِ عَلَى مَا يَلْزَمُ مِنَ الْكُلْفِ الْمُتَعَبَةِ وَالْمَشَاقِّ الْمُنْصِبَةِ، وَدَارِ النِّعَمِ يُسْتَعْنَى فِيهَا عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى سَبِيلِ الْمَشْتَهَى وَعَلَى مَا تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَتَهْوَى الْأَنْفُسُ؛ فَتَقْدِيمُ ذِكْرِ اللَّيْلِ لِانْكَشَافِهِ عَنِ النَّهَارِ الَّذِي يُمَكِّنُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْمَعَاشِ بِالسَّعْيِ فِي الْمَصَالِحِ إِلَى مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً مِنَ الْمَنَافِعِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالشَّمْسِ أَحَقُّ وَأَوْلَى<sup>(٢)</sup>.

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٢١٩).

(٢) «درّة التنزيل وعرّة التأويل» للخطيب الإسكافي (٢: ٩٣٣-٩٣٤)، وقد اختلفت في نسبة هذا الكتاب، أهو للخطيب الإسكافي أم للراغب؟ والمؤلف ينقل عنه في مواضع وينسبه للراغب، وانظر: مقدمة الدكتور محمد آيدين في تحقيقه للكتاب، حيث صحّح نسبته للخطيب، وأيد ذلك بدراسة وافية.



كما قيل: ﴿بَلِيلِ تَسْكُونٍ فِيهِ﴾؟ قلت: ذَكَرَ الضَّيَاءَ وهو ضَوْءُ الشَّمْسِ؛ لأنَّ المَنَافِعَ التي تتعلَّقُ به مُتَكَثِرَةٌ، ليس المُتَصَرِّفُ في المعاشِ وحده، والظَّلَامُ ليس بتلك المَنزِلَةِ، ومن ثمَّ قرنَ بالضَّيَاءِ ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؛ لأنَّ السَّمْعَ يُدْرِكُ ما لا يُدْرِكُهُ البَصْرُ من ذِكْرِ مَنَافِعِهِ ووصفِ فوائده، وقرنَ باللَّيْلِ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛ لأنَّ غيرَكَ يُبْصِرُ من مَنفَعَةِ الظَّلَامِ ما تُبْصِرُهُ أنت؛ من السُّكُونِ ونحوه ﴿وَمَنْ رَحِمْتَهُ﴾: زَواجَ بَيْنِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، لأغراضٍ ثلاثة: لتسكُنوا في أحدهما وهو اللَّيْلِ، ولتبتغُوا من فضلِ الله في الآخرِ وهو النَّهَارِ، ولإرادةِ شُكْرِكُمْ.

[﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ٧٤]

ومعنى قوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾: أفلا تسمعون سماعَ مَنْ يتدبَّرُ المسموعَ ليستدركَ مِنْهُ قَصْدَ القائلِ، ويحيطُ بأكثرِ ما جعلَ الله في النهارِ مِنَ المَنافعِ، أم أنتم صُمٌّ عن سماعِ ما ينفَعُكُمْ؟ وقوله: ﴿يَأْتِيَكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُونُ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ معناه: أفلا تستدركونَ مِنْ ذَلِكَ ما يجبُ استدراكُه؟ فإنَّ عَقِيبَ السماعِ استدراكُ المرءِ المرادِ بالمسموعِ إذا كانَ هناكَ تدبُّرُ له وتفكُّرٌ فيه، ولم يجعلهُ السامعُ دبرَ أُذُنِهِ، والله أعلم.

قوله: (زَواجَ بَيْنِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ)، يُروى بالراءِ والحاءِ المهملة، و«زَواجٍ» بالزايِ والجيمِ.

الجوهري: المَراوِحَةُ في العملين: أنْ تعملَ هذا مرَّةً وهذا مرَّةً، وتقول: راوَحَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ؛ إذا قامَ على إحداهما مرَّةً وعلى الأخرى مرَّةً.

النهاية: وفي الحديثِ أَنَّهُ ﷺ كانَ يُراوِحُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ؛ لِطَوْلِ القيامِ<sup>(١)</sup>. أي: يعتمدُ على إحداهما مرَّةً وعلى الأخرى مرَّةً؛ ليُوصِلَ الرَاحَةَ إلى كُلِّ مَنها. ومنهُ حديثُ ابنِ مسعودٍ أَنَّهُ أبصرَ رجلاً صافاً قَدَمَيْهِ؛ فقال: لو راوَحَ كانَ أَفْضَلَ<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٥) وابن ماجه (١٣٤٥) من حديثِ أوس بن حذيفة.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٦٧) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٢٤٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢: ٢٨٨).

وقد سُلِّكت بهذه الآية طريقة اللَّفِّ في تكريرِ التَّوْبِيخِ؛ بِاتِّخَاذِ الشَّرْكَاءِ: إِذْبَانُ بَأَنْ لَا شَيْءَ أَجْلَبُ لِعُضْبِ اللَّهِ مِنَ الْإِسْرَاقِ بِهِ، كَمَا لَا شَيْءَ أَدْخَلَ فِي مَرْضَاتِهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ. اللَّهُمَّ فَكَمَا أَدْخَلْتَنَا فِي أَهْلِ تَوْحِيدِكَ، فَأَدْخِلْنَا فِي النَّاجِينَ مِنْ وَعِيدِكَ.

[﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [٧٥]

﴿ وَنَزَعْنَا ﴾: وَأَخْرَجْنَا، ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ وهو نبيُّهم: لِأَنَّ أَنْبِيَاءَ الْأُمَّمِ شُهَدَاءٌ عَلَيْهِمْ، يَشْهَدُونَ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ ﴿ فَقُلْنَا ﴾ لِلْأُمَّةِ ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ فِيمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ وَمُخَالَفَةِ الرَّسُولِ ﴿ فَعَلِمُوا ﴾ حِينَئِذٍ ﴿ أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ وَلِرَسُولِهِ، لَا لَهُمْ وَلِشَاطِينِهِمْ ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ ﴾ وَغَابَ عَنْهُمْ غَيْبَةَ الشَّيْءِ الضَّائِعِ ﴿ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ مِنَ الْكُذْبِ وَالْبَاطِلِ.

قوله: (في تكريرِ التَّوْبِيخِ بِاتِّخَاذِ الشَّرْكَاءِ)، يريد: كَرَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ بَعَيْنِهَا قُبَيْلَ هَذِهِ لِتَوْكِيدِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ وَتَقْرِيرِهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ جُعِلَ خَاتِمَةً لِلآيَاتِ وَتَخْلُصًا إِلَى قِصَّةِ قَارُونَ. وَفِي صَحِيفَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَا أَحْسَنُ الْأَشْيَاءِ وَمَا أَقْبَحُ الْأَشْيَاءِ؟ قَالَ سُلَيْمَانُ: أَحْسَنُ الْأَشْيَاءِ الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ بَعْدَ الشَّرْكِ، وَأَقْبَحُ الْأَشْيَاءِ الْكُفْرُ بَعْدَ التَّوْحِيدِ. قَالَ الْقَاضِي: الْأَوَّلُ لِتَقْرِيرِ فِسَادِ رَأْيِهِمْ، وَالثَّانِي لِبَيَانِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ سَنَدٍ؛ وَإِنَّمَا كَانَ مَحْضَ تَشَنُّعٍ وَهَوَى<sup>(١)</sup>.

قوله: (فَكَمَا أَدْخَلْتَنَا) الْفَاءُ جَوَابٌ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهُ؛ أَيْ: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ فَأَدْخَلْنَا. وَالْفَهْمُ مَعْتَرِضٌ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

قوله: (وَوَاحٍ عَنْهُمْ غَيْبَةَ الشَّيْءِ الضَّائِعِ)، أَيْ: ﴿ ضَلَّ ﴾ مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى غَابَ؛ فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الْغَيْبَةُ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ إِحْضَارُ مَا غَابَ وَأَنَّهُ كَالشَّيْءِ الضَّائِعِ؛ قِيلَ: ضَلَّ. الْأَسَاسُ: وَمِنْ الْمَجَازِ: ضَلَّ عَنْ كَذَا: ضَاعَ.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٠٢).

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ وَءَايَاتُهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۗ وَاتَّبَعَ فِيمَاءَ اتَّكَفَأَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَتَسَوَّىٰ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۗ﴾ القصص: ٧٦-٧٧

﴿قُرُونٌ﴾ اسمٌ أعجميٌّ مثل هرون، ولم ينصرف للُعجمة والتعريف، ولو كان (فاعولاً) من قَرَنَ لانصرف. وقيل: معنى كونه من قومه أنه آمن به. وقيل: كان إسرائيلياً ابن عمِّ لموسى: هو قارون بنُ يَصْهَرَ بنِ قَاهَتْ بنِ لاوي بنِ يعقوب. وموسى بنُ عمران بنِ قَاهَتْ. وقيل: كان موسى ابنَ أخيه، وكان يُسَمَّى الْمُنَوَّرَ لِحُسْنِ صُورَتِهِ، وكان أقرأ بني إسرائيل للتَّوراة، ولكنَّهُ نَافِقٌ كَمَا نَافَقَ السَّامِرِيُّ وَقَالَ: إِذَا كَانَتِ النَّبُوءَةُ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْمَذْبُوحُ وَالقُرْبَانُ إِلَىٰ هَرُونَ فَمَا لِي؟ وَرُوي: أَنَّهُ لَمَّا جَاوَزَ بِهِم مُوسَىٰ الْبَحْرَ، وَصَارَتِ الرِّسَالَةُ وَالْحُبُورَةُ لِهَرُونَ يَقْرُبُ القُرْبَانَ، وَيَكُونُ رَأْسًا فِيهِمْ، وَكَانَ القُرْبَانُ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَجَعَلَهُ مُوسَىٰ إِلَىٰ أَخِيهِ؛ وَجَدَّ قَارُونَ فِي نَفْسِهِ وَحَسَدَهُمَا، فَقَالَ لِمُوسَىٰ: الْأَمْرُ لَكُمْ وَلَسْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ، إِلَىٰ مَتَىٰ أَصْبِرُ؟ قَالَ مُوسَىٰ: هَذَا صُنِعَ اللَّهُ. قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَصْدَقُكَ حَتَّىٰ تَأْتِيَ بِآيَةٍ، فَأَمَرَ رُؤْسَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَجِيءَ كُلُّ وَاحِدٍ بِعَصَاهُ، فَحَزَمَهَا وَأَلْقَاهَا فِي القُبَّةِ الَّتِي كَانَ الوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِيهَا، وَكَانُوا يَحْرُسُونَ عَصِيَّتَهُم بِاللَّيْلِ، فَأَصْبَحُوا وَإِذَا بِعَصَا هَرُونَ تَهْتَزُّ وَلَهَا وَرَقٌ أَخْضَرُ،

قوله: (والحبورة)، في الحاشية: الحبورة: الإمامة، وهي مصدرُ الحَبْر؛ يُقال: حَبَرَ الرَّجُلُ حُبُورَةً.

قوله: (وَجَدَّ [قَارُونَ] فِي نَفْسِهِ)، أي: حَزِنَ. الجوهري: وَجَدَّ فِي الحُزْنِ وَجَدًّا بِالْفَتْحِ، وَوَجَدَّ فِي المَالِ وَجَدًّا؛ أَي: اسْتَغْنَى.

قوله: (فَحَزَمَهَا)، الجوهري: حَزَمْتُ الشَّيْءَ حَزْمًا؛ إِذَا شَدَّدْتَهُ، وَالْحَزْمُ: ضَبَطُ الرَّجُلِ أَمْرَهُ وَأَخَذَهُ بِالثَّقَةِ.

وكانت من شجر اللوز، فقال قارون: ما هو بأعجب مما تصنع من السحر ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: من البغي؛ وهو الظلم. قيل: ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم. وقيل: من البغي وهو الكبر والبذخ: تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده. وقيل: زاد عليهم في الثياب شبراً. المفاتيح: جمع مفتاح بالكسر: وهو ما يفتح به. وقيل هي الخزائن، وقياس واحدتها: مفتاح بالفتح. ويقال: ناء به الحمل، إذا أثقله حتى أماله. والعصبة: الجماعة الكثيرة، والعصاة مثلها. واعصو صبوا: اجتمعوا. وقيل: كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً، لكل خزانة مفتاح، ولا يزيد المفتاح على أصبع، وكانت من جلود. قال أبو رزين: يكفي الكوفة مفتاح، وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ: الكنوز، والمفتاح، والنوء، والعصبة، وأولي القوة. وقرأ بدليل بن ميسرة: لينوء بالياء. ووجهه أن يفسر المفاتيح بالخزائن، ويعطيها حكم ما أضيفت إليه للملاسة والاتصال، كقولك: ذهبت أهل

قوله: (تبذخ عليهم بكثرة ماله)، الأساس: ومن المجاز: تبذخ فلان: تطاول، وهو بذاخ وفيه بذخ.

قوله: (أبو رزين)، «جامع الأصول»: هو أبو رزين العقيلي، صحابي، واسمه لقيط بن عامر، رزين: بفتح الراء وكسر الزاي وسكون الياء وتحتها نقطتان<sup>(١)</sup>.

قوله: (يكفي الكوفة مفتاح)، قيل: معناه: يكفي الكوفة كنز واحد من كنوزه مع كثرة أهل الكوفة.

قوله: (ووجهه أن يفسر المفاتيح بالخزائن)، قيل: إنما يفسر بالخزائن ليكون متصلاً بالكنوز المرادة بما في قوله: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾؛ فيكتسب منه التذكير كما يكتسب المضاف من المضاف إليه التأنيث في مثل قولهم: ذهبت أهل اليمامة. وأما إذا فسر بجمع «المفتاح» بالكسر، وهو ما يفتح به؛ فلا يكون متصلاً به؛ لأن المفتاح لا يكون متصلاً بالكنوز، وإذا لم يكن متصلاً به لا يكتسب منه التذكير بإضافته إليه كما يكتسب الاسم التأنيث بمثل هذه الإضافة؛ لأن اتصال الظرف بالمظروف أمس من اتصال المفتاح بالكنوز.

(١) «تنمة جامع الأصول» (٢: ٥٢٢).

اليمامة. ومحلُّ إذْ منصوبٌ بتنوء. ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ كقولهِ: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] وقولُ القائلِ:

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّني

وقال ابنُ جني: ذهب بالتذكير إلى ذلك القدرِ والمبلغ؛ فلاحظ معنى الواحدِ فحمل عليه. ونحوه قولُ الراجز:

مثلُ الفِراخِ ننتفت حواصله

أي: حواصل ذلك أو حواصل ما ذكرنا<sup>(١)</sup>.

وقلت: هذا أولى وأنسب للقراءة المشهورة؛ لأن المراد أن مفاتح خزائنه هي التي لتنوء بالجماعة من الناس، لا الخزائن، على أن الخزائن نفسها لا تثقل بالعضبة. وإن أُريدَ به الأموال فيؤدِّي إلى خلاف المراد من المبالغة، ويلزم منه إضافة الأموال إلى الكنوز. قال أبو البقاء: ﴿ما﴾ بمعنى: الذي، في موضع نصب بـ «آتينا»، و«إن» واسمها وخبرها صلة «الذي»؛ ولهذا كسرت «إن»، والباء في «بالعضبة» معديةٌ معاقبةٌ للهمزة في «آتاته»، يُقال: آتأته ونؤت به، والمعنى: لتنيء؛ أي: تثقل العضبة. وقيل: هي على القلب؛ أي: لتنوء به العضبة<sup>(٢)</sup>.

قال صاحب «الكشف»: «وَصَلَّتْ» ﴿ما﴾ هاهنا بـ «إن» و«كسرت» «إن» لأن الموصولة تُوصَلُ بكلتا الجملتين الاسمية والفعلية<sup>(٣)</sup>.

قوله: (ولست بمفراح إذا الدهر سرني)، تمامه:

ولا جازع من صرْفِهِ المتقلب<sup>(٤)</sup>

(١) «المحتسب» (٢: ١٥٢).

(٢) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٢٥).

(٣) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ١٠٣٠).

(٤) هذا بيتٌ مختلفٌ في نسبه، فهو في «بجاز القرآن» (٢: ١١١) لهذبة بن خنرم، وقيل: هو لتأبط شراً، وقيل غير ذلك.

وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن. وأما من قلبه إلى الآخرة، ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب، لم تحدثه نفسه بالفراح. وما أحسن ما قال القائل:

أشد الغم عندي في سرور  
تيقن عنه صاحبه انتقالا

﴿وَابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من الغنى والثروة ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تفعل فيه أفعال الخير؛ من أصناف الواجب والمندوب إليه، وتجعله زادك إلى الآخرة ﴿وَلَا تَسْكَنْ نِصِيكَ﴾ وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أو: أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن إليك. والفساد في الأرض: ما كان عليه من الظلم والبغي. وقيل: إن القائل موسى عليه السلام. وقرئ: (وأتبع).

[﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَن دُونِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٧٨]

البيت ينظر إلى قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾

[الحديد: ٢٣].

قوله: (أشد الغم عندي في سرور) البيت<sup>(١)</sup>، يقول: السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه هو أشد الغم؛ لأنه يُراعى وقت زواله فينتفض كلما ذكر زواله. وروي: والذي نفس محمد بيده، إن ما أوتيت من الدنيا كإناخة ناقة؛ فعلام تفرحون، وإلام تنتظرون؟ والله درُّ القائل:

إنما الدنيا كظلل زائل  
أو كضيف نازل ثم ارتحل<sup>(٢)</sup>

(١) للمتنبي في «ديوانه» بشرح الواحدي (١: ١١١).

(٢) هو في «ديوان علي بن أبي طالب» ص ١١٧.

﴿عَلَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: على استحقاق واستيجاب؛ لما في من العلم الذي فَضَّلْتُ به الناس؛ وذلك أَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ بني إِسْرَائِيلَ بِالتَّوْرَةِ. وقيل: هو عِلْمُ الكِيمِيَاءِ. عن سعيد بن المُسَيَّبِ: «كَانَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُ عِلْمَ الكِيمِيَاءِ، فَأَفَادَ يُوْشَعَ بْنَ نُونٍ ثُلُثَهُ، وَكَالِبَ بْنَ يُوْفَنَّا ثُلُثَهُ، وَقَارُونَ ثُلُثَهُ، فَحَدَّعَهَا قَارُونَ حَتَّىٰ أَضَافَ عِلْمَهُمَا إِلَىٰ عِلْمِهِ، فَكَانَ يَأْخُذُ الرَّصَاصَ وَالنُّحَاسَ فَيَجْعَلُهَا ذَهَبًا». وقيل: عَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ عِلْمَ الكِيمِيَاءِ، فَعَلَّمَهُ مُوسَىٰ أُخْتَهُ، فَعَلَّمَتْهُ أُخْتُهُ قَارُونَ. وقيل: هو بَصْرُهُ بِأَنْوَاعِ التَّجَارَةِ وَالدَّهْقَنَةِ وَسَائِرِ المَكَاسِبِ. وقيل: ﴿عِنْدِي﴾ معناه: في ظنِّي، كما تقولُ الأَمْرُ عِنْدِي

قوله: ﴿عَلَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: على استيجاب واستحقاق<sup>(١)</sup> قَالَ القَاضِي: ﴿عَلَىٰ عَلَيْهِ﴾ في مَوْضِعِ الحَالِ، وَ﴿عِنْدِي﴾ صِفَةٌ لِلْعِلْمِ<sup>(٢)</sup>، وَإِلَىٰ هَذَا أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «عَلَىٰ اسْتِحْقَاقٍ لِمَا فِي مَنِ العِلْمِ الَّذِي فَضَّلْتُ بِهِ النَّاسَ».

قوله: (هُوَ عِلْمُ الكِيمِيَاءِ)، قَالَ الزَّجَاجُ: هَذَا لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الكِيمِيَاءَ بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ<sup>(٣)</sup>. وَقُلْتُ: لَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ قَبِيلِ المَعْجَزَةِ.

قوله: (وَقِيلَ: ﴿عِنْدِي﴾ معناه: في ظنِّي)، قَالَ القَاضِي: وَعَلَىٰ هَذَا ﴿عِنْدِي﴾ يَتَعَلَّقُ بِ﴿أَوْيْتُهُ﴾ صِلَةٌ لَهُ؛ كَقَوْلِكَ: جَازَ هَذَا عِنْدِي؛ أَي: فِي ظَنِّي وَاعْتِقَادِي<sup>(٤)</sup>. وَعَنْ بَعْضِهِمْ: عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُ القَائِلِ:

وَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ لَكُمْ عِنْدُ؟<sup>(٥)</sup>

وكلمة «عِنْدَ» بَيَانُ الحُكْمِ؛ كما تقول: هَذَا عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ؛ أَي: فِي حُكْمِهَا.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ الخَطِيئَةِ، وَفِي «الْكَشَافِ»: «عَلَىٰ اسْتِحْقَاقٍ وَاسْتِجَابٍ»، وَالأَمْرُ فِيهِ سَهْلٌ.

(٢) «أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ» (٤: ٣٠٤).

(٣) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ» (٤: ١٥٦).

(٤) «أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ» (٤: ٣٠٤).

(٥) لِابْنِ بُنَاتَةَ المِصْرِيِّ فِي «دِيْوَانِهِ» ص ٥٧٠. وَصَدَّرُ البَيْتِ:

وَقُلْتُمْ قَبِيحٌ عِنْدَنَا العِشْقُ بِالفَتْحِ

كذا، كأنه قال: إنَّها أُوتِيَتْهُ على علم، كقولهِ تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الزمر: ٤٩] ثم زاد (عِنْدِي) أي: هُوَ في ظَنِّي ورأيتُ هكذا. ويجوزُ أن يكون إثباتًا لِعِلْمِهِ بأنَّ الله قد أَهْلَكَ من القُرُونِ قَبْلَهُ من هُوَ أَقْوَى مِنْهُ وَأَعْنَى، لِأَنَّهُ قد قرأه في التَّوراة، وأخْبَرَ به مُوسَى، وَسَمِعَهُ من حُفَاطِ التَّوَارِيخِ وَالْأَيَّامِ. كأنه قيل: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ في جُمْلَةٍ ما عِنْدَهُ من العِلْمِ هذا، حتَّى لا يَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ مَالِهِ وَقُوَّتِهِ. ويجوزُ أن يكون نفيًا لِعِلْمِهِ بذلك؛ لِأَنَّهُ لَمَّا قال: أُوتِيَتْهُ على علمٍ عِنْدِي، فَتَنَفَّجَ بِالْعِلْمِ وَتَعَظَّمَ بِهِ. قيل: أَعْنَدُهُ مِثْلُ ذَلِكَ العِلْمِ الَّذِي ادَّعَاهُ ورأى نَفْسَهُ بِهِ مُسْتَوْجِبَةً لِكُلِّ نِعْمَةٍ، ولم يعلم هذا العِلْمَ النَّافِعَ حتَّى يَقي به نَفْسَهُ مِصْرَاعَ الْهَالِكِينَ ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ لِلْمَالِ، أو: أَكْثَرُ جَمَاعَةً وَعَدَدًا. فَإِنْ قُلْتَ: ما وَجْهُ اتِّصَالِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُسْتَلَّ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ بِهَا قَبْلَهُ؟ قُلْتَ: لَمَّا ذَكَرَ قَارُونَ مَن أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ الَّذِينَ كَانُوا أَقْوَى مِنْهُ وَأَعْنَى، قال على سَبِيلِ التَّهْدِيدِ لَهُ: وَالله مُطَّلِعٌ على ذُنُوبِ الْمُجْرِمِينَ،

قَوْلُهُ: (وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَفْيًا لِعِلْمِهِ بِذَلِكَ)، يَرِيدُ أَنْ الِهْمزَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ إِذَا كَانَ لِلتَّقْدِيرِ أَفَادَ إِثْبَاتِ عِلْمِ قَارُونَ، وَإِذَا كَانَ لِلْإِنْكَارِ كَانَ نَفْيَ عِلْمِهِ. وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ مَحْذُوفٌ؛ أَي: أَلَمْ يَقْرَأِ التَّورَةَ وَلَمْ تُعَلِّمَهُ (١) الْأَحْدَاثُ وَالْوَقَائِعُ؟ أَي: قَرَأَ وَعَلِمَ؛ أَي: اغْتَرَبَ بِهَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ لِيَعْتَبَرَ وَيُمْسِكَ عَنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ.

قَوْلُهُ: (فَتَنَفَّجَ)، يُرْوَى بِالْحَاءِ وَالْجِيمِ. الْأَسَاسُ: وَمِنَ الْمَجَازِ: فَلَانَ نَفَاجٌ وَفِيهِ نَفَجٌ، وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ: فِيهِ نَفَاجَةٌ. وَفِي الْأَسَاسِ أَيْضًا: وَمِنَ الْمَجَازِ: انْتَفَخَ النَّهَارُ: عَلا، وَنَفَخَ شِدْقِيهِ: تَكَبَّرَ.

قَوْلُهُ: (لَمَّا ذَكَرَ قَارُونَ مَن أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ...، قَالَ على سَبِيلِ التَّهْدِيدِ لَهُ: وَالله مُطَّلِعٌ على ذُنُوبِ الْمُجْرِمِينَ)، يَرِيدُ أَنْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَذِيلٌ لِلْسَّابِقِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿[أَوَلَمْ] يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ تَهْدِيدٌ لِقَارُونَ وَوَعِيدٌ لَهُ بِالْهَلَاكِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُسْتَلَّ عَنْ

(١) فِي (ط): «وَلَمْ يَعْلَمِ».



لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم. وهو قادرٌ على أن يُعاقبهم عليها، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣، المؤمنون: ٥١، النور: ٢٨] وما أشبه ذلك.

[﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قَالَ الَّذِي يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [٧٩]

﴿في زِينَتِهِ﴾ قال الحسن: في الحُمْرَةِ والصُّفْرَةِ. وقيل: خرج على بغلةٍ شهباءٍ عليها الأرجوانُ وعليها سُرُجٌ من ذهب، ومعه أربعة آلاف على زِيَتِهِ. وقيل: عليهم وعلى خيولهم الدِّيابِجُ الأحمر، وعن يمينه ثلاثمائة غُلام، وعن يساره ثلاثمائة جاريةٍ بيضٌ عليهنَّ الحُلِيُّ والدِّيابِج. وقيل: في تسعين ألفاً عليهم المَعْصَفَرَات، وهو أولُ يومِ رُؤْيِي فيه المَعْصَفَر: كان المُتَمَنِّونَ قوماً مُسْلِمِينَ، وإنَّما تَمَنَّوْهُ على سبيلِ الرِّغْبَةِ في اليسارِ والاستغناء كما هو عادةُ البشر. وعن قتادة: تَمَنَّوْهُ لِيَتَقَرَّبُوا به إلى الله وليَنفِقُوهُ في

دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ كقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣، النور: ٢٨] في كونه عالماً بها لا يحتاج إلى سؤالهم عنها. وفيه تهديدٌ بالهلاكِ بسببِ الإِجْرَامِ لكلِّ مجرم، وهؤلاء منهم؛ فكان تأكيداً له. وجيء بالواوِ فَعُدَّ تذييلاً أو معترضةً<sup>(١)</sup>.

قال القاضي: كأنه لما هَدَدَ قارونَ بِذِكْرِ إِهْلَاكِ مَنْ قَبْلَهُ أَكَدَّ ذَلِكَ بِأَنْ يَبَيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا يَخْصُصُهُمْ؛ بَلِ اللهُ مُطَّلِعٌ عَلَى ذُنُوبِ الْمُجْرِمِينَ كُلِّهِمْ مُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا<sup>(٢)</sup>.

قوله: (الأرجوان)، النهاية: هو مُعَرَّبٌ مِنْ «أرغوان» وهو شجرٌ له نَوْرٌ أحمر. وكلُّ لونٍ يُشَبِّهُهُ فهو أرجوان. وقيل: هو الصَّبِغُ الأحمر، وقيل: عربيةٌ والألفُ والنونُ زائدتان. وذكره الجوهري في مُعْتَلِّ اللام<sup>(٣)</sup>.

(١) قوله «أو معترضة» سقط من (ح) و(ف).

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٠٤).

(٣) وذكره الجواليقي في «المعرب» ص ١٩. وجزم بكونه فارسياً.

سبيل الخير. وقيل: كانوا قومًا كفارًا. الغابط: هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه. والحاسد: هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه، فمن الغبطة قوله تعالى: ﴿يَلْتَمِتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ ومن الحسد قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] وقيل لرسول الله ﷺ: هل يضر الغبط؟ فقال: «لا؛ إلا كما يضر العضاء الخبط»، والحظ: الجد، وهو البحث والدولة: وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت، يقال: فلان ذو حظ، وحظيظ، ومحظوظ، وما الدنيا إلا أحاط وجدود.

قوله: (ومن الحسد قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢])، وذلك أن في تمني ما فضل البعض على بعض المتمنى عين ما فضل به، ولا يتوصل إلى ذلك إلا بزواله عن المحسود.

قوله: (وقيل لرسول الله ﷺ: هل يضر الغبط؟ قال<sup>(١)</sup>: «لا، إلا كما يضر العضاء الخبط»<sup>(٢)</sup>)، النهاية: الغبط: حسد خاص؛ يقال: غبطت الرجل أغبطه غبطًا. أراد ﷺ أن الغبط لا يضر ضرر الحسد، وأن ما يلحق الغابط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاء من خبط ورقتها الذي هو دون قطعها واستئصالها، ولأنه يعود بعد الخبط؛ فهو وإن كان فيه طرف من الحسد؛ فهو دونه في الإثم.

والعضاء: شجر أم غيلان، وكل شجر عظيم له شوك، الواحدة: عضة بالياء، والخبط: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها لعلف الإبل.

قوله: (وما الدنيا إلا أحاط وجدود)، من قول الحماسي:

وليس الغنى والفقير من حيلة الفتى  
ولكن أحاط قسست وجدود<sup>(٣)</sup>

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «فقال»، والأمر فيه سهل.

(٢) أخرجه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» (٢: ٦٣٨) وذكره الزيلعي في «تخریج أحاديث الكشاف»

(٣: ٣٢) وعزاه للطبراني، ولم أجده في «معجمه الثلاثة».

(٣) البيت لرجل من بني قريع، وهو في «شرح ديوان الحماسة» (١: ٨٠٦) و«جهرة اللغة» لابن دريد =

[ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ \* فَحَسْبُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُوهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨٠-٨١﴾ ]

ويملك: أصله الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والرذع والبعث على ترك ما لا يرضى، كما استعمل: لا أباك. وأصله: الدعاء على الرجل بالإقرار في الحث على

الجوهري: الحظ: النصيب والجد، وجمع القلة: أحظ، والكثير: حظوظ وأحاط كأنه جمع أحظ، وأنشد البيت. الراغب: الحظ: النصيب المقدر<sup>(١)</sup>.

قوله: (ويملك: أصله الدعاء بالهلاك)، الراغب: قال الأصمعي: وِيل: قبوح<sup>(٢)</sup>، وقد يُستعمل على التحسر، وويس: استصغار، وويح: ترحم. ومن قال: ويل: وإد في جهنم لم يرذ أن «ويلاً» في اللغة هو موضوع لهذا؛ وإنما أراد: من قال الله فيه ذلك؛ فقد استحق مقراً من النار وثبت له ذلك؛ ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَانَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] <sup>(٣)</sup>.

قوله: (كما استعمل: لا أباك وأصله الدعاء على الرجل)، وعن نصر بن شميل أنه قال: سألت الخليل عن قولهم: لا أباك؛ فقال: معناه: لا كافي لك، وقيل: معناه: بعث وتخصيص<sup>(٤)</sup>، وليس بنفي الأبوة.

قوله: (الدعاء على الرجل بالإقرار)، أي: بالهجنة.

الأساس: وأقرِفَ: أدنى للهجنة، ويُقال: الإقرار من جهة الأب. قال:

= (١: ١٠٠)، وعزاه صاحب «اللسان» (حفظ) للمعلوط بن بَدَل القُرَيْعِي. وانظر: «تاج العروس» (حفظ).

(١) «مفردات القرآن» ص ٢٤٣.

(٢) كذا في النسخ الخطية، والذي في «مفردات القرآن»: «قُبْح».

(٣) «مفردات القرآن» ص ٨٨٨.

(٤) في النسخة «ف»: «وتخصيص»، وما أثبتناه هو الأولى بالصواب.

الفِعْل. والِرَّاجِعُ فِي ﴿وَلَا يُلْقِنَهَا﴾ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الْعُلَمَاءُ. أَوْ لِلثَّوَابِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمُثُوبَةِ أَوْ الْجَنَّةِ، أَوْ لِلسَّيْرَةِ وَالطَّرِيقَةِ، وَهِيَ الْإِيْمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ﴿الصَّكِرُوتُ﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَعَنِ الشَّهَوَاتِ، وَعَلَى مَا قَسَمَ اللَّهُ مِنَ الْقَلِيلِ عَنِ الْكَثِيرِ.

كَانَ قَارُونَ يُؤْذِي نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ، وَهُوَ يُدَارِيهِ لِلقَّرَابَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا، حَتَّى نَزَلَتِ الرِّزْكَاءُ، فَصَالِحُهُ عَنِ كُلِّ أَلْفِ دِينَارٍ عَلَى دِينَارٍ، وَعَنِ كُلِّ أَلْفِ دَرَاهِمٍ عَلَى دَرَاهِمٍ، فَحَسَبَهُ فَاسْتَكْثَرَهُ فَشَحَّتْ بِهِ نَفْسُهُ، فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ: إِنَّ مُوسَى

فَإِنْ تَبَجَّتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرِيِّ وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قَبْلِ الْفَحْلِ

وَقِيلَ: هُوَ مَقْرَفٌ، بِالْكَسْرِ، وَقَدْ أَقْرَفَ الْهُجْنَةَ وَقَارَفَهَا: قَارَبَهَا<sup>(١)</sup> وَخَالَطَهَا. أَمَّا قَوْلُهُ: «فِي الْحَثِّ» لَيْسَ بِمُتَّصِلٍ بِالْإِقْرَافِ؛ بَلِ اسْتُعْمِلَ كَمَا اسْتُعْمِلَ «لَا أَبَا لَكَ» فِي الْحَثِّ. نَحْوُهُ فِي الْحَثِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥]. قَالَ: أَي: سَمَّه حَرَضًا وَقُلْ لَهُ: لَا أَرَاكَ إِلَّا مَرَضًا فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ لِتَهْيِجَهُ وَتُحْرِكَ مِنْهُ.

قَوْلُهُ: (لِلْكَلِمَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الْعُلَمَاءُ)، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَيَلِكُمْ ثَوَابٌ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

قَوْلُهُ: ﴿الصَّكِرُوتُ﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ وَعَنِ الشَّهَوَاتِ، عَنِ بَعْضِهِمْ: ﴿الصَّكِرُوتُ﴾ لَهُ مُتَعَلِّقَانِ: الَّذِي انْقَطَعَ بِهِ عَنْهُ، وَالَّذِي اتَّصَلَ بِهِ. وَالْأَوَّلُ مَدْخُلٌ «عَنِ» وَهُوَ الْمَعْصِيَةُ<sup>(٢)</sup>، وَالثَّانِي مَدْخُلٌ «عَلَى» وَهُوَ الطَّاعَةُ. وَ«عَنِ» هَذِهِ كـ «مِنْ» فِي قَوْلِهِ: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٠، ١١٦، المجادلة: ١٧] أَي: بَدَلَ طَاعَتِهِ. أَي: صَابِرُونَ عَلَى الطَّاعَاتِ بَدَلَ الشَّهَوَاتِ وَمَقِيمُوهَا مَقَامَهَا، وَكَذَلِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْكَثِيرِ. مِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨] أَي: بَدَلَ مَا جَاءَكَ. وَجَهْرُ الْمَفْسَرِينَ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: مُنْحَرِفًا عَمَّا جَاءَكَ أَوْ مُنْحَرِفًا؛ كَقَوْلِكَ: رَمَيْتُ عَنِ الْقَوْسِ.

(١) فِي (ط): «قَارَبَهَا».

(٢) فِي النِّسْخَةِ «ف»: «الْعَصْبَةُ». وَهُوَ خَطَأٌ.

أَرَادَكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ أَمْوَالَكُمْ، فَقَالُوا: أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَمُرْ بِهَا شَيْئًا، قَالَ: نُبْرِطِلُ فَلَانَةَ الْبَغْيِيِّ، حَتَّى تَرْمِيَهُ بِنَفْسِهَا، فَيَرْفُضُهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَجَعَلَ لَهَا أَلْفَ دِينَارٍ. وَقِيلَ: طَسَّتَا مِنْ ذَهَبٍ. وَقِيلَ: طَسَّتَا مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا. وَقِيلَ: حَكَّمَهَا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ عِيدِ قَامَ مُوسَى فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَنْ سَرَقَ قَطَعْنَاهُ، وَمَنْ افْتَرَى جَلَدْنَاهُ، وَمَنْ زَنَى وَهُوَ غَيْرُ مُحْصَنٍ جَلَدْنَاهُ، وَإِنْ أُحْصِنَ رَجَمْنَاهُ، فَقَالَ قَارُونَ: وَإِنْ كُنْتُ أَنْتَ؟ قَالَ: وَإِنْ كُنْتُ أَنَا، قَالَ: فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ فَجَرْتَ بِفُلَانَةٍ، فَأَحْضَرْتَهُ، فَنَاسَدَهَا مُوسَى بِالَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ أَنْ تَصُدَّقَ، فَتَدَارِكُهَا اللَّهُ فَقَالَتْ: كَذَبُوا، بَلْ جَعَلَ لِي قَارُونَ جُجَعَلًا عَلَى أَنْ أَقْدِفَكَ بِنَفْسِي، فَخَرَّ مُوسَى سَاجِدًا يَبْكِي وَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنْ كُنْتُ رَسُولَكَ فَاعْظُبْ لِي. فَأَوْحَى إِلَيْهِ: أَنْ مُرِ الْأَرْضَ بِهَا شَيْئًا، فَإِنَّهَا مُطِيعَةٌ لَكَ. فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَى قَارُونَ كَمَا بَعَثَنِي إِلَى فِرْعَوْنَ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَلْيَلْزِمْ مَكَانَهُ، وَمَنْ كَانَ مَعِيَ فَلْيَعْتَزِلْ، فَاعْتَزَلُوا جَمِيعًا غَيْرَ رَجُلَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ، فَأَخَذْتُهُمْ إِلَى الرَّكْبِ، ثُمَّ قَالَ: خُذِيهِمْ، فَأَخَذْتُهُمْ إِلَى الْأَوْسَاطِ، ثُمَّ قَالَ: خُذِيهِمْ، فَأَخَذْتُهُمْ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَارُونَ وَأَصْحَابُهُ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُنَاسِدُونَهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، وَمُوسَى لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ لِشِدَّةِ غَضَبِهِ، ثُمَّ قَالَ: خُذِيهِمْ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ. وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: مَا أَفْظَكَ! اسْتَغَاثُوا بِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَرْحَمْهُمْ، أَمَا وَعِزَّتِي لَوْ إِيَّايَ دَعَا مَرَّةً وَاحِدَةً لَوْ جَدُونِي قَرِيبًا مُجِيبًا، فَأَصْبَحَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَتَنَاجَوْنَ بَيْنَهُمْ: إِنَّمَا دَعَا مُوسَى عَلَى قَارُونَ لِيَسْتَبَدَّ بِدَارِهِ وَكُنُوزِهِ، فَدَعَا اللَّهُ حَتَّى حَسَفَ بِدَارِهِ وَأَمْوَالِهِ. ﴿مَنْ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ مِنَ الْمُنتَصِمِينَ مِنْ

قَوْلُهُ: (أَرَادَكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)، ضَمَّنَ «أَرَادَ» مَعْنَى «قَهَرَ» فَعُدِّي تَعْدِيته؛ أَي: قَهَرَكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَرِيدُهُ.

قَوْلُهُ: (نُبْرِطِلُ)، أَي: نَرشُو؛ مِنَ الْبِرْطِيلِ.

قَوْلُهُ: (وَقِيلَ: حَكَّمَهَا)، أَي: جَعَلَهَا حَاكِمًا لِنَفْسِهَا بِمَا شَاءَتْ مِنَ الْمَالِ. وَيُرْوَى: «حُكَّمَهَا»؛ أَي: مَا حَكَمَتِ الْبَغْيِيُّ فِي مَالِهِ.

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، أَوْ مِنَ الْمُتَمَتِّعِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى. يُقَالُ: نَصَرَهُ مِنْ عَدُوِّهِ فَانْتَصَرَ، أَيْ: مَنَعَهُ مِنْهُ فَامْتَنَعَ.

[ ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [٨٢]

قد يُدَكَّرُ الأَمْسُ وَلَا يُرَادُ بِهِ اليَوْمُ الَّذِي قَبْلَ يَوْمِكَ، وَلَكِنَّ الوَقْتَ المُسْتَقْرَبَ عَلَى طَرِيقِ الاستِعَارَةِ، (مَكَانَهُ) مَنْزِلَتُهُ مِنَ الدُّنْيَا. (وَي) مَفْصُولَةٌ عَنْ كَأَنَّ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَبِيهُ عَلَى الخَطَأِ وَتَنْدُمُ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ القَوْمَ قَدْ تَنَبَّهُوا عَلَى خَطِيئَتِهِمْ فِي تَمَنِّيهِمْ وَقَوْلِهِمْ: ﴿ يَنْلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوقِفَ قَرُونَ ﴾ وَتَنْدَمُوا ثَمَّ قَالُوا: «كَانَهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ» أَيْ: مَا أَشْبَهَ الحَالِ بِأَنَّ الكَافِرِينَ لَا يَنَالُونَ الفَلَاحَ، وَهُوَ مَذْهَبُ الخَلِيلِ وَسَيَبَوِيهِ. قَالَ: .....

قَوْلُهُ: (عَلَى طَرِيقِ الاستِعَارَةِ)، أَيْ: الاستِعَارَةُ اللفظية، نَحْوُ استِعَارَةِ المَرْسِينَ - وَهُوَ أَنْفٌ فِيهِ رَسَنٌ - لِمُطَلِّقِ الأنْفِ. وَكَذَلِكَ استِعَارَ «الأَمْسَ» وَهُوَ وَقْتُ مَحْدُودٍ مُتَعَارَفٍ لِلزَّمَانِ المُسْتَقْرَبِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَيْ: مَا أَشْبَهَ الحَالِ بِأَنَّ الكَافِرِينَ لَا يَنَالُونَ الفَلَاحَ)، قَالَ ابْنُ جَنِّي: يُرَوَى عَلَى قِيَاسِ مَذْهَبِ الخَلِيلِ وَسَيَبَوِيهِ اسْمٌ سُمِّيَ بِهِ الفِعْلُ فِي الخَبَرِ؛ فَكَانَهُ اسْمٌ أَعْجَبٌ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: «كَانَهُ»، «كَانَ» فِيهِ عَارِيَةٌ مِنْ مَعْنَى التَّشْبِيهِ. أَنشَدَ أَبُو عَلِيٍّ:

كَأَنِّي حِينَ أَمْسِي لَا تُكَلِّمُنِي      مُتَيِّمٌ يَسْتَهِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا<sup>(٢)</sup>

وَفِي «المَطَّلَعِ»: قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى<sup>(٣)</sup>: شُبِّهَتْ حَالُ الكَافِرِينَ بِحَالِ مَنْ لَا يُفْلِحُ؛ لِأَنَّكَ

(١) هذه الفقرة سقطت من (ط).

(٢) «المحتسب» (٢: ١٥٤) والبيت المذكور لعمر بن أبي ربيعة في «ديوانه» ص ٣٢٠، وعزاه في «اللسان» ليزيد بن الحكم الثقفي. وانظر: «الخصائص» لابن جني (٣: ١٧٢).

(٣) يعني الرمازي (ت ٣٨٤ هـ)، كان من أهل المعرفة والإتقان في علوم كثيرة من التفسير والفقه والإعجاز والنحو على مذهب المعتزلة. له ترجمة في «تاريخ بغداد» (١٢: ١٦) و«إنباه الرواة» (٢: ٢٩٤).

وي كأن من يكن له نَسَبٌ يُحِبُّ سَبَّ ومن يفتقر يعيش عيشٌ ضُرٌّ

وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها: أين ابنك؟ فقال: وي كأنه وراء البيت. وعند الكوفيين أن (ويك) بمعنى: ويملك، وأن المعنى: ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون. ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي، كقوله:

إذا قلت: كأن هذا الكافر لا يفلح؛ فهم منك أن حاله حال من لا يفلح. هذا تقرير كلام المصنف، لكن يفتقر إلى مزيد بيان؛ فنقول: إنه أبرزة مبرر فعل التعجب؛ لما في «وي» من معنى التعجب. وأشار بقوله: «حال» إلى أن الضمير في «كأنه» للحال، والباء في «بأن» صلة «أشبه»؛ يعني: ظهر لنا من حال قارون - وهو استمتاعه بالدنيا واغترازه بزهرتها، ثم خسفه بالأرض - مشابه لما تقرر بأن الكافرين لا يفلحون<sup>(١)</sup>.

قوله: (أن «ويك» بمعنى: ويملك)، وأن المعنى: ألم يعلم أنه لا يفلح الكافرون. وحكى صاحب «المطلع» عن خلف الأحمر<sup>(٢)</sup> أن «ويك» بمعنى «ويملك» فحذف اللام استخفافاً، ونُصِبَ «أن الله» بفعلٍ مُضَمَّرٍ تقديره: ويملك، أعلم أن الله. قال الزجاج: هذا الخطأ من غير وجه؛ إذ لو كان كما قال؛ لكانت «إن» مكسورة ولم يُحذف اللام منه؛ لأنه يُقال: ويملك، إنه لا يفلح. والصحيح ما ذكره سيبويه عن الخليل ويونس: أن «وي» مفصولة من «كأن»، والقوم تنبهوا فقالوا: وي؛ مُتَنَدِّمِينَ على ما سلف منهم، وكل من تندم أو ندم؛ فإظهار ندامته أو تندمه أن يقول: وي، كما يعاتب الرجل على ما سلف منه فيقول: وي كأنك قصدت مكروهي. قال العرجي:

سألني الطلاق أن رأاني      قل مالي قد جئتني بنكر  
ويكأن من يكن له نَسَبٌ يُحِبُّ      سَبَّ ومن يفتقر يعيش عيشٌ ضُرٌّ<sup>(٣)</sup>

(١) من قوله: «هذا تقرير كلام المصنف» إلى هنا، سقط من (ف).

(٢) هو صاحب البراعة أبو حمز خلف بن حيان المعروف بـ «الأحمر»، راوية شاعر من أهل البصرة، له «ديوان شعر» و«مقدمة في النحو»، توفي نحو ١٨٠ هـ. ترجمته في «الوافي بالوفيات» (١٣: ٢١٩).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٥٠). وقد اختلف في نسبة البيتين على غير واحد من الأقوال.

## وَيْكَ عَنَتْرَ أَقْدِمِ

وآته بمعنى لآته، واللام لبيان المقول لأجله هذا القول، أو لآته لا يفلح الكافرون

التسبب: المال، و«يُحِبُّ» جواب «مَنْ» وفيه معنى الإنكار؛ أي أن الغني محبوب في الناس، والفقير يعيش في الناس عيش ذل وضر.

قال ابن جني: ومن قال: إنها «ويك»؛ فكأنه قال: أعجب لأنه لا يفلح الكافرون، وأعجب لأن الله يسط الرزق، وهو قول أبي الحسن<sup>(١)</sup>.

وينبغي أن يكون الكاف حرف خطاب لا اسماً بمنزلة الكاف في «ذلك، وأولئك»؛ لأن «وي» ليست مما يضاف. والاستشهاد بالبيت من أجل أن الكاف لا يجوز أن تكون ضميراً أو حرف خطاب؛ لفقدان المطابقة لأن البيت السابق خطاباً لمؤمنين. وكذا قول الزوج للأعرابية؛ لأنه لو كان الكاف خطاباً لكان مكسوراً التانيث المخاطب.

وأما قول عنتره فلا يحمل على «ويك»؛ لأنه زجر وردع وبعث على ترك ما لا يرضى، وهو حث وبعث على الإقدام؛ لأنه في مقام مدح نفسه بالشجاعة. وتلخيصه أن ذاك زجر عما لا يرضى وهذا حث على ما يرضى.

قوله: (ويك عنتر أقدم)، أوله:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم<sup>(٢)</sup>

قوله: «عنتر» مرخم، يقول: لقد شفى نفسي قول الفوارس لي: يا عنتره أقدم نحو العدو واحمل عليهم. يريد أن تعويل أصحابه عليه والتجاءهم إليه شفى نفسه ونفى همته.

قوله: (واللام لبيان المقول لأجله هذا القول)، نحو: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]؛ فإنه لما قيل: وي؛ قيل: لمن؟ وأجيب: لك.

(١) «المحتسب» (٢: ١٥٤).

(٢) «ديوان عنتره» ص ١٨٤ بشرح الخطيب التبريزي.



كان ذلك، وهو الحَسَفُ بقارونَ، ومن الناسِ من يَقِفُ على (وي) ويبتدئ (كَأَنَّهُ)، ومنهُم من يَقِفُ على (ويك). وقرأ الأعمش: (لولا من الله علينا). وقرئ: ﴿لَحَسَفَ بِنَا﴾ وفيه ضميرُ الله. ولا نُحَسِفُ بِنَا، كقولك: انقُطِعَ بِهِ. ولتُحَسَفَ بِنَا.

﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخْرَةِ يُجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٨٣]

﴿تِلْكَ﴾ تعظيمٌ لها وتفخيمٌ لشأنها، يعني: تلك التي سمعتَ بذكرها وبلغتَ وصفها. ولم يعلِّقِ الموعدُ بتركِ العُلُوِّ والفساد، ولكن بتركِ إرادتهما وميلِ القلوبِ إليهما، كما قال: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣] فَعَلَّقَ الوعيدَ بالتركون. وعن عليٍّ رضي الله عنه: إنَّ الرَّجُلَ لِيُعْجِبُهُ أَنْ يَكُونَ شِرَاكُ نَعْلِهِ أَجُودَ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِ صَاحِبِهِ، فَيَدْخُلُ تَحْتَهَا. وعن الفضيلِ أنه قرأها ثم قال: «ذهبتِ الأمانُ ها هنا». وعن عمر بن عبد العزيز كان يُرَدِّدُهَا حَتَّى قُبِضَ. ومن الطَّمَاعِ مَنْ يَجْعَلُ العُلُوَّ لِفِرْعَوْنَ، والفسادَ لِقَارُونَ،

قوله: (من يقف على «وي»)، يعني: الكسائي، وعلى «ويك»: أبو عمرو<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقرئ: ﴿لَحَسَفَ بِنَا﴾)، أي: على بناءِ الفاعل؛ قرأها حفص. قال ابنُ جني: وهي قراءة الأعرج وغيره، الفاعلُ «الله»، والمفعولُ محذوف؛ أي: لَحَسَفَ بنا اللهُ الأرضَ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ولا نُحَسِفُ بِنَا)، قال ابنُ جني: قرأ بها الأعمشُ وطلحةُ وابنُ مسعود. «بنا» مرفوعةُ المَوْضِعِ؛ لإقامتها مقامَ الفاعلِ، نحو: انقطعَ بالرجلِ، وسيرَ بزيد. وإن شئتَ أضممتَ المصدرَ مقامَ الفاعلِ، ولا يكونُ للفعلِ الواحدِ فاعلانِ قائمانِ مقامَهُ إلا على وجهِ الاشتراكِ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (ومن الطَّمَاعِ مَنْ يَجْعَلُ العُلُوَّ لِفِرْعَوْنَ، والفسادَ لِقَارُونَ)، قال صاحبُ «الانتصافِ»

(١) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (٢: ١٧٦).

(٢) «المحتسب» (٢: ١٥٥).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٥٦).

وهو يُعَرِّضُ بأهلِ السُّنَةِ في أَنْ كَلَّ مُوَحِّدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّا طَمِعُوا فِيهَا أَطْمَعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» ثَلَاثًا، وَفِي الثَّلَاثَةِ: «وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ»<sup>(١)</sup>.

وَقُلْتُ: لَا شَكَّ أَنَّ الْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ هُوَ الْاسْتِكْبَارُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْاسْتِطَالَةُ عَلَى النَّاسِ، وَالْإِفْسَادُ: إِخْرَاجُ الشَّيْءِ مِنْ كَوْنِهِ مُنْتَفِعًا بِهِ.

رَوَى مُجِيبِي السُّنَةِ: ﴿عُلُوًّا﴾: اسْتِكْبَارًا عَنِ الْإِيمَانِ، وَاسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ وَتَهَاوُنًا بِهِمْ. وَ﴿فَسَادًا﴾: أَخَذَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقِّ، وَالْعَمَلُ بِالْمَعَاصِي. وَأَمَّا مَا رَوَاهُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْجِبُهُ أَنْ يَكُونَ شِرَاكُ نَعْلِهِ أَجُودَ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِ صَاحِبِهِ فَيَدْخُلُ تَحْتَهَا<sup>(٢)</sup>؛ فَإِنَّهُ مَنَاقِضٌ لِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ جَمِيلًا؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ حُبِّبَ إِلَيَّ الْجَمَالُ وَأُعْطِيتُ مِنْهُ مَا تَرَى حَتَّى مَا أُحِبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ - إِمَّا قَالَ: بِشِرَاكِ نَعْلِ، وَإِمَّا قَالَ: بِشِسْعِ نَعْلِ - أَقَمِنَ الْكِبْرَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ»<sup>(٣)</sup>. وَرَوَى مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»؛ فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا! قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ؛ الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»<sup>(٤)</sup>.

هَذَا وَإِنَّ التَّأْوِيلَ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ هُوَ مَا يَسَاعِدُهُ النِّظْمُ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ كَالْتَخْلُصِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ مَعَ قَارُونَ وَبَغْيِهِ وَاسْتِطَالَتِهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ هَلَاكِهِ وَنُصْرَةَ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَيْهِ، إِلَى قِصَّةِ سَيِّدِنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَصْحَابِهِ مَعَ قَوْمِهِ وَاسْتِطَالَتِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ إِيَّاهُ مِنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ، ثُمَّ إِعْزَازِهِ بِالْإِعَادَةِ إِلَى مَكَّةَ وَفَتْحِهِ إِيَّاهَا مَنْصُورًا مُكْرَمًا وَذَلِكَ قَوْلُهُ

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٣٥) والحديث المذكور سبق تخريجه.

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٢٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٩٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨: ٢٥٨) وغيرهما.

(٤) سبق تخريجه.

مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ ويقول: من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدائر الآخرة، ولا يتدبر قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما يتدبره عليُّ والفضيلُ وعمر.

[مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾]

معناه: فلا يُجزون، فوضع ﴿الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ موضع الضمير؛ لأن في إسناد عمَلِ السَّيِّئَةِ إليهم مُكرراً. فضل تهجين لحالهم، وزيادة تبغيض للسَّيِّئَةِ إلى قلوب السَّامِعِينَ ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا مثل ما كانوا يعملون، وهذا من فضله العظيم

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. روى محيي السنة: ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ لرادك إلى معاد: إلى مكة، وهي رواية العوفي عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال القتيبي<sup>(٢)</sup>: معاد الرجل: بلدُه؛ لأنه ينصرف منه ثم يعود إليه. وقال الإمام: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾: الإعرارُ بالإعادة إلى مكة<sup>(٣)</sup>.

وإذا تقرّر هذا فينبغي أن يُفسر العلوُّ والفسادُ بما اشتمل عليه قصة قارون؛ فالعلوُّ فرحُه بالدنيا؛ من قولهم: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾، وبطر الحق؛ من قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾، وغمطُه الناس في قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾. والفساد: البغي والظلم كما قال المصنّف في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾، لا سيما ما أدخله في خروجِه على القوم بتلك الزينة؛ حتى قال قائلهم: ﴿بَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ فإنه إفسادٌ عظيمٌ في الدين؛ فقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لا ينافي تفسيره المنقول من أهل السنة؛ لأن المراد من لم يكن مثل فرعون وقارون من المؤمنين. والمتقي هاهنا هو المتقي من علو فرعون وفساد قارون؛ لأن قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ تذييل.

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٢٢٦).

(٢) يعني ابن قتيبة. وانظر كلامه في «تأويل مشكل القرآن» ص ٢٤٠.

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٩: ٢٥).

وكرمه الواسع؛ أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها، ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبع منه، وهو معنى قوله: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾.

[﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٨٥]

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه، يعني: أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمشيئك عليها ثواباً لا يحيط به الوصف. و﴿لَرَأْدُكَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي معادٍ، وإلى معادٍ ليس لغيرك من البشر وتكثير المعاد لذلك. وقيل: المراد به مكة، ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح، ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معاداً له شأن، ومرجعاً له اعتداده؛ لغلبة رسول الله ﷺ عليها، وقهره لأهلها، ولظهور عز الإسلام وأهله، ودل الشرك وحزبه. والسورة مكية، فكان الله وعدة وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها: أنه يهاجر به منها، ويعيده إليها ظاهراً ظافراً. وقيل: نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجرة، وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرَم إبراهيم، فنزل جبريل فقال له: أنتشاق إلى مكة؟ قال: نعم، فأوحاها إليه. فإن قلت: كيف اتصل قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ﴾ بما قبله؟ .....

قوله: (أوجب عليك تلاوته)، أي: أوجب تلاوته عند تبليغ الوحي؛ كقوله تعالى: ﴿آتَلْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، لا في جميع الأوقات. والعمل عاقبه؛ أي: من الفرائض، وأما الاستماع على الأمة ففي حالة الصلاة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قوله: ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي: معاد، الراغب: قيل: أراد بالمعاد مكة، والصحيح ما أشار إليه علي رضي الله عنه وذكره ابن عباس أن ذلك الجنة التي خلقه فيها بالقوة في ظهر آدم وأظهره منه؛ حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] (١).

قلت: لَمَّا وَعَدَ رَسُولُهُ الرَّدَّ إِلَى مَعَادٍ، قَالَ: قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ: ﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾ يعني نفسه، وما يستحقُّه من الثَّوَابِ فِي مَعَادِهِ ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يعنيهم، وما يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْعِقَابِ فِي مَعَادِهِمْ.

قوله: (لَمَّا وَعَدَ رَسُولُهُ الرَّدَّ إِلَى مَعَادٍ)، هَذَا إِذَا أُرِيدَ بِالْمَعَادِ الْإِنَابَةُ وَالرَّجُوعُ إِلَى مَقَامَاتِهِ الْعَالِيَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَالِاتِّصَالُ كَمَا قَالَ ظَاهِرٌ. وَأَمَّا إِذَا أُرِيدَ بِالْمَعَادِ مَكَّةَ؛ فَالْمَعْنَى: إِنَّ الَّذِي حَبَاكَ نِعْمَةً الدِّينِ - لَا سِوَا هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ الَّذِي دُونَهُ كُلُّ نِعْمَةٍ - يَمْنَحُكَ فَتَحَّ مَكَّةَ، وَيُرِدُّكَ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِكَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١، ٢]. فَقُلْ لِأَعْدَائِكَ: مَاتُوا كَمَدَا؛ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنَّا وَمَنْكُمُ، وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، يَنْصُرُ الْمَهْتَدِي وَيُخَذِّلُ الضَّالَّ، وَهُوَ مَالِكُ الْمَلِكِ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ. وَكَمَا كُنْتَ غَيْرَ رَاجٍ أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابُ، لَكِنَّ اللَّهَ لِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ الْقَاهِ إِلَيْكَ، كَذَلِكَ يَنْصُرُكَ عَلَى أَعْدَائِكَ هُوَ وَحْدَهُ، وَيُرِدُّكَ إِلَى مَعَادٍ؛ فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ لَا عَلَى غَيْرِهِ، وَلَا تَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ. وَيَنْصُرُ هَذَا النَّظْمُ قَوْلُ الْقَاضِي: سِيرْدُكَ إِلَى مَعَادٍ كَمَا أَلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ، وَمَا كُنْتَ تَرْجُوهُ؛ وَلَكِنَّ الْقَاهُ رَحْمَةً مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وما يستحقُّه من الثَّوَابِ فِي مَعَادِهِ، وما يستحقُّونَهُ مِنَ الْعِقَابِ فِي مَعَادِهِمْ)، هَذَا يَحْتَمِلُ الْمَعْنِيَيْنِ فِي تَفْسِيرِ ﴿لَرَأَيْتُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾؛ أَمَّا حَمْلُهُ عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا عَلَى الْإِعَادَةِ إِلَى مَكَّةَ؛ فَالْهُدَى وَالضَّلَالُ وَالْحَقُّ وَالْبَاطِلُ، أَوِ الْعِزُّ وَالنُّصْرَةُ وَالْخِذْلَانُ وَالذُّلُّ؛ كَمَا رَوَيْنَا عَنِ الْإِمَامِ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾: الْإِعْزَازُ بِالْإِعَادَةِ إِلَى مَكَّةَ<sup>(٢)</sup>.

وقال أهل التحقيق: هَذَا أَحَدُ مَا يَدُلُّ عَلَى بُبُوَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ إِخْبَارٌ عَنِ الْغَيْبِ. وَقَالَ مُحِي السُّنَّةِ: رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى هَذَا جَوَابٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ [لَمَّا قَالُوا]<sup>(٣)</sup> إِنَّكَ فِي ضَلَالٍ<sup>(٤)</sup>.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٠٦).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١٩).

(٣) زيادة من «معالم التنزيل» يقتضيها السياق؛ ولم ترد في الأصول الخطية.

(٤) «معالم التنزيل» (٦: ٢٢٧).

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا

لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

فإن قلت: قوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ ما وجه الاستثناء فيه؟ قلت: هذا الكلام محمول على المعنى، كأنه قيل: وما ألقى عليك الكتاب إلا رحمة من ربك. ويجوز أن تكون ﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن) للاستدراك، أي: ولكن رحمة من ربك ألقى إليك.

﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾

وقرى: (يُصِدُّكَ)، من أصدده بمعنى صدّه، وهي في لغة كلب. وقال:

أَنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْهُمْ  
صُدُّودَ السَّوَاقِي عَنْ أَنْوْفِ الْحَوَائِمِ

قوله: (محمول على المعنى)، يعني: من رأى نفسه أهلاً لشيء وأشعر بأمارة أو توهم تخيلة رُبما تعلق رجاؤه بحصوله؛ فإذا بُفِيَ الرجاء انتفى حصوله بالكلية؛ فكان معنى ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾: ما ألقى إليك الكتاب لأمر من الأمور إلا للرحمة؛ فانتصب ﴿رَحْمَةً﴾ على المفعول له.

قوله: (أَنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ) البيت<sup>(١)</sup>، السواقي: جمع الساقية؛ وهي الجماعات التي تَسْقِي الإبل، والحوائم: الإبل الغرائب، وقيل: العطاش. والسواقي - بالفاء - : الرياح. ويُروى: «أنوف الخرائم» وهي أنوف الجبال، والأولُ أصح. قال صاحب «ديوان الأدب»<sup>(٢)</sup>: يقول: صَرَفُوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؛ يعني أنهم هَرَمُوهُمْ كما تَطْرُدُ السواقي غرائب الإبل عن إبلهم، وكما يصدُّ السُّقَاةُ عن الحوض<sup>(٣)</sup> غيرها.

(١) لذي الرمة في «ديوانه» ص ١٩٠.

(٢) هو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفراء، خال إسماعيل الجوهري صاحب «الصحاح» وكتابه «ديوان الأدب» كتاب شهير في اللغة، توفي سنة ٣٥٠ هـ. ترجمته في «الوافي بالوفيات» (٨: ٢٥٧).

(٣) «ديوان الأدب» للفارابي (٣: ١٥٥).

﴿بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ﴾ بعد وقت إنزاله، و﴿إِذْ﴾ تضاف إليه أسماء الزمان، كقولك: حينئذٍ وليلئذٍ ويومئذٍ وما أشبه ذلك. والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهيج الذي سبق ذكره.

[﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨٨]

﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا إياه. والوجه يُعَبَّرُ بِهِ عن الذات.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ «طَسْمَ الْقَصَصِ» كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ بَعْدُ مَنْ صَدَّقَ مُوسَى وَكَذَّبَ بِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مَلَكٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ صَادِقًا أَنْ كُلِّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

قوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾: إلا إياه، قال مكي: انتصب «الوجه» على الاستثناء، ويجوزُ الرفعُ على الصفة؛ أي: غير وجهه.

كما قال:

وكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ<sup>(١)</sup>

وقال الإمام: فَسَّرَ الْهَلَاكَ بِالْعَدَمِ؛ أَي أَنَّ اللَّهَ يُعِدُّ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَدْ فَسَّرَ بِإِخْرَاجِ الشَّيْءِ عَنْ كَوْنِهِ مُتَتَّفِعًا بِهِ؛ إِمَّا بِالْإِمَاتَةِ، أَوْ بِتَفْرِيقِ الْأَجْزَاءِ وَإِنْ كَانَتْ بَاقِيَةً؛ كَمَا يُقَالُ: هَلَكَ الثَّوْبُ، وَهَلَكَ الْمَتَاعُ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: معنى كونه هالكًا كونه قابلاً للهلاك في ذاته.

قوله: (أَنْ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ)، الْوَجْهُ أَنْ يَكُونَ «أَنْ» مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَضَمِيرُ الشَّأْنِ

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٤٩) والبيت المذكور سبق تخريجه.

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٢٠).

.....  
محدوف؛ أي: أنه كلُّ شيء هالك؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾  
[يوسف: ٣].

تَمَّتِ السُّورَةُ، حَامِدًا لِلَّهِ وَمُصَلِّيًا عَلَى رَسُولِهِ.

\* \* \*



## سورة العنكبوت

### مَكِّيَّة، وهي تسع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[﴿الْعَنَكِبُوتُ﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَقَدْ فْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١-٣﴾]

الحِسَابُ لَا يَصِحُّ تَعْلِيْقُهُ بِمَعَانِي الْمَفْرَدَاتِ، وَلَكِنْ بِمَضَامِينِ الْجُمْلِ. أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: حَسِبْتُ زَيْدًا وَظَنَنْتُ الْفَرَسَ: .....

## سورة العنكبوت

### مَكِّيَّة، وهي تسع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (الحِسَابُ لَا يَصِحُّ تَعْلِيْقُهُ بِمَعَانِي الْمَفْرَدَاتِ، وَلَكِنْ بِمَضَامِينِ الْجُمْلِ) سَبَقَ فِي «سُورَةِ الْقَصَصِ» تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ.

الرَّاعِبُ: الْحِسَابُ: أَنْ يُحْكَمَ لِأَحَدِ النَّقِیْضَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْطُرَ الْآخَرُ بِبَالِهِ فَيَحْسِبُهُ وَيَعْقِدُ عَلَيْهِ الْأُصْبَعِ، وَيَكُونُ بِمَعْرُضٍ أَنْ يَعْتَرِيهِ شَكٌّ، وَيَقَارِبُ ذَلِكَ الظَّنَّ، لَكِنْ الظَّنُّ (١) أَنْ يُخْطِرَ النَّقِیْضَيْنِ بِبَالِهِ، فَيُغْلَبَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ (٢).

(١) قوله: «لكن الظن» سقط من (ح) و(ف).

(٢) «مفردات القرآن» ص ٢٣٤.

لم يَكُنْ شيئاً؛ حتى تقول: حسبْتُ زيداً عالِماً؛ وظننتُ الفرسَ جواداً، لأنَّ قولك: زيدٌ عالم، أو الفرسُ جواد: كلامٌ دالٌّ على مضمون، فإن أردتَ الإخبارَ عن ذلك المضمونِ ثابتاً عندك .....

قوله: (لم يَكُنْ شيئاً) أي: كلاماً مفيداً، والضميرُ في «يَكُنْ» يعودُ إلى القولِ الذي يدلُّ عليه قوله: «لَو قُلْتُ».

قوله: (ثابتاً عندك) حالٌ إمَّا مِنْ فاعلٍ «أردتَ»، أو «عن ذلك المضمونِ»، وقيل: هو منصوبٌ عن كونٍ مقدَّرٍ<sup>(١)</sup>، أو عن كونٍ «ذلك المضمونِ ثابتاً عندك»، يدلُّ عليه قوله: «فلمْ تَجِدْ بُدْأً في العبارةِ عن ثباته عندك»؛ لأنَّه مِنَ التَّرْكِ الَّذِي هو بمعنى التَّصْيِيرِ؛ يعني: يتعدَّى إلى مفعولين، يشهدُ له الاستشهاد، وما سبقَ في أوَّلِ «البقرة» في قوله: ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٧]، وفيه نَظَرٌ؛ لأنَّ قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ حالٌ، والواوُ صَادَةٌ عن جعلِ الجُمْلَةِ ثاني مفعولي: تَرَكَ.

والظاهرُ أَنَّهُ مِمَّا يَتَعَدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ بمعنى يُحَلِّوْا أو يُطَرِّحُوا، ولعلَّه مألٌ إلى مذهب الأَخْفَشِ، حيثُ جَوَّزَ دخولَ الواوِ في خبرِ «كانَ» وأخواتِها.

قال شارحُ أبياتِ «المفصل»: حُكِيَ عن الأَخْفَشِ: أَنَّهُ كَانَ يُجَوِّزُ كانَ زيدٌ وأبوهُ قائمٌ؛ على نُقْصَانِ «كانَ» وجَعْلِ الجُمْلَةِ خبراً معَ الواوِ، وتَشْبِيهِهَا لخبرِ «كانَ» بالحالِ، وهذا كَأَنَّه التَّفَاتُ إلى مذهبِ الكوفيِّ، أنْ عنده خبرٌ «كانَ» حالٌ لا خبرٌ، وعليه قولُ المَعْرِي:

وَكَانَتْ كَالنَّخِيلِ وَظَلَّ كُلُّ

وَمُشَبَّهَةٌ مِنَ الضُّمْرِ الْإِهَانُ

المِضْرَاعُ الْأَخِيرُ جُمْلَةٌ مَعَ الواوِ وخبرٌ ظل.

وأبطلَ أبو عليٍّ قولَ الكوفيِّ: تقولُ العرب: كنتُ إِيَّاهُ وكنْتُهُ، فالضميرُ الجامدُ<sup>(٢)</sup> لا يقعُ حالاً، إذْ هو لازمُ التَّعْرِيفِ. ولعلَّ مذهبَهُ كَمذهبِ يُونُسَ، إذْ هوَ يَجُوزُ تَعْرِيفَ الحَالِ.

(١) قوله: «عن كونٍ مقدَّرٍ» سقط من (ف).

(٢) في (ح) و(ف): «الجامع».

وقال صاحب «التقريب» في قوله: «أَحْسَبُوا تَرَكَّهُمْ غَيْرَ مَفْتُونِينَ كَقَوْلِهِمْ: ﴿ءَأَمَّنَّا﴾ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ يُوَدِّي إِلَى أَنَّهُمْ تَرَكُوا غَيْرَ مَفْتُونِينَ. وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي الْعَلَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِمَا ذَكَرَ مِنْ مَعْنَى الْآيَةِ: أَيِ أَحْسَبَ الَّذِينَ نَطَقُوا بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ أَنَّهُمْ يُتْرَكُونَ غَيْرَ مُتَمَحِّنِينَ، بَلْ يُمْتَحَنُونَ لِتَمَيِّزِ الرَّاسِخِ فِي الدِّينِ مِنْ غَيْرِهِ. وَلَسَبَبِ التَّرْوِيلِ.

فَالْوَجْهُ أَنْ يُجْعَلَ ﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾ سَادًّا مَسَدًّا مَفْعُولِي «حَسِبَ» كَمَا سَيَذْكَرُ فِي ﴿أَنْ يَسْمِعُونَا﴾ بَعْدَ «حَسِبَ» وَنَظَائِرِهِ، وَ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ عِلَّةٌ لِلْحِسَابِ؛ أَيِ: أَحْسَبُوا كَقَوْلِهِمْ: ﴿ءَأَمَّنَّا﴾ أَنْ يُتْرَكُوا غَيْرَ مَفْتُونِينَ بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ هَذَا لَا بِسَبَبِ آخَرَ، وَلَيْسَ الْكَلَامُ إِلَّا فِي أَنْ جَعَلُوا قَوْلَهُمْ عِلَّةً لِقَوْلِهِمْ: ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾.

وَأَمَّا سَبَبُ التَّرْوِيلِ: فَهُوَ أَنَّ نَاسًا مِنَ الصَّحَابَةِ جَزَعُوا مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ، إِلَى آخِرِهِ. وَأَجِيبَ: أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا لَزِمَ أَنْ لَوْ كَانَ التَّقْدِيرُ مَا ذَكَرَهُ، أَمَّا لَوْ قُدِّرَ: أَحْسَبُوا تَرَكَّهُمْ غَيْرَ مَفْتُونِينَ يَحْصُلُ لِقَوْلِهِمْ: ﴿ءَأَمَّنَّا﴾، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: «عَلَى تَقْدِيرِ: حَاصِلٌ وَمُسْتَقَرٌّ، قَبْلَ اللَّامِ» اسْتِقَامَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ إِجْرَاءَ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ سَبَبٌ لِأَنْ لَا تُفْتَنُوا؛ لِأَنَّهُ مُقْتَضٍ لِازْدِيَادِ الْفِتْنَةِ عَلَى مَا سَيَجِيءُ فِي حَدِيثِ خُبَابِ ابْنِ الْأَرْتِ، فَإِنْ لَمْ يَجْعَلُوهُ مُقْتَضِيًا لَهُ فَلِأَنَّ لَا يَجْعَلُوهُ لِعَدَمِهِ أَوَّلَى.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ دَلَالََةَ الْمَفْهُومِ الَّذِي ذَكَرَهُ، وَأَنَّ الْكَلَامَ فِي الْعَلَّةِ مَهْجُورٌ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ مَعَ قَوْمٍ مَخْصُوصِينَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَاطِلًا﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وَقَالَ الرَّجَائِي: فِي قَوْلِهِ: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ﴾ مَعْنَى التَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ؛ أَيِ: أَحْسَبُوا أَنْ نَقْنَعَ مِنْهُمْ بَأَنْ يَقُولُوا: إِنَّا مُؤْمِنُونَ فَقَطْ وَلَا يُمْتَحَنُونَ بِمَا تَتَّبِعُنَّ بِهِ حَقِيقَةَ إِيْمَانِهِمْ، وَمَوْضِعُ «أَنْ» الْأَوَّلَى نَصَبٌ؛ لِأَنَّهُ اسْمُ «حَسِبَ» وَخَبْرُهُ، وَمَوْضِعُ «أَنْ» الثَّانِيَةِ إِمَّا نَصَبٌ بِ﴿يُتْرَكُوا﴾. الْمَعْنَى: أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا لِأَنْ يَقُولُوا أَوْ بَأَنْ يَقُولُوا، ثُمَّ حُذِفَ الْجَارُ وَأُوصِلَ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهَا ﴿أَحْسَبَ﴾، كَانَ الْمَعْنَى: أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا: آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَالْأَوَّلُ أَجْوَدُ<sup>(١)</sup>.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٥٩).

على وجه الظن لا اليقين، فلم تجد بُدًا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه، من ذكر شطري الجملة مُدخلًا عليهما فعل الحُسابان، حتى يتِمَّ لك عَرَضُكَ. فإن قلت: فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحُسابان في الآية؟ قلت: هو في قوله: ﴿أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وذلك أن تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين، لقولهم: آمنا، فالترك أول مفعولي «حَسِبَ»؛ ولقولهم: آمنا، هو الخبر. وأما «غير مفتونين» فتيممة الترك، لأنه من التَّرك الذي هو بمعنى التصيير، كقوله:

فتركنه جزر السباع ينشئه

ألا ترى أنك قبل المجيء بالحُسابان، تقدر أن تقول: تركهم غير مفتونين، لقولهم:

قوله: (فتركنه جزر السباع ينشئه)، تمامه:

يَقْضَمْنَ حُسْنَ بِنَانِهِ وَالسِّعْصِمَ (١)

وفي رواية: «يَقْضَمْنَ قَلَّةَ رَأْسِهِ».

جزر السباع: اللحم الذي تأكله، وهو مفعول ثانٍ إن كان الترك بمعنى التصيير، وإلا فحال؛ أي: تركته وهو جزر السباع. النّوش: التناول. القضم: الأكل بطرف الأسنان. يصف مقتولاً. إذا كانت الرواية بالنون فالضمير في «تركنه» للخيل، وإذا كانت بالتاء فللشاعر، والمسموع بالنون.

الراغب: التَّرك: رفض الشيء قَصْداً واختياراً، أو قَهراً واضطراً، فمن الأول ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]، ومن الثاني قوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥]. ومنه: تركته فلان؛ لِمَا يُحَلِّفُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وقد يُقال في كل فعل ينتهي به إلى حالة ما؛ نحو: تركته كذا، أو يجري مجرى: جعلته كذا، نحو: تركتُ فلاناً (٢).

(١) «ديوان عنتره» ص ١٧٤ بشرح الخطيب التبريزي.

(٢) «مفردات القرآن» ص ١٦٦.

آمناً، على تقدير: حاصل ومُستقرّ، قبل اللّام. فإن قلت: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ هو علة تركهم غير مفتونين، فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ؟ قلت: كما تقول خروجه لمخافة الشرّ، وضربه للتأديب، وقد كان التأديب والمخافة في قولك: خرجت مخافة الشرّ، وضربه تأديباً: تعليلين. وتقول أيضاً: حسبت خروجه لمخافة الشرّ، وظننت ضربه للتأديب، فتجعلها مفعولين كما جعلتها مبتدأ وخبراً. والفتنة: الامتحان بشدائد التكليف: من مفارقة الأوطان، ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقة، وهجر الشّهوات والملاذ، وبال فقر والقحط، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال، وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم. والمعنى: أحسب الذين أجزوا كلمة الشهادة على السنتهم وأظهروا القول بالإيمان: أنهم يتركون لذلك غير ممتحنين، بل يمتحنهم الله بضروب المحن، حتى يبلو صبرهم، وثبات أقدامهم، وصحة عقائدهم، ونصوغ نيّاتهم، ليتميز المخلص من غير المخلص، والراسخ في الدين من المضطرب، والمتمكن من العابد على حرف، كما قال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وروي أنها نزلت في ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ قد جزعوا من أذى المشركين. وقيل في عمّار بن ياسر: وكان يُعذّب في الله. وقيل: في ناسٍ أسلموا بمكة، فكتب إليهم المهاجرون: لا يقبل منكم إسلامكم حتى تُهاجروا، فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم، فلما نزلت كتبوا بها إليهم؛ فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا. وقيل: في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أول قتيل

قوله: (في مهجع بن عبد الله) وفي «الاستيعاب»: مهجع بن صالح، مولى عمر بن الخطاب، شهد بدرًا، وهو أول من قتل من المسلمين بين الصّفين، أتاه سهمٌ غربٌ فقتله، فقال ابن إسحاق: هو من اليمن. وقال ابن هشام: هو من عك، أصابه سبأٌ فمَنّ عليه عمرُ ابنُ الخطاب<sup>(١)</sup>.

(١) «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤: ١٤٨٦).

من المسلمين يوم بدر، رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة» فجزع عليه أبواه وامرأته. ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ موصول بـ ﴿أَحْسِبَ﴾ أو بـ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾، كقولك: ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه، يعني: أن أتباع الأنبياء عليهم السلام قبلهم، قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم، أو ما هو أشد منه فصبروا، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَجِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا﴾ الآية [آل عمران: ١٤٦]، وعن النبي ﷺ: «قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين، ما يصرفه ذلك عن

سهم غزب: أن لا يعرف رامي، يضاف ولا يضاف.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ موصول بـ ﴿أَحْسِبَ﴾ أو بـ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾، فإذا اتصل بـ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾ دخل في حيز متعلق الحسبان المنكر؛ أي: أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم، وليس لهم أسوة بالأمم السالفة، فيكون حالاً من فاعل ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾، وإذا اتصل بـ ﴿أَحْسِبَ﴾ كان حالاً مقررته لجهة الإنكار؛ أي: أحصل الحسبان والحالة هذه، وفي هذا تنبيه على الخطأ وفي الأول تخطئة.

قوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَجِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] تمهيداً لعذره في قوله: «من هو خير منه»، فإنه توهم منه أن أتباع الأنبياء خير من هذه الأمة، فقال: المراد منه النبيون مع الربيين، فهو تميم لصيانة المكروه.

قوله: (قد كان من قبلكم يؤخذ)، الحديث من رواية البخاري وأبي داود والنسائي، عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ ولقد لقينا من المشركين شدة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢) وأبو داود (٢٦٥١) وغيرهما.

دِينِهِ؛ وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ». ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ بِالْأَمْتِحَانِ ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي الْإِيمَانِ ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ فِيهِ. فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ؟ قُلْتَ: لَمْ يَزَلْ يَعْلَمُهُ مَعْدُومًا، وَلَا يَعْلَمُهُ مَوْجُودًا إِلَّا إِذَا وَجَدَ، وَالْمَعْنَى: وَلْيَتَمَيَّزَنَّ الصَّادِقُ مِنْهُمْ مِنَ الْكَاذِبِ. ....

قوله: (لَمْ يَزَلْ يَعْلَمُهُ مَعْدُومًا وَلَا يَعْلَمُهُ مَوْجُودًا إِلَّا إِذَا وَجَدَ)، الْإِنْتِصَافُ: هَذَا يُؤْهِمُ مَذْهَبًا فَاسِدًا، وَهُوَ أَنَّ الْعِلْمَ بِالْكَائِنِ غَيْرُ الْعِلْمِ بِمَا سَيَكُونُ، وَالْحَقُّ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ وَاحِدٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَوْجُودِ، زَمَانَ وَجُودِهِ وَقَبْلَهُ وَبَعْدَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. وَفَائِدَةٌ ذُكِرَ الْعِلْمُ التَّنْبِيهُ بِالسَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ، وَهُوَ الْجِزَاءُ؛ أَي: لِيَعْلَمَتَّهُمْ فَلِيَجَازِيَنَّهُمْ بِسَبَبِ عِلْمِهِ فِيهِمْ، هَذَا هُوَ الْوَجْهُ الثَّانِي فِي الْجَوَابِ (١).

وقال الإمام: عِلْمُ اللَّهِ صِفَةٌ يَظْهَرُ فِيهَا كُلُّ مَا هُوَ وَاقِعٌ (٢)، فَقَبَّلَ التَّكْلِيفَ كَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّ زَيْدًا سَيُطِيعُ وَأَنَّ عَمْرًا سَيَعْصِي، ثُمَّ وَقَّتَ التَّكْلِيفَ وَالْإِتْيَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُطِيعٌ وَالْآخَرَ عَاصٍ، وَبَعْدَ الْإِتْيَانِ يَعْلَمُ أَنَّهُ أَطَاعَ وَالْآخَرَ عَصَى، وَلَا يَتَغَيَّرُ عِلْمُهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَإِنَّمَا التَّغْيِيرُ الْمَعْلُومُ، وَيَتَبَيَّنُ هَذَا بِمِثَالِ [مَنْ الْحَسِيَّاتِ] - وَاللهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى - وَهُوَ أَنَّ الْمَرَأَةَ الصَّقِيلَةَ إِذَا عُلِّقَتْ قُوبَلْ بِهَا جِهَةٌ، فَعَبَّرَ عَلَيْهَا زَيْدٌ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أبيضٌ، ثُمَّ عَمِرُوا وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَصْفَرٌ، فَتَشَكَّلَا فِيهِ عَلَى حَسَبِ مَا هُمَا عَلَيْهِ، فَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنَّ الْمَرَأَةَ مِنْ كَوْنِهَا حَدِيدًا أَوْ مَدُورًا أَوْ صَقِيلًا اخْتَلَفَتْ، بَلْ يُقَطَّعُ أَنَّ التَّغْيِيرَ الْخَارِجُ، بَلْ عِلْمُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَجَلُّ، فَإِنَّ الْمَرَأَةَ مَخْلُوقَةٌ، وَعِلْمُ اللَّهِ قَدِيمٌ (٣).

وقال محيي السنة: وَيُظْهَرَنَّ اللَّهُ الصَّادِقِينَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، حَتَّى يُوجِدَ مَعْلُومَةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِهِمْ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ (٤).

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٣٩).

(٢) وزاد الرازي: «كما هو واقع».

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٢٦).

(٤) «معالم التنزيل» (٦: ٢٣٢).

ويجوز أن يكون وعدًا ووعدًا، كأنه قال: وليُبيِّن الذين صدقُوا وليُعاقِبَنَّ الكاذِبين. وقرأ عليُّ رضي اللهُ عنه والزَّهريُّ: «وليُعَلِّمَنَّ»، من الإِعلام، أي: وليُعَرِّفَنَّهُمُ اللهُ النَّاسَ مَنْ هُمْ. أو لِيَسِمَنَّهُمْ بَعَلَامَةٍ يُعَرِّفُونَ بِهَا؛ من بَيَاضِ الوُجُوهِ وَسَوَادِهَا، وَكُحْلِ العُيُونِ وَزُرْقَتِهَا.

[ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ٤ ]

﴿أَنْ يَسْفِقُونَا﴾ أي: يفوتونا، يعني: أن الجزاء يلحقهم لا محالة، وهم لم يظمَعُوا في الفَوْتِ، ولم يُجِدُّوا به نُفُوسَهُمْ، ولكنَّهُم لَعَفَلَتِهِمْ وَقِلَّةِ فِكْرِهِمْ فِي العَاقِبَةِ وإِصْرَارِهِمْ عَلَى المعَاصِي: فِي صُورَةٍ مَنْ يُقَدِّرُ ذَلِكَ وَيَطْمَعُ فِيهِ. ....

قوله: (ويجوز أن يكون وعدًا ووعدًا)، قال ابن جني: فإنه من إقامة السبب مقام المُسَبِّبِ، والغرض فيه: ليُكَافِئَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وذلك أن المكافآت على الشيء إنما هي مُسَبِّبَةٌ عَنْ عِلْمٍ<sup>(١)</sup>.

قوله: (أو لِيَسِمَنَّهُمْ بَعَلَامَةٍ) قال ابن جني: «وليُعَلِّمَنَّ اللهُ» بضم الياء وكسر اللام؛ معناه: وليُعَرِّفَنَّ النَّاسَ مَنْ هُمْ؟ فَحُذِفَ المَفْعُولُ الأَوَّلُ، وَلِئِنْ لَمْ يَلْحَقْهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ثَوْبٌ مُعَلَّمٌ، وَفَارَسٌ مُعَلَّمٌ؛ أَي: أَعْلَمَ نَفْسَهُ فِي الحَرْبِ بِثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ. المعنى: وليُشْهِرَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وهم لم يظمَعُوا في الفَوْتِ، ولكنَّهُم لَعَفَلَتِهِمْ وإِصْرَارِهِمْ عَلَى المعَاصِي: فِي صُورَةٍ مَنْ يُقَدِّرُ ذَلِكَ)، يعني أنه تعالى أَوْقَعَ فِعْلَ الحُسْبَانِ عَلَى السَّبْقِ وَالفَوْتِ وَهَمَّ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، بَلْ خِلَافُهُ مُتَيَقِّنٌ وَقُوْعُهُ، وَهُوَ الحُوقُ الجِزَاءِ بِهِمْ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ فِي المُؤْمِنِينَ بِدَلِيلِ تَعَقُّبِهِ قَوْلَهُ: أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا وَهَمَّ لَا يَشْكُونَ فِي الجِزَاءِ

(١) «المحتسب» (٢: ١٥٨).

(٢) المصدر السابق (٢: ١٥٨).



ونظيره: ﴿ وَمَا أَنْشَرِ بِمُعْجِزَاتِكَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِيَّاهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٩]. فإن قلت: أين مفعولا (حَسِبَ)؟ قلت: اشتغال (صلة أن) على مُسْنِدٍ ومُسْنِدٍ إليه سَدَّ مَسَدَّ المفعولين؛ كقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ويجوزُ أَنْ يُضْمَنَّ (حَسِبَ) معنى (قَدَّرَ) و﴿ أَمْ ﴾ مُنْقَطِعَةٌ. ومعنى الإضرابِ فيها: أَنَّ هذا الحِسَابَانَ أَبْطَلُ مِنَ الحِسَابِ الأَوَّلِ، لأنَّ ذاك يُقَدَّرُ أنه لا يُمْتَحَنُ لإيْباؤه، وهذا يَظُنُّ أنه لا يُجَازَى بِمِساوِيه. ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾: بِنَسِ الَّذِي يَحْكُمُونَهُ حُكْمُهُمْ هَذَا. أي: بِنَسِ حُكْمًا يَحْكُمُونَهُ حُكْمُهُمْ هَذَا، فَحُذِفَ المَخْصُوصُ بِالذَّمِّ.

[﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ٥]

لقاء الله: مَثَلٌ لِلوُصُولِ إِلَى العَاقِبَةِ، مِنْ تَلَقَّى مَلِكِ المَوْتِ، وَالبَعْثِ، وَالحِسَابِ،

لكن تَرَكُّهُمْ بِسَبَبِ جَزِيمِهِمْ عَلَى غَيْرِ مَوْجِبِ العِلْمِ، وَهُوَ غَفْلَتُهُمْ وَإِصْرَاهُمْ عَلَى المَعَاصِي، مَنزَلَةٌ مَنْ لَمْ يَتَيَقَّنِ الجِزَاءَ<sup>(١)</sup>؛ أي: لَوْ اعْتَقَدُوا مَا أَصْرُوا عَلَى المَعَاصِي.

قوله: (وَنظِيرُهُ) ﴿ وَمَا أَنْشَرِ بِمُعْجِزَاتِكَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِيَّاهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٩] أي: فِي تَنْزِيلِ التَّيَقُّنِ مَنزَلَةَ الشَّاكِّ. هَذَا إِذَا خُوطِبَ الرِّسُولُ ﷺ أَوْ المُؤْمِنُونَ.

قوله: (بِنَسِ الَّذِي يَحْكُمُونَهُ حُكْمُهُمْ). قَالَ مَكِّي<sup>(٢)</sup>: «مَا» فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ وَهِيَ نَكْرَةٌ؛ أَي: سَاءَ شَيْئًا يَحْكُمُونَهُ. وَقِيلَ: «مَا» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ وَهِيَ مَعْرُفَةٌ؛ أَي: سَاءَ الَّذِي يَحْكُمُونَهُ. وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: «مَا» مَعَ الفِعْلِ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ؛ أَي: سَاءَ حُكْمُهُمْ<sup>(٣)</sup>.

(١) من قوله: «لكن تركهم بسبب جزييمهم» إلى هنا، سقط من (ف).

(٢) في (ط): «المالكي»، والمراد به - عند المؤلف - ابن مالك النحوي المشهور، ولا يستقيم هنا.

(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٥٠).

والجزء: مثلت تلك الحال بحال عبدٍ قَدِمَ على سيِّده بعدَ عهدٍ طويل، وقد اطلعَ مولاَهُ على ما كانَ يأتي ويَدْر، فإِما أن يلقاهُ بِبِشْرٍ وترحيب؛ لِما رَضِيَ من أفعاله، أو بِضِدِّ ذلك لِما سَخِطَه منها، فمعنى قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ مَنْ كَانَ يَأْمَلُ تِلْكَ الْحَالِ، وَأَنْ يَلْقَى فِيهَا الْكِرَامَةَ مِنَ اللَّهِ وَالْبُشْرَى ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ وَهُوَ الْمَوْتُ ﴿لَاتٍ﴾ لَا مَحَالَةَ؛ فليبادرِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُصَدِّقُ رِجَاءَهُ، وَيُحَقِّقُ أَمَلَهُ، وَيَكْتَسِبُ بِهِ الْقُرْبَةَ عِنْدَ اللَّهِ وَالزُّلْفَى. ﴿وَهُوَ السَّعْيُ الْعَلِيمُ﴾ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُهُ عِبَادُهُ وَمِمَّا يَفْعَلُونَهُ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِالْتَّقْوَى وَالْحَشْيَةِ. وقيل: ﴿يَرْجُوا﴾: يَخَافُ؛ مِنْ قَوْلِ الْهَذَا فِي صِفَةِ عَسَّالٍ:

إِذَا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا

فإن قلت: ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾، كيف وقع جواباً للشرط؟ .....

قوله: (إِذَا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا)، تمامه:

وخالفها في بيتِ نُوبٍ عَوَامِلٍ<sup>(١)</sup>

الدَّبْرُ: جماعة النَّحْلِ. قيل: سميت بذلك لِتَدْبِيرِهَا وَحُسْنِ تَيْقِنِهَا فِي الْعَمَلِ، وَمِنْ كَلَامِ سُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ لِأُمَّهَا: يَا أُمَّاهُ، مَرَّتْ بِي دُبْرَةٌ فَلَسَعَتْنِي بِأُبْيُرَةٍ.

لَمْ يَرْجُ: لَا يَخَافُ. وَالنُّوبُ: ضَرْبٌ مِنَ النَّحْلِ قِيلَ: سَمِيَتْ بِذَلِكَ<sup>(٢)</sup> لِأَنَّهَا تَنْوُبُ إِلَى أَهْلِهَا، وَالْهَاءُ فِي «لَسَعَتْهُ» يَعُودُ إِلَى الْعَسَّالِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ. وَالْعَسَّالُ: الَّذِي يَشُورُ<sup>(٣)</sup> الْعَسَلَ.

قوله: ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾ كيف وقع جواباً للشرط، تلخيصه ما ذكره الإمام: أن قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ شرط، وجزاؤه: ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup>، والمعلق بالشرطِ عَدَمٌ عِنْدَ عَدَمِ

(١) لأبي ذؤيب الهذلي. انظر: «تاج العروس» (نوب).

(٢) من قوله: «وَحُسْنِ تَيْقِنِهَا فِي الْعَمَلِ، وَمِنْ» إِلَى هُنَا، سَقَطَ مِنْ (ف).

(٣) أي: يستخرجه من خلاياه وأقراصه.

(٤) من قوله: «كَيْفَ وَقَعَ جَوَاباً» إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ح) وَ(ف).

الشَّرْطِ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ مَنْ لَا يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ، لَا يَكُونُ أَجَلَ اللَّهِ آتِيًا لَهُ، وَالْأَجَلَ آتٍ لِكُلِّ أَحَدٍ لَا مَحَالَةَ<sup>(١)</sup>. وَخُلَاصَةُ جَوَابِ الْمُصَنِّفِ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ وَارِدٌ فِي حَقِّ مَنْ عَلِمَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «إِذَا عَلِمَ أَنَّ لِقَاءَ اللَّهِ عُيِّنَ بِهِ تِلْكَ الْحَالُ الْمُمَثَّلَةُ» يَعْنِي: هَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ أَنْ يَقَعَ جَوَابًا لِلشَّرْطِ إِذَا عَلِمَ الْمُخَاطَبُ أَنَّ الْمَرَادَ بِلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَا هُوَ، وَوَقْتَهُ مَتَى هُوَ، وَالْمَرَادُ بِلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَقْتِهِ: هُوَ مَا قَالَ: «مَثَلٌ لِلْوُصُولِ إِلَى الْعَاقِبَةِ»؛ أَي: يَلْقَى مَلَكَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَهُوَ الْمَرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «تِلْكَ الْحَالُ الْمُمَثَّلَةُ» وَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ الْمُخَاطَبُ ذَلِكَ لَا يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ، أَلَا تَرَى كَيْفَ اسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ: «إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَقَعُ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ»؛ يَعْنِي: مَنْ كَانَ يَرْجُو نَيْلَ ثَوَابِ اللَّهِ وَيَخَافُ عِقَابَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ وَقُوعَ ذَلِكَ لَا بَدَّ مِنْهُ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ فِي حَقِّ الْكَافِرِ.

وَيَنْصُرُهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَدْ عُقِّبَتْ بِهَا ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وَسَبَقَ أَتَى فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَائِدَةُ هَذَا التَّنْبِيهِ الْحَثُّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا يُنَالُ بِهِ ذَلِكَ الثَّوَابُ، وَالرَّذْعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالتَّأَهُبُ لِأَخْذِ الزَّادِ لِذَلِكَ الْيَوْمِ السَّمُوهِ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «فَلْيُبَادِرِ الْعَمَلَ [الصَّالِحَ] الَّذِي يُصَدِّقُ رَجَاءَهُ، وَيُحَقِّقُ أَمَلَهُ وَيَكْتَسِبُ بِهِ الْقُرْبَةَ عِنْدَ اللَّهِ وَالزُّلْفَى»، وَسَبِيلُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَبِيلُ الْكِنَايَةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا حَصَلَ الْعِلْمُ بِأَنَّ لِقَاءَ اللَّهِ مُسْتَلْزَمٌ لِلْأَجْلِ الْمَضْرُوبِ، كَانَ ذِكْرُ الْأَجْلِ شَاهِدًا عَلَى حُصُولِ اللَّقَاءِ بِوَجْهِ بُرْهَانِيٍّ، وَلِذَلِكَ عَلَّلَ قَوْلَهُ: «إِنَّ لِقَاءَ اللَّهِ لَأْتٍ» بِقَوْلِهِ: «لَأَنَّ الْأَجَلَ وَاقِعٌ فِيهِ»، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى نَلَمَحُ مَا رَوَيْنَا عَنِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَالْمَوْتُ قَبْلَ لِقَاءِ اللَّهِ» الْحَدِيثَ (٢).

فَعَلَى هَذَا: الْمَوْتُ أَحَدُ الْأَسْبَابِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ، وَالْكَفَالِ السَّرْمَدِيِّ، ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تَذْيِيلٌ لِتَحْقِيقِ حُصُولِ السَّرْجُوِّ وَالْمَخُوفِ وَعَدَا وَوَعِيدًا، وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُهُ عِبَادُهُ وَمِمَّا يَفْعَلُونَهُ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِالتَّقْوَى وَالْحَشْيَةِ»، وَتَرَكَ ذِكْرَ الْوَعْدِ؛ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: فَهُوَ جَدِيدٌ بِأَنْ يُؤْمَلَ وَيُنَاطَ بِكَرَمِهِ

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٧) ومسلم (٢٦٨٣) وغيرهما.

قلت: إذا عَلِمَ أَنْ لِقَاءَ اللَّهِ عُنِيَتْ بِهِ تِلْكَ الْحَالُ الْمُمَثِّلَةُ، وَالْوَقْتُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ تِلْكَ الْحَالُ هُوَ الْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ لِلْمَوْتِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ لِقَاءَ اللَّهِ لَأْتٍ، لِأَنَّ الْأَجَلَ وَاقَعَ فِيهِ اللَّقَاءُ، كَمَا تَقُولُ: مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ الْمَلِكِ؛ فَإِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَرِيبٌ، إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَقَعُدُ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

[وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾]

﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ نَفْسَهُ فِي مَنَعِهَا مَا تَأْمُرُ بِهِ وَحَمَلَهَا عَلَى مَا تَأْبَاهُ ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ﴾ لَهَا، لِأَنَّ مَنَفَعَةَ ذَلِكَ رَاجِعَةٌ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَهَى، رَحْمَةً لِعِبَادِهِ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ وَعَنْ طَاعَتِهِمْ.

[﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٧]]

إِنَّمَا أَنْ يُرِيدَ قَوْمًا مُسْلِمِينَ صَالِحِينَ قَدْ أَسَاءُوا فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ، وَسَيِّئَاتِهِمْ مَغْمُورَةٌ بِحَسَنَاتِهِمْ فَهُوَ يُكْفِرُهَا عَنْهُمْ، أَي: يُسْقِطُ عِقَابَهَا بِثَوَابِ الْحَسَنَاتِ، وَيَجْزِيهِمْ أَحْسَنَ الَّذِي

الرجاء؛ إيجازًا واختصارًا.

وأما «إذا» في قوله: «إذا عَلِمَ أَنْ لِقَاءَ اللَّهِ عُنِيَتْ بِهِ»، فَهِيَ كـ«إذا» فِي قَوْلِهِ: «إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَقَعُدُ»، فَكَمَا أَنَّ جِزَاءَ الْمِثَالِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ الْمَلِكِ» كَذَلِكَ يَقْدَرُ لَهُ الْجِزَاءُ. وَالْفَاءُ فِي «كَأَنَّهُ» جَوَابُ شَرْطٍ مَحذُوفٍ؛ أَي: إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَأَنَّهُ قَالَ.

قوله: (صَالِحِينَ قَدْ أَسَاءُوا فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ، وَسَيِّئَاتِهِمْ مَغْمُورَةٌ بِحَسَنَاتِهِمْ)، الْإِتْتِصَافُ: هَذَا مِنْ تَحْجِيرِ رَحْمَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ بِنَاءٍ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي وَعِيدِ أَصْحَابِ الْكِبَايَرِ، وَقَدْ سَبَقَ إِبْطَالُهُ<sup>(١)</sup>.

وقلت: قد مرَّ أَنَّ الْآيَاتِ وَارِدَةٌ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ تَعْبِيرًا عَلَى اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ، وَتَحْرِيطًا عَلَى اِكْتِسَابِ الْحَسَنَاتِ، وَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ أَنَّ نَفْعَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٤١).

كَانُوا يَعْمَلُونَ، أَي: أَحْسَنَ جِزَاءِ أَعْمَالِهِمْ؛ وَإِنَّمَا قَوْمًا مُشْرِكِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُكَفِّرُ سَيِّئَاتِهِمْ؛ بَأَن يُسْقِطَ عِقَابَ مَا تَقَدَّمَ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَيَجْزِيَهُمْ أَحْسَنَ جِزَاءِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ.

[ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٨ ]

(وصى) حكمه حكم (أمر) في معناه وتصرفه. يُقال: وصيت زيداً بأن يفعل خيراً، كما تقول: أمرته بأن يفعل. ومنه بيت «الإصلاح»: .....

فَأِنَّمَا يَجْعَلُهُ لِنَفْسِهِ ﴿٤﴾، وَأَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنُوكَ لَعْنًا عَنِ الْمَلَائِكِينَ﴾، ثُمَّ أَتَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، تَدْبِيلاً لِذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّفْضِيلِ، فَلَا بَدَّ مِنْ إِثْبَاتِ أَمْرِ يَعْظُمُ شَأْنَهُ، فَيُحْمَلُ قَوْلُهُ: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ عَلَى الْكِبَارِ، وَلِذَلِكَ أَتَى بِالْقَسَمِيَّةِ وَأَوْقَعَهُ فِي مِقَابَلِ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ؛ وَهَذَا الْمَعْنَى لَا يَسْتَقِيمُ فِي حَقِّ الْمَشْرُوكِينَ؛ لِأَنَّ التَّكْفِيرَ يَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ الْإِيْمَانِ، وَلَا مَدْخَلَ لِلْأَعْمَالِ فِيهِ.

وَقَالَ مُحِبِّي السُّنَّةِ: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لَنُضْبِطَنَّهَا حَتَّى تَصِيرَ بِمَنْزِلَةِ مَا لَمْ يُعْمَلْ، فَالتَّكْفِيرُ إِذْهَابُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ<sup>(١)</sup>. وَقَدْ مَرَّ فِي «الْفِرْقَانِ» نَحْوُ مِنْ هَذَا التَّقْدِيرِ وَأَيُّدِنَاهُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

قَالَ الْإِمَامُ: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّا يَخْتَصُّ بِالْعَبْدِ شَيْئَيْنِ: الْإِيْمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَذَكَرَ فِي مُقَابَلَتَيْهِمَا مِمَّا يَخْتَصُّ بِاللَّهِ شَيْئَيْنِ: التَّكْفِيرَ وَالْجِزَاءَ، فَتَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ فِي مُقَابَلَةِ الْإِيْمَانِ، وَالْجِزَاءُ بِالْأَحْسَنِ فِي مُقَابَلَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُجَلَّدُ فِي الْعَذَابِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (بَيْتُ «الْإِصْلَاحِ») وَهُوَ كِتَابُ «إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ» لِابْنِ السُّكَيْتِ. «كَذَّبَ»؛ أَي:

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٢٣٣).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٣١).

وَدُيَّانِيَّةٍ وَصَّتْ بِنِيهَا بِأَنْ كَذَبَ الْقَرَّاطِفُ وَالْقُرُوفُ

كما لو قال: أمرتهم بأن ينتهبوها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٢] أي: وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها، وقولك: وصيتُ زيدًا بعمرو، معناه: وصيته بتعهده عمرو ومُراعاته ونحو ذلك، وكذلك معنى قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾: وصيناها بإيتاء والديه حسناً، أو بإيلاء والديه حسناً؛ أي: فعلاً ذا حُسن، أو ما هو في ذاته حُسنٌ لفرطِ حُسنه، كقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وقرئ: ﴿حُسْنًا﴾، و(إحساناً)، ويجوز أن تجعل ﴿حُسْنًا﴾ من باب قولك: زيداً، بإضمار (أضرب) إذا رأيتَه مُتهيئاً للضرب، فتنصبه بإضمار:

وَجَبَّ نَهَبُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

الجوهري: قال ابن السكيت: كَذَبَ [هاهنا] إغراء؛ أي: عليكم به<sup>(١)</sup>. وهي كلمة نادرة جاءت على غير القياس، والقراطيف جمع القرطف: وهي القطيفة. والقرف - بالفتح: وعاءٌ من جلد يُدْبَغُ بالقرفة؛ أي: قشور الرُّمَّانِ ويُجْعَلُ فِيهِ الحَلْعُ، وهو لحمٌ يطبخ بتوابل فيُفْرَغُ فِيهِ. والبيت لمعقرب بن حمار البارقِي، يَصِفُ امْرَأَةً دُيَّانِيَّةً أَمَرَتْ بِنِيهَا بِأَنْ يَنْتَهَبُوهَا؛ أي: عليكم بها فاغتنموها.

قوله: (وقرئ: ﴿حُسْنًا﴾ و«إحساناً»)، الأولى: مشهورة، والثانية: شاذة<sup>(٢)</sup>. قال الزَّجَّاجُ: ﴿حُسْنًا﴾ معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن، و«إحساناً» معناه: ووصينا الإنسان أن يحسن إلى والديه إحساناً. والأولى أعم في البرِّ. وقيل: يعُمُّ الفعل والقول<sup>(٣)</sup>.

قوله: (أن تجعل ﴿حُسْنًا﴾ من باب قولك: زيداً، بإضمار: أضرب) عطف على قوله: ووصيناها بإيتاء والديه حسناً، وعلى الأوَّل المضاف محذوف وهو العامل في ﴿حُسْنًا﴾

(١) «إصلاح المنطق» ص ١٥.

(٢) وقرأ بها الجحدري: وهي كذلك في مُصحف أبي. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٣: ٣٢٩).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٦٦).

أولهما، أو: افعلْ بهما، لأنَّ التَّوصِيَةَ بهما دالَّةٌ عليه، وما بعده مُطابِقٌ له، كأنه قال: قلنا: أولهما معروفاً، ولا تُطْعَمُها في الشُّركِ إذا حَمَلَكَ عليه. وعلى هذا التَّفْسِيرِ إن وَقَفَ على ﴿بَوْلَدَيْهِ﴾ وابتدأ ﴿حُسْنًا﴾ حَسَنَ الوَقْفِ، وعلى التَّفْسِيرِ الأوَّلِ لا بُدَّ من إضمارِ القول، معناه: وقلنا إن جاهدك أيها الإنسان ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: لا عِلْمَ لَكَ بِالْهَيْبَةِ. والمرادُ بِنَفْيِ العِلْمِ؛ نَفْيُ المَعْلُومِ، كأنه قال: لِتَشْرِكَ بي شيئاً لا يَصِحُّ أن يكونَ

على تقدير: فعلاً ذا حُسْنٍ، أو على المُبالِغَةِ، وعلى الثاني: العاملُ فعلٌ آخَرُ مضمَرٌ بقرينةِ المَقَامِ، وهو أولُهما من الإيتاء والإعطاء، والجملةُ مُستأنفةٌ، كأنه لما قيل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> فقيل: ما تلك الوصية؟ فأجيب قلنا: أولُهما معروفاً ولا تُطْعَمُها، وإليه الإشارةُ بقوله: «إن وقف على ﴿بَوْلَدَيْهِ﴾ وابتدأ ﴿حُسْنًا﴾ حَسَنَ الوَقْفِ».

قوله: (وما بعده مطابق له) يعني: النَّهْيَ في قوله: ﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾ مطابقٌ للأمر؛ لأنَّها من وادي الإنشائيات.

قوله: (وعلى التفسير الأول لا بد من إضمار القول)، يعني عند قوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾، لأنَّ المعنى: أمرنا الإنسان بإيلاء والديهِ ذا حُسْنٍ وقلنا: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾؛ أي: وعلى الثاني: القولُ مقدَّرٌ. قيل: عاملٌ ﴿حُسْنًا﴾: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ إلى آخره، عطفٌ على هذا العاملِ فلا يقدرُ القولُ عند قوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ لاستغنائه بذلك عنه، ومن ثمَّ قُدِّرَ هاهنا: أولُهما معروفاً ولا تُطْعَمُها في الشُّركِ إذا حَمَلَكَ عليه.

قوله: (والمراد بنفي العلم نفي المعلوم)، يعني هو من الكِنَايَةِ، نَفْيُ الشَّيْءِ بِالْبُرْهَانِ؛ لأنَّ هذا الأسلوبُ يُستعملُ غالباً في حقِّ الله تعالى؛ نحو: اتَّعَلَّمُونَ اللّهَ بها لا يَعْلَمُونَ. وفيه إشارةٌ إلى أنَّ نَفْيَ الشُّركِ من العلمِ الضَّروريِّ، وأنَّ الفِطْرَةَ السَّليمةَ مَجْبُولةٌ عليه على ما وَرَدَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ على الفِطْرَةِ»<sup>(٢)</sup>، وذلك أنَّ المُخاطَبَ بقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ جنسُ الإنسانِ، واللّه أعلم.

(١) من قوله: «وعلى الأول المضاف محذوف» إلى هنا، سقط من (ط).

(٢) سبق تخريجه.

إلها ولا يستقيم: وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما، ثم نبه بنهيه عن طاعتها إذا أراداه على ما ذكر، على أن كل حق وإن عظم ساقط؛ إذا جاء حق الله، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ثم قال: إني مرجع من آمن منكم ومن أشرك، فأجازيكم حق جزائكم. وفيه شيان: أحدهما: أن الجزاء إلي، فلا تحدث نفسك بجفوة والدائك وعقوقهما؛ لشيركهما، ولا تحرمهما برك ومعرفك في الدنيا، كما أني لا أمنعها رزقي. والثاني: التحذير من متابعتها على الشرك، والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد. روي: أن سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه حين أسلم قالت أمه، وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس: يا سعد، بلغني أنك قد صبأت، فوالله لا يظنني سقفت بيت من الفيح والريح؛ وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد، وكان أحب ولدها إليها، فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك، فجاء سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه، فنزلت هذه الآية، والتي في «لقمان»، والتي في «الأحقاف»، فأمره رسول الله ﷺ أن يداريها ويترضاها بالإحسان. وروي: نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وذلك: أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة، فخرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخزومة: امرأة من بني تميم من بني حنظلة، فنزلا بعياش وقالوا له: إن من دين محمد صلة الأرحام وبر الوالدين، وقد تركت أمك لا تطعم

قوله: (روي أن سعد بن أبي وقاص) الحديث؛ من رواية مسلم والترمذي، عن سعد قال: أنزلت في أربع آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد لا تكلمه أبداً حتى يكفر بيديه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالدك، فإنا أمك وأنا أمرك بهذا، فمكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن﴾ [لقمان: ١٤]؛ يعني: التي في «لقمان»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٧٤٨) والترمذي (٣١٨٩) وغيرهما.



ولا تشربُ ولا تأوي بيتًا حتى تراك، وهي أشدُّ حبًّا لك منَّا فاخْرُجْ معنا، وفتلا منه في الذرّوة والغاربِ، فاستشارَ عمرَ رضيَ اللهُ عنه فقال: هُما يحدّعاينك، ولك عليّ أن أقسمَ مالي بيني وبينك، فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمرَ، فقال له عمر: أما إذ عصيتني فخذُ ناقتي، فليس في الدنيا بعيرٌ يلحُّقُها، فإن رابكَ منها ريبٌ فارْجِعْ، فلما انتهوا إلى البيداءِ قال أبو جهل: إن ناقتي قد كلَّتْ فاحمِلني معك. قال: نعم، فنزلَ ليوطىَ لنفسه وله، فأخذه وشدّاه وثاقًا، وجلده كُلِّ واحدٍ منهما مئةَ جلدة، وذهبا به إلى أمّه فقالت: لا تزالُ في عذابٍ حتى ترجعَ عن دينِ مُحَمَّد، فنزلت.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [٩]

﴿فِي الصَّالِحِينَ﴾ في جملةهم. والصَّلاحُ من أبلغ صفات المؤمنين، وهو مُتَمَتَّى أنبياء الله. قال اللهُ تعالى حكايةً عن سُلَيْمانَ عليه السَّلام: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي

قوله: (وَفَتَلَا مِنْهُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ)، فَتَلَّ مِنْهُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ: مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يَتَحَيَّلُ فِي مَيْلٍ صَاحِبِهِ إِلَى مَا كَانَ يَمْتَنِعُ مِنْهُ؛ أَي: لَمْ يَزَلْ يَرْفُقُ بِهِ رِفْقًا يُشْبِهُ مَنْ يَفْتَلُ الشَّعْرَ فِي ذِرْوَةِ الْجَمَلِ الصَّغْبِ وَغَارِيهِ حَتَّى يَسْتَأْنَسَ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَالصَّالِحِينَ مِنْ أَبْلَغِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ) وَذَلِكَ أَنَّ الصَّالِحَ ضِدُّ الفَسَادِ، وَالفَسَادُ: خُرُوجُ الشَّيْءِ عَنْ كَوْنِهِ مُتَّفَعًا بِهِ، وَلا كِمَالٍ لِلإنْسَانِ أَكْمَلُ مِنْ حُصُولِهِ عَلَى مَا خُلِقَ لَهُ مِنَ البَقَاءِ<sup>(٢)</sup>، وَلا يَحْضُلُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ غَايَتَهَا الفَنَاءُ، وَأَيُّ فَسَادٍ وَرَاءَهُ؟! فإِذَنْ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ إِلا ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْنَدٍ﴾ [القمر: ٥٥]، وَهَذَا كَانَ طَلَبُ الصَّالِحِ مُتَمَتَّى أَنْبِيَاءِ اللهِ، اللَّهُمَّ أَدْخِلْنَا فِي رُحْمَتِهِمْ.

قال الإمام: الصَّالِحُ باقٍ وَالصَّالِحُونَ باقُونَ، وَبِقَاؤِهِمْ لَيْسَ بِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ بِأَعْمَالِهِمْ الباقيةِ وَالْمَعْمُولِ لَهُ - وَهُوَ وَجْهُ اللهِ - [باقٍ]، وَالْعَامِلُونَ باقُونَ بِبَقَاءِ أَعْمَالِهِمْ. هَذَا عَلَى خِلافِ

(١) انظر: «مجمع الأمثال» (٢: ٦٩).

(٢) في (ف): «التقى».

عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿ [النمل: ١٩]، وَقَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَعِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ [البقرة: ١٣٠، النحل: ١٢٢، العنكبوت: ٢٧] أَوْ فِي مَدْخَلِ الصَّالِحِينَ وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿ [الأنعام: ٦٩].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ \* وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿ [١١-١٠]

هم ناس كانوا يؤمنون بأستتھم، فإذا مسَّهم أذى من الكُفَّارِ وهو المرادُ بفتنة الناس، كان ذلك صارفاً لهم عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارفٌ للمؤمنين عن الكفر. أو كما يجب أن يكون عذابُ الله صارفاً، وإذا نصرَ الله المؤمنينَ وغنمهم اعترضوهم وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴿ أي: مُشايعين لكم في دينكم، ثابتين عليه

الأمورِ الدنيوية، فإنَّ في الدنيا بقاءَ الفعلِ بالفاعلِ، وفي الآخرة بقاءَ الفاعلِ بالفعلِ<sup>(١)</sup>. كأنه أخذَ المعنى من قوله: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴿ [الكهف: ٤٦].

قوله: (كان ذلك صارفاً لهم عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارفٌ للمؤمنين). قال الإمام: قيل: جَزَعُوا من عذاب الناس كما جَزَعُوا من عذاب الله. وبالجملة معناه: جَعَلُوا فِتْنَةَ النَّاسِ مَعَ ضَعْفِهَا وَانْقِطَاعِهَا مَوْضِعَ عَذَابِ اللَّهِ الْأَلِيمِ الدَّائِمِ، حَتَّى تَرَدُّوا فِي الْأَمْرِ، وَقَالُوا: إِنْ آمَنَّا تَتَعَرَّضُ لِنَاذِي النَّاسِ، وَإِنْ تَرَكْنَا الْإِيمَانَ تَتَعَرَّضُ لِمَا تَوَعَّدَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَا يَكُونُ التَّرَدُّ إِلَّا عِنْدَ التَّسَاوِي (٢). فقد أبعَدوا السَّمْرِي.

قوله: (أو كما يجب أن يكون عذابُ الله صارفاً) أي: عن الكُفْرِ من حيث هو هو وإن لم يَلْتَفِتْ إليه الكافرُ ولم ينصرف.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٣٣).

(٢) المصدر السابق (٢٥: ٣٥).

ثباتكم، ما قدر أحد أن يفتننا، فأعطونا نصيبنا من المغنم. ثم أخبر سبحانه أنه أعلم بما في صدور العالمين ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من العالمين بما في صدورهم، ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من التفاق، وهذا إطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه، ثم وعد المؤمنين وأعد المنافقين، وقرئ: (ليقولن) بفتح اللام.

[ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ]  
 وَلَيْسَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْكَرُونَ ﴿١٢-١٣﴾ ]

أمرهم باتباع سبيلهم؛ وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم، وأمرُوا أنفسهم بحمل خطاياهم، فعطف الأمر على الأمر، وأرادوا: ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم. والمعنى: تعليق الحمل بالاتباع، وهذا قول صناديد قریش: كانوا يقولون لمن آمن منهم: لا تبعث نحن ولا أنتم،

قوله: (وأرادوا: ليجتمع هذان الأمران) يريد أنهم عطفوا ﴿وَلنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ﴾، وهو أمر لأنفسهم لحمل خطايا الأتباع على أمر المؤمنين باتباعهم إرادة للمبالغة، وأن كليهما لا بد من الحصول والإدخال في الوجود على طريقة قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ١٥] في تعويل استعارة الرتب إلى الذهن. ولو جيء بها على ظاهرهما. وقيل: إن أتبعتمونا حملنا خطاياكم؛ على الشرط والجزاء كما قال، والمعنى: تعليق الحمل بالاتباع لم يكن من التحقيق في شيء.

قال القاضي: وإنما أمرُوا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعيد بتخفيف الأوزار عنهم إن كانت، تشجيعاً لهم عليه، وبهذا الاعتبار رد عليهم كذبهم بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ﴾ (١).

فإن عسى كان ذلك فإننا نتحمل عنكم الإثم. ونرى في التسمين بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم: افعَلْ هذا وإثمُه في عُنُقِي. وكم من مغرورٍ بمثلِ هذا الضَّمانِ من صَعَفَةِ العَامَّةِ وجَهَلَتِهِمْ، ومنه ما يُحكى أن أبا جعفرٍ المنصورَ رَفَعَ إليه بعضُ أهلِ الحشوِ حوائجَه، فلَمَّا قضاها قال: يا أميرَ المؤمنين، بَقِيَتِ الحاجةُ العُظمى. قال: وما هي؟ قال: شفاعتُك يومَ القيامة، فقال له عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ رحمه اللهُ: إِيَّاكَ وهؤلاءِ، فإنَّهم قُطَاعُ الطَّرِيقِ في المَأْمَنِ. فإن قلت: كيف سَمَّاهُم كاذِبِينَ، وإِنَّمَا ضَمِنُوا شَيْئًا عَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ لا يَقْدِرُونَ على الوفاءِ به، وضامنٌ ما لا يعلمُ اقتدارَه على الوفاءِ به، لا يُسَمَّى كاذِبًا؛ لا حينَ ضَمِنَ، ولا حين

قوله: (فإن عسى كان ذلك) قيل: التقدير: فإن كان ذلك فإننا نتحمل، وذكر «عسى» قبل ذكر الشرط إشارة إلى أن ذلك مبني على رجائكم لا عن تحقيق، واسم «عسى» ضميرٌ يعود إلى ما دلَّ عليه قوله: «كان ذلك» فإنه مقدّم معني؛ لأن حرف الشرط داخله عليه، وخبره محذوف، كأنه قيل: عسى كون ذلك أن نتحمل، وقد أجاز ذلك ابن الحاجب في «شرح المفصل»<sup>(١)</sup> في باب التنازع، وفيه نظر، والظاهر أن «عسى» مُقَحَّمٌ مؤكِّدٌ بمعنى الفرض، والتقدير: ولذا رُتِّبَ على قوله: «لا تُبعث نحن ولا أنتم».

قوله: (فقال له عمرو بن عبيد: إياك وهؤلاء، فإنهم قطاع الطريق في المأمن)، الانتصاف: عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ أَوَّلُ القَدْرِيَّةِ المُنْكَرِينَ للشفاعة، والرَّخْشَرِيُّ بَنَى كلامه على أنه لا فرق بين اعتقاد الشفاعة واعتقاد أن الكفار يحملون خطايا أتباعهم، فساقها سياقاً واحداً، وفي الآية نكتة وهي أن الأمر قد يجيء بمعنى الحبر، فإن بعض الناس أنكروه والتزم تحريج جميع ما ورد في القرآن على الأمر، ولا يتيم له ذلك هاهنا؛ لأن التأكيد إنما يتطرق إلى الحبر<sup>(٢)</sup>.

وقلت: قد مرَّ أن أصل الكلام على التعليق، فإن المراد: إن اتبعتمونا نتحمل خطاياكم والعُدُولُ للمبالغة.

(١) «الإيضاح في شرح المفصل» (١: ١٣٦-١٣٧).

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٤٤).

عَجِز؛ لأنه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب، وهو المُخْبِرُ عن الشيء لا على ما هو عليه؟ قلت: شبه الله حالهم - حيث عَلِمَ أن ما ضَمِنوه لا طريق لهم إلى أن يفوا به، فكان ضمائهم عنده لا على ما عليه المضمون - بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المُخْبِرُ عنه. ويجوز أن يُريدَ أنهم كاذبون، لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه، كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف.

﴿وَلِيَحْمِلُوا أَنْفَالَهُمْ﴾ أي: أنقال أنفسهم. (أنقالاً) يعني: أنقالاً آخر غير الخطايا التي ضَمِنُوا للمؤمنين حملها، وهي: أنقال الذين كانوا سبباً في ضلالهم. ﴿وَلِيَسْتَأْذِنَ﴾

قوله: (فإنهم قطع الطريق في المأمِن)، «في المأمِن» تسميم؛ لأن قطع الطريق إنما يكونون في البراري والمخاوف.

قوله: (ويجوز أن يُريدَ أنهم كاذبون، لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه) عطف على قوله: «شبه الله حالهم»، الجوابان مبنيان على الاختلاف في أن الكذب هل هو الإخبار عن الشيء خلاف ما هو به في الواقع؟ أم على خلاف معتقد القائل؟ والجواب الأول مبني على المذهب الأول، لكن على التشبيه، واستعارة الكذب لضمائهم<sup>(١)</sup> عند الله لا على ما عليه المضمون.

قال صاحب «الفرائد»: قوله: «شبه الله تعالى» منظور فيه؛ لأن الواقع أنهم غير حاملين من خطاياهم شيئاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَزَرَّ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فكانوا مُخْبِرِينَ عن شيء لا على ما هو عليه، فظهر أنه ترك الحقيقة إلى المجاز بدون المنع.

قوله: (أنقالاً آخر غير الخطايا<sup>(٢)</sup>) التي ضَمِنُوا للمؤمنين) وإنما قيده به لِمَا عَلِمَ من قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِحَمِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفى حمل خطايا المؤمنين على سبيل الاستغراق.

(١) في (ط): «لعدابهم».

(٢) في الأصول الخطية: «خطايا»، والتصويب من «الكشاف».

سؤال تقريع ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: يخلقون من الأكاذيب والأباطيل. وقري: (من خطيئاتهم).

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ فَأَجْبِنْتُهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٤-١٥﴾]

كان عمرُ نوح عليه السلام ألفاً وخمسين سنة، بُعث على رأس أربعين، وليث في قومه تسعمئة وخمسين، وعاش بعد الطوفان ستين. وعن وهب: أنه عاش ألفاً وأربعمئة سنة. فإن قلت: هلا قيل: تسع مئة وخمسين سنة؟ قلت: ما أورده الله أحكم؛ لأنه

فإن قلت: ما فائدة ﴿أَنقَالَهُمْ﴾؟ إذ لو قيل: وليحملن أثقالاً مع أثقالهم لأفاد.

قلت: أريد بيان استقلال أثقال أنفسهم، وأنها بهتتهم واستفرغت جهدهم، ومع ذلك جعلت أثقال الذين يضلونهم كالعلاوة عليها. نحوه قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ [النحل: ٢٥]. ومعنى التَّنْكِيرِ في ﴿وَأَنقَالَهُمْ﴾ كمعنى «من» في ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ [النحل: ٢٥]. قال: وبعض أوزار من ضلَّ بضلالهم، وهو وزر الإضلال.

قوله: (كان عمرُ نوح عليه السلام) إلى آخره، وفي «جامع الأصول»: كانت مدة نبوته تسع مئة وخمسين سنة، وعاش بعد الغرق خمسين سنة، وقيل: مئتي سنة، وكانت مدة الطوفان ستة أشهر آخرها يوم عاشوراء<sup>(١)</sup>.

قوله: (ما أورده الله أحكم)؛ لأنه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره.

وقال الزجاج: الاستثناء مستعمل في كلامهم، وتأويله توكيد العدد وكماله؛ لأنك قد تذكر الجملة ويكون الحاصل أكثرها، فإذا أردت التوكيد في تمامها قلت كلها، وإذا أردت

(١) «جامع الأصول» (١٢: ١١٢).

لو قيل كما قلت، لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك، وكأنه قيل: تسعمئة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملاً بالفائدة، وفيه نكتة أخرى: وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة، تسلياً لرسول الله ﷺ وتثبيتاً له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكبر منه، أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره. فإن قلت: فلم جاء المميز أولاً بالسنة وثانياً بالعام؟ قلت: لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض يتحبه المتكلم؛ من تفخيم، أو تهويل، أو تنويه، أو نحو ذلك. ﴿الطوفات﴾ ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة، من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما. قال العجاج:

### وَعَمَّ طُوفَانُ الظَّلَامِ الأَثَابَا

التوكيد في نقصانها أدخلت الاستثناء تقول: جاءني إخوتك، يعني أن جميعهم جاؤوك، وجائز أن تعني أن أكثرهم جاءك، فإذا قلت: كلهم أكدت معنى الجماعة، وأعلمت أنه لم يتخلف منهم أحد، وإذا قلت: إلا زيذاً أكدت أن الجماعة تنقص زيذاً، وكذلك رؤوس الأعداد مُشَبَّهَةٌ بالجماعة تَحْتَمِلُ النُّقْصَانَ وَالتَّمَامَ<sup>(١)</sup>.

وعن بعضهم: الصَّحِيحُ أَنَّ العِدَدَ لَا يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالتَّنْقِصَانَ، وَالمَعْدُودُ يَقْبَلُهَا. قال تعالى: ﴿الْحَقُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فَإِنَّهُ سَمِيَ بَعْضُ الشَّهْرِ شَهْرًا خِلَافًا لِمَالِكٍ، فَإِنَّ المَعْنَى المَعْمُولَ عَلَيْهِ أَنَّ مَا نَصَّ اللّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الإِجَابِ وَالتَّنْفِي<sup>(٢)</sup>، وَمَا أوردَهُ السَّائِلُ إِيجَابٌ مَحْضٌ، وَالأوَّلُ أَوْكَدُ.

قوله: (وَعَمَّ طُوفَانُ الظَّلَامِ الأَثَابَا) أوله:

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٦٣).

(٢) في (ف): «والتنفي».

﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ كانوا ثمانية وسبعين نفساً: نصفهم ذكور، ونصفهم إناث، منهم أولاد نوح عليه السلام: سام، وحام، ويافث، ونسأؤهم. وعن محمد بن إسحاق: كانوا عشرة: خمسة رجالٍ وخمس نسوة. وقد روي عن النبي ﷺ: «كانوا ثمانية: نوح وأهله وبنوه الثلاثة». والضمير في: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ للسفينة أو للحادثة والقصة.

[﴿وَأَرْهَبِهِمْ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْتِنَا وَنَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَإِنْ تَكذَّبُوا فَاذْنَبْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ١٦-١٨]

إِنَّ النَّهَارَ الْمُسْتَبِينَ قَدْ مَضَى

وَيُرْوَى أَوْلَاهُ:

حَتَّى إِذَا مَا يَوْمُهَا تَصَبَّبَا

بعده:

وَأَطَاءَ مِنْ دَعَسِ الْحَمِيرِ نَيْسَبًا<sup>(١)</sup>

يومها يوم العانة. وهي القطيع من الحمير الوحش، وتَصَبَّبَ<sup>(٢)</sup> الشيءُ: انمَحَقَ وذهَب، وأطاء هذا الحمار طريقاً لينا تدعسه الحمير وتطؤه. والنَيْسَبُ: الطريق اللين. عمّ؛ أي: غطى. الأثابُ: شجر الواحدة: الأثابة.

الراغب: الطوفان: كلُّ حادثة تُحيط بالإنسان، وصار متعارفاً في الماء المتناهي في الكثرة؛ لأنَّ الحادثة التي نالت قوم نوح عليه السلام كانت ماء<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكرها أبو عمرو الشيباني في كتاب «الجيم» ص ٦٢، ٢٤٠. ووقع فيه: «وأضاء».

(٢) في (ط): «وتضضب».

(٣) «مفردات القرآن» ص ٥٣٢.



نُصِبَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بِإِضْمَارِ «اذْكُرْ»، وَأُبْدِلَ عَنْهُ (إِذْ) بَدَلَ الْإِسْتِهَالِ؛ لِأَنَّ الْأَحْيَانَ تَشْتَمِلُ عَلَى مَا فِيهَا. أَوْ هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿تَوْحًا﴾ وَإِذَا: ظَرْفٌ لـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾، يَعْنِي: أَرْسَلْنَاهُ حِينَ بَلَغَ مِنَ السَّنِّ وَالْعِلْمِ مَبْلَغًا صَلَحَ فِيهِ لِأَنَّ يَعْظُ قَوْمَهُ وَيَنْصَحُهُمْ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْحَقَّ، وَيَأْمُرُهُم بِالْعِبَادَةِ وَالتَّقْوَى. وَقَرَأَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: (وإبراهيم)، بِالرَّفْعِ عَلَى مَعْنَى: وَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِبْرَاهِيمَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي: إِنْ كَانَ فِيكُمْ عِلْمٌ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا هُوَ شَرٌّ لَكُمْ. أَوْ إِنْ نَظَرْتُمْ بَعَيْنِ الدَّرَايَةِ الْمُبْصِرَةَ دُونَ عَيْنِ الْجَهْلِ الْعَمِيَاءِ؛ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ. وَقُرئ: (تُخَلِّقُونَ) مِنْ: (خَلَقَ) بِمَعْنَى التَّكْثِيرِ فِي (خَلَقَ)، وَ(تُخَلِّقُونَ) مِنْ: (تَخَلَّقَ) بِمَعْنَى: تَكَذَّبَ وَتَحَرَّصَ. وَقُرئ: (أَفْكَأَ)، وَفِيهِ وَجْهَانُ: أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا، نَحْوُ: كَذِبٌ وَلَعِبٌ. وَالْإِفْكَ: مُخَفَّفٌ مِنْهُ، كَالْكَذِبِ وَاللَّعِبِ مِنْ أَصْلِهِمَا، وَأَنْ يَكُونَ صِفَةً عَلَى (فَعِلَ)، أَي: خَلَقًا إِفْكَأَ، ذَا

قوله: (أَوْ إِنْ نَظَرْتُمْ بَعَيْنِ الدَّرَايَةِ الْمُبْصِرَةَ) وَعَلَى هَذَا ﴿تَعْلَمُونَ﴾ يَجْرِي جَرِي اللَّازِمِ؛ نَحْوُ: فَلَانَ يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَعَلَى الْأَوَّلِ الْمُتَعَلِّقِ مَحْذُوفٍ بِقَرَائِنِ الْأَحْوَالِ، وَهَذَا قَالَ: «عَلِمْتُمْ أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ»، وَقَوْلُهُ: «عَلِمْتُمْ أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ» جَزَاءٌ عَلَى التَّقْدِيرِ يَنْ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَ الشَّرْطِ.

قوله: (وَقُرئ: «تُخَلِّقُونَ») قَالَ ابْنُ جَنِّي: قَرَأَهَا السُّلَمِيُّ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ. وَقَرَأَ فَضِيلُ ابْنِ مَرْوَانَ: «تُخَلِّقُونَ أَفْكَأَ» بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْفَاءِ، وَأَمَّا «تُخَلِّقُونَ» فَعَلَى وَزُنْ: تَكْذِبُونَ، وَمَعْنَاهُ.

وَأَمَّا «أَفْكَأَ»، فَمَا أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا كَالْكَذِبِ وَالضَّحِكِ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ صِفَةً مُصَدَّرًا مَحْذُوفٍ؛ أَي: تَكْذِبُونَ كَذِبًا أَفْكَأَ، فَحُذِفَ وَأُقِيمَتِ الصِّفَةُ مَقَامَهُ؛ نَحْوُ: قَمْتُ مِثْلَ مَا قَامَ زَيْدٌ؛ أَي: قِيَامًا مِثْلَ قِيَامِ (١) زَيْدٍ. وَ«أَفْكَ» عَلَى هَذَا صِفَةٌ كَبْطَرٍ وَأَشْرٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى «أَفْكَ» اسْمٌ فَاعِلٍ (٢).

(١) فِي (ط): «مِثْلَ مَا قَامَ»، وَفِي (ح) وَ(ف): «مِثْلَ مَا قِيَامَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمَحْتَسِبِ».

(٢) «الْمَحْتَسِبِ» (٢: ١٥٩).

إفكٍ وباطلٍ. واختلاقهم الإفك: تسميتهم الأوثان آلهةً وشركاءَ الله أو شفعاءً إليه. أو سمى الأصنام إفكاً، وعملهم لها ونحتهم: خلقاً للإفك. فإن قلت: لم نكر الرزق ثم عرفه؟ قلت: لأنه أراد: لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق، فابتغوا عند الله الرزق كله. فإنه هو الرزاق وحده؛ لا يرزق غيره. ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقري: بفتح التاء، فاستعدوا للقاءه للعبادته والشكر له على أنعمه، وإن تكذبوني فلا تضرّونني بتكذبيكم، فإن الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم، وما ضرّوهم؛ وإنّا ضرّوا أنفسهم، حيث حلّ بهم ما حلّ بسبب تكذيب الرسل: وأما الرسول فقد تمّ أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك، وهو اقترانه بآيات الله ومُعجزاته. أو: وإن كنتُ مُكذِّباً فيما بينكم؛ فلي في سائر الأنبياء أسوة وسلوة حيث كُذِّبوا، وعلى الرسول أن يُبلغ، وما عليه أن يُصدّق ولا يُكذّب، وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم صلوات الله عليه لقومه، وأن تكون آيات وقعت مُعترضةً في شأن رسول الله ﷺ وشأن قريش؛ بين أول قصة إبراهيم وأخرها. فإن قلت: إذا كانت من قول إبراهيم؛ فما المراد بالأمم

قوله: (لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق، فابتغوا عند الله الرزق كله) يعني: إنّا نكر أولاً للتعليل مبالغة في النفي وعرف للاستغراق ليشمل كل ما يُسمى رزقاً، وهذا من المواضع التي وردت فيه المعرفة بعد النكرة، ولم يرد بالثاني الأول ذهباً إلى معنى التقابل وفرقاً بين الرزقين.

قوله: (وإن تكذبوني فلا تضرّونني بتكذبيكم، فإن الرسل قبلي) إشارة إلى أن الجزاء مقدّر، والمذكور علة، ويجوز أن يكون المذكور جزءاً منضمناً للإخبار والإعلام، يعني: تكذبيكم إياي سبب لأن أخبركم بأن كذبت أمم قبلكم، وأن لي أسوة بالأنبياء من قبلي؛ نحو قولهم: إن تكرمني<sup>(١)</sup> الآن فقد أكرمتك أمس؛ مراداً به: إن تعتد بإكرامك إياي الآن فاعتد بإكرامي إياك أمس.

(١) في (ط): «إن لا تكرمني».

قبله؟ قلت: قومُ شِيثٍ وإدريسَ ونوحٍ وغيرهم، وكفى بقومِ نوحٍ أمةً في معنى أُممِ  
جمّةٍ مُكذّبةٍ، ولقد عاشَ إدريسُ ألفَ سنةٍ في قومه إلى أن رُفِعَ إلى السَّماءِ. وآمنَ به ألفُ  
إنسانٍ منهم على عددِ سنينه، وأعقابهم على التّكذيبِ.

[﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بُدِئَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ \* قُلْ  
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ \* يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ \* وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي  
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۗ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٩-٢٢]

فإن قلت: فما تصنعُ بقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾؟ قلت: هي حِكايَةُ كلامِ الله  
حكاةَ إبراهيمَ عليه السَّلَامُ لقومه، كما يحكي رسولنا ﷺ كلامَ الله على هذا المنهاجِ في  
أكثرِ القرآنِ. فإن قلت: فإذا كانتِ خطابًا لقريشٍ فما وجهُ توسُّطِها بينَ طرفي قصّةِ  
إبراهيمَ؛ والجُمْلَةُ أو الجُمْلُ الاعتراضيةُ لا بُدَّ لها من اتِّصالٍ بها وقعت معترضةً فيه؟  
ألا تَرَاكَ لا تقول: مكّةُ وزيدٌ أبوه قائمٌ خيرٌ بلادِ الله؟ قلت: إيرادُ قصّةِ إبراهيمَ عليه  
السلامِ ليس إلا إرادةً للتَّنْفِيسِ عن رسولِ الله ﷺ، وأن تكونَ مَسَلَةً له ومُتَفَرِّجًا  
بأنَّ أباهُ إبراهيمَ خليلُ الله كان مُمْنُوًّا بَنَحْوِ ما مُنِّيَ به من شركِ قومه وعبادتهمِ  
الأوثانِ، فاعترَضَ بقوله: وإن تُكذِّبُوا، على معنى أنكم يا معشرَ قريشٍ: إن تُكذِّبُوا  
مُحَمَّدًا فقد كَذَّبَ إبراهيمَ قومه وكلُّ أمةٍ نبيّها؛ لأنَّ قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ  
قَبْلِكُمْ﴾ لا بُدَّ من تناوُلِهِ لأمةِ إبراهيمَ، وهو كما ترى؛ اعترَضَ واقِعُ مُتَّصِلٍ، ثم سائرُ  
الآياتِ الواطئةُ عقِبَها من أذياها وتوابعِها، لكونها ناطقةً بالتَّوْحِيدِ ودلائِلِهِ، وهذمِ

قوله: (إيرادُ قصّةِ إبراهيمَ عليه السَّلَامُ ليس إلا إرادةً للتَّنْفِيسِ عن رسولِ الله ﷺ)...  
إلى آخره، هذه قاعدةٌ شريفةٌ يُبنى عليها أكثرُ النَّظْمِ، وجُلُّ القَصَصِ واردٌ على هذا النَّهْجِ كما  
سَرَدْنَا الكلامَ عليه مِرَاةً.

قوله: (كان مُمْنُوًّا) أي: مُتَّنِيًّا. الجوهرية: مَنُونُهُ وَمَنِيَّتُهُ: إذا ابتليته.

الشَّرِكِ وتوهينِ قواعده، وصِفَةِ قُدْرَةِ اللهِ وَسُلْطَانِهِ، ووضوحِ حُجَّتِهِ وَبُرْهَانِهِ قَرِي: ﴿يَرَوُا﴾ بالتاء والياء. و﴿يَبْدِئُ﴾ و﴿يَبْدَأُ﴾. وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمعطوفٍ على ﴿يَبْدِئُ﴾، وليستِ الرَّؤْيَةُ واقعةً عليه، وإنما هو إخبارٌ على حِمالِهِ بالإعادةِ بعدَ الموتِ، كما وَقَعَ النَّظْرُ في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ على البَدْءِ دونَ الإنشاءِ، ونحوه قولك: ما زلتُ أوثرُ فلانًا وأستخلفُهُ على مَنْ أُخلفُهُ،

قوله: (قري ﴿يَرَوُا﴾ بالتاء والياء) أبو بكرٍ وحمزةٌ والكسائيُّ: بالتاءِ الفوقانيَّةِ، والباقون: بالياءِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (ليس بمعطوفٍ على ﴿يَبْدِئُ﴾ وليستِ الرَّؤْيَةُ واقعةً عليه، وإنما هو إخبارٌ على حِمالِهِ)، الجوهريُّ: بحِمالِهِ بإزائه، وأصله الواو؛ يعني لا يجوزُ العطفُ على ﴿يَبْدِئُ﴾؛ لأنَّ الرَّؤْيَةَ وَقَعَتْ على البَدْءِ لا على الإعادةِ.

قال صاحب «المطلع»: وإن جعلتِ الرَّؤْيَةَ بمعنى العِلْمِ لِمَتَمَكِّنِهِمْ من تَحْصِيلِهِ بالبحثِ عن دلائله والاستدلالِ بها، فلا حاجةَ إلى هذا التَّكْلِيفِ في التَّقْصِي عن عَهْدَةِ العَطْفِ.

وقال صاحب «الانتصاف» أيضًا: ولقائل أن يقول: وإن لم تقعِ الرَّؤْيَةُ عليه إلا أنها إخبارُ الله وهي كالمأْتِي به، فعمِلتْ معاملةَ المأْتِي به<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام: الآيةُ الأولى إشارةٌ إلى العِلْمِ الحَدِيثِيِّ، وهو حاصلٌ فلم يَحْتَجْ إلى الاستفهامِ، فاستفهمَ لِيُفِيدَ استبعادَ عَدَمِهِ، والثانيةُ إشارةٌ إلى العِلْمِ الفِكْرِيِّ، كأنه قيل: إن كنتم لستم من قبيلِ الأوَّلِ فَسَيَرُوا فِكْرَكُمْ في الأرضِ، وأجِيلُوا ذُهْنَكُمْ في الحوادثِ الخارجَةِ عن أنفُسِكُمْ لتعلموا بَدْءَ الخَلْقِ وإعادته، والرَّؤْيَةُ أقوى من النَّظْرِ؛ لأنَّ النَّظَرَ يُفْضِي إلى الرَّؤْيَةِ، يُقال: نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (ونحوه قولك: ما زلتُ أوثرُ فلانًا وأستخلفُهُ)، وإنما لم يحسنْ عطفُ «أستخلفُهُ»

(١) ولتمام الفائدة انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (٢: ١٧٧).

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشف» (٣: ٤٤٨).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٤٢).

فإن قلت: هو معطوفٌ بحرفِ العطف، فلا بُدُّ له من معطوفٍ عليه، فما هو؟ قلت: هو جملةٌ قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ وكذلك: وأستخلفه، معطوفٌ على جملةٍ قوله: ما زلتُ أوثرُ فلاناً، ﴿ذَلِكَ﴾ يرجعُ إلى ما يرجعُ إليه «هو» في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] من معنى يعيد. دَلَّ بقوله: ﴿النَّشْأَةُ الْآخِرَةَ﴾ على أنها نشأتان، وأن كَلَّ واحدةٌ منهما إنشاء، أي: ابتداءٌ واختراع، وإخراجٌ من العدمِ إلى الوجود، لا تفاوتٌ بينهما إلا أن الآخرَ إنشاءٌ بعدَ إنشاءٍ مثله، والأوّل ليس كذلك. وقرئ: ﴿النَّشْأَةُ﴾ و(النَّشْأَةُ) كالرَّافَةِ والرَّافَةِ، فإن قلت: ما معنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مُبتدأً في قوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ بعدَ إضماره في قوله: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾؟ وكانَ القِيَّاسُ أن يُقال: كيفَ بدأ اللهُ الخلقَ ثُمَّ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ؟ قلت: الكلامُ معهم كانَ واقِعاً في الإعادة، وفيها كانت .....

على «أوثر»؛ لأنَّ في تعلق «ما زلت» بـ«أوثر» دلالةٌ على استمرار إشارته غيرَه من غير انقطاع، وليس حُكْم استخلافه على مَنْ يَخْلُفه بهذه المنزلة، فإنَّ ذلك لا يقع<sup>(١)</sup> إلا نادراً وأحياناً.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ يرجعُ إلى ما يرجعُ «هو» يعني: موقعٌ ذلك في هذه الآية لفظاً وحكماً<sup>(٢)</sup> موقعٌ «هو» في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] في أن معناه: أن الإعادة على الله أيسرُ من الإبداء فيما يجب عندكم، وينقاسُ على أصولكم وتقتضيه عقولكم.

قوله: (دَلَّ بقوله: ﴿النَّشْأَةُ الْآخِرَةَ﴾) يعني لِمَا عَطَفَ ﴿يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ على قوله: ﴿بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ دَلَّ على أن الإبداءَ إنشاءً، والإنشاءَ إبداءً، لا تفاوتٌ بينهما، وكلاهما إخراجٌ من العدمِ إلى الوجود.

قوله: (وَقُرئ: ﴿النَّشْأَةُ﴾) بالمَدِّ: ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو، والباقون: ﴿النَّشْأَةُ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) في (ط): «لا ينفع».

(٢) في (ف): «ومعنى».

(٣) انظر احتجاج الفريقين في «حجّة القراءات» ص ٥٤٩-٥٥٠.

تَصَطَّكَ الرُّكْبَ، فلما قَرَّرَهُمْ في الإِبْدَاءِ بأنه من الله، احتجَّ عليهم بأنَّ الإِعَادَةَ إنْشاءٌ مثلُ الإِبْدَاءِ، فإذا كانَ اللهُ الذي لا يُعْجِزُهُ شيءٌ هو الذي لم يُعْجِزْهُ الإِبْدَاءُ، فهو الذي وَجَبَ أن لا تُعْجِزَهُ الإِعَادَةُ، فكأنه قال: ثمَّ ذاكَ الذي أنشأَ النَّشْأَةَ الأولى؛ هو الذي يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ، فَلِلدَّلَالَةِ والتَّنْبِيهِ على هذا المعنى أبرَزَ اسمَه وأوقعَه مبتدأً. ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته، ومُتعلِّقُ المشيئتين مُفسَّرٌ مُبَيَّنٌّ في مواضع من القرآن، وهو مَنْ يستوجِبُهما من الكافرِ والفاسقِ إذا لم يتوبَا، ومن المعصومِ والتائبِ.

﴿تُقَلِّبُونَ﴾ تُرْدُونَ وَتُرْجَعُونَ. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ رَبِّكُمْ أَي: لا تفوتونه

قوله: (تَصَطَّكَ الرُّكْبُ) وهي كناية عن موضع الخلاف، ومَقَامِ جُؤِ المناظيرِ للجدالِ حتى تَصَطَّكَ رُكْبُهُم.

قوله: (فلما قَرَّرَهُمْ) أي: جعلهم مُقرِّين مُعترفين.

قوله: (فكأنه قال: ثمَّ ذاكَ الذي أنشأَ النَّشْأَةَ الأولى هو الذي يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) يعني: إنَّما أعادَ في عَجْزِ الآيتينِ ما بدأ في صَدْرِهِما ليكونَ كُلٌّ من صَدْرِ الآيتينِ وَعَجْزِهِما مُسَجَّلًا بالاسمِ المُتَّجِلي في هذا المقام، لِمَعْنَى القادرية التامةِ والعالميةِ الكاملةِ، والمعنى: فلما قَرَّرَهُمْ في قوله: ﴿يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ﴾ بأنه منَ اللهُ القادرِ العالمِ، ثم احتجَّ عليهم في قوله: ﴿ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ﴾ بأنه أيضًا منه ولا فَرْقَ بينهما.

قال الإمام: أشار في الآية الأولى إلى الدليل النَّفْسِي، وفي الثانية إلى الآفَاقِي، يعني قوله: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وعنده تَمَّ الدَّلِيلانِ، فأكدَه بإظهار اسمِ الذاتِ الذي يُفْهَمُ المسمَى بصفاتِ كماله، وتُعوِّتُ جلاله؛ ليقعَ في الذَّهنِ كمالُ قُدْرَتِهِ، وشُمُولُ علمِهِ، ونُفُودُ إرادتِهِ<sup>(١)</sup>. هذا تلخيص كلامه مُفسَّرٌ مُبَيَّنٌّ في مواضع، فسره في «النساء» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يُشْرِكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] مُستوفى على مذهبه، وأجبتنا عنه.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٤٣).

إن هربتم من حُكْمِهِ وقضائِهِ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الفسيحة ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ التي هي أفسحُ منها وأبسطُ لو كنتم فيها، كقولهِ تعالى: ﴿إِنْ أَسْتَعْثِمُ أَنْ تَفْعَدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفَعُوا﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣٣]، وقيل: ولا من في السَّمَاءِ كما قالَ حَسَنًا رضيَ اللهُ عنه:

أَمَّنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاءِ

قوله: (وقيل: ولا من في السَّمَاءِ) أي: على حَذْفِ الْمَوْصُولِ، فالْمَوْصُولُ المحذوفُ عطفٌ على «أنتم».

قال الزَّجَّاجُ: أي ليس يُعْجِزُ اللهُ - سبحانه وتعالى - خَلْقُ في السَّمَاءِ ولا في الأرض (١). المعنى: ما أنتم بمُعْجِزِينَ في الأرض، ولا أهلُ السَّمَاءِ مُعْجِزِينَ في السَّمَاءِ. هذا من قول ابن عباسٍ والكلبيِّ.

قوله: (أَمَّنْ يَهْجُو) البيت، في «المطلع»؛ أي: ومن يمدحُه، وهذا كما يقال: أَكْرِمَ مَنْ أْتَاكَ، وَأَتَى أَبَاكَ؛ أي: وأكْرِمَ من أتى أَبَاكَ. وقيل: لو لم يقدر «مَنْ» لكان «يَمْدَحُهُ» عطفًا على «يهجوه» وكان داخلاً في حَيْزِ الصَّلَةِ، فكانَ الهاجِي والمادِحُ شخصًا واحدًا، وفَسَدَ المعنى ولا يصحُّ قولُه: «سِوَاءِ».

وقيل: إنَّ أبا سفيانَ بنَ الحارثِ (٢) هجا رسولَ اللهِ ﷺ فعارَضَه حسانُ بنُ ثابتٍ بقصيدةٍ هذا البيتُ منها، ولما انتهى إلى قوله:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ

قال النبي ﷺ: «جزاك اللهُ الجنةَ»، فلما بلغَ منها قولَه:

فإنَّ أباي ووالِدَهُ وَعِزُّي لِعِزِّ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قال له النبي ﷺ: «وقاك اللهُ حرَّ النَّارِ»، ثم لَمَّا بلغَ إلى قولَه:

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٦٥).

(٢) في (ط): «حرب»، وهو خطأ.

وَيُجْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ: لَا تُعْجِزُونَهُ كَيْفَمَا هَبَطْتُمْ فِي مَهَاوِي الْأَرْضِ وَأَعْيَاقِهَا، أَوْ عَلَوْتُمْ فِي الْبُرُوجِ وَالْقِلَاعِ الذَّاهِبَةِ فِي السَّمَاءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] أَوْ: لَا تُعْجِزُونَ أَمْرَهُ الْجَارِي فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكُمْ، فَيُصِيبَكُمْ بَبَلَاءٍ يَظْهَرُ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ.

[﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢٣]

﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بدلائله على وحدانيته وكتبه ومُعجزاته ولقائه والبعث ﴿يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ وعيد، أي: يئأسون يوم القيامة، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّكُمْ مَا لِخَيْرِكُمْ أَفْدَاءً

قال مَنْ حَضَرَ: هذا أنصف بيت قائلته العربُ. وفيها:

هَجَوْتَ مَطَهَّرًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينُ اللَّهُ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ<sup>(١)</sup>

قوله: (في مهاوي الأرض) المهوى: بُعد ما بين الشئيين المُتصيين، حتى يُقال لِبُعْدِ مَا بَيْنَ الْمَنَكِيِّينَ: مَهْوَى. قال:

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أُرْعِكْ بَضْرَةً بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ<sup>(٢)</sup>

قوله: ﴿يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ وَعَيْدٌ؛ أي: سَيُعَاقِبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَاصِلُ الْوُجُوهِ: أَنَّ الْكَافِرَ لَا يُوصَفُ بِالْيَأْسِ؛ لِأَنَّهُ مَسْبُوقٌ بِالرَّجَاءِ وَالْكَافِرُ لَا رَجَاءَ لَهُ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ٧]، ففِيهِ وَجُوهٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنِ الْوَعِيدِ؛ أَي: يَحْصُلُ لَهُمُ الْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وِثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ وَصْفًا لَهُمْ كَمَا يُوصَفُ الْمُؤْمِنُ بِـ«صَبَّارٍ شَكُورٍ»، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ فِي الْكُفْرِ، فَوُضِعَ مَوْضِعَهُ: ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾.

(١) انظر الخبر في «صحيح مسلم» (٢٤٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) ذكره أبو تمام في «ديوان الحماسة» (٢: ٤١٣) بشرح التبريزي.



[الروم: ١٢]. أو هو وصفٌ لحالهم؛ لأنَّ المؤمنَ إنَّما يكونُ راجياً خاشياً، فأما الكافرُ فلا يخطرُ بباله رجاءٌ ولا خوفٌ. أو شبهَ حالهم في انتفاءِ الرَّحمةِ عنهم بحالٍ من يئسَ من الرَّحمةِ، وعن قتادة رضي الله عنه: إنَّ اللهَ ذمَّ قوماً هأنوا عليه فقال: ﴿أُولَئِكَ يَسْتَوْفُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ وقال: ﴿يَنْجِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] فينبغي للمؤمن أن لا يئاسَ من رَوْحِ الله ولا من رحمته، وأن لا يأمَنَ عذابه وعقابه.

صفةُ المؤمنِ أن يكونَ راجياً لله عزَّ وجلَّ خائفاً.

وثالثها: أن يكونَ تمثيلاً، مثلت حالَ هؤلاء الذين كفروا بآياتِ الله ولقائه بحالِ قومٍ قدَّروا وجودهم آيسين من رحمة الله، كما قال في ﴿خَسَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] مثلت حالَ قلوبهم بحالِ قلوبٍ مقدرٍ ختم الله عليها، أو يُقال: شبهَ حالهم بحالِ مَنْ مات على الكفر؛ مبالغةً في انتفاءِ الرَّحمةِ عنهم، لأنَّ مَنْ عاش يُرجى إيمانه فلا يكونُ ميسرَ آيسٍ من رحمة الله؛ أبرزهم في صورة الآيسين من رحمة الله، وقريبٌ منه ما مرَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ [آل عمران: ٩٠]، فإنَّ قوله: ﴿يَسْتَوْفُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ نحو قوله: ﴿لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ [آل عمران: ٩٠].

قال: كتبتُ عن الموتِ على الكفر بقوله: ﴿لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ [آل عمران: ٩٠]، وفائدته: إبرازُ حالهم في صورة الآيسين من الرَّحمة التي هي أغلظُ الأحوالِ وأشدُّها.

قال الإمام: أضافَ الرَّحمةَ إلى نفسه عزَّ وجلَّ، ونسبَ العذابَ إليهم؛ ليؤدِّنَ بأنَّ رحمته سبقتُ غضبه<sup>(١)</sup>.

وقلت: وفيه تنبيهٌ على أنَّهم حين لم يلتفتوا إلى آياتِ الله، ولم يؤمنوا بالآخرة، ولم يعملوا ما يَرْجُونَ به رحمة الله؛ حرَّموا على أنفسهم ما وسَّعت كلَّ شيءٍ، واستحقُّوا العذابَ الأليم.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٤٥).

[﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٤]

قرئ: ﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بالنَّصْبِ والرَّفْعِ، ﴿قَالُوا﴾: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَوْ قَالَه وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَكَانَ الْبَاقُونَ رَاضِينَ، فَكَانُوا جَمِيعًا فِي حُكْمِ الْفَائِلِينَ. وَرَوِي أَنَّهُ لَمْ يُنْتَفَعْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالنَّارِ، نَعْنِي: يَوْمَ أَلْقَى إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ، وَذَلِكَ لِذَهَابِ حَرِّهَا.

[﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ٢٥]

قرئ على النَّصْبِ بِغَيْرِ إِضَافَةٍ وَبِإِضَافَةٍ، وَعَلَى الرَّفْعِ كَذَلِكَ، فَالنَّصْبُ عَلَى وَجْهَيْنِ: عَلَى التَّلْعِيلِ، أَي: لِتَتَوَادَّوْا بَيْنَكُمْ وَتَتَوَاصَلُوا، لِاجْتِمَاعِكُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا وَاتِّفَاقِكُمْ عَلَيْهَا وَاتِّتْلَافِكُمْ، كَمَا يَتَّفَقُ النَّاسُ عَلَى مَذْهَبٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ تَحَابِّهِمْ وَتَصَادُفِهِمْ. وَأَنَّ

قوله: (قرئ ﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بالنَّصْبِ) وهي مشهورة، والرَّفْعُ: شاذة<sup>(١)</sup>.

قوله: (على النَّصْبِ بِغَيْرِ إِضَافَةٍ) يعني: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ»؛ قرأها نافع وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ، وبِإِضَافَةٍ: حفصٌ وحزرةٌ، وبالرفْعِ: ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو والكسائي<sup>(٢)</sup>.

قوله: (على التَّلْعِيلِ) فعلى هذا «ما» في ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم﴾ كافةٌ. قال مكِّي في «إعرابه»<sup>(٣)</sup>: «ما» يجوز أن تكون كافةً، ومفعول ﴿اتَّخَذْتُم﴾: ﴿أَوْثَانًا﴾، واقتصر على مفعول واحدٍ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَعَالَ سَيَنَآلُهُمْ غَضَبٌ﴾ [الأعراف: ١٥٢] و﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ مفعول من أجله؛ أي: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمُ الْاَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِلْمَوَدَّةِ فِيمَا بَيْنِكُمْ، لِأَنَّ عِنْدَ الْاَوْثَانِ نَفْعًا وَصَرًّا.

(١) وعن قرأ بها الحسن البصري وابنُ أبي إسحاق، وانظر: «المغني» لابن هشام ص ٥٩٠.

(٢) انظر: «التيسير» ص ١٧٣.

(٣) يعني «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٥٢).

يكون مفعولاً ثانياً، كقوله: ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، [الجاثية: ٢٣] أي: اتَّخَذْتُمْ الأوثانَ سببَ المودَّةِ بينكم، على تقديرِ حذفِ المُضَافِ. أو اتَّخَذْتُمُوهَا مودَّةً بينكم، بمعنى: مودودةً بينكم، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وفي الرَّفْعِ وجهان: أن يكونَ خبراً لـ (إن) على أن (ما) موصولة. وأن يكونَ خبرَ مُبتدأٍ محذوف. والمعنى: أن الأوثانَ مودَّةٌ بينكم، أي: مودودة، أو سببُ مودَّة. وعن عاصم: (مودَّةٌ بينكم) بفتح (بينكم) مع الإضافة، كما قرئ: ﴿لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] ففتح وهو فاعل. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (أو ثانياً إنها مودَّةٌ بينكم في الحياة الدنيا)، أي: إنها تتوَادُونَ عليها، أو تودونها في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقوم بينكم التلاعُنُ والتباعُضُ والتعادي؛ يتلاعُنُ

قوله: (أن يكون خبراً) قال مكِّي: «ما» بمعنى «الذي»، والعائدُ محذوف وهو المفعولُ الأوَّلُ، و﴿أَوْثَانًا﴾ المفعولُ الثاني، و«مودَّةٌ» الخبرُ. وقيل: هي رفعٌ باضمارٍ: هي «مودَّة»<sup>(١)</sup>. وقال أبو البقاء: يجوز أن تكون «ما» مصدرية، و«مودَّةٌ» الخبرُ، ولا حذفٌ إلَّا في اسم «إن»؛ أي: [إن] سببُ اتَّخَذْتُمْ مودَّةً<sup>(٢)</sup>.

قوله: (أو تودونها في الحياة الدنيا) قال أبو البقاء: يجوز أن يتعلَّقَ في ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بنفسِ ﴿مُودَّةً﴾ إذا لم يُجعل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ صفةً لها؛ لأنَّ المصدرَ إذا وُصِفَ لا يعملُ<sup>(٣)</sup>.

وقال مكِّي: وإذا جُعِلتِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ صفةً لـ ﴿مُودَّةً﴾ كان ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في موضعِ الحالِ من الضَّميرِ في الظرفِ الذي هو صفة، والعاملُ الظرفُ، ولا يجوز أن يعملَ في الحالِ ﴿مُودَّةً﴾؛ لأنَّك قد وصفتها ومعمولُ المصدرِ متصلٌ به، فتكون قد فَرَّقَتَ بَيْنَ الصِّفَةِ والموصوفِ بالصِّفَةِ وأيضاً لو جعلته حالاً من الضَّميرِ في ﴿بَيْنَكُمْ﴾ يكونُ العاملُ الظرفُ

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٥٣).

(٢) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٣١).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٠٣١).

العَبْدَةُ وَالْأَصْنَامَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ [مريم: ٨٢].

[﴿فَقَامَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٦]

كان لوطُ ابنِ أختِ إبراهيمَ عليهما السلام، وهو أوَّلُ مَنْ آمَنَ له حينَ رأى النَّارَ لم تُحرِّقْهُ ﴿وقال﴾ يعني إبراهيم: ﴿إني مهاجرٌ﴾ من كوثي، وهي من سوادِ الكوفةِ إلى حرَّانِ ثمَّ منها إلى فلسطين، ومن ثمَّ قالوا: لِكُلِّ نبيِّ هجرة، ولإبراهيمَ هجرتان، وكانَ

لأنَّ العاملَ في ذي الحالِ هو العاملُ في الحال، ولو قدَّرنا أن يكونَ العاملُ فيها ﴿مَوَدَّةً﴾ لَزِمَ أن يجتمعَ عاملانِ على معمولٍ واحدٍ، ويجوز أن يكونَ ﴿في الحَيَوَةِ﴾ صفةً أخرى لـ ﴿مَوَدَّةً﴾. والتقدير: إننا اتخذتم من دُونِ الله أوثاناً مودَّةً مستقرَّةً بينكم، ثابتةٌ في الحياةِ الدُّنيا، فلما حُذِفَ العاملانِ تحوَّلَ الضميرُ إلى الطَّرْفَيْنِ. هذا تلخيصُ كلامه<sup>(١)</sup>. ثم قال: فافهم هذه المسألة، فإنَّها من أسرار النحوِ وغرائبه.

وقال صاحب «الكشف»: يجوز عندي أن تعملَ المودَّةُ الموصوفةِ ﴿في الحَيَوَةِ﴾؛ لأنَّه ظرفٌ، والظرفُ يُفارقُ المفعولَ به<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو البقاء: ويجوز أن يتعلَّقَ ﴿في الحَيَوَةِ﴾ بـ ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾ إذا جعلتَ «ما» كافةً<sup>(٣)</sup>.

قوله: (كان لوط ابن أخت إبراهيم). وفي «جامع الأصول»: هو لوط بن هاران بن تارح - بالحاء المهملة - وهاران هو أخو إبراهيم الخليل - عليه السلام - ولوطُ ابنُ أخيه، آمَنَ بإبراهيمَ وشَخَّصَ معه مهاجراً إلى الشام، فنزل إبراهيمُ فلسطينَ، وأنزلَ لوطاً الأردنَّ، فأرسله الله إلى أهل سدوم<sup>(٤)</sup>.

قوله: (ولإبراهيم هجرتان) عن أبي داود، عن عبد الله بن عمرو قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ستكون هجرةٌ بعدَ هجرة، فخيَّارُ أهلِ الأرضِ ألزَمُهُمُ مُهَاجِرٌ

(١) «مُشْكَلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ٥٥٣).

(٢) «كشَفُ الْمَشْكَلاتِ» للباقولي (٢: ١٠٣٧).

(٣) «التَّيْبَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ١٠٣٢).

(٤) «جامع الأصول» (١٢: ١١٤).

معهُ في هجرته: لوط، وامرأته سارة، وهاجر وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة ﴿إِلَى رَبِّي﴾ إلى حيثُ أمرني بالهجرة إليه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي يمنعني من أعدائي ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يأمرني إلا بما هو مصلحتي.

[﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٢٧]

﴿أَجْرَهُ﴾ ﴿الثناء الحسن، والصلاة عليه آخر الدهر، والذرية الطيبة والنسبوة، وأن أهل الملل كلهم يتولونه. فإن قلت: ما بال إسماعيل عليه السلام لم يذكر، وذكر إسحاق وعقبه؟ قلت: قد دلّ عليه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ فكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره. فإن قلت: ما المراد بالكتاب؟ قلت: قصد به

إبراهيم، ويبقى في كل أرض إذ ذاك شراؤها، تلتفظهم أرضوهم، تقدّرهم نفس الله، وتحشّروهم النار مع القرّة والحنازير»<sup>(١)</sup>.

قوله: (قد دلّ عليه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ فكفى الدليل لشهرة أمره، وعلو قدره) يريد أنهم قد يخفون ذكر بعض المشتهرين، ويكتفون برمزهم<sup>(٢)</sup> عن ذكره لشهرته إعلاءً لقدره، ورفعاً لمنزله، وإيداناً بأنه العلم المشار إليه الذي لا يلتبس على كل أحد، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] مريداً به نبينا ﷺ وهاهنا لما عطف ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ على ﴿وَوَهَبْنَا﴾ علم أن الثاني هو الموهوب الأعظم، والمطلوب الأول، لا سيما [إذا] جعلت الدرية مكاناً للنسبوة وظرفاً لها.

ولا يلتبس على كل ذي بصيرة أن النبوة والكتاب لم يستقرا في أحد من الأنبياء استقراره لنبينا ﷺ، فكان في ذكره ذكر جدّه إسماعيل صلوات الله عليهما، فقوله: «لشهرة أمره» تعليل لقوله: «فكفى الدليل» من حيث المعنى كما قررناه.

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٨٤) وهو في «مسند أحمد» (٦٨٧١) و«المعجم الكبير» للطبراني (١٥٣٨).

(٢) في (ف): «بزمرة»، وهو خطأ.

جنسُ الكتاب، حتى دخل تحتَه ما نزل على ذرّيته من الكتبِ الأربعة التي هي: التّوراةُ والزَّبُورُ والإنجيلُ والقرآنُ.

[ ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَنَا تُؤْمِنُونَ الْفَدْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ \* أَيْنَكُمْ لَنَا تُؤْمِنُ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ٢٨-٣٠ ]

﴿وَلَوْطًا﴾ معطوفٌ على «إبراهيم»، أو على ما عُطِفَ عليه. والفاحشة: الفعلةُ البالغةُ في الفجح. و﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ جملةٌ مُستأنفةٌ مُقرّرةٌ لفحاشة تلكِ الفعلة، كأنّ قائلًا قال: لم كانت فاحشة؟ فقيل: لأنّ أحدًا قبلَهُم لم يُقدِّم عليها اشمئزازًا منها في طباعِهِم لإفراطِ فُجْحِها، حتى أقدمَ عليها قومُ لوطٍ؛ لِحُبِّ طِيبَتِهِمْ وَقَدْرِ طِبَاعِهِمْ. قالوا: لم ينزُ ذكْرٌ على ذكْرٍ قبل قومِ لوطٍ قطّ. وقرئ: ﴿إِنَّكُمْ﴾، بغيرِ استفهام في الأوّلِ دونَ الثّاني، قال أبو عبيدة: وجدته في الإمامِ بحرفٍ واحدٍ بغيرِ ياء، ورأيتُ الثّاني بحرفين: الياءِ والنون.

قوله: ﴿وَلَوْطًا﴾ معطوفٌ على «إبراهيم»، أو على ما عُطِفَ عليه (أي: إبراهيم، وهو ﴿نوحًا﴾ في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ يؤيّد الأوّل أن قصّة لوطٍ عليه السّلام لا تكادُ تُوجد إلا مقرونةً بقصّة إبراهيم عليه السّلام؛ لأنّه ابنُ أخيه ومُهاجرٌ معه. والثّاني قوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، فإنّه معطوفٌ على قصّة نوح عليه السّلام لا غير؛ لأنّ التّقدير: ولقد أرسلنا إلى مدينَ أخاهم شعيبًا، فيكون كلٌّ مِنَ الْقِصَصِ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ.

قوله: (اشمئزازًا) أي: انقباضًا.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ﴾ بغيرِ استفهام (نافعٌ وابنُ كثيرٌ وابنُ عامرٍ وحفصٌ).

قَطَعُ السَّبِيلِ: عَمَلُ قُطَاعِ الطَّرِيقِ، مِنْ قَتَلَ الْأَنْفُسِ وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ. وَقِيلَ: اعْتَرَضَهُمُ السَّابِلَةَ بِالْفَاحِشَةِ. وَعَنْ الْحَسَنِ: قَطَعُ النَّسْلِ بَاتِيَانٍ مَا لَيْسَ بِحَرْثٍ. وَالْمُنْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ الْحَذْفُ بِالْحَصِيِّ، وَالرَّمْيُ بِالْبِنَادِقِ، وَالْفَرَقَةَ، وَمَضْعُ الْعَلَكِ، وَالسُّوَاكُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَلُّ الْإِزَارِ، وَالسَّبَابِ، وَالْفُحْشُ فِي الْمِزَاحِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانُوا يَتَحَابِقُونَ». وَقِيلَ: السُّخْرِيَّةُ بَمَنْ مَرَّ بِهِمْ. وَقِيلَ: الْمُجَاهِرَةُ فِي نَادِيهِمْ بِذَلِكَ الْعَمَلِ، وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ، فإِظْهَارُهَا أَقْبَحُ مِنْ سَتْرِهَا، وَلِذَلِكَ جَاءَ: مَنْ خَرَقَ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيْبَةَ لَهُ. وَلَا يُقَالُ لِلْمَجْلِسِ: نَادٍ، إِلَّا مَا دَامَ فِيهِ أَهْلُهُ، فَإِذَا قَامُوا عَنْهُ لَمْ يَبْقَ نَادِيًا. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِيمَا تَعَدَّنَاهُ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ. كَانُوا يُفْسِدُونَ النَّاسَ بِحَمَلِهِمْ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَلَا تَهْمُ ابْتَدَعُوا الْفَاحِشَةَ وَسَنُّوْهَا فَيَمُنْ بَعْدَهُمْ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]. فَأَرَادَ لَوْطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرَ لِذَلِكَ صِفَةَ الْمُفْسِدِينَ فِي دُعَائِهِ.

[﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ \* قَالَ إِنَّ فِيهَا لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ. كَانَتْ مِنَ الْفَاحِشِينَ﴾ ٣١-٣٢]

قوله: (يتحابقون) أي: يتضارطون.

قوله: (ولأنهم ابتدعوا الفاحشة) عطفٌ على مقدرٍ مذكورٍ عليه بقوله: «كانوا يفسدون الناس» إلى آخره، يعني: إنما ذكر لوطٌ صفةً للمفسدين؛ لأنهم كانوا يحملون الناس على الإفساد، ولأنهم ابتدعوا الفاحشة؛ أي: فعلوا الفاحشة وحملوا الناس عليها، وسنوها فيمن بعدهم، والكافر إذا وُصف بالفسق أو الإفساد كان محمولاً على غلوائه في الكفر. ألا ترى كيف رتب الوعيد بزيادة العذاب في الآية المستشهد بها على الإفساد دون الكفر، ومن ثم جعل نبي الله أيضاً الإفساد علمه لاستنزال شدة غضب الله بدعائه. وفي إتيان الفاء في قوله: (فأراد لوطٌ) إشارةً إلى قولنا: «ومن ثم جعل نبي...» إلى آخره.

﴿بِالْبَشْرَى﴾ هي: الإشارة بالوَلَدِ والنَّافِلَةِ، وهما: إسحاقُ ويعقوب. وإضافةُ مُهْلِكُو إضافة تخفيفٍ لا تعريف. والمعنى: الاستقبال. والقرية: سَدُومُ التي قِيلَ فيها: أَجُورُ من قاضي سَدُوم. ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ معناه: أَنَّ الظُّلْمَ قَدِ اسْتَمَرَ مِنْهُمْ إِيجَادُهُ فِي الْآيَامِ السَّالِفَةِ، وَهُمْ عَلَيْهِ مُصِرُّونَ، وَظَلَمْتَهُمْ: كَفَرْتَهُمْ وَأَلَوْنَا مَعَاصِيَهُمْ. ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخبارًا لهم بكونه فيها، وإنما هو جِدَالٌ فِي شَأْنِهِ: لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَلَّلُوا إِهْلَاكَ أَهْلِهَا بِظُلْمِهِمْ: اعْتَرَضَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ فِيهَا مَنْ هُوَ بَرِيءٌ مِنَ الظُّلْمِ، وَأَرَادَ بِالْجِدَالِ: إِظْهَارَ الشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَمَا يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ التَّحَزُّنِ لِأَخِيهِ، وَالتَّشَمُّرِ فِي نُصْرَتِهِ وَحِيَاظَتِهِ، وَالْخَوْفِ مِنْ أَنْ يَمْسَهُ أَدَى أَوْ يَلْحَقَهُ ضَرَرٌ. قَالَ قَتَادَةُ: لَا يَرَى الْمُؤْمِنُ أَنْ لَا يَحُوطَ الْمُؤْمِنَ، أَلَا تَرَى إِلَى جَوَاهِبِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْهُ ﴿بِمَنْ فِيهَا﴾ يَعْنُونَ: نَحْنُ أَعْلَمُ

قوله: (أَجُورُ من قاضي سَدُوم). قال المِيدَانِيُّ: سَدُومُ - بفتح السِّينِ -: مَدِينَةٌ مِنْ مَدَائِنِ قَوْمِ لُوطٍ.

قال أبو حاتم: إِنَّمَا هُوَ سَدُومُ؛ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ، وَالدَّالِ خَطًّا.

قال الأزهريُّ: هَذَا عِنْدِي هُوَ الصَّحِيحُ<sup>(١)</sup>.

قال الطَّبْرِيُّ: هُوَ مَلِكٌ مِنْ بَقَايَا الْيُونَانِيَّةِ غَشُومٌ كَانَ بِمَدِينَةِ سَرْمِينٍ مِنْ أَرْضِ قَنْسَرِينَ.

قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخبارًا لهم بكونه فيها، وإنما هو جِدَالٌ يعني: أَنَّ مَضمونَ هذه الجُمْلَةِ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَ الرُّسُلِ، فَفَائِدَةُ الْإِخْبَارِ مَا اقْتَضَاهُ الْمَقَامُ مِنَ الْإِعْتِرَاضِ وَالْجِدَالِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْلِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤] لَا سِيَّيَا وَقَدْ صُدِّرَتِ الْجُمْلَةُ بِ(إِنَّ) الْمُؤَكَّدَةِ، فَكَأَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ وَفِيهَا ابْنُ أَخِيهِ لُوطٍ اعْتَرَضَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ إِظْهَارًا لِلشَّفَقَةِ عَلَيْهِ.

قوله: (لا يرى المؤمن أن لا يحوط المؤمن) أي: لا ينبغي للمؤمن أن يتصف بهذا الوصف وهو أن لا يحوط أخاه، وهو معنى قوله: «ومما يجب للمؤمن من التشمُّر في حياطة المؤمن؛ أي: في نُصْحِهِ وَكَلَامِهِ».

(١) قد سبق تحقيق القول في هذه المسألة.



منك وأخبر بحال لوط وحال قومه، وامتنازه منهم الامتياز البين، وأنه لا يستأهل ما يستأهلون، فحفض على نفسك وهون عليك الخطب. وقرئ: ﴿لَنْنَجِيَنَّهُ﴾ بالتشديد والتخفيف، وكذلك (مُنْجُوك).

[﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تَحْزَنَ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٣٣]

﴿أَنَّ﴾ صِلَةٌ أَكَّدَتْ وُجُودَ الْفِعْلَيْنِ مُتَرْتَبًا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فِي وَقْتَيْنِ مُتَجَاوِرَيْنِ لَا فَاصِلَ بَيْنَهُمَا؛ كَأْتِيهَا وَجِدًا فِي جُزْءٍ وَاحِدٍ مِنَ الزَّمَانِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَمَّا أَحْسَسَ بِمَجِيئِهِمْ فَاجَأَتْهُ الْمَسَاءَةُ مِنْ غَيْرِ رِيثٍ، خَيْفَةً عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ وَضَاقَ بِشَأْنِهِمْ وَبِتَدْبِيرِ أَمْرِهِمْ. ذَرْعُهُ: أَي: طَاقَتُهُ، وَقَدْ جَعَلَتِ الْعَرَبُ ضَيْقَ الذَّرَاعِ وَالذَّرْعِ: عِبَارَةً عَنْ

قوله: (وقرئ: ﴿لَنْنَجِيَنَّهُ﴾ بالتشديد والتخفيف) حمزة والكسائي: بالتخفيف، والباقون: بالتشديد<sup>(١)</sup>.

قوله: (أَكَّدَتْ وُجُودَ الْفِعْلَيْنِ مُتَرْتَبًا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ)، «مُتَرْتَبًا» حَالٌ مِنَ الْفِعْلَيْنِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ الْوُجُودُ، لَا «أَكَّدَتْ»، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَسَاءَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ﴾ مُتَرْتَّبٌ عَلَى مَجِيءِ الرُّسُلِ، وَأُقْحِمَتِ «أَنَّ» تَوْكِيدًا لِلتَّرْتُّبِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ (أَكَّدَتْ)؛ لِأَنَّ التَّأَكِيدَ فِي حَالِ تَرْتُّبِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ.

قوله: (ذَرْعُهُ؛ أَي: طَاقَتُهُ)، الرَّاغِبُ: ضَاقَ بِكَذَا ذَرْعِي، نَحْوُ: وَضَاقَتْ بِهِ يَدِي، وَذَرْعَتُهُ: ضَرَبَتْ ذِرَاعَهُ، وَذَرْعَتْ: مَدَدَتْ الذَّرَاعَ، وَمِنْهُ: ذَرْعَ الْبَعِيرِ فِي سَيْرِهِ؛ أَي: مَدَّ ذِرَاعَهُ، وَفَرَسٌ ذَرِيْعٌ وَذَرُوعٌ: وَاسِعُ الْحَقْطُو، وَذَرْعَهُ الْقِيءُ: سَبَقَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ذَرْعَ الْفَرَسِ<sup>(٢)</sup>.

(١) فَمَنْ خَفَّفَ جَعَلَهُ مِنْ «أَنْجَى يُنْجِي» وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ﴾، وَمَنْ شَدَّدَ جَعَلَهُ مِنْ «نَجَى يُنْجِي» وَحِجَّتُهُ ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٥١.

(٢) «مفردات القرآن» ص ٣٢٧.

فَقَدِ الطَّاقَةَ، كما قالوا: رَحِبُ الدَّرَاعِ بكذا، إذا كَانَ مُطْبِقًا لَهُ، والأصلُ فِيهِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا طالت ذراعُهُ نَالَ ما لا يَنَالُهُ القَصِيرُ الدَّرَاعَ، فَضُرِبَ ذلكَ مَثَلًا فِي العَجْزِ والقُدْرَةِ.

[ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ \* وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٤-٣٥﴾ ]

الرَّجْزُ والرَّجْسُ: العذاب، من قولهم: ارتجَزَ وارْتَجَسَ إِذَا اضْطَرَبَ، لِمَا يَلْحَقُ المُعَذَّبَ مِنَ القَلْقِ والاضْطراب. وقُرئ: ﴿مُنْزِلُونَ﴾ مخفَّفًا ومُشدَّدًا. ﴿مِنْهَا﴾ مِنَ القَرْيَةِ ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾ هِيَ: أَنَارُ مَنَازِلِهِم الحَرِيبَةَ. وَقِيلَ: بَقِيَّةُ الحِجَارَةِ. وَقِيلَ: المَاءُ الأَسْوَدُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. وَقِيلَ: الخَبْرُ عَمَّا صُنِعَ بِهِمْ ﴿لِقَوْمٍ﴾ متعلق بـ ﴿تَرَكْنَا﴾ أَوْ بـ ﴿بَيِّنَةً﴾.

[ وَإِلَى مَدِينِكَ أَخَاهُم شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا اليَوْمَ الآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٣٦-٣٧﴾ ]

﴿وَارْجُوا﴾ وافعلوا ما تَرْجُونَ به العاقبة. فَأَقِيمِ المُسَبِّبَ مَقَامَ السَّبَبِ. أَوْ: أمروا

قوله: (وقرئ: ﴿مُنْزِلُونَ﴾ مخفَّفًا ومُشدَّدًا) ابنُ عامرٍ: مُشدَّدًا، والباقون: مخفَّفًا.

قوله: (وافعلوا ما تَرْجُونَ به العاقبة، فَأَقِيمِ المُسَبِّبَ مَقَامَ السَّبَبِ) أَي: اعْبُدُوا اللَّهَ واعملوا صالحًا حتى تَتِمَّكَتُوا عَلَى رِجَاءِ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ اللَّهُ الجَنَّةَ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ لَمْ يَرْجُ الثَّوَابَ الَّذِي فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، فَالأَعْمَالُ سَبَبٌ لِلتَّمَكُّنِ عَلَى الرَّجَاءِ، فَيَكُونُ عَطْفُ ﴿وَارْجُوا﴾ عَلَى ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ لِلبَيَانِ والتَّفْسِيرِ.

وقريبٌ مِنْهُ ما مرَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَاسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ العَطْفُ لِلحُصُولِ وَالتَّوَجُّدِ، وَيُفَوِّضُ (١) التَّرْتِيبُ إِلَى الذَّهْنِ.

(١) فِي (ج) و(ف): «وتفويض»، والمعنى واحد.

بالرَّجَاءِ: والمراد: اشتراطُ ما يُسَوِّغُهُ من الإيِّمان، كما يُؤمِّرُ الكافرُ بالشَّرِيعَاتِ على إرادةِ الشَّرْطِ. وقيل: هو من الرَّجَاءِ بِمَعْنَى الخوفِ. والرَّجْفَةُ: الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ. وعن الضَّحَّاكِ: صِيحَةُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ القُلُوبَ رَجَفَتْ لها ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ في بَلَدِهِمْ وَأَرْضِهِمْ. أو في دِيَارِهِمْ، فَاكْتَفَى بِالوَاحِدِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُلِيسُ. ﴿جَنِّمِينَ﴾ بَارِكِينَ عَلَى الرُّكْبِ مَيِّتِينَ.

[﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ وَرَبِّانَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [٣٨]

﴿وَعَادًا﴾ منصوبٌ بإضمارِ (أهلكننا) لأنَّ قولَه: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾ يدلُّ عليه، لأنَّه في معنى الإهلاك، ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ ذلك: يعني: ما وصفه من إهلاكهم ﴿مِنْ﴾ جِهَةٍ ﴿مَسْكَانِهِمْ﴾ إذا نظرتم إليها عند مُرُورِكُمْ بها. وكان أهلُ مَكَّةَ يَمْرُونَ عليها في أسفارِهِمْ فيُبْصِرُونَهَا. ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عَقْلَاءَ مُتَمَكِّنِينَ مِنَ النَّظْرِ وَالِافْتِكَارِ. ولكنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا. أو كانوا مُتَبَيِّنِينَ أَنَّ العَذَابَ نازِلٌ بِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تعالى قد بيَّنَّ لهم على ألسنة الرُّسُلِ عليهم السَّلَامُ، .....

قوله: (والمرادُ اشتراطُ ما يُسَوِّغُهُ) يعني: أمرهم بالرَّجاءِ على سَنَنِ طَلَبِ مُقَدِّمَةِ الواجبِ بالواجبِ.

قوله: ﴿مِنْ﴾ جِهَةٍ ﴿مَسْكَانِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> إشارةٌ إلى أنَّ «مِنْ» في ﴿مِنْ مَسْكَانِهِمْ﴾ ابتدائيةٌ.

قوله: (أو كانوا مُتَبَيِّنِينَ أَنَّ العَذَابَ نازِلٌ بِهِمْ) عطفٌ على ما «كانوا مُسْتَبْصِرِينَ عَقْلَاءَ»؛ أي: كان أهلُ مَكَّةَ وقد تبَيَّنَ لهم من مساكنِ الظَّلَمَةِ من قومِ عادٍ وثمودٍ هلاكهم بِشُؤْمِ كُفْرِهِمْ، إمَّا بطريقِ النَّظْرِ والاستدلالِ، وإمَّا بطريقِ الإخبارِ مِنَ الرُّسُلِ، لكنَّ لم يَعتَبِرُوا، فلمْ يَفْعَلُوا بِمُوجِبِ العَقْلِ، ولا التَّفَتُّوا إلى النَّصِّ القاهِرِ.

(١) في (ف): «مساكنكم»، وليس بصواب.

ولكنهم لجؤا حتى هلكوا.

[﴿وَقَرُّوْكَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ثَمُوزٌ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ \* فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٩-٤٠﴾]

﴿سَابِقِينَ﴾ فاتتین، أدرکھم أمرُ الله فلم یفوتوه.

الحاصب: لقوم لوط، وهي ريح عاصف فيها حصاباء. وقيل: ملك كان يرميهم. والصيحة: لمدين وثمود. والحسف: لقارون. والغرق: لقوم نوح وفرعون.

[﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ \* إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعَوْنَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤١-٤٢﴾]

الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً ومُعتمداً في دينهم وتولّوه من دُونِ الله، بما هو مَثَلٌ عند الناس في الوهن وضعف القوة.

قوله: (لجؤا)، لَجَّ: مِنْ بَابِ عَلِمَ، لَجَّاجًا وَلَجَّاجَةً: تَمَادَى فِي الْخُصُومَةِ، وَاللَّجَّةُ بِالْفَتْحِ: الْأَصْوَاتُ، وَفِي أَمْثَالِهِمْ: لَجَّ فُلَانٌ حَتَّى حَجَّ؛ أَي: غَلَبَ (١).

قوله: (الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً ومُعتمداً في دينهم وتولّوه من دُونِ الله بما هو مَثَلٌ عند الناس في الوهن وضعف القوة) اعلم أن الغرض في التشبيه في الأغلب يكون عائداً إلى المُشَبَّه، ويكون ذلك تقوية شأنه في نفس السامع وزيادة تقريره عنده، كما إذا كنت مع صاحبك في تقرير أنه لا يحصل من سعيه على طائل قلت كما قال:

(١) يعني: غَلَبَ خَصَمَهُ بِالْحُجَّةِ. انظر: «مجمع الأمثال» (٢: ١٩٧).

وهو نسج العنكبوت. ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ

فَأَصْبَحَتْ مِنْ لَيْلِ الْغَدَاةِ كَقَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَائِنَتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ﴾<sup>(١)</sup>

ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل، جعل بيت العنكبوت مثلاً لها في الضعف والوهن، وفي هذا التقرير إشارة إلى تقدير مضاف في كلام المصنف عند المشبه؛ أي: تشبيه حال ما أخذوه متكلاً، وعند المشبه به؛ أي: بحال ما هو مثل عند الناس، وذكر المثلين في التنزيل أيضاً يوجب هذا الإضمار.

قوله: (ألا ترى إلى مقطع التشبيه) أي: كيف دلّ قوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَيَبْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ على أن الغرض من التشبيه ما ذكرنا.

وكلامه يجمع أموراً:

أحدها: أن يكون قوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَيَبْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ كالذليل للتشبيه كما يفهم من الوجه الأول من الوجوه المذكورة في جواب ما معنى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وذلك أن التشبيه عند قوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ ثم ذيل بقوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَيَبْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ كما مر في قولهم: فلان ينطق بالحق، والحق أبلج. وحدثت الحوادث، والحوادث جمّة. فالتشبيه حينئذ يحتمل أن يكون مركباً عقلياً، إذا جعل الوجه الوهن كما أشار إليه في قوله: «بما هو مثل عند الناس في الوهن»؛ لأنه هو الزبده والخلاصة المأخوذة من المجموع، أو وهماً بأن يكون الوجه متزعا من عدة أمور متوهمة، وفي قوله: «وأن أمر دينهم بالغ إلى هذه الغاية من الوهن» إيحاء إليه.

وثانيها: أن يكون التمثيل بجملة كالمقدمة الأولى، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَيَبْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ كالثانية، والنتيجة محذوفة لشهرتها، ولذلك أتى بالفاء، وفي قوله: «فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان»، فالكلام متضمن للكناية الإيائية.

وثالثها: أن يكون ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَيَبْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ استعارة تمثيلية، وذكر

(١) لم أعتد إلى قائله.

لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ؟ فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وَكُلُّ أَحَدٍ

المشبه والمُشَبَّه به كالتسبب والتروطة لذكرها؛ لأن الاستعارة مسبوقه بالتشبيه، وإليه الإشارة بقوله: «أو أخرج الكلام بعد توضيح التشبيه مخرج المجاز»، فعلى هذا الجملة أيضًا تذييل مقرر لمعنى المُشَبَّه كما كان مُقَرَّرًا في الأول للمُشَبَّه به، نحو التجريد والترشيح في الاستعارة.

ورابعها: أن يكون من تنمة التشبيه، داخلًا في حيز المُشَبَّه به حالًا من المنصوب، والعامِل ﴿اتَّخَذْتُ﴾، أو من المرفوع المُسْتَكِنُّ الرَّاجِعُ إلى العنكبوت، وعلى التقديرين وُضِعَ موضعَ الرَّاجِعِ في الجملة المُظْهِرُ، وَاللَّامُ في ﴿الْبَيْوتِ﴾ استغراقية، يشهد له قوله: «إذا استقرت بيتًا بيتًا»، والتشبيه حينئذ إما من التشبيهات المُفْرَقة أو التمثيلية التي يكون وجهها المُشَبَّه مُتَّزِعًا من الأمور المُتعدِّدة الوَهْمِيَّة، ولذلك قال: «بالإضافة إلى رجل يبني بيتًا بأجرٍ وحصص» فالعنكبوت التي تتخذ بيتًا في مُقَابِلِ الكافر الذي يعبد الوثن، والرَّجُلُ الذي يبني بيتًا بأجرٍ وحصص في مُقَابِلِ المؤمن الذي يعبد الله، وإنَّ أَوْهَنَ البيوتِ بيتًا بيتًا وهو بيتُ العنكبوت، مُقَابِلُ لضعف دين عبدة الأوثان ديننا، وإن أقوى البيوت بيتًا بيتًا هو البيتُ المَبْنِيُّ بِالْأَجْرِ وَالْحِصْصِ، مُقَابِلُ لِقوَّةِ دينِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ دِينًا دِينًا، وَكُلُّ هَذِهِ التَّقْرِيرَاتِ الْمُتَّزِعَةُ إِدْخَالَ هَذِهِ الْفُقْرَةِ فِي حَيْزِ التَّشْبِيهِ.

وأما قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فإيغال لأنَّ مَنْ وَقَفَ عَلَى قُبْحِ الْقَبِيحِ رَبَّمَا أَفْلَحَ عَنْهُ. وعن بعضهم: الِوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿الْعَنْكَبُوتِ﴾ لَازِمٌ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَخْفَشِ (١)؛ لِأَنَّ جَوَابَ «لَوْ» مَحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَهَنَ دِينِ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ لَمَّا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ، وَلَوْ وُصِلَ صَارَ وَهَنُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ مَعْلَقًا بِعِلْمِهِمْ، وَهُوَ مُطْلَقٌ، وَالْجُمْلَةُ لَا تَصْلُحُ صِفَةً لِلْمَعْرِفَةِ.

وعن الفراء: إِنَّ الْمَوْصُولَ مَحذُوفٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]؛ أَي: الَّذِي يَحْمِلُ الْأَسْفَارَ؛ وَعَلَى هَذَا لَا يُوقَفُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ دَرَسْتَوَيْهِ فِي حَذْفِ الْمَوْصُولِ.

(١) لتام الفائدة انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٣: ٣٤٤).

يَعْلَمُ وَهَنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ؟ قلت: معناه لو كانوا يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا مَثْلُهُمْ وَأَنَّ أَمْرَ دِينِهِمْ بِالْبُغْ هَذِهِ الْغَايَةَ مِنَ الْوَهْنِ. وَوَجْهُ آخَرَ: وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا صَحَّ تَشْبِيهُهُ مَا اعْتَمَدُوهُ فِي دِينِهِمْ بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّ أَوْهَانَ الْبُيُوتِ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ دِينَهُمْ أَوْهَانُ الْأَدْيَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. أَوْ أَخْرَجَ الْكَلَامَ بَعْدَ تَصْحِيحِ التَّشْبِيهِ مَخْرَجَ الْمَجَازِ، فَكَانَهُ قَالَ: وَإِنَّ أَوْهَانَ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الدِّينِ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.

ولقائل أن يقول: مَثَلُ الْمُشْرِكِ الَّذِي يَعْبُدُ الْوَتْنَ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ، مَثَلُ عَنْكَبُوتٍ يَتَّخِذُ بَيْتًا، بِالإِضَافَةِ إِلَى رَجُلٍ يَبْنِي بَيْتًا بِأَجْرٍ وَجِصًّا أَوْ يَنْحِتُهُ مِنْ صَخْرٍ، وَكَمَا أَنَّ أَوْهَانَ الْبُيُوتِ إِذَا اسْتَفْرَيْتَهَا بَيْتًا بَيْتًا؛ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ، كَذَلِكَ أَوْهَانُ الْأَدْيَانِ إِذَا اسْتَفْرَيْتَهَا دِينًا دِينًا؛ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. قُرئ: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء. وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه، حيث لم يجعل ما يدعونه شيئًا وهو العزيز الحكيم ﴿فيه تجهيل لهم؛ حيث عبدوا ما ليس بشيء؛ .....﴾

قال صاحب «الفرائد»: يُمكن أن يكون المعنى مَثَلُ مَنْ أَشْرَكَ وَطَمَعَ فِي نَفْعِهِمْ وَالْإِغْنَاءِ عَنْهَا فِي الدَّارَيْنِ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ جَعَلَتْ لِنَفْسِهَا بَيْتًا وَطَمَعَتْ فِي نَفْعِهَا مِنْ دَفْعِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْإِغْنَاءِ عَنْهَا، فَكَمَا لَا يَفِي بِذَلِكَ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ كَذَلِكَ اتِّخَاذُهُمُ الْأَوْثَانَ.

قوله: (قُرئ) ﴿يَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء) بالياء التحتانية: أبو عمرو وعاصم، والباقون: بالتاء<sup>(١)</sup>.

قوله: (وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه) أي: تَتَمِيمٌ لَهُ لِلْمَبَالِغَةِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أُثْبِتَ فِي الْمَثَلِ وَهَنْ دِينِ عَابِدِ الْوَتَنِ وَصَعْفَهُ، وَجُعِلَ هُنَا عَدَمًا صِرْفًا، فـ«مَا» فِي ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ نَافِيَةٌ.

قال أبو البقاء: يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بـ ﴿يَدْعُونَ﴾، و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: تَبْيِينٌ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً، وَ«مِنْ» زَائِدَةٌ، وَ﴿شَيْئًا﴾ مَفْعُولٌ ﴿يَدْعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٥٢.

(٢) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٣٣).

لأنه جَمَادٌ لَيْسَ مَعَهُ مُصَحِّحُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةَ أَصْلًا، وَتَرَكُوا عِبَادَةَ الْقَادِرِ الْقَاهِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمِ الَّذِي لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا بِحِكْمَةٍ وَتَدْبِيرٍ.

[ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٤٣ ]

كَانَ الْجَهْلَةُ وَالسُّفَهَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُولُونَ: إِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ يَضْرِبُ الْمَثَلَ بِالذُّبَابِ وَالْعَنْكَبُوتِ، وَيَضْحَكُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَلذَلِكَ قَالَ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أَي: لَا يَعْقِلُ صَحَّتْهَا وَحُسْنَهَا وَفَائِدَتَهَا إِلَّا هُمْ، لِأَنَّ الْأَمْثَالَ وَالتَّشْبِيهَاتِ إِنَّمَا هِيَ الطَّرُقُ إِلَى الْمَعَانِي الْمُحْتَجِجَةِ فِي الْأَسْتَارِ؛ حَتَّى تُبْرِزَهَا وَتَكشِفَ عَنْهَا وَتُصَوِّرَهَا لِلأَفْهَامِ، كَمَا صَوَّرَ هَذَا التَّشْبِيهَ الْفَرْقَ بَيْنَ حَالِ الْمُشْرِكِ وَحَالِ الْمُوَحِّدِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: «الْعَالِمُ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ فَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبَ سَخَطَهُ».

قَوْلُهُ: (لَيْسَ مَعَهُ مُصَحِّحُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةَ)، أَي: الْحَيَاةَ، يَرِيدُ أَنْ قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تَتِمِيمٌ لِمَعْنَى التَّجْهِيلِ الَّذِي يُعْطِيهِ قَوْلُهُ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يَعْنِي: مَا عَرَفُوا أَنَّ مَا يَدْعَوْنَهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلَا عَلِمُوا أَنَّهُ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حَيْثُ تَرَكُوا عِبَادَةَ الْقَادِرِ الْحَكِيمِ إِلَى مَا لَيْسَ مَعَهُ مُصَحِّحُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةَ.

قَوْلُهُ: (الْعَالِمُ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ فَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبَ سَخَطَهُ) الْحَدِيثُ، أَوْرَدَهُ مَحْبِي السُّنَّةِ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ»<sup>(١)</sup> عَنِ جَابِرٍ.

الْجَوْهَرِيُّ: قَوْلُهُمْ: مَا أَعْقَلُهُ عَنْكَ شَيْئًا، أَي: دَعَّ عَنْكَ هَذَا الشُّكَّ. هَذَا حَرْفٌ رَوَاهُ سَيَبَوِيهُ كَأَنَّهُ قَالَ: «مَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِمَّا تَقُولُ، فَدَعَّ عَنْكَ الشُّكَّ». وَعَنْ بَعْضِهِمْ فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، أَي: الَّذِي تَقُولُ مَا أَعْقَلُهُ عَنْكَ شَيْئًا؛ أَي: مَا أَعْقَلَ مِنْهُ.

وَقُلْتُ: خِلَاصَتُهُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّرْكِيبِ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي مَعْنَى دَقِيقِ الْمَسْأَلَةِ، صَغَبِ الْمُرْتَقَى.

(١) «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ» (٦: ٢٤٣).



[ ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٤]

وَمِنْ ثَمَّ جِيءَ بِقَوْلِهِ: «العالم» بلام الجِنْسِ؛ أي: العالمُ الكَامِلُ، الحكِيمُ الحَازِمُ، ذُو الدَّرَجَةِ وَالْكِيَاَسَةِ، مَنْ يَعْقِلُ وَيَعْرِفُ مَا صَدَرَ عَنِ اللَّهِ، وَمِنْ ثَمَّ طَبَّقَ التَّأْوِيلُ النَّبَوِيَّ التَّنْزِيلَ الإِلَهِيَّ ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ حَيْثُ جَمَعَ الْعَقْلَ وَالْعِلْمَ مَعًا عَلَى سَبِيلِ الْحَضَرِ.

ومثله: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»<sup>(١)</sup>، فإِذْنِ الْوَاجِبِ أَنْ يُتْرَكَ<sup>(٢)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ - فِي قَوْلِهِ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ - عَلَى الْإِطْلَاقِ لِتَبْتِغَاوَلِ سَائِرِ الْوَلَايَاتِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمَوْحِدِ الْاجْتِنَابَ عَنْهَا، وَيَشْتَمَلُ عَلَى دَقَائِقِ الشَّرِكِ وَمَكَامِينِهِ، وَيَنْفِي الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ عَمَّنِ سِوَاهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَفِيهِ مَسْحُوحَةٌ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا لَنَعْبُدُ وَإِنَّا لَنَسْتَعِيبُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فِي «حَقَائِقِ السُّلَمِيِّ»<sup>(٣)</sup>: قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: مَنْ اعْتَمَدَ شَيْئًا سِوَى اللَّهِ فَهُوَ هَبَاءٌ لَا حَاصِلَ لَهُ، وَهَلَاكُهُ فِي نَفْسِ مَا اعْتَمَدَهُ، وَمَنْ اتَّخَذَ سِوَاهُ ظَهِيرًا قَطَعَ عَنِ نَفْسِهِ سَبِيلَ الْعِصْمَةِ وَرَدَّ إِلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، كَالْعَنْكَبُوتِ الَّتِي تَتَّخِذُ بَيْتًا ظَنَّهُ أَنَّهُ يَكْتُمُهُ. وَأَنْشَدَ الْبُسْتِيَّ<sup>(٤)</sup>:

مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ      فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانٌ<sup>(٥)</sup>

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) فِي (ح) وَ(ف): «يُنْزَلُ».

(٣) يَعْنِي «حَقَائِقِ التَّفْسِيرِ» (٢: ١١٦).

(٤) هُوَ الْعَلَامَةُ أَبُو الْفَتْحِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبُسْتِي، شَاعِرُ عَصْرِهِ وَكَاتِبُهُ كَانَ مِنْ كِتَابِ الدَّوْلَةِ السَّامَانِيَّةِ فِي خِرَاسَانَ، لَهُ «دِيْوَانُ شَعْرٍ»، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا:

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نَقْصَانُ

تُوفِيَ سَنَةَ ٤٠٠ هـ. تَرْجَمَتْهُ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (١٧: ١٤٧)، وَ«الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ» (٢٢: ١٠٥).

(٥) مِنْ قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ، وَمَطَّلَعَهَا:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَاتَ نَقْصَانُ      فَلَا يُسَرُّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

انظُر: «رِسَالَتِ التَّعَالِيِّ» ص ٤٣.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أو بالغرضِ الصَّحيحِ الذي هو حقٌّ لا باطل، وهو أن تكونا مساكِنَ عبادهِ وعبرةً للمُعْتَبِرِينَ منهم، ودلائلٌ على عِظَمِ قُدْرَتِهِ، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ [ص: ٢٧] ثم قال: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٧].

[﴿أَنْتَ لِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكُتُبِ وَأَفِيدِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾] [ ص ]

الصَّلَاةُ تكونُ لُطْفًا في تَرْكِ المعاصي، فكأنتها ناهيةٌ عنها. فإن قلت: كم من مُصَلٍّ يرتكبُ ولا تنهأه صلواته؟ قلت: الصَّلَاةُ التي هي الصَّلَاةُ عندَ الله المُسْتَحَقُّ بها

قوله: (أو بالغرضِ الصَّحيحِ)، الانتصاف: اللَّفْظُ والمعنى فاسدٌ، ولو فرض أن المعنى صحيحٌ لكان الواجبُ اجتنابُ هذه الألفاظِ الرديئة<sup>(١)</sup>.

قوله: (ونحوه [قوله تعالى]: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ [ص: ٢٧]) وذلك أن الباطلَ في مُقابلِ الحقِّ، وأنَّ قوله: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٧] في مُقابلِ قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأما ظنُّ الكافرِ أنه باطلٌ فلأنه لم يجعلِ الدلائلَ مسارِحَ نظره ومطارِحَ فكره، ليستبدلَ به على وجودِ مُبدِعِ فاطِرٍ، مُسْتَحَقُّ لأن يُعْبَدَ ويُطَاعَ في أوامره وبُوابه، كما أن معنى يقينِ المؤمنِ أنه نَظَرَ وَعَرَفَ فَعْبَدَ وَأَطَاعَ وانتفعَ بها، فكأنه أقرَّ بحقيقتها<sup>(٢)</sup>.

وفيه: أن صاحبَ عِلْمِ الهيئَةِ الذي لا عبادةَ له كأنه ما نَظَرَ فيها ولا عَرَفَهَا حقَّ معرفتها<sup>(٣)</sup>.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٥٥).

(٢) في (ح) و(ف): «بحقيقتها».

(٣) وهو ما نراه من أحوال كثير من علماء الفضاء المعاصرين الذين يرون آيات الله العظيمة في الآفاق، فلا تشرح صدورهم لنور اليقين والإيمان.

الثواب: أن يدخَلَ فيها مُقَدِّمًا للتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، مُتَّقِيًا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وَيُصَلِّيَهَا خَاشِعًا بِالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، فَقَدِ رُوِيَ عَنْ حَاتِمٍ: كَأَنَّ رَجُلِيَّ عَلَى الصَّرَاطِ، وَالْجَنَّةَ عَنْ يَمِينِي، وَالنَّارَ عَنْ يَسَارِي، وَمَلَكَ الْمَوْتِ مِنْ فَوْقِي، وَأُصَلِّي بَيْنَ الْحَقُوفِ وَالرَّجَاءِ؛ ثُمَّ يَحُوطُهَا بَعْدَ أَنْ يُصَلِّيَهَا فَلَا يُجِبُّهَا، فَهِيَ الصَّلَاةُ الَّتِي تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ لَمْ يَزِدْهُ بِصَلَاتِهِ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا». وَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فَلَيْسَتْ صَلَاتُهُ بِصَلَاةٍ، وَهِيَ وَبَالَ عَلَيْهِ». وَقِيلَ: «مَنْ كَانَ مُرَاعِيًا لِلصَّلَاةِ جَزَاءَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ عَنِ السَّيِّئَاتِ يَوْمًا مَا، فَقَدِ رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِالنَّهَارِ وَيَسْرِقُ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ: «إِنَّ صَلَاتَهُ لَتَرُدُّعُهُ».

ورُوِيَ أَنَّ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يُصَلِّي مَعَهُ الصَّلَوَاتِ، وَلَا يَدْعُ شَيْئًا مِنَ الْفَوَاحِشِ إِلَّا رَكِبَهُ، فَوُصِفَ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّ صَلَاتَهُ سَتْنَهَا» فلم يلبث أن تاب وعلى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ السُّرَاعِيَّ لِلصَّلَاةِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَبْعَدَ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ مِمَّنْ لَا يُرَاعِيهَا. وَأَيْضًا فَكَمْ مِنْ مُصَلِّينَ تَنْهَاهُمْ الصَّلَاةُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَاللَّفْظُ لَا يَقْتَضِي أَنْ لَا يَخْرُجَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُصَلِّينَ عَنْ قَضِيَّتِهَا، كَمَا نَقُولُ: إِنَّ زَيْدًا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَلَيْسَ غَرَضُكَ أَنَّهُ

قوله: (وَاللَّفْظُ لَا يَقْتَضِي أَنْ لَا يَخْرُجَ وَاحِدٌ) يعني: ليس التَّعْرِيفُ فِي الصَّلَاةِ لِلِاسْتِغْرَاقِ لَيْسَتْوَ عِبَّ جَمِيعِ الْمُصَلِّينَ، بَلْ هُوَ لِلْجِنْسِ، فَهُوَ مُطْلَقٌ فِي تَنَاوُلِهِ، وَمَعْنَاهُ: مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ أَنْ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فَقَدْ وَجِدَ فِي صُورٍ كَثِيرَةٍ هَذَا الْحُكْمَ، فَلَا يَجِبُ أَنْ لَا (١) يَخْرُجَ أَحَدٌ مِنَ الْمُصَلِّينَ عَنْ قَضِيَّتِهَا.

والحاصلُ أَنَّ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ - الَّذِي هُوَ الْمَعْهُودُ الدَّهْنِيُّ - كَالنَّكْرَةِ فِي الشِّيَاعِ، وَالنَّكْرَةِ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ، لَا يُعِيدُ الْعُمُومَ.

(١) لفظة «لا» سقطت من (ط).

ينهى عن جميع المناكير، وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه، وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم. ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يريد: وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله كما قال: ﴿فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] وإنما قال: ولذكر الله: ليستقل بالتعليل، كأنه قال: وللصلاة أكبر، لأنها ذكر الله. أو: ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نبيه عنها ووعيده عليهما أكبر، وكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من الخير والطاعة، فيثيبكم أحسن الثواب.

[﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيهِمْ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [٤٦]

﴿يَأْتِيهِمْ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن، وهي مقابلة الحسنة باللين، والغضب بالكظم، والسورة بالآناة، كما قال: ﴿أَدْفَعْ يَأْتِيهِمْ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]،

قوله: (ليستقل بالتعليل) أي: ليرفعه ويكون حاملاً له.

الأساس: أقله واستقل به: رفعه، يعني إنما عدل عن الظاهر وهو قوله: «وللصلاة أكبر»؛ ليكون اللفظ دالاً على المقصود بالمجاز ومُتضمناً للتعليل؛ كأنه قيل: وللصلاة أكبر؛ لأنها ذكر الله، وقد علم أن ذكر الله أكبر من كل شيء.

تلخيصه: أنه من وضع المظهر موضع المضمّر من غير لفظه السابق؛ للإشعار بالعلية، ولو جيء بظاهر لم يُفد هذا المعنى.

قوله: (من اللطف الذي في الصلاة) المراد باللطف على اصطلاحهم: ما يقرب إلى الطاعة ويترجى عن المعصية، يعني: تأثير الزاجر بذكر الله، وذكر نبيه ووعيده أكثر من تأثير الزاجر بالصلاة.

قوله: (والسورة)، الجوهرية: سورة السلطان: سطوته واعتداؤه، و«الآناة» بوزن القنائة: الجلم والوقار.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فأقرطوا في الاعتداء والعناد، ولم يقبلوا النصح، ولم ينفع فيهم الرفق. فاستعملوا معهم الغلظة، وقيل: إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ، وقيل: إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا: يدُ الله مغلولة. وقيل: معناه: ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤددين للجزية إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية، فإن أولئك مجادلتمهم بالسيف. وعن قتادة: الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] ولا مجادلة أشد من السيف: وقوله: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من جنس المجادلة بالتي هي أحسن. وعن النبي ﷺ: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا

قوله: (وقيل: معناه: لا تجادلوا الداخلين في الذمة) عطف على قوله: «وهي مُقَابَلَةٌ الْحُشُونَةُ بِاللَّيْنِ»، وعلى الأول: المُجَادَلَةُ بِالْحُجَّةِ، وعلى الثاني: بالسيف، والحاصل من الوجه أن قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مُطْلَقٌ؛ إمَّا أَنْ يَجْرِي عَلَى إِطْلَاقِهِ، فَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فَأَقْرَطُوا فِي الْاِعْتِدَاءِ»؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُصِفَ بِالْفِسْقِ أَوْ الظُّلْمِ حُمِلَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِيهَا هُوَ فِيهِ، وَلِذَلِكَ أَتَى بِالْفَاءِ فِي «فَأَقْرَطُوا» لِيَكُونَ سَبَبًا فِي الْإِفْرَاطِ، أَوْ يُقَيَّدُ بِمَا يُوجَدُ مِنْهُمْ مِنَ الْأَذَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَا أَنْتَ بِصَاحِبِنَا، وَلَا نَجِدُ فِي كِتَابِنَا ذِكْرَكَ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «آذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» وَالْقَرِينَةُ خَارِجِيَّةٌ، أَوْ الْقَرِينَةُ مَا يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحِدٌ﴾ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «الَّذِينَ أَثْبَتُوا الْوَلَدَ وَالشَّرِيكَ»، أَي: مِنَ النَّصَارَى، وَقَالُوا: يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ، أَي: مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ الْمَجَادَلَةِ التَّعَرُّضُ وَالْقِتَالُ، لَا الْمُقَاوَلَةُ وَالظُّلْمَ. عَلَى هَذَا أَيْضًا بَاقٍ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَنَتِيجَتُهُ نَبْذُ الْعَهْدِ؛ لِذَلِكَ جِيءَ بِالْفَاءِ فِي «فَنَبَذُوا الذِّمَّةَ».

قوله: (ما حدثكم أهل الكتاب) الحديث؛ أخرجه أبو داود، عن أبي نَمْلَةَ<sup>(١)</sup> الأنصاري<sup>(٢)</sup>، وروى البخاري عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصدقوا أهل

(١) في (ف): «أنملة»، والجادة ما أثبتناه. انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» للويزي (٣٤: ٣٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦) والإمام أحمد (١٧٢٦٤) وصححه ابن حبان (٦٢٥٧) من حديث =

بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلا لم تصدقوهم، وإن كان حقا لم تكذبوهم».

[﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ ٤٧]

ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: أنزلناه مُصَدِّقًا لسانِ الكتابِ السماوية، تحقيقًا لقوله: ﴿ءَأَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾. وقيل: وكما أنزلنا الكتابَ إلى مَنْ كان قبلك أنزلنا إليك الكتابَ ﴿فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ هم عبدُ الله بنُ

الكتابِ بما يُحَدِّثُونَكُمْ عن الكتابِ ولا تُكذِّبوهم، وقولوا: ﴿ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] <sup>(١)</sup>؛ لأن الله أخبر بأنهم كتبوا بأيديهم وقالوا: هذه من عند الله.

قوله: (وكما أنزلنا الكتابَ إلى مَنْ كان قبلك)، يعني: أن «الكاف» منصوبُ المحلِّ على المصدر، والمشارُ إليه بـ«ذلك»: إِمَّا مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَقَوْلُوا ءَأَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، وهو المرادُ من قوله: «تحقيقًا لقوله: ﴿ءَأَمَّا﴾» و«تحقيقًا» مفعولٌ له لِقَدْرٍ؛ أي: أشار بذلك تحقيقًا له <sup>(٢)</sup>، أو المشارُ إليه ما في الدُّهْنِ؛ أي: مثل ذلك الإنزالِ المَعْلُومِ الَّذِي أُنزِلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ.

والمِثْلُ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي: بِمَعْنَى النَّظِيرِ وَالشَّبِيهِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ: مُسْتَعَارًا لِلصِّفَةِ الْعَجَبِيَّةِ الشَّانِ. وَالْفَاءُ فِي «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ» تَفْصِيلِيَّةٌ؛ أَي: مِثْلُ ذَلِكَ الْإِنْزَالِ الْعَجَبِيِّ الشَّانِ الدَّاعِي إِلَى الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ وَإِلَى التَّوْحِيدِ أَنْزَلْنَاهُ، ثُمَّ النَّاسُ مَعَ ذَلِكَ تَفَرَّقُوا فِرْقًا أَرْبَعًا؛ لِأَنَّ الْمَبْعُوثَ إِلَيْهِمْ إِمَّا أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ الْمُشْرِكِينَ، فَقَوْلُهُ: ﴿فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الْمُرَادُ بِهِ بَعْضُ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ هُمْ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ مُؤَدِّنٌ بِأَنَّهُمُ الْفَرِيقَانِ الْبَاقِيَانِ مِنْ

= أَيْ نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قوله: «أي: أشار بذلك تحقيقًا له» سقط من (ط).

سَلَامٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ من أهل مكة، وقيل: أراد بالذين أوثقوا الكتاب: الذين تقدموا عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب. ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ ممن في عهده منهم. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ مع ظهورها وزوال الشبهة عنها، إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه. وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابه.

[ ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْتَلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ \*  
بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ ]  
[٤٨-٤٩]

وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط، ﴿إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ لو كان شيء من ذلك، أي: من التلاوة والخط ﴿لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجد في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به. أو لارتاب مشركو مكة وقالوا: لعله تعلمه أو كتبه بيده. فإن قلت: لم ستهام مبطلين، ولو لم يكن أميًّا وقالوا: ليس الذي نجد في كتبنا، لكانوا صادقين محقين؟ وكان أهل مكة أيضًا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب؟ قلت: ستهام مبطلين لأنهم

أولئك، وهم الذين توغلوا في الكفر وصمموا عليه ولم يفتحوا آذانهم الصمم وأعينهم العمي، ولم يلفتوا إلى الآيات البينات، والمراد بقوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ الآيات المنزلة في هذا الكتاب الكريم، أو هو نفسه آيات الله الباهرة، وحجته القاهرة، والله أعلم.

قوله: (لم ستهام مبطلين) توجيه السؤال: لم ستهام مبطلين في حال كونه كاتبًا قارئًا؛ لكونهم حينئذ محقين، وكونهم مبطلين إنما يصح أن لو لم يكن كاتبًا قارئًا؛ لكونهم حينئذ علموا الحق وجحدوا؟

وخلاصة الجواب: أن التعريف في ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ للعهد، وهم قوم معلومون بدليل قوله: «هؤلاء المبطلون»، يعني: هؤلاء المجادلون المبطلون. توضيحه: أن ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ على تأويل مفهوم اللقب لا الصفة، كأنه قيل: هؤلاء الأشخاص الذين حصل لهم الإبطال.

كفروا به وهو أمِّيٌّ بعيدٌ من الرِّيب، فكأنه قال: هؤلاء المُبطلون في كُفْرِهِم به لو لم يكن أمِّيًّا لارتأبوا أشدَّ الرِّيب؛ فحين ليس بقارئ كاتبٍ فلا وجه لارتياهم. وشيءٌ آخر: وهو أن سائر الأنبياء عليهم السَّلام لم يَكُونُوا أمِّيِّين، ووجب الإيمانُ بهم وبما جاؤوا به، لكونهم مُصدِّقين من جهة الحكيم بالمعجزات، فهب أنه قارئٌ كاتبٌ فما لهم لم يُؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السَّلام؟ على أن المنزِّلين ليسا بمُعجزين، وهذا المنزَّل مُعجز، فإذن: هم مُبطلون حيث لم يُؤمنوا به وهو أمِّيٌّ، ومُبطلون لو لم يُؤمنوا به وهو غيرُ أمِّيٍّ. فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿بِمِثْلِكَ﴾؟ قلت: ذكرُ اليمينِ وهي الجارحةُ التي يُراولُ بها الخطُّ: زيادةُ تصويرٍ لِمَا نُفِيَّ عنه من كونه كاتبًا.

قوله: (وشيءٌ آخرٌ) يعني: سَمَّاهُم مُبطلين؛ لأنهم لم ينظروا إلى الدليل، وما يُثبت به رسالته من إظهار المعجزة بعد سبق الدَّعوى كما ثبتت رسالة سائر الأنبياء، وحينئذٍ لم يفتقروا إلى النَّظَر في كونه أمِّيًّا أو غيرُ أمِّيٍّ، وهو المراد من قوله: «فما لهم لم يُؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام»، ومع هذا انصَمَّ معه ما يزيدُ به الدليلُ إيضاحًا، وهو أنه أمِّيٌّ لم يقرأ ولم يكتب، فهو أولى بالقبول، وعلى كلِّ حالٍ إنهم مُبطلون، سواءً كان أمِّيًّا أو لم يكن.

وهذا إنَّما يستقيم مع المشركين؛ لأنَّ أهل الكتاب يُثبتون نبوته بأماراتٍ يجِدونها في كتبهم، وهي أنه أمِّيٌّ لا يكتب ولا يقرأ، فلهم أن يقولوا: أنت نبيٌّ، لكن لست بصاحبنا. وإلى هذا يُنظر قولُ صاحب «التَّريب»: هذا الوجهُ إنَّما يردُّ على المشركين لا على أهل الكتاب، إذ نَعْتُهُ عندهم أنه أمِّيٌّ.

قوله: (زيادةُ تصويرٍ لِمَا نُفِيَّ عنه من كونه كاتبًا) يعني: هو من أسلوب قولهم: نظرتُه بعيني، وأخذته بيدي، وقلته بعمي.

فإن قلت: كيف جَمَعَ بينَ هذا وبينَ ما رَوَى البخاريُّ ومسلمٌ والإمامُ أحمدُ والدارميُّ عن البراء بن عازبٍ، قال: اعتمر رسولُ الله ﷺ وساقوا الحديثَ إلى قوله: فلما كتبوا الكتاب



كُتِبُوا: هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسولُ الله، قالوا: لا نُقرُّ بهذا، فلو نَعَلِمُ أنك رسولُ الله ما مَنَعْنَاكَ، ولكن أنتَ محمدُ بنُ عبدِ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «أنا رسولُ الله، وأنا محمدُ بنُ عبدِ الله»، ثم قال لعلِّي رضي الله عنه: «أمح رسولُ الله»، قال: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسولُ الله ﷺ وليس يُحسِنُ يكتب، فكتب: «هذا ما قاضى عليه محمدُ بنُ عبدِ الله، لا يُدخِلُ مَكَّةَ السِّلَاحَ إلا السَّيْفَ في القِرَابِ، وأن لا يخرجَ من أهلها بأحدٍ إن أراد أن يتبعه، وأن لا يَمَنَعَ من أصحابه أحداً إذا أراد أن يقيمَ بها». الحديث<sup>(١)</sup>.

والجواب ما قال محيي السنة: يعني: لو كنتَ تكتبُ أو تقرأ قبل الوحي لشكَّ المُبطلون<sup>(٢)</sup>.

قلت: ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾؛ أي: من قبل إنزالنا إليك الكتاب.

وقال الشيخ محيي الدين النواوي في «شرح صحيح مسلم»: وكما جاز أن يتلو جاز أن يحطَّ، ولا يقَدِّحُ هذا في كونه أمياً، إذ ليست المعجزة مجرد كونه أمياً، فإن المعجزة حاصلة بكونه أو لا كذلك، ثم جاء بالقرآن وبعلوم لا يعلمها الأميون. وقالوا: إن الله تعالى علمه ذلك حينئذ، حين كتب، وجعل هذا زيادةً في معجزته، فإنه كان أمياً، فكما علمه ما لم يكن يعلم من العلم وجعله يقرأ ما لم يقرأ، ويتلو ما لم يتل، كذلك علمه أن يكتب ويحطَّ ما لم يحطَّ بعد النبوة. واحتجوا أيضاً بأثار جاءت في هذا عن الشعبي وبعض السلف، فإن النبي ﷺ لم يمُت حتى كتب. تمَّ كلامه<sup>(٣)</sup>.

ويمكن أن يُقال سبيل هذه الكتابة مع هذه الآية سبيل قوله:

هل أنتِ إلا أضبعٌ دميتُ      وفي سبيل الله ما لقيت<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٨) ومسلم (١٧٨٣) وأحمد (١٨٦٥٨) والدارمي (٢٥٠٧).

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٢٤٩).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٢: ١٣٧).

(٤) انظر هذا الخبر في: «صحيح البخاري» (٢٨٠٢) و«صحيح مسلم» (١٧٩٦) وغيرهما.

ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات: رأيت الأمير يحطُّ هذا الكتابَ بيمينه، كان أشدَّ لإثباتك أنه تولى كِتابته، وكذلك النَّفْيُ ﴿بَلْ﴾ القرآن ﴿ءَايَاتُ يَنْتَضِي فِي صُدُورِ﴾ العلماءِ به وحفظه، وهما من خصائص القرآن: كونُ آياته بيِّناتِ الإعجاز، وكونه محفوظاً في الصُّدُورِ يتلوه أكثرُ الأمةِ ظاهراً؛ بخلافِ سائرِ الكُتُبِ، فإنها لم تكنْ مُعْجِزاتٍ، وما كانت تُقْرَأُ إلا من المصاحفِ. ومنه ما جاء في صفةِ هذه الأمةِ «صُدُورُهُمْ أَنَا جِلَّهُمْ».

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]، قال المصنف: «ما هو إلا كلامٌ من جنسِ الكلامِ الذي يُرمى به على السَّليقةِ من غيرِ صَنْعَةٍ وَقَصْدٍ إلى ذلك، ولا التفاتِ منه إليه»، ويعضده قولُ راوي الحديث: «وليس يُحْسِنُ يَكْتُبُ».

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧]: «حقيقته: يحسن معرفته؛ أي: يَعْرِفُهُ معرفةً حسنةً بتحقيق وإتقان».

وفي «الروضة»: «ومَّا عُدَّ مِنَ المحرَّماتِ الشُّعْرُ والحَطُّ، وإنَّما يَنْجَهُ القولُ بتحريمهما لَمْ يَنْ يَقُول: إنه ﷺ كان يُحْسِنُهُما، وقد اختلف فيه؛ فقيل: كان يُحْسِنُهُما لكنه يمتنع منهما. والأصحُّ: أنه كان لا<sup>(١)</sup> يُحْسِنُهُما. ثم قال صاحبُ «الروضة»: ولا يمتنع تحريمهما وإن لم يُحْسِنُهُما، والمرادُ تحريمُ التَّوَصُّلِ إليهما<sup>(٢)</sup>».

قوله: (وهما من خصائص القرآن) مفسَّرٌ بقوله: «كَوْنُ آيَاتِهِ بَيِّنَاتِ الإعجازِ» وبقوله: «كَوْنُهُ مَحْفُوظًا فِي الصُّدُورِ»، يدلُّ عليه قوله: «بخلافِ سائرِ الكُتُبِ»، فعلى هذا «بل» إضرابٌ عن مفهوم الآيتين السابقتين. المعنى: وكذلك أنزلنا إليك الكتابَ، والحال أنك أميٌّ ما كنتَ تتلو من قبله من كتابٍ ولا تُحِطُّه بيمينك، بل ذلك الإنزالُ معجزةٌ خارقةٌ للعاداتِ، وهي كَوْنُهَا فِي نَفْسِهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ؛ لبلاغتها وفصاحتها، وكَوْنُهُ اخْتِصَّ بِأَنْ حُوفِظَ [عليه] فِي صُدُورِ الْعُلَمَاءِ دُونَ سَائِرِ الْكُتُبِ.

قوله: (صُدُورُهُمْ أَنَا جِلَّهُمْ)، النهاية: في صفة الصَّحابة: «معه قومٌ صُدُورُهُمْ

(١) لفظة «لا» سقطت من (ط).

(٢) «روضة الطالين» (٧: ٥).

﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾ بآياتِ الله الواضحة، إلا المتوَعِّلون في الظلم المُكابرُون.

[﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِّن رَّبِّنَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٥٠-٥٢]

قُرئ: (آية) و﴿ءَايَاتٌ﴾ أرادوا: هَلَّا أُنزِلَ عليه آيةٌ مثلُ ناقةٍ صالحٍ ومائدةِ عيسى عليهما السَّلَام، ونحو ذلك ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ يُنزِلُ آيَاتَهَا شاء، ولو شاء أن يُنزِلَ ما تَقَرَّحَوْنَهُ لَفَعَلَ ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾ كَلَّفْتُ الْإِنذَارَ وَإِبَانَتَهُ بِمَا أُعْطِيتُ من الآيات، وليس لي أن أُخَيِّرَ على الله آيَاتِهِ فأقول: أُنزِلَ عليَّ آيةٌ كذا دون آيةٍ كذا، مع علمي أن الغرض من الآية ثبوتُ الدلالة، والآيات كُلُّها في حُكْمِ آيةٍ واحدةٍ في

أناجيلهم<sup>(١)</sup>: هي جمعُ إنجيلٍ، وهي اسمُ كتابِ الله المنزَّلِ على عيسى - صلواتُ الله عليه - وهو عِزْرَانِيٌّ وسُرْيَانِيٌّ، وقيل: عربيٌّ، يريد أَنَّهُم يقرؤون كتابَ الله عن ظَهْرِ قُلُوبِهِمْ، ويجمَعُونَهُ في صُدُورِهِمْ حِفْظًا. وفي رواية: «وأناجيلهم في صُدُورِهِمْ»؛ أي: كتبهم محفوظة فيها.

ورُوي في بعض كُتُب التفسير في الكتابين في صفة النبي ﷺ وأُمَّتِهِ: يجتري بالْبُلْغَةِ<sup>(٢)</sup>، وَيَلْبَسُ الشَّمْلَةَ مع عَصَايَةٍ، وَأناجيلهم في صُدُورِهِمْ. ورُوي في بعض كُتُب التفسير: «وقرايينهم من نفوسهم»<sup>(٣)</sup>.

قوله: (قُرئ: «آية»)، و﴿ءَايَاتٌ﴾، «آية»: ابنُ كثيرٍ وأبو بكرٍ وحزرةُ الكسائيُّ، والباقون: ﴿ءَايَاتٌ﴾.

(١) قوله: «في صفة الصحابة: معه قوم صدورهم أناجيلهم» سقط من (ط).

(٢) وهي القَدْرُ اليسير من الطعام. ولتمام الفائدة انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (٤: ٢٩٢).

(٣) وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٠٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ذلك، ثم قال: ﴿أَوْلَتْ يَكْفِيهِمْ﴾ آية مُغْنِيَةٌ عن سائر الآيات - إن كانوا طَالِبِينَ لِلْحَقِّ غيرَ مُتَعَنِّتِينَ - هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كُلِّ مكانٍ وزمانٍ، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تَضْمَحِلُّ. كما تزول كلُّ آية بعد كونها، وتكون في مكانٍ دونَ مكانٍ.

إن في مثل هذه الآية الموجودة في كُلِّ مكانٍ وزمانٍ إلى آخرِ الدهرِ ﴿لَرْحَمَةً﴾: لِنِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ لَا تُشْكِرُ، وتذكِرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وقيل: أو لم يكفهم، يعني: اليهودَ

قوله: (هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كُلِّ مكانٍ) إلى آخره، هذه المبالغات إنما نشأت من وضع ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ موضع «القرآن»؛ لأنه مشتمل على صيغة التّعظيم، فدل على عظمة المنزّل، واللام في ﴿الْكِتَابَ﴾ للجنس، فدل على الكمال، أو للعهد فدل على ما عُرف واشتهر في البلاغة.

ثم في استئناف ﴿يُسَلِّى﴾ وتخصيصه بالمضارع وجعله علةً للمنزّل الدلالة على الاستمرار زماناً ومكاناً، وإليه الإشارة بقوله: «هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كُلِّ مكانٍ وزمانٍ»، ثم تعليل الجملة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرْحَمَةً﴾ تَسْمِيْمٌ لذلك المعنى.

قوله: (إن في مثل هذه الآية الموجودة) المثل: يُستعمل كنايةً عن ذات الشيء إذا كان متصفاً بأوصافٍ يشترك فيها غيره تحقيقاً أو فرضاً، وهاهنا لما وصّف القرآن بتلك الصفات الفائقة وعقب بقوله ذلك ليُستحضر بجميع صفاته، وأذن بأن القرآن جديرٌ بأن يكون رحمةً وذكرياً، لما له تلك الخِصَالُ الكاملة على سبيل التعليل. والقول الكليّ، حَسَنٌ أن يُقال: إن في مثل هذه الآية كذا وكذا، ونظيره في الكناية قولهم: العربُ لا تُخْفِرُ الدَّمَ.

قوله: ﴿لَرْحَمَةً﴾ لِنِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ لَا تُشْكِرُ يُريد: أَنَّ التَّكْرِيْفَ فِي ﴿لَرْحَمَةً وَذِكْرَى﴾ لِلتَّعْظِيمِ، وَأَنَّهَا رَحْمَةٌ لَا يُقَادَرُ قَدْرُهَا، وَتَذَكْرَةٌ؛ أَي: تَذَكْرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ. وفيه تعريضٌ بمن لم يرفع به رأساً، ويقترح آياتٍ غيرها، لا نسبةً بينها وبينها، يعني: أولئناهم تلك النعمة المتكاثرة الفوائد ليُشكروها ويعرفوا حقها بأن يؤمنوا، وهم عكسوا وكفروا بها وقالوا: لولا نزل عليه آية.

أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ بِتَحْقِيقِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ نَعْتِكَ وَنَعْتِ دِينِكَ. وَقِيلَ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِكَتْفٍ قَدْ كَتَبُوا فِيهَا بَعْضَ مَا تَقُولُ الْيَهُودَ، فَلَمَّا أَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَلْقَاهَا وَقَالَ: كَفَى بِهَا حِمَاةَ قَوْمٍ أَوْ ضَلَالَةَ قَوْمٍ أَنْ يَرَعْبُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيَّهُمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ غَيْرُ نَبِيَّهُمْ، فَنَزَلَتْ. وَالْوَجْهَ: مَا ذَكَرْنَا. ﴿كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أَنِّي قَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَأَنْذَرْتُكُمْ، وَأَنَّكُمْ قَابِلْتُمُونِي بِالْجَحْدِ وَالتَّكْذِيبِ، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَمْرِي وَأَمْرِكُمْ، وَعَالِمٌ بِحَقِّي وَبِاطِلِكُمْ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ مِنْكُمْ، وَهُوَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ وَأَيَاتِهِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الْمَغْبُونُونَ فِي صَفَقَتِهِمْ؛ .....

قوله: (إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الحديث، من رواية الدارمي عن يحيى بن جعدة قال: أتى النبي ﷺ بِكَتْفٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: «كَفَى بِقَوْمٍ ضَلَالًا أَنْ يَرَعْبُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيَّهُمْ، إِلَى مَا جَاءَ بِهِ غَيْرُ نَبِيَّهُمْ، أَوْ كِتَابٍ غَيْرِ كِتَابِهِمْ»<sup>(١)</sup>، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿أَوْلَئِكَ يَكْفِهِمْ﴾ الْآيَةَ.

قوله: (وَالْوَجْهَ مَا ذَكَرْنَا) أَي: الْمَعْنَى: أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ آيَةٌ مُغْنِيَةٌ عَنْ سَائِرِ الْآيَاتِ؟ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْوَجْهِ الثَّانِي كَوْنُهُ مَعْجَزَةٌ بِالغَةِ حَدَّ الْإِعْجَازِ وَالْكَمَالِ، وَمِنْ الثَّالِثِ كَوْنُهُ مَعْجَزَةٌ أَصْلًا، وَالْكَلامُ فِي الْمَعْجَزَةِ كَقَوْلِهِمْ: «لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ»، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا فِي «الْمَعَالِمِ»<sup>(٣)</sup> وَ«الْمَطْلَعِ»: هَذَا جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ: «لَوْلَا أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ».

قوله: (الْمَغْبُونُونَ فِي صَفَقَتِهِمْ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ اسْتِعَارَةٌ لِلشَّرَاءِ وَالبَيْعِ تَقْدِيرًا، وَ«الْخَاسِرُونَ» قَرِينَةٌ لِلِاسْتِعَارَةِ، فَإِنَّ الْخُسْرَانَ لَا يُسْتَعْمَلُ حَقِيقَةً إِلَّا فِي التَّجَارَةِ الْمُتَعَارَفَةِ. شَبَّهَ اسْتِبْدَالَ الْكُفْرِ بِالْإِيمَانِ الْمُسْتَلْزِمَ لِلْعِقَابِ بِالْإِسْتِعَارَةِ لِلْخُسْرَانِ.

(١) أخرجه الدارمي (٤٧٨) و(٤٩٥) بإسنادٍ مرسلٍ صحيح.

(٢) في (ط): «لأنه لا يعلم».

(٣) «معالم التنزيل» (٦: ٢٥٠).

حيثُ اشْتَرَوْا الكُفْرَ بالإيمان، إلا أن الكلامَ وردَ مَوْرَدَ الإنصافِ، كقولِهِ: ﴿وَإِنَّا أَوْ  
إِيَّاكُمْ لَعَلَّيْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، وكقولِ حَسَّانِ:

فَشَرُّكُمْا لِحَيْرِكُمْا الْفِدَاءُ

وَرُويَ أَنَّ كعبَ بنَ الأشرفِ وأصحابه قالوا: يا مُحَمَّدُ، مَنْ يَشْهَدُ لَكَ بِأَنَّكَ  
رَسُولُ اللَّهِ؟ فَنَزَلَتْ.

قوله: (إِلَّا أَنْ الكَلَامَ وَرَدَ مَوْرَدَ الإنصافِ) أي: على أسلوبِ الاستدراجِ والكلامِ  
الْمُنْصِفِ<sup>(١)</sup>، وذلك أن قولَهُ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ الآيةُ كَلَامٌ فِيهِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ، وَتَهْدِيدٌ عَظِيمٌ، لَكِنْ  
لَمْ يُكَافِئْ بِهِ مَنْ خُوِطِبَ بِأَنْ لَمْ يَقُلْ: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ مِنْكُمْ، بَلْ جِيءَ بِهِ عَامًّا عَلَى  
الغَيْبِيَّةِ، وَلَمْ يُصْرَحْ بِهَا كَانِ مِنْهُمْ مِنَ الْجَمْعِ وَالتَّكْذِيبِ لِيَتَفَكَّرُوا فِيهِ، وَيَنْظُرُوا: هَلْ هُمْ مِنْ  
الْجَاحِدِينَ لِلْحَقِّ أَوْ مِنَ الْمُنْصِفِينَ، أَوْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَكَفَرُوا بِالطَّاغُوتِ أَوْ خِلَافِهِ، أَوْ  
كَانُوا مُحَقِّقِينَ أَوْ مُبْطِلِينَ؟ فَحِينَئِذٍ يُنْصَفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَيُدْعَوْنَ لِلْحَقِّ، كَمَا أَنَّ حَسَّانَ وَبَنِي  
المَخَاطَبِ فِي صَدْرِ البَيْتِ بِقَوْلِهِ:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفٍّ<sup>(٢)</sup>

ثم أبرزَ الكلامَ على الإنصافِ حيثُ لم يُبيِّنِ الشَّرِيرَ وَالْحَيَّرَ بِقَوْلِهِ:

فَشَرُّكُمْا لِحَيْرِكُمْا الْفِدَاءُ

فقولُهُ: «إِلَّا أَنْ الكَلَامَ وَرَدَ» متعلِّقٌ بقولِهِ: «فَهُوَ مُطَّلَعٌ عَلَى أَمْرِي» إِلَى آخِرِهِ، يَعْنِي: كَانَ  
مِنْ ظَاهِرِ مَا يَقْتَضِيهِ الكَلَامُ أَنْ يُقَالَ: عَالِمٌ بِحَقِّي وَبِاطِلِكُمْ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ مِنْكُمْ، إِلَى  
آخِرِهِ، وَلَكِنَّ الكَلَامَ وَرَدَ مَوْرَدَ الإنصافِ.

قوله: (مَنْ يَشْهَدُ لَكَ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَنَزَلَتْ) أي: قولُهُ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي  
وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾.

(١) فِي (ف): «الْمُنْصِفُ»، وَهُوَ خَطَأً.

(٢) سَبَقَ تَحْرِيجُهُ.

[وَسَتَعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* يَسْتَعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ \* يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٣-٥٥﴾]

كَانَ اسْتِعْجَالُ الْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً مِنْهُمْ وَتَكْذِيبًا، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ هُوَ الَّذِي قَالَ: اللَّهُمَّ أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ أَصْحَابُ الْاَيْكَةِ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧]. ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ﴾ قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ وَبَيَّنَّاهُ فِي اللَّوْحِ لِعَذَابِهِمْ، وَأَوْجِبَتْ الْحِكْمَةُ تَأْخِيرَهُ إِلَى ذَلِكَ الْأَجْلِ الْمُسَمًّى ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عَاجِلًا. وَالْمُرَادُ بِالْأَجْلِ: الْآخِرَةُ، لِمَا رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ قَوْمَهُ وَلَا يَسْتَأْصِلُهُمْ، وَأَنَّهُ يُؤَخَّرُ عَذَابَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَقِيلَ: يَوْمُ بَدْرٍ. وَقِيلَ: وَقْتُ فَنَائِهِمْ بِأَجَالِهِمْ، ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾ أَي: سَتَحِيطُ بِهِمْ ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ أَوْ هِيَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، .....

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]؟ لَا تَسْتَشْهِدُوا بِاللَّهِ، وَلَا تَقُولُوا: اللَّهُ يَشْهَدُ أَنْ مَا نَدَّعِيهِ حَقٌّ، كَمَا يَقُولُهُ الْعَاجِزُ عَنِ إِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ.

قُلْتَ: الْمُرَادُ بِالشَّهِيدِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِظْهَارُ الْمُعْجِزَةِ الْقَاهِرَةِ عَلَى يَدِهِ، وَإِنْزَالُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَزَالُ مَعَهُ آيَةٌ ثَابِتَةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ زَمَانٍ يَشْهَدُ بِذَلِكَ الْآيَةَ السَّابِقَةَ.

قَوْلُهُ: ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عَاجِلًا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَقْدَرِ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ عَطْفٌ تَفْسِيرِيٌّ عَلَى ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾؛ نَحْوُ: أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَكَرَمَهُ.

قَوْلُهُ: (أَي: سَتَحِيطُ بِهِمْ) أَي: أَصْلُ الْكَلَامِ هَذَا، وَلَكِنْ جِيءَ بِالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ مُؤَكَّدَةً بِاللَّامِ، وَ«إِنَّ» لِيُؤَدِّنُ بِأَنَّ إِخْبَارَ اللَّهِ عَنِ الْكَائِنِ وَقَعِ الْبَتَّةَ، لِصِدْقِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ؛ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وَعَلَى هَذَا: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ﴾ مَنْصُوبٌ بِ«مُحِيطَةٌ».

قَوْلُهُ: (أَوْ هِيَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا) تُنَزَّلُ إِحَاطَةُ أَسْبَابِ الْعَذَابِ بِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي

لأن المعاصي التي تُوجِبُها محيطَةٌ بهم. أو: لأنّها مألّم ومَرَجِعُهُم لا محالة فكأنتا السّاعةُ محيطَةٌ بهم. ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ﴾ على هذا منصوبٌ بمُضَمَّر، أي: يومَ يغشاهم العذابُ كانَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ. ﴿مِنْ قَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿وَيَقُولُ﴾ قُرئ بالنون والياء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

[﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ ٥٦]

معنى الآية: أنّ المؤمنَ إذا لم يتسهّل له العِبادةُ في بلدٍ هو فيه، ولم يتمشّ له أمرٌ دينه كما يُحِبُّ فليهاجر عنه إلى بلدٍ يُقدَّرُ أنه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر عِبادةً وأحسنُ خشوعاً. ولعمري إنّ البِقاعَ تتفاوتُ في ذلك التفاوتِ الكثير، ولقد جرّبنا وجرّب أولونا، فلم نجد فيما دُرنا وداروا أعونَ على قهرِ النفسِ وعصيانِ الشّهوةِ، وأجمعَ للقلبِ المتلقتِ، وأضمَّ للهَمَّ المُتَشِيرِ، وأحسَّ على القناعةِ، وأطرَدَ للشيطانِ، وأبعدَ من كثيرٍ من الفتنِ، وأضبطَ للأمرِ الدّينيِّ في الجملة؛ من سُكنى حرمِ الله وجوارِ بيتِ الله، فليله الحمدُ على ما سهّلَ من ذلك وقَرَّبَ، ورزقَ من الصبرِ وأوزعَ من

منزلةِ إحاطةِ العذابِ نَفْسِه؛ إطلاقاً لاسمِ المسبّبِ على السببِ.

قوله: (أو لأنّها مألّم ومَرَجِعُهُم لا محالة) يريد أنّ «ما» للوقوع كالواقعِ لِتَظَاهُرِ أسبابه؛ نحو: مُت، وهو من بابِ المَجازِ باعتبار ما يُؤوّلُ.

قوله: (كَيْتٌ وَكَيْتٌ) كنايةٌ عما يَقْضِر الوصفُ عن بيانهِ؛ أي: حَدَثٌ وَوَقَعَ أمرٌ عظيمٌ، وَخَطْبٌ جسيمٌ، من الانتقامِ مِنَ المُستهزئين وقهرِ المُكذِّبين، وتَشْفِي غليلِ المؤمنين، إلى غير ذلك، ولو قيل: واذكُرَ يومَ يغشاهم، لم يُغذ هذه الفوائد.

قوله: (﴿وَيَقُولُ﴾ قُرئ بالنون والياء) بالنون: ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو وابنُ عامر، والباقون:

بالياء<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٥٣.



الشُّكر. وعن رسولِ الله ﷺ: «مَنْ فَرَ بدينه مِنْ أرضٍ إلى أرضٍ وإنْ كَانَ شبرًا مِنْ الأرض؛ استوجبَ الجنةَ وكانَ رفيقَ إبراهيمَ ومُحمَّد» وقيل: هي في المُستضعفينَ بِمَكَّةَ الذين نزلَ فيهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] وإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ دينهم ما كَانَ يَسْتَتِيبُ لهم بينَ ظَهْرَانِي الكُفْرَةَ، ﴿فَإِيَّتِي فَاعْبُدُونِ﴾ في المُتكلِّم، نحو: إِيَّاهُ ضَرَبْتُهُ، في الغائبِ وإِيَّاكَ عَضَّتْكَ، في المُخاطَب. والتَّقدير: فَإِيَّايَ فَاعْبُدُوا فَاعْبُدُون. فَإِنْ قلت: ما معنى الفاءِ في ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ وتقدِيم المفعول؟ قلت: الفاءُ جَوَابُ شرطٍ مَحذوفٍ؛ لِأَنَّ المعنى: إِنْ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِنْ لَمْ تُخْلِصُوا العِبَادَةَ لي في

قوله: (وإِيَّاكَ عَضَّتْكَ) بالعين المَهْمَلَة والضَّادِ المُعْجَمَة، والفاعلُ مَقْدَرٌ، وهو الحربُ، «وإِيَّاكَ» منصوبٌ على شَرِيطة التفسير.

الأساس: مِنَ المُستعار: عَضَّهُ الأَمْرُ: اشتدَّ عليه، وَعَضَّتُهُ الحربُ.

قوله: (فَإِيَّايَ فَاعْبُدُوا فَاعْبُدُون)، يُريدُ أَنَّ «إِيَّايَ» لا يجوزُ أَنْ يكونَ مَعْمولًا لهذا المَذكور؛ لِأَنَّهُ اشْتَغَلَ عنه بضميره، فَوَجِبَ تَقْدِيرُ مُفسِّرٍ، وهو قوله: «فَاعْبُدُوا» وهو العاملُ في «إِيَّايَ»، والفاءُ الأُولَى جوابُ شرطٍ مَحذوفٍ والثانية كذلك، لكن أُنِيبَ مَنَابَهُ تَقْدِيمُ المفعول، المعنى: يا عبادي إِنْ أَرْضِي وَاسِعَةً. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَخْلِصُوا لي العِبَادَةَ أَيَّنَا كُنْتُمْ، فَإِنْ لَمْ تَتَمَكَّنُوا مِنَ الإِخْلَاصِ في أرضٍ فَأَخْلِصُوهَا في أرضٍ تَتَمَكَّنُونَ مِنْهَا.

قال الزَّجَّاجُ: «إِيَّايَ» منصوبٌ بفعلٍ مضميرٍ يُفسِّرُهُ الظاهرُ؛ أَي: فَاعْبُدُوا إِيَّايَ فَاعْبُدُونِي، ولا يجوزُ انتصابه بالمذكور؛ لِأَنَّهُ مشغولٌ بالضمير. وَإِذَا قلت: «فَإِيَّايَ فَاعْبُدُوا» فـ«إِيَّايَ» منصوبٌ بها بعدَ الفاءِ، ولا تَنْصِبُهُ بفعلٍ مضميرٍ، كما إِذَا قلت: بزيدٍ فامرؤُ، فالباءُ متعلِّقةٌ بـ«امرؤُ»، وَإِذَا قلت: زيدًا فاضربُ، فالفاءُ لا يَصْلُحُ إِلا أَنْ تكونَ جوابًا للشرطِ، كَأَنَّ قائلًا قال: أَنَا لا أَضْرِبُ عَمْرًا، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ زَيْدًا. ثم قلت: زيدًا فاضربُ، فجعلتَ تَقْدِيمَ الاسمِ بَدَلًا من لفظك بالشرطِ، كَأَنَّكَ قلت: إِذَا كَانَ الأَمْرُ على ما قَصَدْتَ فاضربُ زيدًا. هذا مذهبُ جميعِ البصريينَ<sup>(١)</sup>.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٧٢).

أرضٍ فأخْلِصوها لي في غيرها، ثم حُذِفَ الشرطُ وِعُوِّضَ من حَذْفِهِ تقدِيمُ المفعولِ، مع إفاضةِ تقديمِهِ معنى الاختصاصِ والإخلاصِ.

[﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ٥٧]

لَمَّا أَمَرَ عِبَادَهُ بِالْحِرْصِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَصِدْقِ الْإِهْتِمَامِ بِهَا حَتَّى يَتَطَلَّبُوا لَهَا أَوْفَقَ الْبِلَادِ وَإِنْ شَسَعَتْ، أَتْبَعَهُ قَوْلُهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أَي: وَاجِدَةٌ مَرَارَتَهُ وَكَرْبَهُ كَمَا يَجِدُ الذَّائِقُ طَعْمَ الْمَدُوقِ.....

قوله: (ثم حُذِفَ الشرطُ وِعُوِّضَ مِنْ حَذْفِهِ تقدِيمُ المفعولِ، مع إفاضةِ تقديمِهِ معنى الاختصاصِ والإخلاصِ) يعني: لَمَّا حُذِفَ الشَّرْطُ لدلالةِ الفاعليَّةِ، وعند الحذفِ خَفِيَ أَمْرُ الْمُقَدَّرِ أَنَّهُ مِنْ أَيِّ جِنْسٍ هُوَ، فَعُوِّضَ مِنْ ذِكْرِهِ تقدِيمُ المفعولِ مع إفاضةِ تقديمِهِ معنى الاختصاصِ والإخلاصِ، يعني: لَمَّا حُذِفَ لدلالةِ الفاعليَّةِ وعند الحذفِ خَفِيَ أَمْرُ الْمُقَدَّرِ أَنَّهُ مِنْ أَيِّ جِنْسٍ هُوَ فَعُوِّضَ مِنْ ذِكْرِهِ تقدِيمُ المفعولِ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّهُ يُفِيدُ الْإِخْلَاصَ ضِمْنًا لدلالتهِ على الاختصاصِ، والاختصاصُ والإخلاصُ من وادٍ<sup>(٢)</sup> واحدٍ، وإِنَّمَا أَخْرَجْنَا الْمُفَسِّرَ عَلَى الْمَنْصُوبِ لِيُفِيدَ الْإِخْتِصَاصَ لِاقْتِضَاءِ الْمَقَامِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «لأنَّ أَمْرَ دِينِهِمْ مَا كَانَ يَسْتَتِبُّ لَهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْكُفْرَةَ».

قوله: (وَإِنْ شَسَعَتْ) أَي: بَعُدَتْ. الْأَسَاسُ: سَفَرٌ شَائِعٌ، وَقَدْ شَسِعَ شُسُوعًا.

قوله: (كَمَا يَجِدُ الذَّائِقُ طَعْمَ الْمَدُوقِ)، الرَّاغِبُ: الذُّوقُ: وَجُودُ الطَّعْمِ بِالْفَمِ، وَأَصْلُهُ فِيمَا يَقْبَلُ تَنَاوُلَهُ دُونَ مَا يَكْثُرُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ الْأَكْلُ، وَاخْتِيَرَ فِي الْقُرْآنِ لَفْظُ الذُّوقِ فِي الْعَذَابِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ - وَإِنْ كَانَ فِي التَّعَارُفِ لِلْقَلِيلِ - فَهُوَ مُسْتَصْلِحٌ لِلكَثِيرِ، فَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِيُعَمَّ الْأَمْرَيْنِ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْعَذَابِ نَحْوُ: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]؛ وَقَدْ جَاءَ فِي الرَّحْمَةِ؛ نَحْوُ: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هود: ٩]<sup>(٣)</sup>.

(١) من قوله: «مع إفاضة تقديمه» إلى هنا سقط من (ط).

(٢) في (ط): «من باب».

(٣) «مفردات القرآن» ص ٣٣٢.

ومعناه: إنكم مَيِّتُونَ فواصلُونَ إلى الجزاء، وَمَنْ كانت هذه عاقبته لم يكن له بُدٌّ من التزوُّدِ لها والاستعدادِ بجَهْدِهِ.

[ ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمِلِينَ \* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٥٨-٥٩]

﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾ لَنُنزِلَنَّهُمْ ﴿ مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ علائق. و﴿ قُرَىٰ ﴾ (لنثويتهم) من الثواء، وهو

قوله: (ومعناه: إنكم مَيِّتُونَ فواصلُونَ إلى الجزاء) فَإِنْ قلت: لِمَ خَالَفَ التلاوةَ حيث أتى بالفاء، وفيها «ثم»، وشتانَ ما بينهما؟

قلت: الفاء الكاشفةُ فصيحةٌ، وليست للتعقيبِ المذكور؛ لأنَّ بينَ الموتِ والمُتَوَلِّينَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ فِي دارِ الْجَزَاءِ تَرَاخِيًا؛ ولهذا جِيءَ فِي التَّنْزِيلِ بِ«ثُمَّ»، كَأَنَّهُ قِيلَ: ثُمَّ إِنَّكُمْ مَيِّتُونَ فَتَمُوتُونَ، ثُمَّ تُنْشَرُونَ فواصلُونَ عَقَبِيهِ إِلَى الْجَزَاءِ؛ كقوله تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨]. وفائدةُ العُدُولِ الإِشْعَارُ بأنَّ ما هو آتٍ آتٍ، كَأَنَّ مَنْ ماتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ، وَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ عَلَى نَحْوِ ما مرَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾.

وَيُمْكِنُ أَنْ تُحْمَلَ «ثُمَّ» عَلَى التَّرَاخِي فِي الرُّتْبَةِ، المعنى: يا عبادي الَّذِينَ آمَنُوا، إِنْ يَضْعُبُ عَلَيْكُمْ مُفَارَقَةُ الْأَوْطَانِ وَالهِجْرَةُ إِلَى دارِ الْعُرْبَةِ لِلتَّخْلِ لِعِبَادَتِي، فَاعْلَمُوا أَنَّ الْفُرْقَةَ الْعُظْمَى - وهي الموت - لا بُدَّ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ، ثُمَّ أَصْعَبُ مِنْهَا الْحِصُولُ فِي دارِ الْجَزَاءِ بَيْنَ يَدَيِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَوْمَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ، يَوْمَ ﴿ قَمَنَ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وَمَنْ كانت عاقبته هذه لم يكن له بُدٌّ من التزوُّدِ لها وأخذِ الْأَهْمِيَةِ لها بِمَجْهُودِهِ.

قوله: (لنثويتهم) حمزة والكسائي: بالثاء، مِنَ الثَّوَاءِ، وهي الإقامة؛ ساكنة من غير همز، والباقون: بالباء مفتوحة مع الهمز<sup>(١)</sup>.

(١) لتيام الفائدة انظر: «حجة القراءات» ص ٥٥٤.

النُّزُولُ لِلإِقَامَةِ. يُقَالُ: ثَوَى فِي الْمَنْزَلِ، وَاثْوَى هُوَ، وَاثْوَى غَيْرَهُ وَثَوَى: غَيْرُ مُتَعَدٍّ، فَإِذَا تَعَدَّى بِزِيَادَةِ هَمْزَةِ النَّقْلِ لَمْ يَتَجَاوَزْهُ مَفْعُولًا وَاحِدًا، نَحْوُ: ذَهَبَ، وَأَذْهَبْتُهُ. وَالرَّوْجَةُ فِي تَعْدِيَّتِهِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى الْعُرْفِ: إِمَّا إِجْرَاؤُهُ بِمَجْرَى لِنُزُولِهِمْ وَنُبُوَّتِهِمْ. أَوْ حَذْفُ الْجَارِ وَإِصَالُ الْفِعْلِ: أَوْ تَشْبِيهُ الظَّرْفِ الْمُؤَقَّتِ بِالْمَبْهَمِ. وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَابٍ: (فِنِعْمَ)، بِزِيَادَةِ الْفَاءِ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَى مُفَارَقَةِ الْأُوطَانِ وَالْهَجْرَةِ لِأَجْلِ الدِّينِ. وَعَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ، وَعَلَى الْمَحْنِ وَالْمَصَائِبِ، وَعَلَى الطَّاعَاتِ، وَعَنِ الْمَعَاصِي، وَلَمْ يَتَوَكَّلُوا فِي جَمِيعِ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٦٠]

لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَسْلَمَ بِمَكَّةَ بِالْهَجْرَةِ، خَافُوا الْفَقْرَ وَالضَّيْعَةَ. فَكَانَ يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: كَيْفَ أَقْدُمُ بِلَدَةٍ لَيْسَ لِي فِيهَا مَعِيشَةٌ، فَنَزَلَتْ. وَالذَّابَّةُ: كُلُّ نَفْسٍ دَبَّتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، عَقَلَتْ أَوْ لَمْ تَعْقِلْ. ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لَا تُطِيقُ أَنْ تَحْمِلَهُ

قَالَ مَكِّيٌّ: مَنْ قَرَأَ بِالْبَاءِ الْمَثَلَةَ مِنَ الثَّوَاءِ فـ ﴿عُرْفًا﴾ مَنْصُوبٌ بِحَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ. وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُنْصَبَ «الْعُرْفُ» عَلَى الظَّرْفِ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ لَا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، يَقُولُ: بَوَأْتُ زَيْدًا مَنْزِلًا. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، فَالْبَاءُ زَائِدَةٌ كَزِيَادَتِهَا فِي ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢] أَي: رَدِفَكُمْ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَوْ تَشْبِيهُ الظَّرْفِ الْمُؤَقَّتِ بِالْمَبْهَمِ) أَي: الْمَعْيَنِ الْمَحْدُودِ، وَهَذَا أَسْهَلُ فِي الْمُنْكَرِ مِنْهُ فِي الْمَعْرِفِ فِي قَوْلِ الْقَاتِلِ:

كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّلَبُ<sup>(٢)</sup>

لَمَّا فِيهَا مِنَ الْإِبْهَامِ، وَمِثْلُ ﴿عُرْفًا﴾ فِي مَجِيئِهِ ظَرْفًا مَنْكَرًا «أَرْضًا» فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: ٩]. فِي «الْمَطْلَعِ».

(١) «مُشْكَلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ٥٥٧).

(٢) هَذَا جُزْءٌ مِنْ عَجْزِ بَيْتٍ لِسَاعِدَةَ بْنِ جُوَيْتَةَ الْهَلْبَلِيِّ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ «الْكِتَابِ» لِسَبِيوهِ (١: ٣٦، ٢١٤).

لضعفها عن حملها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله،

قوله: (أي: لا يرزق تلك الدواب الضعاف<sup>(١)</sup> إلا الله) هذا الحصر مُستفادٌ من بناء ﴿يَرْزُقُهَا﴾ على الاسم الجامع، ومثل هذا التركيب يُفيدُ التخصيصَ عنده كما مرَّ في «سورة الرعد» عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ [الرعد: ٢٦].

وقوله: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ تسميم ومبالغة لمعنى الرازية في قوله: ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾، ومن ثمَّ قال: «ولا يرزقكم أيضًا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مُطيقين»، ويُمكن أن يُستنبطَ معنى التخصيص من مضمون الكلام، وذلك أنَّه تعالى ما حرَّض المؤمنين على المهاجرة بقوله: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَأَنَّ مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ إلا وأنهم اعتقدوا الضياع وخافوا الفقر، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وتأويل المصنَّف ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم: نخشى الفقر والضيعة، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما في ضمايركم، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾؛ أي: إن كان أمر دينكم لا يَسْتَبِيبُ بين الكفرة، فاعلموا أنَّ أرضي واسعة، فهاجروا إلى ما يَتِمَّكُنُ فيه لكم ذلك الأمر. وفي لفظ ﴿وَاسِعَةٌ﴾ إشعارٌ بالوعد من الضيق إلى السعة، وقد أنجز الله وَعَدَهُ في المدينة.

ولما أراد الوعد بالتوسعة في الآخرة والتسلية عن مفارقة الوطن قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وعقبة بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، وبنى عليه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ﴾.

ولما أتمَّ أمر التسلية في مفارقة الأوطان وأراد أن يُزيلَ عنهم خوف الفقر أتى بقوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ ليكون كالتخلص من حديث التوسعة في الأمية إلى حديث التوسعة في الرزق، وهو قوله: ﴿وَكَأَنَّ مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.

ومن ثمَّ فسَّر المصنَّف الصَّبْرَ بقوله: «صَبَرُوا على مفارقة الأوطان»، فيكون هذا الكلام نفيًا لِمَا أَضْمَرُوا في أنفسهم من استشعار الخوف على الفقر إذا فارقوا أوطانهم، وإثباتًا

(١) في (ف): «الصفات»، وهو خطأ.

ولا يرزُقكم أيضًا أيها الأقوياء إلا هو، وإن كنتم مُطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها، لأنه لو لم يُقدِّزكم ولم يُقدِّر لكم أسباب الكسب، لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمِل، وعن الحسن: ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تدخِرُه، إنما تُصَبِّحُ فيرزُقها الله. وعن ابن عيينة: ليس شيءٌ يُجَبُّ إلا الإنسان والنملة والفأرة. وعن بعضهم: رأيت البُلبُلَ يَحْتَكِرُ في حِضْنِهِ. ويقال: للعتقِ مخابئُ إلا أنه ينساها، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم: نخشى الفقر والضيعة، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما في ضمائرهم.

[ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ]

الضميرُ في ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ لِأَهْلِ مَكَّةَ، ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ فكيف يُصْرَفُونَ عن توحيد الله وأن لا يُشْرِكُوا به، مع إقرارهم بأنه خالق السماوات والأرض.

لإزاقية الله تعالى على التوكيد البليغ، فيحصل الحضر من معنى نفى معتقدتهم وإثبات ما يُخالفه.

قوله: (لو لم يُقدِّزكم ولم يُقدِّر لكم)، أقدَرُه: جعله قادرًا، وقدره له: هيأه له، وهذا المعنى إنما استُفيد من عطف «إياكم» على ضمير الدواب، وأنهم مشتركون معها في العجز.

قوله: (في حِضْنِهِ)، الأساس: الحِضْنُ: ما دون الإبطن إلى الكشح، حَضَنْتِ المرأة ولدها، والحمامة بيضها ومِحْضَنَةُ الحمامة، شبه قَصْعَتَيْنِ مُرَوَّحَتَيْنِ تُعْمَلُ مِنَ الطِّينِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (فكيف يُصْرَفُونَ عن توحيد الله)، الجوهرية: صرَفْتُ الرَّجُلَ عَنِّي فأنصَرَفَ، وصرَفَ اللهُ عنكَ الأذى.

و«أن لا يشركوا به» عطفٌ على سبيل التفسير على قوله: «توحيد الله»، و«مع إقرارهم» حالٌ من فاعل «يُصْرَفُونَ».

(١) عبارة الزمخشري في «أساس البلاغة» (حِضْنُ): والحمامة في محضتها، وهي شبه قَصْعَةٍ رَوْحَاءٍ تُعْمَلُ مِنَ الطِّينِ.

﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٦٢]

قَدَرَ الرِّزْقَ وَقَتَرَهُ بِمَعْنَى إِذَا ضَيَّقَهُ. فَإِنْ قُلْتَ: الَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ هُوَ: مَنْ يَشَاءُ، فَكَأَنَّ بَسَطَ الرِّزْقِ وَقَدَرَهُ جُعِلَا لَوَاحِدٍ؟ قُلْتَ: .....

وفيه إشارة إلى أن الفاء في ﴿ فَأَنَّ ﴾ جواب شرط محذوف مقدّر بعد جواب القسم السائد مسدّد جواب الشرط، وهو: ﴿ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾؛ أي: إذا كان جوابهم عن قوله: ﴿ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: ﴿ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّ يُؤَفِّكُونَ ﴾، والاستفهام ولّد التعجب، يعني: كيف يُمنعون عن التوحيد وهم مُقرّون بأنه خالق السماوات.

قوله: (قَدَرَ الرِّزْقَ وَقَتَرَهُ) هذه الآية - أعني قوله: ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ ﴾ - تكميلٌ لمعنى قوله: ﴿ اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾، لأنّ الأوّل الكلام في المرزوق وعمومه، وهذا في الرزق ويسطه وقتره.

وقوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ مُتَعَرِّضٌ لتوكيد معنى الآيتين، وتعرّض بأن الذين اعتمدتم عليهم في الرزق مقرّون بقدرتنا وقوتنا؛ كقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

قوله: (الذي رجع إليه الضمير) يعني: إن الضمير المجرور في قوله عائد إلى «مَنْ»، فيلزم منه أن يجعل القبض والبسط لواحد.

وأجاب أن الضمير غير عائد إلى «مَنْ»، بل وُضِعَ موضع «مَنْ يَشَاءُ»، بجامع كونها مبهمتين فيتعدد المرزوق، ويجوز أن يرجع إلى «مَنْ»، ويُرَادُ به شخص واحد، فيتعدد بحسب أحواله فيبسط له تارة ويُقدّر له أخرى.

وقلت: يمكن أن يرجع إلى «مَنْ»، ويراد به العموم بدليل بيانه بقوله: ﴿ مِنْ عِبَادِهِ ﴾، فيكون التعدد بحسب أشخاصه، فالمعنى: إن الله يبسط رزق بعض ويُقدّر رزق بعض، كما يقول: أكرمت بني تميم وأهنتهم، ويريد البعض بقريته المقام.

يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ جَمِيعًا: أَنْ يُرِيدَ وَيَقْدِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، فَوْضِعَ الضَّمِيرِ مَوْضِعَ «مَنْ يَشَاءُ»؛ لِأَنَّ «مَنْ يَشَاءُ» مُبْهَمٌ غَيْرُ مُعَيَّنٍ، وَكَانَ الضَّمِيرُ مُبْهَمًا مِثْلَهُ، وَأَنْ يَرِيدَ تَعَاقَبَ الْأَمْرَيْنِ عَلَى وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ الْمَصْلَحَةِ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يَعْلَمُ مَا يُصْلِحُ الْعِبَادَ وَمَا يُفْسِدُهُمْ.

[﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُوا اللَّهُ قَالَ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٦٣]

استحمد رسول الله ﷺ على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به؛ ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الأنداد والشركاء عنه، ولم يكن إقرارًا عاطلًا كإقرار المشركين؛ وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم؛ حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للصنم، ثم قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد. أو: لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله، ولا يفتنون لمحمدت الله عند مقالتهم؟

قوله: (يحتمل الوجهين<sup>(١)</sup> اللام للعهد؛ أي: الوجهين المذكورين في السؤال منطوقًا ومفهومًا؛ لأن قوله: «فكان بسط الرزق وقدره جعلًا لواحد»، والحال أنها للثنتين. قوله: (استحمد رسول الله ﷺ) أي: طلب منه أن يحمده.

الأساس: واستحمد الله على خلقه: بإحسانه إليهم وإنعامه عليهم.

قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يقولون) هذا مبني على الوجه الثاني، وهو أنهم أقروا بما هو حجة عليهم، وقوله: أو لا يعقلون ما تريد، مبني على الوجه الأول، وهو قوله: «إنه أقر بنحو ما أقروا به»، والأول أظهر لمقتضى بل من الترقى، كأنه قيل: احمد الله على ما أقروا بما هو حجة عليهم، وعلى تبيكتهم والزاهمهم، بل على جهلهم، وأن ما قالوه دل على سلب عقولهم.

(١) في (ف): «للوجهين»، وهو خطأ.



[﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ﴾ [٦٤]

﴿هَذِهِ﴾ فيها ازدياءٌ للدُّنيا وتصغيرٌ لأمرها، وكيف لا يُصغَرُها وهي لا تَزِنُ عنده جناح بعوضة، يريد: ما هي لسُرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصَّبِيانُ ساعةً ثم يتفرَّقون. ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهيَ الْحَيَوانُ﴾ أي: ليس فيها إلا حياةً مستمرَّةً دائمةً خالدةً لا موتَ فيها، فكأنها في ذاتها حياة. والحيوان: مصدرُ «حَيِيَ»، وقياسه: حَيَّان، فقلبت الياءَ الثانيةً واوًا، كما قالوا: حَيوةٌ، في اسمِ رجلٍ، وبه سُمِّيَ ما فيه حياة: حيوانًا. قالوا: اشتَرِ من المَوْتانِ ولا تشتَرِ من الحَيَوانِ. وفي

قوله: (وهي لا تَزِنُ عنده جناح بعوضة) مقتبس من قوله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء». أخرجه الترمذي عن سهل بن سعد<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقياسه: حَيَّان) قال أبو البقاء: فقلبت الياءَ واوًا؛ لثلاثا يلتبس بالثنية، ولم يقلب الفاء لتحريكها وانفتاح ما قبلها؛ لثلاثا يحذف أحد الألفين<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وبه سُمِّيَ ما فيه حياة: حيوانًا) قال صاحب «الكشف»: أما قولهم: الحيوان للنفس، فإنه في الأصل مصدر، وسمي به الشخص على تقدير أنه ذو الحياة<sup>(٣)</sup>.

قوله: (اشتَرِ من المَوْتانِ)، الجوهرية: الموتانِ بالتحريكِ خلافُ الحيوانِ؛ أي: اشتَرِ الأرضينَ والدورَ، ولا تشتَرِ الرقيقَ والدواب. والنَزوانِ من نزا نزوانًا، ونزا الذكر على الأنثى نزا بالكسر، يقال ذلك في الحافر والظلف والسباع. والنَفْضانِ: التحرك، نفَضَ رأسه ينفِضُ نفَضًا ونفوضًا. واللَّهَبانِ بالتحريك: إيقاد النار، وكذلك اللهبُ واللَّهبانِ بالضم.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) وابن ماجه (٤١١٠)، وقال الترمذي: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه.

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٣٥).

(٣) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ١٠٤٢).

بناءً الحَيَوَانِ زِيَادَةً مَعْنَى لَيْسَ فِي بِنَاءِ الْحَيَاةِ، وَهِيَ مَا فِي بِنَاءِ فَعْلَانٍ مِنْ مَعْنَى الْحَرَكَةِ وَالْاضْطِرَابِ، كَالنَّزْوَانِ وَالنَّفْضَانِ وَاللَّهْبَانِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَالْحَيَاةُ: حَرَكَةٌ، كَمَا أَنَّ الْمَوْتَ سُكُونٌ، فَمَجِيئُهُ عَلَى بِنَاءٍ دَالٌّ عَلَى مَعْنَى الْحَرَكَةِ، مُبَالِغَةٌ فِي مَعْنَى الْحَيَاةِ، وَلِذَلِكَ اخْتِيرَتْ عَلَى الْحَيَاةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُقْتَضِي لِلْمُبَالِغَةِ. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: فَلَمْ يُؤَيِّرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَيْهَا.

[﴿فَإِذَا رَكَّبُوا فِي الْفُلِّكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَهُمْ فَلَمَّا بَحَثْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ \* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٦٥-٦٦]

فَإِنْ قُلْتَ: بِمِ اتَّصَلَ قَوْلُهُ ﴿فَإِذَا رَكَّبُوا﴾؟ قُلْتَ: بِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ مَا وَصَفْنَاهُمْ بِهِ وَشَرَحَ مِنْ أَمْرِهِمْ، مَعْنَاهُ: هُمْ عَلَى مَا وَصَفُوا بِهِ مِنَ الشَّرْكِ وَالْعِنَادِ ﴿فَإِذَا رَكَّبُوا فِي الْفُلِّكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ كَاتِبِينَ فِي صُورَةٍ مِنْ يُخْلِصُ الدِّينَ لِلَّهِ

قوله: (ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع) أي: لما فيه من المبالغة اختيرت، وأن المقام يقتضي المبالغة؛ لأنه واقع في مقابل حياة الدنيا، فكما بولغ في قلة ثباتها وسرعة تقضيها حيث جعلت هَوًا ولعبًا تشبيهاً بلعب الصبيان، فإنهم يلعبون ساعة ثم يتفرقون؛ بولغ في دوامها وثباتها، كما قال: «ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة... فكأنها في ذاتها حياة».

قوله: (هم على ما وُصِفُوا بِهِ مِنَ الشَّرْكِ وَالْعِنَادِ ﴿فَإِذَا رَكَّبُوا﴾)، يريد: أن الفاء للتعقيب، وفي الكلام معنى الغاية، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ﴾ إلى قوله: ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، يعني: هم مصر وفون عن توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق مُقَرَّرُونَ بِهَا هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ حِينَ سَأَلُوا ﴿مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ لَاهُونَ بِالدُّنْيَا، مُشْتَغَلُونَ بِهَا هُوَ فِي وَشَكِّ الزَّوَالِ، ذَاهِلُونَ عَنِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ حَتَّىٰ إِذَا رَكَّبُوا فِي الْفُلِّ فَحَيْثُ يَرْجِعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ دَاعِينَ خَاضِعِينَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

يدل على هذا الترتيب قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا﴾، فإنه نُشِرَ لِمُضْمُونِ

من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلا الله، ولا يدعون معه إلهاً آخر. وفي تسميتهم  
مخلصين ضرب من التهكم، ﴿فَلَمَّا بَجَّسْتُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ وآمنوا عادوا إلى حال الشرك:  
واللأم في ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ محتملة أن تكون لام «كي»، وكذلك في ﴿وَلِيَتَمَنَّعُوا﴾ فيمن  
قرأها بالكسر. والمعنى: أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين  
بِنِعْمَةِ النَّجَاةِ، قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير، على خلاف ما هو عادة المؤمنين  
المخلصين على الحقيقة: إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم، ويجعلوا  
نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة، لا إلى التمتع والتلذذ، وأن تكون لام الأمر،  
وقراءة من قرأ: ﴿وَلِيَتَمَنَّعُوا﴾ بالسكون تشهد له. ونحوه قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ  
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]. فإن قلت: كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر  
وبأن يعمل العصاة ما شاءوا، وهو ناه عن ذلك وموعده عليه؟ قلت: هو مجاز عن  
الخذلان والتخلية، وأن ذلك الأمر مُتَسَخِّطٌ إلى غاية. ومثاله أن ترى الرجل قد عزم

الآيات السابقة من الشرك الذي بين عنه قوله: ﴿فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ ومن التمتع بالدنيا الموماً إليه  
بقوله: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾.

قوله: (من قرأ: ﴿وَلِيَتَمَنَّعُوا﴾ بالسكون) ابن كثير وقالون وحمزة والكسائي، والباقون:

بكسر اللام.

قال مكّي: من كسرهما جعلها لام «كي»، ويجوز أن يكون لام أمر، ومن أسكنها فهي  
لام أمر لا غير. ولا يجوز أن يكون مع الإسكان لام «كي»، لأن لام «كي» حذفت بعدها  
«أن»، فلا يجوز حذف حركتها أيضاً لضعف عوامل الأفعال.

قوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، فالأمر للتهديد.

قوله: (متسخط)، الأساس: سَخِطَ عَلَيْهِ سُخْطًا، وهو مسخوط عليه، وأسخطه:  
أعطاه قليلاً، فتسخطه: لم يرضه، والبرُّ مَرَضَاةٌ لِلرَّبِّ مَسْخُطَةٌ لِلشَّيْطَانِ، ولا يتعرض  
لسُخْطَةِ الْمَلِكِ.

على أمر، وعندك أن ذلك الأمر خطأ، وأنه يؤدي إلى صررٍ عظيم، فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه، فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم، حرّدت عليه وقلت: أنت وشأنك وافعل ما شئت، فلا تريد بهذا حقيقة الأمر. وكيف والأمر بالشيء مريد له، وأنت شديد الكراهة متحسر، ولكنك كأنك تقول له: فإذا قد آيت قبول النصيحة، فأنت أهل ليقال لك: افعل ما شئت وتبعث عليه، ليتبين لك إذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك.

[﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنَظَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ  
وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [٦٧]

كانت العرب حول مكة يغزوا بعضهم بعضا، ويتغاورون، ويتناهبون، وأهل مكة قارون آمنون فيها، لا يغزون ولا يُغارُ عليهم مع قلتهم وكثرة العرب، فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم، ووبّخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه، ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة، وغيرها من النعم التي لا يُقدّر عليها إلا الله وحده، مكفورة عندهم.

[﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [٦٨]

افتراؤهم على الله كذباً: زعمهم أن الله شريكاً. وتكذيبهم بما جاءهم من الحق: كُفْرهم بالرسول والكتاب. وفي قوله: ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ تسفيه لهم، يعني: .....

قوله: (والأمر بالشيء مريد له) يعني: أمر الكافر بالإيمان، فلا يكون مريداً للكفر منه. هذا مذهبه. وعند أهل السنة: يجوز أن يكون الأمر على خلاف المراد؛ لأن الله تعالى أمر فرعون بالإيمان ولم يرد منه إلا الكفر.

قوله: (وتبعث عليه)، الأساس: بعثه على الأمر، وتباعثوا عليه.

لَمْ يَتَلَعَّثُوا فِي تَكْذِيبِهِ وَقَتَ سَمِعُوهُ، وَلَمْ يَفْعَلُوا كَمَا يَفْعَلُ الْمَرَّاجِيحُ الْعُقُولِ الْمُثْبُوتُونَ فِي الْأُمُورِ: يَسْمَعُونَ الْخَبَرَ فَيَسْتَعْمِلُونَ فِيهِ الرَّوِيَّةَ وَالْفِكْرَ. وَيَسْتَأْنُونَ إِلَى أَنْ يَصِحَّ هُمْ صِدْقُهُ أَوْ كَذِبُهُ، ﴿أَلَيْسَ﴾ تَقْرِيرٌ لثَوَائِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، كَقَوْلِهِ:

### أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا

قال بعضهم: ولو كان استنهما ما أعطاه الخليفة مئة من الإبل. وحقيقته: أن الهمزة همزة الإنكار دخلت على النفي، فرجع إلى معنى التقرير، فهما وجهان، أحدهما:

قوله: (لم يتلعثموا)، الجوهرى: أبو زيد: تلعثم الرجل في الأمر: إذا مكث فيه وتأنى. وقال الخليل: نكل عنه وتبصر.

قوله: (المراجيح العقول)، ومن المجاز: رجل راجح العقل، وفلان في عقله رجاحة، وفي خلقه سجاحة.

قوله: (ويستأنون)، تأنى في الأمر واستأنى، يقال: تأن في أمرك: أتتد، واستأنيت فلاناً: لم أعجله، واستأنى: رفق. في «الأساس». هذا كله معنى ﴿لَمَّا﴾ في ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾.

قوله: (ألستم خير من ركب المطايا)، تمامه:

وأندى العالمين بطون راح<sup>(١)</sup>

يقال: نديت كفه بكذا؛ أي: جادت، يعني أكثرهم عطاء. قيل لما مدح الشاعر الخليفة بهذه القصيدة وبلغ البيت وكان متكئاً فاستوى جالساً فرحاً، وقال: مَنْ مَدَحْنَا فَلْيَمْدَحْنَا هَكَذَا، وَأَعْطَاهُ مِئَةَ مِنَ الْإِبِلِ.

قوله: (وفيها وجهان) ويروى<sup>(٢)</sup>: «فهما» بغير واو. قيل: ضمير التثنية مبهم فسّر بقوله: «وجهان»، كقوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، فقوله: «وَأَلَا

(١) لجرير في «ديوانه» ص ٩٣، من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان.

(٢) أي: في نسخ «الكشاف»، وهذه الرواية توافق ما بين أيدينا منه.

أَلَا يَتُوبُونَ فِي جَهَنَّمَ، وَأَلَا يَسْتَوْجِبُونَ الثَّوَاءَ فِيهَا، وَقَدْ افْتَرَوْا مِثْلَ هَذَا الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِالْحَقِّ هَذَا التَّكْذِيبَ. والثاني: أَلَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ، حَتَّى اجْتَرَوْا مِثْلَ هَذِهِ الْجُرْأَةِ؟

[ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٦٩ ]

أَطْلَقَ الْمُجَاهِدَةَ وَلَمْ يُعَيِّدْهَا بِمَفْعُولٍ؛ لِيَتَنَاوَلَ كُلُّ مَا يَجِبُ مُجَاهَدَتُهُ مِنَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَالشَّيْطَانِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ، ﴿فِينَا﴾ فِي حَقِّنَا وَمِنْ أَجْلِنَا وَلَوْ جَهَنَّا خَالِصًا،

يَسْتَوْجِبُونَ الثَّوَاءَ فِيهَا وَقَدْ افْتَرَوْا هَذَا مُسْتَفَادٍ مِنْ جَعْلِ التَّعْرِيفِ فِي «الْكَافِرِينَ» لِلْعَهْدِ، وَتَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْمُضْمَرِ إِشْعَارًا بِالْعِلِّيَّةِ.

قوله: (والثاني: أَلَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ) عَلَى أَنَّ التَّعْرِيفَ لِلْجَنَسِ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ إِدْخَالُهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ بِطَرِيقِ بَرَاهَانِي.

قوله: ﴿فِينَا﴾ فِي حَقِّنَا وَمِنْ أَجْلِنَا وَلَوْ جَهَنَّا أَكَّدَ تَفْسِيرَ «فِينَا» وَتَرَقَّى فِيهِ، وَذَلِكَ لِاسْتِعْمَالِ «فِي» وَإِدْخَالِهَا عَلَى صِبْغَةِ التَّعْظِيمِ، كَأَنَّهُ أُرِيدَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْمُجَاهِدَةِ مَكَائِهَا وَمُسْتَقَرُّهَا أَنَّ تَكُونَ فِي اللَّهِ وَفِي ذَاتِهِ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، وَهُوَ كِنَايَةٌ إِبْرَائِيَّةٌ.

قال حُجَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ الْمُقْتُولُ صَبْرًا:

فَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا      عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ اللَّهُ مَضْرَعِي  
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ      يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمَزَّعٍ

الْمُمَزَّعُ: الْمَفْرَقُ، وَالْمُقَسَّمُ وَالشَّلْوُ: الْعَضْوُ، وَحَدِيثُهُ بِطَوْلِهِ مَذْكُورٌ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» وَ«سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»<sup>(١)</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. أَلَا تَرَى كَيْفَ أَظْهَرَ الْإِخْلَاصَ حَتَّى عَلَّقَ الْبَرَكَةَ بِالْمَشِيئَةِ. وَقَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمُجَاهِدَةُ صِدْقُ الْإِفْتِقَارِ، وَهُوَ انْفِصَالُ الْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ وَاتِّصَالُهُ بِرَبِّهِ. وَقَالَ: مَنْ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَصَلَّ إِلَى كِرَامَةِ رَبِّهِ، وَمَنْ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ لِرَبِّهِ وَصَلَّ إِلَى رَبِّهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (٣٠٤٥)، و«سنن أبي داود» (٢٦٦٢)، ورواية أبي داود دون ذكر الشعر.

(٢) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٢: ١٢٢).

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لَنَزِيدَنَّهُمْ هِدَايَةَ إِلَى سُبُلِ الْخَيْرِ وَتَوْفِيقًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيمَا عَلِمُوا لَنَهْدِيَنَّهُمْ إِلَى مَا لَمْ يَعْلَمُوا. وَعَنْ بَعْضِهِمْ: مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ وَفَقَّ لِمَا لَا يَعْلَمُ. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي تَرَى مِنْ جَهْلِنَا بِمَا لَا نَعْلَمُ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَقْصِيرِنَا فِيهَا نَعْلَمُ ﴿لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لَنَاصِرُهُمْ وَمُعِينُهُمْ.

وعن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْعَنْكَبُوتِ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ يَبْعَدُ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ».

قوله: (مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ وَفَقَّ لِمَا لَا يَعْلَمُ) مثله قولهم: العلم علمان: علم وراثية وعلم دراسة، العارفون صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة، وصفت معاملتهم فمُنحوا علم الوراثة.

قوله: ﴿لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لَنَاصِرُهُمْ وَمُعِينُهُمْ، أفادت النصرة المعية فطابق ﴿لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾. قوله: ﴿جَاهَدُوا﴾ لفظاً ومعنى، أما اللفظ فمن حيث الإطلاق، وأما المعنى فالمجاهد للأعداء يفتقر إلى معين وناصر، ثم إن جملة قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ تذييل للآية مؤكداً بكلمتي التوكيد، محكي باسم الذات؛ ليؤذن بأن من جاهد بكليته وشراشره في ذاته تجلّى له الربُّ عن اسمه باسمه الجامع في صفة النصرة والإعانة تجلياً تاماً.

هذه خاتمة شريفة للسورة؛ لأنها مجاوية لمفتتحها ناظرة إلى فريدة قلاذتها ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ لائحة إلى واسطة عقدها ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾، وهي في نفسها جامعة فاذا، ولهذا قال: ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين.

تمت السورة، حامداً لله ومُصَلِّياً ومُسَلِّماً

## سورة الروم مَكِّيَّةٌ، وآياتها ستون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[﴿الْمَ \* غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي  
يَضَعُ سِينَتَهُ لِيَهِيَ الْآمُرُ مِنْ قَبْلِ وَ مِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْسَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* يَنْصُرِ اللَّهُ  
يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١-٥﴾]

القراءة المشهورة الكثيرة: ﴿غَلَبَتِ الْعَيْنُ، وَ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ بفتح الياء.  
والأرض: أرض العرب، لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم. والمعنى: غلبوا  
في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام. أو: أراد أرضهم، على إنابة اللام مناب  
المضاف إليه، أي: في أدنى أرضهم إلى عدوهم. قال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي

## سورة الروم مَكِّيَّةٌ، وآياتها ستون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (في أدنى أرض العرب منهم) «منهم» متعلق بـ«أدنى»، والضمير للروم.  
قوله: (على إنابة اللام مناب المضاف إليه) فعلى هذا: الأرض أرض الروم، وإنما نسب  
الأدنى إلى عدوهم في هذا الوجه؛ لأن «أدنى» من الأمور النسبية، فإذا لم يُرد بها أرض  
العرب لا بد من أرض أخرى، وليست إلا أرض عدوهم، وهم فارس، والقرينة ﴿غَلَبَتِ﴾.



أدنى أرضِ الرُّومِ إلى فارس. وعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الأردنُّ وفلسطين. وقُرئ: (في أداني الأرض)، والبِضْعُ ما بينَ الثَّلاثِ إلى العَشر. عن الأصمعي. وقيل: احتَرَبَتِ الرُّومُ وفارسُ بينَ أذْرَعَاتِ وبُصرى، فغَلَبَتِ فارسُ الرُّومَ، فبلغَ الخبرُ مَكَّةَ فشقَّ على النَّبيِّ ﷺ والمُسلمين؛ لأنَّ فارسَ مجوسٌ لا كتابَ لهم، والرُّومُ أهلُ كتاب، وفَرِحَ المُشْرِكُونَ وشَمِتُوا وقالوا: أنتم والنَّصارى أهلُ الكتاب، ونحنُ وفارسُ أمِّيون، وقد ظَهَرَ إخواننا على إخوانكم، ولنظَهَرَنا نحنُ عَلَيْكُمْ، فنزلت. فقال لهم أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنه: لا يُقَرِّرِ اللهُ أعيُنكم، فوالله لَتَظَهَرَنا الرُّومُ على فارسَ بعدَ بَضْعِ سِنين، فقال له أُبيُّ بنُ خَلْفٍ: كذبتَ يا أبا فَصِيل، اجعلُ بيننا أَجلاً أنا جُئكَ عليه. والمُنَاحِبَةُ: المُرَاهِنَةُ، فناحِبَهُ على عَشرِ قلائصَ من كُلِّ واحدٍ مِنْهُما، وجَعَلَ الأَجَلَ ثلاثَ سِنين، فأخْبَرَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنه رسولَ اللهِ ﷺ فقال: البِضْعُ ما بينَ الثَّلاثِ إلى التَّسعِ، فزايَدَهُ في الحَظَرِ ومادَّةٌ في الأَجَلَ. فجعلَها مئةَ قَلُوصٍ إلى تِسْعِ سِنين. وماتَ أُبيُّ من جُرحِ رسولِ اللهِ، وظَهَرَتِ الرُّومُ على فارسَ يومَ الحُدَيْبِيَّةِ، وذلكَ عندَ رأسِ سَبْعِ سِنين. وقيل: كان النَّصْرُ يومَ بَدْرٍ لِلْفَرِيقَيْنِ، فأخَذَ أبو بكرٍ الحَظَرَ من ذُرِّيَةِ أُبيِّ، وجاءَ بِهِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: تصدَّقْ بِهِ. وهذه الآيةُ من الآياتِ البَيِّنَةِ الشَّاهِدَةِ

قوله: (يا أبا فَصِيل) بالفاءِ والصادِ المُهْمَلَةِ، أكثرُ ما يُطلقُ «فَصِيل» في الإبلِ «فَعِيل» بمعنى مفعول، وهو ولدُ الناقَةِ إذا فَصِلَ عن أمِّه، ولم تسمع هذه الكنية فيهِ رضيَ اللهُ عنه لا في جاهلية ولا في إسلام. ولعل هذا القائل ذهب إلى أنَّ «أبا بَكْرٍ» بالفتح في «أبي بَكْرٍ» هو الفَتِيُّ من الإبلِ، بمنزلةِ الغلامِ من الإنسان، فوَضِعَ موضِعَهُ الفَصِيلِ تَمْلِيحًا، والله أعلم.

قوله: (ومادَّةٌ في الأَجَلَ)، النهاية: المَدَّةُ: طائفةٌ مِنَ الزَّمانِ تَقَعُ على القليلِ والكثيرِ، ومادَّةٌ فيها، أي: أطالها، وهي فاعلٌ من المَدَّ، ومنه الحديث: «إن شَاؤوا مادَدناهم»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢٧٣٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩: ٢١٨) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢):

(١٣) وابن حبان (٤٨٧٢) من حديثِ المسور بن مَحْرَمَةَ رضيَ اللهُ عنه، وانظر تمامَ تحريجه في «مسند

أحمد» (١٨٩٢٨).

على صحّة النبوة، وأنّ القرآن من عند الله؛ لأنّها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. وقُرئ: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بسكون اللّام. والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب، والجلب والجلب. وقُرئ: ﴿عَلَبَتِ الرُّومَ﴾ بالفتح، وسيُغلبون، بالضمّ. ومعناه أنّ الرُّومَ غلبوا على ريف الشّام وسيغلبهم المسلمون في بضعة سنين. وعند انقضاء هذه المدّة أخذ المسلمون في جهاد الرُّوم، وإضافة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ تختلف باختلاف القراءتين، فهي في إحداهما إضافة المصدر إلى المفعول. وفي الثانية إضافته إلى الفاعل. ومثالها: ﴿مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِحْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧]. فإن

قوله: (وقرئ: «عَلَبَتِ الرُّومُ» بالفتح)<sup>(١)</sup>، روى الترمذي، عن أبي سعيد: لما كان يوم بدرٍ ظهرت الرُّوم على فارس، فأعجب ذلك [المؤمنين] فنزل: ﴿الْعَرَّةُ عَلَيْتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ \* بِنَصْرِ اللَّهِ \* قال: ففرح المؤمنون بظهور الرُّوم على فارس<sup>(٢)</sup>.

قال الترمذي: وهكذا قرأ نصر بن عليّ: «عَلَبَتِ». قال الزجاج: قرأ أبو عمرو وحده: «عَلَبَتِ الرُّومُ» بفتح الغين<sup>(٣)</sup>، والمعنى على ﴿عَلَبَتِ﴾، وهي إجماع القراء، وذلك أن فارس كانت قد غلبت الرُّوم في ذلك الوقت، فالرُّوم مغلوبة، فالقراءة ﴿عَلَبَتِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقلت: الترمذي من الثقات، والتوفيق بين الروايتين أن يقال: إنها نزلت مرتين، مرة في مكة؛ ﴿عَلَبَتِ﴾ بالضم، وأخرى يوم بدرٍ؛ بالفتح<sup>(٥)</sup>.

وتأويل الفتح ما ذكره المصنّف أن الرُّوم غلبوا على ريف الشّام، وسيغلبهم المؤمنون في بضعة سنين. والرّيف: أرض فيها زرعٌ وخضب.

(١) وهي قراءة عليّ وابن عمر وأبي سعيد الخدري وغيرهما. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٤: ١٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٣٥) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٨٩) وغيرهما.

(٣) من قوله: «قال الزجاج: قرأ أبو عمرو» إلى هنا، سقط من (ح).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٧٥).

(٥) انظر سبب نزول الآية في «سنن الترمذي» (٣١٩٣) و«أسباب النزول» للواحدي ص ٢٣٢.

قُلت: كَيْفَ صَحَّتِ الْمُنَاحِبَةُ وَإِنَّمَا هِيَ قِمَارٌ؟ قُلت: عن قَتَادَةَ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْقِمَارِ. وَمِنْ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمُحَمَّدٍ: أَنَّ الْعُقُودَ الْفَاسِدَةَ مِنْ عُقُودِ الرَّبَا وَغَيْرِهَا جَائِزَةٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ. وَقَدْ احْتَجَّ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ بِمَا عَقَدَهُ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ.

﴿مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أَي: فِي أَوَّلِ الْوَقْتَيْنِ وَفِي آخِرِهِمَا حِينَ غَلَبُوا وَحِينَ يَغْلِبُونَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مِنْ قَبْلِ كَوْزِمِ غَالِبِينَ، وَهُوَ وَقْتُ كَوْزِمِ مَغْلُوبِينَ. وَمِنْ بَعْدِ كَوْزِمِ مَغْلُوبِينَ، وَهُوَ وَقْتُ كَوْزِمِ غَالِبِينَ، يَعْنِي: أَنَّ كَوْزِمَ مَغْلُوبِينَ أَوَّلًا وَغَالِبِينَ آخِرًا لَيْسَ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وَقُرِئَ: (مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ) عَلَى الْجُرِّ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرِ مُضَافٍ إِلَيْهِ وَاقْتِطَاعِهِ. كَأَنَّهُ قِيلَ:

قوله: (مِنْ قَبْلِ كَوْزِمِ غَالِبِينَ)، وَهُوَ وَقْتُ كَوْزِمِ مَغْلُوبِينَ وَمِنْ بَعْدِ كَوْزِمِ مَغْلُوبِينَ، وَهُوَ وَقْتُ كَوْزِمِ غَالِبِينَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ كَلًّا مِنَ الْوَقْتَيْنِ، أَعْنِي: وَقْتُ كَوْزِمِ مَغْلُوبِينَ وَوَقْتُ كَوْزِمِ غَالِبِينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرِ لَهُ اعْتِبَارُ الْقَبْلِيَّةِ وَالْبَعْدِيَّةِ، فَإِنَّ الرُّومَ كَانُوا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مَغْلُوبِينَ، وَفِي ثَانِي الْحَالِ صَارُوا غَالِبِينَ، فَكَوْنُهُمْ مَغْلُوبِينَ قَبْلَ كَوْزِمِ غَالِبِينَ، وَكَوْنُهُمْ غَالِبِينَ بَعْدَ كَوْزِمِ مَغْلُوبِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ «قَبْلُ» وَ«بَعْدُ» مِنَ الْغَايَاتِ، فَلَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيرِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ.

قوله: (وَقُرِئَ: «مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ» عَلَى الْجُرِّ)<sup>(١)</sup>، قَالَ الرَّجَّاجُ: «إِنَّهُمْ<sup>(٢)</sup> يُجَيِّزُونَ بِالتَّنْوِينِ، وَبَعْضُهُمْ بغيرِ التَّنْوِينِ، وَهَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّ «قَبْلُ» وَ«بَعْدُ» أَصْلُهُمَا هَاهُنَا الْخَفْضُ، وَلَكِنْ بُيِّنَّا عَلَى الضَّمِّ؛ لِأَنَّهَا غَايَتَانِ، وَمَعْنَى الْغَايَةِ أَنَّ الْكَلِمَةَ حُذِفَتْ مِنْهَا الْإِضَافَةُ وَجُعِلَتْ غَايَةُ الْكَلِمَةِ مَا بَقِيَ بَعْدَ الْحَذْفِ، وَإِنَّمَا بُيِّنَّا عَلَى الضَّمِّ؛ لِأَنَّ إِعْرَابَهُمَا فِي الْإِضَافَةِ النَّصْبُ وَالْخَفْضُ وَلَا يُرْفَعَانِ<sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّهَا لَا يَحْدُثُ عَنْهُمَا، اسْتِعْمَالًا ظَرْفَيْنِ، فَلَمَّا عَدِلَا عَنْ بَابِهَا حُرِّكََا

(١) لَتَمَامِ الْفَائِدَةِ انظُر: «الدَّرَ الْمَصُون» لِلْسَّمِينِ الْحَلْبِيِّ (٩: ٣١) حَيْثُ حَكَمَ عَنِ الْفَزَاءِ كَسْرُهُمَا مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ، وَغَلَطَهُ النَّحَّاسُ وَقَالَ: إِنَّمَا يَجُوزُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ، يَعْنِي مَكْسُورًا مَنْوَنًا.

(٢) يَعْنِي النَّحْوِيِّينَ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الرَّجَّاجُ.

(٣) فِي (ط): «وَلَا يَرْفَعَانِ».

قَبْلًا وَبَعْدًا، بِمَعْنَى: أَوَّلًا وَآخِرًا، ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ وَيَوْمَ تَغْلِبُ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، وَيَحِلُّ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَلَبَتِهِمْ ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وَتَغْلِيهِ مَنْ لَهُ كِتَابٌ عَلَى مَنْ لَا كِتَابَ لَهُ. وَغَيْظٌ مَنْ شِمَتَ بِهِمْ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ. وَقِيلَ: نَصَرَ اللَّهُ: هُوَ إِظْهَارُ صِدْقِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَلَبَةِ الرُّومِ، وَقِيلَ: نَصَرَ اللَّهُ أَنَّهُ وَلَّى بَعْضَ

بغير الحركتين اللَّتَيْنِ كَانَتَا لَهُ يَدْخُلَانِ بِحَقِّ الإِعْرَابِ، وَأَمَّا وَجُوبُ بِنَائِهَا وَذَهَابُ إِعْرَابِهَا فَلَأَنَّهَا عُرْفًا مِنْ غَيْرِ جِهَةِ التَّعْرِيفِ؛ لِأَنَّهُ حُذِفَ مِنْهَا مَا أُضِفْنَا إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الْخَفْضُ وَالتَّنْوِينُ فَعَلِيَ جَعَلَهَا نَكْرَتَيْنِ، الْمَعْنَى: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ تَقَدُّمٍ وَمِنْ تَأْخِيرٍ. وَأَمَّا الْكَسْرُ بِلا تَنْوِينٍ، فَذَكَرَ الْفَرَّاءُ أَنَّهُ تَرَكَ عَلَى مَا كَانَ عِنْدَ الْإِضَافَةِ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ:

بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ وَجِبْهَةِ الْأَسَدِ<sup>(١)</sup>

وَلَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ مِمَّا يُعْرَجُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ فِي الْبَيْتِ يَدُلُّ عَلَى الْآخِرِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ مَكِّيُّ: «قَبْلُ» وَ«بَعْدُ» بُنِيَا؛ لِأَنَّهَا تَعْرَفَا بِغَيْرِ مَا تَعْرَفُ بِهِ الْأَسْمَاءُ؛ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ تَعْرَفُ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ، وَبِالْإِضْهَارِ وَنَحْوِهَا، وَلَيْسَ فِي «قَبْلُ» وَ«بَعْدُ» شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا تَعْرَفَا بِخِلَافِ مَا تَعْرَفُ بِهِ الْأَسْمَاءُ - وَهُوَ حَذْفُ مَا أُضِفَ إِلَيْهَا - خَالَفاً الْأَسْمَاءَ وَشَابَهَا الْحُرُوفَ، فَبُنِيْنَا كَمَا تُبْنَى الْحُرُوفُ، وَإِنَّمَا بُنِيْنَا عَلَى الضَّمِّ لِشَبَاهَتِهَا الْمُنَادَى الْمَفْرَدِ، إِذِ الْمُنَادَى يُعْرَبُ إِذَا أُضِيفَ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا بُنِيْنَا؛ لِأَنَّهَا تَعَلَّقَا بِمَا بَعْدَهُمَا فَأَشْبَهَا الْحُرُوفَ إِذِ الْحُرُوفُ مُتَعَلِّقَةٌ بِغَيْرِهَا<sup>(٤)</sup>.

(١) للفرزدق، وصدّره:

يَا مَنْ رَأَى عَارِضًا أَرِقْتُ لَهُ

وَلَمْ أَجِدْهُ فِي «دِيوانه»، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ «الكتاب» لسيبويه (٢: ٢٧٧).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٧٥-١٧٧).

(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٥٨).

(٤) فِي (ط): «فَأَشْبَهَا الْحَرْفَ لِتَعَلُّقِهَا بِغَيْرِهَا».

الظالمين بعضًا وفرَّق بين كليهم، حتى تفانوا وتناقصوا، وفلَّ هؤلاء شوكة هؤلاء؛ وفي ذلك قوة للإسلام. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: وافق ذلك يوم بدر، وفي هذا اليوم نصر المؤمنون، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى.

[﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ \* يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ٦-٧]

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدرٌ مؤكَّد، كقولك: لك علي ألف درهم عرفًا: لأن معناه: اعترف لك بها اعترافًا، ووعَدَ الله ذلك وعدًا؛ لأن ما سبقه في معنى (وَعَدَ). ذمَّهم الله عزَّ وجلَّ باتهم عقلاء في أمور الدنيا، بله في أمر الدين، وذلك أنهم كانوا أصحاب تجاراتٍ ومكاسب. وعن الحسن: بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه، فيعلم أرديء هو أم جيّد. وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدلَهُ منه، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسدُّ مسدّه، ليُعلمك أنه

قوله: (وفي هذا الإبدال<sup>(١)</sup> من النكتة) إلى آخره، إرشادٌ إلى طريق استنباط المعاني الفائقة من العُدول عن مقتضى الظاهر<sup>(٢)</sup> واجتناء ثمرات المزاي من فنون<sup>(٣)</sup> الكينيات، وذلك أن الأصل: ولكن أكثر الناس يعلمون ظاهر ما يتعيَّشون به في الدنيا من التِّجارات والمكاسب، ولا يعلمون باطنها من تجارات الآخرة والفوز بالفلاح، فوضع ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ - هو مطلق، فيفيد سلب العلم رأسًا - موضع ﴿يَعْلَمُونَ﴾، ونكَّر ﴿ظَهْرًا﴾ ووضع موضع ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بإظهار<sup>(٤)</sup> قوله: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾؛ ليفيد تلك الفوائد.

وقلت: الأولى أن يقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن «وَعَدَ الله حقًا»، وأن «الله

(١) في (ف): «الإيدان»، وليس بصواب.

(٢) سقط لفظ «الظاهر» من (ح).

(٣) في (ط): «أفانين».

(٤) في (ف): «باطنها»، وهو خطأ.

لا فرق بين عَدَمِ الْعِلْمِ الذي هُوَ الْجَهْلُ، وبين وُجُودِ الْعِلْمِ الذي لا يَتَجَاوَزُ الدُّنْيَا. وقوله: ﴿ظَهَرَ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يُفِيدُ أَنَّ لِلدُّنْيَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَظَاهِرُهَا مَا يَعْرِفُهُ الْجُهَالُ مِنَ التَّمَتُّعِ بِزُخْرَافِهَا وَالتَّنَعُّمِ بِمَلَازِمِهَا. وَبَاطِنُهَا وَحَقِيقَتُهَا أَتَمَّا مَجَازُهَا إِلَى الْآخِرَةِ: يُتَزَوَّدُ مِنْهَا إِلَيْهَا بِالطَّاعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَفِي تَنْكِيرِ الظَّاهِرِ: أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا ظَاهِرًا وَاحِدًا مِنْ جُمْلَةِ ظَوَاهِرِهَا. وَ﴿هُرَّ﴾ الثَّانِيَةُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً. وَ﴿غَفِلُونَ﴾ خَبْرُهُ، وَالجُمْلَةُ خَبْرٌ ﴿هُرَّ﴾ الْأُولَى، وَأَنْ يَكُونَ تَكَرِيرًا لِلأُولَى، وَ﴿غَفِلُونَ﴾ خَبْرُ الْأُولَى. وَآيَةٌ كَانَتْ فِذِكْرُهَا مُنَادٍ عَلَى أَنَّهُمْ مَعِدُنُ الْغَفْلَةِ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَقْرُّهَا وَمَعْلَمُهَا، وَأَنَّهَا مِنْهُمْ تَنْبُغُ وَإِلَيْهِمْ تَرْجِعُ.

الْأَمْرَ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وَأَنَّهُ يَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَيَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَعُهُ؛ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا قَالُوا: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، وَهَمَّ عَنْ أَسْرَارِ اللَّهِ - مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى (١) مَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِلَّهِ وَاللَّعِبِ، بَلْ خَلَقَهُمْ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ وَيَتَزَوَّدُوا لِدَارِ الْقَرَارِ - غَافِلُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]. وَمِنْ نَمِّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨] وَخَتَمَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِإِقْبَائِهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ وَالنَّاسُ النَّاسُ، فَعَلَى هَذَا ﴿يَعْلَمُونَ﴾ الْجُمْلَةُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ لِيَبَانَ مُوجِبُ جَهْلِهِمْ بِوَعْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله: (وَمَعْلَمُهَا)، الأساس: يقول: هو مَعْلَمُ الْخَيْرِ، وَمِنْ مَعَالِمِهِ؛ أَي: مِنْ مَظَانِّهِ، وَخَفِيَّتِ مَعَالِمِ الطَّرِيقِ؛ أَي: آثَارِهَا.

قوله: (وَأَنَّهَا مِنْهُمْ تَنْبُغُ وَإِلَيْهِمْ تَرْجِعُ)، أَي: مَصْدَرُهَا عَنْهُمْ وَمَوْرِدُهَا (٢) إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ «هَمَّ» الْأَوَّلَ دَلَّ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ؛ أَي: هُمُ الْغَافِلُونَ لَا غَيْرَهُمْ، وَالثَّانِي عَلَى التَّأَكِيدِ؛ أَي:

(١) قوله: «مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى» سَقَطَ مِنْ (ح).

(٢) فِي (ح) وَ(ف): «وَمَرْجِعُهَا».

[﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾ ٨]

﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَوْلَمْ يُحَدِّثُوا التَّفَكُّرَ فِي أَنفُسِهِمْ، أَي: فِي قُلُوبِهِمُ الْفَارِغَةَ مِنَ الْفِكْرِ، وَالتَّفَكُّرُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْقُلُوبِ، وَلَكِنَّهُ زِيَادَةٌ تَصْوِيرٌ لِحَالِ الْمُتَفَكِّرِينَ، كَقَوْلِكَ: اعْتَقِدُهُ فِي قَلْبِكَ وَأَضْمِرُهُ فِي نَفْسِكَ، وَأَنْ يَكُونَ صِلَةً لِلتَّفَكُّرِ، كَقَوْلِكَ: تَفَكَّرَ فِي الْأَمْرِ وَأَجَالَ فِيهِ فِكْرَهُ. و﴿مَا خَلَقَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِالْقَوْلِ الْمَحْدُوفِ، مَعْنَاهُ: أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فَيَقُولُوا هَذَا الْقَوْلَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فَيَعْلَمُوا، لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَيْهِ، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَي: مَا خَلَقَهَا بَاطِلًا وَعَبَثًا بِغَيْرِ غَرَضٍ صَحِيحٍ وَحِكْمَةٍ بِالِغَةِ، وَلَا لِيَتَّبِقِيَ خَالِدَةً: وَإِنَّمَا خَلَقَهَا مَقْرُونَةً بِالْحَقِّ مَصْحُوبَةً

هَمُ الَّذِينَ اسْتَقَرَّتْ وَثَبَتْ فِيهِمُ الْعَقْلَةُ بِالتَّحْقِيقِ، فَبِالاعتبارِ الْأَوَّلِ يُعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ لِلْغَفْلَةِ مَحَلٌّ سِوَاهُمْ، وَأَنَّهَا إِلَيْهِمْ تَرْجِعُ، وَبِالثَّانِي تَحَقَّقَ أَنَّهُمْ مَعْدِنُ الْعَقْلَةِ وَمَعْلَمُهَا وَمَقْرَهَا، وَمِنْهُمْ تَنْبِعُ قَوْلُهُ: (وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فَيَعْلَمُوا، لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَيْهِ)، أَي: عَلَى تَقْدِيرِ (فَيَعْلَمُوا)؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ نَتِيجَةُ الْفِكْرِ.

قَوْلُهُ: (بِغَيْرِ غَرَضٍ صَحِيحٍ)، مَذْهَبُهُ، جَعَلَ الْحَقَّ فِي مِقَابِلِ الْبَاطِلِ، وَفَسَّرَهُ بِالْعَبَثِ، وَالْعَبَثُ: أَنْ لَا يَكُونَ فِي الْخَلْقِ فَائِدَةٌ، وَلَمَّا عُلِمَ أَنَّ الْفَائِدَةَ غَيْرُ رَاجِعَةٍ إِلَى اللَّهِ بَلْ إِلَى الْمَكْلُوفِينَ، يَجِبُ أَنْ يُقَالَ: مَا خَلَقَهَا إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ مَسَاكِنَ الْمَكْلُوفِينَ وَمَسَارِحَ نَظَرِ الْمُتَفَكِّرِينَ؛ لِيَعْرِفُوهُ فَيَعْبُدُوهُ. فَلَا يُقَالَ: لَغَرَضٍ صَحِيحٍ؛ لِثَلَاثِ يَوْهَمِ النُّقْصَانِ.

قَوْلُهُ: (وَلَا لِيَتَّبِقِيَ خَالِدَةً وَإِنَّمَا خَلَقَهَا مَقْرُونَةً بِالْحَقِّ) إِلَى آخِرِهِ، مُشْعَرٌ بِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ عَطْفٌ تَفْسِيرِيٌّ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿بِالْحَقِّ﴾، وَلِذَلِكَ اسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا فِي حَقِّ مُنْكَرِي الْبَعْثِ، بِدَلِيلِ تَعْقِيبِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾ تَقْرِيبًا وَتَوْبِيخًا<sup>(١)</sup>.

(١) قَوْلُهُ: «تَقْرِيبًا وَتَوْبِيخًا» سَقَطَ مِنْ (ح) وَ(ط).

بالْحِكْمَةِ، وَبِتَقْدِيرِ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَا بُدَّ لَهَا مِنْ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ، وَهُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ، وَوَقْتُ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] كَيْفَ سَمَى تَرْكُهُمْ غَيْرَ رَاجِعِينَ إِلَيْهِ عَبَثًا. وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِبَيْتِ السَّفَرِ، وَاشْتَرَى الْفَرَسَ بِسَرْجِهِ وَلِحَامِهِ، تُرِيدُ: اشْتَرَاهُ وَهُوَ مُلْتَبِسٌ بِالسَّرْجِ وَاللِّجَامِ، غَيْرُ مُنْفَكٍّ عَنْهَا. وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى مَا خَلَقَهَا إِلَّا وَهِيَ مُلْتَبِسَةٌ بِالْحَقِّ مُقْتَرِنَةٌ بِهِ، فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا جَعَلْتَ ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ صِلَةً لِلتَّفَكُّرِ، فَمَا مَعْنَاهُ؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ: أَوْلَسُمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُمْ أَعْلَمُ وَأَخْبَرُ بِأَحْوَالِهَا مِنْهُمْ بِأَحْوَالِ مَا عَدَاهَا، فَيَتَدَبَّرُوا مَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ غَرَائِبِ الْحِكْمِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّدْبِيرِ دُونَ الْإِهْمَالِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ انْتِهَاءٍ إِلَى وَقْتٍ يُجَازِيهَا فِيهِ الْحَكِيمُ الَّذِي دَبَّرَ أَمْرَهَا عَلَى الْإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَعَلَى الْإِسَاءَةِ مِثْلَهَا، حَتَّى يَعْلَمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ سَائِرَ الْخَلَائِقِ كَذَلِكَ؛ أَمْرُهَا جَارٍ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالتَّدْبِيرِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ الْانْتِهَاءِ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَالْمُرَادُ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ: الْأَجَلَ الْمُسَمًّى.

[﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَحَمَتُهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٩]

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ تَقْرِيرٌ لَسَيْرِهِمْ فِي الْبِلَادِ وَنَظَرِهِمْ إِلَى آثَارِ الْمَدْمَرِينَ مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ

قَوْلُهُ: (حَتَّى يَعْلَمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ سَائِرَ الْخَلَائِقِ كَذَلِكَ) قَالَ الْقَاضِي: لِأَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ مَرَّةً يَتَجَلَّى لِلْمُسْتَبْصِرِ فِيهَا مَا يَتَجَلَّى لَهُ فِي الْمُمَكِّنَاتِ بِأَسْرَاهَا، فَإِذَا تَفَكَّرَ فِيهَا تَحَقَّقَ لَهُ قُدْرَةُ مُبْدِعِهَا عَلَى إِعَادَتِهَا كَمَا أَبْدَأَهَا<sup>(١)</sup>.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٢٨).



وغيرهم من الأمم العاتية، ثُمَّ أَخَذَ يَصِفُ لَهُمْ أَحْوَالَهُمْ وَأَتَمَّهُمْ ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾ وَحَرَّثُوهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا ذُلُّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٧١]، وَقِيلَ لِيَقْرَ الْحَرثَ: المَثِيرَةَ. وَقَالُوا: سُمِّيَ ثَوْرًا لِإِنَارَتِهِ الْأَرْضَ. وَبِقَرَّةٍ؛ لِأَنَّهَا تَبْقَرُهَا؛ أَي تَشْقُهَا، ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ يَعْنِي أَوْلِيكَ المَدْمَرُونَ ﴿أَكْثَرِمًا عَمَرُوهَا﴾ مِنْ عِمَارَةِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَهْلُ مَكَّةَ: أَهْلُ وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، مَا لَهُمْ إِثَارَةٌ أَرْضٍ أَصْلًا وَلَا عِمَارَةٌ لَهَا رَأْسًا فَمَا هُوَ إِلَّا تَهْكُمُ بِهِمْ، وَبِضَعْفِ حَالِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ؛ لِأَنَّ مُعْظَمَ مَا يَسْتَظْهِرُهُ بِهِ أَهْلُ الدُّنْيَا وَيَتَبَاهَوْنَ بِهِ أَمْرَ الدَّهْقَنَةِ، وَهُمْ أَيْضًا ضِعَافُ الْقُوَى، فَقَوْلُهُ: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أَي: مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَضْرَابِهِمْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْلَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وَإِنْ كَانَ هَذَا أَبْلَغُ؛ لِأَنَّهُ خَالِقُ الْقُوَى وَالْقُدْرَ. فَمَا كَانَ تَدْمِيرُهُ إِيَّاهُمْ ظُلْمًا لَهُمْ، لِأَنَّ حَالَهُ مُنَافِيَةٌ لِلظُّلْمِ، وَلَكِنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ حَيْثُ عَمِلُوا مَا أَوْجَبَ تَدْمِيرَهُمْ.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾

[١٠]

قَوْلُهُ: (مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ) خَبْرٌ لِقَوْلِهِ: «فَقَوْلُهُ وَقَوْلُهُ»؛ أَي (١): أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ» قَبِيلَ التَّهْكُمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرِمًا عَمَرُوهَا﴾ يَرِيدُ أَنَّهُ كَمَا أَسَدَدَ الْعِمَارَةَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَهُمْ أَهْلُ وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ تَهْكُمًا بِهِمْ. كَذَلِكَ نَسَبَ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ حَيْثُ شَارَكَهُمْ مَعَ عَادٍ وَثَمُودَ فِي الْقُوَّةِ وَهُمْ ضِعَافُ الْقُوَى تَهْكُمًا، وَعَلَى التَّهْكُمِ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْلَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وَإِنْ كَانَ هَذَا فِي التَّهْكُمِ أَبْلَغُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْبَشَرِ فِي الْقُوَّةِ.

قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ مِنَ الْعِمَارَةِ الْأَبْنِيَّةَ مِنَ الدُّورِ وَالْقُصُورِ وَالْحُصُونِ، فَعَلَى هَذَا لَمْ يَكُنْ تَهْكُمًا.

قلت: أين يذهب عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾.

(١) هناك زيادة بعد قوله: «أَي» في (ف)، ويلوح عليها أمارات الاضطراب والالتحاح.

قُرِيءَ ﴿عَقِبَةَ﴾ بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ. و﴿السُّوَاءِ﴾ تَأْنِيثُ الْأَسْوَأِ وَهُوَ الْأَقْبَحُ، كَمَا أَنَّ الْحُسْنَى تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ. وَالْمَعْنَى: أَتَمَّ عَوْقِبُوا فِي الدُّنْيَا بِالْدَّمَارِ، ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمُ السُّوَاءِ؛ إِلَّا أَنَّهُ وَضَعَ الْمُظْهَرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، أَي: الْعُقُوبَةُ الَّتِي هِيَ أَسْوَأُ

قوله: (قريء: ﴿عَقِبَةَ﴾ بالنصب والرفع) نافع وابن كثير وأبو عمرو: بالرفع، والباقون: بالنصب<sup>(١)</sup>.

قوله: (ثم كانت عاقبتهم السوأي) تقريرٌ لقراءة الرفع، ووضع ﴿الَّذِينَ اسْتَوُوا﴾ موضع الضمير لبيان العلة، ثم أُضِيفَ إِلَيْهِ اسْمُ ﴿كَانَ﴾، وَالخبرُ «السوأي»<sup>(٢)</sup>، وكذا على الوجه الثاني، لكن ﴿السُّوَاءِ﴾ دَاخِلٌ فِي حَيْزِ الصَّلَةِ، وَالخبرُ مَقْدَّرٌ، وَلَمْ يَذَكَرْ وَجْهَ قِرَاءَةِ النَّصْبِ.

قال أبو البقاء: مَنْ نَصَبَ ﴿الْعَقِبَةَ﴾ جَعَلَهَا خَبَرَ «كَانَ»، وَالاسْمُ ﴿السُّوَاءِ﴾ أَوْ ﴿أَنَّ كَذَّبُوا﴾. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿أَنَّ كَذَّبُوا﴾ بَدَلًا مِنْ ﴿السُّوَاءِ﴾ أَوْ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، وَ﴿السُّوَاءِ﴾ فُعْلَى؛ تَأْنِيثُ الْأَسْوَأِ، صِفَةٌ مُصَدِّرٍ مَحذُوفٍ؛ أَي: «أَسَاؤُوا وَالْإِسَاءَةَ السُّوَاءِ»، وَإِنْ جَعَلْتَهَا اسْمًا أَوْ خَبْرًا كَانَ التَّقْدِيرُ: «الْعُقُوبَةُ السُّوَاءِ»؛ أَي الْفِعْلَةُ السُّوَاءِ<sup>(٣)</sup>.

قال صاحب «الفرائد»: على تقدير قراءة النَّصْبِ هُوَ الْخَبْرُ، وَالاسْمُ ﴿أَنَّ كَذَّبُوا﴾ الْمَعْنَى: كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ فَعَلُوا الْفِعْلَةَ السُّوَاءِ؛ أَي: التَّكْذِيبِ؛ أَي: لِقَاهُمْ سُؤْمَ أَعْمَالِهِمْ فِي الْكُفْرِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعَقِبْتُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ، بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٧]، فَعَلَى هَذَا لَيْسَ الْمُظْهَرُ وَاقِعًا مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، بَلْ هُوَ كَلَامٌ يَدْخُلُ فِيهِ الْمَذْكُورُونَ.

وقلت: لا بدَّ مِنَ الْقَوْلِ بِوَضْعِ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ؛ لِأَنَّ ﴿ثُمَّ﴾ هَاهُنَا لِلْإِسْتِيعَادِ؛

(١) فمن قرأ بالنصب جعل «عاقبة» خبر كان، و«السوأي» اسمها، ومن قرأ بالرفع، جعل «عاقبة» اسم كان. والسوأي خبرها لأن الخبر والاسم هاهنا معرفتان. وإذا اجتمع اسمان نظرت: فإن كان أحدهما معرفةً والآخر نكرةً جعلت النكرة الخبر والمعرفة الاسم، وإن كانا معرفتين كنت بالخيار أيهما شئت جعلته خبراً، وأيها شئت جعلته اسماً. انظر: «حجة القراءات» ص ٥٥٦.

(٢) في (ح) و(ف): «والخبر: عاقبتهم السوأي».

(٣) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٣٨).

العقوبات في الآخرة، وهي جهنم التي أعدت للكافرين. ﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ بمعنى: لأن كذبوا، ويجوز أن تكون (أن) بمعنى: أي؛ لأنه إذا كان تفسير الإساءة التّكذيب والاستهزاء؛ كانت في معنى القول، نحو: نادى. وكتب، وما أشبه ذلك. ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿أَسْتَوُوا السُّوَى﴾ بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا، و﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ عطف بيان لها، وخبر ﴿كَانَ﴾ محذوف كما يُحذف جواب (لَمَّا) و(لو)؛ إرادة الإبهام.

﴿اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [١١]

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: إلى ثوابه وعقابه. ....

كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] يعني: أيقظناهم من غفلتهم بقولنا: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وذلكناهم على طريق الإيقاظ.

والعبرة بقولنا: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾؛ ليقلعوا عما كانوا عليه من العناد والتكذيب، ثم بعد ذلك لم يكن عاقبتهم إلا الفعلة<sup>(١)</sup> السّوَى والتكذيب، والله أعلم.

قال القاضي: وُضِعَ الظاهر موضع المضمَر للدلالة على أن ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم هو أفعالهم السّوَى، بمعنى اقترفوا الخطيئة<sup>(٢)</sup>.

فعلى هذا: الإساءة أعم من أن تكون قولية أو فعلية، وعلى أن تكون «أن» مفسرة يجب أن تكون قولية لا فعلية؛ ليصح جعلها بمعنى القول، وإليه الإشارة بقوله: «تفسير الإساءة التّكذيب والاستهزاء».

(١) في (ف): «الفعلة»، وهو خطأ.

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٢٩).

وَقُرِئَ بِالْبَيَاءِ وَالتَّاءِ.

[ ﴿ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَكَانُوا  
بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ١٢-١٣ ]

الإبلاس: أي يبقى يائسا ساكنا متحيرا. يُقال: ناظرتُه فأبلس إذا لم ينبس ويبس من أن يحتج. ومنه الناقة الميلاس التي لا ترغو. وقُرِئَ «يُبْلِسُ» بفتح اللام، من أبلسه إذا أسكته، ﴿مَنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ من الذين عبدوهم من دون الله ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أي: يكفرون بالهيتيم ويجحدونها. أو: وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم.....

قوله: (قُرِئَ بِالْبَيَاءِ وَالتَّاءِ) أي: ﴿تُرْجَعُونَ﴾، قرأ أبو بكر وأبو عمرو: بالياء التحتانية<sup>(١)</sup>، والباقون: بالتاء.

اعلم أنه تعالى لما استبعد<sup>(٢)</sup> فعلتهم السوأى جاء بالوعيد والتهديد، يعني: لا بد من الرجوع إلى القادر العظيم الشأن الذي بدأ خلقكم ثم يعيدكم، فعند ذلك لا مجال للتكذيب، بل تبقون آيسين ساكتين متحيرين، فوضع المجرمين في قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ موضع الضمير، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ ﴾. قوله: (وقرئ «يُبْلِسُ» بفتح اللام)<sup>(٣)</sup>، وهو بعيد؛ لأن «أبلس» لا يستعمل متعديا، ومخرجه أن يكون أقام المصدر مقام الفاعل وحذفه، وأقام المضاف إليه مقامه؛ أي: «يُبْلِس إبلاس المجرمين».

(١) وحجتها أن المتقدم ذكره غيبة، ﴿يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فقرب من ذكر الخلق، فجعل الكلام خبراً عنهم إذ كان متصلاً بذكرهم. ولتمام الفائدة انظر: «حجة القراءات» ص ٥٥٦.

(٢) في (ح): «استبعد»، وما أثبتناه هو الأشبه بالصواب.

(٣) وعن قرأ به: أبو عبد الرحمن السلمي. انظر: «معاني القرآن» للقرآء (٢: ٣١١) و«مختصر شواذ القرآن»

وَكُتِبَ ﴿شَفَعَتْوُا﴾ فِي الْمَصْحَفِ بَوَاوٍ قَبْلَ الْأَلِفِ، كَمَا كُتِبَ ﴿عَلِمَتُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وَكَذَلِكَ كُتِبَتْ ﴿الشَّوَائِخُ﴾ بِالْفِ قَبْلَ الْيَاءِ؛ إِبْتِائًا لِلْهَمْزَةِ عَلَى صَوْرَةِ الْحَرْفِ الَّذِي مِنْهُ حَرَكَتُهَا.

[﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَنْفَرُوتُ﴾ \* فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ \* وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ ١٤-١٦]

الضَّمِيرُ فِي ﴿يَوْمِذُ يَنْفَرُوتُ﴾ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ، لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ. وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ تَفَرُّقُ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ: هُوَ لَاءٌ فِي عِلِّيْنِ، وَهُوَ لَاءٌ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ. وَعَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فُرْقَةٌ لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهَا، ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾ فِي بُسْتَانٍ، وَهِيَ الْجَنَّةُ. وَالتَّنْكِيرُ لِإِبْهَامِ أَمْرِهَا وَتَفْخِيمِهِ. وَالرَّوْضَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: كُلُّ أَرْضٍ ذَاتِ نَبَاتٍ وَمَاءٍ. وَفِي أَمْثَالِهِمْ: أَحْسَنُ مِنْ بَيْضَةٍ فِي رَوْضَةٍ، يُرِيدُونَ: بَيْضَةَ النَّعَامَةِ. ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُسْرُونَ. يُقَالُ: حَبَّرَهُ؛ إِذَا سَرَّهُ سُرُورًا تَهَلَّلَ لَهُ وَجْهُهُ، وَظَهَرَ فِيهِ أَثْرُهُ، ثُمَّ اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأَقَاوِيلُ؛ لِاحْتِمَالِهِ وَجُودَ جَمِيعِ الْمَسَارِ؛ فَعَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قوله: (وكتب ﴿شَفَعَتْوُا﴾ فِي الْمَصْحَفِ بَوَاوٍ قَبْلَ الْأَلِفِ...، و﴿الشَّوَائِخُ﴾ بِالْفِ قَبْلَ الْيَاءِ؛ إِبْتِائًا لِلْهَمْزَةِ عَلَى صَوْرَةِ الْحَرْفِ الَّذِي مِنْهُ حَرَكَتُهَا) قَالَ صَاحِبُ «التَّقْرِيبِ»: وَفِيهِ نَظْرٌ، إِذِ الثَّانِيَةُ لَا تَخْتَصُّ بِالْمَصْحَفِ، بَلْ هُوَ قِيَاسُ الْخَطِّ، وَذَلِكَ الْعَذْرُ لَا يَسْتَمِرُّ فِي الْأَوَّلَى، إِذْ مُقْتَضَاهُ تَأْخِيرُ الْوَاوِ عَنِ الْفِ ﴿شَفَعَتْوُا﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: (تَهَلَّلَ لَهُ وَجْهُهُ وَظَهَرَ فِيهِ أَثْرُهُ)، الرَّاغِبُ: الْحَبْرُ: الْأَثْرُ الْمُسْتَحْسَنُ، وَمِنْهُ مَا رَوَى: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ رَجُلٌ ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ»<sup>(٢)</sup>؛ أَي: جَمَالُهُ وَبِهَآؤُهُ. وَمِنْهُ سَمِّيَ الْحَبْرُ، وَشَاعَرَ

(١) لَفْظُ ﴿شَفَعَتْوُا﴾ هُوَ الْمَوْضِعُ الْوَحِيدُ الَّذِي رَسَمَ بِهَذِهِ الصَّوْرَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ. «مَخْتَصَرُ التَّبْيِينِ» لِأَبِي

دَاوُدَ سَلْيَمَانَ بْنِ نَجَاحٍ ص ٩٨٦.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (١: ٨٥).

يُكْرَمُونَ، وعن قتادة: يُنْعَمُونَ. وعن ابنِ كَيْسَانَ: يُحَلَّلُونَ وعن أبي بكرِ بنِ عِيَّاشٍ: التَّيْجَانُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. وعن وَكَيْعٍ: السَّمَاعُ فِي الْجَنَّةِ. وعن النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ ذَكَرَ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ، وَفِي آخِرِ الْقَوْمِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ سَمَاعٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَا أَعْرَابِيَّ، إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَنَهْرًا حَافَتَاهُ الْأَبْكَارُ مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ خُوصَانِيَّةٍ، يَتَغَنَّيْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ تَسْمَعْ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا قَطُّ، فَذَلِكَ أَفْضَلُ نِعَمِ الْجَنَّةِ». قَالَ الرَّاوي: فَسَأَلْتُ أبا الدَّرْدَاءِ: بِمَ يَتَغَنَّيْنَ؟ قَالَ: بِالتَّسْبِيحِ. وَرُوي: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لِأَشْجَارًا عَلَيْهَا أَجْرَاسٌ مِنْ فِضَّةٍ، فَإِذَا أَرَادَ أَهْلُ الْجَنَّةِ السَّمَاعَ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ؛ فَتَقَعُ فِي تِلْكَ الْأَشْجَارِ، فَتَحْرُكُ تِلْكَ الْأَجْرَاسُ بِأَصْوَاتٍ لَوْ سَمِعَهَا أَهْلُ الدُّنْيَا لَمَاتُوا طَرَبًا»، ﴿مُحْضَرُونَ﴾ لَا يَغَيَّبُونَ عَنْهُ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥].

[﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ \* وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ \* يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ١٧-١٩]

مُحَبَّرٌ، وَشَعْرٌ مُحَبَّرٌ، وَثَوْبٌ حَبِيرٌ مُحَسَّنٌ، وَالْحَبْرُ: الْعَالَمُ؛ لِمَا يَبْقَى مِنْ أَثَرِ عُلُومِهِمْ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَمِنْ أَثَارِ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ الْمُقْتَدَى بِهَا، وَإِلَيْهِ أَشَارَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَثَارُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ<sup>(١)</sup>. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ أَي: يَفْرَحُونَ حَتَّى يَظْهَرَ عَلَيْهِمْ حَبَارُ نَعِيمِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ خُوصَانِيَّةٍ) مُشَابِهَةٌ بِخُوصِ النَّخْلِ؛ أَي: وَرَقُهُ فِي اللَّيْلِ وَالرُّقَّةُ، وَقِيلَ: رَقِيقَةُ الْخَضِرِ. الْأَسَاسُ: هَضْبَةٌ<sup>(٣)</sup> خُوصَاءٌ: مَرْتَفَعَةٌ.

(١) ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَقَضِيلِهِ» (١: ٥٧).

(٢) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ» ص ٢١٥.

(٣) فِي (ح): «بَيْضَةٌ»، وَمَا أُثْبِتَنَاهُ هُوَ الصَّوَابُ، وَهُوَ عَلَى الْجَادَةِ فِي «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ» (خُوص).

لَمَّا ذَكَرَ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، أَتْبَعَهُ ذِكْرَ مَا يُوصِلُ إِلَى الْوَعْدِ وَيُنْجِي مِنَ الْوَعِيدِ، وَالْمُرَادُ بِالتَّسْبِيحِ ظَاهِرُهُ الَّذِي هُوَ تَنْزِيهِ اللَّهِ مِنَ السُّوءِ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِالْحَيْرِ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ لِمَا يَتَجَدَّدُ فِيهَا مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ. وَقِيلَ: الصَّلَاةُ. وَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَلْ تَجِدُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ صَلَاتَا الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَ﴿تُصْبِحُونَ﴾ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَ﴿وَعَشِيًّا﴾ صَلَاةَ الْعَصْرِ. وَ﴿تُظْهِرُونَ﴾ صَلَاةَ الظُّهْرِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَشِيًّا﴾ مَتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿حِينَ تُسَبِّحُونَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعْتِرَاضٌ بَيْنَهُمَا. وَمَعْنَاهُ:

قوله: (لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد) بيان لاتصال ﴿فَسُبِّحَنَّ اللَّهُ﴾ الآية بالآيات السابقة.

وفيه أن الفاء فيه جزء شرط محذوف، وأن قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تفصيل لما أجمل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْفِرُ قَوْمٌ﴾ أي: إذا كان الأمر كما تقرّر فاستعدوا لما تسعدوا به في ذلك اليوم وتفوزوا بروضات الجنان، وبما تتخلصوا به من الشقاوة الأبدية والحضور في دركات النيران، وهو استغراق الأوقات في ذكر الله وطاعته التي أوجبها عليكم، وفي النداء على الجميل لما أوليناكم من نعمة الإرشاد إلى الفلاح والنجاة.

ثم بين على طريق الاستئناف موجب التسيح والتحميد لله عز وجل بقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيَّتِ﴾ إلى آخر الآيات الدالة على الفردانية، وعلى اختصاصه بالعبودية؛ أي: عبده واحمدوه؛ لأنه يحيي ويميت، وله الآيات الباهرة المتظاهرة، فظهر من هذا البيان أن المصدر أنيب مناب الأمر، ورجح به تأويل خبر الأمة رضي الله عنه من إيجاب الصلوات الخمس بإشارة النص<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

(١) حديث ابن عباس مع نافع بن الأزرق أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٧٢) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٩٦) والحاكم في «المستدرک» (٤٤٥: ٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

إِنَّ عَلَى الْمُمَيِّزِينَ كُلَّهُم مِّنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَحْمَدُوهُ. فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ ذَهَبَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ مَدَنِيَّةٌ؟ قُلْتَ: لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَرَضَتِ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ الْوَاجِبُ بِمَكَّةَ رَكَعَتَيْنِ فِي غَيْرِ وَقْتٍ مَعْلُومٍ. وَالْقَوْلُ الْأَكْثَرُ: أَنَّ الْخَمْسَ إِنَّمَا فَرَضَتْ بِمَكَّةَ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَرَضَتِ الصَّلَاةَ رَكَعَتَيْنِ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ. وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُكَالَ لَهُ بِالْقَفِيزِ الْأَوْفَى فَلْيُقَلِّ: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُسْمَوْتُ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الْآيَةَ. وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُسْمَوْتُ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾

قوله: (إِنَّ عَلَى الْمُمَيِّزِينَ كُلَّهُم مِّنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَحْمَدُوهُ) فِيهِ مَعْنَى الْوُجُوبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِعْتِرَاضَ تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى الْمَعْتَرِضِ فِيهِ، وَلِمَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى وُجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُمَيِّزِينَ لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، كَانَ التَّأْكِيدُ مِثْلَ الْمُؤَكَّدِ، وَكَمَا جَازَ أَنْ يُعْبَرَ عَنِ الصَّلَاةِ بِالتَّسْبِيحِ لِأَنَّهَا مُشْتَمَلَةٌ عَلَيْهِ، جَازَ أَنْ يُعْبَرَ عَنْهَا بِالتَّحْمِيدِ لِذَلِكَ.

قوله: (أَنَّ الْخَمْسَ إِنَّمَا فَرَضَتْ بِمَكَّةَ) وَهُوَ الصَّحِيحُ لِحَدِيثِ الْمِغْرَاجِ، وَمُرَاجَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ، عَنْ أَنَسٍ فِي آخِرِهِ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّمَنْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» الْحَدِيثُ (١).

قوله: (فَرَضَتِ الصَّلَاةَ رَكَعَتَيْنِ) رَوَيْنَا عَنِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَمَالِكٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ (٢).

وَفِي أُخْرَى (٣) قَالَتْ: فَرَضَتِ الصَّلَاةَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفَرَضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْفَرِيضَةِ الْأُولَى.

قوله: (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُسْمَوْتُ﴾) الْحَدِيثُ بِتَمَامِهِ أَخْرَجَهُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٧) وَمُسْلِمٌ (١٦٤) وَالنَّسَائِيُّ (٢١٧: ١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» (٣٣٥) وَالْبُخَارِيُّ (٣٥٠) وَمُسْلِمٌ (٦٨٥) وَأَبُو دَاوُدَ (١٢٠٠).

(٣) وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٣٩٣٥).



إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ﴾ أدرك ما فاتته في يومه، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتته في ليلته، وفي قراءة عكرمة: (حيناً تمسون وحيناً تُصبحون)، والمعنى: تمسون فيه وتصبحون فيه، كقوله: ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] بمعنى: فيه، ﴿الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الطائر من البيضة، و﴿الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾: البيضة من الطائر. وإحياء الأرض: إخراج النبات منها ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ﴾ ومثل ذلك الإخراج تُخْرِجُونَ من القبور وتبعثون. والمعنى: أن الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادرٌ على الطرد والعكس؛ من إخراج الميت من الحي وإخراج الحي من الميت وإحياء الميت وإماتة الحي.

وقرئ: ﴿الْمَيِّتِ﴾ بالتشديد، و(تخرجون) بفتح التاء.

[ ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ \* وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ٢٠-٢١ ]

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾

أبو داود عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقرئ: ﴿الْمَيِّتِ﴾ بالتشديد) نافعٌ وحفصٌ وحمزةٌ والكسائي<sup>(٢)</sup>، و«تخرجون» بفتح التاء: حمزة والكسائي<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٨) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨١٥) و«الأوسط» (٨٦٣٧).

(٢) ومكي بن أبي طالب تحرير نافعٌ دقيق لهذا الاختيار في «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (١): ٣٣٩-٣٤٠.

(٣) فأضافوا الفعل إليهم، لأنهم إذا أُخْرِجُوا خرجوا فهم مفعولون فاعلون في المعنى. ومن قرأ بضمّ التاء وفتح الراء فقد أُجْرِزَهُ على ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ، لأنهم لا يُخْرِجُونَ حَتَّى يُخْرِجُوا. انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (١: ٤٦٠).

لأنه خلق أصلهم منه. ﴿وَإِذَا﴾ للمفاجأة. وتقديره: ثم فاجأتم وقت كونكم بشرًا مُنتَشِرِينَ فِي الْأَرْضِ. كقوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، ﴿مَنْ أَنْفَسِكُمْ أَرْوَجًا﴾؛ لأنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالنِّسَاءُ بَعْدَهَا خُلِقْنَ مِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ، أَوْ مِنْ شَكْلِ أَنْفُسِكُمْ وَجِنْسِهَا، لَا مِنْ جِنْسٍ آخَرَ، وَذَلِكَ لِمَا بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ مِنَ الْإِلْفِ وَالسُّكُونِ، وَمَا بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ مِنَ التَّنَافُرِ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ التَّوَادُّ وَالتَّرَاحُمَ بَعْضَمَةَ الزَّوْجِ، بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ سَابِقَةٌ مَعْرِفَةٌ، وَلَا لِقَاءٌ، وَلَا سَبَبٌ يُوجِبُ التَّعَاطُفَ مِنْ قَرَابَةٍ أَوْ رَحِمٍ. وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السُّودَةُ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ، وَالرَّحْمَةُ عَنِ الْوَالِدِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ [مريم: ٢١]، وَقَالَ: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾ [مريم: ٢]. وَيُقَالُ: سَكَنَ إِلَيْهِ، إِذَا مَالَ إِلَيْهِ،

قوله: (لأنه خلق أصلهم منه)، أي: إنما صحَّ الخطابُ للخلق بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ لذلك، والمعنى: خلق أصلكم من ترابٍ ليتصل به قوله: ﴿ثُمَّ﴾ أي: ثم فاجأتم وقت كونكم بشرًا، و﴿ثُمَّ﴾ للتراحي في الرتبة لا في الزمان، فإنَّ المفاجأة تدفعه.

قوله: (كقوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]) وجه التشبيه أن قوله: ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، و﴿بَشَرٌ﴾ جنسٌ وقع خبرًا له، و﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ صفةٌ لـ ﴿بَشَرٌ﴾، فـ ﴿بَشَرٌ﴾ مثل قوله: ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، و﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ مثل قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ [النساء: ١].

قال صاحب «المطلع»: ثم إذا أنتم خلق كثير من لحمٍ ودمٍ تنبسطون في الأرض.

قوله: (كما قال: ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾)، أي: في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً﴾ [مريم: ٢١]، والمراد بالرحمة: عيسى عليه السلام.

قوله: (﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾ [مريم: ٢]) وتقديره: أنَّ ﴿ذَكَرْ﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوف، وهو مصدرٌ مضافٌ إلى المفعول، و﴿عَبْدَهُ﴾ مفعولٌ ﴿رَحْمَتِ﴾ و﴿زَكَرِيَّا﴾ بدلٌ من ﴿عَبْدَهُ﴾، و﴿إِذْ نَادَى﴾ ظرفٌ لـ ﴿رَحْمَتِ﴾ أو لـ ﴿ذَكَرْ﴾؛ أي: هذا إنَّ ذَكَرَ رَبِّكَ رَحْمَتَهُ

كَقَوْلِهِمْ: انْقَطَعَ إِلَيْهِ، واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ السَّكَنُ. وَهُوَ الْإِلْفُ الْمَسْكُونُ إِلَيْهِ. فَعَلَّ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ. وَقِيلَ: إِنَّ الْمَوَدَّةَ وَالرَّحْمَةَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وَإِنَّ الْفِرْكَ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ.

[ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ ]

الألسنة: اللغات، أو: أجناس النطق وأشكاله. خالف عزَّ وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقتين متفقين في همس واحد، ولا جَهارة، ولا حِدَّة، ولا رَخاوة، ولا فصاحة، ولا لَكِنَّة، ولا نَظْم، ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها، والألوان وتنوعها، واختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو اتفقت وتشاكلت، وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت مصالح كثيرة، ورُبَّما رأيت توأمين يشتهان في الحلية، فيعروك الخطأ في التمييز بينهما، وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي؛ وفي ذلك آية بيّنة؛ حيث وُلِدُوا من أب واحد، وفرَّعوا من أصلٍ فذَّ، وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مُتخَلِّفُونَ مُتَفَاوِثُونَ.....

لعبده زكريا وقت طلبه الولد من ربه. هذا يُفهم من تقدير أبي البقاء<sup>(١)</sup>، فعلى هذا: الرحمة هي الولد.

قوله: (وَإِنَّ الْفِرْكَ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ) الفرك: بُغْضُ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ لِلْآخَرِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (فَيَعْرُوكَ الْخَطَأُ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا) أي: يُغْشِيكَ. الجوهري: عَرَانِي هَذَا الْأَمْرُ وَعَارَانِي: إِذَا غَشِيكَ.

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٦٥).

(٢) ومنه قوله ﷺ: «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أخرجه مسلم (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَقُرِئَ: ﴿لَتَعْلَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها، ويشهد للكسر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

[ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ]

هذا من باب اللّف، وترتيبه: ومن آياته منامكم وابتغاءكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين. لأنهما زمانان، والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللّف على الاتّحاد. ويجوز أن يراد: ﴿مَنَامُكُمْ﴾ في الزّمانين، ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ﴾ فيهما، .....

قوله: (وقرئ: ﴿لَتَعْلَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها) بالكسر: حفص وحده، والباقون: بفتحها<sup>(١)</sup>.

قوله: (فصل بين القرينين الأولين) أي: ﴿مَنَامُكُمْ﴾ و﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ﴾ (بالقرينين الآخرين) أي: ﴿الليل﴾ و﴿النهار﴾. وإنما جاز ذلك؛ لأن الليل والنهار ظرفان، والواقعان فيهما<sup>(٢)</sup> المنام والابتغاء، والظرف والمظروف كشيء واحد، فلا فصل بالأجنبي.

ومعنى قوله: (مع إعانة اللّف على الاتّحاد) هو أن اللّف يُعين السامع على أن يرّد كلّ واحد من القرينين إلى مآله، ويتّحد به من النشر.

قوله: ﴿مَنَامُكُمْ﴾ في الزّمانين ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ﴾ فيهما) فعلى هذا: لا يكون من باب اللّف، بل من المُقابلة، فحدّف في إحدى المتقابلين ما يُقابل الآخر لدلالة التّقابل، قال: عجبْتُ لهم إذ يَقْتُلُونَ نَفْسَهُمْ ومقتلهم عند الوغى كان أعذر<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٥٧-٥٥٨ فيه مزيد بيان وتعليل.

(٢) في (ح) و(ف): «والواقع بينهما».

(٣) لعروة بن الورد في «ديوانه» ص ٦، ولتتام الفائدة انظر: «سرّ الفصاحة» لابن سنان الخفاجي ص ٢١٥.

والظاهرُ هو الأوَّل لتكرُّره في القرآن، وأسَدُّ المعاني ما دلَّ عليه القرآنُ يسمَعُونَهُ بالأذانِ الواعية.

[﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٢٤]

في ﴿يُرِيكُمُ﴾ و﴿جِهَانِ﴾ إضماران، وإنزالُ الفعلِ منزلةَ المصدرِ، .....

أي: يقتلون نفوسهم عند السلم، فحذف لدلالة الوَعَى في المشطور الثاني عليه.

قوله: (لتكرُّره في القرآن) نحو قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْآيَةَ لَنَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةً لِلنَّاسِ \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١٠، ١١]، وغيرها.

قوله: (إضماران، وإنزالُ الفعلِ منزلةَ المصدرِ) هو بيانُ لقوله: «وجهان»، أمَّا قوله: «وبهما فُسِّرَ المَثَلُ: «تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ»، وقول القائلِ»، فيَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أحدهما: أن يُرادَ اللَّفُّ والنَّشْرُ، وعليه ظاهرُ كلامِ صاحبِ «اللُّباب»؛ حيث قال نحو: «تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ»<sup>(١)</sup> محمولٌ على حذفِ «أَنْ» مثلها في قوله:

أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِيُّ أَحْضَرَ الْوَعَى<sup>(٢)</sup>

فيمَن روى مرفوعًا، أو على تنزيلِ الفعلِ منزلةَ المصدرِ، مثله في قوله:

وقالوا ما تشاء فقلتُ أَلَهُو<sup>(٣)</sup>

وثانيهما: أن يكونا<sup>(٤)</sup> مثالين، لكن البيت لا يساعد عليه على ما ذهب إليه الشارحُ.

(١) «مجمع الأمثال» (١: ١٢٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لعروة بن الورد، ولم أجده في «ديوانه». انظر: «مجمع الأمثال» (٢: ٧٦)، و«الأغاني» (٣: ٧٦).

(٤) في (ح): «يكون».

قال: ونحو «تَسْمَعُ بِالْمَعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ» محمولٌ على حذف «أن»<sup>(١)</sup>، أو على تنزيل الفعل منزلة المصدر، مثله في قوله: «وقالوا ما تشاء»<sup>(٢)</sup>، أي: «سماعتك بالمعيدي»، كما كان الفعل منزلاً منزلة المصدر في قوله: «فقلت ألهو».

وثالثهما: أن يكونا مثالين<sup>(٣)</sup>، لكن البيت لا يساعد عليه على ما ذهب إليه الشارح، قال: «وتسمع بالمعدي خير من أن تراه» محمول على حذف «أن» أو على تنزيل الفعل منزلة المصدر، أي: «سماعتك بالمعدي»، كما كان الفعل منزلاً منزلة المصدر في قوله: «فقلت ألهو»<sup>(٤)</sup> وهو متعينٌ فيه؛ لأنَّ معنى قوله: «ما تشاء»: أي شيء تشاء، فهو سؤال عن مفرد؛ لأنَّ «ما» مفردٌ، وهو مفعول «تشاء» مقدَّمًا، فحَقُّه أن يُجابَ بالمفرد، و«ألهو» جملة منزلة منزلة المفرد ليكونَ مطابقًا للمسؤولِ عنه.

فإن قلت: لو حُلَّ على حذف «أن» لكان أيضاً بتقدير مفردٍ، فلمْ لمْ يُحمل عليه؟ قلت: لأنَّ قوله: «ما تشاء» سؤالٌ عمّا تشاؤه في الحال ظاهرٌ، كما إذا قلت: ما تريد؟ أي: الآن، فلو قُدِّر: «أن ألهو» لكان مستقبلاً، فكأنَّه سأله عمّا يشاؤه في الحال، فأجابَه بما يشاؤه في المستقبل لا في الحال، فلا ظاهراً، فلذلك حَمَلَه على المصدر بدون حذف «أن»؛ لأنَّ «أن» عَلِمَ للاستقبال، وفيه بحثٌ، وهو ما ذَكَرَه الإمامُ عند قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ قال: قال تعالى ها هنا: ﴿أَنْ تَقُومَ﴾ وقبله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ ولم يقل: وأن يُريكم، وذلك أنَّ القيامَ لما كان غير مُتعيّنٍ أخرجَ الفعلَ بـ«أن» وجعل في تأويل المصدر ليدلَّ على الثبوت وإراءة البرق لما كانت من الأمور المتجدِّدة، لم يذكر معها ما يدلُّ على المصدر<sup>(٥)</sup>.

(١) سقط لفظ «أن» من (ف).

(٢) قوله: «مثله في قوله: (وقالوا ما تشاء)» سقط من (ف) و(ط).

(٣) قوله: «وثالثهما: أن يكونا مثالين» سقط من (ف).

(٤) من قوله: «لكن البيت لا يساعد عليه» إلى هنا سقط من (ح) و(ف).

(٥) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١٠١).

وبها فسّر المثل: «تَسْمَعُ بِالْمَعِيدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ». وَقَوْلُ الْقَائِلِ:

وَقَالُوا مَا تَشَاءُ فَقُلْتُ أَلْهُو إِلَى الْإِصْبَاحِ أَثَرُ ذِي أَثِيرٍ

قال صاحب «الكشف»: تقدير الآية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ آية ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾، فحذف الموصوفَ وأقام الصفة مقامه، وكان أبو عليٍّ يحملها على حذف «أن»؛ أي: ومن آياته أن يُريكم البرقَ، كقوله: «أحضر الوغى» وأراد أن يأخذ على أبي إسحاق (١) حذف «أن» في قوله: «أعبد»، فنقل كلامه ثم تذكّر هذا الموضع فأمسك (٢).

وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون الموصوفُ محذوفًا؛ أي: «ومن آياته آيةٌ يُريكم فيها البرقَ»، فحذف الموصوفَ والعائد؛ أي: «ومن آياته شيءٌ أو سحاب»، ويكون فاعل ﴿يُرِيكُمْ﴾ ضمير شيء المحذوف (٣).

قوله: (تَسْمَعُ بِالْمَعِيدِيِّ) قيل: هو تصغير «معدّي»، أو «معدّ»، خفف الدالَّ استتقالًا للجمع بين التشديد مع باء التصغير. يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ صَيْتٌ فِي النَّاسِ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ أزدريتَه. قاله المنذر لشيقة، مضى شرحه مستوفٍ في «الأعراف».

قوله: (وَقَالُوا مَا تَشَاءُ) البيت لعروة بن الورد قبله:

أرقتُ وصُحبتِي بمَضِيْقِ عميقٍ      لبرقٍ من تِهامةٍ مُستطيرٍ  
سَقَوْنِي الحَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي      عُدَاةَ اللّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

آثَرُ مِنَ الْإِيثَارِ، مِنْ: آثَرْتُ فَلَانًا عَلَى نَفْسِي.

قوله: (ذِي أَثِيرٍ) من قولك: فلانٌ أثيري؛ أي: خُلصاني، أي: آثَرُ اللّهُوَ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ.

قال الميداني في قولهم: «افعل ذلك آثراً ما» قالوا: معناه: افعل (٤) أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ، أي:

(١) يعني الزجاج.

(٢) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ١٠٤٩).

(٣) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٣٩).

(٤) في «مجمع الأمثال»: «أفعله»، وهو الأشبه بالصواب.

﴿خَوْفًا﴾ من الصَّاعِقَةِ أو من الإخلاف، ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغَيْثِ. وقيل: خوفًا للمُسَافِرِ، وطمعًا للحاضر، وهما منصوبان على المفعول له. فإن قلت: من حقّ المفعول لهُ أن يكونَ فِعْلًا لفاعلِ الفِعْلِ المَعْلَلِ؛ والخوفُ والطَّمَعُ لَيْسَا كذلك. قلت: فيه وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّ المَفْعُولِينَ فاعِلُونَ في المعنى، لأنهم رَأَوْنَ، فكأنه قيل: يجعلُكُمْ رَائِيْنَ البرقِ خَوْفًا وطمعًا. والثاني: أن يكونَ على تَقْدِيرِ حَذْفِ المِضَافِ، أي: إرادةِ خَوْفٍ وإرادةِ طَمَعٍ، فحُذِفَ المِضَافُ وأقيمَ المِضَافُ إليه مَقَامَهُ. ويجوزُ أن يكونا حَالِيْنِ؛ أي: خَائِفِيْنَ وطماعين. وقرئ: (يُنزَّل) بالتشديد.

[﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ \* وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونَ ﴿٢٥-٢٦﴾]

قيامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .....

أفعله مؤثراً له. وقال الأصمعيُّ: معناه افعل ذلك عازماً عليه و«ما» تأكيد، ويقال أيضاً: «افعله أثر ذي أثر»، أي: أوّل كلِّ شيءٍ. وقيل: معناه: وقالوا: ما تشاء، فقلت: أن ألّهو، واللّهو إلى الصُّبحِ أثرٌ كلِّ شيءٍ يُؤثرُ فِعْلُهُ<sup>(١)</sup>.

قوله: (من حقّ المفعول له أن يكونَ فِعْلًا لفاعلِ الفِعْلِ<sup>(٢)</sup> المَعْلَلِ)، الانتصاف: الخوفُ والطَّمَعُ مخلوقان لله تعالى، فيلزم اجتماعُ شرائطِ النَّصْبِ فيهما، وهو كونهما مصدرينِ مقارنينِ<sup>(٣)</sup>، والفاعلِ والخالقِ واحدٌ، فلا بدّ من تخريجه على هذا الوجه، وهو أن قولَ النُّحاة: أن يكونَ فِعْلًا لفاعلِ الفِعْلِ المَعْلَلِ، وأن يكونَ مُتَصِفًا به، فإذا قلت: جئتكَ إكرامًا لك، فقد وصفتَ نفسَكَ بالإكرام؛ أي جئتكَ مُكْرِمًا لك، واللّهُ تعالى وإن خَلَقَ الخوفَ والطَّمَعِ، إلّا أنه تعالى مُقَدَّسٌ عن الانتصافِ بهما، فاحتيجُ إلى تأويلِ الرَّمَحْشَرِيِّ على المذهبيينِ<sup>(٤)</sup>.

(١) «مجمع الأمثال» (٢: ٧٦).

(٢) سقط لفظ: «الفعل» من (ف).

(٣) في (ح): «مستعارين»، وليس بشيء، وهو على الجادة في «الانتصاف».

(٤) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٧٤).



وَأَسْتَمْسَاكُهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أَي بِقَوْلِهِ: كُنَّا قَائِمَتَيْنِ. وَالْمُرَادُ بِإِقَامَتِهِ لَهَا: إِرَادَتُهُ لِكَوْنِهَا عَلَى صِفَةِ الْقِيَامِ دُونَ الزَّوَالِ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ: يُرِيكُمْ، فِي إِيقَاعِ الْجُمْلَةِ مَوْقِعَ الْمَفْرَدِ عَلَى الْمَعْنَى، كَأَنَّهُ قَالَ: وَمِنْ آيَاتِهِ قِيَامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ خُرُوجُ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ إِذَا دَعَاهُمْ دَعْوَةً وَاحِدَةً: يَا أَهْلَ الْقُبُورِ اخْرُجُوا. وَالْمُرَادُ سُرْعَةً وَجُودِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَوْقُفٍ وَلَا تَلَبُّثٍ، كَمَا يُجِيبُ الدَّاعِيَ الْمُطَاعَ مَدْعُوَّهُ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

قوله: (وَأَسْتَمْسَاكُهَا) قيل: هو من قولهم: هو لا يَسْتَمْسِكُ عَلَى الرَّاحِلَةِ؛ أَي: لَا يَقْدِرُ عَلَى إِسْمَاكِهِ نَفْسَهُ وَضَبْطِهَا وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا.

قوله: ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أَي: بِقَوْلِهِ: كُنَّا قَائِمَتَيْنِ أَي: قِيلَ: بِأَمْرِهِ، وَأُرِيدَ هَذَا الْقَوْلَ، وَلَمْ يُرَدْ بِالْقَوْلِ حَقِيقَتَهُ، بَلِ الْمُرَادُ إِقَامَتُهُ لَهَا وَإِرَادَتُهُ لِحُدُوثِهَا قَائِمَتَيْنِ، فَقَوْلُهُ: «إِرَادَتُهُ لِكَوْنِهَا» خَبْرٌ، وَالْمُرَادُ بِإِقَامَتِهِ لَهَا «مَبْتَدَأٌ، كَذَا صَحَّ، وَاللَّامَانِ صِلَتَانِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. وَالْمُرَادُ: أَنَّ مَا قَضَاهُ مِنَ الْأُمُورِ وَأَرَادَ كَوْنَهُ، فَإِنَّمَا يَكُونُ<sup>(١)</sup> وَيَدْخُلُ تَحْتَ الْوُجُودِ مِنْ غَيْرِ امْتِنَاعٍ وَلَا قَوْلٍ نَمَّةً، كَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «كُنَّا قَائِمَتَيْنِ» حَصُولُهَا عَلَى صِفَةِ الْقِيَامِ عَلَى وَفْقِ إِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَوْقُفٍ وَلَا قَوْلٍ نَمَّةً، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «وَالْمُرَادُ بِهِ سُرْعَةً وَجُودِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَوْقُفٍ وَلَا تَلَبُّثٍ».

قال الإمام: قوله: ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أَي: بِقَوْلِهِ: قوما، أو بإرادته قيامهما، وذلك أن الأمر عند المعتزلة موافق للإرادة، وعندنا<sup>(٢)</sup> ليس كذلك، ولكن النزاع في الأمر الذي في التكليف لا في الأمر الذي في التكوين، فإننا لا ننازعهم في أن قوله: «كن»، و«كونا»، و«كونوا» موافق للإرادة<sup>(٣)</sup>.

(١) في (ط): «يتكون».

(٢) من هنا إلى آخر الفقرة سقط من (ط).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١٠١).

دَعَوْتُ كَلَيْبًا دَعْوَةً فَكَأَنَّمَا دَعَوْتُ بِهِ ابْنَ الطَّوْدِ أَوْ هُوَ أَسْرَعُ

يُرِيدُ بِابْنِ الطَّوْدِ: الصَّدى، أَوْ الْحَجْرَ إِذَا تَدَهَّدَى، وَإِنَّمَا عَطَفَ هَذَا عَلَى قِيَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِ«ثُمَّ»؛ بَيَانًا لِعِظَمِ مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَاقْتِدَارِهِ عَلَى مِثْلِهِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، قُومُوا؛ فَلَا تَبْقَى نَسَمَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا قَامَتْ تَنْظُرُ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. قَوْلُكَ: دَعَوْتُهُ مِنْ مَكَانٍ كَذَا، كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَكَانَكَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ صَاحِبِكَ، تَقُولُ: دَعَوْتُ زَيْدًا مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ فَنَزَلَ عَلَيَّ، وَدَعَوْتُهُ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي فَطَلَعَ إِلَيَّ. فَإِنْ قُلْتَ: بِمِ تَعَلَّقَ ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أَبَالْفِعْلِ أَمْ بِالْمَصْدَرِ؟ قُلْتَ: هَيْهَاتَ، إِذَا جَاءَ نَهْرٌ اللَّهُ بَطَلَ نَهْرٌ مَعْقِلٌ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ إِذَا وَإِذَا؟ قُلْتَ: الْأَوَّلَى لِلشَّرْطِ، وَالثَّانِيَةُ لِلْمُفَاجَأَةِ، وَهِيَ تَنْوُبُ مَنَابِ الْفَاءِ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ. وَقُرِئَ (تُخْرَجُونَ) بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِهَا، ﴿فَنَنْوُونَ﴾ مُنْقَادُونَ لِيُوجِدَ أَفْعَالِهِ فِيهِمْ لَا يَمْتَنِعُونَ عَلَيْهِ.

[﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٧]

قوله: (دَعَوْتُ كَلَيْبًا) البيت<sup>(١)</sup>، قوله: «دَعَوْتُ بِهِ»، أي: بِكَلَيْبِ، وَهُوَ مِنَ التَّجْرِيدِ، جُرِّدَ مِنْهُ شَيْءٌ يُسَمَّى بِابْنِ الطَّوْدِ، وَهُوَ نَفْسُهُ.

قوله: (تَدَهَّدَى) أصله: تَدَهَّدَه، أَبَدَلتِ الْهَاءَ يَاءً، كَمَا فِي تَطَنَّنَيْتُ، أَصْلُهُ: تَطَنَّنْتُ.

قوله: (هَيْهَاتَ) وَهُوَ اسْمُ فِعْلٍ فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ إِلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ الْمُتَقَدِّمُ؛ أَي: بَعْدَ تَعَلُّقِهِ بِالْمَصْدَرِ مَعَ وَجُودِ الْفِعْلِ.

قوله: (بَطَلَ نَهْرٌ مَعْقِلٌ)، الْاِسْتِعَابُ: هُوَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارِ الْمُرْنِيِّ، سَكَنَ الْبَصْرَةَ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ نَهْرُ مَعْقِلِ الَّذِي بِالْبَصْرَةِ، شَهِدَ بَيْعَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَتُوفِيَ بِالْبَصْرَةِ فِي آخِرِ خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ<sup>(٢)</sup>.

(١) لم أهد إلى قائله.

(٢) «الاستيعاب» (٣: ١٤٣٣).

﴿وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم؛ لأن من أعاد منكم صنعة شيء؛ كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها، وتعتذرون للصانع إذا حطى في بعض ما ينشئه بقولكم: أول الغزو أخرج، وتُسْمُون الماهر في

قوله: (﴿وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم) وتحقيقه أن الإنسان الضعيف العاجز الذي لا يطيق حمل معاني الحكمة الإلهية والأسرار الربوبية، إذ لو كوشفوا ببعضها لاضمحلَّت قواهم وتلاشت عقولهم. والله ذو الإمام حجة الإسلام وقوله في «الإحياء»: لا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة، كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس، ولكنهم ينالون منها ما تحبى به أبصارهم، ويستدلون به على حوائجهم فقط<sup>(١)</sup>.

وقد تأتق بعضهم في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني كلام الله المجيد مع علو درجته إلى فهم الإنسان مع قُصور رُتبته، وضرب له مثلاً ولم يُقصر فيه، قال: إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقديمها وتأخيرها، ورأوا الدواب تقصر عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وترتيبها، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى مواطنها بأصوات يضعونها لاثقة بها من النفير والصفير والأصوات القريبة من أصواتهم، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم التي تُطبق حملها، وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله المجيد بكنهه وكمال صفاته، فصاروا بها تراجعوا بينهم من الأصوات، ولا يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات.

قوله: (أول الغزو أخرج)، يعني: أن صاحبه غر لم يضطل بناه، ويضرب لمن ابتداً أمراً وهو لا يتخذه. قال الميداني: قال أبو عبيد<sup>(٢)</sup>: يضرب في قلة التجارب. قال الشاعر:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فِتْيَةً      تسعى بزيتها لكل جهول  
حتى إذا استعرت وشبَّ ضرامها      عادت عجوزاً غير ذات حليل<sup>(٣)</sup>

(١) «إحياء علوم الدين» (١: ٢٨١).

(٢) في النسخ الخطية: «عبيدة». والصواب ما أثبتناه. وهو على الجادة في «مجمع الأمثال».

(٣) «مجمع الأمثال» (١: ٤٠) وقد اختلف في قائل البيتين، فقيل: لامرئ القيس، وقيل: لعمر بن =

صِنَاعَتِهِ مُعَاوِدًا، تَعْنُونَ أَنَّهُ عَاوَدَهَا كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى؛ حَتَّى مَرَّنَ عَلَيْهَا وَهَانَتْ عَلَيْهِ. فَإِنَّ قُلْتَ: لِمَ ذُكِرَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾، وَالْمُرَادُ بِهِ الإِعَادَةُ؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ: وَأَنْ يُعِيدَهُ أَهْوَتْ عَلَيْهِ. فَإِنَّ قُلْتَ: لِمَ أُخْرِتِ الصَّلَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ وَقُدِّمَتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٢١]؟ قُلْتَ: هُنَالِكَ قُصِدَ الإِخْتِصَاصُ وَهُوَ مَحْزُهُ، فَقِيلَ: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ، وَإِنْ كَانَ مُسْتَصْعِبًا عِنْدَكُمْ أَنْ يُوَلَّدَ بَيْنَ هِمٍّ وَعَاقِرٍ؛ وَأَمَّا هَاهُنَا فَلَا مَعْنَى لِلإِخْتِصَاصِ، كَيْفَ وَالأَمْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا يَعْقِلُونَ مِنْ أَنَّ الإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الإِبْتِدَاءِ؛ فَلَوْ قُدِّمَتِ الصَّلَةُ لَتَغَيَّرَ الْمَعْنَى. فَإِنَّ قُلْتَ: مَا بَالُ الإِعَادَةِ اسْتُعْظِمَتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ حَتَّى كَاتَبَهَا فَضَلَّتْ عَلَى قِيَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِأَمْرِهِ،

قوله: ووصف الغزو بالخرق؛ لخرق الناس فيه كما قيل: ليل نائم.

قوله: (مُسْتَصْعِبًا) صح بكسر العين؛ لأنه لازم، الجوهري: اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ الأَمْرُ؛ أَي: صَعِبَ.

قوله: (بَيْنَ هِمٍّ وَعَاقِرٍ)، النهاية: الهِمُّ بالكسر: الكبير الفاني.

قوله: (وَأَمَّا هَاهُنَا فَلَا مَعْنَى لِلإِخْتِصَاصِ)، يعني: اقتضى مَقَامُ خَرَقٍ<sup>(١)</sup> العادة هناك التَّقْدِيمَ كَأَنَّ العادة تَأْبَى أَنْ يَحْضَلَ الْوَلَدُ<sup>(٢)</sup> بَيْنَ الْهِمِّ وَالْعَاقِرِ لِمَا جُرِّبَ وَعُلِمَ بِالاسْتِقْرَاءِ، فَقِيلَ: أَنَا الْقَادِرُ وَحَدِي أَنْ أَخْرَقَ الْعَادَةَ دُونَ غَيْرِي، وَهَاهُنَا الْعَادَةُ حَاكِمَةٌ قَاطِعَةٌ بِأَنَّ مَنْ أَعَادَ صَنْعَةً شَيْءٌ كَانَتْ أَسْهَلُ عَلَيْهِ وَأَهْوَنَ مِنْ إِنْشَائِهَا، لَكِنِ الدُّهْرِيُّ الْمَخْذُولُ يُنْكَرُ فَعَلَهُ، فَجِيءَ بِالْجُمْلَةِ الْمَفِيدَةِ لِتَقْوِي الْحُكْمِ عَلَى مَجْرَى الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ.

قوله: (مَا بَالُ الإِعَادَةِ اسْتُعْظِمَتْ)، يعني: عطف قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ على قوله: ﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ﴾ بحرف التَّرَاخِي فِي الرُّتْبَةِ، فَأَفَادَ عِظْمَةَ الثَّانِي، فَإِنَّ الأَوَّلَ أَدْوَنُ حَالًا

= معدي كرب. انظر: «الحماسة البصرية» (١: ٨).

(١) في (ح): «فوق»، وليس بصواب.

(٢) سقط لفظ «الولد» من (ح).

ثُمَّ هَوَّنَتْ بَعْدَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: الإِعَادَةُ فِي نَفْسِهَا عَظِيمَةٌ، وَلَكِنَّهَا هَوَّنَتْ بِالْقِيَاسِ إِلَى الإِنْشَاءِ. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿عَلَيْهِ﴾ لِلخَلْقِ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ البَعَثَ أَهْوَنُ عَلَى الخَلْقِ مِنَ الإِنْشَاءِ، لِأَنَّ تَكْوِينَهُ فِي حُدِّ الاسْتِحْكَامِ وَالتَّمَامِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَأَقْلُّ تَعَبًا وَكِبَدًا، مِنْ

منه. ثُمَّ قِيلَ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فَفُهِمَ مِنْهُ أَنَّهُ أَدْوَنُ مِنْهُ، وَأَجَابَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اعْتِبَارَ التَّعْظِيمِ فِي الأَوَّلِ لِكُونِ الإِعَادَةِ فِي نَفْسِهَا عَظِيمَةً؛ لِأَنَّهَا الغَايَةُ فِي الإِيجَادِ وَالمَقْصُودُ<sup>(١)</sup> فِي الإِنْشَاءِ، وَبِهَا يَسْتَقَرُّ كُلُّ مِنَ السُّعْدَاءِ<sup>(٢)</sup> وَالأَشْقِيَاءِ فِي دَرَجَاتِهِمْ وَدَرَكَاتِهِمْ، وَاعْتِبَارُ الأَهْوَنِ بِحَسَبِ الإِيجَادِ وَالقَصْدِ فِي الخَلْقِ.

وبهذا التقرير يُتَخَلَّصُ مِنْ إِشْكَالِ صَاحِبِ «الانتصاف» حَيْثُ قَالَ: ﴿ثُمَّ﴾ عَلَى بَابِهَا فِي تَرَاحِيهِ الزَّمَانِ أَوْ يُسَلَّمُ تَرَاحِيهِ المَرَاتِبِ عَلَى أَنَّ مَرْتَبَةَ المَعْطُوفِ عَلَيْهِ العَلِيَا، وَمَرْتَبَةَ المَعْطُوفِ هِيَ الدُّنْيَا تَأْكِيدًا فِي مَجِيئِهَا، فَإِنَّ المَعْطُوفَ بِهَا فِي أَكْثَرِ المَوَاضِعِ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنَ المَعْطُوفِ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقُلْتُ: وَيَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ ﴿ثُمَّ﴾ عَلَى مَجْرَدِ البُعْدِ مَجَازًا، فَيُعْتَبَرُ التَرَاحِي فِي الزَّمَانِ وَالمَرْتَبَةِ مَعًا.

قَوْلُهُ: (لِأَنَّ تَكْوِينَهُ فِي حُدِّ الاسْتِحْكَامِ وَالتَّمَامِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَأَقْلُّ تَعَبًا وَكِبَدًا<sup>(٤)</sup>)، يَعْنِي: بِالنِّسْبَةِ إِلَى الخَلْقِ.

قَالَ الإِمَامُ: لِأَنَّ فِي البَدَنِ يَكُونُ عَلَقَةً، ثُمَّ مَضْغَةً، ثُمَّ لَحْمًا، ثُمَّ عَظْمًا، ثُمَّ يُخْلَقُ بَشَرًا، ثُمَّ يُخْرَجُ طِفْلًا، ثُمَّ يَتَرَعَّرُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَصْعَبُ عَلَيْهِ كُلُّ ذَلِكَ. وَأَمَّا فِي الإِعَادَةِ فَيَخْرُجُ بَشَرًا سَوِيًّا بِكُنْ فَيَكُونُ، فَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ط): «والمقصودة».

(٢) فِي (ط): «البعداء».

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٧٦).

(٤) فِي (ف): «وكذا»، وكلاهما جَيِّدٌ مُتَّجِهٌ.

(٥) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١٠٢).

أن يتنقل في أحوالٍ ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحدّ. وقيل: الأهونُ بمعنى: الهين. ووجهٌ آخر: وهو أنّ الإنشاء من قبيل التفضّل الذي يتخيّر فيه الفاعل بين أن يفعلهُ وأن لا يفعلهُ، والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بدُّ له من فعله، لأنّها لجزءٍ الأعمال، وجزاؤها واجب، والأفعال: إمّا محال، والمحال ممتنعٌ أصلاً خارجٌ عن المقدور، وإمّا ما يصرفُ الحكيمَ عن فعله صارفٌ وهو القبيح، وهو رديفُ المحال؛ لأنّ الصارف يمنعُ وجودَ الفعل كما تمنعه الإحالة. وإمّا تفضّل والتفضّل حالةٌ بينَ بين؛ للفاعل أن يفعلهُ وأن لا يفعلهُ. وإمّا واجبٌ لا بدُّ من فعله، ولا سبيلٌ إلى الإخلالِ به، وكان

قوله: (وقيل: الأهونُ بمعنى: الهين) روى الزّجاج عن أبي عبيدة وكثيرٍ من أهل اللغة: أنّ ﴿أهونٌ﴾ هاهنا ليس معناه: أنّ الإعادة أهونٌ عليه من الابتداء؛ لأنها سهل عليه، ومثله في قوله:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجِلُّ  
عَلَى آيَاتِنَا تَعْدُو السَّمِيئَةُ أَوَّلُ

أي: لَوَجِلُّ. وقالوا: الله أكبر، أي كبير<sup>(١)</sup>.

قوله: (لأنّها لجزءٍ الأعمال، وجزاؤها واجبٌ)، قال صاحب «التقريب»: وفيه نظر؛ لأنّه مبنيٌّ على الوجوب العقليّ، ولأنّ الوجوب إن كان في الذات نأى القُدرة كالامتناع، وإلا كان ممكنًا، فتساوى النقيضان<sup>(٢)</sup>؛ لاشتراكهما في مصحح المقدوريّة، وهو الإمكان.

وقال صاحب «الانتصاف»: هذا على أصولهم أيضًا غير مستقيم، فإن مقتضاها وجوبُ الإنشاء إذ لولا مصلحة اقتضت الإنشاء لما وقع، وتلك المصلحة تُوجبُ متعلّقاتها، فوضّح أنّ الرّخشيّ لا إلى السّنة ترقى ولا على مذهب الاعتزالِ بقي<sup>(٣)</sup>.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٨٣). والبيت المذكور لمعن بن أوس المزني. انظر: «الكامل» للمبرّد (٢: ١٥٧).

(٢) في (ط): «التفضل».

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٧٧).

الواجبُ أبعدَ الأفعالِ من الامتناعِ وأقربها من الحُصُولِ. فلما كانتِ الإعادةُ من قبيلِ الواجبِ، كانتِ أبعدَ الأفعالِ من الامتناعِ. وإذا كانتِ أبعدَها من الامتناعِ، كانتِ أدخلها في التَّأْيِ والتَّسْهَلِ، فكانتِ أهونَ منها. وإذا كانتِ أهونَ منها كانتِ أهونَ من الإنشاءِ، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الوصفُ الأعلى الذي ليسَ لغيره مثلهُ قد عُرِفَ به ووُصِفَ في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ على ألسِنَةِ الخَلَائِقِ وألسِنَةِ الدَّلَائِلِ، وهو أنه القادرُ الذي لا يَعْجُزُ عن شيءٍ من إنشَاءٍ وإعادةٍ وغيرهما من المَقْدُورَاتِ، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: القاهرُ لِكُلِّ مَقْدُورٍ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يُجْرِي كُلَّ فِعْلٍ على قَضَايَا حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ. وعن مُجَاهِدٍ ﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، ومعناه: وله الوصفُ الأعلى الذي هو الوصفُ بالوَحْدَانِيَّةِ. ويعضدهُ قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، وقال الزَّجَّاجُ: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قد ضَرَبَهُ لَكُمْ مَثَلًا فِيمَا يَصْعَبُ وَيَسْهَلُ. يُريدُ: التَّفْسِيرَ الْأَوَّلَ.

قوله: (ويعضدهُ قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾)؛ لأنَّ الكلامَ فيه لِنَفْيِ الشَّرِيكِ وإثباتِ التَّوْحِيدِ، وتلخيصُ معناه يعودُ إلى معنى كلمةِ التَّوْحِيدِ، فَصَحَّ أن يُسَمَّى القَوْلُ بكلمةِ التَّوْحِيدِ بـ ﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ للعهدِ، وأن قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: معناه كالمثلِ المشهورِ بين الناسِ، أي: المسلمين منهم في كلِّ زمانٍ، نحو الأمثالِ المضروبةِ عند العرب<sup>(١)</sup>، ويقرَّبُ منه قول المصنِّف: «أي: الوصفُ الأعلى الذي ليسَ لغيره مثلهُ قد عُرِفَ به ووُصِفَ في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ» إلى آخره، لكن الزَّجَّاجُ أجرى المَثَلَ كالقولِ السَّائِرِ على حقيقته وجعله المصنِّفُ مجازاً عن الوصفِ العجيبِ الشَّانِ ليشمَلَ القولَ وغيره، ولذلك قال: «على ألسِنَةِ الخَلَائِقِ وألسِنَةِ الدَّلَائِلِ»، وخصَّ قَوْلَ الزَّجَّاجِ بالقولِ.

قوله: (يُريدُ التَّفْسِيرَ الْأَوَّلَ)، أي: لقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وهو أن يكون الضَّمِيرُ-

(١) لم أجده في مغلطته من «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجَّاجِ.

[ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ]

فإن قلت: أي فرق بين ﴿مَنْ﴾ الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، ﴿مَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، ﴿مَنْ شُرَكَاءَ﴾؟ قلت: الأولى للابتداء، كأنه قال: أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يُبعد، والثانية للتبعية، والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. ومعناه: هل ترضون لأنفسكم؛ وعبيدكم أمثالكم بشرٌ كبشرٍ وعبيدٌ كعبيد، أن يُشارِككم بعضهم ﴿فِي مَا رَزَقْنَكُمْ﴾ من الأموال وغيرها، ما تكونون أنتم وهم فيه على السواء، من غير تفضيلة بين حرٍّ وعبد: تهابون أن تستبدوا بتصرفٍ دونهم، وأن تفتاتوا بتدبيرٍ عليهم كما يهابُ بعضكم بعضاً من الأحرار، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم، فكيف

في ﴿عَلَيْهِ﴾ - لله؛ أي: ضرب الله قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ مثلاً فيما يصعب ويسهل عندكم، وينقاس على أصولكم، لا التفسير الثاني، وهو أن يرجع الضمير إلى الخلق.

قوله: (أن يُشارِككم بعضهم) مفعول «ترضون»، و«عبيدكم أمثالكم» حال من فاعله.

قوله: (تكونون أنتم وهم فيه على السواء) والجملة بيان: «أن يُشارِككم».

قوله: (تهابون أن تستبدوا) تفسير لقوله: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

وقال أبو البقاء: ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ في موضع الحال من ضمير الفاعل في ﴿سَوَاءٌ﴾؛ أي: فتساووا خائفاً بعضكم بعضاً مشاركته له في المال، أي: إذا لم ترضوا أن يُشارِككم عبيدكم في المال، فكيف تشركون في عبادة الله من هو مصنوعٌ لله تعالى؟<sup>(١)</sup>

قوله: (وأن تفتاتوا بتدبيرٍ عليهم)، الأساس: فاتني بكذا: سبقني به وذهب به عني،

(١) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤٠).



تَرْضُونَ لِرَبِّ الأربابِ ومالكِ الأحرارِ والعبيدِ أن تجعلوا بعضَ عبيده له شركاء؟  
**﴿كَذَلِكَ﴾** أي: مثل هذا التفصيلِ **﴿فَفَصَّلُ الأَياتِ﴾** أي: نبيئها؛ لأنَّ التَّمثِيلَ  
 مما يَكشِفُ المعاني ويوضِّحها؛ لأنه بمنزلةِ التَّصويرِ والتَّشكيلِ لها. ألا ترى كيف صَوَّرَ  
 الشُّركَ بالصُّورةِ المُشوِّهة؟

وافتات فلانٌ عليكم برأيه: سبقكم به ولم يُساوِركم<sup>(١)</sup>، وفلانٌ لا يُفات عليك، ولا يُفتاتُ  
 عليه؛ أي: لا يُستبدُّ برأيِ دونه.

النهاية: قال عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي بكرٍ: «أمثلي يُفتاتُ عليه في بناتِهِ»، فهو أفتتعل من الفواتِ:  
 السبق، يُقال لكلُّ من أحدث شيئاً في أمرِك: دُونك، قد افتات عليك فيه.

قوله: (ألا ترى كيف صَوَّرَ الشُّركَ بالصُّورةِ المُشوِّهة)؛ أي: القبيحة. يريد أن الغرض  
 من ذكْر التَّمثِيلِ تقبيحُ شأنِ الشُّركِ وإبرازُه في ذهن السَّامعِ بصُورةٍ يَشْمِزُّ منها، وذلك بأن  
 يتصوَّرُ حالةَ سيِّدٍ له رقيقٌ مستبدُّ متصرفٌ في أمواله تصرَّفَ الشُّركاءِ من غيرِ تَفْصِيلَةٍ، بحيث  
 إن أراد السيِّدُ التَّصرفَ هابَ منه.

ولما كان ضربُ الأمثالِ لإذناء المتوهَّم إلى المعقول وإرادة المتخيَّل في صورة المحقِّق،  
 أتى في هذه الفاصلة بقوله: **﴿كَذَلِكَ نَفَصَّلُ الأَياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**، وكذلك في  
 الآية السابقة: **﴿وَمِنْ آيَاتِنَا يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ  
 الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**؛ لأن ذلك تمثيل لإحياء النَّاسِ وإنشازِ الموتى.

وأما الفاصلةُ بقوله: **﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾** لقوله: **﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ  
 أزْوَاجاً لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾**؛ لأنَّ القصدَ في خَلْقِ الأزواجِ السُّكونَ إليها وإلقاءِ المحبةِ بينَ  
 الزَّوجينِ ليس لمجرد قضاء الشَّهوة التي يشترك فيها البهائمُ، بل لتكثير النِّسْلِ وبقاءِ نوعِ  
 المُتفكِّرين الذين يؤدِّبهم الفِكرُ إلى المعرفةِ والعبادة التي ما خلقت السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ إلَّا  
 لها، فناسَبَ ذلك التَّفكُّرُ.

وخصَّ قوله: **﴿مَنَّا مُكْرٌ﴾** بالليل، **﴿وَأَبْنِعَاؤُكُمْ﴾** بالنهار بالسمع؛ لأنَّ أكثرَ النَّاسِ

(١) في (ط): «يشارككم».

[﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ

تَنْصِيرِينَ﴾ ٢٩]

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

[لقمان: ١٣]، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: اتبعوا أهواءهم جاهلين؛ لأن العالم إذا ركب هواه ربها ردعه علمه وكفه. وأما الجاهل فيهيئ على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء، ﴿مَنْ أَضَلَّ

مُنْصِدِحُونَ<sup>(١)</sup> بالليل كالأموات ومرتدودون كالبهائم بالنهار، لا يدرون فيم هم ولم ذلك، لكن من ألقى السمع وهو شهيد يتنبه لواعظ الله ويصغي إليه؛ لأن مر الليلي وكر النهار يناديان بلسان الحال: «الرحيل الرحيل من دار الغرور إلى دار القرار»، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

وأما اختصاص قوله: ﴿وَأَخْلَقْنَا السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ بالعلم الذي هو يوجب تمييزاً؛ فلأن كل من له أدنى مسكة يميز بين مخلوق ومخلوق بالمنطق واللون، وكذا دلالة خلق السموات والأرض على وجود الصانع أظهر الأشياء وأبينها لا تخفى على كل من له تمييز، ولما فيه من العموم. وقرئ ﴿وَالْعَالَمِينَ﴾ بالفتح والكسر<sup>(٢)</sup>.

ثم جيء بعد آيات بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، وفصل بقوله: ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إيذاناً بأنه تعالى يفعل ذلك بمحض مشيئته، وبأن ليس الغنى بفعل العبد وجهده ولا العدم بعجزه وتقاعده، ولا يعرف ذلك إلا من آمن بأن ذلك تقدير العزيز العليم كما قال:

كم من أديبٍ فهم قلبه      مستكمل العقل مؤلٍ عديم  
ومن جهولٍ مكثرت ماله      ذلك تقدير العزيز العليم<sup>(٣)</sup>

(١) من السدح، وهو الانبطاح والاستلقاء مفرجاً رجليه.

(٢) وقد سبق توجيهه في تفسير الآية ٢٢ من هذه السورة.

(٣) لم أهد إلى قائل البيتين.

اللَّهُ ﴿ وَمَنْ خَذَلَهُ وَلَمْ يَلْطَفْ بِهِ، لِعَلِمِهِ أَنَّهُ مَنَّ لَا لُطْفَ لَهُ، فَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى هِدَايَةِ مِثْلِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصْرِينَ ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِضْلَالِ الْخِذْلَانَ.

[ ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَدِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَأَنْقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ مِنَ الَّذِينَ فَتَرُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلَّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ٣٠-٣٢ ]

﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ فَقَوْمٌ وَجْهَكَ لَهُ وَعَدْلُهُ، غَيْرٌ مُلْتَفِتٍ عَنْهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَهُوَ تَمَثُّلٌ لِإِقْبَالِهِ عَلَى الدِّينِ، وَاسْتِقَامَتِهِ عَلَيْهِ، وَثِبَاتِهِ، وَاهْتِمَامِهِ بِأَسْبَابِهِ، فَإِنَّ مَنْ اهْتَمَّ

قَوْلُهُ: ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصْرِينَ ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِضْلَالِ: الْخِذْلَانَ كَأَنَّهُ قِيلَ: مَنْ يَنْصُرُ مَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ وَمَنَعَ الْإِلْطَافَ عَنْهُ، وَالْحَالُ أَنَّهُ لَا نَاصِرَ لَهُ.

وَقُلْتُ: لَيْسَ الْكَلَامُ فِي النُّصْرَةِ وَالْخِذْلَانِ، بَلْ فِي الْهِدَايَةِ وَالضَّلَالِ ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصْرِينَ ﴾ كَالْتَمِيمِ لِمَعْنَى إِرَادَةِ الْإِضْلَالِ وَالْمَنَعِ مِنَ الْهِدَايَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى عَقِيبَ مَا عَدَّدَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالشَّوَاهِدَ الدَّالَّةَ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَنَفْيِ الشَّرِكِ وَإِثْبَاتِ الْقَوْلِ بِالْمَعَادِ وَضَرْبِ الْمَثَلِ، وَفَصَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

أَرَادَ أَنْ يُسَلِّيَ حَبِيبَهُ ﷺ وَيُوطِّنَهُ عَلَى الْيَأْسِ مِنْ إِيْمَانِهِمْ، فَأَضْرَبَ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ وَجَعَلَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى مَا أَرَادَ هِدَايَتَهُمْ وَأَنَّهُ مَخْتومٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَلِذَلِكَ رَتَّبَ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ: ﴿ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾ عَلَى التَّقْرِيعِ وَالْإِنْكَارِ، ثُمَّ ذَيَّلَ الْكُلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصْرِينَ ﴾ يَعْنِي: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُمْ ذَلِكَ لَا مَخْلَصَ لَهُمْ مِنْهُ، وَلَا أَحَدٌ يُنْقِذُهُمْ لِأَنَّكَ لَا غَيْرَكَ، فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ، فَاهْتَمَّ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَمَنْ تَبِعَكَ، وَأَقَمَ وَجْهَكَ مَعَهُمُ لِلدِّينِ حَنِيفًا.

قَوْلُهُ: ﴿ فَقَوْمٌ وَجْهَكَ لَهُ وَعَدْلُهُ ﴾، الْأَسَاسُ: وَقَوْمَ الْعُودَ وَأَقَامَهُ، فَقَامَ وَاسْتَقَامَ وَتَقَوَّمَ، وَرُمِحَ قَوْمًا.

بِالشَّيْءِ عَقَدَ عَلَيْهِ طَرْفَهُ، وَسَدَّدَ إِلَيْهِ نَظْرَهُ، وَقَوْمٌ لَهُ وَجْهَهُ، مُقْبِلًا بِهِ عَلَيْهِ. ﴿وَحَنِيفًا﴾  
حَالٌ مِنَ الْمَأْمُورِ، أَوْ مِنَ الدِّينِ ﴿فِطَرَتِ اللَّهِ﴾ أَي: الزُّمُوفِطْرَةَ اللَّهِ. أَوْ عَلَيْكُمْ فِطْرَةَ اللَّهِ.  
وَإِنَّمَا أَضْمَرْتَهُ عَلَى خِطَابِ الْجَمَاعَةِ لِقَوْلِهِ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ وَمُنِيبِينَ: حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ  
فِي: الزُّمُوفِطْرَةَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْفُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا﴾ مَعطُوفٌ عَلَى هَذَا الْمَضْمَرِ.  
وَالْفِطْرَةَ: الْخِلْقَةَ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا بُدَّ لِي لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ خَلَقَهُمْ قَابِلِينَ

قَوْلُهُ: (أَي: الزُّمُوفِطْرَةَ اللَّهِ، أَوْ عَلَيْكُمْ فِطْرَةَ اللَّهِ) قَالَ مَكِّي: ﴿فِطَرَتِ اللَّهِ﴾ نَصَبَ  
بِإِضْمَارِ فِعْلٍ؛ أَي: «اتَّبِعْ فِطْرَةَ اللَّهِ»، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ:  
«اتَّبِعِ الدِّينَ»، وَقِيلَ: ﴿فِطَرَتِ اللَّهِ﴾ انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ دَلَّ عَلَى فِطْرِ اللَّهِ  
[الْخَلْقِ] فِطْرَةَ<sup>(١)</sup>. وَالتَّقْدِيرُ الْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى تَأْلِيفِ النَّظْمِ؛ لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ: ﴿بَلِ اتَّبَعَ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، وَلِتَرْتُيبِ قَوْلِهِ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ عَلَيْهِ بِالْفَاءِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ فَهُوَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿أَقِمْ﴾، وَإِنَّمَا جُمِعَ لِأَنَّهُ مُرَدُّ  
عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْخِطَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ هُوَ خِطَابٌ لِأُمَّتِهِ؛ أَي: أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: أَي: «أَقِمْ وَجْهَكَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ»<sup>(٢)</sup>؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتِ  
وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هُود: ١١٢] فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿مُنِيبِينَ﴾.

وَفِي «الْمُرْشِدِ»: أَنَّ ﴿مُنِيبِينَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمُضْمَرٍ، أَي: كُونُوا مُنِيبِينَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: كُونُوا مُنِيبِينَ وَلَا تَكُونُوا مُشْرِكِينَ وَقَالَ: هَذَا حَسَنٌ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا بُدَّ لِي لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾) يَعْنِي دَلَّ قَوْلُهُ: ﴿لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾ عَلَى أَنَّ  
مَعْنَى فِطْرَةَ اللَّهِ: الْخَلْقُ، وَأَنَّهُ مِنْ إِقَامَةِ الْمُظْهَرِ مَوْضِعِ الْمُضْمَرِ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ السَّابِقِ، وَفَائِدَتُهُ

(١) فِي (ح) وَ(ف): «دَلَّ عَلَى فِطْرَةَ اللَّهِ»، وَفِي (ط): «دَلَّ عَلَى فِطْرَةَ اللَّهِ فِطْرَةَ»، وَالمُنْتَبِتُ مِنْ «مَشْكَلِ إِعْرَابِ  
الْقُرْآنِ» (٢: ٥٦١).

(٢) «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفَرَّاءِ (٢: ٣٢٥).

(٣) وَهُوَ الَّذِي مَشَى عَلَيْهِ الْأَشْمُونِي فِي «مَنَارِ الْهُدَى فِي بَيَانِ الرَّوقِ وَالْإِبْتِدَاءِ» ص ٦٠٠.

للتَّوْحِيدِ وَدِينِ الْإِسْلَامِ، غَيْرَ نَائِبِينَ عَنْهُ وَلَا مُنْكَرِينَ لَهُ، لَكُونَهُ مُجَاوِبًا لِلْعَقْلِ، مُسَاوِقًا لِلنَّظَرِ الصَّحِيحِ، حَتَّى لَوْ تَرَكُوا لَمَا اخْتَارُوا عَلَيْهِ دِينًا آخَرَ، وَمَنْ غَوَى مِنْهُمْ فَبِإِغْوَاءِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «كُلُّ عِبَادِي خُلِقَتْ حُنْفَاءً فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ

الإشعارُ بأنَّ أصلَ الجِلْبَةِ السَّليمةِ المتهيئةِ لقبولِ الحقِّ أن لا تُغَيَّرَ ولا تُتْرَكَ لِمْحَضِ التَّقْلِيدِ، فَإِنَّهُ مُجَاوِبٌ<sup>(١)</sup> لِلْعَقْلِ.

هذا معنى ما روينا عن البخاريِّ ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَيُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»<sup>(٢)</sup>. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ».

الجمعاء<sup>(٣)</sup>: التي لم يذهب من بدنها شيءٌ. والجذعاء: المقطوعةُ الأذنِ والأنفِ أو الشَّفةِ أو اليدِ، ونحو ذلك. والمعنى: أن المولودَ يُولدُ على نوعٍ مِنَ الْجِلْبَةِ، وَكَوْنِهِ متهيئًا لقبولِ الْحَقِّ<sup>(٤)</sup> طبعًا لو خَلَّتْ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا أَنَّ الْبَهِيمَةَ تُولَدُ سَوِيَّةَ الْأَطْرَافِ، لَوْلَا النَّاسُ وَتَعَرَّضَهُمْ إِلَيْهَا لَبَيَّتْ كَمَا وُلِدَتْ سَلِيمَةً.

قوله: (مساوقًا للنظر)، الأساس: هو يساوقه ويُقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت.

قوله: (كُلُّ عِبَادِي خُلِقَتْ حُنْفَاءً) هذا حديث طويلٌ رواه عياضُ بنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِيهِ: «إِنِّي خُلِقْتُ عِبَادِي حُنْفَاءً كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ح): «محارب».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ف): «جمعاء».

(٤) في (ط): «الحقيقة».

(٥) «صحيح مسلم» (٢٨٦٥).

عن دينهم، وأمرؤهم أن يُشركوا بي غيري» وقوله عَلَيْهِ السَّلَام: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبُوهُ هُمَا اللَّذَانِ يَهُودَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ»، ﴿لَا بُدَّيْلَ لِمَخْلُقِ اللَّهِ﴾ أي: ما يَنْبَغِي أَنْ تُبَدَّلَ تِلْكَ الْفِطْرَةُ أَوْ تُغَيَّرَ. فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ وَحَدَّ الْخِطَابِ أَوَّلًا، ثُمَّ جَمَعَ؟ قُلْتَ: حُوطِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلًا، وَخِطَابُ الرَّسُولِ خِطَابٌ لِأُمَّتِهِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّعْظِيمِ لِلْإِمَامِ، ثُمَّ جَمَعَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْبَيَانِ وَالتَّلْخِيصِ، ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بَدَلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، (فَارْقُوا دِينَهُمْ) تَرَكُوا دِينَ الْإِسْلَامِ. وَقُرِي: ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ بِالتَّشْدِيدِ، أَي: جَعَلُوهُ أَدْيَانًا مُخْتَلِفَةً لِاخْتِلَافِ أَهْوَائِهِمْ ﴿وَكَانُوا شِيْعًا﴾ فِرْقًا، كُلُّ وَاحِدَةٍ تُشَايِعُ إِمَامَهَا الَّذِي أَصْلَهَا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ مِنْهُمْ فَرِحَ بِمَذْهَبِهِ مَسْرُورٌ، يَحْسَبُ بَاطِلَهُ حَقًّا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ مُنْقَطِعًا مِمَّا قَبْلَهُ، وَمَعْنَاهُ: مِنَ الْمُفَارِقِينَ دِينَهُمْ كُلِّ حِزْبٍ فَرِحِينَ

اجتالتهُم: استخفتهُم، فجألوا معهم، يُقال للقوم إذا تركوا القصدَ والهدى: اجتالتهُم الشَّيَاطِينُ؛ أَي: جألوا معهم في الضَّلالة.

قوله: (وقري: ﴿فَرَّقُوا﴾)، حمزة والكسائي: «فارقوا»، والباقون: ﴿فَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: (ويجوز أن يكون ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ منقطعًا مما قبله) أي: لم يكن بدلًا من المشركين بإعادة الجاز، ويكون خبرًا، والمبتدأ: ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾، و«فرحون بما لديهم» وصفه؛ فعلى هذا الآية عامَّةٌ.

روى الواحدي عن مقاتل: كلُّ أهل مكة بما عندهم من الدين راضون<sup>(٢)</sup>.

وسبيل الآية مع قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ الآية، سبيل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ لأن وزان الآية الآخرة وزان قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

(١) قال مكِّي بن أبي طالب: فالقراءتان متقاربتان، لأن من فارق الإيَّان فقد بان منه. انظر: «الكشف عن

وجوه القراءات السبع» (١: ٤٥٨).

(٢) «الوسيط في التفسير» للواحدي (٣: ٤٣٤).

بما لديهم، ولكنه رُفِعَ ﴿فَرِحُونَ﴾ على الوصفِ لِكُلِّ، كقوله:

وَكُلُّ خَلِيلٍ غَيْرُ هَاضِمٍ نَفْسِهِ

[﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ \* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٣٣-٣٤]

الضَّرُّ: الشَّدَّةُ من هُزَالٍ أو مَرَضٍ أو قَحْطٍ أو غَيْرِ ذَلِكَ. وَالرَّحْمَةُ: الْخِلَاصُ من

روينا عن الترمذي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» قالوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»<sup>(١)</sup>.

وعلى الوجه الأول: الآية خاصة، ومن ثمَّ جاء بضمير المشركين في قوله: «كُلُّ حَزْبٍ

منهم».

قوله: (ولكنه رفع ﴿فَرِحُونَ﴾) قيل: يعني: كان من حق الظاهر أن يجزَّ ﴿فَرِحُونَ﴾؛ لكونه صفة ﴿حَزْبٍ﴾؛ لأنَّ الصِّفَةَ في الأعداد وما هو من قبيلها ينبغي أن تكون للمضاف إليه؛ لقوله تعالى: ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٣]، ولكنه وصف هاهنا المضاف لبيِّن أنَّ الفرح شاملٌ للكُلِّ وهو أبلغ.

قوله: (وكلُّ خليلٍ غيرُ هاضِمٍ نفسه) تمامه:

لِوَصْلِ خَلِيلٍ صَارِمٌ أَوْ مُعَارِزٌ<sup>(٢)</sup>

«غَيْرُ هَاضِمٍ نَفْسِهِ» صفة لـ «كُلُّ خَلِيلٍ». «مُعَارِزٌ» أي: بجانب، بالراء والزاي بعده، يقول: كلُّ خليلٍ لا يكسِرُ نفسه ولا يحمل أذى صاحبه، فهو لا محالة مُصَارِمُهُ أو مُعَاتِبُهُ. وقيل: تمامه:

(١) سبق تحريجه.

(٢) للشاخب الذبياني في «ديوانه» ص ١٧٣ من زائته الشهيرة.

السُّدَّة. وَاللَّامُ فِي ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ مَجَازٌ مِثْلُهَا فِي ﴿لِيَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ [القصص: ٨].  
 ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ نَظِيرٌ ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] ﴿فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ﴾ وَبِالْ تَمَتَّعْتُمْ.  
 وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (وَلِيَتَمَتَّعُوا).

[﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ ٣٥]

السُّلْطَانُ: الْحُجَّةُ، وَتَكَلَّمُهُ: مَجَازٌ، كَمَا تَقُولُ: كِتَابُهُ نَاطِقٌ بِكَذَا، وَهَذَا مِمَّا نَطَقَ بِهِ  
 الْقُرْآنُ. وَمَعْنَاهُ الدَّلَالَةُ وَالشَّهَادَةُ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَهُوَ يَشْهَدُ بِشْرِكِهِمْ وَبِصِحَّتِهِ. وَ(مَا) فِي  
 ﴿بِمَا كَانُوا﴾ مَصْدَرِيَّةٌ أَيْ: بِكُونِهِمْ بِاللَّهِ يُشْرِكُونَ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَوْضُوعَةً وَيَرْجِعُ  
 الضَّمِيرُ إِلَيْهَا. وَمَعْنَاهُ: فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْأَمْرِ الَّذِي بِسَبَبِهِ يُشْرِكُونَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ  
 الْمَعْنَى: أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ، أَيْ: مَلَكًا مَعَهُ بُرْهَانٌ فَذَلِكَ الْمَلَكُ يَتَكَلَّمُ بِالْبُرْهَانِ  
 الَّذِي بِسَبَبِهِ يُشْرِكُونَ.

[﴿وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ

يَقْنَطُونَ﴾ ٣٦]

﴿وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ أَيْ: نِعْمَةً مِنْ مَطَرٍ أَوْ سَعَةٍ أَوْ صِحَّةٍ ﴿فَرِحُوا بِهَا وَإِن  
 تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أَيْ: بِلَاءٌ مِنْ جَذْبٍ أَوْ ضَيْقٍ أَوْ مَرَضٍ، وَالسَّبَبُ فِيهَا سُؤْمٌ مَعَاصِيهِمْ،  
 فَنَطُّوا مِنَ الرَّحْمَةِ.

فبالصد والإعراض عنه جدير<sup>(١)</sup>

قوله: (اللام في ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ مجاز؛ لأن المعنى: ثم أذاقهم منه رحمة ليشكروا ما  
 أولاهم من رحمة ولا يشركوا به شيئاً، فعكسوا وأشركوا ليكفروا. وتحويره: أنهم ما قصدوا  
 في اتِّخَاذِهِمْ شُرَكَاءَ كُفْرَانَ النُّعْمَةِ، بَلْ قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا لَهُمْ شَفَعَاءَ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى  
 الْكُفْرَانِ، كَمَا فِي قِصَّةِ<sup>(٢)</sup> مُوسَى وَفِرْعَوْنَ.

(١) لم أهد إلى قائله.

(٢) في (ح): «قضية»، وهو سائغ.



﴿أُولَٰئِكَ يَرْوَىٰ أَنَّ اللَّهَ يُبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٣٧]

ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض، فما لهم يقنطون من رحمته، وما لهم لا يرجعون إليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها، حتى يعيد إليهم رحمته.

﴿فَأَبَٰتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٣٨]

حق ذي القربى: صلة الرّحم. وحق المسكين وابن السبيل: نصيبهما من الصدقة المسماة لهما. وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب. وعند الشافعي رحمه الله: لا نفقة بالقرابة إلا

قوله: (وقد احتج أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين) قال القاضي: وهو غير مشعر به ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾؛ أي: أيهما ما وظف لهما من الزكاة، والخطاب للنبي ﷺ أو لمن بسط له، ولذلك رتب على ما قبله بالفاء<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام: لما بين الله تعالى أنه يبسط [الرزق]<sup>(٢)</sup> ويقدر، فلا ينبغي أن يتوقف الإنسان في الإحسان، فإن الله إذا بسط الرزق لا ينقص بالإنفاق، وإذا قدر لا يزداد بالإمساك<sup>(٣)</sup>.

وقلت: إنه تعالى لما حكى في جنس الناس أنهم إذا أذاهم منه رحمة فرحوا بها بطيرين أشيرين، وإن تُصنهم سيئة قنطوا من رحمة الله، أنكر عليهم ذلك، ونبّههم على أن تلك الإذاقة والإصابة من بسط الله الرزق وقبضه، وقال: فلا يكن منكم بطرٌ عند البسط بل

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٣٦).

(٢) زيادة من «مفاتيح الغيب».

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٠٩: ٢٥).

على الولد والوالدين: قاس سائر القربات على ابن العم؛ لأنه لا ولاء بينهم. فإن قلت: كيف تعلق قوله: ﴿فَاتِذَا الْقُرُوبُ﴾ بما قبله حتى جيء بالفاء؟ قلت: لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم، .....

اشكروا الله، وأنفقوا مما رزقكم الله في سبيله ووجهه، في الأقربين واليتامى والمساكين ليزيدكم من فضله، وتفوزوا بالفلاح عاجلاً وآجلاً، فلا يوجد منكم يأس أيضاً عند القبض، بل ارجعوا إلى الله مثنين؛ لأن ذلك من شؤم معاصيكم.

وإليه الإشارة بقوله: «لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك»، ولعل وجه استدلال أبي حنيفة رضي الله عنه أنه رتب الأمر بإيتاء ذي القربى على الوصف المناسب، وهو إصابة السيئة باجتراح المعاصي بعد أن ضم مع الإيتاء لفظة: ﴿حَقَّهُ﴾ فيكون للوجوب، وأيضاً علل إثبات الفلاح باسم الإشارة إلى ذلك الوصف، وهو إيتاء ذي القربى.

والشافعي رضي الله عنه رأى عطف ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ على ﴿ذَا الْقُرْبَى﴾ أمانة لاشتراكهم في وجوب الزكاة دون النفقة؛ لأن حكم المعطوفين في النفقة خارج بالاتفاق؛ لأن من استحق الزكاة سقطت نفقته.

قوله: (قاس سائر القربات على ابن العم)، قال صاحب «الهداية»<sup>(١)</sup>: النفقة لكل ذي رجم محرّم منه، ويُعلم منه أن من كان ذا رجم ولم يكن محرّماً كأولاد العم والخال، فلا تجب النفقة عليه؛ لأن الصلة في القرابة القريبة واجبة دون البعيدة<sup>(٢)</sup>.

وأما قول المصنف: «للمحارم إذا كانوا محتاجين» فمحمول على المحارم من النسب دون الرضاع والمصاهرة؛ لأن سياق الكلام في ذي القربى.

(١) يعني الإمام المرغيناني من أعيان الحنفية، وكتابه «الهداية» شرح به «البداية» من تصنيفه، وهو من الدواوين الفقهية المعتبرة عند الحنفية.

(٢) «الهداية شرح البداية» (٢: ٤٧).

أَتَّبِعُهُ ذِكْرَ مَا يَجِبُ أَنْ يُفْعَلَ، وَمَا يَجِبُ أَنْ يُتْرَكَ ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بوجهه: ذاته أو جهته وجانبه، أي: يَقْصِدُونَ بِمَعْرُوفِهِمْ إِيَّاهُ خَالِصًا وَحَقَّهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠] أو يَقْصِدُونَ جِهَةَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ لَا جِهَةً أُخْرَى، وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ، وَلَكِنَّ الطَّرِيقَةَ مُخْتَلِفَةً.

[﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبٍّ لِّيرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيئُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [٣٩]

قوله: (أَتَّبِعُهُ ذِكْرَ مَا يَجِبُ أَنْ يُفْعَلَ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُتْرَكَ) يعني: إذا تَقَرَّرَ أَنْ مَا يُصَيِّهِمْ مِنْ مَضَائِبِ دُنْيَوِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ بِسَبَبِ مَعَاصِيهِمْ، فَعَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنْ يَعْتَبِرَ الْعَاقِبَةَ وَيَتَحَرَّى إِيْتَاءَ مَعْرُوفِهِ فِي أَهْلِهِ وَمُسْتَحَقَّهُ، وَيَجْتَنِبُ إِيْتَاءَ مَا يَمْحَقُهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الرِّبَا وَالسُّخْطِ عَلَى صَاحِبِهِ فِي الْعُقُوبِ مِنَ الرِّبَا، وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْآيَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَانِ تَكَرُّرُ ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ فِيهَا، وَتَخْصِيصُ كُلِّ مِنَ الْآيَتَيْنِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ مَا قَبْلَهُ جَدِيدٌ بِمَا بَعْدَهُ لِأَجْلِ ذِكْرِ مُوجِبِهِ.

قوله: (أي: يَقْصِدُونَ بِمَعْرُوفِهِمْ إِيَّاهُ خَالِصًا وَحَقَّهُ) عَطْفٌ عَلَى إِيَّاهُ؛ نَحْوُ: أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَكَرَّمَهُ، وَقِيلَ: إِنَّمَا جَاءَ بِالضَّمِيرِ مَنْفَصِلًا لِمَا أَهَمَّهُ تَقْدِيمُ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، فَيَتَعَدَّى الْإِنْتِصَالَ. هَذَا عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يُرَادَ بِوَجْهِهِ ذَاتُهُ، فَيُقَيَّدُ الْإِخْتِصَاصُ وَالْإِخْلَاصُ<sup>(١)</sup>، وَيَقُولُ: «أَوْ يَقْصِدُونَ جِهَةَ التَّقَرُّبِ عَلَى أَنْ يُرَادَ بِوَجْهِهِ جِهَتُهُ وَجَانِبُهُ» فِيهِ نَشْرٌ لِمَا لَفَّ فِي قَوْلِهِ: «يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِوَجْهِهِ ذَاتُهُ أَوْ جِهَتُهُ»، أَوْ لِمَا<sup>(٢)</sup> فِي الثَّانِي مِنْ مَعْنَى الْكِنَايَةِ عَنِ الذَّاتِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى مُقَدَّسٌ عَنِ الْجَانِبِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا قَرَطْتُ فِي جَنِّبِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَرُ: ٥٦] وَرَجَعَ الْمَعْنَى إِلَى ذَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ مُرَاعَاةِ الْعِظْمَةِ، قَالَ: وَ«الْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ، وَلَكِنَّ الطَّرِيقَةَ مُخْتَلِفَةً».

(١) فِي (ف): «فَيُقَيَّدُ الْإِخْتِصَاصُ بِالْإِخْلَاصِ»، وَلَعَلَّ مَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ الْأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ.

(٢) فِي (ط): «وَمَا».

هذه الآية في معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]  
 سواءً بسواء، يُريد: وما أعطيتكم أكلة الربا ﴿مِن رِّبَا لِرَبِّوَا فِي﴾ أموالهم: ليزيد ويزكو  
 في أموالهم، فلا يزكو عند الله، ولا يُبارك فيه ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ أي: صدقة تبثون  
 به وجهه خالصاً، لا تطلبون به مكافأة ولا رياءً وسُمعة، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾  
 ذُوو الأضعافِ مِنَ الحَسَنَاتِ. ونظيرُ المُضْعِفِ: المُقْوِي والمُوسِر، لذي القُوَّةِ واليَسَارِ:  
 وَقُرِيءَ بِفَتْحِ العَيْنِ. وقيل نزلت في ثقيف، وكانوا يربون. وقيل: المرادُ أَنْ يَهَبَ الرَّجُلُ  
 لِلرَّجُلِ أو يُهْدِي له، لِيَعْوِضَهُ أَكْثَرَ مِمَّا وَهَبَ أو أَهْدَى، فَلَيْسَتْ تِلْكَ الزِّيَادَةُ بِحَرَامٍ،  
 وَلَكِنَّ المَعْوِضَ لا يُثَابُ على تِلْكَ الزِّيَادَةِ. وَقَالُوا: الرِّبَا رِبْوَانٌ: فَالحَرَامُ: كُلُّ قَرْضٍ  
 يُؤَخَذُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْهُ: أو يَجْرُ مُنْفَعَةٌ. والذي لَيْسَ بِحَرَامٍ: أَنْ يَسْتَدْعِيَ هَيْبَتَهُ أو بَهْدِيَّتَهُ  
 أَكْثَرَ مِنْهَا. وفي الحديث: «المُسْتَفْزَرُ يُثَابُ مِنْ هَيْبَتِهِ» وَقُرِيءَ: (وما أتيتم من ربا)، بِمَعْنَى:

قوله: (وفي الحديث: «المُسْتَفْزَرُ يُثَابُ مِنْ هَيْبَتِهِ»<sup>(١)</sup>)، النهاية: عن بعض التابعين:  
 الجَانِبُ<sup>(٢)</sup> المُسْتَفْزَرُ يُثَابُ مِنْ هَيْبَتِهِ.

المُسْتَفْزَرُ: الذي يَطْلُبُ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطَى، وهي المَغَازِرَةُ<sup>(٣)</sup>؛ أي: إذا أَهْدَى لَكَ الغَرِيبُ  
 شَيْئًا يَطْلُبُ أَكْثَرَ مِنْهُ فَاعْطِهِ في مَقَابِلَةِ هِدْيَتِهِ. وأما قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا نَسْتَكْثِرُ﴾ [الذَّحْر: ٦]  
 فمَخْصُوصٌ.

قوله: (قُرِيءَ: «ما أتيتم من ربا») قرأها ابنُ كثيرٍ مَقْصُورًا، وهو يَعُودُ في المَعْنَى إلى  
 المَشْهُورَةِ، يُقالُ: أتى مَعْرُوفًا وأتى قَبِيحًا إذا فَعَلَهَا. وقرأ نافعٌ: «لرِّبوا» بِالتَّاءِ مضمومة؛

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (٦: ٤٧٤) وعبد الرزاق في «المصنّف» (١٦٥٢٣) موقوفًا على  
 شُرَيْحٍ.

(٢) في (ط): «الجالب»، وفي (ح) و(ف): «الخالب». وصوبناه من مصادر التخريج. وفسره ابن قتيبة في  
 «غريب الحديث» (٣: ٧٥٣) بقوله: الجانب: الغريب. وهو الجنب أيضاً، والجنابة: الغربة.

(٣) في (ح): «المفازة»، وهو خطأ.

وما عَشِيْتُمُوهُ أَوْ رَهَقْتُمُوهُ مِنْ إِعْطَاءِ رَبِّهَا. وَقُرِي: (لِتُرْبُوا)، أَي: لَتَزِيدُوا فِي أَمْوَالِهِمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ أَي يَزِيدُهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ التَّفَاتُ حَسَنٌ، كَأَنَّهُ قَالَ لِمَلَائِكَتِهِ وَخَوَاصِّ خَلْقِهِ: فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ بِصَدَقَاتِهِمْ: هُمُ الْمُضْعِفُونَ. فَهُوَ أَمْدَحُ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَقُولَ: فَأَنْتُمْ الْمُضْعِفُونَ. وَالْمَعْنَى: الْمُضْعِفُونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ صَمِيرٍ يَرْجِعُ إِلَى مَا، وَوَجْهٌ آخَرَ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ: فَمُؤْتُوهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ. وَالْحَدْفُ لِسْمًا فِي الْكَلَامِ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ، وَهَذَا أَسْهَلُ مَا أَخَذْنَا، وَالْأَوَّلُ أَمْلَأُ بِالْفَائِدَةِ.

أَي: لتصبروا ذوي زيادة<sup>(١)</sup>. من قولهم: أقوى الرجل وأضعف: إذا صار ذا دابة قوي وضعيف في «المطلع».

قوله: (فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون)؛ لأنه إذا التفت إلى الغير شاكرًا لصنيعهم واستحاديًا منه لهم وترغيبًا له فيما نالوا به هذه المنزلة، كان أبلغ وأنبأ مما لو قال لهم: فأنتم المضعفون. وإليه الإشارة بقوله: «كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك [الذين] يريدون وجه الله» مباهاة بهم.

وأيضًا فيه إشعار بأن أولئك محقون<sup>(٢)</sup> بأن يكونوا مضعفين لاكتسابهم تلك الفضيلة، وليس في «فأنتم المضعفون» من ذلك شيء.

قوله: (فمؤتوه) روي بضم التاء؛ اسم فاعل من الإيتاء، وروي بفتحها؛ اسم مفعول. وفي الحاشية: الصواب: «فمؤتوه» بفتح التاء، والمراد به: أخذ الزكاة تفضيلًا لهم على أخذ الربا.

قوله: (وهذا أسهل ما أخذنا والأول أملأ بالفائدة)، قال صاحب «التقريب»: «والأول أملأ بالفائدة لدقيقة الالتفات، والثاني أسهل ما أخذنا؛ لأن حدف المبتدأ أكثر في الكلام،

(١) لتمام الفائدة وتحرير الاختيار انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (٢: ١٨٤).

(٢) في (ح) و(ط): «محقوقون».

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مَن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿اللَّهُ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أي: الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التي لا يَقْدِرُ على شَيْءٍ منها أحدٌ غيره، ثم قال: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ الذين اتَّخَذْتُمُوهُمْ أندادًا له من الأصنام وغيرها ﴿مَنْ يَفْعَلُ﴾ شيئًا قَطُّ من تلك الأفعال؛ حتى يَصِحَّ ما ذهبتم إليه، ثم استبعد حاله من حال شركائهم. ويجوز أن يكون ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ صفةً للمبتدأ، والخبر: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾، وقولُه: ﴿مِن دَلِكُمْ﴾ هو الذي رَبَطَ الجملة بالمبتدأ؛ لأنَّ معناه: من أفعاله، و(مِن) الأولى والثانية والثالثة: كُلُّ واحدةٍ منهنَّ مُسْتَقْلَةٌ بتأكيد، لتعجيز شركائهم، وتجهيل عبدتهم.

ولأنَّ الضمير في «به» راجعٌ إلى «ما»، فلا بُدَّ من تقدير مضاف؛ أي: بإيتائه، فيكثر الإضمار.

وعن بعضهم: عرِّو الثاني عن دقيقة الالتفات لعمومه.

قوله: (والخبر: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾) أي: الله الموصوف بكونه خالقًا ورازقًا ومحيا ومميتًا، مقولٌ في حقه: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ مَن هو موصوفٌ بما هو موصوفٌ به.

قوله: (لأن معناه: من أفعاله) أي: المشار إليه بـ«ذلك»: الخلق والرِّزق والإماتة والإحياء، وقد علِمَ أنها من أفعال الله.

قوله: (كُلُّ واحدةٍ منهنَّ مستقلةٌ بتأكيد لتعجيز شركائهم)، أما أولاً: فإنَّ «مِن» لبيان «مَنْ يفعل»، ومتعلِّقه محذوف؛ أي: هل حصل واستقرَّ مَنْ يفعل كائنًا من شركائكم؟! أنكر أن يكون لهم شركاء تَفْعَلُ ما يفعل الباري.

وأما ثانيًا: فقال: ﴿مِن دَلِكُمْ﴾ و«مِن» للتبعض؛ أي: يفعل بعض ما يفعله الباري ولو أقل شيء، كلاً ﴿وإن يسألهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضِعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٤١]

﴿الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ نحو: الجذب، والقحط، وقلة الربيع في الزراعات، والرياح في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق الصيادين والغاصّة، ومحّ البركات من كلّ شيء، وقلة المنافع في الجملة، وكثرة المضار. وعن ابن عباس: أجدبت الأرض وانقطعت مادة البحر. وقالوا: إذا انقطع القطر عميت دواب البحر. وعن الحسن أن المراد بالبحر: مذن البحر وقراه التي على شاطئه. وعن عكرمة: العرب .....

وأما ثالثاً: فهي زائدة<sup>(١)</sup> لتأكيد النفي معني، وقيل: «من» الأولى والثانية للتبعيض.

قوله: (الحرق)، المغرب: الحرق: اسم من الإحراق، كالشقق من الإسفاق، ومنه: الحرق والغرق والشرق<sup>(٢)</sup>.

قوله: (إخفاق الصيادين)، الأساس: أخفق الصائد والغازي: لم يظفر. قال:

فِيخْفُقُ مَرَّةً وَيَصِيدُ أُخْرَى وَيَفْجَعُ ذَا الصَّغَائِنِ بِالْأَرَبِ<sup>(٣)</sup>

قوله: (والغاصّة) روى صاحب «المطلع»: عن فضيل بن مرزوق، قلت لعطية<sup>(٤)</sup>: أي فساد في البحر؟ قال: يقال: إذا قلّ المطر قلّ الغوص؛ لأنّ الأصداف تفتح أفواهاها إذا مطرت [السماء]، فما وقع فيها من ماء السماء فهو لؤلؤ. وروى محيي السنة عن عكرمة نحوه<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ح): «فائدة»، وليس بصواب.

(٢) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ١٩٧).

(٣) البيت لعنترة في «ديوانه» ص ٣٢١ يصف فرساً.

(٤) يعني العوفي.

(٥) «معالم التنزيل» (٦: ٢٧٤).

تُسَمَّى الْأَمْصَارَ الْبِحَارِ. وَفُرِي: (في البرِّ والبُحور)، ﴿هِيَ كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ بِسَبَبِ مَعْصِيهِمْ وَذُنُوبِهِمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصْبَحَ مِنْكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. وعن ابن عباس: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ بِقَتْلِ ابْنِ آدَمَ أَخَاهُ. وَفِي الْبَحْرِ بِأَنَّ جُلُنْدَى كَانَ ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، وَعَنْ قَتَادَةَ: كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُعْثِ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ رَاجِعُونَ عَنِ الضَّلَالِ وَالظُّلْمِ. وَيُجَوِّزُ أَنْ يُرِيدَ ظُهُورَ الشَّرِّ وَالْمَعْصِيَةِ بِكَسْبِ النَّاسِ ذَلِكَ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؟ قُلْتُ أَمَّا عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ فَظَاهِرٌ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْسَدَ أَسْبَابَ دُنْيَاهُمْ وَحَقَّقَهَا، لِيُذِيقَهُمْ وَبِالْبَعْضِ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِجَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، وَأَمَّا عَلَى الثَّانِي فَاللَّامُ مُجَازٌ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ ظُهُورَ

قوله: (تسمى الأمصار البحار) ومنه حديث عبد الله بن أبي: اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصّبوه بالعصابة<sup>(١)</sup>. البحيرة: المدينة.

قوله: (رجع راجعون) أي: رجع قوم راغبون في الإسلام رجوعاً.

قوله: (وأما على الثاني فاللام مجاز)؛ لأن المراد بالفساد حيثنذ ظهور الشرِّ والمعاصي في الأرض بسبب كسب الناس ذلك وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ عِلَّةٌ لِكَسْبِ النَّاسِ الْمَعْصِيَةَ وَلَيْسَ غَرَضُهُمْ فِي كَسْبِهَا أَنْ يُذِيقَهُمُ اللَّهَ وَبِالْبَعْضِ مَا كَسَبُوا، فَاللَّامُ حَيْثُنْذُ كَاللَّامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالنَّقْطَةُ إِذْ أَلْفَرَعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

وأما على الأول فهي عِلَّةٌ لظُهُورِ الْفَسَادِ، وَالْمُرَادُ بِالْفَسَادِ: الْجَدْبُ وَالْقَحْطُ وَمَسْحُ الْبَرَكَاتِ وَأَمْثَالِهَا، وَهِيَ فَعْلٌ لِلَّهِ زَجْرًا لَهُمْ وَرَدْعًا عَنِ ذَلِكَ الْكَسْبِ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ.

قال أبو البقاء: ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿ظَهَرَ﴾ أي: ليصير حالهم إلى ذلك. وقيل: التقدير: «عاقبهم ليذيقهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٦) ومسلم (١٧٩٨) وغيرهما من حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤١).



الشُّرُورِ بِسَبَبِهِمْ مَّا اسْتَوْجَبُوا بِهِ أَنْ يُذَيِّقَهُمُ اللّهُ وَبِأَلْ أَعْمَالِهِمْ إِرَادَةَ الرُّجُوعِ، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا أَفْسَدُوا وَتَسَبَّبُوا لِفُشُوقِ الْمَعَاصِي فِي الْأَرْضِ لِأَجْلِ ذَلِكَ. وَقُرِئَ: ﴿لِنُذِيقَهُمْ﴾ بِالنُّونِ.

[﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾]

[٤٢]

ثُمَّ أَكَّدَ تَسَبُّبَ الْمَعَاصِي لِعُضَبِ اللَّهِ وَنِكَالِهِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ أَهْلَكَ اللَّهُ الْأُمَّمَ، وَأَذَاقَهُمْ سُوءَ الْعَاقِبَةِ لِمَعَاصِيهِمْ، وَدَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ عَلَى أَنَّ الشَّرْكَ وَحْدَهُ لَمْ يَكُنْ سَبَبَ تَدْمِيرِهِمْ، وَأَنَّ مَا دُونَهُ مِنَ الْمَعَاصِي يَكُونُ سَبَبًا لِذَلِكَ.

[﴿فَاقْرَأْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾]

[٤٣]

الْقَيْمِ: الْبَلِيغِ الْإِسْتِقَامَةِ الَّذِي لَا يَتَأْتِي فِيهِ عِوَجٌ، ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ

قوله: «النذيقهم» بالنون) قرأها ابن كثير<sup>(١)</sup>.

قوله: (ثم أكد تسبب المعاصي لعضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا) هذا مبني على قوله: «أن الله تعالى قد أفسد أسباب دنياهم ومحققها؛ لنذيقهم وبأل بعض أعمالهم في الدنيا».

وقال الإمام: لما بين حالهم بظهور الفساد في أحوالهم بسبب فساد أقوالهم، بين لهم هلاك أمثالهم وأشكالهم الذين كانت أفعالهم كأفعالهم، فقال: ﴿قُلْ سِيرُوا﴾<sup>(٢)</sup>. ويجوز أن يكون مبنيًا على الوجه الثاني، واللام في قول المصنف: «لغضب الله» تتعلق بـ«المعاصي» على التهكمية؛ أي: أكد تسبب أن يعصوا لأجل غضب الله.

(١) في رواية القواس عنه. انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٦٠.

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١١٢).

بـ ﴿يَأْتِي﴾، فيكون المَعْنَى: من قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ اللَّهِ يَوْمٌ لَا يَرُدُّهُ أَحَدٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء: ٤٠] أو بـ ﴿مَرَدٌ﴾، على معنى: لَا يَرُدُّهُ هُوَ بَعْدَ أَنْ يَجِيءَ بِهِ، وَلَا رَدَّ لَهُ مِنْ جِهَتِهِ. وَالْمَرَدُ: مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى الرَّدِّ، ﴿يَصَدَّعُونَ﴾ يَتَصَدَّعُونَ: أَي يَتَفَرَّقُونَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدِ بِنَفَرٍ قُوتٍ﴾ [الروم: ١٤].

[﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ \* لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ٤٤-٤٥]

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِمَا لَا غَايَةَ وَرَاءَهُ مِنَ الْمَضَارِّ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ ضَارَّهُ كُفْرُهُ؛ فَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ كُلُّ مَضَرَّةٍ ﴿فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أَي: يُسَوِّونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يُسَوِّيه لِنَفْسِهِ الَّذِي يَمْهَدُ فِرَاشَهُ وَيُوَطِّئُهُ، لِئَلَّا يُصِيبَهُ فِي مَضْجَعِهِ مَا يُنْبِئُهُ عَلَيْهِ وَيُنْغِصُ

قوله: (أو بـ ﴿مَرَدٌ﴾) أي يتعلق قوله: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ بـ ﴿مَرَدٌ﴾، و﴿مِنْ﴾ ابتدائية؛ ولهذا قال: «من جهته»، والوجه الأول أبلغ لإطلاق الردِّ وتفخيم اليوم، وإن إتيانه من جهة عظيم قادر ذي سلطان قاهر.

قوله: (﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ كلمة جامعة) أي: قليلة الألفاظ عظيمة المباني وافرة المعاني ونظيره ما ورد في الحديث يوم بدر: «هذا يومٌ له ما بعده»، أي: ما بعده من الظفر والنصرة؛ إذ هو فتح الفتح، وبه يدخل الناس في دين الله أفواجا إلى قيام القيامة. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨، ٧].

قوله: (لئلا يُصِيبَهُ فِي مَضْجَعِهِ مَا يُنْبِئُهُ عَلَيْهِ) من النَّبْوِ، أي: يجعله نايبا، يقال: نَبَا على المَضْجَعِ: إذا لم يستقرَّ عليه، وأنبأه عليه غيره: وتقول العرب: الصَّدُوقُ يُنْبِي عَنكَ لَا الْوَعِيدُ، أي: يُبْعِدُ عَنكَ الْعَدُوَّ.

الأساس: نَبَا به منزله وفراشه. قال:

فأقم بدار ما أصبت كرامة  
وإذا نَبَا بك منزل فتحوَّل

عليه مَرَقَدَه: من نُتَوِّءُ أو قَضَضٍ أو بعض ما يُؤذِي الرَّاقِد. ويجوزُ أن يُريد: فعلى أنفُسِهِمْ يُشْفِقُونَ، من قولِهِم في المُشْفِق: أُمُّ فَرَشْتُ فَأَنَامَت. وتَقْدِيمُ الظَّرْفِ في المَوْضِعَيْنِ للدَّلَالَةِ على أن ضَرَرَ الكُفْرَ لا يَعُودُ إِلَّا على الكَافِرِ لا يَتَعَدَاه. ومنفَعَةُ الإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ تَرْجِعُ إلى المُؤْمِنِ لا تَتَجَاوَزُهُ. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿يَتَهَدُونَ﴾ تَعْلِيلٌ لَهُ.

قوله: (أو قضض)، الأساس: وقعنا في قَصَّةٍ وَقَضَض: في حَصَى صغَارٍ مُكْسَّرَةٍ، وفي فِرَاشِهِ قَضَضٌ، وَأَقْضَى عَلَيْهِ المَضْجَعُ، أَي: تَتَرَبَّ وَخَشِنَ، وَأَقْضَى اللُّهُ عَلَيْهِ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى.

قوله: (أم فرشت فأنامت) مثل يضرب في بر الرجل صاحبه وحُوتَه عليه. قال قُرَادِ ابن غَوِيَّة:

وكنت له عمًا لطيفاً ووالداً  
رؤوفاً وأما فرشت فأنامت<sup>(١)</sup>

ورواية الميداني: مهدت فأنامت، فعلى هذا قوله: ﴿فَلِأَنْفُسِهِمْ يَتَهَدُونَ﴾ كناية إيمائية عن الشَّفَقَةِ وَالْمَرْحَمَةِ، وعلى الأَوَّلِ استعارةٌ تَبَعِيَّةٌ، شَبَّهَ حالة المَكْلَفِ مع عَمَلِهِ الصَّالِحِ وما يَتَحَصَّلُ به من الثَّوَابِ وَيَتَخَلَّصُ مِنَ العِقَابِ، بحالة مَنْ يُمَهِّدُ فِرَاشَهُ لِيَسْتَرِيحَ عَلَيْهِ، وَلَا يُصِيبُهُ في مَضْجَعِهِ ما يُنْغِصُ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿يَتَهَدُونَ﴾ تَعْلِيلٌ لَهُ) قال القاضي: هو عِلَّةُ ﴿يَتَهَدُونَ﴾ أو لـ ﴿بَصَدَّعُونَ﴾، والاقْتِنَارُ على جِزَاءِ المُؤْمِنِ للإِشْعَارِ بأنه المَقْصُودُ بالذات، والاكْتِنَاءُ على فِحْوَى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾، فَإِنَّ فِيهِ إِثْبَاتَ البُغْضِ لَهُمِ وَالْمُحَبَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ فَضَّلَهُ دَالٌّ على أَنَّ الإِثَابَةَ تَفْضُلٌ مَحْضٌ، وتَأْوِيلُهُ بالعِطَاءِ أو الزِيَادَةِ على الثَّوَابِ عُدُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ<sup>(٢)</sup>.

(١) «مجمع الأمثال» (١: ٢٢).

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٣٩).

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب؛ وهذا يشبه الكناية، لأن الفضل تبع للثواب؛ فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له؛ أو أراد من عطائه وهو ثوابه؛ لأن الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب. وتكرير ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن

وقلت: الظاهر أن قوله تعالى: ﴿فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾ - الآية بتأنيها - كالمراد للسؤال، والخطاب لكل أحد من المكلفين. وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ - الآية - وارد على الاستئناف، منطوق على الجواب، فكأنه لما قيل: أقيموا على الدين القيم، قبل مجيء يوم يفرقون فيه، فقيل: ما للمقيمين<sup>(١)</sup> على الدين وما على المنحرفين عنه، وكيف يفرقون؟ فأجيب: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ الآية.

وأما قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ - الآية - فينبغي أن يكون تعليلاً للكلمة ليفصل ما ترتب على ما لهم وعليهم، ولكن يتعلق بـ ﴿بِمَهْدُونَ﴾ وحده لشدة العناية بشأن الإيوان والعمل الصالح وعدم العبء بعمل الكافر، ولذلك وُضِعَ موضعه ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

قال الإمام: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ وعيد<sup>(٢)</sup>، ولم يفضله، وهذا الإجمال فيه كالتفصيل، فإن عدم المحبة من الله تعالى غاية العذاب<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وهذا يشبه الكناية)، يعني: استعمال الفضل هنا من الكناية، وليست بكناية تامة؛ لأنه لم يرد بالفضل الأجر الواجب على مذهبه، بل الزيادة ولكن بعد حصول متبوعه، فهو بهذا الاعتبار كناية، ولعمري هذا تعسف، والوجه الثاني أشد تعسفاً منه.

قوله: (لأنَّ الفضول) عن بعضهم: الفضول: جمع الفضل، يستعمل في الذم، والواحد في المدح، بخلاف الرِّيح والرِّيحان، فإنها عكس هذا.

(١) في (ط): «ما على المقيمين».

(٢) لفظة «وعيد» سقطت من (ح) و(ف)، وفي «مفاتيح الغيب»: «أو عدهم بوعيد».

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١١٤).

الصالح. وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ تقريرٌ بعدَ تقرير، على الطردِ والعكس.

قوله: (على الطردِ والعكس) وهو كلُّ كلامين يُقرَّرُ الأوَّلُ بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس. قال ابن هاني:

فما جازَهُ جودٌ ولا حلٌّ دونَهُ ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ<sup>(١)</sup>

قال المالكيُّ في «المصباح»: متى انتفى كونُ الجودِ يتقدَّم شخصًا ويتأخَّر عنه، فقد ثبت كونه معه وبالعكس.

وأما تنزيلُ الآيةِ عليه على ما قرَّره المصنَّف، فإنَّه تعالى قال أولاً: ﴿وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾، ثم علَّله بقوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وكان من حقِّ الظاهر: (ليجزِيهم) فوضع المظهرُ موضعَ المضمَرِ إشعارًا بالعلية، وأنَّ الإيَّانَ والعملَ آذنانَ الله وليَّ صاحبهما حيثُ يجزيه من فضله، فيكون مفهومُ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الموافقُ أنَّه يُحبُّ المؤمنَ الصالح، ومفهومه المخالفُ أنَّه لا يحبُّ الكافر، فقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ بمنطوقه مقرَّرٌ لمفهوم السابق وبالعكس.

وفي بعض الحواشي المغربية: أنَّ كلَّ مؤمنٍ صالحٍ مفلحٌ عنده وعكسه في ضمنه، وهو من ليس بمؤمنٍ صالحٍ لا يُفلحُ عنده، وكذلك قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ طرده كلُّ كافرٍ غير محبوبٍ عنده وعكسه في ضمنه، وهو من ليس بكافرٍ محبوبٍ عنده؛ لأنه مؤمنٌ، والعكس ملزومُ الطردِ؛ لأنَّ العكسَ يحتاجُ إلى الطردِ قطعًا، بخلاف الطردِ فإنه لا يحتاج للعكس.

قال الإمام: وفي هذه الآية لطيفةٌ، وهي أنَّ الله تعالى عندما أسندَ الكُفْرَ والإيَّانَ إلى العبيدِ قدَّم الكافر، وعندما أسندَ الجزاءَ إلى نفسه قدَّم المؤمنَ؛ لأنَّ قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ وعيدٌ للمكلفِ ليمنتنعَ عما يضرُّه فيُنقذه من الشرِّ. وقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا﴾ تحريضٌ له وترغيبٌ في الخيرِ ليُوصله إلى الثواب، والإيعادُ مقدَّم، وأما عند الجزاءِ ابتداءً بالإحسانِ إظهارًا للكرمِ والرَّحمة<sup>(٢)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١١٤).

[ وَمَنْ آيَاتِنَا أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ. وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ]

﴿الرِّيحَ﴾ هِيَ الْجَنُوبُ وَالشَّمَالُ وَالصَّبَا، وَهِيَ رِيَا حُ الرَّحْمَةِ، وَأَمَّا الدَّبُورُ فَرِيحُ الْعَذَابِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَا حًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيَا حًا» وَقَدْ عَدَّدَ

قوله: (﴿الرِّيحَ﴾ هِيَ الْجَنُوبُ وَالشَّمَالُ وَالصَّبَا) قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ فِي كِتَابِ «الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ»، رَوَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَغَيْرِهِ قَالُوا: الرِّيحُ أَرْبَعَةٌ: الْجَنُوبُ وَالشَّمَالُ وَالصَّبَا وَالدَّبُورُ<sup>(١)</sup>. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَكُلُّ رِيحٍ بَيْنَ رِيحَيْنِ فَهِيَ نَكْبَاءٌ، وَالْجَمْعُ: نَكَبٌ. وَأَمَّا مَهْبُتُهُنَّ فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: مَهْبُتُ الْجَنُوبِ مِنْ مَطْلَعِ سُهَيْلٍ إِلَى مَطْلَعِ الثُّرَيَّا، وَالصَّبَا مِنْ مَطْلَعِ الثُّرَيَّا إِلَى بَنَاتِ نَعْشٍ، وَالشَّمَالُ مِنْ بَنَاتِ نَعْشٍ إِلَى مَسْقَطِ النَّسْرِ الطَّائِرِ، وَالدَّبُورُ مِنْ مَسْقَطِ النَّسْرِ الطَّائِرِ إِلَى مَطْلَعِ سُهَيْلٍ<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: الشَّمَالُ عِنْدَ الْعَرَبِ لِلرَّوْحِ، وَالْجَنُوبُ لِلْأَمْطَارِ وَالْأَنْدَاءِ وَاللُّشُقِّ وَالْعُمُقِّ، وَالدَّبُورُ لِلْبَلَاءِ، وَأَهْوَنُهُ أَنْ يَكُونَ غُبَارًا عَاصِفًا يُقْذِي الْعَيْنَ، وَهِيَ أَقْلُهُنَّ هُبُوبًا، وَالصَّبَا لِلْإِلْقَاحِ الْأَشْجَارِ.

قوله: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَا حًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيَا حًا)<sup>(٣)</sup>، النِّهَايَةُ: الْعَرَبُ تَقُولُ: لَا تَلْقَحُ السَّحَابَ إِلَّا مِنْ رِيَا حٍ مُخْتَلَفَةٍ؟ يَرِيدُ: اجْعَلْهَا لِقَاحًا لِلسَّحَابِ وَلَا تَجْعَلْهَا عَذَابًا، وَيُحَقِّقُ ذَلِكَ جَمِيعُ الْجَمْعِ فِي آيَاتِ الرَّحْمَةِ، وَالوَاحِدِ فِي قِصَصِ الْعَذَابِ؛ كـ ﴿الرِّيحِ الْعَقِيمِ﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٤١] و﴿رِيَا حًا صَرَّصَرًا﴾ [فُضِّلَتْ: ١٦].

الرَّاغِبُ: الرِّيحُ مَعْرُوفٌ، وَهِيَ فِيهَا قِيلَ الْهَوَاءُ الْمُتَحَرِّكُ، وَعَامَّةُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَ [اللَّهُ تَعَالَى] فِيهَا إِرسَالَ الرِّيحِ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ فِعْبَارَةٌ عَنِ الْعَذَابِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيَا حًا

(١) مِنْ قَوْلِهِ: «قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ط).

(٢) «الْأَزْمَنَةُ وَالْأَمَكْنَةُ» (١: ١٦٢).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى فِي «الْمُسْتَد» (٢٤٥٦) وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (١١٣٦٨) وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الأغراض في إرسائها، وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاعة الرحمة، وهي نزول المطر وحصول الحطب الذي يتبعه، والروح الذي مع هبوب الرياح وزكاء الأرض. قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَثُرَتِ الْمُوتِفِكَاتُ زَكَتِ الْأَرْضُ». وإزالة العفونة من الهواء، وتذرية الحبوب، وغير ذلك، ﴿وَلِتَجْرِيَ الْأَنْفُكُ﴾ في البحر عند هبوبها. وإنما زاد ﴿بِأَمْرِهِ﴾ لأنَّ الرِّيحَ قد تهبُّ ولا تكونُ مواتية، فلا بُدَّ من إرساء السفن والاحتياط لحبسها، وربما عصفت فأغرقتها، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يريدُ تجارة البحر؛ ولتشكروا نعمة الله فيها. فإن قلت: بم تعلق ﴿وَلِيُذَيِّقَكُمْ﴾؟ قلت: فيه وجهان: أن يكون معطوفاً على ﴿مُبَشِّرَتٍ﴾ على المعنى، كأنه قيل: لتبشركم وليذيقكم. وأن يتعلق بمحذوف تقديره: وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها.

صَرَخًا ﴿القمر: ١٩﴾ وكلُّ موضعٍ ذُكر فيه بلفظ الجمع عبارة عن الرحمة؛ كقوله: ﴿وَمَنْ آبَيْنَاهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتٍ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: (إِذَا كَثُرَتِ الْمُوتِفِكَاتُ زَكَتِ الْأَرْضُ)، الأساس: أفكته عن رأيه: صرّفه، ورأيت أن أفعل كذا فأفككت عن رأيي، واتفكت الأرض بأهلها: انقلبت، وإِذَا كَثُرَتِ الْمُوتِفِكَاتُ زَكَتِ الْأَرْضُ، وهي الرِّيحُ المُختلِفَاتُ المِهَابُ.

قوله: (لأنَّ الرِّيحَ قد تهبُّ ولا تكونُ مواتية)، قال صاحب «المطلع»: يعني هبوبها مواتية أمرٌ من أمورِ التي لا يقدر عليها غيره. وإليه الإشارة: بقوله ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَيْنِ ظَهْرِهِ﴾ [الشورى: ٣٣]، ثم قال: ﴿أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ [الشورى: ٣٤] أي: بالغرق إذا اشتدت الرِّيحُ وقيل: الحاصلُ أنه قد يُجْري الرِّيحَ على وجه لا تكونُ مواتيةً أي: موافقةً للمراد، فيحتاج الملاحون إلى حَسْبِ السُّفْنِ، ولو كان بطبيعة الرِّيحِ لما اختلفت، فعلم أن ذلك بإرادة الله وأمره<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها) «كذا وكذا» كناية عن قوله: ﴿وَلِتَجْرِيَ

(١) «مفردات القرآن» ص ٣٧٠.

(٢) في (ح): «بإرادته أو أمره»، ولعل ما أثبتناه هو الأشبه بالصواب.

[ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۗ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٧]

اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين،

أَفَلَاكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿، والمحذوف المقدر: «أرسلناها»، فيكون عطف جملة على جملة.

قال القاضي: ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وهي المنافع التابعة لها من الخصب والروح، وهو عطف على علة محذوفة دل عليها ﴿مُبَشِّرِينَ﴾، أو عليها باعتبار المعنى، أو على ﴿رُسُلًا﴾ بإضمار فعلٍ معللٍ دل عليه ﴿وَلِتَجْرِيَ أَفَلَاكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: (اختصر الطريق إلى الغرض) إلى آخره، لخصه صاحب «المطلع» وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كما أرسلناك إلى هؤلاء ﴿فَجَاءَهُمْ وَهُمْ﴾ بالدلالات الواضحات على صدق دعوهم كما أتيت هؤلاء بالمعجزات الدالة على صدقك ﴿فَانْتَقَمْنَا﴾ أي: انتصرنا ﴿مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ وهم المكذبون ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين - أعني المكذبين والمصدقين - وقد أدخل الكلام أولاً عن ذكرهما، وفي هذا تبشير للنبي ﷺ والمؤمنين بالنصر في العاقبة على المكذبين، وأكد ذلك بقوله: ﴿حَقًّا﴾ ومعنى حَقًّا أنه تعالى أخبر به، وإذا أخبر بشيء حَقًّا ذلك الشيء ووجد ما أخبر به.

قوله: (بأن أدرج تحت ذكر الانتصار)، الأساس: أدرج الكتيب في الكتاب: جعله في دُرْجِه؛ أي: في طيِّه وثنيته.

وقلت: هاهنا ثلاثة مقامات: أولها: قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ وليس فيه أن هذا القوم من هم؟ المصدقون أم المكذبون؟ وإليه الإشارة بقوله: «وقد أدخل الكلام أولاً عن ذكرهما».

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٣٩).



وقد أُخْلِى الكلامُ أولاً عن ذِكْرِهما. وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعظيمٌ للمؤمنين، ورَفْعٌ من شأنهم، وتأهيلٌ لِكِرَامَةِ سَنِيَّةِ، وإظهارٌ لِفَضْلِ سَابِقَةِ وَمَزِيَّةِ؛ حيثُ جعلَهُم مُسْتَحِقِّينَ على الله أن يَنْصُرَهُم، مُسْتَوْجِبِينَ عليه أن يُظَهِّرَهُم وَيُطْفِرَّهُم، وقد يُوقَفُ على ﴿حَقًّا﴾، ومعناه: وكان الانتقامُ منهم حقًّا، ثم يُبتدأ: ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ

وثانيها: قوله: ﴿فَأَنْتُمْ مَنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا﴾، صرَّح فيه ذكر المجرمين، وأدرج فيه ذِكْرُ المؤمنين، لأنَّ المُراد: انتقمنا للَّذين آمنوا من الذين أجمروا.

وثالثها: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ صرَّح بذكر المؤمنين، وأدرج ذكر المكذبين؛ لأنَّ المعنى: كان حقًّا علينا نصرُ المؤمنين على الكافرين، وإليه الإشارةُ بقوله: «أدرج تحت ذِكْرُ الانتصارِ والنَّصرِ ذِكْرُ الفريقين»، صرَّح في الانتقامِ بذكر المجرمين، وفي النَّصرِ بذكر المؤمنين تعظيماً للمؤمنين وازدراءً بالمكذِّبين، ورَفْعاً لِسَانِ أولئك، وخطأً من منزلة هؤلاء، والله أعلم.

قوله: (وقد يُوقَفُ على ﴿حَقًّا﴾، ومعناه: وكان الانتقامُ منهم حقًّا) قال صاحبُ «الكواشي»: أُولِعَ جماعةٌ بالوقفِ على ﴿حَقًّا﴾ وليس بمُختارٍ؛ لأنَّ الوقْفَ على ﴿حَقًّا﴾ يُوجب الانتقامَ ويوجبُ نَصْرَ المؤمنين، ولا يلزم أنه تعالى يَنْتَقِمُ من كلِّ، بل قد يعفو، وتَرَكَ الوقْفَ على ﴿حَقًّا﴾ إنما يُوجب نَصْرَ المؤمنين، ولا يحتاج إلى تقديرٍ محذوفٍ؛ أي: كان الانتقامُ.

ذَكَرَ هذا المعنى صاحبُ «المُرشد» وزاد: أنه تعالى قد يعفو ولا يَنْتَقِمُ كما فَعَلَ بقوم يونسَ من صَرْفِ العذابِ، ولا بدَّ أن يَنْصُرَ المؤمنين على كلِّ حالٍ<sup>(١)</sup>.

وقلت: وفي القولِ بإيجابِ نَصْرِ المؤمنين إيجابُ القولِ بالانتقامِ من الكافرين، وبالعكس كما مرَّ الكلامُ في الإدراجِ، والأسلوبُ من باب الطَّرْدِ والعكسِ أو التَّذْيِيلِ.

فإن قلت: لِمَ ذهب إلى الإدراجِ؟ وهَلَا جعل القريبتينِ مستقلَّتينِ في الدَّلالةِ كما قالوا.

(١) وهو الذي مشى عليه الأشموني في «منار الهدى» ص ٦٠٢، ونقل كلام الكواشي.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾، وعن رسول الله ﷺ: «ما من امرئ مسلم يرُدُّ عن عِرضِ أخيه إلا كان حقًا على الله أن يرُدَّ عنه نارَ جهنم يومَ القيامة» ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُفْثِرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ، مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٨-٤٩﴾]

﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ ﴿مُتَّصِلًا تَارَةً﴾ ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ أي: قِطْعًا تَارَةً ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ في التَّارَتَيْنِ جَمِيعًا. والمرادُ بالسَّاءِ: سَمْتُ السَّاءِ وَشِقُّهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وبإصابة العباد: إصابةُ بلادهم وأراضيهم ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ من بابِ التَّكْرِيرِ وَالتَّوَكِيدِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ عَنقَبَتَهُمَا أَتْنَمًا فِي النَّارِ خَلِيدَيْنِ فِيهَا﴾ [الحشر: ١٧]. ومعنى التَّوَكِيدِ فِيهِ: الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ عَهْدَهُمْ بِالْمَطَرِ قَدْ تَطَاوَلَ وَبَعُدَ، فَاسْتَحْكَمَ يَأْسُهُمْ وَتَمَادَى إِبْلَاسُهُمْ، فَكَانَ الاسْتِشْشَارُ عَلَى قَدْرِ اغْتِيَابِهِمْ بِذَلِكَ.

قلت: لا بُدَّ من القولِ به؛ لأنَّ مَوْقِعَ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مَوْقِعُ التَّوَكِيدِ وَالتَّذْيِيلِ وَالتَّعْلِيلِ من قوله: ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ لَجَرُمُوا﴾؛ لأنَّ المعنى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بُهْمًا وَمُهْرًا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فكذبوهم واستهزؤوا بهم وقصدوا الفتنك بهم، ﴿فَأَنقَمْنَا﴾ منهم ونصرتنا المؤمنين، وقد جرت سنة الله بالانتقام والنصر.

قوله: (ما من امرئ مسلم) الحديث بتامه مذكورٌ في «شرح السنة»<sup>(١)</sup> عن أبي الدرداء.

قوله: (وشققها) أي: ناحيتها. الأساس: قعد في شق من الدار؛ أي: ناحية منها.

قوله: (وتمادى إبلاسه)، الأساس: ناقةٌ مِبْلَاسٌ: لا تَرُغُو من شدَّةِ الضَّبْعَةِ، وقد أَبْلَسْتُ، ومنه أَبْلَسَ فلانٌ: إِذَا سَكَتَ من يَأْسٍ، ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

(١) «شرح السنة» (١٣: ١٠٦).

[﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ﴾  
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾]

قُرئ: «أثر» و﴿آثَرٌ﴾ على الوَحْدَةِ وَالْجَمْعِ. وَقَرَأَ أَبُو حَبِوَةَ وَغَيْرُهُ: (كَيْفَ تُحْيِي)، أَي: الرَّحْمَةُ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يَعْنِي: إِنَّ ذَلِكَ الْقَادِرَ الَّذِي يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا: هُوَ الَّذِي يُحْيِي النَّاسَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ .....

قوله: (قُرئ: «أثر» و﴿آثَرٌ﴾ على الوحدۃ والجمع) على الوحده: نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر<sup>(١)</sup>، والباقون: على الجمع<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وقرأ أبو حيوۃ وغيره: «كيف تُحْيِي»؛ أي: الرحمة) قال ابن جني: قرأها الجحدري وابن السميع وأبو حيوۃ ذهب بالتأنيث إلى لفظ الرَّحْمَةِ، ولا يقول على هذا: أما ترى إلى غلامٍ هندي كيف تُضْرِبُ زِيداً؟ بالتاء. والفرقُ أنَّ الرحمة قد يقوم مقامها أثرها، فإذا ذكرت أثرها فكانَ الغرضُ إنما هو هي، وليس كذلك غلامٌ هندي<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿كَيْفَ يُحْيِي﴾ جملة منصوبة المحل على الحال حملاً على المعنى لا على اللفظ، وذلك أن اللفظ استفهامٌ، والحال ضربٌ من الخبر، والاستفهام والخبر متدافعان. وتلخيص كونه حالاً قولك: فانظر إلى أثر رحمة الله مُحييةً للأرض بعد موتها.

قوله: (الذي يحيي الأرض بعد موتها: هو الذي يحيي الناس بعد موتهم)، «يحيي» الأول حكاية حال ماضية بشهادة قوله: ﴿فَانظُرْ﴾؛ لأنَّ الأمر بالنظر مسبوقة بوجود المنظور إليه، وإنما عدل إلى المضارع لإحضار تلك الحالة العجيبة الشأن في مشاهدة السامع، وهي اخضرار الأرض بآثار رحمة الله بعد جفافها نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ

(١) وحثهم أن الواحد ينوب عن الجمع كما قال سبحانه ﴿هُمُ أَوْلَادُ عَلِيٍّ أَثَرِي﴾ [طه: ٨٤] ولم يقل «آثاري». انظر: «حجۃ القراءات» ص ٥٦١.

(٢) على معنى: آثار المطر الذي هو رحمة الله.

(٣) «المحتسب» (٢: ١٦٤).

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المَقْدوراتِ قَادِرٌ، وهذا من جُمْلَةِ المَقْدوراتِ بِدَلِيلِ الإنشاءِ.

[﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٥١-٥٣]

﴿فَرَأَوْهُ﴾ فَرَأَوْا أَثَرَ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ هِيَ الْغَيْثُ، وَأَثَرُهَا: النَّبَاتُ. وَمَنْ قَرَأَ بِالْجَمْعِ: رَجَعَ الضَّمِيرُ إِلَى مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَى آثَارِ الرَّحْمَةِ النَّبَاتُ، وَاسْمُ النَّبَاتِ يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ سُمِّيَ بِهِ مَا يَنْبُتُ. ﴿وَلَيْنَ﴾: هِيَ اللَّامُ الْمُوَطَّئَةُ لِلْقَسَمِ، دَخَلَتْ عَلَى حَرْفِ الشَّرْطِ، وَ﴿لَظَلُّوا﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ سَدَّ مَسَدَ الْجَوَابِينَ، أَعْنِي: جَوَابَ الْقَسَمِ وَجَوَابَ الشَّرْطِ، وَمَعْنَاهُ: لِيُظَلَّنَّ، ذَمُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ إِذَا حَبَسَ عَنْهُمْ

السَّمَاءَ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُنْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣]. قَالَ: صُرِفَ مِنَ الْمَاضِي إِلَى لَفْظِ الْمَضَارِعِ لِنُكْتَةِ فِيهِ، وَهِيَ إِفَادَةُ بَقَاءِ أَثَرِ الْمَطَرِ زَمَانًا بَعْدَ زَمَانٍ<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا «يُجِيبِي» الثَّانِي فَمَضَارِعٌ، وَلَمَّا كَانَ وَعَدُّ اللَّهِ مَقْطُوعَ الْحَصُولِ جِيءَ بِهِ فِي التَّنْزِيلِ اسْمًا مَعَ اللَّامِ خَبْرًا لِـ(أَنَّ) وَاسْمُهُ اسْمُ الْإِشَارَةِ، وَالْمَشَارُ إِلَى مَا يُفْهَمُ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ الدَّالُّ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «ذَلِكَ الْقَادِرُ»، وَذُيِّلَتْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْمَقْدُورَاتِ قَادِرٌ، الرَّاعِبُ: الْقَدِيرُ: هُوَ الْفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ عَلَى قَدْرٍ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ لَا زَائِدًا وَلَا نَاقِصًا، وَهَذَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٢)</sup>. قَوْلُهُ: (وَمَعْنَاهُ: لِيُظَلَّنَّ)، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿لَظَلُّوا﴾ بِمَعْنَى: لِيُظَلَّنَّ؛ لِأَنَّهُ جَوَابُ الشَّرْطِ، وَكَذَلِكَ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بِمَعْنَى: يُرْسَلُ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: «الكشاف» (١٠: ٥٢١).

(٢) «مفردات القرآن» ص ٦٥٨.

(٣) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤٢).

الْقَطْرَ قَنَطُوا مِنْ رَحْمَتِهِ وَصَرَبُوا أَذْقَانَهُمْ عَلَى صُدُورِهِمْ مُبْلِيسِينَ، فَإِذَا أَصَابَهُمْ بَرَحْمَتِهِ وَرَزَقَهُمُ الْمَطْرَ؛ اسْتَبَشَرُوا وَابْتَهَجُوا، فَإِذَا أُرْسِلَ رِيحًا فَضْرَبَ زُرُوعَهُمْ بِالضُّفَارِ، ضَجُّوا وَكَفَرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ، فَهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ عَلَى الصِّفَةِ الْمَذْمُومَةِ؛ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَفَضَّلِهِ، فَتَنَطَّوْا، وَأَنْ يَشْكُرُوا نِعْمَتَهُ وَيَحْمَدُوهُ عَلَيْهَا، فَلَمْ

وقال صاحب «الكشف»: الماضي بمعنى المستقبل؛ كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾، ثم قال: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨] (١).

وقال مكِّي: ﴿لَطَّلُوا﴾ معناه: لِيَطَّلُوا، فالماضي في موضع (٢) المستقبل، وحسن هذا؛ لأنَّ الكلامَ بمعنى المجازاة، والمجازاة لا تكون إلا بمُستقبل. هذا مذهب سيويه (٣).  
قوله: (بالضُّفَارِ) والضُّفَارُ بالضم: صُفْرَةٌ تَعْلُو اللَّوْنَ وَالْبَشْرَةَ، وصاحبه مَصْفُورٌ.  
الأساس: رَجُلٌ مَصْفُورٌ وَبِهِ صُفَارٌ: دَاءٌ يَصْفِرُ مِنْهُ.

قوله: (فهم في جميع هذه الأحوال) نتيجة قوله: «ذمهم الله».  
وقوله: «كان عليهم أن يتوكلوا» إلى آخره، بيان لتعكيس أمورهم في جميع ما به ذمهم الله تعالى في الآيات الثلاث:

إحداها: قوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾، وهو المراد من قوله: «إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته»، وبيان لتعكيسهم فيه قوله: «كان عليهم أن يتوكلوا على الله فتنطوا».

وثانيتها: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ﴾ الآية، وبه عنى بقوله: «فإذا أصابهم برحمته» إلى آخره، وبيان التّعكيس فيه قوله: «وأن يشكروا نعمته فلم يزيدوا على الفرح».  
وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ الآية، ويُفسَّره: «فإذا أرسلنا عليهم ريحًا» إلى آخره، وبيان التّعكيس قوله: «وأن يضربوا على بلائه فكفروا».

(١) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ١٠٥٢).

(٢) في (ط): «معنى».

(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٦٣).

يَزِيدُوا عَلَى الْفَرْحِ وَالِاسْتِبْشَارِ، وَأَنْ يَصْبِرُوا عَلَى بَلَائِهِ، فَكَفَرُوا. وَالرَّيْحُ الَّتِي اصْفَرَّ لَهَا النَّبَاتُ: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَرُورًا وَحَرَجَفًا، فَكِلْتَاهُمَا مِمَّا يُصَوِّحُ لَهُ النَّبَاتُ وَيُصْبِحُ

فَإِنْ قُلْتَ: مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُوضَعَ مَوْضِعَ: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لَمْ يَحْمَدُوا؛ لِقَوْلِهِ: «وَأَنْ يَشْكُرُوا نِعْمَتَهُ»، وَمَوْضِعَ ﴿لَطَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ لَصَجُّوا وَجَرَّعُوا؛ لِقَوْلِهِ: «وَأَنْ يَصْبِرُوا عَلَى بَلَائِهِ».

قلت: إنما عدل في الأول ليؤذن بأن الفرح المفرط بطر وأشر وليس ذلك من شأن الشاكر الحامد، بل من ذيدين الكافر، وأشعر بالثاني أن فقدان الصبر عند نزول البلاء دليل على عدم الرضى بالقضاء، وهو إخراج لربقة العبودية، كما قيل: «من لم يصبر على بلائي؛ فليتخذ ريباً سواي»<sup>(١)</sup>.

فإن قلت: قد علم من تقديم المصنف معنى الإبلاس على الاستبشار<sup>(٢)</sup> أنه راعى معنى لفظ «قبل» في الآية الثانية، فما فائدة تأخيرها في التنزيل وتكرير «قبل»؟

قلت: أحر الإبلاس عن الاستبشار، وأبرزه في صورة الشرطية إرادة للمبالغة وتشية للتفريع، إذ لو أريد الظاهر لقال: فإذا أصاب به القانطين<sup>(٣)</sup> ففعلوا كذا؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨] ولذلك قطع ما هو متصل بأصل الكلام من قوله: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾، وعلق به نوعاً آخر من التوبيخ إشعاراً بتعدد النعم وتكرير تلقئهم إياها بالكفران. ألا ترى كيف عقب ذلك بقوله: ﴿فَأَنْتَكَ لَا تَسْمَعُ أَلْمُونَ﴾ الآية.

قوله: (حوروراً) وهي الریح الحارّة، وهي بالليل كالسّموم بالنهار، والحرجف: الریح الباردة.

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨٢٥٤) وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٤٢٨) مرفوعاً من حديث أبي الدرداء، وضعف إسناده الحافظ العراقي في «تخریج أحاديث الإحياء» (٤: ١٥٥).

(٢) في (ط): «الاستثناء».

(٣) في (ف): «المقنطين»، وهو وجّه سائغ، لا سيما إذا كان بالشدید.

هشياً. وقال: مُصْفَرًّا؛ لأنَّ تلكَ صَفْرَةٌ حَادِثَةٌ. وقيل: فَرَأُوا السَّحَابَ مُصْفَرًّا؛ لأنه إذا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَمَطَّرْ.

[﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ٥٤]

قُرِي بِفَتْحِ الضَّادِ وَضَمِّهَا، وَهِيَ لُغْتَانِ. وَالضَّمُّ أَقْوَى فِي الْقِرَاءَةِ، لِمَا رَوَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ: «قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ ضَعْفٍ، فَأَقْرَأَنِي مِنْ ضَعْفٍ». وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، يَعْنِي: أَنَّ أَسَاسَ أَمْرِكُمْ وَمَا عَلَيْهِ جَبَلْتُمْ وَبَنَيْتُمْ الضَّعْفَ ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، .....

نَصَوَّحَ الْبَقْلُ: إِذَا بَيْسَ أَعْلَاهُ وَفِيهِ نُدْوَةٌ، وَصَوَّحْتُهُ الرِّيحُ أَيَسَّتُهُ. كُلُّهَا فِي «الصَّحَاحِ». قَوْلُهُ: (وَقَالَ مُصْفَرًّا) أَي: لَمْ يَقُلْ: «أَصْفَر».

قَوْلُهُ: (قُرِيَّ بَفَتْحِ الضَّادِ وَضَمِّهَا) أَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةٌ: بِالْفَتْحِ، وَعَنْ حَفْصِ بْنِ جَهَانَ، وَالباقون: بِضَمِّهَا<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (لِمَا رَوَى ابْنُ عُمَرَ) رَوَيْنَا عَنْ التِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ. قَالَ عَطِيَّةُ ابْنِ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ: قَرَأْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ قَالَ: «مِنْ ضَعْفٍ»، قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا قَرَأْتُهَا عَلَيَّ، فَأَخَذَ عَلَيَّ كَمَا أَخَذْتُهَا عَلَيْكَ<sup>(٢)</sup>.

فِي «الْمَعَالِمِ»<sup>(٣)</sup>: الضَّمُّ لُغَةٌ قَرِيشِيَّةٌ، وَالْفَتْحُ: لُغَةٌ تَمِيمِيَّةٌ. قَالَ الزَّجَّاجُ: الْاِخْتِيَارُ الضَّمُّ؛ لِلرُّوَايَةِ<sup>(٤)</sup>.

(١) وقد سبق بيانه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٣٦) وأبو داود (٣٩٨٠) والبخاري (٥٣٧٣) وغيرهم.

(٣) «معالم التنزيل» (٦: ٢٧٧).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٩١).

أي: ابتدأناكم في أول الأمر ضعافاً. وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتكم وقت الاحتلام والشبيبة، وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد، ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم. وقيل: من ضعف من النطف، كقوله تعالى: ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨، المرسلات: ٢٠] وهذا التردد في الأحوال المختلفة، والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة: أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر. [﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾]

[٥٥]

﴿السَّاعَةُ﴾ القيامة، سُميت؛ بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا،

قوله: (أي: ابتدأناكم في أول الأمر ضعافاً) فـ ﴿مِنْ﴾ لا ابتداء الغاية، نحو قول القائل: فلان ربي فلاناً من فقره وجعله غنياً؛ أي: من حالة فقره، فقوله: ﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي: من حالة كان فيها جينياً وطفلاً مولوداً ورضيعاً.

قوله: (وبلوغ الأشد) قيل: هو ما بين ثمان عشرة إلى ثلاثين، وهو واحد على بناء الجمع. وقيل: هو جمع لا نظير<sup>(١)</sup> له من لفظه. وكان سيبويه يقول: واجده: شدة. الراغب: ويدل على أن كل واحد من قوله: ﴿ضَعْفٍ﴾ إشارة إلى حالة غير الحالة الأولى؛ ذكره منكر<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وقيل: من ضعف) من النطف، أي: أنشأكم من ماء ذي ضعف، وهو قلته وحقارته كقوله تعالى: ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾.

قوله: ﴿السَّاعَةُ﴾: القيامة، الراغب: الساعة جزء من أجزاء الزمان، ويعبر به عن القيامة كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] سُميت<sup>(٣)</sup> بذلك لسرعة حسابها،

(١) لفظه «نظير» سقطت من (ح) و(ف).

(٢) «مفردات القرآن» ص ٥٠٧.

(٣) كذا في النسخ الخطية، والذي في «المفردات»: «تشبيهاً».



أو: لَأْتَهَا تَقَعُ بَعْتَةٌ وَبِدِيْمَةٌ. كما تقول: في ساعةٍ لَمَنْ تَسْتَعِجِلْهُ، وَجَرَتْ عَلَمًا لَهَا كَالنَّجْمِ  
لِلثَّرِيَا، وَالكَوْكَبِ لِلزُّهْرَةِ. وَأَرَادُوا: لَبِثَهُمْ فِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي الْقُبُورِ، أَوْ فِيمَا بَيْنَ فَنَاءِ  
الدُّنْيَا إِلَى الْبَعْتِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا بَيْنَ فَنَاءِ الدُّنْيَا إِلَى وَقْتِ الْبَعْتِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: لَا

أَوْ لِمَا نَبَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَلْبِثُونَ إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ [الاحقاف: ٣٥].

وقيل: السَّاعَاتُ الَّتِي هِيَ الْقِيَامَةُ ثَلَاثَةٌ:

السَّاعَةُ الْكُبْرَى، وَهِيَ بَعْتُ النَّاسِ لِلْمُحَاسَبَةِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ  
السَّاعَةِ: أَنْ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصَ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ؛  
أَي: الْقَتْلُ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى (١).

وَالسَّاعَةُ الْوَسْطَى: وَهِيَ مَوْتُ أَهْلِ الْقَرْنِ الْوَاحِدِ نَحْوَ مَا رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ،  
عَنْ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةِ الْعِشَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ:  
«أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِثَّةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ  
أَحَدٌ» (٢). وَزَادَ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ: وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو: وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَبْقَى الْيَوْمَ  
مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ» (٣) يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذَلِكَ الْقَرْنُ.

وَالسَّاعَةُ الصُّغْرَى، وَهِيَ مَوْتُ الْإِنْسَانِ، فَسَاعَةٌ كُلُّ إِنْسَانٍ مَوْتُهُ (٤). وَذَلِكَ نَحْوَ مَا  
رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَنَظَرَ إِلَى أَحَدِثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ: «إِنْ  
يَعِشُ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ» (٥). قَالَ هِشَامٌ: يَعْنِي: مَوْتَهُمْ.

قَوْلِهِ: (وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا بَيْنَ فَنَاءِ الدُّنْيَا إِلَى وَقْتِ الْبَعْتِ أَرْبَعُونَ») الْحَدِيثُ، مِنْ رِوَايَةِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٠٦٤) وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٢) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٢٠٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١٦) وَمُسْلِمٌ (٢٥٣٧).

(٣) انظر: «سنن أبي داود» (٤٣٤٨) و«سنن الترمذي» (٤٣٥٠).

(٤) «مفردات القرآن» ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥١١) وَمُسْلِمٌ (٢٩٥٢).

يَعْلَمُ أَهْيَ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَمْ أَرْبَعُونَ أَلْفَ سَنَةً؟ وَذَلِكَ وَقْتُ يُفْنُونَ فِيهِ وَيَنْقَطِعُ عَذَابُهُمْ، وَإِنَّمَا يُقَدَّرُونَ وَقْتُ لَبِثِهِمْ بِذَلِكَ عَلَى وَجْهِ اسْتِقْصَارِهِمْ لَهُ. أَوْ يَنْسَوْنَ أَوْ يَكْذِبُونَ. أَوْ يُخَمَّنُونَ ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أَي: مِثْلَ ذَلِكَ الصَّرْفِ كَانُوا يُصَرَّفُونَ عَنِ الصِّدْقِ وَالتَّحْقِيقِ فِي الدُّنْيَا، وَهَكَذَا كَانُوا يَبْتُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ. أَوْ مِثْلَ ذَلِكَ الْإِفْكِ كَانُوا يُؤْفَكُونَ فِي الْاِغْتِرَارِ .....

البخاريّ ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قالوا: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قال أبو هريرة: أَيْبْتُ. قالوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قال: أَيْبْتُ. قالوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً. قال: أَيْبْتُ. الحديث (١).

قوله: (أَوْ يُخَمَّنُونَ)، الأساس: التَّخْمِينُ: الوَهْمُ وَالتَّقْدِيرُ، وَخَمَّنَ كَذَا، أَي: حَزَرَهُ، وَخَمَّنَهُ يَخْمِنُهُ خَمْنًا.

الراغب: التَّخْمِينُ: أَنْ يَتَوَهَّمُ فِي الشَّيْءِ أَمْرًا مَا لَا عَنْ أَمَارَةٍ (٢).

قوله: (وَهَكَذَا كَانُوا يَبْتُونَ أَمْرَهُمْ) عطفٌ تفسيريٌّ على الجملة قبله.

الراغب: الْإِفْكِ: كُلُّ مَصْرُوفٍ عَنْ وَجْهِهِ الَّذِي يَحِقُّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلرِّيَاحِ الْعَادِلَةِ عَنِ الْمَهَابِ: مُؤْتَفِكَةٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةُ بِالْمَأْفِتِ﴾ [الحاقة: ٩]. وقوله: ﴿فَنَلَّهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوْفَكُوا﴾ [التوبة: ٣٠]؛ أَي: يُصَرَّفُونَ عَنِ الْحَقِّ فِي الْاِعْتِقَادِ إِلَى الْبَاطِلِ، وَمِنْ الصِّدْقِ فِي الْمَقَالِ إِلَى الْكُذْبِ، وَمِنْ الْجَمِيلِ فِي الْفِعْلِ إِلَى الْقَبِيحِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿يُوْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ [الذاريات: ٩]، وَرَجُلٌ مَأْفُوكٌ. مَصْرُوفٌ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ (٣).

وقال الواحدي: أَفَكَ فَلَانٌ إِفْكًَا إِذَا صُرِفَ عَنِ الصِّدْقِ وَعَنِ الْخَيْرِ (٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) «مفردات القرآن» ص ٧٨٠.

(٣) المصدر السابق ص ٧٩.

(٤) «الوسيط في التفسير» للواحدي (٣: ٤٣٨).

بما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْآنَ أَنَّهُ مَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً.

[﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [٥٦-٥٧]

القائلون: هُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْمُؤْمِنُونَ. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فِي اللَّوْحِ. أَوْ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، أَوْ فِيمَا كَتَبَهُ، أَي: أَوْجَبَهُ بِحُكْمَتِهِ. رَدُّوْا مَا قَالُوهُ وَحَلَفُوا عَلَيْهِ، وَأَطْلَعُوهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ ثُمَّ وَصَلُوا ذَلِكَ بِتَقْرِيعِهِمْ عَلَى انْكَارِ الْبَعْثِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ حَقٌّ لَتَقْرِيطِكُمْ فِي طَلْبِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا هَذِهِ الْفَاءُ؟ وَمَا حَقِيقَتُهَا؟ قُلْتَ: هِيَ الَّتِي فِي قَوْلِهِ:

#### فقد جئنا خراسانا

وقال الكلبي: كَذَّبُوا فِي قَوْلِهِمْ: ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ كَمَا كَذَّبُوا فِي الدُّنْيَا.

وقال مقاتل: يقول: هكذا كانوا يُكذِّبُونَ بِالْبَعْثِ كَمَا كَذَّبُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا سَاعَةً، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَفْضَحَهُمْ فَحَلَفُوا عَلَى شَيْءٍ يَتَبَيَّنُ لِأَهْلِ الْجَمْعِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِي ذَلِكَ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِكَذِبِهِمْ هُنَاكَ عَلَى كَذِبِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ ذَلِكَ مِنَ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ. يَعْنِي كَمَا صُرِفُوا عَنِ الصِّدْقِ فِي حَلْفِهِمْ حِينَ حَلَفُوا كَاذِبِينَ، صُرِفُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ الْإِيمَانِ، ثُمَّ ذَكَرَ انْكَارَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ كَذِبَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الرُّوم: ٥٦].

قوله: (بما تَبَيَّنَ) صَلَةُ «الْإِغْتِرَارِ»، وَ«مَا» مَوْصُوفَةٌ أَوْ مَوْصُولَةٌ، يَعْنِي: مِثْلَ ذَلِكَ الْإِنْفِكِ مَطْلَقًا كَانُوا يُؤْفِكُونَ فِي إِغْتِرَارِهِمْ بِشَيْءٍ ظَهَرَ لَهُمُ الْآنَ أَنَّهُ مَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً، وَهُوَ طَوْلُ مُكْتَبِهِمُ الَّذِي غَرَّهَمُ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِالْبَعْثِ وَالْجُزْءِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مُقَاتِلٍ: هَكَذَا كَانُوا يَكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ.

قوله: (فقد جئنا خراسانا)، تَمَامُهُ:

وحقيقتها: أتما جوابُ شرطٍ يدلُّ عليه الكلام، كأنه قال: إن صحَّ ما قلتم من أن خراسانَ أقصى ما يُرادُ بنا فقد جئنا خراسان، وأن لنا أن نُخلص، وكذلك إن كنتم مُنكرين البعث فهذا يومُ البعث، أي: فقد تبيَّن بطلانُ قولكم. وقرأ الحسنُ: (يومُ البعث)، بالتحريك، ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ قرئَ بالياءِ والتاء، ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من قولك: استعتبني فلانُ فأعتبته، أي: استرضاني فأرضيته، وذلك إذا كنتُ جانياً عليه. وحقيقةُ أعتبته: أزلتُ عتبه. ألا ترى إلى قوله:

غَضِبْتَ تَمِيمٌ أَنْ يُقْتَلَ عَامِرٌ      يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ

كيف جعلهم غضاباً، ثم قال: فأعتبوا، أي: أزيل غضبهم. والغضبُ في معنى العتب. والمعنى: لا يُقالُ لهم أرضوا ربكم بتوبةٍ وطاعة، ومثله قوله تعالى: ﴿لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥]. فإن قلت: كيف جعلوا غيرَ مُستعتبين في بعض الآيات، وغيرَ مُعتبين في بعضها، وهو قوله: ﴿وإنَّ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]؟ قلت: أما كونهم غيرَ مُستعتبين: فهذا معناه. وأما كونهم

قالوا: خراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا      ثم القُولُ، فقد جئنا خراسانا<sup>(١)</sup>

قوله: (وقرأ الحسنُ: «يومُ البعث») قال ابن جنِّي: «البعثُ» بفتح العين، حرَّك العين لكونها حرفَ حَلْقٍ<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ قرئَ بالياءِ، عاصمٌ وحزرةٌ والكسائيُّ، والباقون: بالتاء الفوقانية<sup>(٣)</sup>.

قوله: (إذا كنتُ جانياً) أي: إذا دُمَّتْ على جنائتك عليه، فيستر ضيكَ المجني عليه بعقوبِ عنه، وتضربُ جنائتك عنه<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) «المحتسب» (٢: ١٦٥).

(٣) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٦٢.

(٤) هذه الفقرة سقطت من (ح) و(ف).

غير مُعْتَبِينَ، فمعناه: أنهم غيرُ راضينَ بما هم فيه، فشبَّهت حالهم بحالِ قومِ جُنَيْ عَلَيْهِم، فَهُمْ عَاتِبُونَ عَلَى الْجَانِيِ غَيْرُ رَاضِينَ عَنْهُ، فَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا اللَّهَ: أَي يَسْأَلُوهُ إِزَالَةَ مَا هُمْ فِيهِ، فَمَا هُمْ مِنَ الْمُجَابِينَ إِلَى إِزَالَتِهِ.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ \* كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ \* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٨-٦٠﴾

﴿وَلَقَدْ﴾ وَصَفْنَا لَهُمْ كُلَّ صِفَةٍ كَأَنَّهَا مَثَلٌ فِي غَرَابَتِهَا، وَقَصَصْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ قِصَّةٍ عَجِيبَةٍ الشَّانِ، لِصِفَةِ الْمُبْطِلِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَصَّتَهُمْ، وَمَا يَقُولُونَ وَمَا يُقَالُ لَهُمْ، وَمَا لَا يَنْفَعُ مِنْ اعْتِدَارِهِمْ وَلَا يُسْمَعُ مِنْ اسْتِعْتَابِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَقَسَوَةَ قُلُوبِهِمْ وَمَجَّ أَسْمَاعِهِمْ حَدِيثَ الْآخِرَةِ إِذَا جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، قَالُوا: جِئْتَنَا بِزُورٍ وَبِاطِلٍ، ثُمَّ قَالَ: مَثَلٌ ذَلِكَ الطَّبَعُ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْجَهْلَةِ. وَمَعْنَى طَبَعَ اللَّهُ: مَنَعَ الْأَلطَافَ الَّتِي تَنْشَرِحُ لَهَا الصُّدُورُ حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ، وَإِنَّمَا يَمْنَعُهَا مَنْ عَلِمَ أَنَّهَا لَا تُجِدِي عَلَيْهِ وَلَا تُغْنِي

قوله: (فشبَّهت حالهم بحال قوم)، هذا على معنى كونهم غير مُعْتَبِينَ، وعلى معنى كونهم غير مُسْتَعْتَبِينَ وهو جارٍ على الحقيقة؛ لأنهم بحيث لا يقال لهم: أرضوا ربكم بالتوبة والطاعة.

قوله: (يطبعُ الله على قلوب الجَهْلَةِ) يعني: قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَضَعَ مَوْضِعَ الرَّاجِعِ إِلَى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أَوْ أَنَّهُ عَامٌ يَدْخُلُ أَوْلَئِكَ فِيهِ دُخُولًا أَوْلِيًّا؛ وَكَلَامُهُ مَحْتَمِلٌ الْمَعْنِيَيْنِ.

وقال القاضي: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يطلبون العلم، ويصرون على خرافات اعتقدوها، فإنَّ الجَهْلَ الْمَرْكَبَ يَمْنَعُ إِدْرَاكَ الْحَقِّ، وَيُوجِبُ تَكْذِيبَ الْمُحَقِّقِ<sup>(١)</sup>.

وقلت: كأنه ذهب إلى الاحتمال الأول.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٤٣).

عنه، كما يمنع الواعظ والموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه، فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرّين إياها، فكأنه قال: كذلك تقسو وتصدا قلوب الجهلة، حتى يسموا المحقين مبطلين، وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة، ﴿فَاصْبِرْ﴾ على عداوتهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله ﴿حَقٌّ﴾ لا بدّ من إنجازه والوفاء به، ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك. وقري بتخفيف النون. وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب: (ولا يستحقنك)، أي: لا يفتنك فيملكوك ويكوثوا أحق بك من المؤمنين.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض، وأدرك ما ضيع في يومه وليلته».

قوله: (ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً)، فاعل «لا يحملنك»: ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، على منوال: لا أرينك هنا و«جزعاً» تمييز، والظاهر أنه مفعول له، وإن لم يكن فعلاً لـ ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾؛ لأنه لما كان المنهي في الحقيقة رسول الله ﷺ جاز ذلك، و«مما يقولون» متعلق بـ«جزعاً». المعنى: لا يحملنك الذين لا يوقنون على ما يدخلك منه خفة؛ لأن يجزع من قولهم؛ أي: لا تكن بحيث يحملك الجزع على الخفة والعجلة، فتمنعك من تبليغ الرسالة؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف: ٢]. والله أعلم.

تَمَّتِ السُّورَةُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ<sup>(١)</sup>.



(١) قوله: «تمت السورة بحمد الله وعونه، وبالله المستعان» أثبتته من (ف).

## سورة لقمان

مكية، وهي أربع وثلاثون آية، وقيل: ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَلَمَ \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ \* هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥ - ١]

﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ذِي الْحِكْمَةِ. أو: وُصِفَ بِصِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى .....

## سورة لقمان

مكية، وهي أربع وثلاثون آية، وقيل: ثلاث وثلاثون آية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذِي الْحِكْمَةِ) عن بعض المغاربة: وُصِفَ الْكِتَابُ الْحَكِيمُ بِذِي  
الْحِكْمَةِ مجازاً أيضاً على طريق التَّضْمِينِ؛ لِأَنَّ الْوَصْفَ بِ«ذُو» لِلتَّمَلُّكِ، وَالْكِتَابُ لَا يَمْلِكُ  
الْحِكْمَةَ بَلْ يَتَضَمَّنُهَا، فَلَأَجْلِ تَضَمُّنِهَا الْحِكْمَةَ وَوُصِفَ بِالْحَكِيمِ عَلَى مَعْنَى ذِي الْحِكْمَةِ<sup>(٢)</sup>،  
وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْإِسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات:  
٤١].

(١) في (ط): «مكية، وهي ثلاثون وأربع آية».

(٢) وهو الذي قَدَّمَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي «الْمَحَرَّرَ الْوَجِيزَ» ص ١٤٨٣.

على الإسنادِ المجازيِّ. ويجوزُ أن يكونَ الأصلُ: الحكيمُ قائله، فحُذِفَ المُضَافُ وأقيِمَ المُضَافُ إليه مقامه، فبانقلابه مرفوعاً بعدَ الجرِّ استكنَّ في الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنَّصْبِ على الحالِ عنِ الآياتِ، والعاملُ فيها: ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارةِ. وبالرَّفْعِ على أَنه خَبْرٌ بعدَ خبرٍ، أو خبرٌ مُبتدأٌ محذوف. ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾: للَّذِينَ يَعْمَلُونَ الحَسَنَاتِ وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا: من إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالإِيقَانِ بِالآخِرَةِ ونظيرُهُ قولُ أوس:

الألمعي الذي يظنُّ بك الظنَّ      ظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعاً

قوله: (على الإسنادِ المجازيِّ) عن بعضهم: أنَّ «الحكيم» من صفات الله تعالى لا من صفات الكتاب، فأسندَ صفةَ الله تعالى إلى الكتاب مجازاً؛ لأنَّ الكتابَ منه بدء وهو بسببه.

قوله: (فحُذِفَ المُضَافُ) أي: قائلٌ في قائله، وأقيِمَ الهاءُ الذي هو المُضَافُ إليه مقامَ قائلٍ، وبقي الهاءُ المتصلُ به مُنفرداً فانقلبت إلى «هو» المنفصل، فصار مرفوعاً؛ لأنه فاعلٌ بعد أن كان مجروراً؛ لأنه كان مضافاً إليه ثمَّ استكنَّ هذا الهاءُ المُنْقَلِبُ من الجرِّ إلى الرَّفْعِ في ﴿الْحَكِيمِ﴾ الذي هو الصِّفَةُ المُشَبَّهَةُ، كما يَسْتَكِنُ في: يضرب.

قوله: (بالنَّصْبِ على الحالِ عن<sup>(١)</sup> الآياتِ، والعاملُ فيها: ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارةِ) فقد سبق في أوَّلِ «البقرة» عند قوله: ﴿هُدًى﴾ [البقرة: ٢] الخلافُ فيه.

وردَّ ابنُ الحَاجِبِ قولَ الرَّجَّاحِ وغيره<sup>(٢)</sup>. وأما أبو البقاء فذكرَها هنا ما ذكره المصنِّف<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالنَّصْبِ، وبالرَّفْعِ على أَنه خبرٌ حمزةٌ: بالرَّفْعِ<sup>(٤)</sup>، والباقون: بالنَّصْبِ.

قوله: (الألمعي الذي يظنُّ بك) البيت، قبله:

(١) في (ح): «من».

(٢) انظر عبارة الزجاج في «معاني القرآن» (٤: ١٩٣).

(٣) انظر: «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤٣).

(٤) وهو على معنيين: أحدهما: على إضمار «هو هدى ورحمة»، والثاني: «تلك هدى ورحمة للمحسنين».

انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٦٣.



حُكِيَّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْأَمْعِيِّ فَأَنْشَدَهُ وَلَمْ يَزِدْ. أَوْ: لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ جَمِيعَ مَا يَحْسُنُ مِنَ الْأَعْمَالِ، ثُمَّ خَصَّ مِنْهُمْ الْقَائِمِينَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ لِفَضْلِ اعْتِدَادِهَا.

[ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ \* وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦-٧﴾ ]

اللَّهُوُ: كُلُّ بَاطِلٍ أَلْهِىَ عَنِ الْخَيْرِ وَعَمَّا يَعْنِي ﴿لَهَوَ الْحَدِيثِ﴾ نَحْوَ السَّمْرِ بِالْأَسَاطِيرِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا، وَالتَّحَدُّثِ .....

إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاخَةَ وَالنَّجْدَةَ وَالْبَاسَ وَالتَّقَى جُمَعًا<sup>(١)</sup>

النَّجْدَةُ بفتح النون: الشَّجَاعَةُ وَالبُلُوغُ فِي الْأَمْرِ بِحَيْثُ يَعْجِزُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَالبَاسُ: الْحَرْبُ، وَ«الْأَمْعِيُّ» خَبْرٌ «إِنَّ»، وَفِي النُّسخِ الْمصحَّحَةِ: «الْأَمْعِيُّ» بِالنَّصْبِ.

الْأَسَاسُ: رَجُلٌ أَلْمَعِيُّ وَيَلْمَعِيُّ: فَرَّاسٌ<sup>(٢)</sup>. وَعَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: الْأَمْعِيُّ: الَّذِي إِذَا لَمَعَ لَهُ أَوَّلُ الْأَمْرِ يَكْتَفِي بِظَنِّهِ دُونَ يَقِينِهِ، وَهُوَ مِنَ اللَّمَعِ، وَهُوَ الْإِشَارَةُ الْخَفِيَّةُ وَالنَّظَرُ الْخَفِيُّ.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ خَصَّ مِنْهُمْ الْقَائِمِينَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ)، فَعَلَى الْأَوَّلِ: «الْمُحْسِنِينَ» مَعْبَرٌ عَنِ الذُّوَاتِ، وَ«الَّذِينَ» وَصَفٌ مَجْرُورٌ جَارٍ عَلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الْكَشْفِ وَالبَيَانِ، وَعَلَى الثَّانِي: ذُوَاتٌ مَخْصُوصَةٌ مُبَيَّنَّةٌ تَمَيِّزُ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَنِ مَلَائِكَتِهِ<sup>(٣)</sup>، يَشْهَدُ لَهُ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: «خَصَّ مِنْهُمْ». وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِتَقْدِيرِ: أَعْنِي، أَوْ: أَذْكَرُ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ؛ لِأَنَّا قَدْ أَلْفَضْنَا مِنَ الْمَذْكُورَاتِ وَفَضَّلْنَا مِنَ اتَّصَفَ بِهَا.

(١) البیتان لأوس بن حجر في «ديوانه» ص ٥٣ من قصيدته المشهورة ومطلعها:

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا      إِنَّ الَّذِي تَحَدَّرِينَ قَدْ وَقَعَا

(٢) يعني صاحبَ فِرَاسَةٍ.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وقد

سبق بيانه.

بالخرافات والمصاحيك وفُضُولِ الكلام، وما لا ينبغي من كان وكان، ونحو الغناء وتعلم الموسيقى، وما أشبه ذلك. وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان يتجر إلى فارس، فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول: إن كان محمدٌ يحدثكم بحديث عادٍ وثمود؛ فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة ومُلوك الحيرة، فيستمعون حديثه ويتزكون استماع القرآن. وقيل: كان يشتري المغنيات،

قوله: (بالخرافات)، المغرب: الخرافات: الأحاديث المُستملحة<sup>(١)</sup>، ومنه: الفكاهة من الفكاهة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (من كان وكان) كناية عن الأحاديث التي لا يُعنى بها من فضول الكلام، كما أن «كَيْتَ وَكَيْتَ» كناية عما لا يُعنى بشأنه.

قوله: (الموسيقار) وفي بعض الحواشي: هو علمُ الألحان، روينا عن أحمد بن حنبل وأبي داود، عن نافع قال: كنت مع ابن عمر في طريق فسمع مزمارًا، فوضع إصبعيه في أذنيه، ونأى عن الطريق إلى الجانب الآخر، ثم قال لي بعد أن بعدنا: يا نافع، هل تسمع شيئًا؟ قلت: لا، فرفع إصبعيه من أذنيه، وقال: كنت مع رسول الله ﷺ فسمع صوت يراع، فصنع مثل ما صنعت. قال نافع: كنت إذ ذاك صغيرًا<sup>(٣)</sup>.

النهاية: اليراع: قَصَبَةٌ كان يُزمرُ بها.

قوله: (فيستمعون<sup>(٤)</sup>)، أي: يستحسنون من المنح، وهو العطاء. وفي بعض النسخ: «يستمليحون».

(١) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ٢٥٠).

(٢) في النسخة «ف»: «المستحيلة».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤٥٣٥) و(٤٩٦٥)، وأبو داود (٤٩٢٤)، وابن حبان (٦٩٣)، وقال أبو داود: هذا حديث منكر، ونقاد الحديث على مخالفته، ولتمام الفائدة انظر التعليق على «مسند أحمد» (٨: ١٣٣).

(٤) كذا في الأصول الخطية، وكذا هو في نص «الكشاف» من (ط)، ومنه أثبتناه في «الكشاف»، فإنه وقع في الأصل الخطي المعتمد من «الكشاف»: «فيستميحون»، ولم يظهر لنا وجهه، ووقع في المطبوع: =

فلا يظفرُ بأحدٍ يُريدُ الإسلامَ إلا انطلقَ به إلى قَيْنَتِهِ فيقولُ: أطيِّمِهِ واسقِ بِهِ وغنِّهِ، ويقولُ: هذا خيرٌ مما يدعوكَ إليه مُحَمَّدٌ من الصَّلَاةِ والصَّيَامِ وأن تُقاتِلَ بينَ يَدَيْهِ. وفي حديثِ النَّبِيِّ ﷺ: «لا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغْنِيَّاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا التَّجَارَةُ فِيهِنَّ وَلَا أَنْتَاهُنَّ» وعنه ﷺ: «ما مِنْ رَجُلٍ يَرَفُعُ صَوْتَهُ بِالْغِنَاءِ إِلَّا بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَيْطَانَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَلَى هَذَا الْمَنْكِبِ وَالْآخَرُ عَلَى هَذَا الْمَنْكِبِ، فَلَا يَزَالَانِ يَضْرِبَانِهِ بِأَرْجُلِهِمَا حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَسْكُتُ»، وقيل: الْغِنَاءُ مَنفَعَةٌ لِلْمَالِ، مَسْحَطَةٌ لِلرَّبِّ، مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ. فَإِنْ قُلْتَ: ما معنى إضافة اللّهُ إلى الحديث؟ قلتُ: معناها التَّبَيُّنُ، وهي الإضافةُ بِمعنى (من)، وأن يُضَافَ الشَّيْءُ إلى ما هُوَ منه، كقولك: صُفَّةٌ خَزٌّ وِيَابٌ سَاجٍ.

قوله: (لا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغْنِيَّاتِ) الحديث من رواية الإمام أحمد بن حنبلٍ والترمذي وابن ماجه، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تَشْتَرُوا الْقَيْنَاتِ وَلَا تَبِيعُوهُنَّ، وَلَا خَيْرَ فِي تِجَارَتِهِنَّ، وَتَمْنَهُنَّ حَرَامٌ»<sup>(١)</sup>.

وفي مثل ذلك أنزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ جعل الله الْقَيْنَاتِ نَفْسَ هُوَ الْحَدِيثِ مبالغةً، كما جعل النِّسَاءَ في قوله: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ نفس الزينة.

قوله: (صُفَّةٌ خَزٌّ) بضم الصاد المهملة.

الأساس: أَصْلِحْ صُفَّةً سَرَجَكَ، وَأَصْفَفْتُ السَّرَجَ: جعلت له صُفَّةً<sup>(٢)</sup>.

المغرب: صُفَّةُ السَّرَجِ: ما عُشِّيَ به بين القَرَبوسَيْنِ، وهما مقدَّمه ومؤخَّره<sup>(٣)</sup>.

= «فيستملحون»، وهي نسخة أشار إليها الطيبي.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٣٤)، وابن ماجه (٢١٦٨)، والترمذي (١٢٨٢)، والبيهقي في

«السنن الكبرى» (٦: ١٤) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيف، وأفته: عبيد الله بن

زَحر الإفريقي، وعلي بن يزيد الألهاني: ضعيفان، وبه أعلمه الترمذي في «السنن».

(٢) في (ط): «جعلته صُفَّةً».

(٣) «المغرب في ترتيب المغرب» (١: ٤٧٦).

والمعنى: مَنْ يَشْتَرِي اللّهُوَ مِنَ الْحَدِيثِ؛ لأنَّ اللّهُوَ يَكُونُ مِنَ الْحَدِيثِ وَمِنْ غَيْرِهِ، فَبَيَّنَ بِالْحَدِيثِ. وَالْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ: الْحَدِيثُ الْمُتَنَكَّرُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «الْحَدِيثُ فِي الْمَسْجِدِ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ الْبَهِيمَةُ الْحَشِيشَ» وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى (مِنْ) التَّبَعِيضِيَّةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَنْ النَّاسِ مِنْ يَشْتَرِي بَعْضَ الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ اللّهُوَ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿يَشْتَرِي﴾ إِمَّا مِنْ الشَّرَاءِ، عَلَى مَا رُوِيَ عَنِ النَّضْرِ: مِنْ شِرَاءِ كُتُبِ الْأَعَاجِمِ، أَوْ مِنْ شِرَاءِ الْقِيَانِ. وَإِنَّمَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٧٧] أَي: اسْتَبَدَّلُوهُ مِنْهُ وَاسْتَأْرَوْهُ عَلَيْهِ. وَعَنْ قَتَادَةَ: اشْتَرَاؤُهُ: اسْتَحْبَابُهُ، يَخْتَارُ حَدِيثَ الْبَاطِلِ عَلَى حَدِيثِ الْحَقِّ. وَقُرئ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا. وَ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دِينُ الْإِسْلَامِ

قَوْلُهُ: (الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى «مِنْ» التَّبَعِيضِيَّةِ) فَعَلِيَ الْأَوَّلُ: يُشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الْعَامِّ إِلَى الْخَاصِّ، كَمَا قَالَ: اللّهُوَ يَكُونُ مِنَ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ. وَعَلَى الثَّانِي: عَكْسُهُ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ قَدْ يَكُونُ لَهْوًا وَغَيْرَهُ كَمَا قَالَ: «بَعْضُ الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ اللّهُوَ مِنْهُ»، وَالضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ رَاجِعٌ إِلَى «الْحَدِيثِ».

قَوْلُهُ: (قُرئ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا) ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: بِالْفَتْحِ، وَالباقون: بِالضَّمِّ.

قَالَ الرَّجَاجُ: مَنْ قَرَأَ بِالضَّمِّ فَمَعْنَاهُ: لِيُضِلَّ غَيْرَهُ، وَإِذَا أَضَلَّ غَيْرَهُ فَقَدْ ضَلَّ هُوَ أَيْضًا. وَمَنْ قَرَأَ بِالْفَتْحِ فَمَعْنَاهُ: لِيَصِيرَ أَمْرُهُ إِلَى الضَّلَالِ<sup>(١)</sup>، فَدَلَّ بِالرَّدِيفِ عَلَى الْمَرْدُوفِ. قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: هَذَا لَا يَخْلُو عَنْ نَظَرٍ، فَإِنَّ الرَّدِيفَ لَا يَدُلُّ عَلَى الْمَرْدُوفِ؛ لِأَنَّ الضَّلَالَ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُضِلًّا.

قُلْتُ: لَمَّا جَعَلَهُ مِنَ الْكِنَايَةِ لَزِمَ أَنْ تَكُونَ الْمَلَاذِمَةُ مَسَاوِيَةً، إِنَّمَا أَنَّهُا كَذَلِكَ حَقِيقَةً أَوْ

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٩٤).

أو القرآن. فإن قلت: القراءة بالضم بيته، لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو: أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه، فما معنى القراءة بالفتح؟ قلت: فيه معنيان، أحدهما: ليثبت على ضلاله الذي كان عليه، ولا يصدف عنه، ويزيد فيه ويمده، فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه. والثاني: أن يوضع (ليضل) موضع (ليضل) من قبل أن من أضل كان ضالاً لا محالة، فدل بالرديف على المردوف. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿بغير علم﴾ قلت: لئما جعله مشترياً لهو الحديث بالقرآن قال: يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها، حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق. ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَت بِحَنَرْتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] أي: وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها: وقرئ ﴿وَتَّخَذَهَا﴾ بالنصب والرفع عطفًا على ﴿يَشْتَرِي﴾. أو ﴿يُضِلُّ﴾،

ادعاء للشهرة، وكان المخذول أي: النضر مشهوراً في إضلال الناس باشتراء اللهو، فإذا قيل له: ضال، جاز أن يكون منه الإضلال بقرائن الأحوال.

قوله: (لما جعله مشترياً لهو الحديث بالقرآن) إلى آخره. تلخيصه: أنه لما استعير استبدال الضلال بالهدى، والباطل بالحق: الشراء، نُظِرَ إلى المُستعار<sup>(١)</sup> له، وجيء بوصف ملائم له، فكان تجريداً للاستعارة كما أن قوله: ﴿فَمَا رِيحَت بِحَنَرْتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] ترشيح لتلك الآية ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] تجريداً لها، وقد سبق في «البقرة» تقريره.

قوله: ﴿وَتَّخَذَهَا﴾ بالنصب والرفع بالنصب: حفص وحزمة والكسائي، والباقون: بالرفع<sup>(٢)</sup>.

قال صاحب «الكشف»: النَّصْبُ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى ﴿يُضِلُّ﴾، وَالرَّفْعُ عَلَى ﴿يَشْتَرِي﴾؛ أي: مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ وَيَتَّخِذُهَا هُزُوءًا، وَمَا بَيْنَ «يَشْتَرِي» وَ«يَتَّخِذُ» مِنَ الصَّلَةِ لَيْسَ

(١) من قوله: «استبدال الضلال بالهدى» إلى هنا، سقط من (ف).

(٢) لتمام الفائدة انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (١: ٤٠٩).

وَالضَّمِيرُ لِلسَّبِيلِ؛ لِأَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبِعُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦]. ﴿وَلَكِنَّ مُسْتَكْبِرًا﴾ زَامًا لَا يَعْبَأُ بِهَا، وَلَا يَرْفَعُ بِهَا رَأْسًا: تُشْبِهُ حَالَهُ فِي ذَلِكَ حَالٌ مِّن لَّمْ يَسْمَعُهَا وَهُوَ سَامِعٌ ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أَي: ثِقَلًا وَلَا وَقَرَ فِيهَا، وَقُرِئَ بِسُكُونِ الدَّالِ. فَإِن قُلْتَ: مَا مَحَلُّ الْجُمْلَتَيْنِ الْمُصَدَّرَتَيْنِ بِكَأَنَّ؟ قُلْتُ: الْأُولَى حَالٌ مِّن ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ وَالثَّانِيَةُ مِّن ﴿لَمْ يَسْمَعُهَا﴾، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَا اسْتِثْنَائِيْنِ، وَالْأَصْلُ فِي (كَأَنَّ) الْمُخَفَّفَةُ: كَأَنَّهُ، وَالضَّمِيرُ ضَمِيرُ الشَّانِ.

[إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ \* خَلِيدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ \* هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨ - ١١﴾]

بأجنبي، والباقي ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ للحال، أي: ﴿لِيُضِلَّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاهلاً<sup>(١)</sup>.

قوله: (زَامًا) الجوهري: زَمَّ بِأَنفِهِ، أَي: تَكَبَّرَ، فَهُوَ زَامٌ.

قوله: (وَقُرِئَ بِسُكُونِ الدَّالِ) قرأها نافع.

قوله: (وَالْأُولَى حَالٌ مِّن ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾) أَي: مِّنِ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِيهِ يَدُلُّ عَلَيْهِ.

قوله: (وَالثَّانِيَةُ مِّن ﴿لَمْ يَسْمَعُهَا﴾) يَكُونُ حَالًا مِّنْ مُتَدَاخِلَاتٍ<sup>(٢)</sup>.

قال أبو البقاء: ﴿كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعُهَا﴾ حَالٌ، وَالْعَامِلُ ﴿وَلَكِنَّ﴾ أَوْ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾، وَ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾، ﴿وَقْرًا﴾: إِمَّا بَدَلٌ مِّنِ الْحَالِ الْأُولَى، أَوْ تَبْيِينٌ لَهَا، أَوْ حَالٌ مِّنْ فَاعِلٍ «يَسْمَعُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ١٠٥٥).

(٢) في (ط): «تكون حالات متداخلات».

(٣) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤٣).

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران مُؤَكَّدان، الأوَّل: مُؤَكَّدٌ لِنَفْسِهِ والثَّانِي مُؤَكَّدٌ لِغَيْرِهِ؛ لأنَّ قولَه: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ في معنى: وَعَدَهُمُ اللهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فأكَّدَ معنى الوعدِ بالوعد. وأما ﴿حَقًّا﴾ فدلَّ على معنى الثَّبات: أَكَّدَ بِهِ معنى الوعدِ، ومُؤَكَّدُهُمَا جَمِيعًا قولُه: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ وَلَا يُعْجِزُهُ، يَقْدِرُ عَلَى الشَّيْءِ وَضِدِّهِ، فَيُعْطِي النَّعِيمَ مِنْ شَاءٍ وَالْبُؤْسَ مِنْ شَاءٍ، وَهُوَ ﴿الْحَكِيمُ﴾ لَا يَشَاءُ إِلَّا مَا تُوجِبُهُ الْحِكْمَةُ وَالْعَدْلُ، ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضَّمِيرُ فِيهِ لِلسَّمَاوَاتِ، وَهُوَ اسْتِشْهَادٌ بِرُؤْيَيْهِمْ لَهَا غَيْرَ مَعْمُودَةٍ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ كَمَا تَقُولُ لِصَاحِبِكَ: أَنَا بِلَا سَيْفٍ وَلَا رُمْحٍ تَرَانِي. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّهَا مِنَ الإِعْرَابِ؟ قُلْتُ: لَا مَحَلَّ لَهَا لِأَنَّهَا مُسْتَأْنَفَةٌ. أَوْ هِيَ فِي مَحَلِّ الْجُرِّ صِفَةٌ لِلْعَمَدِ أَي: بِغَيْرِ عَمَدٍ مَرْتِيَّةٍ، يَعْنِي: أَنَّهُ عَمَدَهَا بِعَمَدٍ لَا تُرَى، وَهِيَ إِمْسَاكُهَا بِقُدْرَتِهِ ﴿هَذَا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. وَالخَلْقُ بِمَعْنَى المَخْلُوقِ. وَ﴿الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أَهْلُهُمْ، بِكَتْمِهِمْ بِأَنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ العَظِيمَةَ مِمَّا خَلَقَهُ اللهُ وَأَنْشَأَهُ. ﴿فَأَرْوِفُ﴾ مَاذَا خَلَقْتَهُ أَهْلَكُمْ حَتَّى اسْتَوْجَبُوا عِنْدَكُمْ العِبَادَةَ، ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْ تَبَكُّيْتِهِمْ إِلَى التَّسْجِيلِ عَلَيْهِمُ بِالتَّوَرُّطِ فِي ضَلَالٍ لَيْسَ بَعْدَهُ ضَلَالٌ.

[﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ إِذْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ١٢]

قوله: (على قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾) متعلق بقوله: «استشهاد»، و﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ في التنزيل حالٌ من ﴿السَّمَوَاتِ﴾، و﴿تَرَوْنَهَا﴾ جملةٌ مستأنفةٌ مُبَيَّنَّةٌ؛ لأنَّ السَّمَاوَاتِ خُلِقَتْ بِغَيْرِ عَمَدٍ. كَأَنَّهُ لَمَّا قِيلَ: خُلِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ بِغَيْرِ عَمَدٍ<sup>(١)</sup>، قِيلَ: وَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ؟ فَقِيلَ: رُؤْيُ النَّاسِ لَهَا غَيْرَ مَعْمُودَةٍ، وَكَذَلِكَ لَمَّا قُلْتَ: أَنَا بِغَيْرِ سَيْفٍ وَلَا رُمْحٍ، فَقِيلَ: مَا الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ؟ أَجَبْتُ: لِأَنَّكَ تَرَانِي بِلَا سَيْفٍ وَلَا رُمْحٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ نَفْيِ الشَّيْءِ بِنَفْيِ لَارِمِهِ.

(١) قوله: «كأنه لما قيل: خلق السماوات والأرض بغير عمد» سقط من (ط).

هو لقمان بن باعورا: ابنُ أختِ أيوبَ أو ابنُ خالته. وقيل: كان من أولادِ آزر، وعاش ألف سنة، وأدرك داوودَ عليه السَّلامُ وأخذ منه العِلْمَ، وكان يُفتي قبل مبعثِ داوودَ عليه السَّلام، فلما بُعثَ قَطَعَ الفتوى، فقيل له؟ فقال: ألا أكتفي إذا كُفيتُ؟ وقيل: كان قاضيًا في بني إسرائيل، وأكثرُ الأقاويلِ أنه كان حكيماً ولم يكن نبيًّا، وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: لقمان لم يكن نبيًّا ولا ملكًا، ولكن كان راعياً أسودَ، فرزقه الله العتقَ، ورضي قوله ووصيته، فقصَّ أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته. وقال عكرمة والشَّعبيُّ: كان نبيًّا. وقيل: خُيِّرَ بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة. وعن ابنِ المسيب: كان أسودَ من سُودانِ مصرَ خياطًا، وعن مجاهد: كان عبدًا أسودَ غليظَ الشفتين مُتَشَقِّقَ القَدَمَيْنِ. وقيل: كان نجارًا. وقيل: كان راعياً وقيل: كان يَخْتِطِبُ لَمَولاهُ كُلَّ يومٍ حُزْمَةً. وعنه أنه قال لرجلٍ ينظرُ إليه: إن كنت تراني غليظَ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلامٌ رقيق، وإن كنت تراني أسودَ قلبي أبيض. وروي أن رجلاً وقفَ عليه في مجلسه فقال: ألسنت الذي ترعى معي في مكانٍ كذا؟ قال: بلى. قال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدقُ الحديثِ والصَّمْتُ عما لا يعنيني. وروي أنه دخل على داوودَ عليه السَّلامُ وهو يسرُّ الدرعَ وقد لَبِنَ الله له الحديدَ كالطين، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسَكَت، فلما أتمها لبسها وقال: نعم لَبُوسُ الحربِ أنت. فقال: الصَّمْتُ حُكْمٌ وقليلُ فاعله،

قوله: (وقيل: خُيِّرَ بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة)، الانتصاف: وفيه بُعدٌ بين، فإنَّ الحكمة قَطْرَةٌ من بحر النبوة، وأعلى درجات الحكمة يَنْحَطُّ عن أدنى مراتب النبوة، وليس من الحكمة اختيارُ الحكمة المجردة على النبوة<sup>(١)</sup>.

قوله: (الصَّمْتُ حُكْمٌ)<sup>(٢)</sup> وقليلُ فاعله قال المِبدائيُّ: الحُكْمُ: الحكمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ [مريم: ١٢]، ومعناه: استعمالُ الصَّمْتِ حِكْمَةً، ولكن قلَّ مَنْ يَسْتَعْمِلُهَا<sup>(٣)</sup>.

(١) الانتصاف بحاشية الكشاف (٣: ٤٩٣).

(٢) في النسخة «ف»: «حكمة»، والصواب ما أثبتناه، وهو على الجادة في «مجمع الأمثال».

(٣) «مجمع الأمثال» (١: ٤٠٢).



فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: بِحَقِّ مَا سُمِّيَتْ حَكِيمًا. وَرُوِيَ أَنَّ مَوْلَاهُ أَمَرَهُ بِذَبْحِ شَاةٍ، وَبِأَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا أَطِيبَ مُضْغَتَيْنِ، فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَأَنْ يُخْرِجَ أُخْبَثَ مُضْغَتَيْنِ فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: هُمَا أَطِيبُ مَا فِيهَا إِذَا طَابَا، وَأُخْبَثُ مَا فِيهَا إِذَا خَبِثَا.

وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأسود: لا تحزن، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان: بلال ومهجع مولى عمر، ولقمان.

«أن» هي المفسرة، لأن إتياء الحكمة في معنى القول، وقد نبه الله سبحانه على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي: هو العمل بهما، وعبادة الله، والشكر له،

قوله: (بحق ما)، «ما» صفة «حق»، وهي إبهامية، وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمتها إبهامًا وزادته شيعًا وعمومًا.

قوله: (بلال ومهجع)، الاستيعاب: بلال هو مولى أبي بكر، [كان] (١) لبعض بني جمح، مؤلداً من مؤلديهم، وقيل: من مؤلدي مكة. وقيل: من مؤلدي السراة، اسم أبيه رباح وأمه حمامة (٢).

ومهجع: هو ابن صالح مولى عمر بن الخطاب، وقال ابن إسحاق: هو من اليمينين. وقال ابن هشام: هو من عك، أصابه سبأ، فمنَّ عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣).

قوله: («أن» هي المفسرة) في «المطلع»: عن المبرد «أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ» تأويل الحكمة، كقولك: قد قدمتُ إليه أن ائت عمراً؛ أي: ائت عمراً. المعنى: اشكر الله فيما أعطاك من الحكمة بالتوحيد والعبادة له.

قوله: (أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما) أي: بالحكمة والعلم،

(١) زيادة من «الاستيعاب».

(٢) «الاستيعاب» لابن عبد البر (١: ١٧٩).

(٣) المصدر السابق (٤: ١٤٨٦).

حيث فسّر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر ﴿عَنْهُ﴾ غير محتاج إلى الشكر ﴿حَمِيدٌ﴾ حَقِيقٌ بِأَنْ يُحَمَدَ وَإِنْ لَمْ يُحَمَدْهُ أَحَدٌ.

[ ﴿وَإِذْ قَالَ لِقْمَنُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ]

[١٣]

قيل: كَانَ اسْمُ ابْنِهِ (أَنْعَم) وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: (أَشْكَم) وَقِيلَ: كَانَ ابْنُهُ وَامْرَأَتُهُ كَافِرَيْنِ،

فَعَطَفُ الْعِلْمِ الْحَقِيقِيِّ عَلَى الْحِكْمَةِ الْأَصْلِيَّةِ عَطْفٌ تَفْسِيرِيٌّ، وَكَذَا عَطَفُ «وَعِبَادَةَ اللَّهِ» عَلَى «الْعَمَلِ بِهَا»، وَكَذَلِكَ الشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى الْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّ الشُّكْرَ: تَعْظِيمُ الْمُنْعَمِ فِي الْقَلْبِ، وَثَنًا وَبِاللِّسَانِ، وَتَحْقِيقُ مَرَاضِيهِ بِالْجَوَارِحِ.

النهاية: الحكيم: ذو الحكمة، والحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. وقال: الحكم: العلم والفقهاء، وهو مصدر حكم يحكم، ومنه الحديث: «الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار»<sup>(١)</sup> خصّصهم بالحكم؛ لأن أكثر فقهاء الصحابة منهم.

المغرب: الحكمة: ما يمنع من الجهل. وقيل: كل كلام وافق الحق<sup>(٢)</sup>. وعلى حسب ظاهر الحكمة فمعنى الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ أي: المعرفة بأفضل الأشياء، فلما عدل منه إلى العمل والشكر، علم أن الحكيم كل الحكيم من عمل بمقتضى الحكمة، ولا يكتفي بالمعرفة فحسب.

وقال ابن يونس<sup>(٣)</sup>: أما الحكمة فتطلق بإزاء معنيين: أحدهما: أنها عبارة عن الإحاطة المجردة بنظم الأمور ومعانيها الدقيقة والجليلة. والثاني: وقوع الأفعال متقنة بحسب علم الفاعل.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٦٥٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧: ٢٩٨)، وابن أبي عاصم في «السنن» (١١١٤) بإسناد ضعيف من حديث عتبة بن عبد السلمي.

(٢) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ٢١٨).

(٣) لعله متى بن يونس، الفيلسوف المنطقي الذي ناظر أبا سعيد السيرافي كما تجده مبسوطاً في «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي.

فما زالَ بِهَا حَتَّى أَسْلَمَا ﴿لَظَلَمَ عَظِيمٌ﴾ لِأَنَّ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ مَنْ لَا نِعْمَةَ إِلَّا هِيَ مِنْهُ، وَمَنْ لَا نِعْمَةَ مِنْهُ الْبَتَّةَ - وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ - ظَلَمَ لَا يُكْتَنَتُهُ عِظْمُهُ.

[ ﴿ وَوَضَيْنَا لِلْإِنْسَانِ بَوْلِدِيهِ حَمَلَتَهُ أُمَّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَلَهُ، فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ \* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [١٥-١٤]

أَي ﴿ حَمَلَتَهُ ﴾ تَهْنُ ﴿ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ ﴾ كَقَوْلِكَ: رَجَعَ عَوْدًا عَلَى بَدءٍ، بِمَعْنَى؛ يَعُودُ عَوْدًا عَلَى بَدءٍ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَالْمَعْنَى: أَتَمَّا تَضَعُفُ ضَعْفًا فَوْقَ ضَعْفٍ، أَي: يَتَزَايَدُ ضَعْفُهَا وَيَتَضَاعَفُ؛ لِأَنَّ الْحَمْلَ كُلَّمَا زَادَ وَعَظُمَ، زَادَتْ ثِقَلًا وَضَعْفًا. وَقُرئ: (وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ) بِالتَّحْرِيكِ. عَنِ أَبِي عَمْرٍو. يُقَالُ: وَهَنَ يَوْهَنُ، وَوَهَنَ يَهِنُ،

قوله: (ظَلَمَ لَا يُكْتَنَتُهُ عِظْمُهُ) خَبْرٌ لـ «أَنَّ» وقوله: «وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ» اعْتِرَاضٌ تَوْكِيدٌ لِقَوْلِهِ: «لَا نِعْمَةَ إِلَّا هِيَ مِنْهُ».

قوله: (رَجَعَ عَوْدًا عَلَى بَدءٍ)، وَأَصْلُهُ قَوْلُهُمْ لِمَنْ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ: رَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدئِهِ؛ أَي: رَجَعَ يَعُودُ عَوْدًا عَلَى بَدئِهِ، ثُمَّ حُذِفَ الْفِعْلُ وَجُعِلَ الْمَصْدَرُ دَلِيلًا عَلَيْهِ، وَأُضِيفَ إِلَى ضَمِيرِ ذِي الْحَالِ. وَالْمَثَلُ تُرِكَ فِيهِ الضَّمِيرُ، وَالْمَصْدَرُ لَيْسَ بِحَالٍ، وَإِنَّمَا الْحَالُ مَذْلُولُهُ، وَهُوَ الْفِعْلُ.

قال أبو البقاء: المصدر هنا حال، أي: ذاتٌ وَهْنٍ، أو مَوْهُونَةٌ<sup>(١)</sup>.

قوله: «(وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ)؛ بِالتَّحْرِيكِ عَنِ أَبِي عَمْرٍو» أَي: فِي قِرَاءَتِهِ الشَّاذَّةِ. رَوَى ابْنُ جِنِّي عَنِ أَبِي عَمْرٍو وَعَيْسَى الثَّقَفِيُّ: «وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ» فِيهِمَا، وَالْكَلَامُ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَوْرِ أَلْبَعَثِ﴾ [الرُّوم: ٥٦]، وَهُوَ أَنَّهُمْ يَحْرُكُونَ السَّاكِنَ فِي حُرُوفِ الْحَلْقِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ<sup>(٢)</sup>.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤٤).

(٢) انظر: «المحتسب» (٢: ١٦٦)، و«مختصر شواذ القرآن» ص ١١٦-١١٧.

وَقُرَيْءٍ: (وَفَضْلُهُ)، ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ تفسيرٌ لـ (وَصَيْنَا) ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أرادَ  
 بِنَفْيِ الْعَمَلِ بِهِ نَفْيَهُ، أَي: لَا تُشْرِكُ بِي مَا لَيْسَ بِشَيْءٍ، يُرِيدُ الْأَصْنَامَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا  
 يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: ٤٢]. ﴿مَعْرُوفًا﴾ صِحَابًا، أَوْ مُصَاحِبًا  
 مَعْرُوفًا حَسَنًا بِخُلُقٍ جَمِيلٍ وَجِلْمٍ وَاحْتِمَالٍ وَبِرٍّ وَصِلَّةٍ، وَمَا يَقْتَضِيهِ الْكَرَمُ وَالْمُرُوءَةُ،  
 ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يُرِيدُ: وَاتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِكَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَهَا فِيهِ،

قوله: (وَفَضْلُهُ) بسكون الصاد، قال ابن جنِّي: وهي قراءة الحسن وغيره، والفضل أعمُّ  
 من الفِصَالِ، وَالْفِصَالُ هَاهُنَا أَوْقَعٌ؛ لِأَنَّهُ مَوْضِعٌ يَخْتَصُّ بِالرِّضَاعِ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ «فَاصِلَتُهُ»،  
 فَعَبَّرَ عَنِ هَذَا الْمَعْنَى، وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ وَاحِدًا<sup>(١)</sup>.

قوله: (أَرَادَ بِنَفْيِ الْعَمَلِ بِهِ نَفْيَهُ) أَوْ هُوَ مِنْ بَابِ نَفْيِ الشَّيْءِ بِنَفْيِ لَازِمِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ  
 الْعِلْمَ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ، فَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ مَعْدُومًا لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ مَوْجُودًا.

الانتصاف: هو من باب

على لاجِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ<sup>(٢)</sup>

أَي: لَا تُشْرِكُ بِي مَا لَيْسَ بِإِلَهِ، فَيَكُونُ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ مَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ:  
 ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الحاجب: لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ بَدَلًا عَنِ ﴿بِي﴾؛ لِأَنَّهُ  
 يُقَالُ: أَشْرَكَ زَيْدٌ كَذَا بِكَذَا؛ أَي: جَعَلَهُ شَرِيكًا لَهُ، وَهُمْ كَانُوا يَجْعَلُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ  
 شُرَكَاءَ، فَالْوَجْهُ أَنَّهُ مَفْعُولٌ «تُشْرِكُ»، فَلَوْ جُعِلَ «تُشْرِكُ» بِمَعْنَى: تَكْفُرُ، وَجُعِلَتْ «مَا»  
 نَكْرَةً أَوْ بِمَعْنَى «الَّذِي» بِمَعْنَى: كُفِّرًا<sup>(٤)</sup>، أَوْ الْكُفْرَ، وَيَكُونُ نَصْبًا؛ لِكَانَ وَجْهًا حَسَنًا<sup>(٥)</sup>.

(١) «المحتسب» (٢: ١٦٦).

(٢) سبق تفريجه.

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٩٤).

(٤) في (ح) و(ف): «كُفِّرًا».

(٥) «أمالي ابن الحاجب» (١: ٢٠٢-٢٠٣).

وإن كُنْتَ مأمورًا بحسنِ مُصاحَبَتَيْهِما في الدُّنيا، ثمَّ لِيَّ مرِجِعُكَ ومرِجِعُهُما، فأجازِيكَ على إِيابِكَ وأجازِيهِما على كُفْرِهِما، عَلَّمَ بِذلك حُكْمَ الدُّنيا وما يَجِبُ على الإنسانِ في صُحْبَتَيْهِما ومُعاشَرَتَيْهِما: من مُراعاةِ حقِّ الأبوةِ وتعظيمِهِ، وما لهُما من المَواجِبِ الَّتِي لا يَسُوغُ الإِخلالُ بها، ثمَّ بَيَّنَّ حُكْمَهُما وحالَهُما في الآخرةِ. ورُوِيَ: أَنها نزلتْ في سَعِدِ ابنِ أَبِي وقاصٍ وأُمَّه. وفي القِصَّة: أَنها مكثتْ ثلاثًا لا تَطْعَمُ ولا تَشْرَبُ حتَّى شَجَرُوا فاهَا بَعُود. ورُوِيَ أَنه قال: لو كانتْ لها سَبْعُونَ نَفْسًا فخرِجتْ، لما ارتدَدْتُ إلى الكُفْرِ. فإن قلت: هذا الكلامُ كيفَ وقعَ في أثناءِ وصِيَّةِ لُقمانَ؟ قلتُ: هو كلامٌ اعترضَ به على سبيلِ الاستطرادِ، تأكيدًا لما في وصِيَّةِ لُقمانَ من النَّهيِّ عَنِ الشُّركِ. فإن قلت: فقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلًى وَهَنٍ وَفِصْلَهُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ كيفَ اعترضَ به بينَ المُفسِّرِ والمُفسَّرِ؟ قلتُ: لما وصَّى بالوالدَيْنِ: ذكر ما تُكابِدُهُ الأُمُّ وتُعائِنِهِ من المشاقِّ والمتاعِبِ في حَمْلِهِ وفِصالِهِ هذه المُدَّةَ المُتطاوِلةَ، إيجابًا للتَّوصِيَّةِ بالوالِدَةِ خُصُوصًا. وتذكيرًا بحَقِّها العَظيمِ مُفردًا، .....

قوله: (أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص) تقدّم سببُ نزوله في العنكبوت.

قوله: (حتى شَجَرُوا فاهَا)، النهاية: أي: أدخلوا في شَجَرها عودًا حتى يفتحوه به، والشَّجْرُ: مَفْتَحُ الفمِّ، وقيل: هو الدَّقْنُ.

قوله: (لما وصَّى بالوالدَيْنِ ذكر ما تُكابِدُهُ الأُمُّ) يريد أن جملةَ قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلًى وَهَنٍ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ على سبيلِ التَّعليلِ تذكيرًا.

الانتصاف: هذا من قول الفقهاء: تعليلُ الحُكْمِ يُفيدُه تأكيدًا<sup>(١)</sup>.

قوله: (وتذكيرًا بحَقِّها العَظيمِ مُفردًا)، قيل: مفردًا يجوز أن يكون حالًا من قوله: «ما تُكابِدُهُ» أي: ذكر ما تُكابِدُهُ مفردًا، وأن يكون حالًا من «بحَقِّها» والأصوب أن يكون صفةً لـ«تذكيرًا»؛ أي: إيجابًا خصوصًا وتذكيرًا مفردًا، يعني: إنها أدخلت ذكر ما تُكابِدُهُ الأُمُّ

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٩٥).

ومن ثمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ لمن قالَ له: من أبرُّ؟ «أمك ثمَّ أمك ثمَّ أمك» ثمَّ قالَ بعدَ ذلك «ثمَّ أباك». وعن بعضِ العربِ أنَّه حملَ أمَّهُ إلى الحجِّ على ظهره وهو يقولُ في حُدائِهِ بنفسِه:

أحِمْ أُمِّي وَهِيَ الْحَمَالَةُ  
تُرْضِعُنِي الدَّرَّةَ وَالْعَلَالَةَ  
وَلَا يُجَازِي وَالِدٌ فَعَالَهُ

فإن قلتَ: ما معنى توقيتِ الفِصَالِ بالعامينِ؟ قلتُ: المعنى في توقيتِه بهذه المُدَّة أنَّها الغايةُ التي لا تُتجاوزُ، والأمرُ فيما دُونَ العامينِ موكَّولٌ إلى اجتِهَادِ الأُمِّ: إن عَلِمْتَ أنَّه يَقوى على الفِطامِ فلها أن تَفْطِمَه، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَأُولَادَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمْ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وبه استشهد

بين المفسِّر والمفسِّر اهتمامًا بشأن التَّوصيةِ في حقِّها؛ ليكونَ إيجابًا للتَّوصيةِ خصوصًا وتذكيرًا بحقِّها مستقلًّا.

قوله: (لمن قال له: من أبرُّ؟) روينا عن الترمذي، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه قال: قلتُ يا رسولَ الله، من أبرُّ؟ قال: «أمك». قال: قلتُ: ثمَّ من؟ قال: «أمك» قال: قلتُ: ثمَّ من. قال: أمك. قال: قلتُ: ثمَّ من؟ قال: «ثمَّ أباك، ثمَّ الأقربُ فالأقربُ»<sup>(١)</sup>. ولأبي داودَ قريبٌ منه<sup>(٢)</sup>.

قوله: (تُرْضِعُنِي الدَّرَّةَ وَالْعَلَالَةَ) الدَّرَّةُ: كثرةُ اللَّبَنِ وسيلانُه، والعَلَالَةُ: بقيةُ اللَّبَنِ، والحَلْبَةُ بين الحَلْبَتَيْنِ، وبقيةُ جَزِيِ الفرسِ.

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٦٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩: ٩٦٢)، وغيرهم بإسنادٍ حسن، وانظر تمامَ تحريمه في «مسند أحمد» (٢٠٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩: ٩٥٧).

الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ الرَّضَاعِ سِنَتَانِ، لَا تَثْبُتُ حُرْمَةُ الرَّضَاعِ بَعْدَ انْقِضَائِهِمَا، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ. وَأَمَّا عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ فَمُدَّةُ الرَّضَاعِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا. وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ: إِنْ فَطَمْتَهُ قَبْلَ الْعَامَيْنِ فَاسْتَعْنَى بِالطَّعَامِ ثُمَّ أَرْضَعْتَهُ، لَمْ يَكُنْ رِضَاعًا. وَإِنْ أَكَلَ أَكْلًا ضَعِيفًا لَمْ يَسْتَعْنِ بِهِ عَنِ الرَّضَاعِ ثُمَّ أَرْضَعْتَهُ، فَهُوَ رِضَاعٌ مُحْرَّمٌ.

[يَبْجَىٰ إِنَّهَا إِنْ نَكَ وَثَقَالَ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي أَلْسَنَاتٍ أَوْ فِي

الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿١٦﴾]

قُرئ ﴿ثَقَالَ حَبَّةٌ﴾ بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ، فَمَنْ نَصَبَ كَانَ الضَّمِيرُ لِلهِنَةِ مِنَ الإِسَاءَةِ أَوْ الإِحْسَانِ، أَيْ: إِنْ كَانَتْ مِثْلًا فِي الصَّغَرِ وَالْقِمَاءَةِ كَحَبَّةِ الخَرْدَلِ، فَكَانَتْ مَعَ صِغَرِهَا فِي أَخْفَى مَوْضِعٍ وَأَحْرَزَهُ كَجَوْفِ الصَّخْرَةِ، أَوْ حَيْثُ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ أَوْ السُّفْلِيِّ ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُحَاسَبُ بِهَا عَامِلُهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾

قوله: (وأما عند أبي حنيفة فمدّة الرضاع ثلاثون شهرًا) قالوا: إن الآية عنده لبيان الرضاع المستحق على الأم، لا لبيان مدّة الرضاع؛ لأن مدة الرضاع عنده ثلاثون شهرًا<sup>(١)</sup>.

قوله: (الضمير للهنة)، المغرب: الهن: كناية عن كل اسم جنس، وللمؤنث هنة، ولأمه ذاتٌ وجهين، فمن قال: «واو»، فالجمع هنوات، والتصغير هنيّة. ومن قال: «ها» قال: هنيّة<sup>(٢)</sup>، فقول المصنف: «من الإساءة أو الإحسان» إشارة إلى جنسيتها.

قوله: (والقماءة) الجوهري: وقمؤ الرجل بالضم قماء وقماءة صار قميتًا، وهو الصغير الدليل.

(١) واحتج بقوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَوَصَلَتُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وظاهر هذه الإضافة يقتضي أن يكون جميع المذكور مدّة لكل واحد منهما، إلا أن الدليل قام على أن مدّة الحمل لا تكون أكثر من ستين فبقي مدّة الفصال على ظاهره. انتهى بحروفه من «فتح باب العناية» لملا علي القاري (٢): (٨٣). ولتمام الفائدة انظر: «بدائع الصنائع» للكاساني (٤: ٧).

(٢) «المغرب في ترتيب المعرب» (٢: ٣٩٠).

يَتَوَصَّلُ عِلْمُهُ إِلَى كُلِّ خَفِيٍّ ﴿خَيْرٌ﴾ عَالِمٌ بِكُنْهِهِ. وَعَنْ قَتَادَةَ: لَطِيفٌ بَاسْتِخْرَاجِهَا، خَيْرٌ بِمُسْتَقَرِّهَا. وَمَنْ قَرَأَ بِالرَّفْعِ: كَانَ ضَمِيرَ الْقِصَّةِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ الْمِثْقَالُ؛ لِإِضَافَتِهِ إِلَى الْحَبَّةِ، كَمَا قَالَ:

كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

وَرُوي أَنَّ ابْنَ لُقْمَانَ قَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ الْحَبَّةَ تَكُونُ فِي مَقَلِّ الْبَحْرِ أَي: فِي مَغَاصِهِ يَعْلَمُهَا اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَصْفَرَ الْأَشْيَاءِ فِي أَخْفَى الْأَمَكِنَةِ؛ لِأَنَّ الْحَبَّةَ فِي الصَّخْرَةِ أَخْفَى مِنْهَا فِي الْمَاءِ. وَقِيلَ: الصَّخْرَةُ هِيَ الَّتِي تَحْتِ الْأَرْضِ، وَهِيَ السَّجِينُ يُكْتَبُ فِيهَا أَعْمَالُ الْكُفَّارِ. وَقُرِئَ: (فَتَكِينُ) بِكَسْرِ الْكَافِ. مِنْ: وَكَانَ الطَّائِرُ يَكْنُ: إِذَا اسْتَقَرَّ فِي وَكُنْتَهُ، وَهِيَ مَقَرُّهُ لَيْلًا.

[يَبْتَنِي أَقْبَرُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾]

قوله: (كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ) أوله:

وَتَشْرِقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ (١)

قوله: التَّشْرِقُ: الشَّجَا وَالْغُصَّةُ، وَقَدْ شَرِقَ بِرَيْقِهِ، أَي: غَضَّ. أَنْتَ «شَرِقَتْ» لِإِضَافَةِ «الصدر» إِلَى «القناة»، وَصَدْرُ الْقَنَاةِ: هُوَ مَا فَوْقَ نَصْفِهِ.

قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَصْفَرَ الْأَشْيَاءِ فِي أَخْفَى الْأَمَكِنَةِ). الْإِتْتِصَافُ: هَذَا مِنْ بَابِ التَّسْمِيمِ الْبَدِيعِ، تَسَمَّ خَفَاءَهَا (٢) فِي نَفْسِهَا بِخَفَاءِ مَكَانِهَا مِنَ الصَّخْرَةِ. قَالَتِ الْخَنَسَاءُ: وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارًا (٣)

قوله: («فَتَكِينُ» بِكَسْرِ الْكَافِ)، قَالَ ابْنُ جَنِّي: هِيَ قِرَاءَةُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزْرِيِّ، كَأَنَّهُ مِنْ

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ح) و(ف): «تُمُّ».

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٤٩٦). وقد سبق تخريج البيت من «ديوان الخنساء».



﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ يجوزُ أن يكونَ عامًّا في كُلِّ ما يُصِيبُهُ مِنَ المِحْنِ، وأن يكونَ خاصًّا بِها يُصِيبُهُ فيما أُمِرَ به مِنَ الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَهْيِ عَنِ المُنْكَرِ: مِنَ أَدَى مَنْ يَبْعَثُهُمْ عَلَى الخَيْرِ وَيُنْكَرُ عَلَيْهِمُ الشَّرَّ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ مِمَّا عَزَمَهُ اللهُ مِنَ الأُمُورِ، أَي: قَطَعَهُ قَطْعَ إِجْبَابٍ وَإِلْزامٍ. وَمِنهُ الحَدِيثُ: «لَا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يَعْزِمِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ» أَي لَمْ يَقْطَعُهُ بِالنِّيَّةِ: أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لِمَنْ لَمْ يَبْيِثِ الصِّيَامَ» وَمِنهُ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخْصِهِ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِعِزَّتِهِ»، وَقَوْلُهُمْ: عَزَمَهُ مِنْ عَزَمَاتِ رَبَّنَا. وَمِنُهُ: عَزَمَاتُ المُلُوكِ. وَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ المَلِكُ لِبَعْضِ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلا فَعَلْتَ كَذَا، إِذَا قَالَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِلْمَعزُومِ عَلَيْهِ بُدٌّ مِنْ فِعْلِهِ وَلَا مَنَدُوحَةٌ فِي تَرْكِهِ. وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّهُ مِنَ تَسْمِيَةِ المَفْعُولِ بِالمَصْدَرِ، وَأَصْلُهُ مِنْ مَعزُومَاتِ الأُمُورِ، أَي: مَقْطُوعَاتِها وَمَفْرُوضَاتِها. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا فِي مَعْنَى الفَاعِلِ، أَصْلُهُ: مِنْ عَزَمَاتِ الأُمُورِ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الأَمْرَ﴾ [مُحَمَّد: ٢١] كَقَوْلِكَ: جَدَّ الأَمْرُ،

المقلوب؛ لأن الكون<sup>(١)</sup> الاستقرار<sup>(٢)</sup>، وعليه قالوا: قد تكوّن في منزله واستقر<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وأصله من معزومات الأمور، أي: مقطوعاتها ومفروضاتها)، النهاية؛ ومنه حديث: «الزكاة عزمة من عزمات الله»<sup>(٤)</sup>؛ أي: حق من حقوقه، وواجب من واجباته.

(١) في النسخ الخطية: «الركون»، وليس بشيء. وصوّبناه من «المحتسب».

(٢) هذا نقلٌ غير محرّر عن ابن جنّي، وعبارته بتامها: «هذا من قولهم: وكنّ الطائر: إذا استقرّ في وكنّته، وهي مقرّه ليلاً...»، وكأنه من مقلوب الكون، لأن الكون الاستقرار.

قلت: ولتأمّ الفائدة انظر «مختصر شواذ القرآن» ص ١١٧، ففيه فائدة لطيفة.

(٣) «المحتسب» (٢: ١٦٨).

قلت: عبد الكريم: هو ابن مالك الجزري الحرّاني (ت ١٧٠هـ)، مولى بني أمية، كان إماماً ثقةً حافظاً، له ترجمة في «سير أعلام النبلاء» (٦: ٨٠).

(٤) أخرجه الدارمي في «السنن» (١٦٧٧)، والرويان في «مسنده» (١: ٢٨٤) من حديث بهز بن حكيم.

وَصَدَقَ الْقِتَالَ. وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدّم هذه الطاعات، وأنها كانت مأمورًا بها في سائر الأمم، وأن الصلاة لم تنزل عظمة الشآن، سابقة القدم على ما سواها، مؤصّي بها في الأديان كلّها.

[ ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ \* وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [١٨-١٩]

«تُصَاعِرُ» و﴿تُصَعِّرُ﴾: بالتشديد والتخفيف. يُقَالُ: أَضَعَرَ خَدَّهُ، وَصَعَّرَهُ، وَصَاعَرَهُ: كَقَوْلِكَ أَعْلَاهُ وَعَلَاهُ وَعَالَاهُ: بِمَعْنَى. وَالصَّعْرُ وَالصَّيْدُ: دَاءٌ يُصِيبُ الْبَعِيرَ يَلْوِي مِنْهُ عُنُقَهُ. وَالْمَعْنَى: أَقْبِلْ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِكَ تَوَاضَعًا، وَلَا تُؤَلِّمُ شِقَّ وَجْهِكَ وَصَفْحَتَهُ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَكَبِّرُونَ. أَرَادَ: ﴿وَلَا تَمَسَّ﴾ تَمَرَّحَ ﴿مَرَحًا﴾، أَوْ أَوْقَعَ الْمَصْدَرَ مَوْقِعَ الْحَالِ بِمَعْنَى مَرَحًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ: وَلَا تَمَسَّ لِأَجْلِ الْمَرَحِ وَالْأَشْرِ، أَي لَا يَكُنْ غَرَضُكَ فِي الْمَشْيِ الْبَطَالَةَ وَالْأَشْرَ كَمَا يَمْشِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لِذَلِكَ، لِإِكْفَايَةِ مُهِمِّ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ. وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]. وَالْمُخْتَالُ: مُقَابِلٌ لِلْمَاشِي مَرَحًا. وَكَذَلِكَ الْفَخُورُ لِلْمُصَعِّرِ خَدَّهُ كِبْرًا ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ وَاعِدِلْ فِيهِ حَتَّى يَكُونَ مَشِيًّا بَيْنَ مَشِيئَيْنِ؛ لَا تَدَبُّ

قوله: (وَصَدَقَ الْقِتَالَ)، الأساس: رجل صادق الحملة، وذو مصدق في القتال، وصدقوهم القتال.

قوله: (و﴿تُصَعِّرُ﴾ بالتشديد والتخفيف) ابن كثير وعاصم وابن عامر: بالتشديد من غير ألف، والباقون: بالألف وتخفيف العين<sup>(١)</sup>.

(١) وهما جميعًا لغتان بمعنى: لا تُغْرَضُ بِوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ تَجَبُّرًا وَحَكِي سَبِيوِيَهُ أَنْ «صَاعَرَ» وَ«صَعَرَ» بِمَعْنَى. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: «لَا تُصَاعِرُ» بِالْفِ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَبِغَيْرِ الْفِ مُشَدَّدًا لُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ. انْتَهَى مِنْ «الْكَشْفِ عَنِ وُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ» (٢: ١٨٨).

دَيْبِبَ الْمُتَمَاوِتَيْنِ، وَلَا تَتَّبِ وَثِيْبَ الشُّطَارِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُرْعَةُ الْمَشِيِّ تُذْهِبُ بِهَاءَ الْمُؤْمِنِ»، وَأَمَّا قَوْلُ عَائِشَةَ فِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «كَانَ إِذَا مَشَى أَسْرَعَ» فَإِنَّمَا أَرَادَتْ السُّرْعَةَ الْمُرْتَفِعَةَ عَنْ دَيْبِبِ الْمُتَمَاوِتِ.

وَقَرِيءٌ: (وَأَقْصِدْ) بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ، أَي: سَدِّدْ فِي مَشِيكِ مِنْ أَقْصَدَ الرَّامِي إِذَا سَدَّدَ سَهْمَهُ نَحْوَ الرَّمِيَّةِ، ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ وَانْقُصْ مِنْهُ وَاقْصُرْ؛ مِنْ قَوْلِكَ: فَلَانٌ يَغُضُّ مِنْ فُلَانٍ إِذَا قَصَّرَ بِهِ وَوَضَعَ مِنْهُ، ﴿أَنْكَرَ الْأَصْوَابِ﴾: أَوْحَشَهَا، مِنْ قَوْلِكَ:

قَوْلُهُ: (دَيْبِبَ الْمُتَمَاوِتَيْنِ)، النِّهَائِيَّةُ: يُقَالُ: تَمَاوَتَ الرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ مِنْ نَفْسِهِ التَّخَافَتَ وَالتَّضَاعُفَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالتَّزْهَدِ وَالصَّوْمِ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ رَأَى رَجُلًا مَطَاطِنًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، فَإِنِ الْإِسْلَامَ لَيْسَ بِمَرِيضٍ. وَرَأَى رَجُلًا مَتَمَاوِتًا فَقَالَ: لَا تُمِثْ عَلَيْنَا دِينَنَا أَمَا تَكُ اللَّهُ.

قَوْلُهُ: (كَانَ إِذَا مَشَى أَسْرَعَ)، النِّهَائِيَّةُ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَظَرَتْ إِلَى رَجُلٍ كَادَ يَمُوتُ تَخَافَتًا، فَقَالَتْ: مَا لِهَذَا؟ فَقِيلَ: إِنَّهُ مِنَ الْقُرَاءِ، فَقَالَتْ: كَانَ عُمَرُ سَيِّدَ الْقُرَاءِ، وَكَانَ إِذَا مَشَى أَسْرَعَ، وَإِذَا قَالَ أَسْمَعَ، وَإِذَا ضَرَبَ أَوْجَعَ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (إِذَا قَصَّرَ بِهِ) أَي: نَسَبَهُ إِلَى التَّقْصِيرِ أَوْ الْقُصُورِ، وَالبَاءُ عِلْمُ الْمَجَازِ، لِأَنَّ الْمَجَازَ يَكُونُ بِالزِّيَادَةِ كَمَا يَكُونُ بِالنَّقْصَانِ، وَالأَصْلُ: قَصْرَهُ، وَ«وَضَعَ مِنْهُ»؛ أَي: حَطَّ مِنْ دَرَجَتِهِ، وَالتَّوَاضُّعُ: التَّنْذُلُ، وَهُوَ مِنَ الوَضْعِ الَّذِي خِلَافُ الرَّفْعِ، وَالأَصْلُ وَضَعَهُ، وَحَرْفُ الْجَرِّ عِلْمُ الْمَجَازِيَّةِ<sup>(٢)</sup> كَأَشَادَ بِذِكْرِهِ وَجَدَّبَ بِضَبْعِهِ<sup>(٣)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى» (٣: ٢٩٠) مِنْ حَدِيثِ الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَلِتِمَامِ الْفَائِدَةِ انْظُرْ: «تَخْرِيجَ أَحَادِيثِ الْكِشَافِ» (٣: ٧٦).

(٢) فِي النِّسْخَةِ «ف»: «المُحَارَبَةُ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٣) فِي (ط): «بِضَبْعَتِهِ».

شيء نُكِّرُ، إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت. والحمارُ مثلٌ في الدَّمِّ البليغِ  
والشَّيْمة، وكذلك مُهاقه. ومن استفحاشهم لذكره مجرِّدًا وتفادِيهم من اسمه: أنهم  
يَكْنُونُ عنه وَيَرْعَبُونَ عن التَّصْرِيحِ به، فيقولون: الطَّوِيلُ الأذُنَيْنِ، كما يُكْنَى عن  
الأشياء المُسْتَفْذَرَةِ: وقد عُدَّ في مَسَاوِي الأَدَابِ: أن يُجْرَى ذِكْرُ الحِمَارِ في مَجْلِسِ قَوْمٍ  
من أولي المروءة. ومن العربِ مَنْ لا يركبُ الحِمَارَ استِنكافًا، وإن بلغت منه الرُّجْلَةُ،  
فَنَشِيئَةُ الرَّافِعِينَ أصواتهم بالحَمِيرِ، وتمثيلُ أصواتهم بالنَّهَاقِ، ثم إخلاء الكلام من  
لفظِ التَّشْبِيهِ، وإخراجُه مخرَجَ الاستعارة، وأن جُعِلُوا حَمِيرًا وصوتهم مُهاقًا؛ مُبالغةً  
شديدةً في الدَّمِّ والتَّهْجِينِ، وإفراطٌ في التَّشْبِيهِ عن رفعِ الصَّوتِ والتَّرعِيبِ عنه، وتنبيةً

الأساس: وَضَع منه: غَضَّ منه ونَقَص، يقال: عليك في هذا غَضَاصَةٌ؛ أي: نَقَصٌ  
وعَيْبٌ، وفُلَانٌ غَضِيضٌ: ذليلٌ بَيْنُ الغَضَاصَةِ.

الراغب: الغَضُّ: النُّقْصَانُ من الطَّرْفِ والصَّوتِ وما في الإِنَاءِ، يقال: غَضَّ وأَغَضَّ.  
قال عز وجل ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النور: ٣٠] وقال: ﴿وَأَغَضُّ مِنْ صَوْتِكَ﴾  
[لقمان: ١٩] وَغَضَّضْتُ السَّقَاءَ: نَقَصْتُ مِمَّا فِيهِ. والغَضُّ: الطَّرِيُّ: الذي لم يَطُلْ مَكْنَهُ<sup>(١)</sup>.

وقوله: (وتفاديهم) الأساس: ومن المجاز تفادى منه: تحاماه.

قوله: (وإن بلغت منه الرُّجْلَةُ) أي: أَعْيَتْهُ<sup>(٢)</sup>. الأساس: فلان راجلٌ بَيْنُ الرُّجْلَةِ،  
وَحَمَلَكُ اللهُ عن الرُّجْلَةِ.

قوله: (مبالغةً شديدةً في الدَّمِّ والتَّهْجِينِ) إشارة إلى أن قوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾  
تعليلٌ للأمر بغَضِّ الصَّوتِ على الاستئناف، كأنه قيل: لِمَ أَغَضَّ الصَّوتَ؟ فأجيب: لأنَّكَ  
إذا رفعت صوتك كنت بمنزلة الحمار في أحسن أحواله. ثم ترك المشبَّه وأداة التشبيه ووجهه،  
وأخرج المشبَّه به مخرَجَ الاستعارة المصرَّحة المركَّبة العقلية أو التمثيلية.

(١) «مفردات القرآن» ص ٦٠٧.

(٢) قوله: «أي: أَعْيَتْهُ» سقط من (ح).

على أنه من كراهة الله بمكان. فإن قلت: لم وحد صوت الحمير ولم يجمع؟ قلت: ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع، وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس، فوجب توحيدُه.

[﴿الزَّيْتُونَ﴾ أَنْ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنُهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾]

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالسَّحَابُ وَغَيْرُ ذَلِكَ ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الْبِحَارُ وَالْأَنْهَارُ وَالْمَعَادِنُ وَالذَّوَابُّ وَمَا لَا يُحْصَى، ﴿وَأَسْبَغَ﴾ قُرئَ بِالسَّيْنِ وَالصَّادِ، وَهَكَذَا كُلُّ سَيْنٍ اجْتَمَعَ مَعَهُ الْغَيْنُ وَالخَاءُ وَالْقَافُ، تَقُولُ فِي سَلَخٍ: صَلَخَ، وَفِي سَقَرٍ:

قوله: (من الحيوان الناطق) أي: ذي الصوت، يقال: مأل صامت، ومأل ناطق.

قوله: (صوت هذا الجنس، فوجب توحيدَه) يريد: أن التعريف فيه تعريف الماهية والحقيقة من حيث هي، وتمييزها من بين سائر الحقائق؛ نحو: الرجل خير من المرأة، فلا معنى للجمع.

قال صاحب «الفرائد»: فعلى هذا ينبغي أن يقال: «لصوت الحمير»<sup>(١)</sup>، ويمكن أن يُجاب: أن المقصود في الجمع التسميم والمبالغة في التنفير، فإن الصوت إذا توافقت عليه الحمير كان أنكر.

قوله: ﴿وَأَسْبَغَ﴾، قُرئَ بِالسَّيْنِ وَالصَّادِ وَبِالصَّادِ شَادًّا.

قال ابن جنِّي: هي قراءة يحيى بن عمار، وأصلها السَّيْنُ إلا أنها أبدلت للغين<sup>(٢)</sup> صَادًا، كما قالوا في سالغ<sup>(٣)</sup>: صالغ، وذلك أن حروف الاستعلاء تجذب السَّيْنِ عن

(١) في النسخة «ف»: «الحمير»، والذي أثبتناه هو الأشبه بالصواب.

(٢) في النسخة «ف»: «الغين»، والصواب ما أثبتناه.

(٣) وهو ما خرج نأبه من البقر والغنم.

صَقَّرَ، وفي صالح: صالح. وقرئ: ﴿نِعْمَةٌ﴾، و﴿نِعْمَةٌ﴾ (وَنِعْمَتُهُ). فإن قلت: ما النِّعْمَةُ؟ قلت: كُلُّ نَفْعٍ قُصِدَ بِهِ الْإِحْسَانُ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْعَالَمَ كُلَّهُ نِعْمَةً؛ لِأَنَّهُ إِذَا

سَفَّالَتْهَا<sup>(١)</sup> وَحَكَى يُونُسَ عَنْهُمْ فِي السُّوقِ: الصَّوْقِ.

سَلَخَتِ الْبَقْرَةَ وَالشَّاةُ تَسْلُغُ سُلُوغًا: إِذَا أَسْقَطَتِ السَّنَّ الَّتِي خَلَفَ السَّيِّدِسَ، يُقَالُ: سَلَخْتُ وَصَلَخْتُ، وَرَجُلٌ سَالِغٌ وَصَالِغٌ<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿نِعْمَةٌ﴾ و﴿نِعْمَةٌ﴾، نافع وأبو عمرو وحفص: ﴿نِعْمَةٌ﴾ على الجمع والتذكير، والباقون: على التوحيد.

قال الزَّجَّاجُ: من قرأ «نعمة» فعلى معنى: ما أعطاهم من التوحيد، ومن قرأ: ﴿نِعْمَةٌ﴾ فعلى: جميع ما أنعم به عليهم<sup>(٣)</sup>. وقيل: التَّوْحِيدُ عَلَى الْجِنْسِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ نَعَدُوا يُعْزَمْتِ اللَّهُ لَا تَحْضُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وعليه كلامُ المصنِّفِ<sup>(٤)</sup>.

قوله: (كُلُّ نَفْعٍ قُصِدَ بِهِ الْإِحْسَانُ) قال الإمام: النِّعْمَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الْمُنْفَعَةِ الْمَفْعُولَةِ عَلَى جِهَةِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْمُنْفَعَةُ الْحَسَنَةُ الْمَفْعُولَةُ عَلَى جِهَةِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ. وَقَالُوا: إِنَّمَا زِدْنَا هَذَا الْقَيْدَ؛ لِأَنَّ النِّعْمَةَ يُسْتَحَقُّ بِهَا الشُّكْرُ، وَإِذَا كَانَتْ قَيْبِيحَةً لَا

(١) في النسخة «ح»: «سالفيتها»، والصواب ما أثبتناه. والمرادُ به الحروفُ المستفلةُ في مقابل الحروفِ المستعلية.

(٢) «المحتسب» (٢: ١٦٨-١٦٩).

قلت: ومن طرائف ما يُروى في هذا الباب ما حكاه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الإمام الحافظ «صالح جَزْرَةَ» (١٤: ٢٨).

(٣) «معاني القرآن وإعراجه» (٤: ١٩٩).

(٤) قد ذكر مكي بن أبي طالب الخلافَ المنصوبَ في هذا الحرف، ثم قال: «فالقراءتان بمعنى، والجمع أحبُّ إليَّ، لأنه أدلُّ على المعنى، وعليه المفهوم، وإليه ترجعُ القراءةُ بالتوحيد». انتهى من «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (٢: ١٨٩).

(٥) وهو حاصل عبارة الشريف الجرجاني في تعريف حيث قال: «النِّعْمَةُ: هِيَ مَا قُصِدَ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّفْعُ لَا لِغَرَضٍ وَلَا عِيَوضٍ». انظر «التعريفات» ص ٢٦٢.

حيوان، وإما غير حيوان، فما ليس بحيوانٍ نعمةً على الحيوان، والحيوانُ نعمةٌ من حيثُ أنَّ إيجادهُ حياً نعمةٌ عليه؛ لأنَّه لو لا إيجادهُ حياً لما صحَّ منه الانتفاعُ، وكُلُّ ما أدى إلى الانتفاعِ وصَحَّحَه فهو نعمةٌ. فإن قلتَ: لِمَ كانَ خَلْقُ العالمِ مقصوداً به الإحسان؟ قلتُ: لأنَّه لا يخلِّقهُ إلَّا لغرضٍ، وإلَّا كانَ عَبَثاً، والعبَثُ لا يجوزُ عليه، ولا يجوزُ أن يكونَ لغرضٍ راجعٍ إليه من نفعٍ؛ لأنَّه غنيٌّ غيرُ محتاجٍ إلى المنافعِ، فلم يبقَ إلَّا أن يكونَ لغرضٍ يَرْجِعُ إلى الحيوانِ؛ وهو نفعُهُ. فإن قلتَ: فما معنى الظَّاهرةِ والباطنةِ؟ قلتُ: الظَّاهرةُ: كُلُّ ما يُعْلَمُ بِالمُشاهدةِ، والباطنةُ ما لا يُعْلَمُ إلَّا بِدليلٍ، أو: لا يُعْلَمُ أصلاً، فكيف في بدنِ الإنسانِ من نعمةٍ لا يعلمُها ولا يهتدي إلى العِلْمِ بها، وقد أكثرَ وافي ذلك، فعن مجاهد: الظَّاهرةُ ظُهُورُ الإسلامِ والنُّصرةُ على الأعداءِ، والباطنةُ: الإمدادُ من الملائكةِ. وعن الحسنِ رَضِيَ اللهُ عنه: الظَّاهرةُ: الإسلامُ. والباطنةُ: السُّر.

يستحقُّ بها الشُّكر. والحقُّ أن هذا القَيْدَ غيرُ معتبرٍ؛ لأنَّه يجوزُ أن يُستحقَّ الشُّكرُ بالإحسان وإن كان فعله محظوراً؛ لأنَّ جهةَ استحقاقِ الشُّكرِ غيرُ جهةِ استحقاقِ الدَّمِ والعقابِ، فأبى امتناعٌ في اجتماعهما؟

ألا ترى أن الفاسقَ يستحقُّ الشُّكرَ لإِنعامِهِ، والدَّمَّ لمعصيةِ الله تعالى، فلمَ لا يجوزُ أن يكونَ الأمرُ هاهنا كذلك؟

أما قولنا: «المنفعة»؛ فلأنَّ المضرَّةَ المَحْضَةَ لا تكونُ نعمةً<sup>(١)</sup>. وقولنا: «المفعولة على جهة الإحسان»؛ لأنَّه لو كان نفعاً وقَصَدَ الفاعلُ به نفعَ نَفْسِهِ لا نفعَ المفعولِ به، لا يكونُ نعمةً، وذلك كمن أحسنَ إلى جاريتِهِ ليربِّحَ عليها<sup>(٢)</sup>.

قوله: (الظَّاهرة: الإسلامُ، والباطنة: السُّر) قال في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]: مَنْ أنعمَ اللهُ تعالى عليه بنعمةِ الإسلامِ لم تَبْقَ نعمةٌ إلَّا أصابتهُ. وفي قوله: ﴿لِيُبَدِيَ لَكُمْ مَا وَرَى عَنْهُمْ مِنْ سِوَةِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠]: فيه دليلٌ على أن كَشْفَ العَوْرَةِ من عظامِ

(١) في (ط): «إلا نعمة» وهو خطأ.

(٢) «مفاتيح الغيب» (٣: ٢٨).

وعن الضَّحَّاك: الظَّاهِرَةُ: حُسْنُ الصُّورَةِ، وامتدادُ القامة، وتسويةُ الأَعْضَاءِ. والباطِنَةُ: المَعْرِفَةُ. وقيل: الظَّاهِرَةُ: البَصَرُ، والسَّمْعُ، واللِّسَانُ، وسائرُ الجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ. والباطِنَةُ: القَلْبُ، والعَقْلُ، والفَهْمُ، وما أشَبَهُ ذلك. ويُرَوَى في دُعَاءِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِلَهِي، ذُلِّي عَلَى أَحْفَى نِعْمَتِكَ عَلَى عِبَادِكَ؛ فَقَالَ: أَحْفَى نِعْمَتِي عَلَيْهِمِ النَّفْسُ». وَيُرَوَى أَنَّ أَيْسَرَ مَا يُعَذَّبُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ: الْأَخْذُ بِالنَّفَاسِ.

[﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ ٢١]

معناه أَيْتَبِعُواهُمْ ولو ﴿كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾، أي: في حالِ دُعَاءِ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُمْ إِلَى العَذَابِ.

[﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ ٢٢]

قرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنْ يُسَلِّمُ) بِالتَّشْدِيدِ، يُقَالُ: اسَلَّمَ أَمْرَكَ وَسَلَّمْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا لَهُ عُدِّيَ بـ(إِلَى)، وَقَدْ عُدِّيَ بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسَلَّمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]؟ قُلْتَ: معناه مَعَ اللَّامِ: أَنَّهُ جَعَلَ وَجْهَهُ، وَهُوَ ذَاتُهُ وَنَفْسُهُ سَالِمًا لِلَّهِ؛ أَي: خَالِصًا لَهُ. وَمَعْنَاهُ مَعَ (إِلَى): أَنَّهُ سَلَّمَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ كَمَا يُسَلِّمُ الْمَتَاعَ إِلَى الرَّجُلِ إِذَا دُفِعَ إِلَيْهِ. وَالْمُرَادُ التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالتَّفْوِيضُ إِلَيْهِ ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ مِنْ بَابِ التَّمَثِيلِ؛ مَثَلْتُ حَالَ الْمُتَوَكِّلِ بِحَالٍ مِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَدَلَّى مِنْ

الأمور، ولم يزل مُسْتَهْجَبًا فِي الطَّبَاعِ، مُسْتَقْبَحًا فِي العُقُولِ، فنعمة الإسلامِ نعمةٌ جزيلةٌ، ونعمةُ التَّسَرُّرِ نعمةٌ جميلةٌ، وتلك مَوْفُورَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَهَذِهِ مَسْتَوْرَةٌ سَاتِرَةٌ<sup>(١)</sup>.

قوله: (الظَّاهِرَةُ: البَصَرُ) التَّحْقُّقُ الشَّيْءِ لِلْحَاسَّةِ البَاصِرَةِ، وَالنَّظَرُ: تَقْلِيْبُ الحَدِيقَةِ نَحْوَ المَرْتِيِّ التَّمَّاسَا لرؤيته، والأعمى له نَظَرٌ وليس له بَصَرٌ.

(١) انظر: «الكشاف» (٦: ٣٥٠).



شاهق، فاحتاطَ لنفسه بأن استمسك بأوتق عروة من حبلٍ متينٍ مأمونٍ انقطاعه ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ أي: هي صائرة إليه.

[ ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره، إنا مرجعهم فننبتهم بما عملوا إن الله عليهم بذات الصدور \* نمنعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذابٍ غليظٍ ﴾ ٢٣-٢٤ ]

قُرئ: «يُحزِنُكَ» و«يَحزِنُكَ» من: حَزَنَ وأحزَنَ. والذي عليه الاستعمالُ المُستفِيضُ: أحزَنَه ويحزُنُه. والمعنى: لا يهْمَنُكَ كُفْرُ مَنْ كَفَرَ وكيدُه للإسلام، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ دافعٌ كيدَه في تحرِه، ومُنْتَمٍمٌ منه، ومُعاقِبُه على عمَلِه ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ يعلم ما في صُدُورِ عباده، فيفعلُ بهم على حَسَبِه. ﴿نُمنِعُهُمْ﴾ زماناً ﴿قَلِيلاً﴾ بدنياهم ﴿ثُمَّ نَضَطْرَّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾؛ شَبَّهَ إلزامَهُمُ التَّعذِيبَ وإرهاقَهُمُ إِيَّاهُ باضطرارِ المُضطرِّ إلى الشَّيْءِ الَّذِي

قوله: (قُرئ: «يُحزِنُكَ» و«يَحزِنُكَ»)، الأولى: لنافع<sup>(١)</sup>، والثانية: لغيره.

قوله: (والذي عليه الاستعمال) أي: يستعملون «أحزَنَ» في الماضي، و«يَحزُنُ» في المستقبل.

قوله: (شَبَّهَ إلزامَهُمُ التَّعذِيبَ) وقوله: (الغِلْظُ: مُستعارٌ من الأجرام) يؤذن أن في هذه الفاصلة استعارتين تَبَعِيَّتَيْنِ:

إحدهما: في قوله: ﴿نَضَطْرَّهُمْ﴾ فإنه شَبَّهَ إلزامَهُمُ التَّعذِيبَ باضطرارِ المُضطرِّ إلى الشَّيْءِ، فاستعير له الاضطرار ثم سَرى منه إلى الفعل.

وثانيتها: وَصَفُ العذابِ بِالغَلِيظِ، وهو صِفَةٌ مَشَبَّهَةٌ تُوصَفُ بها الأَجسامُ. والاستعارةُ الأولى واقعةٌ على سبيل التَّمثِيلِ، ومن ثَمَّ اعتبر أموراً متوهمةً.

(١) وقد قرأ به في جميع القرآن إلا في قوله تعالى: ﴿لَا يَحزِنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فإنه وافق

الجماعة في فتح الياء وضم الزاي. قال مكِّي: وتخصَّ نافع الموضع المذكور بفتح الياء للجمع بين اللغتين، والقراءتان متساويتان، وما عليه الجماعة من فتح الياء وضم الزاي أحبُّ إليَّ، لأنها اللغةُ الفاشيةُ المستعملةُ المُجمَعُ عليها. انتهى من «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (١: ٣٦٥).

ولتمام الفائدة انظر: «الكتاب» لسبويه (٤: ٥٦).

لا يُقَدَّرُ عَلَى الْإِنْفِكَاحِ مِنْهُ. وَالغِلْظُ: مُسْتَعَارٌ مِنَ الْأَجْرَامِ الْغَلِيظَةِ. وَالْمُرَادُ. الشَّدَّةُ  
وَالثَّقْلُ عَلَى الْمُعَذَّبِ.

[﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْلَمُونَ﴾ \* لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ  
شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ﴾ ٢٥ - ٢٧]

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السماوات والأرض

الانتصاف: تفسير هذا الاضطرار هو أنهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد،  
فيسلط عليهم الزمهرير، فيكون أشد عليهم من اللهب، فيسألون العود إلى اللهب اضطراراً،  
فهو اختيار عن اضطرار<sup>(١)</sup>.

وبأذبال هذه البلاغة تعلق الكندي<sup>(٢)</sup> في قوله:

يرون الموت قداماً وخلفاً فيختارون والموت اضطراراً

فيختارون؛ أي: الموت.

قوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلزام لهم على إقرارهم) يعني: لما اعترفتم بأن خالق السماوات  
والأرض هو الله، يجب<sup>(٣)</sup> عليكم أن تعرفوا أن العبادة مختصة به؛ لأن كل فضيلة ونعمة منه  
لا من غيره، فلا تشكروا إلا إياه، فيكون قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تكميلاً للتبكيست المستفاد من  
قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إيغالاً؛ لأن النكته فيه تجهيلهم؛  
وأن جهلهم انتهى إلى أنهم لا يعلمون أن الحمد لله إلزام لهم.

وقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تهاون بهم، وإبداء آتة تعالى مستغني عنهم

(١) الانتصاف بحاشية الكشاف (٣: ٥٠٠).

(٢) يعني المتنبي.

(٣) في (ح) و(ف): «هو الذي يجب».

هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَآنَهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ. وَأَنْ لَا يُعْبَدَ مَعَهُ غَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنْ ذَلِكَ يَلْزَمُهُمْ، وَإِذَا نُبِّهُوا عَلَيْهِ لَمْ يَتَّبِعُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ حَمْدِ الْحَامِدِينَ الْمُسْتَحِقِّ لِلْحَمْدِ، وَإِنْ لَمْ يَحْمَدُوهُ.

قُرِي: (وَالْبَحْرَ) بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى اسْمِ (أَنَّ)، وَبِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ (أَنَّ) وَمَعْمُوها؛ عَلَى: وَلَوْ ثَبَتَ كَوْنُ الْأَشْجَارِ أَقْلَامًا، وَثَبَتَ الْبَحْرُ مَمْدُودًا بِسَبْعَةِ أَبْحُرٍ.

وَعَنْ حَمْدِهِمْ، وَلِلذَلِكَ عِلَلُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «وَأِنْ لَمْ يَحْمَدُوهُ».

قَوْلُهُ: (قُرِي: «وَالْبَحْرَ» بِالنَّصْبِ)، أَبُو عَمْرٍو، وَبِالرَّفْعِ: غَيْرُهُ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ «أَنَّ» وَمَعْمُوها؛ عَلَى: وَلَوْ ثَبَتَ كَوْنُ الْأَشْجَارِ) قَالَ الزَّجَّاجُ: لِأَنَّ «لَوْ» تَطْلُبُ الْأَفْعَالَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ جِنِّي: وَأَمَّا رَفْعُ «الْبَحْرِ»، فَإِنْ شِئْتَ كَانَ مَعْطُوفًا عَلَى مَوْضِعِ «أَنَّ» وَاسْمِهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَفْتُوحَةً كَمَا عَطْفَ عَلَى مَوْضِعِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] <sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي «الْأَمَالِي»: «مَنْ قَرَأَ «وَالْبَحْرَ» بِالنَّصْبِ فَمَعْطُوفٌ عَلَى اسْمِ «أَنَّ»، وَ«حَمْدُهُ» خَبْرٌ لَهُ؛ أَيْ: لَوْ ثَبَتَ أَنَّ الْبَحْرَ مَمْدُودٌ مِنْ بَعْدِهِ بِسَبْعَةِ أَبْحُرٍ، وَلَا يَسْتَقِيمُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ «حَمْدُهُ» حَالًا؛ لِأَنَّهُ يُوَدِّي إِلَى تَقْيِيدِ الْمَبْتَدَأِ الْجَامِدِ بِالْحَالِ؛ لِأَنَّهَا بَيَانٌ لِهَيْئَةِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ<sup>(٤)</sup>، وَالْمَبْتَدَأُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَيُوَدِّي أَيْضًا إِلَى أَنْ يَبْقَى الْمَبْتَدَأُ لَا خَبْرَ لَهُ. وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ «أَقْلَمٌ» [لقمان: ٢٧] خَبْرًا لَهُ؛ لِأَنَّهُ خَبْرُ الْأَوَّلِ.

(١) ولتمام الفائدة انظر: «حجة القراءات» ص ٥٦٦.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٠٠).

(٣) «المحتسب» (٢: ١٦٨).

(٤) «في أمالي ابن الحاجب»: «أو المفعول»، وما أثبتته الطيبي بروا العطف موافق لإحدى نسخ «الأمالي»

كما أشار إليه الأستاذ محقق الكتاب.

أو على الابتداء والواو للحال، على معنى: ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً، وفي قراءة ابن مسعود: (بحر يمده) على التنكير، .....

وأما من قرأ بالرفع فمعطوف على فاعل «ثبت» المراد بعد «لو»، وهو «أن» واسمها وخبرها جميعاً، يُقدَّرُ بالمفرد، فـ«البحر» معطوف على ما هو في معنى الكون المقدَّر، فعلى هذا: ﴿يَمُدُّهُ﴾ لا يصحُّ أن يكون خبراً، فيجب أن يكون حالاً؛ أي: لو ثبت البحر في حال كونه ممدوداً بسبعة أبجر. ولا يستقيم أن يُقال: إن «البحر» معطوف على موضع «أن»؛ لأنَّ العطف على الموضع في «أن» شرطه أن تكون مكسورة، ومثل<sup>(١)</sup>: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] لوقوعه بعد قوله: ﴿وَأَذَانٌ﴾ [التوبة: ٣] بمعنى: وإعلام، وهو مثل: علمت أن زيداً قائمٌ وعمرو، وإنما لم يعطف على المفتوحة لفظاً ومعنى؛ لأنها واسمها وخبرها بتأويل جزء واحد، فلو قدَّرت أنها في حكم العدم لأخللت بموضوعها بخلاف «إن» المكسورة؛ لأنها لا تغير المعنى، فجاز<sup>(٢)</sup> تقدير عَدَمِها لكونها للتأكيد المَحْضِ، كما جاز تقدير عَدَمِ الباء المؤكدة في قوله:

فلنسنا بالجبال ولا الحديد<sup>(٣)</sup>.

قوله: (أو على الابتداء) عطف على قوله: «عطفاً على محل «أن» ومعمولها»، وإنما قيَّد هذا الوجه بقوله: «والواو للحال»؛ لأنَّ العطف يُوجِبُ المحذور الذي أشار إليه ابنُ الحاجب.

قوله: (ولو أن الأشجار أقلام) على تأويل: لو ثبت أن الأشجار أقلام؛ ليكون عاملُ الحال «ثبت».

(١) هذا معطوف على مثال سابق ذكره ابنُ الحاجب، وهو قوله: إن زيداً قائمٌ وعمرو.

(٢) في النسخ الخطية: «فجاء»، وصوبناه من «أما لي ابن الحاجب».

(٣) «أما لي ابن الحاجب» (١: ١٥٨-١٦٠)، وشرط البيت المذكور هو عجز بيت، وصدْرُه:

معاوي إتنا بشر فأنسج

وهو من شواهد «الكتاب» لسبويه (١: ٦٧) وعزاه لعقبة الأسدي.

ويجب أن يُحمل هذا على الوجه الأول. وقرئ: (يَمُدُّه) و(يُمُدُّه) وبالتاء والياء. فإن قلت: كان مقتضى الكلام أن يُقال: ولو أن الشجر أقلام، والبحر مداً. قلت: أغنى عن ذكر المدا قولُه: ﴿يَمُدُّه﴾، لأنه من قولك: مدَّ الدَّوَاةَ وَأَمَدَّهَا،.....

قوله: (ويجب أن يُحمل هذا على الوجه الأول) وهو أن يكون «البحر» مرفوعاً عطفاً على محل «أن» ومعمولها، وذلك بأن يكونَ في تقديرِ الفاعلِ للفعلِ المقدَّر؛ أي: لو ثبت بحرٌ ممدود، ويفهم منه عدمُ جوازِ الحال؛ لأن بحرًا نكرةٌ إذن.

ولهذا قال صاحب «التقريب»: «بحر» عطف على موضع «أن»، لا مبتدأ.

قال ابن جنبي: قرأ طلحة بن مُصَرِّف: «وَيَحْرُ يَمُدُّه» رفع «بحر» بالابتداء، وخبره محذوف؛ أي: هناك بحرٌ يمدُّه من بعده سبعةُ أبْحُرٍ، فالواوُ وأوُ الحالِ لا محالة، ولا يجوز أن يعطف «وبحر» على «أقلام»؛ لأن البحرَ وما فيه ليس من حديثِ الشَّجَرِ والأقلام، وإنما هو من حديث المدا(١).

وقال أبو البقاء: ﴿مِنْ شَجَرٍ﴾ حالٌ من ضميرِ الاستقراءِ ومن «ما»(٢).

قوله: (وقرئ: ﴿يَمُدُّه﴾ و﴿يَمُدُّه﴾ بالياء والتاء(٣) بالياء التَّحْتَانِيَّةِ المشهورة، وبالتاء الشاذة(٤).

وقال ابن جني: وأما «يُمُدُّه» بضمِّ الياء فتشبيهه بإمدادِ الجيشِ، يقال: مَدَّ النَّهْرُ وَمَدَّهُ نَهْرٌ آخَرُ، وَأَمَدَدْتُ الْجَيْشَ بِمَدَدٍ(٥).

قوله: (أغنى عن ذكر المدا قولُه: ﴿يَمُدُّه﴾) يعني: ذكَّر فيه ما يدلُّ على المقصود مع ما

(١) «المحتسب» (٢: ١٦٨).

(٢) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤٥).

(٣) كذا في الأصول الخطية، وكذا هو في نص «الكشاف» من (ط)، لكن في الأصل الخطي من «الكشاف»

وفي المطبوع: ﴿يَمُدُّه﴾ و﴿يُمُدُّه﴾ وبالتاء والياء، فتكون أربع قراءات.

(٤) وذكرها ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ١١٧ من غير عزو لأحد.

(٥) «المحتسب» (٢: ١٦٩).

جَعَلَ الْبَحْرَ الْأَعْظَمَ بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاءِ، وَجَعَلَ الْأَبْحَرَ السَّبْعَةَ مَمْلُوءَةً مِدَادًا، فَهِيَ تَصُبُّ فِيهِ مِدَادُهَا أَبَدًا صَبًّا لَا يَنْقَطِعُ. والمعنى: ولو أَنَّ أشجارَ الأرضِ أقلامٌ، والبحرُ ممدودٌ بسبعةِ أبحرٍ، وَكُتِبَتْ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ وَبِذَلِكَ الْمِدَادِ كَلِمَاتُ اللَّهِ، لَمَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُهُ وَنَفِدَتْ الْأَقْلَامُ وَالْمِدَادُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]. فَإِنْ قُلْتَ: زَعَمْتَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ حَالٌ فِي أَحَدِ وَجْهِي الرَّفْعِ، وَلَيْسَ فِيهِ ضَمِيرٌ رَاجِعٌ إِلَى ذِي الْحَالِ. قُلْتَ: هُوَ كَقَوْلِهِ:

### وقد أختدي والطير في وُكُنَاتِهَا

يزيدُ في المبالغة، وهو تصويرُ الإمدادِ المستمرِّ حالًا بعد حالٍ، وتعليقُ ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾، وذكر السَّبْعَةِ؛ ليكونَ على وِزَانِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِمَنَاحِيهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] في إفادة السُّمُولِ وَالْإِحَاطَةِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «فَهِيَ تَصُبُّ فِيهِ مِدَادُهَا أَبَدًا صَبًّا لَا يَنْقَطِعُ». ولو قيل: «وَالْبَحْرُ مِدَادًا» لم يُفِدْ هَذِهِ الْفَائِدَةَ.

قوله: (وَكُتِبَتْ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ وَبِذَلِكَ الْمِدَادِ كَلِمَاتُ اللَّهِ) يشير إلى أَنَّ فِي الْكَلَامِ حَدَقًا.

قال ابنُ جنِّي: فِي الْآيَةِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ: فَكُتِبَتْ بِذَلِكَ كَلِمَاتُ اللَّهِ مَا نَفِدَتْ، فَحَذْفٌ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]؛ أَي: فَحَلَقَ فَعَلَيْهِ فِدْيَةٌ، فَانْتَفَى بِالْمُسَبِّبِ - وَهُوَ الْفِدْيَةُ - عَنِ السَّبَبِ وَهُوَ الْحَلَقُ (١).

قوله: (وقد أختدي والطير في وُكُنَاتِهَا) تمامه:

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ (٢)

قوله: الاغتداء: الغدو. والوُكُنَةُ: موقعة الطير. وانجرد في سيره؛ أي: مضى، أي: أن المنجرد لسرعته يقيد الوحش لا يدعه يبرح، والهيكُل من الخيل: الفرس الطويل الضخم،

(١) «المحتسب» (٢: ١٦٩).

(٢) لامرئ القيس في «ديوانه» ص ١٩.

و: جئتُ والجيشُ مُصطَفٌ، وما أشبه ذلك من الأحوال التي حُكِّمها حُكْمُ الظُّروفِ .  
ويجوزُ أن يكونَ المعنى: وبعثُها، والضَّميرُ للأرضِ . فإن قلت: لم قيل: ﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾

وَيَبْتُ النَّصَارَى يُسَمَّى هَيْكَلًا، وقيل: بِمُنْجَرِدٍ: قَصِيرِ الشَّعْرِ . والمعنى: أَعْتَدِي فِي الشَّحْرِ  
لِلصَّيْدِ، وَالْحَالُ أَنَّ الطَّيْرَ بَعْدُ مُسْتَقَرَّةٌ فِي أَوْكَارِهَا .

قوله: (جئتُ والجيشُ مصطَفٌ) أي: جئتُ القومَ والحالُ أنَّ الجيشَ قد اصطَفَّ للقتالِ .  
وفي «التَّهذِيبِ»: بِحَقِيقَةٍ أَنَّهُ إِذَا رَجَعَ إِلَى مَعْنَى الظَّرْفِ يَكُونُ مُتَضَمِّنًا لِلضَّمِيرِ؛ أَي: جئتُ  
كَائِنًا فِي حَالِ اصطِفَافِ الجَيْشِ، وَتَقْدِيرِ الحَالِ الْأُولَى: أَتَيْتُ بُكْرَةَ بَاكِرَةً، وَتَقْدِيرِ الحَالِ  
الثَّانِيَةِ: وَالجَيْشُ مُصطَفٌ عِنْدِي .

قوله: (مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي حُكِّمَهَا حُكْمُ الظَّرُوفِ) أي: الظُّروفِ المُلغَاةِ .

قال في «المُفَصَّلِ»: شَبَّهَ الحَالُ بِالمَفْعُولِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا مَفْعُولٌ فِيهَا<sup>(١)</sup> .

قال صاحب «التخمير»: الحَالُ يُشَبِّهُ الظَّرْفَ مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: «جاء زيدٌ رَاكِبًا»،  
فمعناه: جاء زيدٌ حَالًا كَوْنَهُ رَاكِبًا، فَقَوْلُكَ: حَالُ كَوْنِهِ رَاكِبًا ظَرْفٌ . وقال: عِنْدِي أَنَّهُ يَجُوزُ  
أَنْ يَكُونَ الوَاوُ فِي مِثْلِ: «جئتُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ» وَأَوَّ الظَّرْفِ؛ لِاسْتِقَامَةِ: جئتُ وَقَتَّ طُلُوعِ  
الشَّمْسِ، وَالظَّرْفُ وَالْحَالُ مُشْتَبِهَانِ جَدًّا، وَلِذَلِكَ اشْتَبَهَا فِي قَوْلِكَ: جَاءَ مَعًا وَذَهَبَا مَعًا .

قال عليُّ بن عيسى<sup>(٢)</sup>: نَصَبُ «مَعًا» عَلَى الحَالِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ذَهَبَا مُجْتَمِعَيْنِ، وَيَجُوزُ عَلَى  
الظَّرْفِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ذَهَبَا فِي وَقْتِ اجْتِمَاعِهِمَا .

قوله: (ويجوز أن يكون المعنى وبعثها) أي: بكونِ الراجِعِ إِلَى ذِي الحَالِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ  
اللَّذِينَ أُقِيمَا مَقَامَ الضَّمِيرِ المِضَافِ إِلَيْهِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿جَنَّتِ عَدْنٌ مُفْنَحَةٌ لِمَنْ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] .

فإن قلت: على الأوَّلِ كَانَتِ الجُمْلَةُ حَالًا مِنَ المُسْتَقَرِّ فِي الظَّرْفِ الرَّاجِعِ إِلَى المَوْصُولِ  
المَعْنِيِّ بِهِ الشَّجَرَةَ، وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ، فَمَا الْمَعْنَى عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ ذُو الحَالِ الْأَرْضَ؟

(١) «المُفَصَّلُ» لِلزَّمخَشَرِيِّ ص ٨٩ .

(٢) هُوَ الرَّمَانِيُّ . سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

على التَّوْحِيدِ دُونَ اسْمِ الْجِنْسِ الَّذِي هُوَ شَجَرٌ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ تَفْصِيلَ الشَّجَرِ وَتَقْصِيهَا شَجَرَةً شَجَرَةً، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْ جِنْسِ الشَّجَرِ وَلَا وَاحِدِهِ إِلَّا قَدْ بُرِيَتْ أَقْلَامًا. فَإِنْ

قلت: الحال في الحقيقة صفة لصاحبها، فيكون المعنى: لو ثَبَتَ كَوْنُ الأشجارِ المستقرَّةِ في الأرض التي بَحْرُهَا كالدَّوَاةِ يَمُدُّهَا أَبْحَرٌ سَبْعَةٌ أَقْلَامًا. وهذا أبلغُ لاحتِمَالِ التَّعْرِيفِ في البحرِ على الأوَّلِ العهدِ، وهو الحِصَّةُ المعلومَةُ عند المخاطَبِ فلا يَعمُ، وإليه أشار بقوله: «جَعَلَ البحرَ الأعْظَمَ بمنزلة الدَّوَاةِ» بخلاف الإضافة والنسبة، فإنَّهَا تَسْتَعْرِقُ جَمِيعَ ما يُنسَبُ إليها، سواء عَلِمَهُ المخاطَبُ أم لا. وأيضًا يوجب أن يفرض الأبحرَ الممدودةَ بها خارجةً مما هو فيها بخلاف الأوَّلِ.

قوله: (وتَقْصِيها شَجَرَةً شَجَرَةً)، الأساس: واستقصيتُ الأمرَ وتقصيتهُ: بَلَغْتُ أَقْصَاهُ في البحثِ عنه<sup>(١)</sup>.

قوله: (ولا واحِدِهِ) يروى بكسر الدالِّ والإضافة إلى ضمير الجنس، ويروى بالتاء وضمِّها، والأولُ أظهرُ من حيث اللفظ والمعنى. أما الأولُ: فإن الاستثناءَ مفرَّغٌ، وقوله: «وقد بُرِيَتْ أَقْلَامًا» حال، والمذكورُ نكرةٌ لا يَصْلُحُ أن يكونَ ذا حالٍ ولا المُقَدَّرُ؛ لأنَّ التقديرَ حينئذٍ لا يبقى من جنسِ الشَّجَرِ أفرادٌ ولا واحدةٌ بخلاف الأوَّلِ، فإنَّ التقديرَ: لا يبقى من جنسِ الشَّجَرِ البقيَّةُ، ولا من واحدِ الجنسِ. وأمَّا الثاني: فإنَّ قوله: «ولا واحدةٌ» جيء به مؤكِّدًا لشمولِ الماهيةِ؛ أي لم تبق من هذه الحقيقة بقيَّة، ولا كذلك الأولُ لأنَّ من نَفَى الفردَ لا يلزمُ نَفْيُ بقيَّةٍ منه، كلُّ هذه الفوائدِ إنَّها تُستفادُ من جعلِ اسمِ «أَنَّ» موصولًا لا مبهمةً، ثمَّ البيانُ بالماهيةِ وحملُ أقلامٍ - وهو جمعٌ - عليه كأنَّ هذا السؤالَ والجوابَ من تَتَمَّةِ سؤاله السابق؛ لأنَّه سأل عن شيئين: عن الشَّجَرِ أَقْلَامٌ وعن البحرِ مدادٌ، فأجاب عن الثاني وترك الأوَّلَ<sup>(٢)</sup>.

(١) هذه الفقرة سقطت من (ط)، ووردت في (ح) و(ف) بعد الفقرة التي تليها.

(٢) كذا في الأصول الخطية، وهو يوافق نصَّ «الكشاف» من (ط)، لكن الواو غير موجودة في الأصل الخطي من «الكشاف» ولا في المطبوع.

(٣) من قوله: «لأنَّ من نَفَى الفردَ لا يلزمُ» إلى هنا، سقط من (ح).



قلت: الكلمات جمع قلة، والموضع موضع الكثير لا التقليل، فهلا قيل: كلم الله؟ قلت: معناه أن كلماته لا تنفي بكتبتتها البحار، فكيف بكلمه؟ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت جواباً لليهود لما قالوا: «قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة»، وقيل: إن المشركين قالوا: إن هذا - يعنون الوحي - كلام سينفذ، فأعلم الله أن كلامه لا ينفذ. وهذه الآية عند بعضهم مدنية، وأنها نزلت بعد الهجرة، وقيل هي مكية، وإنا أمر اليهود وقد قريش أن يقولوا لرسول الله ﷺ: ألسنت تتلو فيما أنزل عليك: أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج من علمه وحكمته شيء، ومثله لا تنفذ كلماته وحكمته.

[﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٢٨]

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلا خلقها وبعثها؛ أي: سواء في قدرته القليل والكثير، والواحد والجمع، لا يتفاوت، وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس

قوله: (إن هذا - يعنون الوحي - كلام سينفذ) فسر هذا بالوحي دون القرآن؛ لأن الوحي غير نافذ والقرآن نافذ عنده، ومن قال: المشار إليه القرآن؛ أراد أن مدلوله لا ينفذ، وهو الكلام النفسي<sup>(١)</sup>.

قوله: (ومثله لا تنفذ كلماته وحكمته)، «مثل» هاهنا كناية؛ نحو: مثلك لا يبخل، ليس هذا إثبات مثل<sup>(٢)</sup>، وإنما المراد أنت لا تبخل، فقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ كالتعليل لإثبات العلم الواسع، كأنه قال: لانفاذ لعلمه الواسع؛ لأن المعلومات إما كثيفة تحتاج في إدراكها إلى علم متين، فهو عزيز لا يعجزه شيء عما يريد، وإما لطيفة يفتقر لإدراكها إلى علم دقيق، فهو حكيم يدرك بدقيق حكمته تلك المعاني والجواهر اللطيفة، فتكون الفاصلة كالتميم لما سبق؛ لأن بعض التعليل يُجاء به للمبالغة والتأكيد، ولذلك قالت الفقهاء: تعليل الحكيم يفيد تأكيداً.

(١) سقطت هذه الفقرة من (ف).

(٢) سقط لفظ «مثل» من (ج).

الكثيرة العدد؛ أن لو شغلَهُ شأنٌ عن شأنٍ وفعلٌ عن فعلٍ، وقد تعالى عن ذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يَسْمَعُ كُلَّ صَوْتٍ وَيُبْصِرُ كُلَّ مُبْصِرٍ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا يُشْغَلُهُ إِدْرَاكُ بَعْضِهَا عَنِ إِدْرَاكِ بَعْضٍ، فَكَذَلِكَ الْخَلْقُ وَالْبَعْثُ.

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْعَلُهُ لِمَا تَجِبُ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْكَبِيرُ﴾ [٢٩-٣٠]

كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَجْرِي فِي فَلَكِهِ، وَيَقْطَعُهُ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ؛ الشَّمْسُ

قوله: (فَكَذَلِكَ الْخَلْقُ وَالْبَعْثُ) أي: كما أَنَّ المعلوماتَ لَا يُشْغَلُهُ إِدْرَاكُ بَعْضِهَا عَنِ إِدْرَاكِ بَعْضٍ، كَذَلِكَ الْمَخْلُوقَاتُ لَا تَتَفَاوَتْ فِيهَا يَرَادُ مِنْهَا مِنَ الْإِبْرَادِ وَالْإِعْدَامِ، فَلَا يُشْغَلُهُ فِعْلٌ عَنِ فِعْلٍ، فَشَبَّهَ الْمَقْدُورَاتِ فِيهَا يَرَادُ مِنْهَا بِالْمَعْلُومَاتِ فِيهَا يُدْرِكُ مِنْهَا.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِإِبْرَادِ الْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ بِالْعِلْمِ الْوَاسِعِ، وَأَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَقْدُورَاتِ لَا يُشْغَلُهُ فِيهَا يَرَادُ مِنْهُ عَنِ الْآخِرِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِتَفَاصِيلِهَا وَجَزَائِيَّاتِهَا يَتَصَرَّفُ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ، كَمَا يَقَالُ: فَلَانِ يُجِيدُ تِلْكَ الصَّنْعَةَ هُوَ مَاهِرٌ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ عَارِفٌ بِدَقَائِقِهَا وَمَتَمَّاتِهَا. وَالْمَقْصُودُ مِنْ إِبْرَادِ الْوَصْفَيْنِ إِثْبَاتُ الْحُسْرِ وَالنَّشْرِ؛ لِأَنَّهَا عُمْدَتَانِ فِيهِ.

أَلَا تَرَى كَيْفَ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ تَقْرِيرًا لَهُ؛ فَذَلَّ بِالْأَوَّلِ عَلَى عِظَمِ قُدْرَتِهِ، وَبِالثَّانِي عَلَى شُمُولِ عِلْمِهِ. وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «عَلَى عِظَمِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ» فَإِنَّهُ نَشَّرَ لِقَوْلِهِ: «أَيْضًا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، وَقَوْلِهِ: «وَبِإِحَاطَتِهِ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْخَلْقِ»، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عَطَفٌ عَلَى ﴿أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾، فَذَلَّ بِالْأَوَّلِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ، وَبِالثَّانِي عَلَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، فَقَوْلُهُ: «وَبِإِحَاطَتِهِ» عَطَفٌ عَلَى «بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، وَقَوْلُهُ: «وَكُلُّ ذَلِكَ» مُبْتَدَأٌ، وَ«عَلَى تَقْدِيرٍ وَحِسَابٍ» خَبْرُهُ، وَالْجُمْلَةُ مَعْتَرِضَةٌ.

إلى آخرِ السَّنَةِ، والقَمَرُ إلى آخرِ الشَّهِرِ. وعنِ الحَسَنِ: الأَجَلُ المُسَمَّى: يَوْمُ القِيَامَةِ؛ لأنَّهُ لا يَنْقَطِعُ جَرِيئُهَا إلا حِينَئِذٍ. دَلٌّ أَيْضًا بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ وتَعاقِبِهَا وزيادَتِهَا ونُقْصانِهَا وَجَرِي النِّيرَيْنِ في فَلَكَيْهِمَا - كُلُّ ذَلِكَ على تَقْدِيرِ وَحِسابٍ - وبِإِحاطَتِهِ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الخَلْقِ: على عِظَمِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ. فإن قَلْتُ: يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمَّى، وَيَجْرِي إلى أَجَلٍ مُسَمَّى: أَهُوَ مِنْ تَعاقِبِ الحَرْفَيْنِ؟ قَلْتُ: كَلَّا، وَلا يَسْلُكُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ إلا بَلِيدُ الطَّبَعِ ضَيَّقُ العَطَنِ، وَلَكِنَّ المَعْنِيَيْنِ - أعني الانْتِهاءَ والاختِصاصَ - كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما مُلائِمٌ لِصِحَّةِ الغَرَضِ؛ لأنَّ قولَكَ: يَجْرِي إلى أَجَلٍ مُسَمَّى معناه: يَبْلُغُهُ وَيُنْتَهِي إِلَيْهِ. وَقولَكَ: يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمَّى: تُرِيدُ يَجْرِي لِإِدْرَاكِ أَجَلٍ مُسَمَّى، تَجْعَلُ الجَرِيَّ مُتَّحِصًا بِإِدْرَاكِ

قوله: (أهو من تعاقب الحرفين) يعني: جاء في «فاطر»: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣]، و«إلى» ما هنا، و«اللام» هناك أهما ما يتعاقب كل واحد منهما مكان صاحبتها من غير تفرقة؟ أو بينهما تفاوت؟

وأجاب: أن بينهما بونا بعيدا من حيث الوضع؛ لأن أحدهما للانتهاء والآخر للاختصاص، وكل واحد منهما ملائم لصحة الغرض في موضعه الخاص.

ويمكن أن يقال: إن الغرض منها الغاية، وهو حاصل بهما؛ لأن الغايات يجمعها معنى انتهاء الغاية والعلّة؛ لأن ﴿يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معناه: يَجْرِي إلى ما ينتهي إليه أجله، ويبلغ ما ضرب له من الحد، و﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣] معناه: يَجْرِي لِإِدْرَاكِ أَجَلٍ مُعَيَّنٍ سُمِّيَ لَهُ.

ولذلك فسّر القاضي ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ بقوله: إلى منتهى الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر<sup>(١)</sup>. كما فسّر المصنّف ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣] بهذا المعنى؛ لأنَّ مألَّ المعنيتين إلى واحد.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٥١).

أجلٍ مُّسَمًّى. ألا ترى أن جزي الشمس مُّخْتَصَّ بِأَجْرِ السَّنَةِ، وَجَرِي الْقَمَرِ بِأَجْرِ الشَّهْرِ؛ فِكِلَا الْمَعْنِيَيْنِ غَيْرُ نَابٍ بِهِ مَوْضِعُهُ. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي وصف - من عجائبِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ التي يَعَجْزُ عنها الأحياءُ القَادِرُونَ العَالِمُونَ، فكيفَ بالجِهادِ الذي يدْعُوهُ من دُونِ الله - إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ أَنَّهُ هُوَ ﴿الْحَقُّ﴾ الثَّابِتُ إلهِيَّتُهُ، وَأَنَّ مَنْ دُونُهُ باطِلُ الإلهِيَّةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ الشَّانِ ﴿الْكَبِيرُ﴾ السُّلْطَانِ. أو: ذلك الذي أوحى إليك من هذه الآياتِ بسببِ بيانِ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ إِلَهًا غَيْرَهُ باطِلٌ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ عن أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.

[﴿الذَّرَّاءُ الْفَلَكُ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾]

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته) إلى قوله: (إنما هو بسبب أنه الحقُّ<sup>(١)</sup>) يعني: أتى باسم الإشارة بعد إجراء تلك الصفات على الذات المتميزة؛ ليؤذن بأن تلك الصفات إنما تثبت له لأنه هو الإله الثابت الإلهية؛ لِمَا تَقَرَّرَ أَنَّ مَنْ كَانَ إِلَهًا كَانَ قَادِرًا خَالِقًا عَالِمًا مَعْبُودًا رَازِقًا، فهذه الآية كالفلكة لتلك الآيات من لَدُنْ قَوْلِهِ: ﴿الذَّرَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ وقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾، وكُلٌّ مِنْ فَوَاصِلِهَا نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفِيُّ الْحَمِيدُ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، مُتَضَمِّنَةٌ لِأَسْرَارٍ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا إِلَّا اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وكَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ كَالْمُجْمَلِ لِتِلْكَ الْمُفْصَلِ؛ كَذَلِكَ قَرَيْتُهَا، أَي: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فذلكة تلك الفواصل، والله أعلم.

قوله: (فكيف بالجهاد الذي يدعونه) الجارُّ والمجرورُ متعلِّقٌ بمحذوف، وهو العامل في الاستفهام أيضًا؛ أي: فكيف ظنُّكم بالجهاد؟ كقوله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ٨٧]. وإنما أدخل هذا المعنى في مفهوم ذلك الذي هو المبتدأ؛ لاشتغال خيره على قوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطِلُ﴾.

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «أنه هو الحق».

قُرِيء: «الْفُلُكُ» بضم اللّام، وكُلُّ «فُعَلٍ» يجوزُ فيه «فُعَلٌ»، كما يجوزُ في كُلِّ «فُعَلٍ»: «فُعَلٌ»، على مذهبِ التّعويضِ. و(بِنِعْمَاتِ اللَّهِ) بسُكُونِ العَيْنِ، وعَيْنُ «فِعَلَاتٍ» يجوزُ فيها الفتحُ والكسرُ والسُّكُونُ. ﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ بإحسانِهِ ورحمتهِ ﴿صَبَّارٍ﴾ على بلائِهِ ﴿شَكُورٍ﴾ لِنِعْمَاتِهِ، وهما صِفَتَا الْمُؤْمِنِ، .....

قوله: (قريء: «الْفُلُكُ» بضم اللّام) قال ابنُ جِنِّي: وهي قراءة موسى بن الزُّبير، وحكي عن عيسى بن عُمَرَ أنه قال: ما سُمِعَ «فُعَلٌ» بضمّ الفاء وسكونِ العين إلا وقد سُمِعَ فيه «فُعَلٌ» بضمّ العين<sup>(١)</sup>. فقد يكون هذا منه أيضًا.

قوله: «(وَبِنِعْمَاتِ اللَّهِ)» قال ابنُ جِنِّي: «بِنِعْمَاتِ اللَّهِ» ساكنة العين، قرأها جماعةٌ منهم الأعرج<sup>(٢)</sup>.

وقال الرَّجَاحُ: ويقرأ: «بِنِعْمَاتِ اللَّهِ» بفتح العين وسكونها، وأكثرُ القراءِ: ﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ على الوحدة<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿صَبَّارٍ﴾ على بلائِهِ، الرَّاعِبُ: الصَّبُورُ: القَادِرُ على الصَّيرِ، والصَّبَّارُ: [يقال] إذا كان فيه صَرْبٌ مِنَ التَّكْلِيفِ والمجاهدة. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

قوله: (وهما صفتا المؤمن) يريد: ما وردَ من قولهم: «إِنَّ الإِيْمَانَ نِصْفَانِ: نِصْفٌ صَبْرٌ وَنِصْفٌ شُكْرٌ»<sup>(٥)</sup>؛ لَأَنَّ التَّكْلِيفَ أفعالٌ وتروكٌ، والتُّرُوكُ: صَبْرٌ عن المألوفِ، والأفعالُ: شُكْرٌ على المعروفِ.

(١) «المحتسب» (٢: ١٦٩).

(٢) المصدر السابق (٢: ١٦٩).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٠٠-٢٠١)، واختار أن الأجود هو بكسر النون وتسكين العين.

(٤) «مفردات القرآن» ص ٤٧٤.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٢: ١٩٢)، والخراطي في «فضيلة الشكر» ص ١٩ مرفوعاً من

حديث أنس رضي الله عنه، ولتمام الفائدة انظر: «تفريج أحاديث الكشاف» للمحافظ الزيلعي (٤: ٢٣).

فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ مُؤْمِنٍ.

[﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا نَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَسَّارٍ كَفُورٍ ﴾ ٣٢٢]

يرتفع الموج ويترأكب، فيعود مثل الظلل، والظلة: كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما، وقرئ: (كالظلال)، جمع ظلة، كقوله وقلال، ﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط في الكفر والظلم، خفف من غلوائه، وانزجر بعض الأنزجار. أو: مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر، يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف، لا يبقى لأحد قط، والمقتصد قليل نادر. وقيل: مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر.

ودرى الزجاج، عن قتادة: أحب العباد إلى الله تعالى من إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر<sup>(١)</sup>.

قوله: (فكأنه قال: إن في ذلك لآيات لكل مؤمن) فهو من الكناية المطلوب بها نفس الموصوف؛ نحو: الإنسان حي مستوي القامة، عريض الأظفار.

قوله: (من غلوائه)، الأساس: هو مني بغلوة سهم، وتقول: خفف من غلوائك، وفعل ذلك في غلوائه سبابه.

المغرب: يقال: غلا بسهمه غلوا وغالى به غلاء: إذا رمى به أبعده ما قدر عليه<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وقيل: مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر): يريد أن قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ للتفصيل، فلا بد من النظر إلى قسم آخر غير المقتصد، فإذا جعل ذلك ما دل عليه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ قيل: فمنهم مقتصد في الكفر ومنهم جاحد، وإذا نظر إلى مخلصين قيل: فمنهم مقتصد في الإخلاص ومنهم جاحد.

فالخاص أن المراد بالمقتصد الكافر باعتبارين: إما متوسط في الظلم والكفر أو متوسط

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٠١).

(٢) «المغرب في ترتيب المعرب» (٢: ١١١).

والخثر: أشدُّ الغدر. ومنه قولهم: إنك لا تمدُّ لنا شبراً من غدرٍ إلا مددنا لك باعاً من خثر، قال:

وإنك لو رأيت أبا عمير مَلأتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرِ وَخَثْرِ

[يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُورًا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يُجْزَى وَالِدَ عَن وَاوَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَاوِزٌ عَن وَاوَدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تُغْرَنَّاكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يُغْرَنَّاكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُورُ ﴿٣٣﴾]

﴿لَا يُجْزَى﴾ لا يقضي عنه شيئاً، ومنه قيل للمتقاضي: المتجازي، وفي الحديث في جدعة ابن نيار: «تجزى عنك ولا تجزي عن أحدٍ بعدك»، وقري: (لا يُجزي)؛ لا يُعني. يقال: أجزأتُ عنك مجزاً فلان. والمعنى: لا يُجزي فيه، فحذف. ﴿الفرور﴾ الشيطان. وقيل: الدنيا، وقيل: تمنئكم في المعصية المغفرة. وعن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه: الغرة بالله: أن يتمادى الرجل في المعصية، ويتمنى على الله المغفرة. وقيل: ذكرك

في الإخلاص الذي كان عليه في البحر.

وقيل: المقتصد: المؤمن الثابت على ما عاهد الله عليه في البحر.

قوله: (وإنك لو رأيت أبا عمير، مَلأتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرِ وَخَثْرِ)<sup>(١)</sup>، وهو عبارة عن حصوله بالغادر المبالغ في غدره، وبمن كلُّه غدر؛ كقولك: هذا ما حصلت يدك. وقيل: من عدَّ خصائل أحدٍ بأصابع يديه، يقبض بكلِّ خصلة أصبغة من أصابعها، فإذا بلغ العشر قبض على أصابع يديه أجمع. يعني أنه عدَّ في أبي عمير عشرًا من الأخلاق الذميمة، وهو متكلف.

قوله: (في جدعة ابن نيار)<sup>(٢)</sup> تقدم في «البقرة» حديثه بتامه.

(١) البيت لعمر بن مغيرة بن كريب. انظر: «الأغاني» (١٥: ٢٠٣).

(٢) هو أبو بردة بن نيار، واسمه: هاني.

لِحَسَنَاتِكَ وَنِسْيَانُكَ لَسِيئَاتِكَ غِرَّةٌ. وَقُرِي بِضَمِّ الْغَيْنِ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ غَرَّةٌ غُرُورًا، وَجُوعَلِ الْغُرُورُ غَارًا، كَمَا قِيلَ: جَدَّ جِدُّهُ. أَوْ: أُرِيدَ زِينَةُ الدُّنْيَا لِأَنَّهَا غُرُورٌ. فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ سَيِّئًا﴾ وَارِدٌ عَلَى طَرِيقٍ مِنَ التَّوَكِيدِ لَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ مَا هُوَ مُعْطُوفٌ عَلَيْهِ. قُلْتَ: الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْأَسْمِيَّةَ أَكَّدَ مِنَ الْفِعْلِيَّةِ، وَقَدْ

قوله: (وقرئ بضم الغين) قال ابن جنِّي: وهي قراءة سماك بن حرب، والغرور: الاغترار، أي: لا يغترنكم اغتراركم وتمادي السلامة بكم<sup>(١)</sup>.

الراغب: يقال: غَرَزْتُ فَلَانًا: أَصَبْتُ غِرَّتَهُ وَنَلْتُ مِنْهُ مَا أُرِيدُهُ، فَالْغِرَّةُ: غَفْلَةٌ فِي الْيَقَظَةِ، وَالْغِرَارُ: غَفْلَةٌ مَعَ غَفْوَةٍ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الْغَرِّ، وَهُوَ الْأَثَرُ الظَّاهِرُ مِنَ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ غُرَّةُ الْفَرَسِ، وَغَرُّ الثَّوْبِ: أَثَرُ كَسْرِهِ، وَقِيلَ: اطْوَاهُ عَلَى غَرِّهِ<sup>(٢)</sup>، وَغَرَّهُ كَذَا غُرُورًا، كَأَنَّهَا طَوَاهُ عَلَى غَرِّهِ، وَالْغُرُورُ: كُلُّ مَا يَغُرُّ الْإِنْسَانَ مِنْ مَالٍ وَجَاهٍ وَشَهَوَاتٍ وَشَيْطَانٍ، وَقَدْ فَسَّرَ بِالشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ أَخْبَثُ الْغَارِينِ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (واردٌ على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه) قال صاحب «التقريب»: لكون الجملة اسميةً، ولفظ ﴿هُوَ﴾ و﴿مَوْلُودٌ﴾ والتصريح بلفظ ﴿سَيِّئًا﴾ فيه ولفظ ﴿جَارٍ﴾ مع أن قوله: هو يجزي لا يخرجها عن الاسمية، وأنَّ العُمومَ في ﴿مَوْلُودٌ﴾ بملاصقة النَّفْيِ<sup>(٤)</sup> وفي ﴿وَالِدٍ﴾ بسياق النَّفْيِ، وَأَنَّ الثَّانِي مَسْبُوقٌ بِـ«مَا» وَهُوَ عَدَمٌ إِغْنَاءُ الْوَالِدِ عَنِ وَلَدِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ مُكَرَّرًا، إِذْ رَبَّهَا يَفْهَمُ الْعَقْلُ مِنَ الْأَوَّلِ الْإِقْنَاتُ، وَيُقَيِّسُ عَلَيْهِ

(١) «المحتسب» (٢: ١٧٢).

(٢) قال ابن جنبي في «المحتسب» (٢: ١٧٢): وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ: دَفَعَ الْبَرَّازُ إِلَى رُؤْيَةٍ - يَعْنِي ابْنَ الْعَجَّاجِ - ثَوْبًا مَنشُورًا لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَرَدَّهُ وَقَالَ لَهُ: اطْوَاهُ عَلَى غَرِّهِ، أَي: أَعَدَّهُ إِلَى مَطْوَاهِ، وَقَالَ:

أَنْسُ غَرَاتِي مَا هَمَّ مَنْ بَرِيَّةٍ  
كَظَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامِ

انتهى.

(٣) «مفردات القرآن» ص ٦٠٣.

(٤) في النسخة «ف»: البغي. وهو تصحيف.



انضمَّ إلى ذلك قوله: ﴿هُوَ﴾ وقوله: ﴿مَوْلُودٌ﴾، والسَّبَبُ في مجيئه على هذا السَّنَنِ: أَنَّ  
الْحِطَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَعَلَيْهِمْ؛ .....

عكسه بجامع عدم إغناء الغير عن الغير، فتردُّ الثاني كأنه مفهومٌ مرَّتين، وانفرادُ الثاني بتأكيد  
أو بالسَّلَامَةِ عن مخالفتين للأصلِ أو عن ممتنع؛ لأنَّ لفظَ ﴿شَيْئًا﴾ إن لم يُضمَّر في الأوَّل لَزِمَ  
الأمرُ الأوَّل، وإن أُضمِّر بقريئة لزم الثاني؛ لأنَّ الإضمارَ خلافَ الأصلِ، وتأخير الدال عليه  
أيضًا خلافَ الأصل، وإن أُضمِّر بلا قريئة لَزِمَ الثالث.

وقلت: إذا لم يضممر كان أكد؛ لأنه حينئذٍ مِنْ بَابٍ: فلانٌ يعطي ويمنع؛ أي: لا يصدُرُ  
من الوالد حقيقةُ الإجزاء عن المولود، على أنَّ المعنى على الإضمار بقريئة الآتي وقوله تعالى:  
﴿يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨].

وقوله<sup>(١)</sup>: «لزم مخالفةُ الأصلِ»، فيقال: مخالفةُ الأصلِ وسلوكُ العُدولِ عن مقتضى  
الظاهرِ دأبُ المؤخرين من البلغاء، فإنَّهم إذا ظفروا بذلك لم يُعرجوا إلى ما سواه، ألا ترى  
إلى قول عروة:

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نَفْسَهُمْ      ومقتلُهُم عند الوغى كانَ أَعْدْرًا<sup>(٢)</sup>

أي: نفوسهم عند السَّلْم. وقول الآخر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا      عندكَ راضٍ والرأيُ مُخْتَلِفٌ<sup>(٣)</sup>

وكم ترى لهما نظائر وشواهد في التنزيل.

قوله: (وعليتهم) الأساس: وهو من عليَّة الناس، جمعُ عليّ.

(١) أي: قول صاحب «التقريب».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لعمر بن امرئ القيس الأنصاري، كما في «خزانة الأدب» (٤: ٢٧٥)، وعزاه سيبويه في «الكتاب»

(١: ٧٥) لقيس بن الخطيم، والأوَّل هو الأشبه بالصواب.

قُبِضَ آبَاؤُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَعَلَى الدِّينِ الْجَاهِلِيِّ، فَأُرِيدَ حَسْمُ أَطْمَاعِهِمْ وَأَطْمَاعِ النَّاسِ فِيهِمْ: أَنْ يَنْفَعُوا آبَاءَهُمْ فِي الآخِرَةِ، وَأَنْ يَشْفَعُوا لَهُمْ، وَأَنْ يُغْنُوا عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا؛ فَلِذَلِكَ جِيءَ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ الْآكِدِ. وَمَعْنَى التَّوَكُّيدِ فِي لَفْظِ الْمَوْلُودِ: أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ لَوْ شَفَعَ لِلْأَبِ الْأَدْنَى الَّذِي وُلِدَ مِنْهُ، لَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُ، فَضَلًّا أَنْ يَشْفَعَ لِمَنْ فَوْقَهُ مِنْ أَجْدَادِهِ؛ لِأَنَّ الْوَالِدَ يَقَعُ عَلَى الْوَالِدِ وَوَالِدُ الْوَالِدِ؛ بِخِلَافِ الْمَوْلُودِ فَإِنَّهُ لِمَنْ وُلِدَ مِنْكَ.

قوله: (قُبِضَ آبَاؤُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ...، فَأُرِيدَ حَسْمُ أَطْمَاعِهِمْ)، الانتصاف: هذا الجواب يَتَوَقَّفُ عَلَى أَنَّ الْخِطَابَ لِلْمَوْجُودِينَ حِينَئِذٍ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ عَامٌّ لَهُمْ وَلِكُلِّ مَنْ يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ اسْمُ النَّاسِ، وَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ: أَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ عَلَى الْأَبْنَاءِ بَرَّ الْأَبَاءِ، وَقَرَنَ النَّهْيَ عَنِ عَقُوقِهِمَا بِالشَّرْكِ، وَأَوْجَبَ عَلَى الْوَالِدِ كِفَايَةَ أَبِيهِ، فَقَطَعَ هَاهُنَا وَهَمَّ الْوَالِدِ عَنْ أَنْ يَنْفَعَهُ وَلَدُهُ فِي الآخِرَةِ كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا كَانَ جِزَاءُ الْوَالِدِ عَنِ الْوَالِدِ مِطْئَةَ الْوَقْعِ مَطْلُوبًا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقِيقًا بِتَأْكِيدِ النَّهْيِ (١).

وقال الإمام: الابنُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ جَازِيًا عَنِ الْوَالِدِ لِمَا لَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقُوقِ، وَالْوَالِدُ يَجْزِي لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّفَقَةِ، وَلَيْسَ الثَّانِي كَالْأَوَّلِ (٢).

قوله: (لِأَنَّ الْوَالِدَ يَقَعُ عَلَى الْوَالِدِ وَوَالِدِ الْوَالِدِ): قَالَ الْإِمَامُ الرَّافِعِيُّ فِي «الشَّرْحِ الْكَبِيرِ»: إِذَا قَالَ الْقَائِلُ: وَقَفْتُ هَذَا عَلَى أَوْلَادِي هَلْ يَدْخُلُ فِيهِ أَوْلَادُ الْأَوْلَادِ؟ فِيهِ وَجْهَانُ؛ أَحْسَنُهُمَا: لَا؛ لِأَنَّ الْوَالِدَ يَقَعُ حَقِيقَةً عَلَى وَلَدِ الصُّلْبِ.

أَلَا تَسْرَى إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْتَظِمُ أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ هَذَا وَلَدُهُ وَإِنَّمَا هُوَ وَلَدُ وَوَالِدِهِ. وَالثَّانِي: نَعَمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيهِمْ آدَمُ﴾ [الأعراف: ٢٦] (٣).

قال صاحب «المغرب»: يقال للصغير: مَوْلُودٌ، وَإِنْ كَانَ الْكَبِيرُ مَوْلُودًا أَيْضًا لِقُرْبِ

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٠٤).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١٤٣).

(٣) «الشرح الكبير» للرافعي (١١: ٥١).

[ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ أَلْعَيْنَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْآرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٣٤]

رُوي: أَنَّ رَجُلًا مِنْ مُحَارِبٍ وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَارِثَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ مَتَى قِيَامُهَا؟ وَإِنِّي قَدْ أَلْقَيْتُ حَيَاتِي فِي الْأَرْضِ وَقَدْ أَبْطَأْتُ عَنَّا السَّمَاءُ، فَمَتَى تُمَطَّرُ؟ وَأَخْبِرْنِي عَنِ امْرَأَتِي فَقَدْ اشْتَمَلْتُ مَا فِي بَطْنِهَا، أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ وَإِنِّي عَلِمْتُ مَا عَمِلْتُ أَمْسٍ، فَمَا أَعْمَلُ غَدًا؟ وَهَذَا مَوْلِدِي قَدْ عَرَفْتُهُ، فَأَيْنَ أَمُوتُ؟ فَنَزَلَتْ». وَعَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «مِفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ» وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَنْ ادَّعَى عِلْمَ هَذِهِ الْخَمْسَةِ فَقَدْ كَذَبَ، إِيَّاكُمْ وَالْكَهَانَةَ؛

عهده من الولادة، كما يقال: كَبْنٌ حَلِيبٌ، وَرُطْبٌ جَنِيٌّ: لِلطَّرِيٍّ مِنْهَا<sup>(١)</sup>.

قوله: (فقد اشتملت ما في بطنها)، الجوهري: وَالشَّمَلُ بِالْتَحْرِيكِ: مَصْدَرٌ قَوْلِكَ: شَمِلْتُ نَاقَتَنَا لِقَاحًا مِنْ فَخْلِ فُلَانٍ، تَشْمَلُ شَمَلًا: إِذَا لَقِحتُ.

الأساس: شَمِلَهُمُ الْخَيْرُ شُمُولًا، وَأَنَا مَشْمُولٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَيُرَوى: اشْتَمَلْتُ عَلَى مَا فِي بَطْنِهَا. الْأَسَاسُ: وَاشْتَمَلَ بِهِ الشَّمْلَةَ، وَالرَّحِمُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْوَالِدِ.

قوله: (إيَّاكم والكهانة)<sup>(٢)</sup>، ابن الأثير: الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ خَالَفه<sup>(٤)</sup>.

(١) «المغرب في ترتيب المعرب» (٢: ٣٧٠).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ مسندًا عن ابن عباس. لكن قد ذكر الإمام السيوطي من طريق الخطيب البغدادي عن ميمون بن مهران قال: قلت لابن عباس: أوصيني، قال: أوصيك بتقوى الله، وإيَّاك وعلم النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة. انتهى من «الدر المنثور» (٣: ٣٣٠).

(٣) «النهاية في غريب الحديث» (٤: ١٨٦).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٠٢).

ولقد روينا عن البخاريِّ ومسلم والترمذيِّ، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت له: من حدّثك أنّه يعلم ما في غد فقد كذّب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أيّانُ مُرْسَاها ﴿وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ في إبانه مؤذِنٌ بأن يُنزلَ عطفٌ على الظرفِ مع فاعله.

قال أبو البقاء: هذا يدل على قوّة شبه الظرفِ بالفعل؛ لأنه عطفٌ «يُنزل» على «عنده»<sup>(٢)</sup>.

قال صاحب «الكشف»: جاء بالظرف وما ارتفع به، ثم قال: ﴿وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾، فعطفَ الجملة على الجملة، ومثله: ﴿تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ [المؤمنون: ٢١]، فصدّرَ بالفعل والفاعل، ثم عطفَ بالظرفِ وما ارتفع به<sup>(٣)</sup>.

قال الحماسي:

نُقاسمهم أسيافنا شَرَّ قِسْمَةٍ      ففينا غواشيتها وفيهم صدورها<sup>(٤)</sup>

فصدّرَ بالفعل والفاعل، ثم أتى بالظرفِ وما ارتفع به.

ويجوز أن يكون التقدير: وأن يُنزلَ الغيث؛ أي: عنده عِلْمُ السَّاعَةِ وإنزالُ الغيثِ، فحذفَ «أن» كقوله: أحضِرُ الوغى. ثمّ كلامه. وكذلك قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ عطفٌ عليه.

وأما قوله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فمعطوفان على الجزئِ من حيث المعنى بأن يجعلَ المنفيّ مثبتًا، وأن يُقال: يَعْلَمُ ماذا تكسب كلُّ نفسٍ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧٠)، والترمذي (٣٠٦٨).

(٢) «التيبان في إعراب القرآن» (١٠٤٦: ٢).

(٣) «كشف المشكلات» للباقولي (١٠٦٠: ٢).

(٤) البيت لجعفر بن عُلبة الحارثي. انظر: «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (٤٠: ١).

غداً، وَيَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ بَأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَمِثْلَهُ جَائِزٌ فِي الْكَلَامِ إِذَا رُوِعِيَتْ نُكْتُهُ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَلُّ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا بِمَا كَفَرْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَتَشْكُرُوا بِهِمْ شَيْئًا وَبِأُولَئِكَ إِنَّا حَسَنَاتٌ﴾ [الأنعام: ١٥١] الآيات.

قال المصنّف: لَمَّا وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَوَامِرُ مَعَ النَّوَاهِي وَتَقَدَّمَ هُنَّ فِعْلُ التَّحْرِيمِ وَاشْتَرَكْنَ فِي الدُّخُولِ تَحْتَ حُكْمِهِ، عَلِمَ أَنَّ التَّحْرِيمَ رَاجِعٌ إِلَى أَضْدَادِهَا، وَهِيَ الْإِسَاءَةُ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، وَبِخُسِّ الْكَيْلِ، وَتَرْكِ الْعَدْلِ.

فَإِنْ قُلْتِ: كَيْفَ التَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَيْنَ تَفْسِيرِهَا عَنِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، عَلَى مَا رَوَيْنَا فِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ (١) الْآيَةَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَتَى يَبْجِيءُ الْمَطْرَ» (٢) وَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ فِي: «خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ»، فَإِنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَدْخَلَ كُلَّهُنَّ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عَلَى (٣) سَبِيلِ الْحَصْرِ، فَأَيْنَ أَدَاةُ الْحَصْرِ، وَإِذَا عَطَفَ «يُنزَّلُ» عَلَى الظَّرْفِ خَرَجَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ جَمَلَةِ الْعُلُومِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ؟

قلت - وبالله التوفيق -: أما دلالة التركيب على الحصر فقد مرَّ غيرَ مرَّةٍ عن المصنّف أنّ اسمَ الله الجامع إذا وقع مسندًا إليه ثم بينى عليه الخبر على إرادة تقوي الحكم أفاد تخصيصًا البتة. وهذا المقام مما يجب أن يُتَحَجَّجَ بِهِ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِهِ، وَإِنَّمَا خَوْلَفَ بَيْنَ ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ وَبَيْنَ ﴿وَيُنزِلُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ لِيَدُلَّ فِي الْأَوَّلِ عَلَى مَزِيدِ الْاِخْتِصَاصِ وَفِي الثَّانِي عَلَى الْاِسْتِمْرَارِ بِحَسَبِ تَجَدُّدِ الْمُتَعَلِّقَاتِ مَعَ الْاِخْتِصَاصِ.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٩٧).

(٣) اضطرب هذا الموضع في (ح) اضطرابًا ملحوظًا، فكان التعويل على (ط) و(ف).

فَإِنَّ الْكُفَّانَةَ تَدْعُو إِلَى الشَّرِكِ، وَالشَّرِكُ وَأَهْلُهُ فِي النَّارِ. وَعَنِ الْمَنْصُورِ أَنَّهُ أَهَمُّهُ مَعْرِفَةُ مُدَّةِ عُمُرِهِ، فَرَأَى فِي مَنْامِهِ كَأَنَّ خِيالًا أَخْرَجَ يَدَهُ مِنَ الْبَحْرِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ الْخَمْسِ، فَاسْتَفْتَى الْعُلَمَاءَ فِي ذَلِكَ، فَتَأَوَّلُوا بِهَا بِخَمْسِ سِنِينَ، وَبِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَأْوِيلُهَا أَنَّ مَفَاتِيحَ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مَا طَلَبْتَ مَعْرِفَتَهُ لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَيْهِ. ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أَيَّانَ مُرْسَاها ﴿وَيُنزَلُ الْغَيْثُ﴾ فِي إِيَّانِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ، وَفِي بَلَدٍ لَا يَتَجَاوَزُهُ بِهِ ﴿وَيَعَلِّمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَمَّا أَمْ نَاقِصٌ، وَكَذَلِكَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِرَّةٍ أَوْ

وَأَمَّا دَلَالَةُ ﴿وَيُنزَلُ الْغَيْثُ﴾ عَلَى عِلْمِ الْغَيْبِ، فَمِنْ حَيْثُ دَلَالَةُ الْمَقْدُورِ الْمُخْتَمِ الْمُتَيَقِّنِ عَلَى الْعِلْمِ الشَّامِلِ، هَذَا عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يُعْطَفَ «يُنزَلُ» عَلَى الظَّرْفِ، وَأَمَّا إِذَا عُطِفَ عَلَى ﴿السَّاعَةِ﴾ الْمُضَافِ إِلَيْهَا، فَيَكُونُ «يَعْلَمُ» وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ مَسْئُوقًا عَلَى الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ، يَعْنِي: عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِنْزَالُ الْغَيْثِ، وَعِنْدَهُ عِلْمٌ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَعِلْمٌ مَاذَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ غَدًا. هَذَا عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ «أَنَّ» كَمَا مَرَّ، فإِفَادَةُ الْحَصْرِ إِذْنٌ مِنْ تَقْدِيمِ الْخَبَرِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا تِلْكَ النَّكْتَةُ الَّتِي دَعَتْ إِلَى الْعُدُولِ عَنِ الْمُثَبِّتِ إِلَى الْمَنْفِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ؟﴾

قُلْتَ: هِيَ أَنَّ فِي نَفْيِ الدَّرَايَةِ الْمَخْصُوصَةِ وَتَكْرِيرِهَا وَاسْتِخْصَاصِهَا بِالذِّكْرِ دُونَ الْعِلْمِ لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الْحِيلَةِ وَالْخِدَاعِ، وَفِي تَكْرِيرِ النَّفْسِ وَتَنْكِيرِهَا وَإِقْفَاعِهَا فِي سِيَاقِ النَّفْيِ وَتَخْصِيسِ مَا هُوَ مِنْ خَوِيبَةِ كُلِّ نَفْسٍ الدَّلَالَةَ عَلَى أَنَّ النَّفْسَ إِنْ لَمْ تَعْرِفْ مَا يُلْصَقُ بِهَا وَيَخْتَصُّ بِهَا وَإِنْ أَعْمَلْتَ حِيلَتَهَا، وَلَا شَيْءَ أَحْصَسَ بِالْإِنْسَانِ مِنْ كَسْبِهِ<sup>(١)</sup> وَعَاقِبَتِهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَتِهَا كَانَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا عَدَاهُمَا أَبَعْدُ، أَعْنِي: مِنْ مَعْرِفَةِ وَقْتِ السَّاعَةِ، وَإِيَّانِ إِنْزَالِ الْغَيْثِ، وَمَعْرِفَةِ مَا فِي الْأَرْحَامِ.

قَوْلُهُ: (فِي إِيَّانِهِ) الْجَوْهَرِيُّ: إِيَّانُ الشَّيْءِ - بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيدِ -: وَقْتُهُ.

(١) فِي (ط): «نَفْسُهُ».

فاجرة ﴿مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر، ورُبِّمَا كَانَتْ عَازِمَةً عَلَى خَيْرٍ فَعَمِلَتْ شَرًّا. وَعَازِمَةٌ عَلَى شَرٍّ فَعَمِلَتْ خَيْرًا ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ﴾ أَيْنَ تَمُوتُ، وَرُبِّمَا أَقَامَتْ بِأَرْضٍ وَضَرِبَتْ أوتادَهَا وَقَالَتْ: لَا أَبْرَحُهَا وَأَقْبِرُ فِيهَا، فَتَرْمِي بِهَا مَرَامِي الْقَدْرِ حَتَّى تَمُوتَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهَا، وَلَا حَدَّثَتْهَا بِهِ ظَنُونُهَا. وَرُويَ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ مَرَّ عَلَى سُلَيْمَانَ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُلَسَائِهِ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: كَأَنَّهُ يُرِيدُنِي؟ وَسَأَلَ سُلَيْمَانَ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى الرِّيحِ، وَيُلْقِيَهُ بِبِلَادِ الْهِنْدِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ لِسُلَيْمَانَ: كَانَ دَوَامُ نَظْرِي إِلَيْهِ تَعَجُّبًا مِنْهُ؛ لِأَنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَهُ بِالْهِنْدِ وَهُوَ عِنْدَكَ. وَجَعَلَ الْعِلْمَ لِلَّهِ وَالذَّرَايَةَ لِلْعَبْدِ؛ لِمَا فِي الذَّرَايَةِ مِنْ مَعْنَى الْخَنْتَلِ وَالْحِيلَةِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا تَعْرِفُ وَإِنْ أَعْمَلْتَ حِيلَهَا مَا يَلْصِقُ بِهَا وَيَخْتَصُّ وَلَا يَنْخَطِّأُهَا، وَلَا شَيْءَ أَحْصَى بِالْإِنْسَانِ مِنْ كَسْبِهِ وَعَاقِبَتِهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، كَانَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا عَدَاهُمَا أَبَعَدَ. وَقُرئ: (بِأَيَّةِ أَرْضٍ). وَشَبَّهَ سَبْيُوِيَهُ تَأْنِيثَ (أَيُّ) بِتَأْنِيثِ «كُلُّ» فِي قَوْلِهِمْ: كَلَّتْهُنَّ.

قوله: (أو أقبر فيها) أي: إلى أن أقبر فيها، ويروى: «وأقبر فيها» بالواو.

قوله: (مرامي) جمع مرمأة، وهي السهم.

المغرب: المرمأة: سهم الهدف<sup>(١)</sup>.

قوله: (من معنى الخنل)، الجوهرِيُّ: خنلته وخنلته؛ أي: خادعه.

المطرزي: المداراة: الملاطفة والملاينة، وأصلها المخايلة، من: دَرَيْتُ الصَّيْدَ وَأَذْرَيْتُهُ: إِذَا خَنْتَلْتُهُ، وَمِنْهُ الذَّرَايَةُ، وَهِيَ الْعِلْمُ مَعَ تَكْلُفٍ وَحِيلَةٍ، وَهَذَا لَمْ يُجَيِّزُوا اسْمَ الذَّرَارِيِّ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (ولا يتخطاها)، الأساس: أخطأ المطر الأَرْضَ: لَمْ يُصِبْهَا، وَتَخَاطَطَهُ النَّبْلُ: تَجَاوَزَتْهُ.

قوله: (وشبه سبوييه تأنيث «أي» بتأنيث «كل» في قولهم: كَلَّتْهُنَّ)، لأن «أَيًّا» اسْمٌ

(١) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ٣٤٩).

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ لُقْمَانَ كَانَ لَهُ لِقْمَانٌ رَفِيقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأُعْطِيَ مِنْ الْحَسَنَاتِ عَشْرًا وَعَشْرًا بِعَدَدِ مَنْ عَمِلَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ».

مبهمٌ لازمةُ الإضافة، كالكل، فإذا جيء بالتاء فحَقُّها أن تنقطع عن الإضافة، لئلا يتصل من المضاف والمضاف إليه، كقول بعضهم: أَيْةٌ سَلَكُوا، فشبَّهت بقولهم: كُلتَهن، وجمعت بين الإضافة والتاء<sup>(١)</sup>.

تَمَّتِ السُّورَةُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

\* \* \*

(١) هذه الفقرة سقطت من (ح) و(ف).



## سورة السجدة

مكية، وهي ثلاثون آية، وقيل: تسع وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[﴿الذَّٰرِءُ﴾ \* تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ بَلْ هُوَ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١-٣﴾]

﴿الذَّٰرِءُ﴾ على أنها اسمُ السُّورَةِ مبتدأ خبره ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾، وإن جعلتها تعديداً  
للحُرُوفِ ارتفع ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ بأنه خبرٌ مُّبْتَدَأٌ محذوف: أو هو مُّبْتَدَأٌ خبره ﴿لَا  
رِيبَ فِيهِ﴾ والوَجْهُ أَنْ يَرْتَفِعَ بالابتداء، وخبره ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و﴿لَا رِيبَ فِيهِ﴾  
اعتراضٌ لا محلَّ له. والضَّمِيرُ في ﴿فِيهِ﴾ راجعٌ إلى مضمونِ الجُمْلَةِ، كأنه قيل: لا  
ريبَ في ذلك، أي في كونه مُنَزَّلًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَشْهَدُ لَوَجَاهَتِهِ قَوْلُهُ: ﴿أَمْرٌ

## سورة السجدة

مكية، وهي ثلاثون آية، وقيل: تسع وعشرون آية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (وَيَشْهَدُ لَوَجَاهَتِهِ)، الأساس: رجلٌ وجيهٌ بَيْنَ الرَّجَاهَةِ، وله جَاهٌ وَحُرْمَةٌ؛  
أي: يُؤَيِّدُ أَنَّ الرَّجَاهَةَ فِي الإِعْرَابِ هَذَا الأَخِيرِ تَعْقِيبُهُ بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ﴾، وبقوله:  
﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾.

(١) قوله: «وقيل: تسع وعشرون آية» سقط من (ط).

يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَا ﴿١﴾ لَأَنَّ قَوْلَهُمْ: هذا مُفْتَرَى، إنكارٌ لَأَنَّ يَكُونُ من رَبِّ الْعَالَمِينَ، وكذلك قوله: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وما فيه من تقريرِ أَنَّهُ من الله، وهذا أسلوبٌ صحيحٌ مُحْكَمٌ: أثبتَ أولاً أَن تَنْزِيلُهُ من رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ ذلك ما لا ريبَ فيه، ثمَّ أَضْرَبَ عن ذلك إلى قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَا﴾ لَأَنَّ ﴿أَمْ﴾ هي المُنْقَطِعَةُ الكائِنَةُ بمعنى (بل) والهمزة، إنكاراً لقولهم وتعجبياً منه لظهور أمره في عجزِ بُلْغَائِهِم عن مثل ثلاثِ آياتٍ منه، ثمَّ أَضْرَبَ عن الإنكارِ إلى إثباتِ أَنَّهُ الحقُّ من رَبِّكَ. ونظيره أن يُعَلَّلَ العالمُ في المسألةِ بعلةٍ صحيحةٍ جامعَةٍ، قد احتزَرَ فيها أنواعَ الاحتراز، كقولِ المُتَكَلِّمِينَ: النَّظَرُ أَوَّلُ الْأَفْعَالِ الواجِبَةِ على الإِطْلَاقِ التي لا يَعْرِى من وُجُوبِهَا مُكَلَّفٌ، ثمَّ يُعْتَرَضُ

قوله: (وهذا أسلوبٌ صحيحٌ مُحْكَمٌ)؛ لحصول التَّرْقِي في كونه ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾. أما الجملةُ الأولى: فبالتصريح وتوكيدها بالجملة المُعْتَرِضَةِ، وأما الثانيةُ: فلأنَّ الإنكارَ البليغَ والإضرابَ عن الأوَّلِ يدلُّ على أَنَّهُم قد أظهروا أمراً غريباً يجب أن يُقضى منه العجب، وهو أن أقلَّ سورةٍ منه إذا كان معجوزاً عنه؛ فكيف يُقال لمثله: إنه مُفْتَرَى، ولهذا قال: «تعجبياً منه لظهور أمره». وأما الثالثةُ فلتصريح ﴿بَلْ﴾ وتعريفِ ﴿الْحَقُّ﴾ الذي هو الخبرُ بلامِ الجنس، وتخصيصِ لفظِ ﴿الْحَقُّ﴾.

وأما التخصيصُ بعد التعميم؛ أعني: ﴿رَبِّكَ﴾ و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فللتنحُّلِ إلى إثباتِ نبوته ﷺ، والإيدانِ بأنَّ المنزَّلَ الكائن من جهة مالِكِ الْعَالَمِينَ ومدبِّرِ أمورِ المخلوقاتِ كُلِّهَا هو الثابتُ من جهة مَنْ هو مالِكُك ومُدبِّرُ أمرِك خاصةً، فدَلَّ التخصيصُ بعد التعميمِ على عِظَمِ شأنِهِ ﷺ، ثمَّ التصريحُ باسمِ الذاتِ والحضرةِ الجامعةِ، وإثباتِ الخالقِيَّةِ والمدبِّرِيَّةِ بعد الحُكْمِ بِنزَالِ هذا القرآنِ، دَلَّ على تعظيمِ شأنِ هذا المنزَّلِ والمنزَّلِ عليه، كأنه قيل: هو الحقُّ من رَبِّكَ الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، ثمَّ استوى على العرشِ، فهو من بابِ تَرْتِيبِ الحُكْمِ على الوَصفِ.

قوله: (النَّظَرُ أَوَّلُ الْأَفْعَالِ الواجِبَةِ) إلى آخره. قال نجمُ الدِّينِ الخوارزميُّ في كتاب

عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه، فبرده بتلخيص أنه احتراز من ذلك، ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته. فإن قلت: كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله، وقد أثبت ما هو أطم من الرب، وهو قولهم: ﴿أَفْتَرَنَّهُ﴾؟ قلت: معنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أن لا مدخل للرب في أنه تنزيل الله: لأن نافي الرب وميطه معه لا ينفك عنه؛ وهو كونه معجزاً للبشر، ومثله أبعده شيء من الرب.

«الصفوة»: النظر أول الواجبات؛ لأن سائر<sup>(١)</sup> الواجبات الشرعية فرع على معرفة الله بتوحيده وعدله، ومعرفة فرع على النظر، فكان النظر مقدماً على الكل.

فإن قيل: ردّ الوديعه، وقضاء الدين، وترك الظلم، وشكر نعم العباد: واجبة عند كمال العقل، فلم يكن النظر أول الواجبات؟

قلنا: نحن لا ندعي ذلك على الإطلاق، ولكننا نقول: النظر أول الأفعال الواجبة المقصودة التي لا ينفك عنها كل عاقل، وبهذه القيود اندفع جميع التوضيح لانتفائها.

وقلت: أما تنزيل الآية على كلام المصنف فهو أن يقال: أن أصل المسألة: الم ذلك الكتاب تنزيل من رب العالمين، والتعليل هو قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وما دل على الاعتراض قوله: ﴿أَمْرٍ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَّهُ﴾؛ لأن قولهم هذا إنكار لأن يكون من رب العالمين، وقد احتراز عن هذا الاعتراض في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ لأنه كلام جامع، ومعناه: أن هذا الكتاب لوضوح دلالاته وسطوع برهانه ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة.

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ ردّ للاعتراض، وإشارة إلى أن قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قد احتراز فيه من ذلك؛ لأنه متضمن معنى أنه غير مفترى، ثم عاد بقوله: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا﴾ إلى تقرير الكلام السابق.

قوله: (لأن نافي الرب وميطه معه لا ينفك عنه)، «مع» خبر «أن»، و«لا ينفك» إما خبر بعد خبر، وإما حال مؤكدة من المستتر في الخبر.

(١) في (ح) و(ف): «بيان».

وأما قولهم: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ فإما قول مُتَعَنِّتٍ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ لِظُهُورِ الْإِعْجَازِ لَهُ، أَوْ جَاهِلٍ يَقُولُهُ قَبْلَ النَّامِلِ وَالنَّظَرِ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَهُ. ﴿مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿مَا أَنْذَرْنَا آبَاؤَهُمْ﴾ [يس: ٦] وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا لَمْ يَأْتِيَهُمْ نَذِيرٌ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ. قُلْتُ: أَمَّا قِيَامُ الْحُجَّةِ بِالشَّرَائِعِ الَّتِي لَا يُدْرِكُ عِلْمُهَا إِلَّا بِالرُّسُلِ فَلَا، وَأَمَّا قِيَامُهَا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْجِيهِهِ وَحِكْمَتِهِ فَنَعَمْ؛ لِأَنَّ أَدْلَةَ الْعَقْلِ الْمُوصِلَةَ إِلَى ذَلِكَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ يَكُونَ عَلَى التَّرَجُّيِّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا كَانَ ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤] عَلَى التَّرَجُّيِّ مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَأَنْ يُسْتَعَارَ لَفْظُ التَّرَجُّيِّ لِلْإِرَادَةِ.

قوله: (أما قيام الحجّة بالشرائع) الجواب ليس بشيء؛ لأنّ الأنبياء لم تنزل مبعوثه والحجّة بهم لازمة، على أنّ المراد: ما آتاهم من نذير منهم.

قال الزّجاج: أما الإنذارُ بما تقدّم من رُسُلِ اللَّهِ فَعَلِيَ آبَائِهِمْ بِهِ الْحُجَّةُ، وَعَلَيْهِمْ أَيْضًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ كَفَرَ بِالرُّسُلِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ <sup>(١)</sup>: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فَعَلِيَ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أَي: رَسُولٍ مِنْهُمْ وَمِنْ قَوْمِهِمْ يُنذِرُهُمْ خَاصَّةً وَعَامَّةً كَافَةَ النَّاسِ <sup>(٢)</sup>.

قوله: (لأنّ أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم)، الانتصاف: مذهبنا أنّه لا تُدْرِكُ أَحْكَامُ التَّكْلِيفِ إِلَّا بِالشَّرْعِ، وَقَاعِدَةُ الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ قَدْ تَكَرَّرَ إِبْطَالُهَا، فَتَعْرَضُ عَمَّا يَقُولُهُ حَتَّى يَخْوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى الْعَرَبِ بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الرُّسُلِ كَأَيِّهِمْ إِسْمَاعِيلُ، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ يَعْنِي: فِي زَمَانِهِ ﷺ <sup>(٣)</sup>.

(١) زاد في (ف): «تعالى».

(٢) «معاني القرآن وإعراجه» (٤: ٢٠٤).

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٠٧).

[ ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِيُسَبِّحَهُ أَيُّهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ  
مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ]

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾؟ قلت: هو على

قوله: (معنى قوله: ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾) أي: يقتضي، دليل الخطاب  
أن الله شفيعٌ، وكيف يحسن أن يُسمى شفيعاً؛ يدل عليه قوله: «أي: ناصركم على سبيل  
المجاز».

أجاب أن معنى ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾: المجاوزة عن رضاه، يعني: «دون» هنا: بمعنى التَّجَاوُزِ  
من شيء إلى شيء، قال الشاعر:

يَانْفُسُ مَا لَكَ دُونَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (١)

أي: إذا تجاوزت (٢) وقاية الله ولم تنالها لم يبق غيرُه، ف﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ حال من المجرور،  
والعامل الجازم والمجرور؛ أي: ما استقر لكم مجاوزين الله شفيعٌ يشفع لكم. ويجوز أن يكون  
حالاً من ﴿ شَفِيعٍ ﴾ قُدِّمَتْ لكون ذي الحال نكرةً، و«دون» بمعنى: غير، والشَّفِيعُ بمعنى  
الناصر، فيكون عطفه على ﴿ وَلِيٍّ ﴾ تميمياً ومبالغةً؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى: ٤٣١].

والحاصل أن الشَّفِيعَ على الأول: غيرُ الله، وعلى الثاني: هو الله تعالى؛ على المجاز،  
وبيان الاتصال ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾  
﴿ يَدْبِرُ الْأَمْرَ ﴾، وخصوصاً يتولى أمورَ معاشِكُمْ ومعادِكُمْ، فإن تجاوزتم عنه إلى وليٍّ وشفيعٍ  
لم تجدوا أبداً، وهو المتوليُّ وهو الشفيعُ والناصرُ لا غير.

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت، وتتمته:

وما على حدثان الدهر من باق

انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢: ٦٩).

(٢) في (ط): «جاوزت».

معنيين، أحدهما: أنكم إذا جاؤزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً، أي: ناصرًا ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم. والثاني: أن الله وليكم الذي يتولى مصالحكم، وشفيعكم، أي: ناصركم على سبيل المجاز؛ لأن الشفيع ينصُر المشفوع له، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧] فإذا خذلكم لم يبق لكم وليٌ ولا نصير.

﴿يُدْبِرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ تُرْيعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [٥]

﴿الْأُمُورَ﴾ المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة يُنزله مُدْبِرًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ثم لا يُعْمَلُ به ولا يَصْعَدُ إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريدُه ويرتضيه إلا في مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ؛ لِقَلَّةِ عَمَالِ اللَّهِ وَالْحُلُوصِ مِنْ عِبَادِهِ، وَقِلَّةِ الْأَعْمَالِ الصَّاعِدَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا

قوله: (يُنزله مُدْبِرًا) يريد أن ﴿يُدْبِرُ﴾ مضمّن معنى: ينزل، حيثُ عدّي بـ«من» و«إلى»، وقول بقوله: ﴿تُرْيعُ إِلَيْهِ﴾، فلا بدّ من تقدير: يُنزل.

قوله: (إلا في مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ) يعني: يراد بألف سنة المدة المتطاولة لا التّعيين والتّوقيت.

قال القاضي: معنى ﴿تُرْيعُ إِلَيْهِ﴾: ثم يَصْعَدُ إليه، ويثبتُ في علمه موجوداً؛ أي: أعمالكم في بُرْهَةٍ مِنَ الزَّمَانِ مُتَطَاوِلَةٍ، يعني بذلك استطالة ما بين التّديبِ والوقوع<sup>(١)</sup>، وإليه أشار المصنّف: «ولا يَصْعَدُ ذلك المأمور به خالصاً... إلا في مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ لِقَلَّةِ عَمَالِ اللَّهِ وَالْحُلُوصِ<sup>(٢)</sup>». وَيَنْصُرُ هَذَا التَّأْوِيلَ الْفَاصِلَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾، فَإِنَّمَا كَالْفَاصِلَةَ السَّابِقَةَ؛ أَي: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

ولفظه ﴿ذَلِكَ﴾ في قوله: ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ شاهدةٌ بذلك، كأنه قيل: ذلك الخالق المدبّر الذي خلق الكائنات ودبّر أمور العالمين، وخصوصاً أمر أعمالكم، له العلم

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٥٥).

(٢) قوله: «الحلوص» ساقط من (ف).

يُوصَفُ بِالضُّعُودِ إِلَّا الْخَالِصُ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَى أَثَرِهِ: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]، أَوْ يُدَبَّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلِّهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ: لِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ وَهُوَ أَلْفُ سَنَةٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أَي: يَصِيرُ إِلَيْهِ، وَيَثْبُتُ عِنْدَهُ، وَيُكْتَبُ فِي صُحُفٍ مَلَائِكَتِهِ كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ هَذِهِ الْمُدَّةِ مَا يَرْتَفِعُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ، وَيَدْخُلُ تَحْتَ الْوُجُودِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْمُدَّةَ آخِرَهَا، ثُمَّ يُدَبَّرُ أَيْضًا لِيَوْمٍ آخَرَ، وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. ....

الشامل، وله العزّة والرحمة، وله التفضّل عليكم حيث أنشأكم - حيّا عالمًا، سميّعًا، بصيرًا، قادرًا، ذا دريّة - من أحسن الأشياء من طين ومن ماء مهين.

وقوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ كالتوطئة والتمهيد؛ لقوله (١): ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ وما اشتمل عليه من حُسن التقدير فيه، ثُمَّ قِيلَ: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ حيث لا يصعد ما أمرناكم به خالصًا كما نريده ونرتضيه إلا في مدّة متطاولة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، والأمر على هذا الوجه، يعني المأمور به.

والعروج بمعنى الضعود، مأخوذ من قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

قوله: (أَوْ يُدَبَّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا) عطف على قوله: ﴿الْأَمْرُ﴾ المأمور به من حيث المعنى، والأمر على هذا بمعنى الشان، والعروج بمعنى الإثبات والكتب.

قوله: (وَيَثْبُتُ)، أَي: يُثَبَّتُ، ﴿وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، أَي: مُثَبَّتُونَ فِي صَحِيفَةٍ عَمَلِهِ كَمَا ثَبَّتَ الْكِتَابَةَ فِي الرَّقِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قوله: (وَهَلُمَّ جَرًّا) مِنَ الْأَمْثَالِ.

قال في «المفصل»: معناه: تَعَالَوْا عَلَى هَيْئَتِكُمْ كَمَا يَسْهُلُ عَلَيْكُمْ، وَتَقُولُ: كَانَ ذَلِكَ عَامَ كَذَا، وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى الْيَوْمِ.

(١) فِي (ح): «كقوله».

وقيل: يُنزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض. ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل، وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة؛ لأن المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة، وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل؛ لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد، وقيل: يُدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة، ثم يعرج إليه

قوله: (وقيل: يُنزل الوحي) سمي الوحي أمراً؛ لأنه منه كقوله تعالى: ﴿يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]، وهو قول قتادة والسدي ومقاتل. والعروج: الصعود الحقيقي، فيكون التقدير: في يوم كان مقداره مسيرة السير فيه مسافة ألف سنة، ويقرب منه قوله تعالى: ﴿غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ [سبا: ١٢].

قوله: (وقيل: يُدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض)، قال صاحب «المطلع»: هذا قول ابن عباس رضي الله عنه.

وفي رواية عطاء: ينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه؛ أي: يرجع إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون، وهو يوم القيامة لأن يوماً من أيام الآخرة مثل ألف سنة من أيام الدنيا، ومعناه: ثم يصير الحكم فيما قضى وقدر إليه يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿وإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣].

فإن قلت: كيف التوفيق بين هذه الآية وبين قوله: ﴿تَمْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ \* فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا﴾ [المعارج: ٤، ٥]؟

قلت: أما على الوجه الأول فهو ما قال الإمام: ذلك إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر، وذلك لأن من نفذ أمره<sup>(١)</sup> غاية النفاذ وانقطع في يوم أو يومين لا يكون مثل من ينفذ أمره سنين متطاولة، يعني: يُدبر الأمر في زمان يوم منه ألف سنة، فكيف يكون شهر منه؟ وكيف تكون سنة منه؟ وكيف يكون دهر منه؟ وعلى هذا لا فرق بين الآيتين؛ لأن المراد استطالة نفاذ الأمر،

(١) قوله: «وذلك لأن من نفذ أمره» ساقط من (ح).



ذَلِكَ الْأَمْرُ كُلُّهُ؛ أَي يَصْبِرُ إِلَيْهِ لِيَحْكُمَ فِيهِ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عِبْلَةَ: (يُعْرَجُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.....

فسواءً يعبر بالالف أو بالخمسين [الفا لا يتفاوت]. نعم المبالغة في الخمسين أكثر<sup>(١)</sup>.

وأما على الوجه الأخير فإنَّ طُولَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَمْتَدُّ إِلَى خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَفِي هَذِهِ الْمُدَّةِ يَتَصَلُّ عُرُوجُ الْمَلَائِكَةِ وَتُزَوَّلُهَا لَشُؤُونِ أَنْفُسِهِمْ وَشُؤُونِ الْعِبَادِ، وَمِنْهَا أَلْفُ سَنَةٍ بِحَسَبِ تَقْدِيرِ الْعِبَادِ يَحْكُمُ فِيهَا سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا يَرْجَعُ مِنْ شُؤُونِ عِبَادِهِ مِمَّا نَقَعُ عَلَيْهِ الْمَحَاسِبَةُ، وَإِذْ لَيْسَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ كُلُّهَا الْحِسَابُ؛ لِأَنَّ فِيهَا الْوُقُوفُ مَتَحَرِّينَ، ثُمَّ تَقَعُ الشَّفَاعَةُ، ثُمَّ يَكُونُ الْجَوَازُ عَلَى الصُّرَاطِ، ثُمَّ يَكُونُ الْمَصِيرُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ.

ويمكن أن يُرَادَ بِهِ شِدَّةُ الْيَوْمِ وَهُوَ لِعَلَى الْكَافِرِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِ دُونَ ذَلِكَ بِحَسَبِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ. رَوَاهُ مُجِيبِي السُّنَّةِ فِي «الْمَعَالِمِ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَوْمًا كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَمَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخْفَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيُهَا فِي الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>. يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، فَإِنَّهُ تَصْبِيرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا كَانَ مِنَ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ مَعَهُ مِنْ اسْتِعْجَالِهِ الْعَذَابَ اسْتَهْزَاءً وَتَكْذِيبًا، يَعْنِي: هَذَا الْكَافِرُ يَسْتَعْجِلُ الْعَذَابَ، وَإِنَّ قُدَّامَهُ يَوْمٌ حَالُهُ فِي شِدَّتِهِ وَفِظَاعَتِهِ ذَلِكَ.

وَيُشْبِهُهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ. رَوَى مُجِيبِي السُّنَّةِ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلَ فَيْرُوزُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنِ الْآيَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ: أَيَّامٌ سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى لَا أُدْرِي مَا هِيَ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ<sup>(٤)</sup>.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١٥٠).

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٣٠٠).

(٣) «شرح السنة» (١٥: ١٢٩)، وأخرجه أحمد (١١٧٣٥)، وابن حبان (٧٣٣٤).

(٤) «معالم التنزيل» (٦: ٣٠١).

وَقُرِّئَ: ﴿تَعْدُونَ﴾ بالتاء والياء.

[ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٦-٩﴾]

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ حسنَه، لأنَّه ما مِن شيءٍ خَلَقَهُ إِلَّا وَهُوَ مُرْتَبٌّ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ وَأَوْجَبَتْهُ الْمَصْلَحَةُ؛ فَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ حَسَنَةٌ؛ وَإِنْ تَفَاوَتْ إِلَى حَسَنِ وَأَحْسَنِ، كَمَا قَالَ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وَقِيلَ: عَلِمَ كَيْفَ يَخْلُقُهُ؛ مِنْ قَوْلِهِ: قِيمَةُ الْمَرْءِ مَا يُحْسِنُ. وَحَقِيقَتُهُ. يُحْسِنُ مَعْرِفَتَهُ أَي: يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً حَسَنَةً بِتَحْقِيقِ وَإِتْقَانِ. وَقُرِّئَ: (خَلَقَهُ) عَلَى الْبَدَلِ، أَي: أَحْسَنَ فَقَدْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ. وَ﴿خَلَقَهُ﴾ عَلَى الْوَصْفِ،

قوله: (وَقُرِّئَ: ﴿تَعْدُونَ﴾ بالتاء والياء)، بالتاء الفوقانية: السبعة، وبالياء: شاذة<sup>(١)</sup>.

قوله: (من قوله) أي: من قول علي رضي الله عنه: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ. أَي: كُلُّ مَنْ زَادَ عِلْمُهُ زَادَ فِي صُدُورِ النَّاسِ قَدْرُهُ وَقِيمَتُهُ، وَكُلُّ مَنْ نَقَصَ عِلْمُهُ نَقَصَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ جَاهُهُ وَحِشْمَتُهُ.

قوله: (وَقُرِّئَ: ﴿خَلَقَهُ﴾) ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: بإسكان اللام، والباقيون: بفتحها<sup>(٢)</sup>.

قال أبو البقاء: بالسُّكُونِ بَدَلٌ مِنْ ﴿كُلِّ﴾، بَدَلٌ اشْتِمَالٌ؛ أَي: أَحْسَنَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا أَوَّلًا، وَ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ ثَانِيًا، وَ﴿أَحْسَنَ﴾ بِمَعْنَى عَرَّفَ؛ أَي: عَرَّفَ عِبَادَهُ كُلَّ شَيْءٍ. وَبِالْفَتْحِ فِعْلٌ مَاضٍ، وَهُوَ صِفَةٌ لـ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٨٨).

(٢) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها» (٢: ١٩١)، و«النشر في القراءات العشر» (٢):

(٣٨٧) و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٩٠).

(٣) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤٨).

أي: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَقَدْ أَحْسَنَهُ. سُمِّيَتِ الذُّرِّيَّةُ نَسَلًا؛ لِأَنَّهَا تَنْسِلُ مِنْهُ، أَي: تَنْفَصِلُ مِنْهُ وَتَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ وَنَحْوَهُ قَوْلُهُمْ لِلْوَالِدِ: سَلِيلٌ وَنَجْلٌ، وَ(سَوَاءُ) قَوْمَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾ [التين: ٤] وَدَلَّ بِإِضَافَةِ الرُّوحِ إِلَى ذَاتِهِ عَلَى أَنَّهُ خَلَقَ عَجِيبٌ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا هُوَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَسَأَلُونَاكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الْآيَةُ [الإسراء: ٨٥]، كَأَنَّهُ قَالَ: وَنَفَخَ فِيهِ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي اخْتَصَّ هُوَ بِهِ وَبِمَعْرِفَتِهِ.

[﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ \* قُلْ يَتُوفَّئِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ١٠-١١]

﴿وَقَالُوا﴾ قِيلَ: الْقَائِلُ أَبِي بِنُ خَلْفٍ، وَلِرِضَاهُمْ بِقَوْلِهِ أَسْنَدَ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا. وَقُرِئَ: ﴿آءِذَا﴾، وَ(إِنَّا) عَلَى الْاسْتِفْهَامِ وَتَرْكِهِ. (ضَلَلْنَا) صِرْنَا تَرَابًا، وَذَهَبْنَا مُخْتَلِطِينَ بِتُرَابِ

وَفِي «الْحُجَّةِ»: ﴿خَلَقَهُ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ كَقَوْلِهِ: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨]، وَ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٢٢]. قَالَ: هُوَ مَذْهَبُ سَيْبَوِيهِ، وَيَجُوزُ الْبَدَلُ<sup>(١)</sup>.

قَوْلِهِ: (لَأَنَّهَا تَنْسِلُ مِنْهُ) نَسَلَ الْوَيْرُ وَرَيْشُ الطَّائِرِ بِنَفْسِهِ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى.

قَوْلِهِ: (وَنَفَخَ فِيهِ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي اخْتَصَّ هُوَ بِهِ وَبِمَعْرِفَتِهِ)، هَذَا مَعْنَى الْإِضَافَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا مَا لَهُ فَخَامَةٌ فِي نَفْسِهِ، إِذْ كُلُّ شَيْءٍ مَمْلُوكُهُ وَمَخْتَصُّ بِهِ؛ كَقَوْلِكَ: بَيْتُ اللَّهِ، وَنَاقَةُ اللَّهِ.

قَالَ الْقَاضِي: أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيْفًا [لَهُ] وَإِشْعَارًا بِأَنَّهُ خَلَقَ عَجِيبٌ، وَأَنَّ لَهُ شَأْنًا وَلَهُ مَنَاسِبَةٌ مَا إِلَى الْحَضْرَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ؛ وَلَا جِلَّةَ قِيلَ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلِهِ: (وَقُرِئَ: ﴿آءِذَا﴾ وَ(إِنَّا) عَلَى الْاسْتِفْهَامِ وَتَرْكِهِ)، بَتَرْكِهِ: نَافِعٌ، وَالباقون: بِالْاسْتِفْهَامِ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة: ٥٦٨.

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٥٦).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» (١: ٤٢٢).

الأرض، لا تتميزُّ منه، كما يَصِلُ الماءُ في اللَّبَنِ، أو غِبْنَا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بِالذَّفَنِ فِيهَا؛ مِنْ قَوْلِهِ:

### وَأَب مُضِلُّوهُ بَعَيْنٍ جَلِيَّةٍ

وقرأ عليٌّ وابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (صَلَّلْنَا) بِكَسْرِ اللَّامِ، يُقَالُ: صَلَّى يَصِلُّ وَصَلَّ يَصِلُّ. وقرأ الحسنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صَلَّلْنَا، مِنْ صَلَّى اللَّحْمُ وَأَصَلَ: إِذَا أَتَتْ. وقيل: صرنا من جنس الصَّلَةِ وهي الأرض. فإن قلت: بَمِ انتصبَ الظرفُ في ﴿أَيُّ ذَا صَلَّلْنَا﴾؟ قلت: بما يَدُلُّ عليه ﴿أَيُّ نَأَى لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] وهو نُبْعَثُ، أو يُجَدَّدُ خَلَقْنَا. (لقاء ربهم): هُوَ الْوُصُولُ إِلَى الْعَاقِبَةِ، مِنْ تَلَقَّى مَلِكِ الْمَوْتِ وَمَا وَرَاءَهُ، فَلَمَّا

قوله: (وَأَب مُضِلُّوهُ بَعَيْنٍ جَلِيَّةٍ)، تمامه في «المطلع» للتأبغة يرثي النعمان بن المنذر:

وَعُوْدِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ<sup>(١)</sup>

جَلِيَّةٌ: قَرِيْرَةٌ، وَجَوْلَانٌ: مَوْضِعٌ؛ أَي: رَجَعَ الَّذِينَ غَيَّبُوهُ فِي الْأَرْضِ بِالذَّفَنِ بِعُيُونِ قَرِيْرَةٍ<sup>(٢)</sup> شِمَاتَةٍ، وَالْحَزَامَةُ وَالْعَطَاءُ تُرْكَأُ بِدَفْنِ الْمَيْتِ فِي الْجَوْلَانِ. وَيُرْوَى: «بَغِيْرَ حَلِيَّةٍ».

قوله: (الصَّلَةُ وهي الأرض)، النهاية: الصَّلْصَالُ: هُوَ الصَّالُ، الْمَاءُ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ؛ فَتَنْشَقُ، فَيَجْفَى، وَيَصِيرُ لَهُ صَوْتٌ.

قوله: (بما يَدُلُّ عليه)، وإنا قال: «بما يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿أَيُّ نَأَى لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾» إِلَى آخِرِهِ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَ «إِنَّ» لَا يَعْمَلُ فِيهَا قَبْلَهُ.

قوله: («لقاء ربهم»: هُوَ الْوُصُولُ إِلَى الْعَاقِبَةِ) وَهُوَ لِلْحَضَرِ عِنْدَ<sup>(٣)</sup> أَهْلِ السُّنَّةِ، يَكُونُ لِقَاءَ اللَّهِ: لِقَاءَ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ، وَيَكُونُ الرَّؤْيَى.

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (١١: ٣١٨)، و«لسان العرب» (١١: ٣٩٠)، و«تاج العروس» (٢٩: ٣٥٠)، وفيه: يرثي النعمان بن الحارث الغساني.

(٢) قوله: «قريرة» سقط من (ط).

(٣) في (ح) و(ف): «وعنده».

ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِالْإِنشَاءِ، أَضْرَبَ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ أْبْلَغُ فِي الْكُفْرِ؛ وَهُوَ أَتَمُّ كَافِرُونَ بِجَمِيعِ مَا يَكُونُ فِي الْعَاقِبَةِ، لَا بِالْإِنشَاءِ وَحْدَهُ، أَلَا تَرَى كَيْفَ خُوطِبُوا بِتَوَقُّي مَلِكِ الْمَوْتِ وَبِالرُّجُوعِ إِلَى رَبِّهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ، مَبْعُوثِينَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَهَذَا مَعْنَى لِقَاءِ اللَّهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا. وَالتَّوَقُّي: اسْتِيفَاءُ النَّفْسِ وَهِيَ الرُّوحُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] وَقَالَ: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وَهُوَ أَنْ تُقْبَضَ كُلُّهَا لَا يُتْرَكُ مِنْهَا شَيْءٌ؛ مِنْ قَوْلِكَ: تَوَقَّيْتُ حَقِّي مِنْ فُلَانٍ، وَاسْتَوْفَيْتُهُ؛ إِذَا أَخَذْتَهُ وَافِيًا كَامِلًا مِنْ غَيْرِ نُقْصَانٍ. وَالتَّفَعُّلُ وَالِاسْتِيفَاعُ: يَلْتَقِيَانِ فِي مَوَاضِعَ: مِنْهَا: تَقْصِيئُهُ وَاسْتَقْصِيئُهُ، وَتَعْجَلْتُهُ وَاسْتَعْجَلْتُهُ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حُوِيَتْ لِمَلِكِ الْمَوْتِ الْأَرْضُ، وَجُعِلَتْ لَهُ مِثْلُ الطَّسْتِ، يَتَنَاوَلُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ. وَعَنْ قَتَادَةَ: يَتَوَفَّاهُمْ وَمَعَهُ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَقِيلَ: مَلِكُ الْمَوْتِ يَدْعُو الْأَرْوَاحَ فَتُجْبِيهِ، ثُمَّ يَأْمُرُ أَعْوَانَهُ بِقَبْضِهَا.

[﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ \* وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ \* فَذُوقُوا بِمَا نَسِبْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيتُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٢-١٤]

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يجوز أن يكون خطاباً لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وفيه وجهان: أن يراد به التَّمَنِّي، كأنه قال: وَلَيْتَكَ تَرَى، كَقَوْلِهِ ﷺ لِلْمَغِيرَةِ: «لَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا» وَالتَّمَنِّي

قوله: (لِلْمَغِيرَةِ: «لَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا») الحديث من رواية الترمذي والنسائي عن المغيرة: أنه خطب امرأة، فقال النبي ﷺ: «انظر إليها إنه أحرى أن يؤدَمَ بينكما»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (١٠٨٧)، والنسائي (٣٢٣٥)، عن المغيرة بن شعبة. وأخرجه أيضاً ابن ماجه (١٨٦٥) وأحمد (١٨١٦٢) وابن حبان (٤٠٤٣).

لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كما كان التَّرجِي له في ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ لأنه تجرَّع منهم الغُصَصَ ومن عداوتهم وِضْرَارِهِمْ، فجعل الله له تَمَنِّي أن يراهم على تلك الصِّفَةِ الفِطِيعَةِ من الحياءِ والخِزْيِ والغَمِّ لِيَشْمَتَ بِهِمْ، وأن تكون (لو) الامْتِنَاعِيَّةُ قد حُذِفَ جَوَابُهَا، وهو: لرأيتَ أمرًا فظيْعًا. أو: لرأيتَ أسوأَ حالٍ تُرى. ويجوزُ: أن يُخاطَبَ به كُلُّ أَحَدٍ، كما تقول: فُلَانٌ لثِيمٌ، إن أكرمتَهُ أهانَكَ، وإن أحسنتَ إليه أساءَ إليك، فلا تُريدُ به مخاطبًا بعينه، فكأنك قلتَ: إن أكرِمَ وإن أحسِنَ إليه، ولو واذ: كِلَاهُمَا لِلْمُضِيِّ، وإنما جازَ ذلك؛ لأنَّ المُتَرَقِّبَ من الله بمنزلةِ الوجودِ المقطوعِ به في تحقُّقه، ولا يُقدَّرُ لَترى ما يتناولُهُ، كأنه قيل: ولو تكون منك الرُّؤْيُ، و﴿إِذ﴾ ظرفٌ له. يستغيثون بقولهم ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ فلا يُغاثون، يعني: أبصرنا صدقَ وعدك ووعدك وسمعنا منك تصديقَ رُسُلِكَ. أو: كُنَّا عُمِيًّا وَضُمًّا فأبصرنا وسمعنا ﴿فَارْتَجَعْنَا﴾ هي: الرَّجْعَةُ إلى الدنيا ﴿لَا يَبْنِيَنَّ كُلُّ نَفْسٍ هُدًى لَهَا﴾ على طريقِ الإلجاءِ والقَسْرِ، ولكنَّا بَيْنَا الأَمْرَ على الاختيارِ دُونَ الاضطرارِ، فاستحبُّوا العمى على الهدى، فحَقَّتْ كلمةُ العذابِ على أهلِ

النهاية: أي تكون بينكما المحبة والاتفاق يقال: أَدَمَ اللهُ بينهما يَأْدِمُ أَدَمًا بالسُّكُونِ؛ أي: أَلْفَ ووفَّقَ، وكذلك آدم يُؤدِمُ بالمدِّ فَعَلَ وَأفَعَلَ، وليس في الحديث «لو»، وكلمة «لو» للتقدير والتَّمَنِّي، والتقديرُ: يلتقيان؛ لأنَّ المُتَمَنِّي لا يخلو من تقديرٍ، ويفرض بها غير الواقع واقعا كما يُطلب بـ«ليت» ما لا يُمكن حصوله، ولمناسبةِ بينها جعلت «لو» للتَّمَنِّي.

قوله: (أو كُنَّا عُمِيًّا وَضُمًّا) يعني: لا يُقدَّرُ لـ ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ مفعولٌ، ليكون بمنزلة اللزوم.

قوله: (ولكنَّا بَيْنَا الأَمْرَ على الاختيارِ) ينادي على أن هذا التأويل بمجرد الرأي لاستدراك الله بقوله: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ وما أدري كيف وضع مكان هذا الاستدراك استدراكه.

العمى دُونَ البُصْرَاءِ. ألا ترى إلى ما عقبه به من قوله: ﴿فَذُوقُوا يَمَا نَسِيتُمْ﴾ فجعل

قوله: (الأ ترى إلى<sup>(١)</sup> ما عقبه به من قوله: ﴿فَذُوقُوا يَمَا نَسِيتُمْ﴾) يعني: دلّ نسبة النسيان إليهم، وجعله سبباً للإذافة على أن المشيئة المطلقة مقيدة بقيد الإلجاء والقسر، وأن العلم الأزلي تابع لاختيارهم.

انظر إلى هذا التعوُّج عن الجادة المستقيمة حيث أوقع قوله: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ المعبر عن العلم الأزلي المُستتبع لجميع الكائنات على وَفقه مسبباً عن استحبابهم العمى على الهدى، وجعل الاستحباب مسبباً عن اختيارهم المعدوم.

والحق ما قاله الإمام: أن قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ الآية، جواب عن قولهم: ﴿فَارْجِعْنَا لِنَعْمَلَ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾؛ أي: هذا الذي جرى علينا ما جرى إلا بسبب ترك العمل، أما الإيمان فإنا موقنون بما أنكرنا ثم، فارجعنا حتى نتلافى العمل، فأجيبوا بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ أي: آنا لو أردنا الإيمان لهديناكم في الدنيا ولما لم نهدكم تبيين آنا ما أردنا إيمانكم فلا تُردُّكم، فذوقوا العذاب المقدّر عليكم بسبب كسبكم، فلا ينفعكم الآن شيء. عن بعضهم: لو علمناها أهلاً للهدى لهديناها<sup>(٢)</sup>.

قال محيي السنة: المراد بقوله: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ قوله لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup> [ص: ٨٥].

وقلت: دلّ على هذا الاستبداد صيغة التعظيم في ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ وعلى أن هذا جواب عن قول الكفرة، ترتب قوله: ﴿فَذُوقُوا﴾ عليه، أي: لما أوجبنا القول بآنا نملاً جهنم من الجنة والناس أجمعين<sup>(٤)</sup>، وأنتم من أولئك، فذوقوا.

وأما معنى قوله: ﴿يَمَا نَسِيتُمْ﴾ فما ذكره القاضي هذا النص تصريحاً بعدم إيمانهم

(١) قوله: «إلى» ساقطة من (ف).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١٥٥).

(٣) «معالم التنزيل» (٦: ٣٠٣).

(٤) قوله: «أجمعين» ساقط من (ف).

ذُوقَ العذابِ نتيجةَ فعلِهِم: من نسيانِ العاقبة، وقلَّةِ الفِكرِ فيها، وتركِ الاستعدادِ لها. والمرادُ بالنسيان: خلافُ التَّذكُّرِ، يعني: أنَّ الانهكَ في الشَّهواتِ أذهلكم وأهلكم عن تذكُّرِ العاقبة، وسلَّطَ عليكم نسيانها، ثمَّ قال: ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ على المُقابِلة، أي: جازيناكم جزاءَ نسيانِكُمْ. وقيل: هو بمعنى التَّركِ، أي: تركتُم الفِكرَ في العاقبة، فتركناكم من الرَّحمة، وفي استئنافِ قولِهِ: ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ وبناءِ الفعلِ على (إن) واسمِها تشديدٌ في الانتقامِ منهم. والمعنى: فذوقوا هذا أي: ما أنتم فيه من نكسِ الرُّؤوسِ والخِزْيِ والغَمِّ؛ بسببِ نسيانِ اللُّقاءِ، وذوقوا العذابَ المُخلَّدَ في جهنَّمَ؛

لعدمِ المشيئةِ المسبِّبِ عن سببِ الحُكْمِ بأنَّهم من أهلِ النارِ، ولا يدفعُهُ جَعْلُ ذُوقِ العذابِ مسبَّبًا عن نسيانِهِم العاقبةَ وعدمِ تَفَكُّرِهِم، كأنه من الوسائطِ والأسبابِ المُقتضيينِ له<sup>(١)</sup>.

قوله: (تشديدٌ في الانتقام) مبتدأ، والخبرُ: «في استئناف»، كأنه لَمَّا قيل لهم: ذوقوا عذابَ الخِزْيِ والغَمِّ بسببِ تركِ الاستعدادِ ليومِ التَّنَادِ، قالوا: فما حُكْمنا بعدَ هذا الخِزْيِ هل يَرَحِّمُنَا<sup>(٢)</sup>، ويكشفُ عنَّا هذا الغَمِّ والخِزْيِ؟ فقول لهم: ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي: نخزيكم جزاءَ نسيانِكُمْ بالحرمانِ من الرَّحمةِ وبإذاقةِ ما هو أشدُّ من الخِزْيِ، وهو العذابُ السَّرمَدُ، وأخرج الكلامَ إلى الماضي المحقِّقِ، وصُدِّرتِ الجملةُ بـ«إن»، وعطفَ الطَّلَبِ على الخبرِ تشديدًا للانتقامِ منهم.

قوله: (والمعنى: فذوقوا هذا، أي: ما أنتم فيه من نكسِ الرُّؤوسِ والخِزْيِ) إشارةٌ إلى أنَّ مفعول ﴿فَذُوقُوا﴾: «هذا»، وكذا قدَّرَ أبو البقاء أيضًا<sup>(٣)</sup>، والمشارُ إليه معنى قولِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، ويستلزمُهُم<sup>(٤)</sup> الخِزْيِ والغَمِّ.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٣٥٧).

(٢) في (ط): «هل يرحم علينا».

(٣) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤٩).

(٤) في (ط): «ويستلزمه».



بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة.

[﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ \* نَتَجَّافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٥-١٧)]

﴿ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا ﴾ أي: وُعظُوا؛ سَجَدُوا تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَخُشُوعًا، وَشُكْرًا عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ وَنَزَّهُوا اللَّهَ مِنْ نِسْبَةِ الْقَبَائِحِ إِلَيْهِ، وَأَثْنُوا

وَقَدَّرَ الْوَاحِدِيُّ صِفَةً لـ ﴿ يَوْمِكُمْ ﴾ وَتَكَرَّرَ ﴿ فَذُوقُوا ﴾ لِتَعْلُقَ مَعْنَى زَائِدٍ، وَالآيَاتُ مُنْتَظِمَةٌ جَامِعَةٌ لِلْعَذَابِينَ الرُّوحَانِيِّ وَالْجَسْمَانِيِّ<sup>(١)</sup>.

وفي قوله: (بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر) إدخال أهل القبلة في عموم قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾، وَيُرَدُّهُ سِيَاقُ الْآيَةِ: ﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾، وَسِيَاقُهُ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ الْآيَةَ، وَمَا سَيَجِيءُ مِنْ بَيَانِ النَّظْمِ الْفَائِقِ.

وقول المصنّف: «والتَّمَنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ تَجَرَّعَ مِنْهُمْ الْغَصَصَ وَمِنْ عَدَاوَتِهِمْ وَضَرَارِهِمْ»؛ لِأَنَّ مَنْ عَادَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَكُونُ إِلَّا مُعَانِدًا.

الانتصاف: مذهب أهل السنة أن الموجب للخلود الكفر خاصة، والمسألة سمعية، وأدلتها من الكتاب قطعية<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ونزهاها الله من نسبة القبائح) تعريض بأهل السنة، وفسرهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ بِمَا يَلْزَمُ مِنْهُ نِسْبَةُ الْقَبِيحِ إِلَيْهِ، يُقَالُ: وَهُوَ خَلَقَ الْكُفْرَ فِي الْكَافِرِ ثُمَّ أَذَاقَهُ الْعَذَابَ بِسَبَبِهِ، بَلِ الْآيَةُ تَعْرِضُ بِهِمْ، بَلِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ بِالْآيَاتِ مَنْ إِذَا جَاءَهُ نَصٌّ مِنَ النُّصُوصِ أَدْعَنَ لَهُ وَخَضَعَ لَهَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَعَزَلَ

(١) «تفسير الوسيط» (٣: ٤٥٢).

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥١١).

عليه حامدين له ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ كما يفعل من يُصِرُّ ﴿مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [لقمان: ٧]، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨]. ﴿نَتَجَافَىٰ﴾ ترتفعُ

العقل عن أن يحكم في الأمور الدينية بالحسن والقبح، ويدلُّ على الخضوع تميم الآية بقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

ثم إن الآية مقابلة لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَا فِي الْوَعْدِ الْأَمْرَ \* نَزِيلَ الْكِتَابِ لَأَن نَّبْهتَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَا بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يدلُّ عليه قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾.

قوله: ﴿نَتَجَافَىٰ﴾: ترتفع يتجافى جنبه عن كذا، يجوز أن يكون ﴿نَتَجَافَىٰ﴾ مُسْتَأْنَفًا؛ فلا محلَّ له من الإعراب، ويجوز أن يكون حالاً من المُضْمَرِ في ﴿خَرُّوْا﴾ وكذلك ﴿يَدْعُونَ﴾ في موضع الحال، وكذلك ﴿سُجَّدًا﴾، وكذلك ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وكذلك قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ كلها أحوال من المُضْمَرِ الذي في الحال قبله.

الراغب: أصل الجنب الجارحة، ثم يُستعار للناحية التي تليها كعادتهم في استعارة سائر الجوارح، لذلك نحو اليمين والشمال؛ كقول الشاعر:

من عن يميني مرّة وأمامي

وقيل: جنب الحائط وجانبه، ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ أي: القريب. وقوله: ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]؛ أي: في أمره وحده الذي حده<sup>(١)</sup> لنا، وسار جنبه وجنبيه وجنابته وجنابتيه، وجنبته أصبت جنبه: نحو: كبدته وفأدته، وجنب: شكى جنبه، وجنب فلان: أبعده عن الخير، وكذلك يقال في الدعاء في الخير، وسميت الجنابة بذلك؛ لكونها سبباً لتجنب الصلاة<sup>(٢)</sup>.

(١) في (ح) و(ف): «حد».

(٢) «المفردات في غريب القرآن»: ٢٠٥ والشطر المذكور لقطري بن الفجاءة. انظر: «الأمالي» للقالبي (٢):

وتتنحى ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ عن الفُرُشِ وَمَوَاضِعِ النَّوْمِ، داعِينَ رَبَّهُمْ عَابِدِينَ لَهُ؛ لِأَجْلِ خَوْفِهِمْ مِنْ سَخَطِهِ وَطَمَعِهِمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَهُمْ الْمُتَهَجِّدُونَ. وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِهَا: «قِيَامُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّيْلِ»، وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ التَّهَجُّدُ. وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاءَ مُنَادٍ يُنَادِي بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ: سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ الْيَوْمَ مَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ. ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُنَادِي: لِيُقِمِ الَّذِينَ كَانَتْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ؛ فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُنَادِي: لِيُقِمِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، فَيَسْرَحُونَ جَمِيعًا إِلَى الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَاسَبُ سَائِرُ النَّاسِ». وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ أَنَسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُصَلُّونَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَتَزَلَّتْ فِيهِمْ. وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ صَلَاةَ الْعَتَمَةِ لَا يَنَامُونَ عَنْهَا. ﴿مَّا أَخْفَى لَهُمْ﴾ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، (مَا أَخْفَى لَهُمْ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ،

قوله: (فَيَسْرَحُونَ جَمِيعًا إِلَى الْجَنَّةِ)، الْأَسَاسُ: سَرَحَ فِي الْمَرْعَى سَرَحًا؛ أَي: أَرْسَلَهُ، وَسَرَحَ بِنَفْسِهِ سُرُوحًا، وَسَرَحَ السَّيْلُ، وَسَيْلٌ سَارِحٌ: يَجْرِي جَزْيًا سَهْلًا. لَعَلَّ النَّظَرَ فِيهِ إِلَى مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَيْقَ الَّذِينَ أَتَقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزُّمَرُ: ٧٣].

قوله: (يُصَلُّونَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ) رَوَيْنَا عَنْ التِّرْمِذِيِّ، عَنْ أَنَسِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾: نَزَلَتْ فِي أَنْتِظَارِ الصَّلَاةِ الَّتِي تُدْعَى الْعَتَمَةَ<sup>(١)</sup>. وَفِي رَوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: كَانُوا يَتَنَفَّلُونَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ<sup>(٢)</sup>.

وكان الحسن يقول: قِيَامُ اللَّيْلِ.

قوله: ﴿مَّا أَخْفَى لَهُمْ﴾ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ (قَرَأَ حِزْمَةُ): ﴿مَّا أَخْفَى لَهُمْ﴾ بِإِسْكَانِ الْبَاءِ، وَالْبَاقُونَ: بِفَتْحِهَا<sup>(٣)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣١٩٦).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٣٢٣).

(٣) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها» (٢: ١٩١)، و«النشر في القراءات العشر» =

و(ما أخفي لهم)، و(ما نخفي لهم)، و(ما أخفيت لهم)؛ الثلاثة للمتكلم، وهو الله سبحانه. و(ما): بمعنى: الذي، أو بمعنى: أي. وقُرئ: ﴿قُرْءَ أَعْيُنٍ﴾ و﴿قُرَاتِ أَعْيُنٍ﴾. والمعنى: لا تعلمُ النفوسُ كلَّهنَّ ولا نفسٌ واحدةٌ منهنَّ؛ لا ملكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ أي نوع عظيم من الثوابِ ادَّخَرَ اللهُ لأوليئِكَ وأخفاهُ من جميعِ خلائقِهِ، لا يعلمُهُ إلا هو؛ ممَّا تَقَرَّرَ بِهِ عيوئُهُم، ولا مَزِيدَ على هذه العِدَّةِ .....

قال الزَّجَّاجُ: بالإسكان معناه: ما أخفي أنا لهم؛ إخبارًا عن الله تعالى، وبالفتح على تأويل الفعل الماضي، ويكون اسمُ ما لم يسم فاعله ناب عنه ما في «أخفي» من ذكر (١) يعودُ إلى «ما».

قال أبو البقاء: ﴿مَّا﴾ استفهاميةٌ، وموضعها رفعٌ بالابتداء، و﴿أَخْفَى لَهُمْ﴾ خبره على قراءة مَنْ فَتَحَ الياء، وعلى قراءة من سكنها وجعل «أخفي» مضارعًا تكون «ما» في موضع نصب بـ«أخفي»، ويجوز أن تكون بمعنى «الذي» منصوبة بـ«تعلم» (٢).

قوله: (و«من (٣) قُرَاتِ أَعْيُنٍ»)، قال ابن جني: هي قراءة النبي ﷺ وأبي هريرة وأبي الدرداء وابن مسعود، والقُرَّة: مصدرٌ، وقياسه أن لا يُجمع؛ لأنَّ المصدرَ اسمُ جنسٍ، والأجناسُ أبعدُ شيءٍ عن الجمعِية، لكن جُعِلَت القُرَّةُ هاهنا نوعًا فجاز جمعها، كما نقول: نحن في أشغالٍ وبيننا حروبٌ. وحَسَّنَ الجمعَ أيضًا إضافته إلى لفظ الجماعة - أعني ﴿أَعْيُنٍ﴾ - فقولنا: أشغالُ القومِ أشبه من أشغالِ زيدٍ، ولا يُحتقر في هذه اللغة الشَّريفة تجانسُ الألفاظِ (٤).

قوله: (ممَّا تَقَرَّرَ بِهِ عيوئُهُم) بيانٌ أي نوع عظيم من الثوابِ هذا في مقابلة قوله: ﴿وَيَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾ [الزَّمر: ٤٨] وقوله: ﴿وَيَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزَّمر: ٤٧].

= (٢: ٣٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٠٣).

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٠٧).

(٢) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٤٩).

(٣) كذا في الأصول الخطية، ولفظة «من» ليست في «الكشاف».

(٤) «المحتسب» (٢: ١٧٣)، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٠٣).

ولا مَطْمَحَ وراءها، ثم قال: ﴿جَزَاءٌ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فحَسَمَ أَطْمَاعَ الْمُتَمَنِّينَ، وعن النَّبِيِّ ﷺ: «يقولُ اللهُ تعالى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ

قوله: (ولا مَطْمَحَ وراءها)، الأساس: طَمَحْتُ بَبَصْرِي إِلَيْهِ، ونساءً طَوَامِحُ إِلَى الرَّجَالِ، وَطَمَحَ الْمُتَكَبِّرُ بِعَيْنِهِ: شَخَّصَ بِهَا.

قوله: (فَحَسَمَ أَطْمَاعَ الْمُتَمَنِّينَ)، الانتصاف: يُشِيرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَاصِي مَوْعُودٌ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا، وَفَاءً بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا بِعَمَلِهِ، أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وأهل السُّنَّةِ - بناءً على قوله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ<sup>(٢)</sup> مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ». قيل: ولا أنت؟ قال: «ولا أنا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ»<sup>(٣)</sup> - يحملون الآية على أن المراد منها قسمة المنازل بينهم في الجنة، فهي على حَسَبِ الْأَعْمَالِ، وليس بقوي، فإنَّ المذكورَ في الآية مجرَّدُ الدُّخُولِ، والأظهرُ أن تُحْمَلَ على أَنَّ اللَّهَ لَمَّا وَعَدَ الْمُؤْمِنَ الْجَنَّةَ - وَوَعَدَهُ الْحَقُّ - صَارَتْ الْأَعْمَالُ بِالْوَعْدِ كَالْأَسْبَابِ يَعْبَرُ بِهَا عَنْهَا تَأْكِيدًا لصدق الوعد في النفوس وتصوره بصورة المستحقِّ بالعمل.

وقلت: نحن وإن قلنا: إنَّ الكُلَّ بقضاء الله وَقَدْرِهِ، ولكن نُثِبْتُ لِلْعَبْدِ كَسْبًا يُثَابُ بِهِ وَيُعَاقَبُ، وَفَائِدَةٌ ذَكَرَ الْجَزَاءَ وَجَعَلَهُ مَسَبَّبًا عَنِ الْأَعْمَالِ التَّرغِيبُ فِيهَا.

قوله: (يقول اللهُ تعالى: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ») الحديث، رواه البخاريُّ ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة، والرُّوَايَةُ: «أَطْلَعْتُكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

النهاية: بَلَّةُ زَيْدٍ، أَي: تَرَكَ زَيْدٌ، وقوله: «مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ»، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبَ الْمَحَلِّ وَمَجْرُورَهُ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ، وَالْمَعْنَى: دَخَّ مَا أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَعَرَفْتُمُوهُ مِنْ لَدَائِمِهَا.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥١٢).

(٢) قوله: «أحد» ساقط من (ج).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦)، عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٨٠)، ومسلم (٢٨٢٤).

سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشِيرٍ، بَلَّهَ مَا أَطْلَعَتْهُمْ عَلَيْهِ. اقْرَأُوا وَإِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرْوِ أَعْيُنٍ﴾، وعن الحسنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَخْفَى الْقَوْمُ أَعْمَالًا فِي الدُّنْيَا، فَأَخْفَى اللهُ لَهُمْ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ \* أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا

قوله: (وعن الحسن: أخفى القوم أعمالاً في الدنيا، فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت)<sup>(١)</sup>، هذا يؤذن بأن الفاء في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ رابطةٌ للإحقة بالسابقة، مرتبة لها عليها ترتب الفاء في قوله تعالى: ﴿فَذَوْقُوا بِمَا كَانْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وكان الأصل: تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فلا يعلمون ما أخفى لهم، فيجزئهم الله الجزاء الأوفى؛ بشهادة قوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فوضع النفس موضع الضمير ونكرها تنكير تفخيم، لو وصفت بكل وصف ما بلغ هذا المبلغ، ثم روعيت المناسبة في قوله: ﴿مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾ حيث أتهم الجزاء، ولم يعين الفاعل تعظيماً له. وفيه أن ذلك الإنفاق غير الواجب، وأن هذه الأعمال هي أبواب الخير، وبها تُنال الزُلْفَى عند الله والدرجاتُ العالية.

ويعضده ما روينا عن الترمذي، عن معاذ قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويُباعدني من النار. قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ» ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «جامع البيان» (١٨: ٦٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ \*  
وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٨-٢١﴾

﴿كَانَ مُؤْمِنًا﴾ و﴿كَانَ فَاسِقًا﴾ محمولان على لفظٍ من و﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ محمولٌ على المعنى، بدليل قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ و﴿أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ [محمد: ١٦]. و﴿جَنَّتُ الْمَأْوَى﴾ نوعٌ من الجنان؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةَ أُخْرَى \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى \* عِنْدَ مَا جَنَّتُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٣-١٥]، سُمِّيَتْ بذلك لما رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ. وقيل: هي عن يمين العرش. وقُرئ: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ على التوحيد ﴿نَزْلًا﴾ عطاءٌ بأعمالهم. والنزُّلُ: عطاءُ النَّازل، ثُمَّ صَارَ عَامًّا ﴿فَمَا وَهُمْ أَلْتَارُ﴾ أي: ملجؤهم ومنزلهم. ويجوز أن يُراد: فجنةٌ ماوَاهم النار، أي: النار لهم،

قوله: (فجنةٌ ماوَاهم النار)، قال صاحب «الفرائد»: العُدُولُ عن الحقيقة إلى غيرها دون الضرورة لا يجوز، وأي ضرورة في تقدير المضاف.

والجواب أن المأوى: هو المكان الذي يقصده الرجل للسكون والاستراحة أو الانجاء. الأساس: اللهم آويني إلى ظلِّ كرمك وعفوك يا رب. وتقول: أنا أهوي إلى معاقلك هويًا وآوي إلى ظلالك آويًا. وقال ابن عباسٍ للأنصار: بالإيواء والنصر، إلا جليستُم. فاستعماله في النار من التهكم، ولهذا استشهد بقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧].

ويجوز أن يكون من باب المُشاكلَةِ؛ لأنه لما ذُكر في أحد الفصلين ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ ذُكر في الآخر ﴿فَمَا وَهُمْ أَلْتَارُ﴾.

وقال ابنُ الحاجب في «الأمالي»: فإن قيل: لم أعيد ذكرُ النارِ مظهرًا ولم يستغنِ بالضمير لتقدم الذكر، الجوابُ من وجهين:

أحدهما: أن سياق الآيةٍ للتهديد والتخويفِ وتعظيم الأمر، وفي ظاهر ذُكر النارِ من ذلك ما ليس في الضمير.

مكانَ جَنَّةِ المَأْوَى للمُؤْمِنِينَ؛ كقولِهِ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، التوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤]. ﴿الْعَذَابِ الْأَذَنِّي﴾ عذابِ الدُّنْيَا مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَمَا يُحْنُوا بِهِ مِنَ السَّنَةِ سَبْعَ سِنِينَ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَذَابُ الْقَبْرِ. وَ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عَذَابِ الآخِرَةِ، أَي: نَذِيقُهُمْ عَذَابَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الآخِرَةِ

والثاني: أَنَّ الجملةَ الواقعةَ بعدَ القولِ حكايةٌ لما يُقال لهم يومَ القيامةِ عند إرادتهم الخروجَ مِنَ النَّارِ فلا يُناسب ذلك وَضْعُ الضَّمِيرِ، إذ ليس قولهم حيثنذُ مقدّمًا عليه ذِكْرُ النَّارِ وإنّما اتفق ذِكْرُ النَّارِ<sup>(١)</sup> قبلها إخبارًا عن أحوالهم<sup>(٢)</sup>.

وفيه نظرٌ؛ لأنّ هذا القولُ أيضًا داخلٌ في حيزِ الإخبارِ؛ لأنّه عطفٌ على ﴿أَعِيدُوا﴾، وهما مرتبانان على ﴿كُلَّمَا﴾؛ أي: كلّما أرادوا أن يخرجوا فخرجوا أعيدوا وقيل لهم ذوقوا، فكما جاز الإضمار في المعطوف عليه فما المانع في المعطوف سوى إرادةِ المبالغةِ من موضعِ المُظهِرِ موضعَ المُضَمَّرِ؟ على أنّ هذا القولُ أشدُّ تسويرًا وأقطع تحسّرًا عليهم من الإعادة، ومعنى الخروجِ بيّنه المصنّفُ في «سورة الحج»<sup>(٣)</sup>.

وقال صاحب «الكشف»: قال هاهنا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُوتُكُمْ﴾، وقال في الأخرى: ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُتِبَ بِهَا تَكْذِبُوتُكُمْ﴾ [سبأ: ٤٢]، فذكَرَ هاهنا وأنثَ هناك، وبيّرهُ أنه ذَكَرَ حملًا على العذابِ دونِ النَّارِ؛ لأنّ «النَّارَ» هاهنا لما وقع موضعَ المُضَمَّرِ، والمُضَمَّرُ لا يُوصف، لم يستجز إجراء «الذي» على المضافِ إليه دونِ المضافِ، وفي تلك الآية لم يَجْرِ ذِكْرُ النَّارِ في سياق الآية، فلم تقع النَّارُ موقعَ الضَّمِيرِ، فوصف النَّارَ دونَ العذابِ<sup>(٤)</sup>، وكذا ذَكَرَهُ الراغبُ في «دُرّة التنزيل».

قوله: ﴿الْعَذَابِ الْأَذَنِّي﴾: عذابِ الدُّنْيَا مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ) يعني: يومَ بدرٍ.

(١) قوله: «فلا يُناسب ذلك» إلى هنا ساقط من (ح).

(٢) «أما ابن الحاجب» (١: ١٥٢).

(٣) انظر: «الكشف» (١٠: ٤٦٣-٤٦٤).

(٤) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ١٠٦٤).



﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يتوبون عن الكفر، أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبون، كقوله تعالى: ﴿فَأَنْجَعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢] وَسُمِّيَتْ إِرَادَةُ الرَّجُوعِ رُجُوعًا، كما سُمِّيَتْ إِرَادَةُ الْقِيَامِ قِيَامًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦]، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (يُرْجَعُونَ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَنْ أَيْنَ صَحَّ تَفْسِيرُ الرَّجُوعِ بِالتَّوْبَةِ؟ (لعل) من الله إرادة، وإذا أراد الله شيئًا كان ولم يمتنع،

روينا عن مسلم، عن أبي بن كعب: عذاب الأذى: مصائب الدنيا والروم والبطشة أو الدخان<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يتوبون عن الكفر) هذا إذا فُسِّرَ عَذَابُ الْأَذَى بِعَذَابِ الدُّنْيَا، وَقَوْلُهُ: «أَوْ لَعَلَّهُمْ يَرِيدُونَ الرَّجُوعَ» إِذَا فُسِّرَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ.

قوله: (ويدل عليه قراءة من قرأ: «يرجعون»)<sup>(٢)</sup>، وذلك أن معنى هذه القراءة، والأولى على إرادة الرجوع، يلتقيان في معنى ﴿فَأَنْجَعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾؛ لأنَّ كَلًّا مِنْهَا يَسْتَدْعِي مَعْنَى الرَّجُوعِ مِنْهُمْ إِلَى الدُّنْيَا بِخِلَافِ الْأَوَّلِ. نَعَمْ لَوْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى التَّرْجِي فِي «لَعَلَّ» رَاجِعٌ إِلَى الْكُفَّارِ لِأَفَادِ أَيْضًا ذَلِكَ.

قوله: (من أين صحَّ تفسير الرجوع بالتوبة) أي: كيف يستقيم أن يفسر الرجوع بالتوبة، ولفظة (لعل) من جهة الله محمولة على الإرادة، وهذه الآية واردة في قوم مخصوصين، وأنهم ماتوا على الكفر، فيلزم تخلف مراد الله تعالى عن إرادته.

وخلاصة الجواب أن تخلف مراد الله تعالى في أفعاله الخاصة وما يلحق بها من القسر على أفعال الغير محال، لكن في أفعال العباد إذا ثبت لهم الاختيار غير محال؛ لأنه لا يقدر في قدرته.

الانتصاف: هذا فصل رديء، وشرك جلي لا يخفى، وجره إلى ذلك تحريف كلمة

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٩).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٠٨).

وتوبتُهُمْ مَّا لَا يَكُونُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ مِمَّا يَكُونُ لَمْ يَكُونُوا ذَاتِيقِينَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ؟  
 قُلْتُ: إِرَادَةُ اللَّهِ تَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ وَأَفْعَالِ عِبَادِهِ، فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِ كَانَ وَلَمْ يَمْتَنِعْ،  
 لِلْاِقْتِدَارِ وَخُلُوصِ الدَّاعِي. وَأَمَّا أَعْمَالُ عِبَادِهِ: فَإِنَّمَا أَنْ يُرِيدَهَا وَهُمْ مُخْتَارُونَ لَهَا، أَوْ

«لَعَلَّ» إِلَى الْإِرَادَةِ، وَالْحَقُّ أَنَّهُا لَتَرْجِي الْمَخَاطِبِينَ، وَكَذَا فَسَّرَهَا سَيُوبِيهِ (١).

وَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمِيِّنَ: ذَهَبَتِ الْمُعْتَزَلَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إِلَى أَنَّ الْوَاجِبَاتِ  
 وَالْمُنْدُوبَاتِ مِنَ الطَّاعَاتِ مَرَادَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَقَعَتْ أَوْ لَمْ تَقَعْ.

وَالْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشُ تَقَعُ وَاللَّهُ تَعَالَى كَارَهُ لَهَا غَيْرُ مَرِيدٍ لَوْ قَوَّعَهَا.

وَالْمُبَاحَاتُ وَمَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ التَّكْلِيفِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِهَائِمِ وَالْمَجَانِينِ تَقَعُ، وَهُوَ لَا  
 يُرِيدُهَا وَلَا يَكْرَهُهَا، وَإِذَا دَلَّلْنَا عَلَى أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى خَالِقُ لَجْمِيعِ الْخَوَادِثِ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أَنَّهُ  
 مَرِيدٌ لِمَا خَلَقَ، قَاصِدًا إِلَى إِيدَاعِ مَا اخْتَرَعَ.

ثُمَّ يَقُولُ: قَدْ قَضَيْتِ الْعُقُولُ بِأَنَّ قُصُورَ الْإِرَادَةِ وَعَدَمَ نَفْوَذِ الْمَشِيئَةِ مِنْ أَصْدَقِ الْآيَاتِ  
 عَلَى سَمَاتِ النَّقْصِ، وَالْإِتِّصَافِ بِقُصُورِ وَعَجْزِ، وَمَنْ تَرَشَّحَ لِلْمَلِكِ، ثُمَّ لَا يَنْفِذُ مَرَادَهُ فِي  
 أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ عُدَّ ضَعِيفَ الْمَنَّةِ مِضْيَاعًا لِفُرْصَتِهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ يَزِرِي الْعَاجِزَ، فَكَيْفَ فِي حَقِّ  
 مَلِكِ الْمَلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ؟

فَإِنْ قَالُوا: الرَّبُّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرُدَّ الْخَلَائِقَ إِلَى الطَّاعَةِ قَهْرًا، وَيُظْهِرَ آيَةَ  
 تَنْظُلِ رِقَابِ الْجَبَابِرَةِ لَهَا خَاضِعَةً، قُلْنَا: مِنْ فَاسِدِ أَصْلِكُمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي حُكْمِ الْإِلَهِ إِجْبَارُ  
 الْخَلَائِقِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَاضْطِرَارُهُمْ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَلَا يُرِيدُ مِنْهُمْ الْمَعَاصِي وَالْكَفْرَ، وَإِنَّمَا  
 يُرِيدُ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ الْاِخْتِيَارِيَّ فَمَا يُرِيدُهُ لَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ وَمَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ لَا يُرِيدُهُ.

وَقَدْ اجْتَمَعَ سَلَفُ الْأُمَّةِ عَلَى كَلِمَةٍ لَا يَجْحَدُهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: «مَا شَاءَ اللَّهُ  
 كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ» (٢)، وَالْآيَاتُ الشَّاهِدَةُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ لَا تُحْصَى كَثْرَةً.

(١) «اللاتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٧٥٦).

مُضْطَرُونَ إِلَيْهَا بِقَسْرِهِ وَإِلْجَائِهِ، فَإِنْ أَرَادَهَا وَقَدْ قَسَرَهُمْ عَلَيْهَا فَحُكْمُهَا حُكْمُ أَفْعَالِهِ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى أَنْ يَخْتَارُوهَا وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّهُمْ لَا يَخْتَارُوهَا؛ لَمْ يَقْدَحْ ذَلِكَ فِي اقْتِدَارِهِ، كَمَا لَا يَقْدَحُ فِي اقْتِدَارِكَ إِرَادَتُكَ أَنْ يَخْتَارَ عَبْدُكَ طَاعَتَكَ وَهُوَ لَا يَخْتَارُهَا، لِأَنَّ اخْتِيَارَهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِقُدْرَتِكَ، وَإِذَا لَمْ يَتَعَلَّقْ بِقُدْرَتِكَ لَمْ يَكُنْ فَقْدُهُ دَالًّا عَلَى عَجْزِكَ. وَرُويَ فِي نُزُولِهَا: أَنَّهُ شَجَرَ بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ يَوْمَ بَدْرٍ كَلَامًا، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: اسْكُتْ فَإِنَّكَ صَبِيٌّ؛ أَنَا أَشَبُّ مِنْكَ شَبَابًا، وَأَجْلَدُ مِنْكَ جَلْدًا، وَأَذْرَبُ مِنْكَ لِسَانًا، وَأَحَدُ مِنْكَ سِنَانًا، وَأَشْجَعُ مِنْكَ جِنَانًا، وَأَمْلَأُ مِنْكَ حَشْوًا فِي الْكَتِيبَةِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اسْكُتْ، فَإِنَّكَ فَاسِقٌ.....

قوله: (شجر بين علي رضي الله عنه). النهاية: شَجَرَ الْأَمْرُ يَشْجُرُ (١) شَجُورًا: إِذَا اخْتَلَطَ، وَتَشَاجَرُوا: إِذَا تَنَازَعُوا وَاخْتَلَفُوا.

قوله: (وأذرب منك لسانًا)، النهاية: هو من قولهم: ذَرَبَ لِسَانَهُ: إِذَا كَانَ حَادًّا لِلْسَانَ لَا يُبَالِي مَا قَالَ.

قوله: (وأملأ منك حشوا في الكتيبة)، والحشو: ما يُحْسَى بِهِ الشَّيْءُ؛ أَي: الشَّيْءُ الَّذِي أَحْشَوْهُ الدَّرْعُ أَبْلَغَ فِي مَلْتَمِهَا مِنْ حَشْوِكَ؛ أَي: أَنَا أَبْدَنُ مِنْكَ فِيهَا.

الأساس: وهو من حشوبني فلان: قال الراعي:

أَتَتْ دُونَهَا الْأَحْلَافُ أَحْلَافٌ مَذْحَجٌ وَأَبْنَاءُ كَعْبٍ حَشَوْهَا وَصَوِّمُهَا

قال صاحب «الاستيعاب»: الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان لأُمِّهِ، أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ هُوَ وَأَخُوهُ خَالِدُ بْنُ عُقْبَةَ، وَأَظْنَهُ يَوْمِئِذٍ كَانَ قَدْ نَاهَرَ الْاِحْتِلَامَ (٢).

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة في قصة ذكرها ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَأَيَسْتَوِينَ﴾ (٣).

(١) قوله: «الامر يشجر» ساقط من (ج) و(ف).

(٢) «الاستيعاب» (٤: ١٥٥٢).

(٣) انظر: «الدر المشور» (١١: ٧٠)، في تحريمه في سبب نزول الآية.

فنزلت عامة للمؤمنين والفاسيقين، فتناولتها وكل من في مثل حالهما. وعن الحسن ابن علي رضي الله عنهما: أنه قال للوليد: كيف تشتم علياً وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات؟ وسماك فاسقاً؟.

[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْفِقُونَ ﴿٢٢﴾]

[٢٢]

﴿٢٢﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ للاستبعاد. والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل، والفوز بالسعادة العظيمة بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك

قوله: (فنزلت عامة للمؤمنين والفاسيقين، فتناولتها وكل من في مثل حالهما)، قال صاحب «الانصاف»: ذكر السبب المحقق، والمراد بالفاسيق وبالذين فسقوا: الكفار، وأدرج فيها المؤمنين تعصباً لمذهبه في وجوب خلود الفساق<sup>(١)</sup>.

وقال صاحب «الانصاف»: ولم يشف في الجواب، فإن الاعتبار بعموم لفظ الآية لا بخصوص سببها، والفسق يطلق على المؤمن<sup>(٢)</sup>؛ لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ اللَّهُ فِي الْغُيُوبِ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، و«فاسقاً» نكرة في الشرط فيعم. والجواب الصحيح تسليم العموم وتخصيصه بالآيات والأخبار الدالة على اعتبار الطاعة وحصول الشفاعة.

وقلت: ما أنصف ولا انتصف من صاحب «الانصاف» حيث سلم العموم، وقال: ﴿فَاسِقاً﴾ نكرة في الشرط فيعم. أما نظر إلى نظيرتها: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أو إلى المخمل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً﴾ ليقيد المطلق بالكافر؟ وأما اعتبار الفاصلة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ﴾ ليعلم أن المؤمن لا يكذب بالآخرة؟ وأما تأمل النظم وتعقيبه بقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾.

(١) «الانصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥١٤).

(٢) قوله: «على المؤمن» ساقط من (ح).

الْفُرْصَةِ ثُمَّ لَمْ تَنْتَهِزْهَا؛ اسْتِعَاذًا لَتَرْكِهِ الْإِنْتِهَازَ. وَمِنْهُ (ثُمَّ) فِي بَيْتِ الْحِمَاسَةِ:

لَا يَكْشِفُ الْغَمَاءُ إِلَّا ابْنَ حُرَّةٍ      يَرَى عَمْرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

استبعد أن يزورَ عَمْرَاتِ الْمَوْتِ بعد أن رآها واستيقنَها واطلع على شدتها. فإن قلت: هلا قيل: إنا منه مُتَنَقِمُونَ؟ قلت: لما جعله أظلمَ كُلِّ ظالمٍ، ثُمَّ تَوَعَّدَ الْمُجْرِمِينَ عَامَّةً بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، فَقَدْ دَلَّ عَلَى إِصَابَةِ الْأَظْلَمِ النَّصِيبِ الْأَوْفَرَ مِنَ الْإِنْتِقَامِ، وَلَوْ قَالَه بِالضَّمِيرِ لَمْ يُفِدْ هَذِهِ الْفَائِدَةَ.

قوله: (لَا يَكْشِفُ الْغَمَاءُ) البيت<sup>(١)</sup>، الْغَمَاءُ وَالْغَمُّ وَالْعُمَّةُ: مرجعها إلى التَّغْطِيَةِ، والمراد هاهنا: شدةُ اقتحامِ الحربِ؛ أي: لَا يَكْشِفُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ إِلَّا رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرَى قَحْمَ الْمَوْتِ ثُمَّ يَتَوَسَّطُهَا، وَإِنَّمَا قَالَ: ابْنَ حُرَّةٍ؛ لِيُهَيِّجَهُ وَيُحَرِّضَهُ عَلَى الزِّيَادَةِ؛ أي: زِيَادَةِ عَمْرَاتِ الْمَوْتِ بعد رؤيتها مستبعدةً مستنكرةً في العقل والعادة، وهو مع ذلك يزورها بعد استيفائه إيَّاهَا، بِالْغِ فِي مَدْحِهِ بِذَلِكَ؛ حَيْثُ بَاشَرَ مِثْلَ هَذَا الْمُسْتَبْعِدِ بِشِجَاعَتِهِ<sup>(٢)</sup>، وَكَذَا فِي الْآيَةِ بِالْغِ فِي الذَّمِّ؛ وَهَذَا قَالَ: «أَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنْ مِثْلِ آيَاتِ اللَّهِ فِي وُضُوحِهَا وَإِنَارَتِهَا... مُسْتَبْعِدٌ فِي الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ».

وَإِنَّمَا ذَهَبَ فِي «ثُمَّ» إِلَى الْمَجَازِ وَإِنْ احْتَمَلَ الْحَقِيقَةَ؛ لِأَنَّ الشَّاعَرَ يَمْدُحُ جَرِيًّا لَا يَبَالِي بِالْمَوْتِ وَيَقْتَحِمُ الْأَهْوَالَ، لِأَنَّهُ يَرَى الْعَمْرَاتِ ثُمَّ يَمْكُثُ زَمَانًا طَوِيلًا مُتَفَكِّرًا ثُمَّ يَزُورُهَا؛ لِأَنَّهُ ذَمُّ لَهَا، وَكَذَا مَا فِي الْآيَةِ؛ الْأَصْلُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِنَائِبِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢]، فَوَضَعَ «ثُمَّ» مَوْضِعَ الْفَاءِ لِبَيَانِ عُنَاوِهِ وَتَمَرُّدِهِ.

قوله: (جَعَلَهُ أَظْلَمَ كُلِّ ظَالِمٍ، ثُمَّ تَوَعَّدَ الْمُجْرِمِينَ عَامَّةً بِالْإِنْتِقَامِ)، فِيهِ رَائِحَةٌ مِنَ الْإِعْتِرَالِ كَمَا سَبَقَ مِنْهُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: «بَسَبَبِ مَا عَمَلْتُمْ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ الْمُؤَبَّقَةِ»، يُقَالُ: هَلَا يَجْعَلُهُ مِنْ إِقَامَةِ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ؛ لِئُؤَدِّنَ بِأَنَّ عِلَّةَ الْإِنْتِقَامِ ارْتِكَابُ هَذَا الْمُعْرَضِ مِثْلَ هَذَا الْجُرْمِ الْعَظِيمِ.

(١) لجعفر بن علي الحارثي من شعراء الحماسة.

(٢) في (ف): «بشجاعة».

[ ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ \* وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ \* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿ ٢٣ - ٢٥ ﴾ ]

﴿الْكِتَابَ﴾ للجنس، والضَّميرُ في ﴿لِقَائِهِ﴾ له. ومعناه: إنا آتينا موسى عليه

قال محيي السنة: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ من المشركين، ولا ارتياب أن الكلام في ذمّ المعرضين، وهذا الأسلوب أذمّ لهم من ذلك؛ لأنه يُقرّر أن الكافر إذا وُصف بالفسق والظلم والجرم<sup>(١)</sup> حُمل على نهاية كُفْرِهِ وغاية تمرّده؛ لأنّ هذه الآية كالخاتمة لأحوال المكذِبين القائلين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

والتخلّص إلى قصّة الكليم عليه السّلام مسلاة لقلب الحبيب ﷺ يعني: آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب، ولقيناها مثل ما لقيناك، وكما جعلنا المنزل عليه هدى لقوم صبروا، كذلك نجعل كتابك هدى ونورا لمن يصبر، وكما جعلنا كتابه مختلفا فيه كذلك نجعل كتابك مختلفا فيه، وكما أهلكنا المعرضين نُهلك هؤلاء ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ [السجدة: ٢٦] ﴿سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]، ويؤيده قول المصنّف: «والضمير في ﴿هُم﴾ لأهل مكّة».

قوله: ﴿الْكِتَابَ﴾ للجنس (إنما دعاه إلى اعتبار الجنس؛ لأنّ الضَّمير في ﴿لِقَائِهِ﴾ راجع إليه، ولا ارتياب أن عيّن ذلك الكتاب ما لقاها، كأنه قيل: ولقد آتينا موسى ما يُقال له: الكتاب، فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله.

قال مكّي: وقيل: الهاء تعود على ما لاقى في موسى؛ أي: فلا تك في مرية من لقاء ما لاقى موسى من قومه من الأذى والتكذيب، ويموز أن تعود على الكتاب، أضاف المصدر إلى المفعول؛ أي: من لقاء موسى الكتاب، وأضمر موسى لتقدم ذكره<sup>(٣)</sup>.

(١) في (ح) و(ف): «إذا وصف بالظلم والإجرام».

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٣٠٨).

(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٦٩).

السَّلَامُ مِثْلَ مَا آتَيْنَاكَ مِنَ الْكِتَابِ، وَلَقِينَاهُ مِثْلَ مَا لَقِينَاكَ مِنَ الْوَحْيِ، فَلَا تُكُ فِي شَكِّ  
 مِنْ أَنْتَ لَقَيْتَ مِثْلَهُ وَلَقَيْتَ نَظِيرَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَتَنَلِ  
 الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] ونحو قوله: ﴿مَنْ لَقَاهُ﴾ وقوله:  
 ﴿وَإِنَّكَ لَلَّذِي لَقَيْتَ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] وقوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]. وجعلنا الكتابَ المنزَّلَ على موسى عليه السَّلَامُ  
 ﴿هُدًى﴾ لقومه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَا فِي التَّوْرَةِ  
 مِنْ دِينِ اللَّهِ وَسُرَائِعِهِ، لَصَبْرِهِمْ وَإِيقَانِهِمْ بِالْآيَاتِ. وكذلك لنجعلَنَّ الكتابَ المنزَّلَ  
 إِلَيْكَ هُدًى ونورًا، ولنجعلَنَّ من أمَّتِكَ أئمةً يهدونَ مثلَ تلك الهداية؛ لِمَا صَبَرُوا عَلَيْهِ  
 مِنْ نُصْرَةِ الدِّينِ، وَتَبَتُّوا عَلَيْهِ مِنَ اليَقِينِ. ....

قلت: على أن تعود الهاء إلى ما لاقى، فالفاء مثلها في قول الشاعر:

ليسَ الجِسمَالُ بِمَنزِرٍ فاعلَمَ وإن رُدِّيتَ بزدا<sup>(١)</sup>

دَخَلْتُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةَ بَدَلِ الْوَاوِ اهْتِمَامًا بِشَأْنِهَا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾  
 إِلَى آخِرِ الْآيَةِ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِنِّي﴾، وَجَعَلَ كَوْنَهُمْ أئمةً وَهُدَاةً مُعْلَلَانِ بِالصَّبْرِ وَالْإِيقَانِ  
 فِي الْمُعْتَرِضِ فِيهِ، ثُمَّ نَهَاهُ عَنِ الِامْتِرَاءِ فِي لِقَاءِ مَا لاقُوا مِنَ الْأَذَى وَالصَّبْرِ اقْتِدَاءً بِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ  
 تَعَالَى: ﴿فِيهِ هُدًى لِقَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قوله: (فَلَا تُكُ فِي شَكِّ مِنْ أَنْتَ لَقَيْتَ مِثْلَهُ) هذا معنى الفاء في ﴿فَلَا تُكُ فِي مَرِيضَةٍ﴾  
 يعني: معرفتك بأن موسى نبيٌّ مرسلٌ وأوتى التَّوْرَةَ، ينبغي أن تكون سببًا لإزالة الرَّيبِ  
 عنك في أن المنزَّلَ عليك قرآنٌ وكتابٌ مثله وإنا اخترناك كما اخترناه، ونبتليك بمثل ما  
 ابتليناه، ولهذا قال كقوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَتَنَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ  
 مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

(١) لعمر بن معدى كرب. انظر: «نهاية الأرب» (٣: ٦٧)، و«شرح ديوان الحماسة» (١: ٣٠)، و«التمثيل  
 والمحاضرة» (١: ٦٠).

وقيل: من لقائك موسى عليه السلام ليلة الإسراء، أو يوم القيامة. وقيل: من لقاء موسى عليه السلام الكتاب؛ أي: من تلقّيه له بالرضا والقبول. وقُرئ: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ و﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾؛ أي: لِصَبْرِهِمْ. وعن الحسنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صَبَرُوا عَنِ الدُّنْيَا. وقيل: إِنَّمَا جَعَلَ اللهُ التَّوْرَةَ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ خَاصَّةً، وَلَمْ يَتَّعَبِدْ بِهَا فِيهَا وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يَقْضِي، فَيُمَيِّزُ الْمُحِقَّ فِي دِينِهِ مِنَ الْمُبْطِلِ.

قوله: (وقيل: من لقائك موسى ليلة الإسراء) عطف على قوله: «﴿الْكَتَابَ﴾» للجنس والضمير في «﴿لِقَائِهِ﴾» له، يؤيده ما روى البخاري ومسلم، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ سَنُوَّةٍ»<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقرئ: «﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾» و﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾»، حمزة والكسائي: بالتخفيف، والباقون: بالتشديد<sup>(٢)</sup>.

قال الزَّجَّاجُ: فَإِذَا خُفِّفَ فَالْمَعْنَى: جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً لِيَصْبِرَهُمْ، وَإِذَا سُدِّدَ، فَالْمَعْنَى: عَلَى الْمُجَازَاةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنْ صَبَرْتُمْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً، فَلَمَّا صَبَرُوا جُعِلُوا أُمَّةً. وقيل: إِنَّ كَلِمَةَ الظَّرْفِ تُقَامُ مَقَامَ التَّلْعِيلِ؛ نَحْوُ قَوْلِكَ: أَكْرَمْتُكَ إِذَا أَكْرَمْتُ زَيْدًا؛ لِأَنَّ الظَّرْفَ يُقَارَنُ المَظْرُوفَ، كَمَا أَنَّ الْعِلَّةَ<sup>(٣)</sup> تُقَارَنُ المَعْلُولَ<sup>(٤)</sup>.

قوله: (هدى لبني إسرائيل خاصة، ولم يتعبد بها فيها ولد إسماعيل)، هذا التخصيص إنما يفيدُه لَمْ الاختصاص، وإيقاعُ قوله: «﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾» مشبهًا به كما مرَّ، وعطفُ «﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾» على «﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾».

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (٢٦٦).

(٢) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها» (٢: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» (٢: ٣٨٧) و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٠٩).

(٣) قوله: «يقارن المظروف، كما أن العلة» ساقط من (ف).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٠٩).



[أَوْلَمْ يَهْدِ لَكُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾]

الواو في ﴿أَوْلَمْ يَهْدِ﴾ للعطف على معطوفٍ عليه مَنَوِيٌّ من جنس المعطوف، والضمير في ﴿لَكُمْ﴾ لأهل مكة. وقُرئَ بالنون والياء، والفاعل ما دلَّ عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ لأنَّ ﴿كَمْ﴾ لا تقعُ فاعلةً، لا يُقال: جاءني كم رجل، تقديره: أو لم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون. أو: هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه، كقولك: نعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال. ويجوز أن يكون فيه ضمير (الله) بدلالة القراءة بالنون. و﴿الْقُرُونُ﴾ عادٌ وثمودٌ وقوم لوطٍ ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ يعني: أهل مكة،

قوله: (الواو في ﴿أَوْلَمْ يَهْدِ﴾ للعطف على معطوفٍ عليه [منوي] من جنس المعطوف)، أي: ألم نُنسبهم ولم يهد لهم كم أهلكتنا من قبلهم، يعني: قلنا لهم: سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقُرئَ بالنون والياء) الياء: مشهورة، والنون: شاذة<sup>(٢)</sup>.

قال القراء: ﴿كَمْ﴾ في موضع رفع بـ﴿يَهْدِ﴾، كأنك قلت: أو لم يهد لهم القرون الهالكة فيتعظوا<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: عند البصريين لا يجوز أن يعمل ما قبل «كم» في «كم»، فلا يجوز في قولك: كم رجلٌ جاءني: جاءني<sup>(٤)</sup> كم رجل؛ لأنَّ كم تزال عن الابتداء، و«كم» هاهنا في موضع نصب بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ وفاعل يهدي ما دلَّ عليه المعنى فيما سلف، وتكون «كم» أيضًا دليلًا على الفاعل في ﴿يَهْدِ﴾، ويدلُّ عليه قراءةٌ من قرأ: ﴿أولم يهد لهم﴾؛ أي: أولم نيين لهم<sup>(٥)</sup>.

(١) في الأصول الخطية: «قبلهم».

(٢) قرأ بالنون: أبو عبد الرحمن السلمي وقتادة وأبو زيد. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١١٠).

(٣) «معاني القرآن» (٢: ٣٢١).

(٤) قوله: «جاءني» سقط من (ح).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٠٩).

يَمْرُونَ فِي مَتَاجِرِهِمْ عَلَى دِيَارِهِمْ وَبِلَادِهِمْ. وَقُرِئَ: (يُمَشُّونَ) بِالتَّشْدِيدِ.

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ  
وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [٢٧]

﴿الْجُرُزِ﴾ الأرض التي جُرِّزَ نباتها، أي: قُطِعَ؛ إِمَّا لِعَدَمِ الْمَاءِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ رُعِيَ وَأَزِيلَ، وَلَا يُعَالُ لِلَّتِي لَا تُنْبِتُ كَالسَّبَاخِ: جُرُزٌ. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهَا أَرْضُ الْيَمَنِ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هِيَ آبِيْن. ﴿بِهِ﴾ بِالْمَاءِ ﴿تَأْكُلُ﴾ مِنَ الزَّرْعِ ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾ مِنْ عَصْفِهِ ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ مِنْ حَبِّهِ. وَقُرِئَ: (يَأْكُلُ) بِالْبَاءِ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قَدْ بَوَّأَ الْفَتْحُ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانَهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مَنْ تَنظَرُونَ﴾ [٢٨-٣٠]

الْفَتْحُ: النَّصْرُ، أَوْ الْفَضْلُ بِالْحُكُومَةِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَنَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ. أَوْ يَفْتَحُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا: .....

قوله: (يُمَشُّونَ) بِالتَّشْدِيدِ) قَالَ ابْنُ جَنِّي: هِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ السَّمِيفِغِ، فَهُوَ لِلْكَثْرَةِ (١).

قوله: (وعن مجاهد: هي آبين)، النهاية: آبِيْنُ: بوزن أحر: قرية على جانب البحر في ناحية اليمن، وقيل: هو اسم مدينة (٢) عدن.

قوله: (﴿بِهِ﴾ بِالْمَاءِ) أَي: الضَّمِيرُ فِي ﴿بِهِ﴾ لِلْمَاءِ، وَفِي ﴿مِنْهُ﴾ لِلزَّرْعِ، وَ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ صِفَةُ زَرْعًا، وَفِيهِ مَعْنَى الْجَمْعِ؛ لِأَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى آكِلِينَ وَمَأْكُولَاتٍ مُخْتَلِفِينَ، وَمَنْ تَمَّ قَسَمَهُ؛ أَي: تَأْكُلُ أَنْعَامُهُمْ مِنَ التَّبَنِ وَأَنْفُسُهُمْ مِنَ الْحَبِّ.

(١) المحاسب (٢: ١٧٤).

(٢) قوله: «مدينة» ساقط من (ح) و(ف).

﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي: في أيِّ وقتٍ يكونُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه كائنٌ. ويومُ الفتحِ يومُ القيامةِ، وهو يومُ الفضلِ بينَ المؤمنينَ وأعدائِهِم، ويومُ نصرِهِم عليهم. وقيل: هو يومُ بدر. وعن مجاهدٍ والحسنِ رضيَ اللهُ عنهُما: يومُ فتحِ مكَّة. فإن قلت: قد سألتُ عن وقتِ الفتحِ، فكيفَ ينطبقُ هذا الكلامُ جواباً على سؤالِهِم؟ قلتُ: كانَ غرضُهُم في السؤالِ عن وقتِ الفتحِ، استعجالاً منهم على وجهِ التَّكذيبِ والاستهزاءِ، فأجيبُوا على حَسَبِ ما عَرِفَ من عَرَضِهِم في سؤالِهِم فقلِّ لهم: لا تستعجلُوا به ولا تستهزئُوا، فكأنِّي بكمُ وقد حصلتم في ذلك اليومِ، وأمتُّم فلمَ ينفَعُكمُ

قوله: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾، ﴿مَتَى﴾ في موضعِ نَصْبٍ على الظَّرْفِ، وهو خبرُ الابتداء<sup>(١)</sup>، وهو ﴿هَذَا﴾، و﴿الْفَتْحُ﴾ نعتٌ لـ ﴿هَذَا﴾ أو عطفُ بيان. ويجوز أن يكونَ ﴿مَتَى﴾ في موضعِ رفعٍ على تقديرِ حذفِ مضافٍ مع ﴿هَذَا﴾، وتقديره: متى وقت هذا الفتحِ؟

قوله: (كانَ غرضُهُم في السؤالِ عن وقتِ الفتحِ، استعجالاً منهم على وجهِ التَّكذيبِ والاستهزاءِ)، يعني: إننا طابَقَ هذا الجوابُ مضمونَ ما أرادوا بسؤالِهِم في قولِهِم: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾، وهو القطعُ بأنَّ ذلكَ كذبٌ ولا ينبغي أن يكونَ، وأنتَ ممن يجبُ أن يضحكَ منه. وأجابَ أن كينونتهُ ممَّا لا ارتيابَ فيه، وأنَّه لا بدَّ أن يقعَ، لكنِّي أخبرُكم عن أحوالكم فيه كأنِّي أنظر إليكم الآنَ، وأنتم على تلكِ الحالِ، وهو قريبٌ من الأسلوبِ الحكيمِ.

قوله: (فكأنِّي بكمُ وقد حصلتم في ذلك اليومِ)، قال المَطرُزي: قولُهُم: كأنِّي بك: كأنِّي أبصرتُك، إلا أنَّه تركَ الفعلَ لدلالةِ الحالِ وكثرةِ الاستعمالِ، ومعناه: أعرفُ ما أشاهدُ من حالِك اليومَ وكيفَ يكونُ حالُك غداً، كأنِّي أنظرُ إليك وأنتَ على تلكِ الحالِ. ومثلهُ: مَنْ لي بكذا، يعنون من يكفُلُ لي به، وله نظائرُ.

قال المَظْهَري: كأنِّي بك مبصَّرٌ وعالمٌ بحالكِ أنك ستَهلكُ. وهذا اللَّفْظُ يُستعملُ في كلِّ موضعٍ يُتَيَقَّنُ ما يصيرُ إليه حالُ الرَّجُلِ.

(١) في (ح) و(ف): «ابتداء».

الإيمان، واستنظرتهم في إدراك العذاب فلم تنظروا. فإن قلت: فمن فسره بيوم الفتح أو يوم بدر؛ كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان، وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر؟ قلت: المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل، كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق. ﴿وَأَنْظِرْ﴾ النصر عليهم وهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ الغلبة عليكم وهلاككم، كقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتْرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]، وقرأ ابن السمين رحمه الله: (منتظرون)، بفتح الطاء. ومعناه: وانتظر هلاكهم فإنهم أحقأ بأن ينتظر هلاكهم، يعني: أنهم هالكون لا محالة. أو: وانتظر ذلك؛ فإن الملائكة في السماء ينتظرونه.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿الْعَمَّ \* تَنْزِيلٌ﴾، وَ﴿بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ»، وَقَالَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿الْعَمَّ \* تَنْزِيلٌ﴾ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ».

قوله: (المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل)، وقلت: لو حمله على قوم مخصوصين وهم الذين استهزؤوا وعاندوا وقالوا: متى هذا الفتح؟ إقامة للمظهر موضع المصمر حتى يكون من باب قوله:

على لا حِبِّ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ

أي: لا يؤمنون حيثئذ فلا ينفعهم إيمانهم لحسن.

قوله: (مَنْ قَرَأَ: ﴿الْعَمَّ \* تَنْزِيلٌ﴾) رويناه عن أحمد والترمذي والدارمي عن جابر: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الْعَمَّ \* تَنْزِيلٌ﴾ و﴿بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٠٠)، والترمذي (٢٨٩٢)، والدارمي (٣٤١١).

## سورة الأحزاب

مدنيّة، وهي ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ آتَى اللَّهِ وَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١-٣﴾]

عن زرّ قال: قال لي أبي بن كعب رضي الله عنه: كم تعدّون سورة الأحزاب؟

## سورة الأحزاب

مدنيّة، وهي ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (عن زرّ) في «جامع الأصول»: هو زرّ بن حبيش الأسدي الكوفي، جاهلي إسلامي، من أكابر القراء والمشهورين من أصحاب عبد الله بن مسعود<sup>(١)</sup>، وسمع عمر رضي الله عنه، وروى عنه خلق كثير من التابعين وغيرهم.

زرّ: بكسر الزاي وتشديد الراء. وحبيش: بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء والشين المعجمة. وحديثه هذا مشهور في «مسند الإمام أحمد بن حنبل»<sup>(٢)</sup>

(١) «جامع الأصول» (١٢: ٤١٣).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢١٢٠٧) وانظر تمام تخريجه في «صحيح ابن حبان» (٤٤٢٨).

قلتُ: ثلاثاً وسبعين آية. قال: فوالذي يحلفُ به أبيُّ بن كعب، إن كانت لتعدُّلُ سورة البقرة أو أطول، ولقد قرأنا منها آيةَ الرَّجْمِ: (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَانِيَا فَارْجُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). أراد أبيُّ رضي الله عنه أن ذلك من جُمْلَةٍ ما نُسِخَ من القرآن. وأمَّا ما يُحكى: أن تلك الزيادة كانت في صحيفَةٍ في بيتِ عائشة رضي الله عنها فأكلتها الداجنُ: فمِنْ تَأْلِيفَاتِ الْمَلَايِدَةِ وَالرَّوَافِضِ. جعل نداءه بالنبيِّ والرسول في قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾، ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحرير: ١]، ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وتَرَكَ نِدَاءَهُ بِاسْمِهِ، كما قال: ﴿يَكَادُمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿يَمُوسَى﴾ [البقرة: ٥٥]، ﴿يَعِيسَى﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿يَنْدَاوُدُ﴾ [ص: ٢٦]، كرامة له وتشريفاً، ورَبْنًا بِمَحَلِّهِ، وتَنْوِيهاً بِفَضْلِهِ. فإن قلت: إن لم يُوقِع اسمَه في النداء فقد

مع تغيير يسير. وفي «الموطأ»: «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ فَارْجُوهُمَا الْبَتَّةَ»، وكذا في رواية ابن ماجه<sup>(١)</sup>.

قوله: (الداجن)، النهاية: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وقد يقع على غير الشاء من كل ما يالف البيوت من الطيور وغيره. يقال: شاةٌ داجنٌ، ودجنت تدجن دجوناً. قوله: (ورَبْنًا بِمَحَلِّهِ)، الأساس: إني لأزيبُ بك عن هذا الأمر: أرفَعُك ولا أرضاهُ لك، ورَبَأْتُ بِنَفْسِي عن عَمَلٍ كذا. ونَوَهْتُ به تَنْوِيهاً: رَفَعْتُ ذِكْرَهُ وَأَشْهَرْتُهُ، وينصُرُهُ ما رَوَيْنَا في «صحيح البخاري»: أن البراء حين دعا بقوله: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، وفَوَّضْتُ أمري إليك، وأجأتُ ظَهري إليك آمَنْتُ بكتابِكَ الذي أنزَلْتَ، ورسولِكَ الذي أرسلت. قال رسولُ الله ﷺ: «لا، وَنَبِيِّكَ الذي أرسلت»<sup>(٢)</sup>.

النهاية: قيل: إن النبيَّ مُسْتَقٌّ مِنَ النَّبَاةِ وَهُوَ الشَّيْءُ الْمُرْتَفِعُ. ومن المهموزِ شَعْرُ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ يَمْدَحُهُ:

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٢: ٨٢٤) وابن ماجه في «السنن» (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٣).

أَوْقَعَهُ فِي الْإِخْبَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قُلْتُ: ذَاكَ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَتَلْقِينِ لَهُمْ أَنْ يَسْمُوهُ بِذَلِكَ وَيَدْعُوهُ بِهِ، فَلَا تَفَاوُتَ بَيْنَ النَّدَاءِ وَالْإِخْبَارِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا لَمْ يَقْصِدْ بِهِ التَّعْلِيمَ وَالتَّلْقِينَ مِنَ الْأَخْبَارِ كَيْفَ ذَكَرَهُ بِنَحْوِ مَا ذَكَرَهُ فِي النَّدَاءِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي

يَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ <sup>(١)</sup> إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ كُلُّهُدَى السَّبِيلِ هَذَا كَمَا <sup>(٢)</sup>

وَمِنَ الْأَوَّلِ حَدِيثُ الْبَرَاءِ. وَإِنَّمَا رَدَّ عَلَيْهِ لِيَخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ وَيَجْمَعَ لَهُ الشَّائِعِينَ مِنْ مَعْنَى النَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ تَعْدِيداً لِلنِّعْمَةِ فِي الْحَالِئِينَ. وَتَعْظِيماً لِلْجِنَّةِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ <sup>(٣)</sup>.

وَعَنِ الرَّاعِبِ: النَّبُوَّةُ: سِفَارَةٌ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ ذَوِي الْعُقُولِ مِنْ عِبَادِهِ لِإِزَاحَةِ عِلْلِهِمْ فِي أَمْرِ مَعَادِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ، وَالنَّبِيُّ لِكَوْنِهِ مُنْتَبِأً بِهَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ الْعُقُولُ الزَّكِيَّةُ <sup>(٤)</sup> يَصْحُحُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿تَتَّقِ عِبَادِي أَيُّنَا أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، وَأَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، لِقَوْلِهِ ﴿نَبَأَئِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحریم: ٣] <sup>(٥)</sup>.

وَقُلْتُ: وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ هَذَا الْمَقَامُ مِنَ التَّنْوِيهِ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ خَطَابٌ فَطِيعٌ هَائِلٌ خُصُوصًا مُهْدٍ بِقَوْلِهِ: ﴿أَتَى اللَّهُ﴾ فَصَدَّرَ بِهَا يَنْجِبُ بِهِ تِلْكَ الْفِطَاعَةَ، يَعْنِي: يَا مَنْ تَصَدَّقَ لِمَنْصِبِ النَّبُوَّةِ، كَيْفَ يَلْبِقُ بِكَ طَاعَةَ أَعْدَاءِ الدِّينِ؟! وَمِنَ الْأَسْلُوبِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] ابْتَدَأَ بِالْعَفْوِ ثُمَّ إِبْدَاءَ الذَّنْبِ.

(١) هَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ، وَهُوَ بِكسر الباءِ مِنْ غَيْرِ بَاءٍ بَعْدَهَا، وَالَّذِي فِي أَغْلِبِ الْمَصَادِرِ الْأُخْرَى: «يَا خَاتَمَ النَّبِيَّاءِ».

(٢) هُوَ فِي «دِيوانِهِ» ص ٩٥، وَذَكَرَهُ الْمَبْرَدُ فِي «الْكَامِلِ» (٣: ١٦)، وَالزُّمَخْشَرِيُّ فِي «الْفَاتِقِ» (٣: ٤٠١).

(٣) وَهُوَ حَاصِلُ عِبَارَةِ الْإِمَامِ الطُّحَاوِيِّ فِي «شَرْحِ مُشْكَلِ الْأَنْبَاءِ» (٣: ١٧٣) حَيْثُ قَالَ: «إِنَّ قَوْلَكَ: «وَرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»، لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الرِّسَالَةُ خَاصَّةً، وَالَّذِي رَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ مَكَانَ ذَلِكَ: «وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» يَجْمَعُ الرِّسَالَةَ وَالنَّبُوَّةَ جَمِيعاً، فَكَانَ أَوْلَى عَمَّا يَكُونُ عَلَى الرِّسَالَةِ دُونَ النَّبُوَّةِ». انْتَهَى.

(٤) فِي «مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ»: «الذَّكِيَّةُ» بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ.

(٥) «مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ» ص ٧٨٩.

رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَةَ حَسَنَةً ﴿[الأحزاب: ٢١]﴾، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ [المائدة: ٨١]؟ ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾: واطب على ما أنت عليه من التقوى، واثبت عليه، وازدده منه؛ وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره. ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾: لا تساعدهم على شيء، ولا تقبل لهم رأياً ولا مشورة، وجانبيهم، واحترس منهم؛ فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين، لا يريدون إلا المضارة والمضادة. ورؤي: أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام اليهود: قريظة والنضير وبنى قينقاع، وقد بايعه أناس منهم على النفاق، فكان يُلَيِّن لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم، وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه، وكان يسمع منهم؛ فنزلت. ورؤي: أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلميّ قد موا عليه في المواقعة التي كانت بينه وبينهم، وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس، فقالوا لرسول الله ﷺ: ارفض ذكر آهتنا وقل: إنها تشفع وتنفع؛ وتدعك وربك، فسق ذلك على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، وهموا بقتلهم؛ فنزلت. أي: اتق الله في نقض العهد ونيل المواقعة، ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك. ورؤي: أن أهل مكة دعوا رسول الله ﷺ إلى أن يرجع عن دينه ويُعطوه شطر أموالهم، وأن يزوجه

قوله: (ولا مشورة)، الجوهرى: المشورة: الشورى، وكذلك المشورة بضم الشين، تقول منه: شاورته واستشرته بمعنى.

قوله: (على النفاق)، حال، أي: والحال أن قلوبهم منطوية على النفاق. والفاء في «فكان»<sup>(١)</sup> يلين جواب «لما».

قوله: (في المواقعة)، الجوهرى: المواقعة: المصالحة، والتوادع: التصالح.

(١) سقط لفظ: «فكان» من (ط).



شبهة بن ربيعة بنته، وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع؛ فنزلت. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالصواب من الخطأ، والمصلحة من المفسدة، ﴿حَكِيمًا﴾ لا يفعل شيئاً ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة. ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ الذي يوحى إليك خبيرٌ ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فمُوحٍ إليك ما تصلح به أعمالكم، فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة. وقرئ: (يعملون) بالياء، أي: بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وأسند أمرك إليه وكله إلى تدبيره. ﴿وَكَيْلًا﴾: حافظاً موكولاً إليه كل أمر.

[﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ أَلْسِنَى تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أَمْتَهُنَّ كَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ \* أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ٤-٥]

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾: ما جمع الله قلبين في جوف، ولا زوجية وأمومة في امرأة، ولا بُنوة ودعوة في رجل. والمعنى: أن الله سبحانه كما لم ير في حكمته أن يجعل للإنسان

قوله: (وقرئ: «يعملون» بالياء)، أبو عمرو، والباقون بالتاء القوقانية<sup>(١)</sup>.

قوله: (ودعوة)، النهاية: الدعوة في النسب: بالكسر، وهو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته. وكانوا يفعلونه فنهى عنه، وجعل الولد للفراش<sup>(٢)</sup>.

(١) وحجتهم أن افتتاح الآية جرى بلفظ المخاطبة للنبي ﷺ، ولا شك أن من بحضرة من المسلمين داخلون معه فيما أمر به من أمر الله ونهى عنه في هذه الآية، فهم حينئذ مخاطبون معه بما خاطب به من أمر الله ونهى. والحجة لأبي عمرو في القراءة بالياء أنه قرّب من ذكر الكافرين والمنافقين، فختم الآية بالخبر عنهم إذ كان ذلك في سياقه عنهم. انتهى من «حجّة القراءات» ص ٥٧٠.

(٢) وهو مستفاد من قوله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» أخرجه البخاري (٦٧٥٠) ومسلم (١٤٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَلْبَيْنِ؛ لَأنه لا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَفْعَلَ بِأَحَدِهِمَا مِثْلَ مَا يَفْعَلُ بِالْآخَرِ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ؛ فَأَحَدُهُمَا فَضْلَةٌ غَيْرُ مُتَحَاجٍ إِلَيْهَا، وَإِمَّا أَنْ يَفْعَلَ بِهَذَا غَيْرَ مَا يَفْعَلُ بِذَلِكَ؛ فَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى اتِّصَافِ الْجُمْلَةِ بِكَوْنِهِ مُرِيدًا كَارِهًا، عَالِمًا ظَانًّا، مَوْفِقًا شَاكًّا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ - لَمْ يَرَّ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ الْوَاحِدَةُ أُمَّا لِرَجُلٍ زَوْجًا لَهُ؛ لِأَنَّ الْأُمَّ مَخْدُومَةٌ مَخْفُوضٌ لَهَا جَنَاحُ الذَّلِّ، وَالزَّوْجَةُ مُسْتَحْدَمَةٌ مُتَصَرِّفٌ فِيهَا بِالِاسْتِفْرَاشِ وَغَيْرِهِ كَالْمَمْلُوكَةِ، وَهِيَ حَالَتَانِ مُتَنَافِيتَانِ؛ وَأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ الْوَاحِدَ دَعِيًّا لِرَجُلٍ وَابْنًا لَهُ؛ لِأَنَّ الْبَنُوَّةَ أَصَالَةٌ فِي النَّسَبِ وَعَرَاقَةٌ فِيهِ، وَالِدْعُوقَةُ: الْإِصَاقُ عَارِضٌ بِالتَّسْمِيَةِ لِغَيْرِ، وَلَا يَجْتَمِعُ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ أَنْ يَكُونَ أَصِيلًا غَيْرَ أَصِيلٍ، وَهَذَا مِثْلُ صَرَبَةِ اللَّهِ فِي زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ سُبِّيَ صَغِيرًا، وَكَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا يَتَغَاوَرُونَ وَيَتَسَابَوْنَ، فَاشْتَرَاهُ حَكِيمُ بْنُ

قَوْلُهُ: (فِي زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ)، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ، ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الاسْتِيعَابِ»: هُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ شُرَاحِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ عَابِدِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ عَبْدِ بْنِ وَدَّ بْنِ أَمْرِ الْقَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عُدْرَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ اللَّاتِ بْنِ رُفَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبِ بْنِ وَبْرَةَ<sup>(١)</sup>. قَدْ أَصَابَهُ سُبِّيٌّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاشْتَرَاهُ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ لِحَدِيحَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ فَوَهَبَتْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَتَبَّأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ النَّبُوَّةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ سِنِينَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْبَرُ مِنْهُ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَقِيلَ: بِعِشْرِينَ سَنَةً. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: مَا كُنَّا نَدْعُو زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ﴾. عَنِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَأَهْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] <sup>(٢)</sup>.

(١) وقد اختصر الإمام الطيبي شيئًا من سياقه نسب زيد بن حارثة كما وردت في «الاستيعاب» (٢):

حِزَامَ لِعَمَّتِهِ خَدِيجَةَ، فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهَبَتْهُ لَهُ، وَطَلَبَهُ أَبُوهُ وَعَمُّهُ، فَخَيْرٌ، فَاخْتَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْتَقَهُ. وَكَانُوا يَقُولُونَ: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

قَوْلُهُ: (وَطَلَبَهُ أَبُوهُ وَعَمُّهُ، فَخَيْرٌ، فَاخْتَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)، وَفِي «الاستيعاب»: حَجَّ نَاسٌ مِنْ كَلْبٍ فَرَأَوْا زَيْدًا فَعَرَفَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: أَيْلِغُوا أَهْلِي هَذِهِ الْآيَاتِ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ جَزِعُوا عَلَيَّ فَقَالَ:

أَحْسَنُ إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِبًا  
فَلَمَّا قَعِمْتُ الْبَيْتَ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ  
فَكَفُّوا مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي قَدْ شَجَاكُمْ  
وَلَا تُعْمِلُوا فِي الْأَرْضِ نَصَّ الْأَبَاعِرِ  
فَلَمَّا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ أُسْرَةٍ  
كِرَامٍ مَعَدَّةً كَابِرًا بَعْدَ كَابِرٍ<sup>(١)</sup>

النص - بالصاد المهملة -: السير الشديد. كابرأ بعد كابر؛ أي: كبيراً عن كبير.

فَانطَلَقَ الْكَلْبِيُّونَ فَأَعْلَمُوا أَبَاهُ، فَمَخَّرَجَ حَارِثَةَ وَكَتَبُ ابْنَا شُرَاحِيلَ لِفَدَائِهِ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، يَا ابْنَ هَاشِمِ، يَا ابْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْحَرَمِ وَجِرَائِهِ، تَفْكُونُ الْعَانِي وَتُطْعَمُونَ الْأَسِيرَ، جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ فَاْمَنْنُ عَلَيْنَا وَأَحْسِنُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ادْعُوهُ، فَإِنْ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيَّ مِنْ اخْتَارَنِي أَحَدًا، فَدَعَاهُ فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ هَذَا عَمِّي وَهَذَا أَبِي، قَالَ: فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَرَأَيْتَ صُحْبَتِي فَاخْتَرَنِي أَوْ اخْتَرْتُهُمَا، فَقَالَ زَيْدٌ: مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْكَ أَحَدًا، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا زَيْدُ! اخْتَارَ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحَرِيَّةِ وَعَلَى أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْهِ أَبَدًا، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [ذَلِكَ] أَخْرَجَهُ إِلَى الْحِجْرِ<sup>(٢)</sup> فَقَالَ: يَا مَنْ حَضَرَ، اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي يَرْتُنِي وَأَرْتُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ طَابَتِ نَفْسُهُمَا فَاَنْصَرَفَا، وَدُعِيَ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَتَزَلَّتْ: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾، فَدُعِيَ يَوْمئِذٍ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ<sup>(٣)</sup>.

(١) «الاستيعاب» (٢: ٥٤٤).

(٢) في (ط): «الحجرة» بالطاء، وليس بشيء.

(٣) «الاستيعاب» (٢: ٥٤٥).

هذه الآية، وقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقيل: كان أبو معمر رجلاً من أحفاد العرب وأزواهم، فقيل له: ذو القلبين. وقيل: هو جميل بن أسد الفهري، وكان يقول: إن لي قلبين أفهمُ بأحدهما أكثر مما يفهمُ محمد، فرُوي أنه انهزم يوم بدر، فمرَّ بأبي سفيان وهو مُعلّق إحدى نعلَيْه بيده والأخرى في رجله. فقال له: ما فعلَ الناس؟ فقال: هم ما بين مقتولٍ وهارب. فقال له: ما بال إحدى نعلَيْك في رجلك والأخرى في يدك؟ فقال: ما ظننتُ إلا أنها في رجلِي، فأكذَبَ اللهُ قوله وقولهم، وضربَه مثلاً في الظَّهار والتبني. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان

قوله: (وأزواهم)، وهو من الرواية، أي: أكثرهم رواية.

قوله: (فأكذَبَ اللهُ قوله وقولهم وضربَه مثلاً في الظَّهار والتبني)، أي: قول جميل: إن لي قلبين، وقول من وافقه من العرب، ويشهد ما رواه محيي السنة عن الزُّهري ومقاتل: هذا مثل ضربَه اللهُ عزَّ وجلَّ للمُظَاهِر من امرأته وللمُتَّبِعِي وكَدَّغِرِه يقول: فكما لا يكونُ لرجل قلبان، كذلك لا تكونُ امرأةُ المَظَاهِر أُمَّه، ولا يكونُ أحدُ ابنِ رجلين<sup>(١)</sup>. وإنا قلنا: إن المراد بقولهم ما وافقه فيه؛ لما قال محيي السنة: فعَلِمُوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نَسِيَ نَعْلَه في يده.

وقال الزجاج: رُوي أن عبد الله بن حنظل قال: إن لي قلبين، أفهمُ بكُلِّ واحدٍ منها أكثر مما يعقلُ محمد، فأكذَبَهُ اللهُ تعالى فقال: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ثم قرن بهذا الكلام ما يقوله المُشْرِكُونَ بما لا حقيقة له<sup>(٢)</sup>.

وقلت: فعلى هذا المذكوراتُ الثلاثُ بجمليتها مثل فيما لا حقيقة له، ثم دَيَّلَ الكُلُّ بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾.

وقال صاحبُ «الانتصاف»: وأسَدُ ما ذَكَرَ فيه: أنهم كانوا يَدَّعُونَ لابنِ الحنظلِ قلبين،

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٣١٦).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢١٣-٢١٤).

المنافقون يقولون: لمحمد قلبان، فأكذبهم الله. وقيل: سها في صلاته، فقالت اليهود: له قلبان: قلب مع أصحابه، وقلب معكم. وعن الحسن: نزلت في أن الواحد يقول: نفس تأمرني ونفس تنهاني. والتشكير في «رجل»، وإدخال «من» الاستغرافية على ﴿قَلْبَيْنِ﴾ تأكيداً لما قصد من المعنى، كأنه قال: ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه. فإن قلت: أي فائدة في ذكر الجوف؟ قلت: الفائدة فيه

فنفى الله صحة ذلك، وقرنه بأقوابهم الباطلة وهي جعلهم الأدياء أبناء، والزوجات أمهات، ففي الأول لزم قيام أحد المعنيين بالآخر كالعلم والجهل، والامن والخوف، وأما الثاني فالزوجة في مقام الامتنان، والأُم في مقام الإكرام، وأما الثالث فإن البتة أصالة والدعوة علامة عارضة، فالكل مُتَنَافٍ<sup>(١)</sup>.

قال القاضي: ما جعل قلبين في جوف؛ لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الإنساني أولاً، ومنبع القوى بأشهرها، وذلك يمنع التعدد<sup>(٢)</sup>؛ لأدائه إلى تناقض، وهو أن يكون كل منها أصلاً لكل القوى، وغير أصل.

قوله: (فقالت اليهود: له قلبان)، روينا عن الإمام أحمد بن حنبل والترمذي عن ابن عباس: قيل له: ما عني الله تعالى بقوله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾. قال: قام النبي ﷺ يوماً يصلي فخطرت خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون<sup>(٣)</sup> أن له قلبين: قلباً معكم وقلباً معهم؛ فتركت<sup>(٤)</sup>.

قوله: (ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة)، لعله ذهب إلى أن الأصل: ما جعل الله لأحد من الرجال قلبين في جوفه فقوله: لرجل وُضِعَ موضع أحد بوساطة التشكير، وقدر لأمة من الرجال باستعانة «من» الاستغرافية نحو قوله تعالى: ﴿لَسْتَ نَكَّاحٌ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

(١) «الاتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٢٠).

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٢٤).

(٣) في الأصول الخطية: «تري»، والمثبت من «مسند أحمد».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤١٠)، والترمذي (٣١٩٩)، وقال: هذا حديث حسن.

كالفائدة في قوله: ﴿الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]؛ وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصوُّر والتجلي للمدلول عليه؛ لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين، فكان أسرع إلى الإنكار.

قُرئ: (اللاي)، بياء وهمزة مكسورتين، و﴿الَّتِي﴾ بياء ساكنة بعد الهمزة. و﴿تُظْهِرُونَ﴾ مِن: ظاهر، و(تَظَاهَرُونَ) من: اظَّاهِر، بمعنى: تظاهر، و(تَظَهَّرُونَ)

قوله: (قُرئ: «اللاي»)، قالون، وقُبل: «اللاء» بالهمز من غير ياء، ووَزَّش: بياء مُخْتَلَسَةً خلفاً من الهمزة في الحالين، والباقون: بالهمزة وياء بعدها في الحالين<sup>(١)</sup> قال أبو البقاء اللاتي: جمع «التي»، والأصل إثبات الياء، ويجوزُ حذفها اجتزاءً بالكسرة، ويجوزُ تليين الهمزة وقلبها ياء<sup>(٢)</sup>.

قوله: (﴿تُظْهِرُونَ﴾ مِن: ظاهر)، عاصم: ﴿تُظْهِرُونَ﴾ بضم التاء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء، وابنُ عامرٍ: بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف، أما «يُظْهِرُونَ» فالأصل: يتظهِرون، فأدغم التاء في الظاء، و«تَظَاهَرُونَ» بفتح التاء والتخفيف، فالأصل: تتظَاهَرُونَ، فحذفت إحدى التاءين، و«تَظَاهَرُونَ» بتشديد الظاء وإدغام التاء الثانية في الظاء كلها لغات<sup>(٣)</sup>.

الراغب: الظهْرُ: الجارحة، وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَإِنَّ الظَّهْرَ بِهَا هَانَا تَشْبِيهَا<sup>(٤)</sup> لِلذُّنُوبِ بِالْحِمْلِ الَّذِي يَنْوُءُ بِحَامِلِهِ<sup>(٥)</sup>، واستعيرَ لظاهر الأرض وقيل: ظهْرُ الأرض وبطنها، ويُعبَّرُ عن المركوبِ بالظَّهْر، ويُستعارُ لمن يُتَّقَى به، وبعيرٌ ظهريٌّ: قويٌّ بينُ الظَّهارة، والظَّهريُّ: ما تجعله بظَهْرِكَ فتنساه، وظهر عليه: غلبه، وظاهرته: عاونه، وظهر

(١) ولتمام الفائدة انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٧١.

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥١).

(٣) وهي مأخوذة من لفظ «الظهر». انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٧٢.

(٤) كذا في النسخ الخطية. وإنما وقع كذلك لأن الإمام الطيبي حذف عامل النصب فيه على ما سيأتي بيانه.

(٥) عبارة الراغب في «المفردات»: والظَّهْرُ هَاهُنَا استعارةٌ تشبِيهاً للذُّنُوبِ بِالْحِمْلِ... إلخ.

من: اظْهَرَ، بمعنى: تظَهَّرَ، و(تُظَهَّرُونَ) من: ظَهَّرَ، بمعنى: ظاهر، كعقَدَ بمعنى: عقدَ. و(تُظَهَّرُونَ) من: ظَهَّرَ، بلفظ: فَعَّلَ، من الظُّهْر. ومعنى «ظَاهِرٌ مِنْ امْرَأَتِهِ»: قال هذا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي. ونحوه في العبارة عن اللفظ: لَبِي الْمُحْرِمِ؛ إذا قال: لَبَيْكَ، وَأَفَفَ الرَّجُلُ؛ إذا قال: أَفٌّ، وَأَخَوَاتُ لَهْنٍ. فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا وَجْهُ تَعْدِيتهِ وَأَخَوَاتِهِ بِ«مِنْ»؟ قُلْتَ: كَانَ الظَّهَارُ طَلَاقًا عِنْدَ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ، فَكَانُوا يَتَجَنَّبُونَ المَرَأَةَ المَظَاهِرَ مِنْهَا كَمَا يَتَجَنَّبُونَ المَطْلُوقَةَ، فَكَانَ قَوْلُهُمْ: تَظَاهَرَ مِنْهَا: تَبَاعَدَ مِنْهَا بِجِهَةِ الظَّهَارِ، وَتَظَهَّرَ مِنْهَا: تَحَرَّرَ مِنْهَا، وَظَاهَرَ مِنْهَا: حَادَرَ مِنْهَا، وَظَهَّرَ مِنْهَا: وَحَّشَ مِنْهَا، وَظَهَّرَ مِنْهَا: خَلَصَ مِنْهَا. وَنَظِيرُهُ: آلى مِنْ امْرَأَتِهِ، لَمَّا ضُمِّنَ مَعْنَى التَّبَاعُدِ مِنْهَا عُدِّي بِ«مِنْ»، وَ«آلى» فِي أَصْلِهِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى: حَلَفَ وَأَقْسَمَ، لَيْسَ هَذَا بِحُكْمِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي؟ قُلْتَ: أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا: أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ كَبَطْنِ أُمِّي، فَكَتَبُوا عَنِ البَطْنِ بِالظَّهَرِ؛ لِئَلَّا يَذْكُرُوا البَطْنَ الَّذِي ذَكَرَهُ بِقَارِبِ ذِكْرِ الفَرَجِ، وَإِنَّمَا جَعَلُوا الكِنَايَةَ عَنِ البَطْنِ بِالظَّهَرِ؛ لِأَنَّهُ عَمُودُ البَطْنِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يَجِيءُ بِهِ أَحَدُهُمْ عَلَى عَمُودِ بَطْنِهِ». أَرَادَ: عَلَى ظَهْرِهِ. وَوَجْهُ آخَرُ؛ وَهُوَ أَنَّ إِيَّانَ المَرَأَةَ

الشَّيْءُ أَضْلُهُ: أَنْ يَحْضُلَّ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ، وَبَطْنٌ إِذَا حَصَلَ فِي بُطْنَانِ الأَرْضِ فَيَخْفَى، ثُمَّ صَارَ مُسْتَعْمَلًا لِكُلِّ بَارِزٍ لِلْبَصْرِ وَالبَصِيرَةِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يَجِيءُ [بِهِ] أَحَدُهُمْ»)، أَي: يَجِيءُ بِالعَلَّةِ أَحَدُ التُّجَّارِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَأَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَتَتَلَقَّوْهُمْ تَشْتَرُونَهَا مِنْهُمْ أَرْخَصَ مِنْ سِعْرِ البَلَدِ. ذَكَرَ فِي «المُعْرَبِ»<sup>(٢)</sup>: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَيُّهَا جَالِبُ جَلَبٍ عَلَى عَمُودِ بَطْنِهِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُ آتَى شَاءَ وَمَتَى شَاءَ»، يَعْنِي الظَّهَرَ؛ لِأَنَّهُ قِوَامُ البَطْنِ وَمِسَاكُهُ. وَعَنِ اللَّيْثِ: هُوَ عَرَقٌ يَمْتَدُّ مِنَ الرُّهَابَةِ إِلَى السَّرَّةِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هَذَا مَثَلٌ وَالمَرَادُ أَنَّهُ يَأْتِي بِهِ فِي تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لِأَنَّهُ يَحْمِلُهُ عَلَى

(١) «مفردات القرآن» ص ٥٤٠-٥٤١.

(٢) «المُعْرَبُ فِي تَرْتِيبِ المُعْرَبِ» (٢: ٨١-٨٢). وَحَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «المَوْطَأِ»

(٢: ٦٥١) وَابْنُ سَبَّهٍ فِي «تَارِيخِ المَدِينَةِ» (٢: ٧٤٨) وَالبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ الكَبْرَى» (٦: ٥٠).

وظهرها إلى السماء كان محرماً عندهم محظوراً، وكان أهل المدينة يقولون: إذا أتيت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أخوآل، فلقصيد المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه، شبهها بالظهر، ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهراً أمه فلم يترك. فإن قلت: الدعي: فعيل بمعنى: مفعول، وهو الذي يدعى ولدآ، فما له جمع على أفعلاء، وبأبه: ما كان منه بمعنى فاعل، ككتفي وأتقياء، وشقي وأشقياء، ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي؟ قلت: إن شذوذَه عن القياس كشذوذ قُتلاء وأسراء، والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي. ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ النسب هو ﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: هذا انبي لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقاً. ﴿وَاللَّهُ﴾ عز وجل لا يقول إلا ما هو حق ظاهره وباطنه، ولا يهدي إلا سبيل الحق، ثم قال ما هو الحق، وهدى إلى ما هو سبيل

الظهر أو على هذا العرق. والرّهابة: عظم في الصدر مُشرف على البطن كأنه لسان الكلب. قوله: (فلم يترك)، المغرب: في حديث علي رضي الله عنه: «من أوصى بالثلث فما أترك» وهو من قولهم: فعل فما أترك<sup>(١)</sup>، هو افتعل من الترك، غير معدى إلى مفعول، أي: من أوصى بالثلث لم يترك مما أذن له فيه شيئاً. المعنى<sup>(٢)</sup>: فلم يترك شيئاً من المبالغة في التحريم إلا ذكره، فهو من باب التميم.

قوله: (الدعي: فعيل بمعنى: مفعول)، قال صاحب «المطلع»: «إن قيل: فإذا كان فعلاً بمعنى مفعول، فما له جمع على أفعلاء، وهو جمع فعيل بمعنى: فاعل، ككتفي وأتقياء وشقي وأشقياء؟ قلنا: هو شاذ عن القياس كقتلاء وأسراء؛ جمع قتل وأسير، وطريقه تشاكلها لفظاً، يعني: شبه فعيل بمعنى مفعول، بفعيل بمعنى فاعل، فجمع كما جمع.

قوله: (لا يقول إلا ما هو حق ولا يهدي إلا سبيل الحق)، أما دلالة ﴿وَهُوَ﴾<sup>(٣)</sup> يهدي السبيل ﴿على الحصر فظاهراً؛ لأنه على منوال: أنا عرفت، لكن دلالة: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾

(١) قوله: «من قولهم: فعل فما أترك» سقط من (ط) وهو على الجادة في «المغرب».

(٢) «المغرب في ترتيب المغرب» (١: ١٠٣-١٠٤).

(٣) في الأصول الخطية: «فهو»، والمثبت لفظ الآية الكريمة.



الحق، وهو قوله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾، وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسطِ والعَدْل. وفي فَضْل هذه الجُمْلِ ووضليها من الحُسْنِ والفَصَاحَةِ ما لا يَغْبِي على عالم بطرُق النَّظْمِ. وقرأ قتادة: (وهو الذي يَهْدِي السَّبِيل). وقيل: كان الرَّجُلُ في

على الحصرِ فإنَّ عنده مثل هذا التركيبِ مُفيدٌ للتخصيصِ، كما مرَّ في قوله ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٦] وأمثاله (١).

قوله: (وفي فَضْلِ هذه الجُمْلِ ووضليها من الحُسْنِ والفَصَاحَةِ ما لا يَغْبِي (٢) على عالمِ بطريق (٣) النَّظْمِ)، يعني: في إخلاءِ العاطفِ وتوسطِهِ بين الجُمْلِ من مُفْتَسِحِ السُّورَةِ إلى هاهنا موضعُ تأملٍ. وبيانه: أن الأوامرِ والنهيَ في قوله: ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾، ﴿وَاتَّبِعْ﴾، ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: واردةٌ على نَسَقٍ عَجِيبٍ وترتيبٍ أُنِيقٍ؛ فإنَّ الاستهلالَ بقوله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ دالٌّ على أن الخطابَ مُشْتَمِلٌ على التنبيةِ على أمرٍ مَعْنِي بِشأنه لائح فيه معنى التهيجِ والإلهابِ، ومن ثمَّ عَطَفَ عليه: ﴿وَلَا تُطِيعْ﴾ كما يُعْطَفُ الخاصُّ على العامِّ، وأزْدَفَ النَّهْيَ بالأمرِ على نحوِ قولك: لا تُطِيعْ مَنْ يَخْذُلُكَ وَاتَّبِعْ ناصِرَكَ، ولا يبعُدُ أن يُسْمَى بالطرودِ والعكس. ثمَّ أمرٌ بالتوكُّلِ تشجيعاً على مخالفةِ أعداءِ الدينِ، والتجاءً إلى حريمِ جلالِ الله ليكفيهِ شرورهم، ثمَّ عَقَبَ كلاً من تلك الأوامرِ على سبيلِ التتميمِ والتذليلِ بما يُطابِقُهُ، وعَلَّلَ قوله: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ تتميماً للارتدادِ؛ أي: اتَّقِ اللَّهَ فيما تأتي وتذُرُّ في سِرِّكَ وعلانيتك؛ لأنه عَلِيمٌ بالأحوالِ كُلِّها يجبُ أن تحذَرَ مِنْ سَخَطِهِ، حَكِيمٌ لا يُحِبُّ مُتَابَعَةَ حبيبهِ أعداءه، وعَلَّلَ قوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَهْتَمُّونَ خَيْرًا﴾ تتميماً أيضاً؛ أي: اتَّبِعِ الحَقَّ ولا تَتَّبِعْ أهواءهم الباطلةِ وآراءهم الزائغة؛ لأنَّ الله يَعْلَمُ عَمَلَكَ وَعَمَلَهُمْ فَيُكَافِيهِ كُلاً بما يَسْتَحِقُّهُ.

وَدَيْلٌ قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ بقوله ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ تفسيراً وتوكيداً على

(١) انظر: «الكشاف» (٨: ٥٠٨) وعبارته ثمة: أي: الله وحده هو يبسط الرزق ويُقدِّره دون غيره.

(٢) في (ف): «يَغْنَى» بالعين والنون، والجادة ما أثبتناه، وهو بمعنى: يَغْنَى، وزناً ومعنى. انظر: «أساس البلاغة» (غبي).

(٣) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «بطرق».

الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمّه إلى نفسه، وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه، وكان ينسب إليه فيقال: فلان بن فلان. ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا﴾ لهم آباء تنسبونهم إليهم ﴿فد﴾ هم ﴿إخوانكم في الدين﴾ وأولياؤكم في الدين، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، ويا أخي، ويا مولاي، يريد الأخوة في الدين والولاية فيه. ﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾ في محل الجر عطفاً على «ما أخطأتم»، ويجوز أن يكون مرتفعاً على

منوال: فلان ينطق بالحق والحق أبلج، يعني: من حق من يكون كافياً لكل الأمور، حسيباً في جميع ما يرجع إليه أن تفوض الأمور إليه وتوكل عليه، وفصل قوله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِلرَّجُلِ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ على سبيل الاستناف تنبيهاً على بعض من أباطيلهم وتمحلّاتهم، وقوله: ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ فذلّة لتلك الأقوال آذنت بآتها جدية بأن يحكم عليها بالبطلان، وحقيق بأن يذم قائلها فضلاً عن أن يطاع.

ثم وصل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ على هذه الفذلة بجامع التضاد على منوال ما سبق في المجل في ﴿وَلَا تَطِيعُ﴾ و﴿وَأَتَّبِعُ﴾، وفصل قوله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وقوله ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وهلمّ جرّاً إلى آخر السورة تفصيلاً لقول الحق والاهتداء إلى السبيل القويم، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾، نسألك اللهم التوفيق للقول بالساد، والهداية لسبيل الرشاد.

قوله: (جلد الرجل وظرفه)، الجلد والجلادة: الصلابة، والجليد: ضد البليد، قال أبو بكر الخوارزمي:

عدوى البليد إلى الجليد سريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد<sup>(١)</sup>

الظرف: الكياسة وحسن التأني<sup>(٢)</sup> في الأمور.

الأساس: فيه ظرف وظرافة، أي: كئيس وذكاء، وقد ظرف فهو ظرف.

قوله: ﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾ في محل الجر عطفاً على «ما أخطأتم» وقيل: هذا ضعيف؛ لأن

(١) ذكره الثعالبي في ترجمته من «يتيمة الدهر» (٤: ٢٧٥) وقبّله:

لا تضحّب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد آخر يفسد

(٢) كذا في الأصول الخطية، وله وجه صحيح، ولعل الصواب: «التأني»، فإنه أقرب للمراد.

الابتداء، والخبرُ محذوفٌ تقديرُه: ولكن ما تعمَّدت قلوبُكم فيه الجناح، والمعنى: لا إثمَ عليكم فيما فعلتموه من ذلك مُحْطِئِينَ جاهِلِينَ قَبْلَ وُرُودِ النَّهْيِ، ولكنَّ الإثمَ فيما تعمَّدتموه بعد النَّهْيِ، أو: لا إثمَ عليكم إذا قلتُم لوليد غيركم: يا بُنَيَّ، على سبيل الخطأ وسَبَقِ اللُّسَانِ، ولكن إذا قلتُموه متعمِّدين. ويجوزُ أن يُرادَ العفوُ عن الخطأ دونَ العَمْدِ على طريقِ العموم، كقوله عليه الصلاة والسلام: «ما أخشى عليكم الخطأ، ولكن أخشى عليكم العَمْدَ»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «وُضِعَ عن أمتي الخطأ والنسيانُ

المعطوفَ المجرورَ لا يُفصلُ بينَه وبينَ ما عطفَ عليه، واستدلَّ سيبويه بقولهم: «ما مثلُ عبدِ الله يقولُ ذلك ولا أخيه» على أن المُضَافَ محذوفٌ، وأقيمَ المُضَافُ إليه على إعرابه، إذ لا يجوزُ أن يُعطفَ «أخيه» على «عبدِ الله» للفصل المذكور<sup>(١)</sup>. وأجيبَ بأنَّ لا فَضْلَ، لأنَّ المعطوفَ الموصولَ مع الصِّلةِ على مثله وهو «ما أخطأتم».

قوله: (على طريقِ العموم)، وعلى الأول: الخطأ والعَمْدُ مختَصَّانِ بفِعْلِ التَّبَيُّنِ، فالجُمْلَةُ عَطْفٌ على ﴿أَدْعُوهُمْ﴾ بالتأوُّلِ؛ جمعُ بينَ الأمرِ الذي يَلْزَمُ الجناحَ في التفریطِ فيه قَبْلَ وُرُودِ النَّهْيِ، وبينَ رَفْعِ الجناحِ فيما وَقَعَ فيه التفریطُ، أي: ادعُوهم لأبائهم هو أَقْسَطُ لكم ولا تَدْعُوهم لأنفُسِكُم مُتعمِّدين، فتأثموا. وإليه الإشارةُ بقوله: «لا إثمَ عليكم فيما فعلتموه من ذلك مُحْطِئِينَ»، وعلى الثاني: الجُمْلَةُ مُستطرَدَةٌ على طريقِ كُلِّيٍّ ويدخلُ فيه هذا الحكمُ وما يُشاكلُه.

قوله: (وُضِعَ عن أمتي الخطأ)، الحديث رواه ابنُ ماجه عن ابنِ عباس<sup>(٢)</sup>. ورُوي عن

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١: ٦٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥) والدارقطني في «السنن» (٤: ١٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧: ٣٥٦) وصححه الحاكم في «المستدرک» (٢: ١٩٨) وابن حبان (٧٢١٩) وتصحيحُه غيرُ مسلمٍ به عند نقادِ الحديث. قال الحافظ ابنُ رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (٢: ٣٦١): وهذا إسنادٌ صحيحٌ في ظاهرِ الأمرِ، ورواؤه كلهم مُحتجٌّ بهم في «الصحاحين»، وقد خرَّجه الحاكم، وقال: صحيحٌ على شرطها، كذا قال، ولكن له عِلَّةٌ، وقد أنكره الإمام أحمدٌ جداً - يعني: في «العلل» (١: ٢٢٧) - وقال: ليس يُروى فيه إلا عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلًا. انتهى. وقد استقصى الحافظ ابن رجب طرقَ الحديث وكشفَ عن عِلَّلِها، فأوفى على الغايةِ في ذلك، فانظرُه فإنه مُفيدٌ نافعٌ مُحرَّرٌ.

وما أكرهوا عليه»، ثم تناوَل - لعمومه - حَطّاً التَّبَنِّيَ وعمدَه. فإن قلت: فإذا وُجِدَ التَّبَنِّيُّ فما حُكْمُهُ؟ قلتُ: إذا كان المتبني مجهول النسب، وأصغر سنّاً من المتبني: ثبت نسبه منه، وإن كان عبداً له: عتق مع ثبوت النسب، وإن كان لا يولد مثله لمثله: لم يثبت النسب، ولكنه يعتق عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وعند صاحبيه: لا يعتق. وأما المعروف النسب: فلا يثبت نسبه بالتبني، وإن كان عبداً: عتق. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العايد.

[﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ مِنْ بَعْضِهِمْ أُولَىٰ﴾ يَبْعَثُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾]

﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ في كل شيء من أمور الدين والدنيا ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ ولهذا أطلق ولم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه أثر لدينهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبدلوا دونه، ويجعلوها فداءه إذا أعزل خطب، ووقاءه إذا لقيت حرب،

أبي ذر: «الله تجاوز عن أمي»<sup>(١)</sup>.

قوله: (إِذَا كَانَ الْمُتَّبَنَّى مَجْهُولَ النَّسَبِ)، إلى آخره. قال القاضي: اعلم أن التَّبَنِّيَّ لا عبْرَة به عندنا، وعند أبي حنيفة: يوجب عتق تملوكه، ويثبت النسب بمجهوله الذي يمكن إلحاقه به<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وَوِقَاةَهُ إِذَا لَقِيتَ)، الوِقَاية: ما وقيت به الشيء. ولقحت: إذا اشتدت. قال:

قرباً مزبسط النعامه مني      لقيت حرباً وائل عن جبال<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣).

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٢٥).

(٣) البيهقي للحارث بن عباد. سبق تخريجه.

قلت: النعامه: فرس الحارث، وكان قد اعتزل الحرب بين بكرٍ وتغلب.

وَأَنْ لَا يَتَّبِعُوا مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ، وَلَا مَا تَصْرِفُهُمْ عَنْهُ، وَيَتَّبِعُوا كُلَّ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَرَفَهُمْ عَنْهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا دَعَا إِلَيْهِ فَهُوَ إِرْشَادٌ لَهُمْ إِلَى نَيْلِ النِّجَاةِ وَالظَّفَرِ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَمَا صَرَفَهُمْ عَنْهُ فَأَخَذَ بِحُجَزِهِمْ؛ لِثَلَا يَتَهَاقَتُوا فِيهَا يَرْمِي بِهِمْ إِلَى الشَّقَاوَةِ وَعَذَابِ النَّارِ. أَوْ: هُوَ أَوْلَى بِهِمْ، عَلَى مَعْنَى: أَنَّهُ أَرَأَفُ بِهِمْ وَأَعْطَفُ عَلَيْهِمْ وَأَنْفَعُ لَهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ وَرَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

أي: بعد حِيَال.

قوله: (فَأَخَذَ بِحُجَزِهِمْ؛ لِثَلَا يَتَهَاقَتُوا)، وفي بعض النُّسخ: «فأخذه». هذا مُقْتَبَسٌ مِنْ حَدِيثِ زَوَاهِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدُّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ تَقَعُ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبُنَّهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي، وَتَقْتَحِمُونَ فِيهَا»<sup>(١)</sup>.

الاقْتِحَامُ فِي الشَّيْءِ: إِقَاءُ النَّفْسِ فِيهِ بَرَغْبَةً وَإِثَارًا، وَالْحُجَزُ: جَمْعُ حُجَزَةٍ وَهِيَ مَعْقِدُ الْإِزَارِ، وَحُجَزَةُ السَّرَاوِيلِ مَعْرُوفَةٌ، وَهَتَفَ الشَّيْءُ هُتَافًا<sup>(٢)</sup>: تَطَايَرَ لِحْفَتِهِ.

وَرُوي: «مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابِعُوا فِي الْكُذْبِ كَمَا يَتَابِعُ الْفَرَاشُ فِي النَّارِ وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ»<sup>(٣)</sup>، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٨٣) وَمُسْلِمٌ (٢٢٨٤) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٨٧٤).

(٢) كَذَا فِي النُّسخِ الْخَطِيئَةِ. وَالصَّوَابُ: هَتَفَتْ، بِتَقْدِيمِ الْفَاءِ، وَهُوَ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ كَلَامُ الزَّمْخَشَرِيِّ. وَقَالَ فِي «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ» (هَفَّتْ): تَهَافَتَ الْفَرَاشُ فِي النَّارِ: تَسَاقَطَ مُتَابِعًا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢٧٥٧٠) وَالتُّرْبَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٢٤: ٤٢٢)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصِّمْتِ» (٤٩٩) وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ لضعيفِ شهر بن حوشب. وَانظُرْ تَمَامَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ فِي التَّعْلِيقِ عَلَى «مُسْنَدِ أَحْمَدِ».

وعن النبي ﷺ: «ما من مؤمنٍ إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، فأبياً مؤمنٍ هلك وترك مالا فليتره عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ». وفي قراءة ابن مسعود: (النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبُّ لهم). وقال مجاهد: كلُّ نبيٍّ فهو أبو أمته، ولذلك صار المؤمنون إخوة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أبوهم في الدين. ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ تشبيهٌ لهنَّ بالأمهات في بعض الأحكام؛ وهو وجوبُ تعظيمهنَّ واحترامهنَّ، وتحريمُ نكاحهنَّ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] وهنَّ فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات؛ ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: لسننا أمهات النساء. تعني أنهنَّ إنما كنَّ أمهات الرجال؛ لكونهنَّ محرَّماتٍ عليهم كتحریم أمهاتهم. والدليل على ذلك: أن هذا التحريم لم يتعدَّ إلى بناتهنَّ، وكذلك لم يثبت لهنَّ سائرُ أحكامِ الأمهات. كان المسلمون في صدرِ الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة،

قوله: (ما من مؤمنٍ إلا أنا أولى به)، الحديث من رواية أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه والدارمي عن أبي هريرة<sup>(١)</sup>: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمنٍ إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وأبياً مؤمنٍ ترك مالا فليتره عصبته من كان، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ أنا مولاه»<sup>(٢)</sup>.

ضياعاً: مَصْدَرٌ وصفٍ لمحدوفٍ، أي: عيالاً ضياعاً. النهاية: ضاع يضيع ضياعاً، فسَمِيَ الْعِيَالُ بِالْمَصْدَرِ، وإن رُوِيَ بِكسْرِ الضادِ فيكونُ جَمْعَ ضَائِعٍ، كجائعٍ وجياعٍ. قوله: (وهو أبُّ لهم)، قال الزجاج: لا يجوزُ أن يُقرأ بها، لأنها ليست في المصحف المُجمَع عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) قوله: «عن أبي هريرة» سقط من (ط).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٨٤١٨) والبخاري (٢٣٩٩) ومسلم (١٦١٩) وابن ماجه (٢٤١٥) والدارمي (٢٦٣٦).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢١٥-٢١٦).

كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات، ثم نُسِخ ذلك لما دجا الإسلام وعزَّ أهلُه، وجُعِل التوارثُ بحقِّ القرابة. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: في اللوح، أو: فيما أوحى اللهُ إلى نبيِّه؛ وهو هذه الآية، أو: في آية الموارث، أو: فيما فرَض اللهُ، كقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ يجوزُ أن يكونَ بياناً لأولى الأرحام، أي: الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرثَ بعضاً من الأجانب. ويجوزُ أن يكونَ لابتداءِ الغاية، أي: أولو الأرحام بحقِّ القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحقِّ الولاية في الدين، ومن المهاجرين بحقِّ الهجرة. فإن قلت: ممَّ استثنى ﴿أَنْ تَفْعَلُوا﴾؟ قلتُ: من أعمِّ العامِّ في معنى النفع والإحسان، كما تقولُ: القريبُ

قوله: (كما كانت تتألف)، صفةٌ مصدرٍ محذوف أي: يتألفون بالإرث تالفاً كما كانت.

قوله: (ثم نُسِخ)، عن بعضهم أي: نُسِخَ بحديثٍ رواه عمرُ رضي اللهُ عنه، وقبِلت الصحابة، لأنَّ الإجماعَ لا يصلحُ ناسخاً، أو عادَ على موضعه بالتقضي؛ لأنَّ الله تعالى أعزَّ الإسلامَ وأغنى عنهم، وهذا لا يكونُ مطابقاً لقوله: «نُسِخ»، والصحيحُ أنه نُسِخَ بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

قوله: (دجا الإسلام)، النهاية: أي شاع وكثر؛ من: دجا الليل؛ أي: تَمَّتْ ظِلْمَتُهُ وَلَبَسَ كُلَّ شَيْءٍ.

قوله: (ويجوز أن يكونَ لابتداءِ الغاية)، أي: «مِنَ» في ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إما بيانٌ لـ «أولى الأرحام»، وصلَّةٌ «أولي» محذوفة، وإليه الإشارةُ بقوله: «إلا قرباً من هؤلاء أولى من الأجانب»، أو لابتداءِ الغاية، أي: يكونُ صلَّة.

قوله: (من أعمِّ العامِّ في معنى النفع)، أي: أولو الأرحام أولى من الأجنبيِّ في كلِّ نفعٍ إلا في الوصية هو استثناءٌ مفرَّغٌ في الموجب، نحو قولك: قرأتُ إلا يومَ كذا<sup>(١)</sup>، خصَّ

(١) من قوله: «هو استثناءٌ مفرَّغٌ» إلى هنا، سقط من (ف).

أولى من الأجنبيِّ إلّا في الوصية، تريد: أنه أحقُّ منه في كلِّ نفعٍ من ميراثٍ وهبَةٍ وهديةٍ وصدقةٍ وغير ذلك، إلّا في الوصية. والمرادُ بفعلِ المعروف: التوصية؛ لأنه لا وصيةٌ لوارثٍ، وعُدِّيَّ ﴿تَفْعَلُوا﴾ بـ«إلى»، لأنه في معنى: تُسَدُّوا وتُزَلُّوا، والمرادُ بالأولياء: المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين. ﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذكر في الآيتين جميعاً. وتفسيرُ الكتاب: ما مرَّ آنفاً، والجملةُ مستأنفةٌ كالحاتمة لما ذكر من الأحكام.

المعروف بالوصية وجعلها من جملة المنتفع به، وعنى بقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ اللوح أو الموحى، وبـ﴿أُولِيَّائِكُمْ﴾ نفس أولي الأرحام، وَضَعًا لِلْمُظَهَّرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، ليصحَّ أن يكون الاستثناء متصلاً، وأما لو أريد بـ﴿أُولِيَّائِكُمْ﴾ المؤمنون والمهاجرون، ويكون «المعروف» مجرّياً على عمومِهِ، فالظاهرُ أن يكون الاستثناء منقطعاً.

وعن بعضهم: وهو استثناءٌ مُنْقَطِعٌ، وخبرُهُ محذوفٌ، ومعناه: لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفًا جائز، ولا يكون على وجه نهاء الله عنه ولا أذن فيه. قال مكي وأبو البقاء: الاستثناء منقطع<sup>(١)</sup>، والمعنى: أولو الأرحام أولى من المؤمنين والمهاجرين في كتاب الله، أي: في الميراث، لكن إذا أردتم ابتداء المعروف إليهم، أي: إلى المؤمنين والمهاجرين. والأول الوجه<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وتزللوا)، الجوهري: أزللتُ إليه نعمةً: أسديتها، وأزللتُ إليه من حقه شيئاً؛ أي: أعطيت.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذكر في الآيتين) أي: في قوله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ الآية، وقوله ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله: (وتفسيرُ الكتاب)، أي: الكتاب المذكور في قوله: ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾، وقد مرَّ في قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في اللوح إلى آخره، ثم الجملة كالحاتمة أي: كالتميم أو التذييل لما سبق، ومن ثمَّ شرع في مشروع آخر وهو قوله: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾.

(١) انظر: «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٧٣) و«البيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥٢).

(٢) في (ح): «أوجه»، وهو جيدٌ متجه.



[وَأَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا \* لِنَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا \*]

[٨-٧]

﴿و﴾ اذكر حين ﴿أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ جميعاً ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ بتبليغ الرِّسالة والدِّعاء إلى الدِّين القِيَمِ ﴿وَمِنْكَ﴾ خصوصاً ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ وإنما فعلنا ذلك ﴿لِنَسْأَلَ﴾ الله يومَ القيامة عند تواقفِ الأَشهادِ المؤمنين الذين صَدَقُوا عَهْدَهُمْ ووفَّوا به، مِنْ جُملة مَنْ أَشْهَدَهُمْ على أَنفُسِهِمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الاعراف: ١٧٢] ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾: عَهْدَهُمْ وشهادَتِهِمْ، فيشهد لهم الأنبياءُ بأنهم صَدَقُوا عَهْدَهُمْ وشهادَتَهُمْ وكانوا مؤمنين. أو: ليسأل المُصدِّقين للأنبياءِ عن تصديقهم؛ لأنَّ مَنْ قال للصادق: صدقت، كان صادقاً في قوله. أو: ليسأل الأنبياءُ ما الذي أجابتهم به أممهم. وتأويلُ مسألة الرُّسل: تَبَكَّيْتُ الكافرين بهم، كقوله: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. فإن قلت: لم قُدِّم رسولُ الله ﷺ على نُوحٍ فَمَنْ بَعْدَهُ؟ قلت: هذا العطفُ لبيانِ فضيلةِ الأنبياءِ الذين هم مشاهيرُهم ودرارِئُهم، فلما كان عمادُ ﷺ أفضلَ هؤلاء المفضَّلين؛ قُدِّم عليهم؛ لبيانِ أنه أفضلُهم، ولولا ذلك لَقُدِّمَ مَنْ قَدَّمَهُ زمانُهُ.

قوله: (على نوحٍ فَمَنْ بعده)، الفاءُ مثلُها في الحديث: «ثُمَّ الأمثلُ فالأمثلُ»<sup>(١)</sup>.

قوله: (وذراريئهم)<sup>(٢)</sup>، جمع دُرِّيٌّ وهو الكوكبُ الثاقبُ المضيءُ، نُسِبَ إلى الدُرِّ؛ جمع دُرَّة، وقد يُكسَّرُ، كسُخْرِيٍّ وسُخْرِيٍّ، وهذا من بابِ تغييراتِ النسبِ.

الاساس: ودرأ الكوكبُ: طلعَ كأنه يذراً الظلام.

قوله: (قُدِّمَ عليهم؛ لبيانِ أنه أفضلُهم، ولولا ذلك لَقُدِّمَ مَنْ قَدَّمَهُ زمانُهُ)، قال الزجاج:

(١) هو جزءٌ من حديثٍ أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٨١) وابن ماجه (٤٠٢٣) والترمذي

(٢٣٩٨) من حديثِ سعد بن أبي وقاص. وصححه ابن جِبَّان (٢٩٠٠) وفيه تمامٌ تخريجه.

(٢) في (ح) و(ف): «وذراريئهم» بالذال المعجمة. والمثبت من (ط)، وعليه كلامُ الطيبي.

جاء في التفسير: إني حُلِّفْتُ قَبْلَ الْأَنْبِيَاءِ وَبُعِثْتُ بَعْدَهُمْ، فعلى هذا لا تقديم في الكلام ولا تأخير، ومذهب أهل اللغة: أن الواو معناه الاجتماع، وليس فيها دليل أن المذكور أولاً معناه التأخير<sup>(١)</sup>. وقال صاحب «الانتصاف»: ليس التقديم في الذكر مقتضياً ذلك؛ ألا ترى إلى قول الشاعر:

بها ليلٍ منهم جعفرٌ، وابنُ أمِّه عليٌّ، ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

حَتَمَ به تشرِيفاً، فالسُّرُّ في تقديمه أنه هو المخاطبُ بهذا، والمُنزَّلُ عليه هذا المثلُّ، وكان أحقُّ، ثم جرى ذكرُ الأنبياءِ بعده على الترتيب<sup>(٢)</sup>.

وقلتُ: إنَّها يُقالُ مقدِّمٌ ومؤخَّرٌ للمُزَالِ لا للِقَارِ في مكانه، ثم لم يكن التقديمُ إلا للاهتمام بحسبِ اقتضاءِ المقامِ، والواو لا مدخَلٌ له في الاعتبار، فإنَّ الأنبياءَ المذكورينَ بعده ﷺ مُرتَّبون على حَسَبِ تقدُّمِهِم في الزمانِ، وكان ينبغي تأخيرُه لذلك، ولا بد لهذه المخالفةِ مِنْ فائدةِ جليِلة، وكوْنُه مُقدِّماً بحسبِ الفِضْلِ، وآتِه أقدَمُ الأنبياءِ حَلَقاً كما قال الزجاج<sup>(٣)</sup>؛ شَرَفٌ لا مَطْمَاحَ وراءه.

روينا عن الترمذي، عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدمُ بين الروح والجسد»<sup>(٤)</sup> زاد رزين: «وآدمُ مُنجدِلٌ في طينته بين الروح والجسد»<sup>(٥)</sup>.

والمقام يقتضي ذلك؛ لأنه سبحانه وتعالى جعل مُفتتحَ السورة وبراعةً استهلالها خطابَه بذكرِ النبي ﷺ، وهو أفضلُ خطابٍ من جانبِ ربِّ العِزة كما مرَّ، ثم معاقِدُ هذه

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢١٦).

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٢٥).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢١٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٠٩) والحاكم في «المستدرک» (٤٢١٠) وقال الترمذي: حسنٌ غريب.

(٥) وهذه الزيادة ذكرها أيضاً تمام الرازي في «الفوائد» (١: ٢٤٠).

فإن قلت: فقد قُدِّم عليه نوحٌ عليه السَّلام في الآية التي هي أختُ هذه الآية؛ وهي قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الشورى: ١٣]، ثُمَّ قُدِّم على غيره! قلتُ: مَوْرَدُ هذه الآية على طريقةٍ خِلافِ طريقةِ تلك؛ وذلك أن الله عزَّ وجلَّ إنما أوردَها لوصفِ دينِ الإسلامِ بالأصالةِ والاستقامة، فكانه قال: شَرَعَ لَكُمْ الدِّينَ الأصِيلَ الذي بُعِثَ عليه نوحٌ في العَهْدِ القديمِ، وبُعِثَ عليه محمدٌ خاتمُ الأنبياءِ في العَهْدِ الحديثِ، وبُعِثَ عليه مَنْ تَوَسَّطَ بينهما مِنَ الأنبياءِ المشاهيرِ. فإن قلتُ: فماذا أرادَ بالميثاقِ الغليظِ؟ قلتُ: أرادَ به ذلكَ الميثاقَ بَعِيْنَه. معناه: وأخذنا منهم

السورة واردةً على تنويه فضله ورباه<sup>(١)</sup> محله، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأفضل النبيين مكانةً، وأسبغهم منزلةً، وهلمَّ جرّاً إلى آخرِ السورة.

وأما تأخيرُ ذكرِهِ ﷺ في البيتِ الذي أنشده صاحبُ «الانتصاف» فللترقي والأخذ بالفضل فالأفضل، وشاهدُه تأخيرُ ذكرِهِ ﷺ إذ لو قُدِّم ابتداءً الفضلُ منه، فله الفضلُ مُتقدِّماً ومُتأخراً.

قوله: (أرادَ به ذلكَ الميثاقَ بَعِيْنَه)، يريدُ به أنه أُعيدَ قوله: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ تأكيداً، ويُعلَّلُ بقوله ﴿لَيْسَتَلَّ الصَّادِقِينَ﴾ وإليه الإشارةُ بقوله: «أكدَّ على الأنبياءِ الدعوةَ إلى دينِهِ لأجلِ إثابةِ المؤمنينَ ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾»، وكان أصلُ الكلام: أعدَّ للمؤمنين الإثابةَ وللكافرين التعذيبَ، وذكرُ الأنبياءِ وأخذُ الميثاقِ العظيمِ توطئةٌ لذكرِ إثابةِ المؤمنينَ ليؤدَّنَ بأنَّ الله تعالى سبقتُ رحمتهُ غضبه، ولعلَّه أخفى فيه: أنه تعالى لا يريدُ من المكلفين إلا<sup>(٢)</sup> الإيمانَ، ولو عَطِيفَ على ﴿لَيْسَتَلَّ الصَّادِقِينَ﴾ من حيثُ المعنى؛ ليرجعَ المعنى إلى أنَّ الله أخذَ من النبيينَ ميثاقَه ليبلغوا رسالاتِ ربِّهم إلى عباده، ليهلكَ مَنْ هلكَ عن بيئته، ويحيى مَنْ حيَّ عن بيئته، ويسألُ المؤمنينَ عند تواقفِ الأشهادِ عن صدقهم، فيفوزوا بها لا عينٌ رأتُ ولا أذنٌ سمعتُ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، وليُجزى الكافرونَ<sup>(٣)</sup>

(١) سبق بيانه، وآته من نبوة المنزلة وشرف المحل.

(٢) سقط لفظ «إلا» من (ف).

(٣) في (ف): «وليُجزى الكافرين» بالنصب وعلى البناء للفاعل.

بذلك الميثاق ميثاقاً غليظاً. والغِلْظُ: استعارةٌ مِنْ وَصْفِ الأَجْرَامِ، والمرادُ: عِظْمُ الميثاقِ وَجَلَالَةُ شأنِهِ فِي بابِهِ. وقيل: الميثاقُ الغليظُ: اليمينُ باللهِ على الوفاءِ بِهَا حُمَلُوا. فإن قلت: علامَ عُطِفَ قولُهُ: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾؟ قلتُ: على ﴿أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ﴾؛ لأنَّ المعنى: أَنَّ اللهَ أَكَّدَ على الأنبياءِ الدَّعوةَ إلى دينِهِ لأجلِ إثابةِ المؤمنينِ ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. أو على ما دَلَّ عليه ﴿لَيْسَتِ الصَّادِقِينَ﴾، كأنه قال: فأثابَ المؤمنينَ وأعدَّ للكافرينِ.

[﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا ضِمَّةَ اللهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ \* إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ٩-١١]

﴿أَذْكُرُوا﴾ ما أنعم الله به عليكم يومَ الأحزابِ، وهو يومُ الخندقِ ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهُمُ الأحزابُ، فأرسلَ اللهُ عليهم رِيحَ الصَّبَا. قال رسولُ اللهِ ﷺ: «نُصِرْتُ

على رؤوسِ الأشهادِ، ثم المألُ إلى ما أعدَّ اللهُ لهم؛ أي من النكالِ والعذابِ الأليمِ؛ لكانَ أَحْسَنَ<sup>(١)</sup>.

قال صاحبُ «التقريبِ»: ﴿أَعَدَّ﴾ عَطَفَ على ﴿أَخَذْنَا﴾ أو على ما دلَّ عليه ﴿لَيْسَتِ﴾، وهو: فأثابَ المؤمنينَ وكذا عن القاضي<sup>(٢)</sup>.

قولُهُ: (وقيل: الميثاقُ الغليظُ: اليمينُ باللهِ)، يعني: بَعْدَ ما أَخَذَ من النبيِّينَ الميثاقَ بتبليغِ الرسالةِ أَكَّدَ باليمينِ باللهِ على الوفاءِ بِهَا حُمَلُوا، فعلى هذا لا يكونُ تكريراً.

قولُهُ: (فأرسلَ اللهُ)، وفي «مسندِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ»: عن أبي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ قال: قُلْنَا يومَ الخندقِ: يا رسولَ اللهِ، هل مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ، فقد بَلَغَتِ القلوبُ الحَنَاجِرَ؟

(١) هو جوابُ قولِهِ: «ولو عَطِفَ على»، وقد طال الفضلُ بينها.

(٢) في «أنوار التنزيلِ» (٤: ٢٢٦).

بالصبا، وأهلكت عاداً بالدَّبُور». ﴿وَيَحْتَوِدَا لَمَّ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة، وكانوا أنفأ، بعث الله عليهم صَباً باردة في ليلة شاتية، فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم، وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت الأطناب، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وماجت الخيل بعضها في بعض، وقذفت في قلوبهم الرعب، وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: أما محمد فقد بدأكم بالسحر. فالنجاء النجاء! فانهزموا من غير قتال، وحين سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم صرَب السخندق على المدينة، أشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين، فصرَب مُعسكره والخذقُ بينه وبين القوم، وأمر بالذَّراري والنساء فرفعوا في الأظام، واشتدَّ الخوف، وظنَّ المؤمنون كلَّ ظنٍّ، ونَجَمَ النِّفاقُ من

قال: «نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» قال: فصرَب الله وجوه أعدائه بالريح<sup>(١)</sup>، فهزتهم الله بالريح.

قوله: (فأخصرتهم)، الأساس: يومٌ حَصِرَ: بارد، وحَصِرَتْ أنامله من البردِ وأخصرها القر.

قوله: (وأكفأت القدور)، أي: كَبَّتْها وَقَلَبَتْها، والفاعل: الريح.

قوله: (فالنجاء النجاء)، النهاية: أي: انجُوا بأنفُسِكُمْ. وهو مَصْدَرٌ منصوبٌ يَفْعَلُ مُضْمَرٌ، أي انجوا النجاء.

قوله: (في الأظام)، النهاية: واحدها: أُطْمٌ، وكلُّ بناءٍ مُرْتَفِعٍ، يعني: أبنيتها المرتفعة كالحصون.

قوله: (ونَجَمَ النِّفاقُ)، النهاية: كلُّ ما طلعَ وظَهَرَ فقد نَجَمَ.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٩٩٦) والبزار في «المسند» (٣١١٩) والطبري في «التفسير» (١٢٧: ٢١) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠: ١٣٦) وقال: رواه أحمد والبزار، وإسناد البزار مُتَّصِلٌ، ورجاله ثقات.

المنافقين حتى قال مُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا كُنُوزَ كَسْرَى وَقِصْرًا! لَا نَقْدِرُ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ! وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَحَابِيشِ وَبَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَقَائِدُهُمْ أَبُو سُفْيَانَ، وَخَرَجَ غَطَفَانَ فِي الْفِئَةِ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، وَقَائِدُهُمْ عُبَيْدُ بْنُ حِصْنٍ، وَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فِي هَوَازِنَ، وَضَامَتُهُمُ الْيَهُودُ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، وَمَضَى عَلَى الْفَرِيقَيْنِ قَرِيبٌ مِنْ شَهْرٍ لَا حَرْبَ بَيْنَهُمْ إِلَّا التَّرَامِي بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ النَّصْرَ. ﴿تَمَلُّونَ﴾ قُرَى بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ. ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: مِنْ أَعْلَى الْوَادِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ: بَنُو غَطَفَانَ، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: مِنْ أَسْفَلَ الْوَادِي مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ: قُرَيْشٌ، تَحَزَّبُوا وَقَالُوا: سَنَكُونُ جُمْلَةً وَاحِدَةً حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا. ﴿زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: مَالَتْ عَنْ سَنَنِهَا وَمُسْتَوَى نَظَرِهَا حَيْرَةً وَشُخُوصًا. وَقِيلَ: عَدَلَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَّا إِلَى عَدُوِّهَا؛ لِشِدَّةِ الرَّوْعِ. الْحَنْجَرَةُ: رَأْسُ الْعَلَصَمَةِ؛ وَهِيَ مُنْتَهَى الْخُلُقُومِ. وَالْخُلُقُومُ: مَدْخَلُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، قَالُوا: إِذَا انْتَفَخَتِ الرَّئِثَةُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْعِ أَوْ الْعَضْبِ أَوْ الْغَمِّ الشَّدِيدِ رَبَّتْ، وَارْتَفَعَ الْقَلْبُ بَارْتِفَاعِهَا إِلَى رَأْسِ الْحَنْجَرَةِ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لِلْجَبَانِ: انْتَفَخَ سَحْرُهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَثَلًا فِي اضْطِرَابِ الْقُلُوبِ

قوله: (من الأحابيش)، النهاية: هم أحياء من القارة انضموا إلى بني كَيْثٍ في محاربتهم قُرَيْشًا، والتحبُّشُ: التجمُّع. وقيل: حالفوا قُرَيْشًا تحتَ جَبَلٍ يُسَمَّى حُبَيْشِيًّا<sup>(١)</sup> فسموا بذلك.

قوله: ﴿تَمَلُّونَ﴾ بالياءِ والناءِ<sup>(٢)</sup>، أبو عمرو: بالياءِ التحتانية، والباقون: بالناءِ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وشخوصاً)، المغرب<sup>(٤)</sup>: شَخَصَ بَصْرَهُ: امتدَّ وارتفع، ويُعدَّى بالياءِ، فيقال: شَخَصَ بَصْرَهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ط) و(ح) و(ج) حُبَيْشًا. وهو على الجادة في «معجم البلدان» (٢: ٢١٤).

(٢) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «قُرَى بالناءِ والياءِ».

(٣) ولتمام الفائدة انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٤٤).

(٤) قوله: «(وشخوصاً)، المغرب» سقط من (ط).

(٥) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ٤٣٤).

وَوَجِيهًا وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْحَنَاجِرَ حَقِيقَةً. ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ خطابٌ للذين آمنوا، ومنهم الثُّبُتُ القلوب والأقدام، والضُّعَافُ القلوب؛ الذين هُم على حَرْفٍ، والمنافقون؛ الذين لم يوجد منهم الإيَّانُ إلَّا بالسُّتَيْهِمِ، فظنُّ الأُولون بالله أنه يَنْتَلِيهِمْ ويفتُتُهُمْ؛ فخافوا الزَّلَلَ وَضَعَفَ الاحْتِمَالِ، وَأَمَّا الآخَرُونَ فظنُّوا بالله ما حَكَى عَنْهُمْ. وعن الحَسَنِ: ظنُّوا ظُنُونًا مَحْتَمَلَةً: ظنُّ المنافقون أن المسلمين يُسْتَأْصَلُونَ، وَظنُّ المؤمنون

قوله: (وَوَجِيهًا)، النهاية: يقال: وَجَبَ القَلْبُ يَجِبُ وَجِيهًا: إِذَا حَقَقَ.

قوله: (الذين هم على حَرْفٍ)، أي: على وَجِهٍ واحد، وهو أن يعبدَ اللهُ على السَّرَاءِ دونَ الضَّرَاءِ. النهاية: أي: جانبٍ وطرفٍ، فالمؤمنون صنفان: صنفٌ ثابتون يظنونَ النَّصْرَةَ والظَّفَرَ، والآخَرُ آيسون قَانِطُونَ، وهم الذين على حرفٍ.

قوله: (فَظَنُّ الأُولون)، أي: الذين آمنوا، وهم قَرِيقان: الثُّبُتُ القلوب، خافوا الزَّلَلَ، أي: ذنوبًا اكتسبوها فمَنْعَتْهُم التَّايِيدَ وتقوية القلوبِ حتى تزلزلوا، كما قال<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

والفريقُ الثاني: الضُّعَافُ القلوبِ، فخافوا ضَعَفَ الاحْتِمَالِ؛ أي: احتِمَالِ المِلاقاةِ والمِحَارَبَةِ. ففي كلامِ المصنِّفِ لَفٌّ ونَشْرٌ.

وأما الآخرون فهم المنافقون وما حُكِيَ عَنْهُمْ، هو ما حَمَلَهُمْ<sup>(٢)</sup> على أن يقول رئيسُهُم مُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُّنَا كَنُوزٍ كَسْرَى! لَا نَقْدِرُ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ! عَلَى مَا مَرَّ، وَمَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَجْهٌ آخَرٌ فِي الْآيَةِ.

ثمَّ المُنَاسِبُ أَنْ يُرَادَ بِالْإِبْتِلَاءِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ المِخْنَةُ والبَلَاءُ، وَعَلَى الثَّانِي الاختِبَارُ، كَمَا أُرِيدَ مِنْ ظَنِّ الْمُنَافِقِينَ: مَا حَمَلَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْكَلِمَةِ الشَّنْعَاءِ عَلَى الْأَوَّلِ، وَعَلَى الثَّانِي: الِاسْتِصْوَاحُ.

(١) انظر: «الكشاف»، (٤: ٣١٢-٣١٣).

(٢) قوله: «هو ما حَمَلَهُمْ» سقط من (ف) و(ح).

أَنَّهُمْ يُبْتَئُونَ. وُقِرَى: (الظُّنُونُ) بغير أَلِفٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ، وهو القياسُ، وبزيادةِ أَلِفٍ في الوقفِ زادوها في الفاصِلة، كما زادها في القافية مَنْ قال:

### أَقْبَلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا

وكذلك: ﴿الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٦] و﴿السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، وُقِرَى: بزيادتها في الوصل أيضاً؛ إجراءً له مجرى الوقف. قال أبو عبيد: وهنَّ كلُّهنَّ في الإمامِ بِأَلِفٍ. وعن أبي عمروٍ إشمامُ زاي ﴿وَزَلْزَلُوا﴾. وُقِرَى: (زَلْزَلَا) بالفتح، والمعنى: أن الخوفَ أزعَجَهم أشدَّ الإزعاجِ.

[﴿وَلْيَذُوقُوا الْمُنْتَفِعُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا عُرُودًا \* وَلْيَذُوقُوا حَقَّ آيَاتِنَا إِنَّهُمْ بِآيَاتِنَا كَافِرُونَ﴾]

قوله: (قُرَى: «الظنون» بغير ألف)، أبو عمرو وحمة: «الظنون» و«الرسول» و«السبيل» بحذف الألف في الحالين، وحفص والكسائي<sup>(١)</sup>: بحذفها فيهن في الوصل خاصة، والباقون: بإثباتها في الحالين<sup>(٢)</sup>.

قوله: (أَقْبَلِي اللوم عاذِلَ والعتابا)<sup>(٣)</sup>، تمامه أنشد الزجاج:

وقولي إن أصبتُ لقد أصابا<sup>(٤)</sup>

يقول: يا عاذِلتي أقْبَلِي ملامتي وعتابي وقولي - إن فعلتُ حسناً وصواباً -: لقد أصابَ فلانٌ في قوله وفعله.

قوله: (وُقِرَى: «زَلْزَلَا» بالفتح)، في الشواذ<sup>(٥)</sup>. قال الزجاج: والمصدرُ من المضاعفِ

(١) وابن كثير أيضاً. انظر: «التيسير» للداني ص ١٧٨.

(٢) انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٧٣.

(٣) سبق تخريجه من شعر جرير.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢١٨). قال الزجاج: فأثبت الألف لأنها في موضع فاصلة وهي القافية.

(٥) وعزاها ابن خالويه للجحدري. انظر: «مختصر شواذ القرآن» ص ١١٨.



يُوتَنَاعَوْرَةً وَمَا هِيَ بِصَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا \* وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْطَارِهَا ثُمَّ سَبَّحُوا بِالْفِتْنَةِ  
لَأَنزَلْنَاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا لَيْسِيرًا ﴿١٢-١٤﴾

﴿الْأَعْرُودُ﴾: قيل: قائله: مُعْتَبُ بن قُشَيْرٍ حين رأى الأحزابَ قال: يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ  
فَتَحَّ فَارِسَ وَالرُّومَ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَبَرَّزَ فَرَقًا مَا هَذَا إِلَّا وَعَدُّ غُرُورًا ﴿مَلَأَفَةٌ  
مِنْهُمْ﴾: هم: أوسُ بن قَيْظِي وَمَنْ وافقه على رأيه. وعن السُّدِّيِّ: عبدُ الله بن أبي وأصحابه.  
ويثربُ: اسمُ المدينة. وقيل: أرضٌ وَقَعَتِ المدينةُ في ناحيةٍ منها. ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ قُرئ  
بضمِّ الميمِ وفتحِها، أي: لا قرارَ لكم هاهنا، ولا مكانَ تُقيمون فيه أو تقومون،

يحيى على ضربين: على فَعْلَالٍ وفَعْلَالٍ، نحو: قَلَقَلْتُهُ قَلَقَالًا وَقَلَقَالًا<sup>(١)</sup> والكسْرُ أجودٌ، لأنَّ  
غيرَ المُضَاعَفِ من هذا البابِ مكسورٌ، نحو: دَخَرَجْتُهُ دِخْرَاجًا<sup>(٢)</sup>.

قوله: (أن يتبرز)، النهاية: البرأ بالفتح: اسمٌ للفضاءِ الواسعِ، فكُنُوا به<sup>(٣)</sup> عن قضاءِ  
الغائطِ كالخلاءِ؛ لأنهم كانوا يتبرزون في الأمكنة الخالية.

قوله: (ويثرب: اسمُ المدينة)، النهاية: هي اسمُها قديمةٌ فغيرها رسولُ الله ﷺ وسمَّها  
طَيْبَةً<sup>(٤)</sup> وطابةً، كراهةً للثريبِ، وهو اللومُ والتعير. وقيل: هو اسمُ أرضِها، وقيل: سُمِّيتْ  
باسمِ رجلٍ من العمالقة.

قوله: (قُرئ بضمِّ الميمِ وفتحِها)، حَفْصٌ: بالضمِّ، والباقون: بالفتح. قال الزجاج:  
فَمَنْ ضَمَّ فالمعنى: لا إقامةَ لكم، تقول: أقمتُ في المصرِ إقامةً ومقاماً، وَمَنْ فَتَحَ فالمعنى: لا  
مكانَ لكم تقومون<sup>(٥)</sup>.

(١) زيادة من «معاني القرآن وإعرابه».

(٢) ولا يجوزُ فيه غير الكسر كما صرح به الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢١٨).

(٣) في النسخ الخطية: «فيكونه» وصوبناه من «النهاية» لابن الأثير.

(٤) وهو ثابتٌ في الصحيح من قوله ﷺ: «إنها طيبةٌ تنفي الذنوبَ كما تنفي النارُ حَبَّتِ الفِضَّةُ» أخرجه

البخاري (٤٠٥٠) ومسلم (١٣٨٤) وغيرهما من حديثِ زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه.

(٥) كذا في النسخ الخطية. وعبارةُ الزجاج في «معاني القرآن» (٤: ٢١٩): «تقيمون فيه»، وهو الأشبه بالصواب.

﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى المدينة؛ أمروهم بالهَرَبِ مِنْ عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وقيل: قالوا لهم: ارجعوا كفاراً وأسلموا محمداً، وإلا فليست يثرب لكم بمكان. قُرئ: ﴿عَوْرَةٌ﴾ بسكون الواو وكسرها، فالعورة: الخلل، والعورة: ذات العورة، يقال: عَوَرَ المكانُ

المغرب: المقام بالفتح: موضعُ القيام، ومنه: مقام إبراهيم: الحَجَرُ الذي فيه أُنزِلَ قَدَمَيْهِ وموضِعُهُ أيضاً، وبالضمّ موضعُ الإقامة<sup>(١)</sup>.

الجوهري: المقامُ والمقامُ: يكون كلُّ واحدٍ منهما بمعنى الإقامة وموضع القيام، لأنك إذا جعلته من: قامَ يقومُ، فمفتوح، وإن جعلته من: أقامَ يقيم، فمضموم<sup>(٢)</sup>.

فقولُ المصنّف: «لا قرارَ لكم ولا مكانَ تُقيمونَ فيه» فهو بمعنى الفتح، وقوله: «أو تُقيمونَ» بمعنى الضم.

قوله: (بالهَرَبِ مِنْ عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)، أي: مُعَسْكَرِهِ، كما سبق في قوله: «وحينَ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بإقبالهم ضربَ الخندقَ على المدينة...، ثم خرجَ في ثلاثة آلافٍ من المسلمين فَضَرَبَ مُعَسْكَرَهُ، والخندقُ بينه وبينَ القومِ». أي: قال طائفةٌ من المنافقين: يا أهلَ يثربِ نُقلتُم من المدينة إلى هذا المقامِ الصَّعبِ فارجعوا إليها.

قوله: (وأسلموا محمداً)، هو من قولهم: أسلمته؛ أي: خذله.

قوله: (قُرئ: ﴿عَوْرَةٌ﴾ بسكون الواو وكسرها)<sup>(٣)</sup>، قال ابن جنِّي: بكسر الواو: ابنُ عباسٍ وابنُ يَعمَرَ وأبو رجاءٍ بخلاف، وصحَّةُ الواوِ في هذا شاذَّةٌ من طريق الاستعمال، لأنها متحرّكة بعد فتحة، والقياسُ قلبُها ألفاً فيقال: عارة، كما يقال: كَبَشُ صافٍ<sup>(٤)</sup> ونَعَجَةٌ صافَةٌ ويومٌ راحٍ<sup>(٥)</sup>، وله نظائرٌ، وكلُّ ذلك فِعْلٌ، كرجلٍ فَرِقَ وحَذِيرٍ. ومثلُ «عَوْرَةٌ» في

(١) «المغرب في ترتيب المغرب» (٢: ٢٠٠).

(٢) من قوله: «الجوهري: المقامُ والمقامُ إلى هنا، سقط من (ط).

(٣) ولتنام الفائدة انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٤٨).

(٤) أي: كثير الصوف.

(٥) يعني شديد الريح. والفعل منه: راحَ يَراحُ.

عَوْرًا: إذا بدا فيه خَلَلٌ يُخَافُ مِنَ الْعَدُوِّ وَالسَّارِقِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿عَوْرَةٌ﴾ تَخْفِيفَ عَوْرَةٍ؛ اعْتَدَرُوا أَنْ بِيوتِهِمْ مُعَرَّضَةٌ لِلْعَدُوِّ مُمَكِّنَةٌ لِلسَّرَاقِ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُحْرَزَةٍ وَلَا مُحَصَّنَةٍ، فَاسْتَأْذَنُوهُ لِيُحَصِّنُوهَا ثُمَّ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ الْفِرَارَ. ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الْمَدِينَةُ. وَقِيلَ: بِيوتِهِمْ، مِنْ قَوْلِكَ: دَخَلْتُ عَلَى فُلَانٍ دَارَهُ. ﴿مِنْ أَقْطَارِهَا﴾: مِنْ جَوَانِبِهَا، يَرِيدُ: وَلَوْ دَخَلْتُ هَذِهِ الْعَسَاكِرُ الْمُتَحَرِّبَةَ الَّتِي يَفْرُونَ خَوْفًا مِنْهَا مَدِينَتَهُمْ وَبِيوتَهُمْ مِنْ نَوَاحِيهَا كُلِّهَا، وَإِنْ ثَالِثٌ عَلَى أَهْلِهَا وَأَوْلَادِهِمْ نَاهِبِينَ سَائِينَ، ثُمَّ سُئِلُوا عِنْدَ ذَلِكَ الْفَرْعِ وَتِلْكَ الرَّجْفَةِ ﴿أَلْفِتْنَةً﴾ أَي: الرَّدَّةَ وَالرَّجْعَةَ إِلَى الْكُفْرِ وَمُقَاتِلَةَ الْمُسْلِمِينَ، (لَا تَوَّهَا): لَجَأَوْهَا وَفَعَلُوهَا. وَقُرئ: ﴿لَا تَوَّهَا﴾: لِأَعْطَوْهَا، ﴿وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا﴾: وَمَا أَلْبَسُوا إِعْطَاءَهَا ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾، رَيْبًا

صِحَّةٍ وَأَوْهَا قَوْلُهُمْ: رَجُلٌ عَوْرٌ لَوْزٌ، أَي: لِأَشْيَاءٍ لَهُ، وَكَأَنَّ عَوْرَةَ أَسْهَلَ<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: عَوْرَةٌ خَبْرٌ «إِنْ» وَهُوَ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ، فِعْلُهُ: عَوَّرَ، وَهُوَ بِمَعْنَى: ذَاتِ عَوْرَةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمٌ فَاعِلٌ أَصْلُهُ: عَوَّرَةٌ، ثُمَّ سُكِّنَ<sup>(٢)</sup>، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا فِي مَوْضِعِ اسْمِ الْفَاعِلِ، كَعَدَلٍ بِمَعْنَى عَادِلٍ.

قَوْلُهُ: (مُعَرَّضَةٌ لِلْعَدُوِّ)، أَعْرَضَ لَكَ الْخَيْرُ، أَي: أَمَكَّنَكَ، وَأَعْرَضَ لَكَ الطَّبِيبُ فَازِمُهُ؛ إِذَا وَالَكَ عَرَضَهُ، وَعَرَضْتُ الشَّيْءَ فَأَعْرَضَ، مِثْلُ: كَتَبْتُهُ فَأَكَبْتُ، وَأَمَكَّنْتُهُ مِنَ الشَّيْءِ وَمَكَّنْتُهُ الشَّيْءَ.

قَوْلُهُ: (وَإِن ثَالِثٌ عَلَى أَهْلِهَا)، الْجَوْهَرِيُّ: تَنَائُلٌ إِلَيْهِ النَّاسُ أَي: انصَبُوا.

قَوْلُهُ: (وَقُرئ: ﴿لَا تَوَّهَا﴾)، كَلَّمَهُمْ إِلَّا نَافِعًا وَابْنَ كَثِيرٍ فَاتَمَّتْهَا قَرَأَ: «لَا تَوَّهَا» بِالْقَضْرِ<sup>(٣)</sup>.

(١) «المحتسب» (٢: ١٧٦).

(٢) مِنْ قَوْلِهِ: «وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمٌ» إِلَى هُنَا، سَقَطَ مِنْ (ف).

(٣) وَحُجَّةٌ مَنْ قَرَأَ بِالْمَدِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ فَلْإِعْطَاءِ مَعَ السُّؤَالِ حَسَنًا. انظُرْ: «حُجَّةُ

يكون السؤال والجواب من غير توقف، أو: وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا سيراً، فإن الله يهلكهم. والمعنى: أنهم يتعللون بإعوار يوتهم، ويتمحلون ليقرأوا عن نصرة رسول الله ﷺ والمؤمنين، وعن مصافة الأحزاب الذين ملؤوهم هولاً ورعباً؛ وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم: كونوا على المسلمين؛ تسارعوا إليه وما تعللوا بشيء، وما ذلك إلا لمقتهم الإسلام، وشدة بغضهم لأهله، وحبهم الكفر، وتهالكهم على حزبه.

[ ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّينَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ \* قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [١٥-١٦]

عن ابن عباس: عاهدوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون مما أنفسهم. وقيل: هم قوم غابوا عن بدر، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لَنقاتِلنَّ. وعن محمد بن إسحاق: عاهدوا يوم أحد أن لا يقرأوا بعدما نزل فيهم ما نزل. ﴿ مَسْئُولًا ﴾: مطلوباً مقتضى حتى يوفى به. ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ ﴾: مما لا بُدَّ لكم من نزوله بكم من

قولُه: (لو كبسوا عليهم)، أي: تغلبوا للإغارة فجأة. الأساس: أي: اقتحموا عليهم وسمعتهم يقولون: أدخله بالكبس؛ إذا قهره وأذله.

قولُه: (نزل بهم<sup>(١)</sup> ما نزل)، أي: من الهزيمة وقتل سبعين منهم وما حصلت فيهم من المثلة وشج رسول الله ﷺ وكسر ربايعيته. وذلك من مخالفة أمر رسول الله ﷺ وتركهم المركز وميلهم إلى الدنيا وطلب الغنيمة.

قولُه: (مطلباً مقتضى)، يقال: اقتضى حقه، أي: تقاضاه. الأساس: تقاضيته ديني، وبديني، واقتضيته<sup>(٢)</sup>، واقتضيت منه حقي: أخذته.

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «فيهم».

(٢) كذا في النسخ الخطية، وفي «أساس البلاغة»: «استقضيته» بالسين، وهو الأشبه بالصواب.

حَتَفِ أَنْفٍ أَوْ قَتَلَ، وَإِنْ نَفَعَكُمْ الْفِرَارُ - مَثَلًا - فَمُتَّعْتُمْ بِالتَّأخِيرِ؛ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ التَّمْتِيعُ إِلَّا زَمَانًا قَلِيلًا. وَعَنْ بَعْضِ الْمُرَوِّاتِ: أَنَّهُ مَرَّ بِحَائِطٍ مَائِلٍ فَاسْرَعَ، فَتَلَيْتُ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ فَقَالَ: ذَلِكَ الْقَلِيلَ نَطْلُبُ.

[﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ١٧]

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جُعِلَتْ الرَّحْمَةُ قَرِينَةً السُّوءِ فِي الْعِضْمَةِ، وَلَا عِصْمَةٌ إِلَّا مِنَ السُّوءِ؟ قُلْتُ: مَعْنَاهُ: أَوْ يُصِيبُكُمْ بِسُوءٍ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً، فَاخْتَصَرَ الْكَلَامُ وَأُجْرِيَ مُجْرَى قَوْلِهِ:

مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

أَوْ يُجْمَلُ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ؛ لِإِمَّا فِي الْعِصْمَةِ مِنْ مَعْنَى الْمَنْعِ.

قَوْلُهُ: (كَيْفَ جُعِلَتْ الرَّحْمَةُ قَرِينَةً السُّوءِ)، يَعْنِي: أَوْقَعَ كَلِمَةَ التَّرِيدِ بَيْنَ السُّوءِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَدْخَلَهَا تَحْتَ مَعْنَى الْعِصْمَةِ، وَالْعِصْمَةُ لَا تُنَاسِبُ الرَّحْمَةَ؛ إِذْ لَا عِصْمَةَ إِلَّا مِنَ السُّوءِ؛ أَيِ: الْعَذَابِ. وَأَجَابَ: أَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا؟ أَوْ: مَنْ ذَا الَّذِي يُصِيبُكُمْ بِسُوءٍ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً؟ قَوْلُهُ: (مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا)، أَوْلُهُ:

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا<sup>(١)</sup>

وَيُرْوَى: «فِي الْوَعْيِ»؛ أَيِ: حَامِلًا وَمُتَقَلِّلاً.

قَوْلُهُ: (أَوْ يُجْمَلُ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ لِإِمَّا فِي الْعِصْمَةِ مِنْ مَعْنَى الْمَنْعِ)، قَالَ صَاحِبُ «الْمَطْلَعِ»: كَأَنَّهُ قِيلَ: مَنْ الَّذِي يَمْتَنِعُكُمْ مِنْ أَحَدِهِمَا إِنْ أَرَادَهُ بِكُمْ؟ وَقُلْتُ: أَوْ الْمَعْنَى: مَنْ الَّذِي

(١) سبق تحريجه.

[ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا \*  
 أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ  
 فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِاللَّيْنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَبَ اللَّهُ  
 أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ  
 أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ]

[٢٠-١٨]

﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾: المتبطين عن رسول الله ﷺ؛ وهم المنافقون؛ كانوا يقولون  
 ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ من ساكني المدينة من أنصار رسول الله ﷺ: ما محمدٌ وأصحابه إلا  
 أكلةٌ رأس، ولو كانوا لخمًا لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، فخلوهم و﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾  
 أي: قربوا أنفسكم إلينا. وهي لغة أهل الحجاز؛ يسوون فيه بين الواحد والجماعة.

يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً ومن الذي يمنع رحمة الله منكم إن أراد بكم رحمة؟  
 وقريئة التعدي ما في ﴿يَعِصْمُكُمْ﴾ من معنى المنع.

قوله: (أكلة رأس)، أي: قليلون يُشبعهم رأس واحد<sup>(١)</sup>.

قوله: (لالتهمهم)، الأساس: التهم الشيء: ابتلعه، والتهم الفصيل ما في ضرع أمه:  
 اشتقه، بالشين المعجمة؛ من: اشتفت ما في الإناء.

قوله: (وهي لغة أهل الحجاز؛ يسوون فيه بين الواحد والجماعة)، قال مكِّي: وعيَّر  
 أهل الحجاز يقولون: هلموا للجماعة، وهلمني للمرأة، وأصل هلم: ها المم، ها: للتنبيه،  
 والمم: أفضد وأقبل، فكثرت الاستعمال فحذفت ألف الوصل لما تحركت اللام لضممة الميم  
 عند الإدغام فصارت: ها لم، فحذفت ألف «ها» لسكونها وسكون اللام بعدها، لأن حركتها  
 عارضة، فاتصلت الهاء باللام، وفتحت الميم للقاء الساكنين، نحو: ردَّ وصدَّ<sup>(٢)</sup>.

(١) وذكره الميداني في «جمع الأمثال» (١: ٤٩).

(٢) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٧٥).

وأما تميم فيقولون: هلمَّ يا رجل، وهلمُّوا يا رجال، وهو صوتٌ سُمِّيَ به فِعْلٌ مُتَعَدٌّ، مثلُ: احضُرْ وقَرِّبْ، ﴿قُلْ هَلَمْ شَهِدْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥]. ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾: إلا إتياناً قليلاً يَخْرُجُونَ مع المؤمنين يُوهِمُونَهُمْ أَنَّهُمْ مَعَهُمْ، ولا تَرَاهُمْ يُبَارِزُونَ وَيُقَاتِلُونَ إِلَّا شَيْئاً قَلِيلاً إذا اضْطُرُّوا إليه، كقوله: ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٠]، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ في وقتِ الحَرْبِ أَضْيَاءُ بِكُمْ، يَتَرَفَّرُونَ عَلَيْكُمْ كما يَفْعَلُ الرَّجُلُ بِالذَّابِّ عَنِ الْمَنَاضِلِ دُونَهُ عِنْدَ الخَوْفِ، ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ في تلكِ الحَالَةِ كما يَنْظُرُ المَغْشِيُّ عَلَيْهِ مِنْ مُعَالَجَةِ سَكَرَاتِ المَوْتِ؛ حَذَرًا أَوْ خَوْرًا أَوْ لِيُوَادَّ أَبَاكَ، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ﴾ وَحِزْبِ الغَنَائِمِ وَوَقَعَتِ القِسْمَةُ: نَقَلُوا ذَلِكَ الشَّحَّ وَتِلْكَ الضُّنَّةَ وَالرَّفْرَفَةَ عَلَيْكُمْ إِلَى الخَيْرِ - وهو المَالُ وَالغَنِيمَةُ - وَنَسُوا تِلْكَ الحَالَةَ الأُولَى، وَاجْتَرَأُوا عَلَيْكُمْ، وَضَرَبُوكُمْ بِالسُّتَيْهِمْ،

قوله: (يتَرَفَّرُونَ)، الأساس: وَمَنْ المَجَازِ: رَفَرَفَ عَلَى وَلَدِهِ: إِذَا تَحَنَّى عَلَيْهِ، فَقَوْلُهُ: «يَتَرَفَّرُونَ» تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: «ضَنًّا بِكُمْ»، أَي: يُوهِمُونَ أَنَّهُمْ مُشْفِقُونَ عَلَيْكُمْ بِخِلَاءٍ بِنَفْسِكُمْ أَنْ تَقَعَ فِي التَّهْلُكَةِ.

الجوهري: ضَنَّ بالشَّيْءِ: إِذَا بَخَلَ بِهِ. أَي: يَتَمَلَّقُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَذُبُّونَ عَنْهُمْ؛ ضَمَّنَ ﴿أَشِحَّةً﴾ مَعْنَى: رَفَرَفَ عَلَيْهِ، أَي: تَمَلَّقَ، وَعُدِّي تَعْدِيَّتَهُ، فَالضَّمِيرُ فِي «عَنْهُ» وَ«دُونَهُ» رَاجِعٌ إِلَى الرَّجُلِ أَوْ إِلَى المَوْصُولِ وَهُوَ الأَلِفُ وَاللامُ فِي الذَّابِّ وَالمَنَاضِلِ، فَإِذْنِ المَعْنَى إِذَا اتَّوَا البَأْسَ تَمَلَّقُوا وَأَظْهَرُوا الشَّفَقَةَ عَلَيْكُمْ كَمَا يَتَرَفَّرُ الطَّائِرُ لِيَقَعَ عَلَى الشَّيْءِ، وَإِذَا حَصَلُوا فِي الخَوْفِ نَظَرُوا إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ لِتَذِيبُوا عَنْهُمْ، ثُمَّ إِذْ حَصَلَتْ قِسْمَةُ الغَنَائِمِ نَقَلُوا ذَلِكَ التَّمَلُّقَ إِلَى القَوْلِ الغَلِيظِ طَالِبِينَ المَالِ، وَنَسُوا تِلْكَ الحَالَةَ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «نَقَلُوا ذَلِكَ الشَّحَّ» إِلَى آخِرِهِ.

قوله: (وَحَوْرًا)، أَي: رِخَاوَةً، الأساس: وَمَنْ المَجَازِ: رَجُلٌ حَوَارٌّ جَبَانٌ.

قوله: (ضربوكم بالسُّتَيْهِمْ)، هو بِمَعْنَى ﴿سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ﴾. قال الزجاج: مَعْنَى ﴿سَلَقُوكُمْ﴾: خَاطَبُوكُمْ أَشَدَّ مَخَاطَبَةً وَأَبْلَغَهَا فِي الغَنِيمَةِ، يُقَالُ: خَطَبْتُ مِسْلَاقًا وَسَلَقْتُ؛ إِذَا كَانَ بَلِيغًا فِي خُطْبَتِهِ<sup>(١)</sup>.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٢١).

وقالوا: وَفَرُوا قِسْمَتَنَا فَإِنَّا قَدْ شَاهَدْنَاكُمْ وَقَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وبمكاننا غلبتم عدوكم، وبنا نُصِرْتُمْ عَلَيْهِمْ. وَنُصِبَ ﴿أَشِحَّةً﴾ عَلَى الْحَالِ، أَوْ عَلَى الذَّمِّ. وَقُرئ: (أَشِحَّةً) بِالرَّفْعِ، وَ(صَلَّقُواكُمْ) بِالصَّادِ. فَإِن قُلْتَ: هَلْ يَثْبُتُ لِلْمَنَافِقِ عَمَلٌ حَتَّى يَرِدَ عَلَيْهِ الْإِحْبَاطُ؟ قُلْتُ: لَا، وَلَكِنَّهُ تَعْلِيمٌ لِمَنْ عَسَى يَظُنُّ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللِّسَانِ إِيْمَانٌ وَإِنْ لَمْ يُوْطِئْهُ الْقَلْبُ، وَأَنَّ مَا يَعْمَلُ الْمَنَافِقُ مِنَ الْأَعْمَالِ يُجْدِي عَلَيْهِ، فَيَبِينُ أَنَّ إِيْمَانَهُ لَيْسَ بِإِيْمَانٍ، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ يَوْجَدُ مِنْهُ بَاطِلٌ. وَفِيهِ بَعَثْتُ عَلَى إِتْقَانِ الْمَكْلُوفِ أَسَاسَ أَمْرِهِ؛ وَهُوَ الْإِيْمَانُ الصَّحِيحُ،

قوله: (وَنُصِبَ ﴿أَشِحَّةً﴾ عَلَى الْحَالِ)، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿أَشِحَّةً﴾ الْأُولَى حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿وَلَا يَأْتُونَ﴾، وَالثَّانِي مِنَ الضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ فِي ﴿سَلَقُواكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وَقَالَ مَكِّي: الصَّحِيحُ أَنَّ ﴿أَشِحَّةً﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿يَأْتُونَ﴾، وَ﴿وَلَا يَأْتُونَ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿وَالْقَائِلِينَ﴾، وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلْتُمَا جَمِيعاً حَالَيْنِ مِنَ الْمُضْمَرِ فِي ﴿وَالْقَائِلِينَ﴾ وَيَجُوزُ نَصْبُهُ عَلَى الذَّمِّ<sup>(٢)</sup>. وَقِيلَ: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾، وَ﴿تَدُورُ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «يَنْظُرُونَ كَالَّذِي» أَي: دُورَاناً كَدُورَانِ عَيْنِ الَّذِي، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَافُ حَالاً مِنْ أَعْيُنِهِمْ أَي مُشَبَّهَةً عَيْنِ الَّذِي.

قوله: (وَصَلَّقُواكُمْ بِالصَّادِ)، وَأَنشَدَ صَاحِبُ «الْمَطْلَعِ»:

فَصَلَّقْنَا فِي مُرَادٍ صَلَقَةً      وَصُدَّاءِ الْحَقَّتْهُمْ بِالثَّلَلِ<sup>(٣)</sup>

الثَّلَلُ: الْهَلَاكُ. وَالصَّلَقَةُ: الصَّدْمَةُ أَيْضاً وَالْوَاقِعَةُ الْمُنْكَرَةُ.

قوله: (وَفِيهِ بَعَثْتُ عَلَى إِتْقَانِ الْمَكْلُوفِ أَسَاسَ أَمْرِهِ)، يَرِيدُ أَنَّ إِحْبَاطَ الْعَمَلِ إِنَّمَا يُتَّصَرُّ

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥٤).

(٢) لم أجده على هذه السياقة في كتب مكِّي، وأقرب ما فيها إلى المنقول هنا كلامه على هذه الآية في «تفسيره» المسمى بـ«الهداية» ص ٥٨١٠، أما في «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٧٦) فعبارة ثنتة: قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾: حَالٌ مِنَ الْمُضْمَرِ فِي ﴿سَلَقُواكُمْ﴾ وهو العامل فيه. انتهى. ولم أجده في مَطَّيْتِهِ مِنْ «الكشف عن وجوه القراءات السبع».

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري في «ديوانه» ص ٩٥، وذكره الزبيدي في «تاج العروس» (صلق).



وتنبية على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس، وأنها مما يذهب عند الله هباءً منثوراً. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ وكلُّ شيءٍ عليه يسير؟ قلت: معناه: أن أعمالهم حقيقةً بالإحباط، تدعو إليه الدواهي، ولا يصرف عنه صارف. ﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ أن الأحزاب لم ينهزموا، وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجنين

إذا وجد هناك عملٌ والمنافع لا عملٌ له حتى يُحْبَطَ، لكنَّ ورودَ هذا الأسلوب<sup>(١)</sup> على التعريض بمن له عملٌ والحثُّ له على الاحتياط والإتقان فيه لثلاً يؤول إلى الإحباط كقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ \* الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٦-٧]، وليس من المشركين من يُزَكِّي، ولكنَّ حثَّ المؤمنين على أدائها لأنَّ المنع من صفة المشركين فلا ينبغي للمؤمن أن يتَّصف به.

ومسألة الإحباط سبقت في أول «البقرة»، قال القاضي: ﴿فَلَعَبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾: فأظهر بطلانها إذ لم تثبت لهم أعمال فتبطل، أو أبطل صنيعهم ونفاقهم<sup>(٢)</sup>.

قوله: (معناه: أن أعمالهم حقيقةً بالإحباط تدعو إليه الدواهي)، يريد أن قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ كناية عن هذا المعنى، كما أن الناس إذا عقدوا همهم على حصول أمر بعيد المنال واهتموا به قبل لهم تسلياً: وما ذلك على الله بعزيز. قال القاضي: ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً لتعلق الإرادة به وعدم ما يمنعه عنه<sup>(٣)</sup>. وقال صاحب «التقريب»: لا يخاف اعتراضاً عليه.

قوله: (فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين)، ليس في «المعالم»<sup>(٤)</sup> ولا في

(١) في (ج): «المطلوب»، وهي سائفة متجهة.

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٢٨).

(٣) المصدر السابق (٤: ٢٢٨).

(٤) يعني: «معالم التنزيل» للإمام البغوي، حيث لم يذكر رجوع المنافقين إلى المدينة في تفسير هذه الآية.

انظر: «معالم التنزيل» (٦: ٣٣٥).

المُفْرَط. ﴿وَلَنْ يَأْتِيَ الْأَحْزَابُ﴾ كَرَّةً ثَانِيَةً تَمَنَّا - لَخَوْفِهِمْ مِمَّا مَنَّا بِهِ هَذِهِ الْكِرَّةَ -  
أَسْمُهُمْ خَارِجُونَ إِلَى الْبَدْوِ حَاصِلُونَ بَيْنَ الْأَعْرَابِ ﴿يَسْتَلُونَ﴾ كَلَّ قَادِمٌ مِنْهُمْ مِنْ  
جَانِبِ الْمَدِينَةِ عَنْ أَخْبَارِكُمْ وَعَمَّا جَرَى عَلَيْكُمْ، ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى  
الْمَدِينَةِ، وَكَانَ قِتَالٌ لَمْ يُقَاتِلُوا إِلَّا تَعَلَّةَ رِيَاءٍ وَسُنْعَةٍ. وَقُرِي: (بُدَى) عَلَى فَعَلٍ جَمْعُ بَادٍ،  
كَغَازٍ وَعُزَّى. وَفِي رَوَايَةٍ صَاحِبِ «الْإِقْلِيدِ»: (بَدِيًّا)، بوزن: عَدِي. وَ(يَسَاءَلُونَ)، أَي:  
يَتَسَاءَلُونَ. وَمَعْنَاهُ: يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا سَمِعْتَ؟ مَاذَا بَلَغْتَ؟ أَوْ: يَتَسَاءَلُونَ  
الْأَعْرَابَ، كَمَا تَقُولُ: رَأَيْتُ الْهَلَالَ وَتَرَاءَيْتَاهُ.

«الوسيط»<sup>(١)</sup> هذا. لعل ذلك نشأ له من فعل الحُسبان؛ إذ لو لم يغيبوا عن الخندق لم يحسبوا ذلك، وهو ضعيف.

قوله: (مِمَّا مَنَّا)، أي: ابتلوا، الجوهري: مَنَوْتُهُ وَمَنَيْتُهُ؛ إِذَا ابْتَلَيْتَهُ.

قوله: (وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ)، أي: من الخندق إلى المدينة، يدل عليه قوله: «فَانصَرَفُوا مِنْ الْخَنْدِقِ إِلَى الْمَدِينَةِ».

قوله: (تَعَلَّةٌ)، الجوهري: عَلَّلَهُ بِالشَّيْءِ، أَي: أَلْهَاهُ كَمَا يُعَلِّلُ الصَّبِيَّ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ  
يَتَجَزَّأُ بِهِ عَنِ اللَّبَنِ. النِّهَايَةُ: وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي حَنِمَةَ يَصِفُ التَّمْرَ: «تَعَلَّةُ الصَّبِيِّ» أَي: مَا  
يُعَلِّلُ بِهِ الصَّبِيَّ لِيَسْكُتَ.

قوله: (وَقُرِي: «بُدَى»)، قَالَ ابْنُ جَنِّي: وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ: «بُدَى» شَدِيدَةُ الدَّالِ  
مُنَوَّنَةٌ، جَمْعُ بَادٍ، كَغَزَى جَمْعُ غَازٍ، عَلَى فَعَّلٍ، وَلَوْ كَانَ عَلَى فَعَالٍ لَكَانَ بُدَاءً وَعُزَّاءً، ككَاتِبٍ  
وَكُتَّابٍ، وَضَارِبٍ وَضَّرَابٍ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (كَمَا تَقُولُ: رَأَيْتُ الْهَلَالَ وَتَرَاءَيْتَاهُ)، يَرِيدُ أَنَّ «يَتَسَاءَلُونَ» بِمَعْنَى: يَسْأَلُونَ، قَالَ:  
سَمِعْتُ الْعَرَبَ تَقُولُ: تَبَاصَّرْتُهُ، أَي: أَبْصَرْتُهُ.

(١) يعني: «الوسيط» للواحد (٣: ٤٦٤)، حيث لم يذكر ما ذكره الزمخشري من رجوع المناقذين إلى المدينة.

(٢) «المحتسب» (٢: ١٧٧)، وذكرها ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ١١٩ وعزاها لابن مسعود وطلحة - يعني: ابن مَصْرَفٍ - وَعَلَّلَهُ بِمَا عَلَّلَ بِهِ ابْنُ جَنِّي.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا﴾ [٢١]

كان عليكم أن تُواشوا رسولَ الله ﷺ أسوةً حسنةً بأنفسكم فتوازروه وتبشروا معه، كما آسأكم بنفسه في الصبر على الجهادِ والثبات في مَرَحَى الحَرْبِ، حتى كُسرت رُبَاعِيَّتَهُ يَوْمَ أَحَدٍ وَشُجَّ وَجْهُهُ. فَإِن قُلْتَ: فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وقرئ: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بالضم<sup>(١)</sup>؟ قلتُ: فيه وجهان، أحدهما: أنه في نفسه أسوةٌ حسنة، أي: قُدْوَةٌ، وهو المؤتسى به، أي: المقتدى به، كما تقول: في البَيْضَةِ

قَوْلُهُ: (فَتُوازِرُوهُ)، النهاية: يقال: آزَرَهُ وَأَزَّرَهُ: إِذَا أَعَانَهُ وَأَسْعَدَهُ، مِنَ الْأَزْرِ: الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ.

قَوْلُهُ: (وَفِي مَرَحَى الْحَرْبِ)، النهاية: قَالَ سُلَيْبَانَ بْنِ صَرْدٍ: «أَتَيْتُ عَلِيًّا حِينَ فَرَغَ مِنْ مَرَحَى الْحَرْبِ». الْمَرَحَى: الَّذِي دَارَتْ عَلَيْهِ رَحَى الْحَرْبِ، يُقَالُ: رَحَيْتُ الْحَرْبَ وَرَحَوْتُهَا إِذَا أَدْرَجْتَهَا.

قَوْلُهُ: (وَقُرِئَ: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بِالضَّمِّ) عَاصِمٌ، وَبِالْقَوْنِ: بِالكَسْرِ<sup>(٢)</sup>.

الْمَغْرِبِ: يُقَالُ: آسَيْتُهُ بِمَا لِي، أَي: جَعَلْتُهُ أُسْوَةً أَقْتَدِي بِهِ وَيَقْتَدِي هُوَ بِي، وَوَأَسَيْتُ: لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ<sup>(٣)</sup>، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «كَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُوَاسُوا رَسُولَ اللَّهِ بِأَنْفُسِكُمْ كَمَا آسَأَكُمْ بِنَفْسِهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ».

قَوْلُهُ: (أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)، أَي: أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّجْرِيدِ، جُرِّدَ مِنْ نَفْسِهِ الزَّكَاةِ ﷺ سَيِّئًا يُسَمَّى قُدْوَةً، وَهِيَ هُوَ. وَأَنْشَدَ أَبُو عَلِيٍّ:

(١) «إسوة» بكسر الهمزة هي قراءة الجمهور.

(٢) لتمام الفائدة انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٧٥.

(٣) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ٣٩).

عشرونَ مَنَّا حَدِيدٍ، أي: هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد. والثاني: أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتُتبع؛ وهي المُواساةُ بنفسه. ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿لَكُمْ﴾، كقوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الاعراف: ٧٥]، ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: من قولك: رجوتُ زيداَ وفضلَه، أي: فضلَ زيد، أو: يرجو أيامَ الله واليومَ الآخرَ خصوصاً. والرجاءُ بمعنى الأملِ أو الخوفِ، ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾: وقرَنَ الرجاءَ بالطاعاتِ الكثيرةِ والتوفُّرِ على الأعمالِ الصالحةِ، .....

أفادت بنو مروان ظلماً دماءنا وفي الله إن لم يحكموا حكمَ عدلٍ<sup>(١)</sup>

قال ابنُ جنِّي: وهو تعالى أعرفُ المعارفِ، وقد سَآهُ الشاعرُ حكماً عدلاً، وأخرج اللفظَ مُخَرَّجَ التنكيرِ والمألِّ إلى معنى التعريفِ، ومنه قولك: لئن لقيت رسولَ الله ﷺ لتلقينَ منه رجلاً مُتَنَاهِياً في الخيرِ ورسولاً جامعاً لسبيلِ الفضلِ، فقد آلتُ به الحالُ إلى معنى التجريدِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿لَكُمْ﴾ قال أبو البقاء: منع منه الأكثرون، لأنَّ ضميرَ المُخاطَبِ لا يُبدَلُ منه، فعلى هذا يجوزُ أن يتعلَّقَ بـ ﴿حَسَنَةً﴾ أو يكونَ نعتاً لها، ولا يتعلَّقُ بـ ﴿أَسْوَةً﴾، لأنها قد وُصِفَتْ<sup>(٣)</sup>. قال صاحب «التقريب»: ﴿لَمَنْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿لَكُمْ﴾ بَدَلٌ بَعْضٍ أَوْ اشْتِمَالٍ، إِذِ الْمُظْهَرُّ لَا يُبَدَّلُ مِنَ الْمُخاطَبِ بَدَلِ الكُلِّ.

قوله: ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ من قولك: رجوتُ زيداَ وفضلَه، أي: هو من بابِ: أعجبنى زيدٌ وكرمه، على تقدير: يرجو اللهَ وثوابه، فوُضِعَ اليومُ الآخرُ موضِعَه، لأنَّ ثوابَ الله يقعُ فيه، وهو من إطلاقِ اسمِ المحلِّ على الحالِّ، وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آتَيْتُمْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي: في الجنة. والوجهُ الثاني: من بابِ عطفِ العامِّ على الخاصِّ. قال صاحب «الفرائد»: يُمكنُ أن يكونَ التقديرُ: يرجو رحمةَ الله تعالى أو رضاَ الله وثوابَ اليومِ الآخرِ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) «المحتسب» (١: ٤٢).

(٣) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥٥).

والمؤتسي برسول الله ﷺ: مَنْ كَانَ كَذَلِكَ.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢٢﴾﴾

وَعَدَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُزَلِّزَلُوا حَتَّى يَسْتَفِيثُوهُ، وَيَسْتَنْصِرُوهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤] فَلَمَّا جَاءَ الْأَحْزَابُ وَشَخِصَ بِهِمْ وَاضْطَرُّوا وَرُعِبُوا الرَّعْبَ الشَّدِيدَ ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وَأَيَقَنُوا بِالْجَنَّةِ وَالنَّصْرِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «إِنَّ الْأَحْزَابَ سَائِرُونَ إِلَيْكُمْ تِسْعًا أَوْ عَشْرًا» أَي: فِي آخِرِ تِسْعِ لَيَالٍ أَوْ عَشْرٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا لِلْمِيعَادِ قَالُوا ذَلِكَ. وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْخَطْبِ أَوْ الْبَلَاءِ. ﴿إِيمَانًا﴾ بِاللَّهِ وَبِمَوَاعِيدِهِ ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لِقَضَايَاهُ وَأَقْدَارِهِ.

قَوْلُهُ: (وَالْمُؤْتَسِي)، هُوَ الْمَبْتَدَأُ، وَالْخَبْرُ «مَنْ كَانَ كَذَلِكَ»، وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ: «قَرَنَ الرَّجَاءَ بِالطَّاعَاتِ الْكَثِيرَةِ»، الْمَعْنَى: مَنْ كَانَ مُقْتَدِيًا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُقْتَفِيًا آثَارَهُ يَنْبَغِي أَنْ يَخَافَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَيَتَوَقَّرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

قَوْلُهُ: (وَعَدَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُزَلِّزَلُوا حَتَّى يَسْتَفِيثُوهُ)، تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢٢]. قَالَ الزَّجَّاجُ: الْوَعْدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْأَسَاءَةِ وَالضَّرَّةِ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وَلَمَّا ابْتَلَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَزُلُّوا زَلْزَالًا شَدِيدًا عَلِمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّصَرَ قَدْ وَجَبَا لَهُمْ <sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَشَخِصَ بِهِمْ)، الْأَسَاسُ: وَمِنْ الْمَجَازِ: شَخِصَ بِفُلَانٍ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ أَفْلَقَهُ.

قَوْلُهُ: ﴿إِيمَانًا﴾ بِاللَّهِ، مَفْعُولٌ لَهُ، أَي: قَالُوا هَذَا مُشِيرِينَ إِلَى الْخَطْبِ أَوْ الْبَلَاءِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَسْلِيمًا لِقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٢٢)، ولتعام الفائدة انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية ص ١٨٨.

[﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ \* وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَّا لُؤَاخِيراً وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ \* وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ \* وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَنْطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [٢٣-٢٧]

نَدَّرَ رِجَالٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ إِذَا لَقُوا حَرْبًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَبَتُوا وَقَاتَلُوا حَتَّى يُسْتَشْهِدُوا، وَهَم: عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ، وَحَمْزَةُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَغَيْرُهُمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ﴿فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَجْبَهُ﴾ \* يَعْنِي حَمْزَةُ وَمُصْعَبًا، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ﴾ \* يَعْنِي عَثْمَانَ وَطَلْحَةَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «سَنَ أَحَبُّ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ». فَإِنْ قُلْتَ: مَا

قَوْلُهُ: (نَدَّرَ رِجَالٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ إِذَا لَقُوا حَرْبًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَبَتُوا وَقَاتَلُوا)، رَوَيْنَا عَنْ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ: قَالَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ - سُمِّيَتْ بِهِ، لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِ - فَقَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْبَتْ عَنْهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَشَنَ أَرَانِي اللَّهُ مَشْهَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(١)</sup> بَعْدَ لَيْرَيْنِ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ. قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا، فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْقَابِلِ<sup>(٢)</sup>، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ لَهُ أَنَسُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ ثُمَّ قَالَ: وَاهَا لَرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهَا دُونَ أُحُدٍ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بَضْعٌ وَثَانُونَ؛ مِنْ ضَرْبَةِ وَطْعَنَةٍ وَرَمِيَةٍ. قَالَتْ عَمَّتِي الرَّبِيعَةُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣] (٣).

(١) من قوله: «غيبَتْ عنه، أما والله» إلى هنا، سقط من (ط) و(ح).

(٢) يعني من العام المقبل.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٥) ومسلم (١٩٠٣) والترمذي (٣٢٠٠) واللفظ له.

قضاء النَّحْبِ؟ قلتُ: وَقَعَ عبارة عن الموت؛ لأنَّ كلَّ حيٍّ لا بدَّ له من أن يموت، فكأنه نذُرٌ لازم في رَقَبَتِهِ، فإذا مات فقد قضى نَحْبَهُ، أي: نذَرَهُ. وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ يحتمل موته شهيداً، ويحتملُ وفاءه بنذره من الثَّباتِ مع رسولِ الله ﷺ. فإن قلت: فما حقيقة قوله: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾؟ قلتُ: يقال: صدَّقني أخوك وكذَّبني؛ إذا قال لك الصدق والكذب. وأمَّا المثلُّ: «صدَّقني سنُّ بَكْرِهِ» فمعناه: صدَّقني في سنِّ بَكْرِهِ، بطرحِ الجارِّ وإيصالِ الفعل؛ فلا يخلو ﴿مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

قوله: (ويحتملُ وفاءه بنذره من الثَّباتِ مع رسولِ الله ﷺ)، فيه حَزَازة، لأنه لما أجاب عن معنى قضاء النَّحْبِ بآته كنايةً عن الموتِ لم يحسُن هذا التقسيم.

الراغب: النَّحْبُ: النَّذْرُ المحكومُ بوجوبه، يُقال: قضى فلانُ نَحْبَهُ؛ أي: وقى بنذره قال تعالى ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾<sup>(١)</sup> وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ ﴿[الأحزاب: ٢٣]، ويُعبَّرُ به عمَّن مات كقَوْلِهِمْ: قضى أجله، واستوفى أكله، وقضى من الدنيا حاجته. والنحيبُ: البكاءُ الذي معه الصوت<sup>(٢)</sup>.

قوله<sup>(٣)</sup>: «استوفى أكله»: كنايةٌ عن انقضاءِ الأجلِ، والأكلُ: اسمٌ لما يؤكَلُ، بضمِّ الكافِ وسكونه، ويُعبَّرُ به عن النصيبِ، يقال: فلانٌ ذو أكلٍ من الدنيا.

قوله: (صدَّقني سنُّ بَكْرِهِ)، قال الميداني: البَكْرُ: الفتى من الإبل، يُقال: صدَّقته الحديثُ وفي الحديث، يُضْرَبُ مثلاً في الصدق. وأصله: أن رجلاً ساوَمَ رجلاً في بَكْرِ فقال: ما سنُّه؟ فقال صاحبه: بازِلٌ<sup>(٤)</sup>، ثم نَفَرَ البَكْرُ فقال له صاحبه: هدغٌ هدغٌ، وهذه لفظةٌ تُسَكَّنُ بها الصَّغار من الإبل، فقال المُستري: صدَّقني سنُّ بَكْرِهِ، ونُصِبَ على معنى: عَرَّفني سنُّ بَكْرِهِ ويجوزُ أن يُقالَ: صدَّقني خَبَرُ سِنِّ، ثم حذَفَ المُضَافَ، ويروى: «صدَّقني سنُّ» بالرفع،

(١) من قوله: «أي: وقى بنذره» إلى هنا، سقط من (ح).

(٢) «مفردات القرآن» ص ٧٩٣ - ٧٩٤.

(٣) أي: قول الراغب.

(٤) وهو البعير الذي يزل نابُه، ويكون ذلك بدخوله في السنة التاسعة.

عَلَيْهِ ﴿۱﴾ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِمَنْزِلَةِ السَّنِّ فِي طَرْحِ الْجَارِّ، وَإِمَّا أَنْ يُجْعَلَ الْمِعَاهَدُ عَلَيْهِ مَصْدُوقًا عَلَى الْمَجَازِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا لِلْمِعَاهَدِ عَلَيْهِ: سَنَفِي بكَ، وَهَمُّ وَأَفُونُ بِهِ؛ فَقَدْ صَدَّقُوهُ، وَلَوْ كَانُوا نَاكِثِينَ لَكَذَّبُوهُ، وَلَكَانَ مَكْذُوبًا، ﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾ الْعَهْدَ وَلَا غَيْرَهُ، لَا الْمُسْتَشْهَدُ وَلَا مَنْ يَنْتَظِرُ الشَّهَادَةَ، وَلَقَدْ نَبَتْ طَلْحَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى أُصِيبَتْ يَدُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْجَبَ طَلْحَةَ»، وَفِيهِ تَعْرِيفٌ بِمَنْ بَدَّلُوا مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ

جَعَلَ الصَّدْقَ لِلسَّنِّ تَوْسِعًا<sup>(١)</sup>، وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْمُصَنِّفِ: «أَنْ يُجْعَلَ الْمِعَاهَدُ عَلَيْهِ مَصْدُوقًا عَلَى الْمَجَازِ».

قَوْلُهُ: (أَوْجَبَ طَلْحَةَ)<sup>(٢)</sup>، النِّهَايَةُ: فِي الْحَدِيثِ: مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَقَدْ أَوْجَبَ، يُقَالُ: أَوْجَبَ الرَّجُلُ: إِذَا فَعَلَ فِعْلًا أَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ.

قَوْلُهُ: (وَفِيهِ تَعْرِيفٌ بِمَنْ بَدَّلُوا مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ)، أَي: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ بِصِدْقِهِمْ، وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ رَجَالٌ كَذَبُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ وَبَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيُعَذِّبَهُمْ، فَوَضَعَ مَوْضِعَ الضَّمِيرَيْنِ الْمُظْهِرَيْنِ؛ لِلإِذَانِ بِأَنَّ اسْتِحْقَاقَ كُلِّ سَبَبٍ عَمَلِهِ، فَاللَّامُ الْمُقَدَّرُ فِي «لِيُعَذِّبَهُمْ» تَجَازٌ لِلْعَاقِبَةِ، وَهَاهُنَا طَرِيقٌ أَسْهَلُ مَأْخِذًا، وَأَبْعَدُ مِنَ التَّعْسُفِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْمَقْصُودِ وَهُوَ أَنْ تُعَلَّقَ اللَّامُ بِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَكَّرَمَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّمَا ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِرُؤْيَةِ ذَلِكَ الْحَطْبِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ «بِهَذَا» - كَمَا قَالَ: ﴿هَذَا﴾ إِشَارَةً إِلَى الْحَطْبِ أَوْ إِلَى الْبَلَاءِ - لِيُجْزِيَ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْوَصْفِ وَالْعَدِّ، وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ، كَمَا سَبَقَ مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

(١) «مجمع الأمثال» (١: ٣٩٢).

(٢) هُوَ جِزَاءٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١٤١٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٦٩٢)، وَابْنُ حِبَّانَ (٦٩٧٩) مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ - يَعْنِي صَاحِبَ السِّيَرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ - وَفِي الْبَابِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَالسَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ.

قُلْتُ: قَدْ صَرَّحَ ابْنُ إِسْحَاقَ بِالتَّحْدِيثِ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ، فَانْتَفَتْ شُبُهَةٌ تَدْلِيْسُهُ، وَيَحْيَى بْنُ عَبَّادٍ ثِقَةٌ أَخْرَجَ لَهُ أَصْحَابُ السَّنَنِ، فَالْحَدِيثُ قَوِيٌّ الْإِسْنَادُ.



ومَرَضِ الْقُلُوبِ؛ جُعِلَ الْمُنَافِقُونَ كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا عَاقِبَةَ السَّوِّءِ وَأَرَادُوا بِتَبْدِيلِهِمْ، كَمَا قَصَدَ الصَّادِقُونَ عَاقِبَةَ الصُّدُقِ بِوَفَائِهِمْ؛ لِأَنَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مَسُوقٌ إِلَى عَاقِبَتِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَكَأَنَّهَا اسْتَوَيَا فِي طَلَبِهَا وَالسَّعْيِ لِتَحْصِيلِهَا. وَيَعْدُّهُمْ ﴿إِنْ شَاءَ﴾ إِذَا لَمْ يَتُوبُوا ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إِذَا تَابُوا، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الْأَحْزَابِ ﴿بِعِظَتِهِمْ﴾ مَغِيظِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿تَبَّتْ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. ﴿لَرَبِّنَا لَوْ خَيْرًا﴾ غَيْرَ ظَافِرِينَ، وَهِيَ حَالَانِ بِتَدَاخُلٍ أَوْ تَعَاقُبٍ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةُ بَيَانًا لِلأُولَى أَوْ اسْتِثْنَاءً، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بِالرَّبِّيعِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا الْأَحْزَابَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ مِنْ صَيَاصِيهِمْ: مِنْ حُصُونِهِمْ. وَالصَّيْصِيَّةُ: مَا تُحْصَنُ بِهِ، يُقَالُ لَقَرْنِ الثَّوْرِ وَالظَّبْيِ: صَيْصِيَّةٌ، وَلَشَوْكَةِ الدَّيْكَ؛ وَهِيَ تُحْلَبُ الَّتِي فِي سَاقِهِ؛ لِأَنَّهُ يَتَحَصَّنُ بِهَا.

﴿لَسْتَلَّ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٨] قَالَ: «﴿وَأَعَدَّ﴾ عَطَفٌ عَلَى ﴿وَلِإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ﴾؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ أَكَّدَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الدَّعْوَةَ إِلَى دِينِهِ لِأَجْلِ إِثَابَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ...».

وَفِي كَلَامِ أَبِي الْبَقَاءِ إِشْعَارٌ بِهَذَا حَيْثُ قَالَ: ﴿لَيَجْزِيَّ اللَّهُ﴾ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِأَمِّ الْعَاقِبَةِ، وَأَنْ تَتَعَلَّقَ بِ﴿صَدَقُوا﴾ أَوْ بِ﴿زَادَهُمْ﴾ أَوْ بِ﴿مَا بَدَّلُوا﴾<sup>(١)</sup>. وَعَلَى الرَّجَاحِ بِ﴿صَدَقُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (بِتَدَاخُلٍ أَوْ تَعَاقُبٍ)، التَّدَاخُلُ: أَنْ يُعْمَلَ الْحَالُ الْأَوَّلِيُّ فِي الثَّانِيَةِ وَيَكُونُ الْحَالَانِ لَشَيْئَيْنِ لَفْظًا، وَالتَّعَاقُبُ: أَنْ يَكُونَ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ.

قَوْلُهُ: ﴿﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بِالرَّبِّيعِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾، الرَّغْبُ: الْكِفَايَةُ: مَا فِيهِ سَدُّ الْحَلَّةِ وَبَلُوغُ الْمَرَادِ فِي الْأَمْرِ، وَالْكَفِيَّةُ مِنَ الْقُوَّةِ: مَا فِيهِ كِفَايَةُ<sup>(٣)</sup>.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥٥).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٢٢).

(٣) «مفردات القرآن» ص ٧١٩.

رُوي: أَنَّ جبريلَ عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ صبيحةَ الليلة التي انهزمَ فيها الأحزابُ ورجَعَ المسلمون إلى المدينةِ ووضَعوا سِلاحَهم على فَرَسِهِ الحَيَزومِ والغبارُ على وجهِ الفَرَسِ وعلى السَّرجِ، فقال: «ما هَذَا يا جبريلُ؟» قال: من مُتَابِعَةِ قُرَيْشٍ. فَجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يَمَسُحُ الغُبَارَ عن وجهِ الفَرَسِ وعن سَرَجِهِ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ الملائكةَ لم تَضَعِ السِّلاحَ، إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ بالسَّيرِ إلى بني قُرَيْظَةَ، وأنا عامِدٌ إليهم، فَإِنَّ اللهَ دَأَبَهُمْ دَقَّ البَيْضِ على الصِّفا، وإنهم لكم طُعْمَةٌ، فأذَّنَ في الناس: «أَنْ مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطِيعاً فَلَا يُصَلِّ العَصْرَ إلا في بني قُرَيْظَةَ»، فما صَلَّى كثيرٌ من الناس العَصْرَ إلا بعدَ العشاءِ الآخِرَةِ، لقولِ رسولِ الله ﷺ، فحاصَرَهُم خَمْساً وعشرين ليلةً حتى جَهدَهُم الحِصارُ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «تَنزِلونَ على حُكْمِي؟» فأبَوْا، فقال: «على حُكْمِ سَعْدِ بنِ معاذٍ؟» فَرَضُوا به، فقال سعدٌ: حَكَمْتُ فيهم أَنْ تُقَاتِلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وتُسَبِّ ذُرَارِيَهُمْ ونِساؤَهُمْ، فكَبَّرَ النبيُّ ﷺ، وقال: «لقد حَكَمْتُ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ

قوله: (ورُوي<sup>(١)</sup>) أَنَّ جبريلَ أتى رسولَ الله ﷺ، الحديثُ مِنْ رِوَايَةِ البُخَارِيِّ ومُسلمٍ عن عائشةَ رضي اللهُ عنها: فلما رَجَعَ رسولُ الله ﷺ مِنَ الخَنْدِيقِ ووضَعَ السِّلاحَ واغْتَسَلَ، أتاه جبريلُ عليه السلامُ وهو يَنْفُضُ رأسَهُ مِنَ الغُبَارِ فقال: «قد وضَعْتَ السِّلاحَ! واللهُ ما وضَعْتَهُ، اخْرُجْ إليهم». فقال النبيُّ ﷺ: «فأين؟» فأشارَ إلى بني قُرَيْظَةَ فأتاهم رسولُ الله ﷺ فتزلوا على حُكْمِهِ، فَرَدَّ الحُكْمَ إلى سَعْدِ<sup>(٢)</sup>. قال: فلإني أَحْكُمُ فيهم أَنْ تُقَاتِلَ المُقَاتِلَةَ وتُسَبِّ النِّساءَ والذُّرِيَّةَ وأن يُغَنِّمَ أَمْوَالَهُمْ<sup>(٣)</sup>، وزادَ في رِوَايَةِ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لقد حَكَمْتُ فيهم بِحُكْمِ اللهِ»، وفي رِوَايَةٍ: «بِحُكْمِ المَلِكِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) كذا في الأصول الخطية؛ بالواو، وليست في «الكشاف».

(٢) يعني ابن معاذ رضي الله عنه، وكان قد جرح جرحاً بليغاً في غزوة الخندق نعب منه الدم، ثم قضى نخبه شهيداً رضوان الله عليه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨١٣) و(٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٩).

(٤) وكلتاها ثابتان في «الصحيح».

سبعة أَرْقَعَة»، ثم استنزَلَهُمْ، وَخَنَدَقَ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ خَنَدَقًا، وَقَدَّمَهُمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ وَهُمْ مِنْ ثَمَانِ مِئَةٍ إِلَى تِسْعِ مِئَةٍ، وَقِيلَ: كَانُوا سِتِّ مِئَةٍ مَقَاتِلٍ وَسَبْعِمِئَةِ أُسِيرٍ. وَقُرِي: ﴿الرُّعْبَ﴾ بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا. وَ (تَأْسُرُونَ) بِضَمِّ السِّينِ.

وَرُوي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ عَقَارَهُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ فِي مَنَازِلِكُمْ»، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَّا تَخْمُسُ كَمَا حَمَسْتَ يَوْمَ بَدْرٍ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّمَا جُعِلَتْ هَذِهِ لِي طُعْمَةً دُونَ النَّاسِ»، قَالَ: رَضِينَا بِمَا صَنَعَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. ﴿وَأَرْضَانَا تَطَعُوهُمَا﴾ عَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَارِسُ وَالرُّومِ. وَعَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهَا مَكَّةُ. وَعَنْ مَقَاتِلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هِيَ

قوله: (سَبْعَةُ أَرْقَعَةٍ)<sup>(١)</sup>، جَاءَ عَلَى لَفْظِ التَّذْكِيرِ كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى السَّقْفِ.

النهاية: يَعْنِي سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، كُلُّ سَمَاءٍ يُقَالُ لَهَا: رَقِيعٌ، وَالْجَمْعُ أَرْقَعَةٌ، وَيُقَالُ: الرَّقِيعُ: اسْمُ سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَأَعْطَى كُلَّ سَمَاءٍ اسْمَهَا.

قوله: (خَنَدَقَ)، أَي: حَفَرَ.

قوله: (مِنْ ثَمَانِ مِئَةٍ إِلَى تِسْعِ مِئَةٍ)، أَي: هُمْ كَانُوا مِنْ بَيْنِ ثَمَانِ مِئَةٍ رَأْسٍ إِلَى مَتَاهِي تِسْعِ مِئَةٍ، لَا يَنْقُصُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَزِيدُونَ عَلَى هَذَا.

قوله: (وَقُرِي: ﴿الرُّعْبَ﴾ بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا)، بِالضَّمِّ: ابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ، وَالْباقُونَ: بِالسُّكُونِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (فَقَالَ<sup>(٣)</sup> الْأَنْصَارُ فِي ذَلِكَ)، أَي: فِي شَأْنِهِ وَأَمْرِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ هَذَا اللَّفْظُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» بِإِسْنَادِ ذِكْرِ الزُّبَيْرِيِّ فِي «تَحْرِيجِ أَحَادِيثِ الْكِشَافِ» (٣): (١٠٣)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ زَنْجَوَيْهِ فِي «الْأَمْوَالِ» (١: ٣٤٣) كَلَامًا يَرْوِيهِ مِنْ حَدِيثِ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَاصٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ وَأَنَّهَا لُغَتَانِ أَجْرَدُهُمَا السُّكُونُ. انظُرْ: «حِجَّةُ الْقِرَاءَاتِ» ص ١٧٦.

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ، وَفِي «الْكِشَافِ»: «فَقَالَتْ».

خَيْر. وعن عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ومن بدع التفسير: أنه أراد نساءهم.

[يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوِجِكَ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أُمْتَعْتَكُمْ وَأَسْرَعْتَكُمْ سَرَاعًا جَمِيلًا \* وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٨-٢٩﴾]

أرذُن شيئاً من الدنيا من ثيابٍ وزيادة نفقة، وتغاييرن، فغمم ذلك رسول الله ﷺ؛ فنزلت، فبدأ بعائشة رضي الله عنها، وكانت أحبهن إليه، فخيرها وقرأ عليها القرآن، فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ، ثم اختارت جميعهن اختيارها، فشكرهن الله ذلك؛ فأنزل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

رؤي: أنه قال لعائشة: «إني ذاكرك لك أمراً، ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمرني أبويك»، ثم قرأ عليها القرآن، فقالت: أفي هذا أستأمر أبوي؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ورؤي: أنها قالت: لا تخبر أزواجك أنني اخترتك، فقال: «إنما

قوله: (فشكرهن الله)، أي: حمد الله على اختيارهن الرسول ﷺ، ووعدهن تضييف الأجر والرزق الكريم.

قوله: (رؤي أنه ﷺ قال لعائشة: «إني ذاكرك لك أمراً»)، الحديث، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عنها مع تغيير يسير في اللفظ<sup>(١)</sup>.

قوله: (ورؤي أنها قالت: لا تخبر أزواجك)، هذه الرواية في «مسند الإمام أحمد بن حنبل» زائدة على الحديث الأول ومُتصلة به، قالت: وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٨) ومسلم (١٤٧٥) والترمذي (٣٢٠٤) والنسائي (٦: ٥٥) وابن ماجه

بَعَثَنِي اللَّهُ مُبَلِّغًا وَلَمْ يَبْعَثْنِي مُتَعَتًّا». فَإِنْ قَلْتَ: مَا حَكَمُ التَّخْيِيرِ فِي الطَّلَاقِ؟ قُلْتَ: إِذَا قَالَ لَهَا: اخْتَارِي، فَقَالَتْ: اخْتَرْتُ نَفْسِي، أَوْ قَالَ: اخْتَارِي نَفْسَكَ، فَقَالَتْ: اخْتَرْتُ، لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ النَّفْسِ فِي قَوْلِ الْمُخَيَّرِ أَوْ الْمُخَيَّرَةِ؛ وَقَعَتْ طَلَقًا بَائِنَةً عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَاعْتَبَرُوا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي الْمَجْلِسِ قَبْلَ الْقِيَامِ أَوْ الْاِسْتِغَالِ بِهَا يَدُلُّ عَلَى الْإِعْرَاضِ، وَاعْتَبَرَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ اخْتِيَارَهَا عَلَى الْقَوْرِ وَهِيَ عِنْدَهُ طَلَقٌ رَجْعِيٌّ، وَهُوَ مَذْهَبُ عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ. وَعَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَالزَّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَمْرُهَا بِيَدِهَا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَفِي غَيْرِهِ، وَإِذَا اخْتَارَتْ زَوْجَهَا؛ لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ بِإِجْمَاعِ فَهَاءِ الْأَمْصَارِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: خَيْرٌ نَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخْتَرْنَاهُ وَلَمْ يَعُدَّهُ طَلَاقًا. وَرُوي: أَفْكَانٌ طَلَاقًا؟ وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا اخْتَارَتْ زَوْجَهَا: فَوَاحِدَةٌ رَجْعِيَّةٌ، وَإِنْ اخْتَارَتْ نَفْسَهَا: فَوَاحِدَةٌ بَائِنَةٌ. وَرُوي عَنْهُ أَيْضًا: أَنَّهَا إِنْ اخْتَارَتْ زَوْجَهَا فَلَيْسَ

مَا اخْتَرْتُ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُتَعَتًّا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا، لَا تَسْأَلَنَّ امْرَأَةٌ عَمَّا اخْتَرْتُ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا»<sup>(١)</sup>.

أَوْ قَعَّ «مُتَعَتًّا» مَقَابِلًا لِقَوْلِهِ: «مُبَلِّغًا»، فَيَجِبُ التَّطَابُقُ بَيْنَهُمَا مِنْ جِهَةِ التَّضَادِّ. وَالتَّعَتُّ: تَفَعُّلٌ مِنَ الْعَنَتِ، أَي: الْفَسَادِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْهَلَاكِ وَالْإِثْمِ وَالْخَطَأِ. وَالتَّفَعُّلُ وَالِاسْتِفْعَالُ يَلْتَقِيَانِ فِي مَوَاضِعَ، يُقَالُ: تَعَجَّلْتُهُ وَاسْتَعَجَلْتُهُ وَتَقَصَّيْتُهُ وَاسْتَقَصَّيْتُهُ، وَالنَّبِيُّ مَا بُعِثَ لَطَلَبِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا بُعِثَ لَزَفْعِهَا وَإِزَالَتِهَا.

المُغْرَبُ: أَعْنَتَهُ إِعْنَاتًا: أَوْ قَعَهُ فِي الْعَنَتِ فِيمَا شَقَّ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ: تَعَتَّتَهُ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلَهُ عَلَى جِهَةِ التَّلْبِيسِ عَلَيْهِ، وَالتَّلْبِيسُ مِمَّا يُنَافِي الْإِبْلَاحَ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (إِذَا اخْتَارَتْ زَوْجَهَا فَوَاحِدَةٌ رَجْعِيَّةٌ وَإِنْ اخْتَارَتْ نَفْسَهَا فَوَاحِدَةٌ بَائِنَةٌ)، قَالَ الْقَاضِي: تَعْلِيقُ التَّسْرِيحِ بِإِرَادَتِهَا الدُّنْيَا وَجَعْلُهَا قَسِيمًا لِإِرَادَتِهَا الرَّسُولِ ﷺ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢٥٣٠١)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» (٩١٦٤)، وَأَبُو عَوَانَةَ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤٥٨٧).

(٢) «المُغْرَبُ فِي تَرْتِيبِ الْمُغْرَبِ» (٢: ٨٤).

بشيء. أصل «تعال»: أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطني، ثم كثر حتى استوتت في استعماله الأمكنة. ومعنى «تعالين»: أقبلن بإرادتك واختيارك لأحد أمرين، ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن، كما تقول: أقبل يخاصمني، وذهب يكلمني، وقام يهددني. ﴿أَمْتَعَنَّ﴾: أعطيك من متعة الطلاق. فإن قلت: المتعة في الطلاق واجبة أم لا؟ قلت: المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد، مُتْعَتُهَا واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه، وأما سائر المطلقات فمُتْعَتُهُنَّ مُسْتَحَبَّةٌ. وعن الزهري: مُتْعَتَانِ، إحداهما: يقضي بها السلطان: من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها. والثانية: حق على المتقين: من طلق بعدما يفرض ويدخل. وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة، فقال: متعها إن كنت من المتقين، ولم يجبره. وعن سعيد بن جبير: المتعة حق مفروض. وعن الحسن: لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة. والمتعة: دِرْعٌ وَخِمَارٌ وَمِلْحَفَةٌ على حسب السعة والاقْتِدَارِ، إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك، فيجب لها الأقل منها. ولا ينقص من خمسة دراهم؛ لأن أقل المهر عشرة دراهم، فلا ينقص من نصفها. فإن قلت: ما وجه قراءة من قرأ: (أمتعن وأسرحكن) بالرفع؟ قلت:

المُخَيَّرَةُ إذا اختارت الزوج لم تطلق خلافاً لزيد والحسن ومالك وإحدى الروایتين عن علي رضي الله عنه، يؤيده قول عائشة رضي الله عنها: خَيْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخْتَرَنَا، ولم يعدّه طلاقاً. وتقديم التمتع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق<sup>(١)</sup>.

قوله: (المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد مُتْعَتُهَا واجبة عند أبي حنيفة)، قال القاضي: ليس في الكلام ما يدل عليه<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وعن الزهري مُتْعَتَانِ)، هما مبيتان على ما في «البقرة» من قوله ﴿وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١] بعد قوله ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣٠).

(٢) المصدر السابق (٤: ٢٣٠).

وجهُ الاستئناف ﴿سَرَحًا جَمِيلًا﴾ مِنْ غَيْرِ ضَرَارٍ طَلَاقًا بِالسُّنَّةِ. ﴿مِنْكَنَّ﴾ لِلْبَيَانِ لَا لِلتَّبَعِيضِ.

[﴿يُنْسَاءُ النَّبِيَّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ \* وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكَنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَّلَ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ٣٠-٣١]

الفاحشة: السيئة البليغة في القبح، وهي الكبيرة. والمبيئة: الظاهر فحشها، والمراد كل ما اقترفن من الكبائر. وقيل: هي عصيائهن رسول الله ﷺ ونشوزهن، وطلبهن منه ما يشق عليه، أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله. وقيل: الزنا، والله عاصم رسوله من ذلك، كما مر في حديث الإفك، وإنما ضوعف عذابهن؛ لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح؛ لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصية، وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ، ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة، والجزاء يتبع الفعل، وكون الجزاء عقاباً يتبع كون الفعل قبيحاً، فمتى ازداد قبحاً ازداد عقابه شدة؛ ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل؛ لأن المعصية من العالم أقبح؛ ولذلك فضل حد الأحرار على حد العبيد، حتى إن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ إيدان بأن كونهن نساء النبي ﷺ ليس بمغني عنهن شيئاً، وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب؟ فكان داعياً إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه.

مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّوهُنَّ ﴿البقرة: ٢٣٦﴾، قال سعيد بن جبير وأبو العالية والزهري: المتعة واجبة لكل مطلقه وفرقها هنا بين الواجبتين بأن قال في الأول: «يقضي به السلطان»، أي: يجبر عليه، وفي الثاني: «حق على المتقين»، وأتبع ذلك حكم شريح: «متنعا»، ولم يجبره.

قُرئ: ﴿يَأْتِ﴾ بالتاء والياء، ﴿مُبَيِّنَةً﴾ بفتح الياء وكسرِها؛ مِنْ بَيْنَ بِمَعْنَى تَبَيَّنَ، ﴿يُضَعِّفُ﴾ و﴿يُضَعِّفُ﴾ على البناء للمفعول، و﴿يُضَاعِفُ﴾، و﴿تُضَعِّفُ﴾ بالياء والنون. وقُرئ: ﴿يَقْنُتُ﴾ و﴿تَعْمَلُ﴾ بالتاء والياء. و﴿نَوَّتْهَا﴾ بالياء والنون. والقنوت: الطاعة، وإنما ضوعِفَ أَجْرُهُنَّ؛ لطلبهنَّ رضا رسولِ الله ﷺ بِحُسْنِ الخُلُقِ، وطِيبِ المعاشرة، والقناعة، وتوفُرهنَّ على عبادةِ الله، والتقوى.

قوله: (وقرئ<sup>(١)</sup>): ﴿يَأْتِ﴾ بالتاء والياء، بالياء التحتانية: سبعة، والتاء: شاذة<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿مُبَيِّنَةً﴾، بفتح الياء، ابن كثير وأبو بكر، والباقون: بكسرها.

قوله: ﴿يُضَعِّفُ﴾ و﴿يُضَعِّفُ﴾، ابن كثير وابن عامر: بالنون وكسر العين وتشديدها من غير ألف، «العذاب» بالنصب، والباقون: بفتح العين ورفَع «العذاب»، وشَدَّد أبو عمرو العين وحذف الألف قبلها، وخَفَّفها الباقون وأثبتوا الألف<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وقرئ: ﴿يَقْنُتُ﴾ و﴿تَعْمَلُ﴾)، بالياء التحتانية: السبعة، وبالتاء: شاذة، ويعمل صالحاً يؤتيا» بالياء التحتانية فيهما: حمزة والكسائي، والباقون: بالتاء الفوقانية في الأول، وبالنون في الثاني<sup>(٤)</sup>.

قوله: (إنما<sup>(٥)</sup> ضوعِفَ أَجْرُهُنَّ لطلبهنَّ)، ولو عَلَّلَ بما عَلَّلَ به قوله: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ يَفْلَحْشَكُنَّ مُبَيِّنَةً يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ﴾ [الأحزاب: ٣٠] من نحو قوله: لأنَّ زيادةَ قُبْحِ المعصية مع زيادةِ الفضلِ والمرتبة، بأن يقول: كما أن العذاب لأجلِ زيادةِ الفضلِ، وزيادة النعمة من كونهنَّ نساءً خير البرية، كذلك مضاعفة العذاب لأجلِ ذلك؛ كان أحسن وأشدَّ الثامًا مع قوله تعالى: ﴿يَنْسَاءَ الَّتِي لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

(١) كذا في الأصول الخطية، ويوافقهُ نَصُّ «الكشاف» من (ط)، لكن في الأصل الخطي من «الكشاف»

وفي المطبوع: «قرئ» دون واو.

(٢) انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٧٦.

(٣) لتمام الفائدة انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٧٦).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٧٥)، و«حجّة القراءات» ص ٥٧٦.

(٥) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «وإنما» بالواو.



﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْفَقْتَنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [٣٢]

«أَحَدٌ» في الأصل بمعنى وَحْدٍ، وهو الواحد، ثُمَّ وُضِعَ في النفي العامُّ مُستوياً فيه المذكرُ والمؤنثُ والواحدُ وما وراءه. ومعنى قوله: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾: لَسْتُنَّ كجماعةٍ واحدةٍ من جماعاتِ النساءِ، أي: إذا تُقْضِيَتْ أُمَّةُ النساءِ جماعةً جماعةً لم توجَدْ منهنَّ جماعةً واحدةً تُساويكُنَّ في الفضلِ والسابِقة، ومثله قوله عزَّ وجلَّ:

قوله: (تُقْضِيَتْ)، أي: اسْتُقْضِيَتْ وتُبْعَتْ، والتقْضِي: الاستقصاءُ وهو بلوغُ الأقصى. قوله: (أي: إذا تُقْضِيَتْ أُمَّةُ النساءِ جماعةً جماعةً، لم توجَدْ منهنَّ جماعةً واحدةً تُساويكُنَّ في الفضلِ)، الانتصاف: أراد المطابقةَ بين المتفاضلَيْن، فإنَّ نساءَ النبيِّ جماعة، وقد كان مُستغنياً بحمْلِ المعنى على الوحدة ويكونُ أبلغ، أي: ليست واحدةً منكنَّ كأحدٍ، أي: كواحدةٍ من آحادِ النساءِ. ويلزِمُ على ما قال تفضيلُ الجماعةِ على الجماعة، ولا يلزم ذلك في عكسه فتأمله، وجاء التفصيلُ هاهنا كمجيئه في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]، وكقوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقد مضت فيه نكته، أي: الأصل: أفمنُّ لا يخلُقُ كمنُّ يخلُقُ، وليس الأنثى كالذكر<sup>(١)</sup>، وكذا هاهنا: ليست إحداكُنَّ نحو أحدٍ من آحادِ النساءِ<sup>(٢)</sup>.

وقلت: لا شك أن اسم «ليس» ضميرُ الجماعةِ، وقد حُمِلَ عليه ﴿كَأَحَدٍ﴾، وبُيِّنَ بقوله: ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾، والتعريفُ فيه للجنسِ، فوجبَ حَمْلُ الأَحدِ في هذا السياقِ على الجماعةِ، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا يَنْكُرُونَ أَعْدِيَّتَهُ حُنُوزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] ولو حُمِلَ أحدٌ على الواحدِ لزمَ التفصيلُ بحسبِ الوُحْدانِ، ويرجع ذلك إلى تفضيلهنَّ عليهن على واحدٍ واحدٍ من النساءِ، ولا ارتيابَ في بطلانِه. وأمَّا تأويلُه بقوله: «ليست واحدةً منكنَّ» فخلاف

(١) من قوله: «وقد مضت فيه نكته» إلى هنا، سقط من (ح).

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٣٦).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢] يريدُ بين جماعةٍ واحدةٍ منهم، تسويةً بين جميعهم في أنهم على الحقِّ المُبين. ﴿إِنَّ أَقْبَيْنَ﴾: إن أردتُنَّ التقوى، وإن كنتُنَّ متَّقِيَاتٍ. ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: فلا تُجِبنَ بقولِكُنَّ خاضِعاً، أي:

الظاهر، وأما قوله: «يلزَمُ تفضيلُ الجماعةِ على الجماعةِ ولا يلزم ذلك في عكسِهِ» فجوابه: أن تفضيل كلِّ واحدٍ واحدٍ منهنَّ يُعلِّمُ من دليلٍ آخر، إما عقليٌّ أو نصٌّ، مثل: «ونسأوه أمهاتكم<sup>(١)</sup>» وغيره.

الراغب: أحدٌ تُستعملُ على ضربين: أحدهما: في النفي فقط، وهو لاستغراق جنسِ الناطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق، نحو: ما في الدار أحد، أي: واحد ولا اثنان فصاعداً لا مجتمعين ولا مُتفرقين، وهذا المعنى لم يصلح استعماله في الإثبات، لأنَّ نفيَّ المتضادين يصحُّ ولا يصحُّ إثباتهما، فلو قيل: في الدار أحدٌ لكان فيها إثباتٌ واحدٍ منفردٍ مع إثباتٍ ما فوق الواحدِ مُجتمعين ومُتفرقين، وذلك ظاهر الإحالة، ولتناوله ما فوق الواحدِ يصحُّ أن يقال: ما من أحدٍ فاضلين كقوله تعالى: ﴿فَمَا يَنْكُرِينَ أَحَدٍ عَنَّا حَكِيمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

وثانيهما: في الإثبات، وهو على ثلاثة أوجه: أحدها: في الواحدِ المضموم إلى العشرات نحو أحد عشر. وثانيها: أن يُستعملَ مُضافاً أو مُضافاً إليه، كقوله تعالى ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١] وقولهم: يوم الأحد، أي يوم الأول. وثالثها: أن يستعملَ مطلقاً وصفاً وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وأصله: وَحَدٌ، لكن وَحَدٌ يُستعملُ في غيره. قال النابغة:

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا      بذي الجليل على مستأنسٍ وَجِدَ<sup>(٢)</sup>

قوله: ﴿إِنَّ أَقْبَيْنَ﴾ [إن أردتُنَّ التقوى]، قال صاحب «الفرائد»: حَمَلُ الاتِّقَاءِ عَلَى

(١) كذا في الأصول الخطية، ولعل صوابه: ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ أُنْثَاهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فيكون استشهداً بالآية

الكريمة، والله أعلم.

(٢) «مفردات القرآن» ص ٦٦، وانظر بيت النابغة في «ديوانه» ص ٣١.

لَيْتًا خَيْتًا، مثل كلام المُرِيَّاتِ والمُؤَمِّسَاتِ ﴿فِيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: رِيبةٌ وفُجور. وقرئ: بالجُزْمِ؛ عطفاً على محلِّ فعلِ النَّهْيِ، على أَنَّهُنَّ تُهَيَّنُ عَنِ الْخُضُوعِ بالقول، وَهُيَّ المَرِيضُ القَلْبِ عَنِ الطَّمَعِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا تَخْضَعْنَ فَلَا يَطْمَعُ. وعن ابنِ مَحيصن: أَنَّهُ قرأ بِكسرِ الميمِ، وَسبيلُهُ ضَمُّ الياءِ مَعَ كسْرِها وإِسنادُ الفِعلِ إِلَى ضميرِ القولِ؛ أَي: فَيُطْمَعُ القَوْلُ المُرِيَّبِ. ﴿وَقُلْنَا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: بَعِيداً مِّنْ طَمَعِ المُرِيَّبِ بِجِدِّ وَخُشُونَةٍ مِّنْ غَيْرِ تَخْنِيثٍ، أَوْ: قَوْلًا حَسَنًا مَعَ كَوْنِهِ خَسِئًا.

[﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ٣٣]

إِرَادَتِهِ بِطَرِيقِ المِجَازِ، وَمَتَى أَمَكِنَ الحَقِيقَةُ لَمْ يَجِزِ الحَمَلُ عَلى المِجَازِ، وَقَدِ حَمَلَهُ وَذَكَرَ مَعَهُ الحَقِيقَةَ. وَقَلْتُ: هَاهُنَا تَفْصِيلٌ، وَذَلِكَ أَنَّ المِخَاطَبَ إِما أَن يَكُونَ مُتَّقِيًّا<sup>(١)</sup>، فَيَجْرِي الكَلَامُ عَلى الحَثِّ، كَمَا حَكَى اللهُ عَنِ مَرِيَمَ تُخَاطَبُ جَبْرِيلَ عَلَيَّهَا السَّلَامُ: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]. رَوَى البَخَارِيُّ عَنِ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: عَلِمْتُ مَرِيْمُ أَنَّ التَّقِيَّ ذُو مُنِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> حِينَ قَالَتْ: ﴿إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا﴾. هَذَا الطَّرِيقُ هُوَ الَّذِي سَلَكَه المِصْتَفَى لِاقتِضَاءِ المَقَامِ إِيَّاهُ تَهَيِّجاً وَإِهَاباً، وَقَد نَبَّهَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «وَإِنْ كُنْتُمْ مُتَّقِيَّاتٍ» عَلَى «إِنْ» الشَّرْطِيَّةِ، أَوْ تَخَاطَبُ مَن لَمْ يَتَّصِفْ بِصِفَةِ التَّقْوَى وَأَرَادَ الاتِّصَافَ بِهَا، فَحِينَئِذٍ لَا بَدَّ مَن تَقْدِيرِ الإِرَادَةِ، وَالأَوَّلُ أَوْجَهُ؛ لِأَنَّ المِخَاطَبَاتِ مُتَّقِيَّاتٍ، وَالشَّرْطُ كالتَّعْلِيلِ.

قَوْلُهُ: (لَيْتًا خَيْتًا)، الأَسَاسُ: خَيْتٌ: نَكَسَرَتْ وَتَشَى. وَقَدِ خَنْتَ وَتَخَنْتَ وَخَنْتَ كَلَامَهُ: لَيْتَهُ.

قَوْلُهُ: (المُؤَمِّسَاتِ)، النِّهَايَةُ: المُوَمِّسَةُ الفَاجِرَةُ.

(١) فِي (ف): «مُنْفِيًّا»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) أَي: ذُو عَقْلٍ. وَالقَوْلُ المَذْكُورُ أوردَهُ البَخَارِيُّ فِي كِتَابِ أَحَادِيثِ الأنبياءِ، بِأَنَّ قولَ اللهِ: ﴿وَأَذْكَرُ فِي

الْكِتَابِ مَرِيْمَ﴾ قَبْلَ الحَدِيثِ (٣٤٣٦).

(وَقِرْنَ) بكسر القاف، مِن: وَقَرَ يَقْرُ وَقَارًا، أو مِن: قَرَّ يَقْرُ، حُدِفَتِ الأولى من رائي: اقِرْزَن، ونُقِلَتْ كسرتها إلى القاف، كما تقول: ظَلَنْ، و﴿وَقِرْنَ﴾: بفتحها، وأصله: اقِرْزَن، فحُدِفَتِ الرَاءُ وألْقِيَتْ ففتحها على ما قبلها، كقولك: ظَلَنْ. وذكر أبو الفتح الهَمْدَانِيُّ في كتاب «التبيان» وجهاً آخر، قال: قَارَ يَقَارُ: إذا اجتمع، ومنه: القارة؛ لاجتماعها، ألا ترى إلى قولِ عَضَلِ والدَيْشِ: اجتمعوا فكونوا قَارَةً؟ والجاهلية الأولى: هي القَدِيمَةُ التي يقال لها: الجاهليةُ الجَهْلَاءُ، وهي الرِّمَنُ الذي وُلِدَ فيه إبراهيم عليه السلام؛ كانت المرأة تلبسُ الدَّرْعَ من اللؤلؤ فتمشي وَسَطَ الطريق تعرضُ نَفْسَهَا على الرِّجال. وقيل: ما بين آدم ونوح. وقيل: بين إدريس ونوح. وقيل: زَمَنُ داودَ وسليمان.

قوله: («وَقِرْنَ» بكسر القاف)، قرأ نافع وعاصم: بفتح القاف، والباقون: بكسرها<sup>(١)</sup>. قال مكِّي: مَنْ قرأ بالكسر جعله من الوقارِ والتوقيرِ في البيوت، نحو: عِدَنَ وِزْنَ محذوفِ الفاء، وهو الواو. ويجوز أن يكون من القرارِ فيكون مُضَعَّفًا. أي: قَرَّ في المكان يَقْرُ. وأصله: اقِرْزَن، ثم تُبدِلُ من الرَاءِ التي هي عينُ الفعلِ ياء كراهيةَ التضعيفِ فتصيرُ الياءُ مكسورة، فتلقَى حركتها على القاف، وتُحَدَفُ لسكونها وسكونِ الرَاءِ، ويُستغنى عن ألفِ الوصلِ لتحركِ القافِ، فتصيرُ «قِرْنَ»، وقيل: بَلْ حُدِفَتِ الرَاءُ الأولى كراهيةَ التضعيفِ كما قالوا: ظَلَنْتُ، والأصلُ: ظَلَلْتُ، وألْقِيَتْ حركتها على القافِ فحُدِفَتِ أَلْفُ الوصلِ لتحركِ القافِ أيضاً. وَمَنْ قرأ بفتحِ القافِ وهي لُغَةٌ قليلة حكاها أبو عبيدة عن الكسائي أنه قال: قَرَزْتُ في المكان أقرُّ، وأنكرها المازني وغيره، ثم جرى الاعتلال على الوجهين المذكورين في الكسر<sup>(٢)</sup>.

قوله: (عَضَلِ والدَيْشِ)، بفتحِ الدالِ وكسرها وسكونِ الياء. الجوهري: عضل بن الهون بن خزيمة أخو الديش وهما القارة، سُمُوا قارة؛ لاجتماعهم والتفافهم.

قوله: (الجاهلية الجَهْلَاءُ)، الجوهري: «الجهلاءُ» توكيدٌ للأولِ يُشْتَقُّ له من اسمه ما يؤكِّدُ به، كما يقال: ليلةٌ ليلاءٌ ويومٌ أيومٌ.

(١) ولتنام الفائدة انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٧٧.

(٢) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٧٦-٥٧٧).

والجاهليَّة الأخرى: ما بين عيسى ومحمدٍ عليهما الصلاة والسلام. ويجوزُ أن تكونَ الجاهلية الأولى جاهليَّة الكُفر قبل الإسلام، والجاهليَّة الأخرى جاهليَّة الفُسوق والفُجور في الإسلام، فكانَ المعنى: ولا تُحَدِّثَنَّ بالتبرُّجِ جاهليَّة في الإسلام تشبَّهن بها بأهلِ جاهليَّة الكُفر، ويَعُضُّده ما رُوِيَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «إِنَّ فِيكَ جاهليَّة»، قال: جاهليَّة كُفْرٍ أم إسلام؟ فقال: «بل جاهليَّة كُفْرٍ». أمرَهنَّ أمراً خاصاً بالصلاة والزكاة، ثُمَّ جاءَ به عامّاً في جميع الطاعات؛ لأنَّ هاتين الطاعتين البدنيَّة والماليَّة هما أصلُ سائرِ الطاعات، مَنْ اعتنى بهما حقَّ اعتنائه جَرَّتاها إلى ما وراءهما، ثم بيَّن أنه إنما نهاهُنَّ، وأمرَهُنَّ، ووعظَهُنَّ؛ لثلاثِ يُقارِفَ أهلُ بيتِ رسولِ الله ﷺ المآثمَ، وليتصوَّنوا عنها بالتقوى. واستعارَ للذُّنوبِ الرُّجسَ،

قولُه: (ولا تُحَدِّثَنَّ بالتبرُّجِ جاهليَّة في الإسلام)، قال الزجاج: التبرُّج: إظهارُ ما يُستدعى به شهوة الرجل، والأشبهُ أن يراد بالجاهلية الأولى مَنْ كان منذ زمنِ عيسى إلى زمنِ محمد ﷺ؛ لأنهم هم الجاهلية المعروفون، وكانوا يتخذون البغايا الفواجر، وإنما قيل الأولى، لأن كلَّ مُتقدِّمٍ ومُتقدِّمةٍ أوَّلٌ وأولى؛ أي: إنَّهم تقدموا أمةَ محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

قولُه: (إن فيكَ جاهليَّة)، قال أبو ذر: إني كنت سابتُ رجلاً وكانت أمه أعجميَّة، فَعيرتُه بأمه، فشكاني إلى رسولِ الله ﷺ فقال: «يا أبا ذرِّ إنك امرؤ فيك جاهليَّة» قال: «إنَّهم إخوانكم فضلكم الله عليهم فمن لم يلائمكم فيبعوه ولا تُعذِّبوا خلقَ الله»، أخرجه البخاريُّ ومسلم وأبو داود والترمذي<sup>(٢)</sup>.

النهاية: فيك جاهلية؛ أي: الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والتكبر والتجبر وغير ذلك.

قولُه: (لثلاثِ يُقارِفَ)، الأساس: فلان يقترِفُ لعياله؛ يكتسبُ، واقتَرَفَ الإثمَ، وقارَفَ، وهو يقترِفُ<sup>(٣)</sup> بكذا؛ يُتَّهمُ به، وهو مَقْرُوفٌ به.

(١) «معاني القرآن وإعراجه» (٤: ٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، وأبو داود (٥١٥٧)، والترمذي (١٩٤٥).

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي «أساس البلاغة»: «يُقَرَّفُ»، وهو الأشبه بالصواب.

وللتقوى الطُّهْر؛ لَأَنَّ عِرْضَ الْمُقْتَرِفِ لِلْمَقْبَحَاتِ يَتَلَوَّثُ بِهَا وَيَتَدَنَسُ، كَمَا يَتَلَوَّثُ بَدَنُهُ بِالْأَرْجَاسِ، وَأَمَّا الْمُحْسَنَاتُ. فَالْعِرْضُ مَعَهَا نَقِيٌّ مَصُونٌ كَالثَوْبِ الطَّاهِرِ. وَفِي هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ مَا يُنْفَرُ أَوْلَى الْأَلْبَابِ عَمَّا كَرِهَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ وَتَهَاوَمَ عَنْهُ، وَيُرْعَبُهُمْ فِيمَا رَضِيَهُ لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِهِ. ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نَصَبٌ عَلَى النَّدَاءِ، أَوْ عَلَى الْمَدْحِ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ.

قوله: (وفي هذه الاستعارة ما يُنفَرُ أَوْلَى الْأَلْبَابِ عَمَّا كَرِهَهُ)، يريد: أن العِرْضَ من أصل الاستعارة التنفير والترغيب، فإن تشبيه الذنب بالرجس مما يتصور في نفس ذي اللب ما يوحشه ويُنفَرُ طبعه كما أن تشبيه التقوى بالطهارة مما يُرغبه ويُميلُ طبعه إليه. قال ابن الرومي في شأن العسل:

تقولُ هذا مجاجُ النحلِ تمدَّحُه وإن تعِبَ قُلْتَ ذاقِيءُ الزنابير<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: الرجس كلُّ مستنكرٍ ومُستَقْدِرٍ من مأكولٍ أو عمل<sup>(٢)</sup> أو فاحشة<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وفي هذا دليلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ)، يُعْرَضُ بِالشَّيْعَةِ. قَالَ الْقَاضِي: وَتَخْصِيصُ الشَّيْعَةِ أَهْلَ الْبَيْتِ بِفَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ وَابْنَيْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لَمَا رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ غَدْوَةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ<sup>(٤)</sup> مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ، فَجَلَسَ فَاتَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا فِيهِ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ فِيهِ، ثُمَّ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَأَدْخَلَهُمَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، وَالِاحْتِجَاجُ بِذَلِكَ عَلَى عِضْمَتِهِمْ وَكَوْنِ إِجْمَاعِهِمْ حُجَّةً ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ التَّخْصِيصَ بِهِمْ لَا يَنَاسِبُ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا، وَالْحَدِيثُ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ لَا أَنَّ لَيْسَ غَيْرُهُمْ<sup>(٥)</sup>. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ هُنَا يَدُلُّ عَلَى الرِّجَالِ

(١) انظر: «المثل السائر» (٢: ٩٩)، و«ديوان ابن الرومي» (٢٢٦٩).

(٢) سقط لفظ «أو» من (ط).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٢٦).

(٤) يعني كساءً فيه تصاوير الرِّحَالِ: جَمْعُ رَحْلٍ، وَهُوَ مَا يُوَضَّعُ عَلَى ظَهْرِ الْإِبِلِ لِيُرَكَّبَ عَلَيْهِ.

(٥) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣١).

والنساء لقوله: ﴿عَنْكُمْ﴾ بالميم، ودليل إدخال النساء قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْتُمَا مَا بَيْنَنَا فِي يَوْمِكُنِ﴾ (١).

وقلت: هذا الحديث أخرجه مسلم عن عائشة مع تغيير يسير (٢)، وروينا عن أم سلمة قالت: إن هذه الآية نزلت في بيتها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قالت: وأنا جالسة عند الباب قلت: يا رسول الله ألسنت من أهل البيت؟ فقال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، أَنْتَ مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ»، وفي البيت رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً» أخرجه رزين، وأخرجه الترمذي (٣)، ولم يزد على: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ».

اعلم أن قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ كالاستئناف على سبيل التعليل للآيات السابقة من لَدُنْ قَوْلِهِ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّوِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، وفيها الحث على مكارم الأخلاق والردع عن رذائلها، فالواجب أن تُعَلَّلَ (٤) العلة بما يدل على التخلية والتحلية. ومن ثم قال: «استعمار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر، لأنَّ عِرْضَ الْمُقْتَرِفِ لِلْمُقَبَّحَاتِ يَتَلَوَّثُ بِهَا كَمَا يَتَلَوَّثُ بَدَنُهُ بِالْأَرْجَاسِ، وَأَمَّا الْمُحْسَنَاتُ فَالْعِرْضُ مَعَهَا نَقِي كَالثُوبِ الطَّاهِرِ»، شرع أولاً في التخيير بين الحياتين: الدنيوية والأخروية، وفيه: أن رأس الأرجاس محبة الدنيا، كما أن أساس الدين محبة الله ومحبة رسوله. وثانياً في تفصيل ما يؤدي إليه المحبتان: المحبة الدنيوية تؤدي إلى الفاحشة، والأخروية تستدعي القنوت لله والطاعة للرسول. وإنما آخر ﴿وَأَذْكُرْتُمَا مَا بَيْنَنَا فِي يَوْمِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ لتكون كاخاتمة التي تشمل على التخلص إلى نوع آخر من الكلام.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٠٥) وقال: هذا حديث غريب وهو في «مسند أحمد» (٢٦٥٠٨) وفيه تمام تخريجه.

(٤) في (ط): «تَوَوَّلَ».

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُمْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

ثُمَّ ذَكَرَهُنَّ أَنْ بَيُوتَهُنَّ مَهَابِطُ الْوَحْيِ، وَأَمْرَهُنَّ أَنْ لَا يَنْسَيْنَ مَا يُتْلَىٰ فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ الْجَامِعِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: هُوَ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ يَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِ النَّبُوَّةِ؛ لِأَنَّهُ مَعْجَزَةٌ بَنَظْمِهِ، وَهُوَ حِكْمَةٌ وَعِلْمٌ وَسَرَائِعُ. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ حِينَ عَلِمَ مَا يَنْفَعُكُمْ وَيُصَلِّحُكُمْ فِي دِينِكُمْ فَأَنْزَلَهُ عَلَيْكُمْ، أَوْ عَلِمَ مَنْ يَصْلُحُ لِنَبُوَّتِهِ وَمَنْ يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونُوا أَهْلَ بَيْتِهِ، أَوْ حَيْثُ جَعَلَ الْكَلَامَ الْوَاحِدَ جَامِعًا بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ.

قال القاضي: الخاتمة تذكيرٌ بما أنعم الله عليهنَّ حيثُ جعلهنَّ أهلَ بيتِ النبوة ومهبطِ الوحي وما شاهدنَّ من بُرُحانه<sup>(١)</sup> مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة والإيثار بما كُتِّفَ به<sup>(٢)</sup>.

قوله: (أو حيثُ جعلَ الكلامَ الواحدَ)، عَطَفَ على قوله: «حينَ عَلِمَ ما ينفَعُكم»، فـ«حينَ» كـ«حيثُ» في إفادة التعليل، يعني: أن قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ تعليل لقوله: ﴿مَا يُمْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، والمرادُ بالمتلَوِّ: القرآنُ؛ لِأَنَّ المعنى: ما يُتْلَىٰ مِنَ الْكِتَابِ الْجَامِعِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؛ هُوَ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ؛ وَهُوَ حِكْمَةٌ وَعِلْمٌ، وَنظِيرُهُ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣] قال المصنف: «يعني: الجامع بين كونه كتاباً مُنَزَّلاً وُفِرْقَاناً»<sup>(٣)</sup> يعني: التوراة، كقولك: رأيت الليث والغيث، تريد: الرجل الجامع بين الجود والكرم.

ثُمَّ التعليلُ: إما راجعٌ إلى نفسِ المكثيِّ عنه - وهو القرآن - من غيرِ اعتبارِ ما كنى به من المعنيين على نحو قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَلْوَجِ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]، يعني: السفينة،

(١) وهو ما كان يأخذُ رسولُ الله ﷺ من الشدةِ حين نزول الوحي حتى إن جبينه الشريفَ كان يتفصَّدُ عرقاً في اليومِ البارد.

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣١).

(٣) «تفسير الكشاف» (٢: ٤٨٦).



﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ  
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ  
وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ  
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

وحققنا القول فيه في «الأنفال»، ويدل على هذا إفراد ضمير القرآن في قوله: «لأنه معجزة»،  
وقوله: «فأنزله عليكم» وهو لوجهين: أحدهما: أن يكون المعلل القرآن، من حيث كونه  
نازلاً لمصالح الخلق ومنافعهم وهو المراد من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ حين علم ما  
ينفعكم ويصلحكم من دينكم فأنزله عليكم.

وثانيهما: أن يكون معللاً من حيث كونه نازلاً على حضرة الرسالة، وبيوتهم مهبطه  
احتراماً لهم، وإليه الإشارة بقوله «وَعَلِمَ مَنْ يَصْلُحُ لِنَبِيِّهِ وَمَنْ يَصْلُحُ لَأَنْ يَكُونَ أَهْلَ بَيْتِهِ».  
وإما راجع إليه باعتبار المعنيين، وهو المراد من قوله: «أَوْ حَيْثُ جَعَلَ الْكَلَامَ الْوَاحِدَ -  
أي: القرآن - جامعاً بين الغرضين» أي: بين كونه معجزة وبين كونه<sup>(١)</sup> مشتقاً على بيان  
العلم والعمل المعبر بهما عن الحكمة، وهذا الوجه أحسن طياً وأجربى على قانون البلاغة  
لما في العلة والمعلل من اللف والنشر، فإن قوله: ﴿لَطِيفًا﴾ نشر لقوله: ﴿مَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾  
المعني بها المعجزة، وقوله: ﴿خَبِيرًا﴾ نشر لقوله: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ واللف في: «أن شأن  
الإعجاز يحتاج إلى لطف إدراك ودقة نظر كما قال صاحب «المفتاح»: شأن الإعجاز عجيب  
يدرك ولا يمكن وصفه<sup>(٢)</sup>، فناسب صفة اللطف وأن تحقيق وضع الشرائع والأحكام يفتقر  
إلى حكم بليغة ولا يصل إلى كنه تلك الحكمة إلا علم العليم الخبير فناسب الخبير الحكمة،  
نحوه قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:  
١٠٣] والله أعلم.

(١) قوله: «معجزة وبين كونه» سقط من (ح).

(٢) «مفتاح العلوم» ص ٤١٦.

رُوي: أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرَ اللَّهُ الرَّجَالَ فِي الْقُرْآنِ بِخَيْرٍ، أَفَمَا فِيْنَا خَيْرٌ نَذْكُرُ بِهِ؟ إِنَّا نَخَافُ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنَّا طَاعَةٌ. وَقِيلَ: السَّائِلَةُ أُمُّ سَلَمَةَ.

ورُوي: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا نَزَلَ، قَالَ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ: فَمَا نَزَلَ فِيْنَا شَيْءٌ؟ فَتَزَلْتُ. وَالْمُسْلِمُ: الدَّخِلُ فِي السَّلْمِ بَعْدَ الْحَرْبِ، الْمُتَقَادُّ الَّذِي لَا يُعَانِدُ، أَوْ الْمَفْوُضُ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ، الْمُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ. وَالْمُؤْمِنُ: الْمُصَدِّقُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِمَا يَجِبُ أَنْ يُصَدَّقَ بِهِ. وَالْقَانِتُ: الْقَائِمُ بِالطَّاعَةِ الدَّائِمُ عَلَيْهَا. وَالصَّادِقُ: الَّذِي يَصْدُقُ فِي نَيْتِهِ وَقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ. وَالصَّابِرُ: الَّذِي يَصْبِرُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَعَنِ الْمَعَاصِي. وَالخَاشِعُ: الْمُتَوَاضِعُ لِلَّهِ بِقَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ. وَقِيلَ: الَّذِي إِذَا صَلَّى لَمْ يَعْرِفْ مَنْ عَنِ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ. وَالْمُتَصَدِّقُ: الَّذِي يُزَكِّي مَالَهُ، وَلَا يُحِلُّ بِالنَّوَافِلِ. وَقِيلَ: مَنْ تَصَدَّقَ فِي أُسْبُوعٍ بِدَرْهَمٍ فَهُوَ مِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَمَنْ صَامَ الْبَيْضَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ فَهُوَ مِنَ الصَّائِمِينَ. وَالذَّاكِرُ اللَّهُ كَثِيرًا: مَنْ لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِقَلْبِهِ أَوْ لِسَانِهِ أَوْ بِهِمَا، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالِاسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ مِنَ الذِّكْرِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا جَمِيعًا رَكَعَتَيْنِ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»، وَالْمَعْنَى: وَالْحَافِظَاتِهَا وَالذَّاكِرَاتِهَا، فَحُذِفَ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ يَدُلُّ عَلَيْهِ. فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْعَظْفَيْنِ، أَعْنِي عَظْفَ الْإِنَاثِ عَلَى الذُّكُورِ، وَعَظْفَ الزَّوْجَيْنِ عَلَى الزَّوْجَيْنِ؟

قوله: (رُوي أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ)، الحديثُ من رواية الترمذي عن أم عُمارة الأنصارية قالت: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقلتُ: ما أرى كلَّ شيءٍ إلا للرجالِ، وما أرى النساءَ يذكُرْنَ بشيءٍ، فنزلت الآية (١).

قوله: (من استيقظ من نومه)، الحديثُ رواه أبو داود وابنُ ماجه عن أبي سعيد وأبي هريرة مع تغيير يسير (٢).

(١) أخرجه الترمذي (٣٢١١)، وابن أبي عاصم في «الأحاديث والمثنوي» (٦: ١٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥: ٣١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٥١) وابن ماجه (١٣٣٥) وصححه ابن حبان (٢٥٦٨) وفيه تمام تحريجه.

قلت: العطف الأول نحو قوله تعالى: ﴿ثِيَابِكُمْ وَأَمْكَارِكُمْ﴾ [التحریم: ٥] في أمتها جنسان مختلفان، إذا اشتراكا في حكم لم يكن بُدٌّ من توسيطِ العاطف بينهما. وأما العطف الثاني فمن عطفِ الصِّفةِ على الصِّفةِ بحرفِ الجمع، فكانَ معناه: إنَّ الجامعِينَ والجامعاتِ لهذه الطاعات ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

[﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [٣٦]

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أيممة بنت عبد المطلب على مولاة زيد بن حارثة، فأبَّت وأبى أخوها عبدُ الله؛ فنزلت، فقال: رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنكَحَهَا إِيَّاهُ، وساقَ عنه إليها مَهْرًا سِتِّينَ دِرْهَمًا وَخِمَارًا وَمِلْحَفَةً وَدِرْعًا وَإِزَارًا وَخَمْسِينَ مُدًّا مِنْ طَعَامٍ وَثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ. وقيل: هي أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتِ عُقَبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وهي أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ النِّسَاءِ، وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فقال: «قد قبلت»، وزوجها زيدا، فسخطت، هي وأخوها، وقالوا: إنما أزدنا رسول الله ﷺ، فزوجنا عبده! والمعنى: وما صحَّ لرجلٍ ولا امرأةٍ من المؤمنين ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي: رسول الله، أو لأنَّ قضاءَ رسولِ الله هو قضاءُ الله ﴿أَمْرًا﴾ مِنَ الْأُمُورِ؛ أَنْ يَخْتَارُوا مِنْ

قوله: (العطف الأول نحو قوله: ﴿ثِيَابِكُمْ وَأَمْكَارِكُمْ﴾ [التحریم: ٥])، قال صاحب «التقريب»: عطفُ الإناثِ على الذكور لاختلافها ذاتاً، وعطفُ الزوجين على الزوجين لاختلافها صفة. وقلت: لما كان الثاني على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأنها ليسا جنسين مختلفين كالأول قال بحرفِ الجمع ليؤدَّن بأنه مسلوبُ الدلالة على المغايرة. قال في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]: «ويجوزُ أن يكون الواو بمعنى: مع»، وقد بيَّن معناه في مقامه.

قوله: (أي: رسول الله)، يريد: قضى رسول الله ﷺ، على هذا: ذكُرَ اللهُ تَهْمِيدًا لِلذِّكْرِ رسول الله ﷺ، نحو أعجبني زيد وكرمه. وفائدةُ هذه الطريقة قوة الاختصاص وأنه

أمرهم ما شاؤوا، بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه، واختيارهم تلوّاً لا اختياره. فإن قلت: كان من حق الضمير أن يوحد، كما تقول: ما جاءني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا. قلت: نعم، ولكنهما وقعا تحت النفي؛ فعما كل مؤمن ومؤمنة؛ فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ. وقرئ: ﴿يَكُونُ﴾ بالتاء والياء. و﴿الْحَيْرَةُ﴾: ما يُتَّخِرُ.

[ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [٣٧]

﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام الذي هو أجل النعم، وتوفيقك لعنته ومحبه واختصاصه، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وفقك الله فيه، فهو مُتَقَلَّبٌ في نعمة الله ونعمة

صلوات الله عليه بمنزلة من الله ومكانة، وعلى الثاني: المراد بقضاء الله نضه وهو القرآن المنزل، وبقضاء رسول الله امثال أمره. ذكر الوجهين في أول «الأنفال»، فليُنظر هناك ليتحقق.

قوله: (فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ)، لم يذكر الفائدة في العدول عن الظاهر، ولعل الفائدة فيه الإيدان بأنه كما لا يصح لكل فرد من المؤمنين أن يكون لهم الحيرة، كذلك لا يصح أن يجتمعوا ويتفقوا على كلمة واحدة؛ لأن تأثير الجماعة واتفاقهم أقوى من تأثير الواحد، فجمع في الآية المعنيين معاً.

قوله: (قرئ: ﴿يَكُونُ﴾ بالتاء والياء)، بالتاء الفوقانية: نافع وابن ذكوان، والباقون: بالياء<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٧٨، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٨٧).

رسوله ﷺ، وهو زيد بن حارثة: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها بعدما أنكحها إياه، فوعدت في نفسه، فقال: «سبحان الله مقلب القلوب»؛ وذلك أن نفسه كانت تحفو عنها قبل ذلك لا تريدها، ولو أرادتها لاختطبها، وسمعت زينب بالتسيحة فذكرتها لزيد، ففطن، وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله ﷺ، فقال لرسول الله ﷺ: إني أريد أن أفارق صاحبتني، فقال: «مالك؟ أراك منها شيء؟» قال: لا والله؛ ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني، فقال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، ثم طلقها بعد، فلما اعتدت قال رسول الله ﷺ: «ما أجد أحداً أوثق في نفسي منك، اخطب علي زينب». قال زيد: فانطلقت، فإذا هي تخمر عجنتها، فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري وقلت: يا زينب، أبشري، إن رسول الله ﷺ يخطبك، وفرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدِها، ونزل القرآن ﴿زَوِّجْنَاكُهَا﴾، فتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها، وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها: ذبح شاة، وأطعم الناس الحنيز واللحم حتى امتد النهار. فإن قلت: ماذا أراد بقوله: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾؟ قلت: أراد: واتق الله فلا تطلقها، وقصد نهي تنزيه لا تحريم؛ لأن الأولى أن لا يطلق. وقيل: أراد: واتق الله فلا تدمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج. فإن قلت: ما الذي أخفى في نفسه؟ قلت: تعلق قلبه بها. وقيل:

قوله: (لأن الأولى أن لا يطلق)، عن أبي داود عن محارب: أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق»<sup>(١)</sup>، وفي رواية أخرى عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٢٧: ٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢٧٩٤)، عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر مرفوعاً.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٢٧: ٧).

مَوَدَّةُ مَفَارِقَةِ زَيْدٍ إِيَّاهَا. وَقِيلَ: عَلِمَهُ بِأَنْ زَيْدًا سَيُطْلَقُهَا وَسَيَنْكِحُهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَوْ كَتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ لَكْتُمَ هَذِهِ الْآيَةَ. فَإِنْ قُلْتَ: فَمَاذَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَهُ حِينَ قَالَ لَهُ زَيْدٌ: أَرِيدُ مَفَارِقَتَهَا، وَكَانَ مِنَ الْهَجْنَةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: افْعَلْ، فَإِنِّي أَرِيدُ نِكَاحَهَا؟ قُلْتُ: كَانَ الَّذِي أَرَادَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَصُمْتَ عِنْدَ ذَلِكَ، أَوْ يَقُولَ لَهُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، حَتَّى لَا يَخَالَفَ سِرَّهُ فِي ذَلِكَ عِلَانِيَتِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَرِيدُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَسَاوِيَّ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَالتَّصَلُّبَ فِي الْأُمُورِ، وَالتَّجَاوُبَ فِي الْأَحْوَالِ، وَالاستمرارَ عَلَى طَرِيقَةِ مُسْتَبَيَّةٍ، .....

قَوْلُهُ: (لَوْ كَتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا)، الْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَتَى اللَّهَ وَأَمْسَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكْتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَكَانَ مِنَ الْهَجْنَةِ)، الْأَسَاسُ: هَذَا مَا يُسْتَهَجَنُ وَفِيهِ هَجْنَةٌ. الْجَوْهَرِيُّ: تَهْجِينُ الْأَمْرِ تَقْيِيحُهُ.

قَوْلُهُ: (كَأَنَّ الَّذِي أَرَادَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَصُمْتَ)، فِيهِ اعْتِرَازٌ وَسَوْءُ أَدَبٍ، بَلْ كَانَ الَّذِي أَوْلَى لَهُ ﷺ أَنْ يَسْكُتَ، وَإِنْ كَانَ السُّكُوتُ وَالتَّنَطُّقُ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

قَوْلُهُ: (وَالتَّجَاوُبَ فِي الْأَحْوَالِ)، الْأَسَاسُ: كَلَامٌ فَلَانٍ مُتَنَاسِبٌ مُتَجَاوِبٌ، وَلَا يَتَجَاوَبُ أَوْلَ كَلَامِكَ وَآخِرُهُ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (مُسْتَبَيَّةٌ)، الْأَسَاسُ: وَاسْتَبَّ الطَّرِيقَ: ذَلَّ وَانْقَادَ، كَمَا يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعْبَدٌ. وَاسْتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلْإِسْتِقَامَةِ وَالتَّامِّ: الْإِسْتِبَابُ، أَي: طَلَبُ التَّبَابِ، مِنْ: تَبَّ الرَّجُلُ: إِذَا شَاخَ لِأَنَّ التَّبَابَ يَتَّبَعُ التَّامَّ.

الرَّاضِبُ: التَّبَابُ وَالتَّبُّ الْإِسْتِمْرَارُ فِي الْخُسْرَانِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٢٠) عَنْ أَنَسٍ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٢٠٧)، وَالنَّسَائِيُّ (١١٣٤٤)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةُ: «آخِرُهُ» دُونَ وَائِ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ».

كما جاء في حديث إرادة رسول الله ﷺ قَتَلَ عبد الله بن أبي سَرْحٍ واعتراضِ عثمان رضي الله عنه بشفاعته له: أَنَّ عمرَ قال له: لقد كان عَيْنِي إلى عَيْنِكَ، هل تَشِيرُ إِلَيَّ فَأَقْتُلَهُ، فقال: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تُؤْمَضُّ، ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ وَاحِدٌ». فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ عَاتَبَهُ اللَّهُ فِي سَتْرٍ مَا اسْتَهَجَنَ التَّصْرِيحَ بِهِ، وَلَا يَسْتَهَجِنُ النَّبِيُّ ﷺ التَّصْرِيحَ بِشَيْءٍ إِلَّا وَالشَّيْءُ فِي نَفْسِهِ مُسْتَهَجَنٌ، .....

يقال: تَبَّ له وَتَبَّ له وَتَبَّتهُ إذا قلت له ذلك ولتضمن الاستمرار قيل: اسْتَبَّ لفلان كذا أي استمر<sup>(١)</sup>.

قوله: (كما جاء في حديث إرادة رسول الله ﷺ)، وحديثه على ما رواه أبو داود والنسائي عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يومُ فتح مكة آمن رسول الله الناس إلا أربعة نفرٍ وامرأتين - فسأهم - وابنُ أبي سَرْحٍ، فذكر الحديث. وأما ابنُ أبي سَرْحٍ فإنه اختبأ عند عثمان رضي الله تعالى عنه فلما دعا رسول ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى وقفه على النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على الصحابة فقال: «أما كان منكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا ما أو مات إلينا بعينك؟ قال: «لا ينبغي لنبى أن يكون له خائنة الأعين»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (لا تؤمض)، الأساس: ومن المجاز: أو مَضَّتْ بعَيْنها سارقتِ النظر. قال:

قُلْ لِلْهُمَامِ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أصدقُهُ      والدهرُ يومُضُّ بعد الحَالِ بالحَالِ<sup>(٣)</sup>

هو من قولك: وَمَضَّ البرقُ وَمِيضاً وَمَوْمِضاً، وَبَرَّقَ وَامِضَّ، وَأَوْمَضَ إِيهاضاً: إِذَا لَمَعَ خَفِيّاً.

(١) «مفردات القرآن» ص ١٦٢.

(٢) أخرجه النسائي (٤٠٦٧)، وأبو داود (٢٦٨٣)، والحاكم في «المستدرک» (٢٣٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧: ٦٣).

(٣) البيت للناطقة الذبياني في «ديوانه» ص ١٦٥.

وقالته الناس لا تتعلق إلا بما يُستقبح في العقول والعادات؟ وما له لم يُعَاتبه في نفس الأمر؟ ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تُنازع إلى زينب وتبعتها؟ ولم يعصم نبيه ﷺ عن تعلق الهجنة به وما يُعرضه للقالة؟ قلت: كم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحي من اطلاع الناس عليه، وهو في نفسه مُباح مُتسع، وحلال مُطلق، لا مقال فيه ولا عيب عند الله، وربما كان الدخول في ذلك المباح سُلماً إلى حصولِ واجباتٍ يعظم أثرها في الدين .....

قوله: (وقالته الناس)، النهاية: وفي الحديث: «وقست القالة بين الناس» أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يُحكى للبعض عن البعض.

قوله: (ولم يعصم نبيه)، أي: وما له لم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به؟ هو عطف على قوله: «ولم يأمره».

قوله: (بتحفظ منه)، الأساس: عليك بالتحفظ من الناس وهو التوقي.

قوله: (وربما كان الدخول في ذلك المباح سُلماً إلى حصولِ واجباتٍ يعظم أثرها في الدين)، قال بعض المحققين: لعل السر في طلاق الزوج مرغوبته امتحان إيمانه، ومن رسول الله ﷺ الابتلاء ببليّة البشرية ومنعه من خائنة الأعين وإظهار ما يخالف الإضمار وكان ذلك منه في غاية التشديد، ولو كُلف بذلك آحاد الناس لما فتحوا أعينهم في الشوارع. قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص الشهروردي قدس الله سره - في قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي»<sup>(١)</sup> -: «إن روح النبي ﷺ لم يزل في الترقى إلى مقام القرب مستتبعاً للقلب في رُقيها إلى مركزها، وهكذا كان القلب يستتبع نفسه الزكية، ولا خفاء أن حركة الروح والقلب أسرع وأتم من نهضة النفس وحركتها، وكانت حُطى النفس تقصر عن مدى الروح والقلب في العروج والولوج من حريم القلب ولحوقها بهما فاقتضت العواطف الربانية على الضعفاء من الأمة إبطاء حركة القلب بإلقاء العين عليه؛ لتلايسه وسرعه في معارج الروح ومدارجها فتقطع علاقة النفس عنه لقوة الانجذاب فيبقى العباد مُهملين

(١) سبق تخريج الحديث، وكذا توثيق النقل عن الشهروردي.



محرومين من الاستنارة بأنوار النبوة والاستضاءة بمشكاة مصباح الشريعة، فظهر أن العين كان كمالاً أو تتمّة كمال لا نقصاً في حاله.

قلت - والله أعلم - إنه سبق أن هذه السورة إلى مختمها في بيان فضله ﷺ فسلك في هذه الآيات مسلك أن حاله ﷺ مبينٌ لأحوال غيره وأنه مظهرُ رحمة الله تعالى على خلقه، ولا يصدرُ عنه إلا ما يكونُ منظوياً على مصالحِ جَمَّة، وإن خفي عليه وعلى الناس أمره، فنَبَّه عليه بقوله أولاً: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، ثم خَصَّ أزواجه بالتخيير، وأن شأنه ليس كسائر سائر الأزواج، ثم قرع عليهما قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ تقريراً وتوكيداً، ثم جاء بتصوير حالة من حالاته التي لا يرضى بها بعض الناس بحسب العرف والعادة وجعله سلماً إلى حصول ما يعظم أثره في الدين وهو قوله: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾، يعني: كان الواجب عليك إظهار ما أخطرنا في بالك وأن لا تخشى قالة الناس كما عليه العرف والعادة لأن أمرهم وبشريتكم مغمورة في درجات روحانيتك، ومن تقديرنا أن لا يجري عليك إلا ما فيه رحمة للعباد وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ و﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾؛ ألا ترى كيف علل ذلك برفع الحرج عن المؤمنين وعن نفسه الطاهرة بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾، وختم ذلك بقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، هذا كله معنى قول المصنّف: «كان الدخول في ذلك سلماً إلى واجبات يعظم أثرها في الدين».

ويقربُ منه ما روى محيي السنة أن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه سأل علي بن زيد بن جُدعان: ما يقول الحسن في قوله عز وجل: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾؟ قال: يقول: لما قال زيد: يا نبي الله، إني أريد أن أطلق زينب، أعجبته ذلك وقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾، فقال زين العابدين: ليس كذلك، كان الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه، وأن زيدا سيطلقها، فلما قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، عاتبه الله وقال: لم قلت: أمسك عليك زوجك، وقد أعلمتُك أنها

وَيَجِلُّ ثَوَابُهَا، ولو لم يتحفظ منه لأطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم إلا من أوتي فضلاً  
وعِلماً وديناً ونظراً في حقائق الأمور ولُبُوبها دون قُشُورها، ألا ترى أنهم كانوا إذا  
طعموا في بُيُوتِ رسولِ الله ﷺ بقوا مُرتكزين في مجالسهم لا يَريمون مُستأنسين  
بالحديث، وكان رسولُ الله ﷺ يُؤذيه قعودهم، ويُضيقُ صدره حديثهم، والحَيَاءُ  
يصدّه أن يأمرهم بالانتشار، حتى نزلت ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَمَا كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَعِجُ  
مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجُ مِنْ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ولو أبرَزَ رسولُ الله ﷺ مكنونَ  
صَمِيرِهِ وأمرهم أن يتشروا؛ لَشَقَّ عليهم، ولكانَ بعضُ القائلِ؟ فهذا من ذاك القبيل؛  
لأنَّ طُمُوحَ قَلْبِ الإنسانِ إلى بعضِ مُشتهياتِهِ - من امرأةٍ أو غيرِها - غيرُ موصوفٍ  
بالقُبْحِ في العَقْلِ ولا في الشَّرْعِ؛ لأنه ليس بفعلِ الإنسانِ ولا وُجُودُهُ باختيارِهِ، وتناوُلُ  
المُبَاحِ بالطريقِ الشرعيِّ ليس بقبيحٍ أيضاً، وهو خِطْبَةُ زَيْنَبَ ونكاحُها من غيرِ استئْزَالِ  
زَيْدِ عنها، ولا طلبِ إليه وهو أقربُ منه من زِرِّ قَمِيصِهِ أن يُواسِيَهُ بمُفَارَقَتِها، مع

ستكونُ من أزواجِك؟ وهذا هو الأولى والأليقُ بحالِ الأنبياءِ فهو مُطابقٌ للتلاوة، لأنَّ الله  
تعالى أعلمُ أنه تعالى يُبدي ما أخفاه، ولم يُظهر غيرَ تزويجِها فقال: ﴿زَوِّجْنَاكَهَا﴾، فلو كان  
الذي أضمره محبتُها وإرادةُ طلاقِها؛ لكان يُظهِرُ ذلك، ثم قال في آخرِ كلامه: هذا قول  
حَسَنٌ مرضي<sup>(١)</sup>.

قوله: (مرتكزين)، أي: ثابتين، من: ركزت الرَّمحَ، وكذا غرزته في الأرض.

قوله: (لا يريمون): لا يبرحون، الجوهري: رامة يريمه ريناً، أي: برحه.

قوله: (ولا طلب إليه)، النهاية: ومنه حديثُ نُقادة<sup>(٢)</sup> الأسدي قلت: يا رسول الله  
اطلب إلي طلبية فإني أحبُّ أن أُطلببكِها. الطَّبِيبَةُ: الحاجةُ، والاطَّالِبُ: إنجازُها وقضاؤها.  
يقال: طلب إلي فأطلبته، أي: أسعفته بما طلب. والضميرُ في «منه» لزيد، و«من» صلة،

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٣٥٥).

(٢) في (ح): «نقادة»، وهو على الجادة في «النهاية» لابن الأثير.

قوة العلم بأن نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء، بل كانت تجفوا عنها، ونفس رسول الله ﷺ متعلقة بها، ولم يكن مُستنكراً عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه، ولا مُستهجنأ إذا نزل عنها أن ينكحها الآخر؛ فإن المهاجرين حين دخلوا المدينة آسئتهم الأنصارُ بكل شيء، حتى إن الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن إحداها وأنكحها المهاجر، وإذا كان الأمرُ مباحاً من جميع جهاته، ولم يكن فيه وجهٌ من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا بأحد، بل كان مُستجراً مصالِح - ناهيك بواحدة منها: أن بنت عمّة رسول الله ﷺ أمنت الأئمة والضبيعة، ونالت الشرف، وعادت أمّاً من أمهات المسلمين، إلى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله: ﴿لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾، فبالحرى أن يُعاتب الله رسوله حين كتّمه وبالغ في كتّمه. بقوله: ﴿أَمْسِكْ

وَمِنَ» الثانية هي التي تستعمل مع «أفعل»، و«أن يُواسيه» مفعول «طلب». «وهو أقرب منه من زرقميصه» جملة معترضة، والجملة كناية عن رضاه على المبالغة.

قوله: (آسئتهم الأنصار)، من المواساة، وروي: «آسئهم» أي: اقترع.

قوله: (أن بنت عمّة رسول الله ﷺ)، زينب بنت جحش، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، لم تكن امرأة خيراً من زينب في الدين، وأتقى الله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدّ تبذلاً لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

قوله: (أمنت الأئمة)، أي: أمنت من أن تصير أئمة.

قوله: (إلى ما ذكر الله)، متعلق بقوله «مُستجراً»، وقوله: «ناهيك» إلى قوله: «أمهات المؤمنين» معترضة، و«منها» صفة له «واحدة» و«أن بنت عمّة رسول الله» بدل من «واحدة».

قوله: (فبالحرى أن يُعاتب الله رسوله حين كتّمه)، جواب «إذا»، وهو تلخيص الجواب

(١) انظر: «جامع الأصول» (١٢: ٩٩)، والحديث المذكور أخرجه مسلم (٢٤٤٢).

عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَى اللَّهَ ﴿٤٣﴾، وَأَنْ لَا يَرْضَى لَهُ إِلَّا اتِّمَادَ الضَّمِيرِ وَالظَّاهِرِ، وَالثَّبَاتِ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ؛ حَتَّى يَقْتَدِيَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَلَا يَسْتَحْيُوا مِنَ الْمُكَافَاحَةِ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مَرَّةً. فَإِنْ قُلْتَ: الْوَاوُ فِي ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾، ﴿وَتُخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ﴾ مَا هِيَ؟ قُلْتُ: وَאוּ الْحَالِ، أَي: تَقُولُ لَزَيْدٍ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ مُخْفِيًا فِي نَفْسِكَ إِرَادَةً أَنْ لَا يُمَسِّكَهَا، وَتُخْفِي خَاشِيًا قَالَةَ النَّاسِ وَتُخَشَى النَّاسَ، حَقِيقًا فِي ذَلِكَ بِأَنْ تُخَشَى اللَّهَ؛ أَوْ وَאוּ الْعَطْفَ، كَأَنَّهُ

عَنْ قَوْلِهِ: «كَيْفَ عَاتَبَهُ اللَّهُ فِي سَتْرٍ مَا اسْتُهُجِنَ التَّصْرِیحُ بِهِ؟»، وَقَوْلِهِ: «كَمْ مِنْ شَيْءٍ يَتَحَفَّظُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ» إِلَى آخِرِهِ، تَوَطُّةٌ لِلْجَوَابِ عَلَى وَجْهِ كُلِّيٍّ، وَقَوْلِهِ: «وَتَنَاوَلُ الْمَبَاحَ بِالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ لَيْسَ بِقَبِيحٍ» إِحْلَاقٌ لِهَذِهِ الصُّورَةِ الْمَخْصُوصَةِ بِذَلِكَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «وَهُوَ خِطْبَةُ زَيْنَبٍ»، وَقَوْلِهِ: «لَأَنْ طَمُوحَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ» إِلَى قَوْلِهِ: «غَيْرُ مَوْصُوفٍ بِالْقَبْحِ لَا بِالْعَقْلِ وَلَا فِي الشَّرْعِ»، وَقَوْلِهِ: «لِذَا كَانَ مَبَاحًا» إِثْبَاتٌ لِلْحُكْمِ الْمَسْتَلْزَمِ لِلْمَقْصُودِ فِي الْجَوَابِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «فَبِالْحَرَى أَنْ يَعَاتِبَ اللَّهُ رَسُولَهُ حِينَ كَتَمَهُ». هَذَا تَقْرِيرٌ مَتِينٌ، لَكِنَّ قَوْلَهُ: «فَلَا يَسْتَحْيُوا مِنَ الْمُكَافَاحَةِ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مَرَّةً» غَيْرُ مُوَافِقٍ لِمَا قَالَ قَبْلُ: «كَانَ الَّذِي أَرَادَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَصْمُتَ».

قَوْلُهُ: (وَأَنْ لَا يَرْضَى لَهُ إِلَّا اتِّمَادَ الضَّمِيرِ)، أَي: وَبِالْحَرَى أَنْ لَا يَرْضَى لِرَسُولِهِ ﷺ إِلَّا مُطَابَقَةً مَا فِي ضَمِيرِهِ لِمَا فِي ظَاهِرِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَخَاطَبَ زَيْدًا مُكَافِحًا بِأَنْ زَوْجَتَكَ سَتَكُونُ أَمْرَاتِي وَأَرِيدُ أَنْ لَا تُتَمَسَّكَهَا.

قَوْلُهُ: (مِنَ الْمُكَافَاحَةِ)، الْأَسَاسُ: كَافَحَهُ: لِقَاءَهُ مُوَاجَهَةً عَنْ مَفَاجَأَةٍ. وَمِنَ الْمَجَازِ: كَفَحَتْ الدَّابَّةُ وَأَكْفَحَتْهَا: تَلَقَّيْتُ فَاها بِلِجَامٍ.

قَوْلُهُ: (وَאוּ الْحَالِ)، الْجُمْلَةُ الْوَاوُ فِيهَا لِلْحَالِ عَلَى سَبِيلِ التَّدَاخُلِ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَتُخْفِي﴾ حَالٌ مِنَ الْمَسْتَرِّ فِي ﴿تَقُولُ﴾، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «لَزَيْدٍ مُخْفِيًا»، وَقَوْلُهُ: ﴿تُخَشَى النَّاسَ﴾ مِنْ فَاعِلٍ «تُخْفِي»، وَهُوَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: «وَتُخْفِي خَاشِيًا قَالَةَ النَّاسِ»، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخَشَّهَ﴾ مِنْ فَاعِلٍ «تُخَشَى النَّاسَ»، وَإِلَيْهِ أَوْمًا بِقَوْلِهِ: «وَتُخَشَى النَّاسَ حَقِيقًا فِي ذَلِكَ بِأَنْ تُخَشَى اللَّهَ».

قيل: وإذ تجمّع بين قولك: ﴿أَمْسِكْ﴾، وإخفاءِ خِلافه، وخشيةِ الناسِ، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾؛ حتى لا تفعلَ مثلَ ذلك. إذا بَلَغَ البالغُ حاجته من شيءٍ له فيه همّة قيل: قضى منه وَطَرَهُ. والمعنى: فلما لم يَبَقَ لزيدٍ فيها حاجة، وتفاصرت عنها همته، وطابت عنها نفسه، وطلّقها، وانقضت عِدَّتُها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾. وقراءةُ أهل البيت: (زَوَّجْتُكَهَا). وقيل لجعفر بن محمد رضي الله عنهما: أليس تقرأ على غير ذلك؟ فقال: لا والذي لا إله إلا هو، ما قرأتها على أبي إلا كذلك، ولا قرأها الحسن بن عليّ على أبيه إلا كذلك، ولا قرأها عليّ بن أبي طالب على النبي ﷺ إلا كذلك. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ جملة اعتراضية، يعني: وكان أمرُ الله الذي يريدُ أن يكونه مفعولاً مكوّناً لا محالة، وهو مثلُ لما أرادَ كَوْنَهُ مِنْ تزويجِ رسولِ الله ﷺ زينبَ، ومن نَفْيِ السَّحَرِجِ عن المؤمنين في إجراء أزواجِ المُتَبَيِّنَاتِ مجرى أزواجِ البَيِّنَاتِ في تحريمهنَّ عليهم بعد انقطاعِ علائقِ الزواجِ بينهم وبينهنَّ، ويجوزُ أن يُرادَ بأمرِ الله: المكوّن؛ لأنه مفعولٌ بـ«كُنْ»، وهو أمرٌ.

قوله: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ حتى لا تفعلَ مثلَ ذلك)، هذا تقرير معنى كون الجملة مستأنفةً وتذييلٌ للكلام السابق.

قوله: (إذا بلغ البالغ حاجته)، قال الزجاج: قال الخليل: الوَطَرُ: كل حاجة لك فيها همّة. فإذا بلغها البالغ قال: قد قضى وَطَرَهُ<sup>(١)</sup>.  
الراغب: الوَطَرُ: النَّهْمَةُ والحاجةُ المهمة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ويجوز أن يراد بأمر الله المكوّن)، لأنه مفعولٌ بـ«كُنْ»، هذا كما قيل لعيسى عليه الصلاة والسلام: «كلمة الله» من إطلاقِ السَّبَبِ على المَسَبِّبِ، فالأمرُ بمعنى المأمور، وأصله الأمرُ الذي هو واحد الأوامر، لقوله: «لأنه مفعولٌ بـ(كن)»، وعلى الوجه الأول: واحدُ الأمور، لقوله: «وكان أمرُ الله الذي يريدُ أن يكونه مفعولاً مكوّناً»، فمعنى ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: مخلوقه ومراده.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٧٣).

(٢) «مفردات القرآن» ص ٨٧٤.

[ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا \* الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٨-٣٩﴾ ]

﴿فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾: قَسَمَ لَهُ وَأَوْجَبَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: فُرِضَ لِفُلَانٍ فِي الدُّيُونِ كَذَا، وَمِنْهُ: فُرُوضُ الْعَسْكَرِ؛ لِرَزَقَاتِهِمْ. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ اسْمٌ مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ - كَقَوْلِهِمْ: تَرِبًا وَجَنْدَلًا - مُؤَكَّدٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: سَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ سُنَّةً فِي الْأَنْبِيَاءِ الْمَاضِينَ؛ وَهُوَ أَنْ لَا يُجْرَجَ عَلَيْهِمْ فِي الْإِقْدَامِ عَلَى مَا أَبَاحَ لَهُمْ وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي بَابِ النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ كَانَتْ تَحْتَهُمُ الْمَهَائِرُ وَالسَّرَارِيُّ، وَكَانَتْ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِئَةُ امْرَأَةٍ وَثَلَاثُ مِئَةِ سُرِّيَّةٍ، وَلِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَسَبْعِمِئَةٍ. ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾: فِي الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا. ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ﴾ يَحْتَمِلُ وَجُوهَ الْإِعْرَابِ: الْجُرِّ، عَلَى الْوَصْفِ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَالرَّفْعَ وَالتَّصْبِ، عَلَى الْمَدْحِ عَلَى: هُمُ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ، أَوْ عَلَى: أَعْنَى الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ. وَقُرِئَ: (رِسَالَةَ اللَّهِ). ﴿قَدَرًا مَقْدُورًا﴾: قَضَاءٌ مَقْضِيًّا، وَحُكْمًا مَبْتُوتًا، وَوَصْفُ الْأَنْبِيَاءِ بِأَنَّهُمْ لَا يَخْشَوْنَ إِلَّا اللَّهَ تَعْرِيفُ بَعْدَ التَّصْرِيحِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٢٧]. ﴿حَسِيبًا﴾: كَافِيًا لِلْمَخَافِ، أَوْ: مُحَاسِبًا عَلَى الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ

قَوْلُهُ: (لِرَزَقَاتِهِمْ) جَمْعُ الرِّزْقَةِ، بِالْفَتْحِ، وَهُوَ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ، وَهِيَ أَطْمَاعُ الْجُنْدِ، أَي: إِقْطَاعُهُمْ. الْأَسَاسُ: أُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقًا، وَكَمْ رِزْقُكَ فِي الشَّهْرِ، أَي: جِرَائِكَ، وَأَخَذَ الْجُنْدُ رَزَقَاتِهِمْ وَأَرْزَاقَهُمْ.

قَوْلُهُ: (تَرِبًا وَجَنْدَلًا)، أَي: رُغْمًا وَهُوَانًا وَخِيبةً.

قَوْلُهُ: (﴿قَدَرًا مَقْدُورًا﴾: قَضَاءٌ مَقْضِيًّا)، وَهُوَ فِي التَّلَاوَةِ مُقَدَّمٌ عَلَى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ﴾ وَقَدْ أُخْرِه.

حَقَّ الخَشْيَةُ مِنْ مِثْلِهِ.

[مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾]

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ أي: لم يكن أباً لرجلٍ منكم على الحقيقة، حتى يَثْبُتَ بَيْنَهُ وبينه ما يَثْبُتُ بين الأب وولده من حُرْمَةِ الصَّهْرِ والنِّكَاحِ، ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ وكلُّ رسولٍ أبو أُمَّتِهِ فيما يرجعُ إلى وجوبِ التوقيرِ والتَّعْظِيمِ له عليهم، ووجوبِ الشَّفَقَةِ والنَّصِيحَةِ لهم عليه، لا في سائرِ الأحكامِ الثابتةِ بين الآباءِ والأبناءِ، وزيدٌ واحدٌ من رجالكم الذين ليسوا بأولادهِ حقيقةً، فكان حُكْمُهُ حُكْمَكُمْ، والادِّعَاءُ والتَّبَنِّيُّ من بابِ الاختصاصِ والتَّقْرِيبِ لا غيرٍ، ﴿و﴾ كان ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني: أنه لو كان له ولدٌ بالغٌ مَبْلُغُ الرِّجَالِ؛ لكانَ نبيًّا ولم يكن هو خاتَمَ الأنبياءِ، كما يروى: أنه قال في إبراهيمَ حين توفِّي: «لو عاش لكان نبيًّا». فإن قلتَ: أما كان أباً للطاهرِ والطيبِ والقاسمِ وإبراهيمَ؟ قلتُ: قد أُخْرِجُوا من حُكْمِ النِّفْيِ بقوله: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ من وجهين؛ أحدهما: .....

قولُه: (حَقَّ الخَشْيَةُ مِنْ مِثْلِهِ)، أي: منه، يعني: مَنْ هو في صِفَتِهِ من كونه كافياً للمخاوفِ أو محاسباً على الصغيرة والكبيرة، وليس كمثلِه شيء، فهو كناية.

قولُه: ﴿وَلَكِنْ﴾ كانَ ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ و﴿كُلُّ رَسولٍ أَبُو أُمَّتِهِ﴾، وذلك أن «لكن» يقع بين المتغايرين، فلما نفى عنه ﷺ معنى الأبوة الحقيقية أثبت له الأبوة المجازية، وهو كونه رسولاً، فيقتضي أن يوقروه تعظيم الآباء، وهو يشفق عليكم شفقة الأبناء. روى صاحب «الروضة»: قال بعض أصحابنا: لا يجوز أن يقال: هو أبو المؤمنين بهذه الآية. قال: ونص الشافعي على أنه يجوز «أبو المؤمنين»، أي: في الحرمة<sup>(١)</sup>، المعنى ليس أحدٌ من رجالكم ولدٌ صلبه.

(١) «روضة الطالبين» (٧: ١٢).

أَنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَبْلُغُوا مَبْلَغَ الرِّجَالِ. والثاني: أنه قد أضافَ الرجالَ إليهم، وهؤلاءِ رجاله لا رجالهم. فإن قلت: أما كان أباً للحسن والحسين؟ قلت: بلى، ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذٍ، وهما أيضاً من رجاله لا من رجالهم، وشيءٌ آخر: وهو أنه إنما قصدَ ولدهَ خاصّةً، لا ولدَ ولده؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَاتَمَةُ النَّبِيِّنَ﴾، ألا ترى أنَّ الحسنَ والحسينَ قد عاشا إلى أن نيفَ أحدهما على الأربعين والآخِرُ على الخمسين؟

قوله: (أَنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَبْلُغُوا مَبْلَغَ الرِّجَالِ)، روينا عن البخاريِّ وابن ماجه عن إسماعيل بن خالد قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: أرأيت إبراهيم بن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، مات صغيراً، ولو قُضِيَ أن يكون بعد محمد ﷺ نبيٌّ لكان ابنه، ولكن لا نبيَّ بعده<sup>(١)</sup>.

قوله: (وشيء آخر) عطفُ على قوله: «بلى، ولكنهما لم يكونا رجلين»، وتقرير السؤال والجواب حينئذٍ أن يقال: أما كان النبي ﷺ أباً الحسن والحسين؟ قال: نعم أي: لم يكن أباهما، لأنه تعالى إنما قصد بقوله: ﴿أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ ولدهَ خاصّةً، لا ولدَ ولده لقوله بعد ذلك: ﴿وَحَاتَمَةُ النَّبِيِّنَ﴾ لأنه يوجبُ أن لا يكون له ولدٌ بلغَ مبلغَ الرجالِ فيصيرُ نبيّاً لما يؤدِّي ذلك إلى أنه لم يكن خاتمَ النبيين، ألا ترى كيف بلغ الحسن والحسين مبلغ الرجال وأوان أن ينزل عليهما الوحي، وهو بلوغُ أحدهما فوقَ الأربعين، والآخِرُ الخمسين، ولم ينزل عليها النبوة، وفي هذا الوجه تكلف.

قوله: (ألا ترى الحسن والحسين قد عاشا)، ذكر في «جامع الأصول»: أنه ولد الحسن بن علي سنة ثلاث من الهجرة ومات سنة خمسين، وقيل: تسع وأربعين، وقيل: ثمان وأربعين، وقيل: سبعمائة، وكان للحسن يوم قتل ثمان وخمسون<sup>(٢)</sup>. وفي «الاستيعاب»: قيل: كانت سن الحسن يوم مات سبعمائة<sup>(٣)</sup> وأربعين سنة، وسن الحسين يوم قتل ابن سبع وخمسين، وقيل: ثمان وخمسين. وفي «تاريخ الكامل»: كانت الأحزابُ في السنة الخامسة من الهجرة،

(١) أخرجه البخاري (٦١٩٤)، وابن ماجه (١٥١٠).

(٢) «جامع الأصول» (١٢: ٢٩٣).

(٣) من قوله: «وكان للحسن يوم قتل ثمان» إلى هنا، سقط من (ح).



قُرئ: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ﴾ بالنصب؛ عَطْفًا عَلَى ﴿أَبَا أَحْمَرَ﴾، وبالرفع؛ على: ولكن هو رسول الله، و(لكنَّ) بالتشديد على حذف الخبر، تقديره: ولكن رسول الله مَنْ عَرَفْتُمُوهُ، أي: لم يعيش له ولدٌ ذَكَر. ﴿وَحَاَتَمَ﴾ بفتح التاء: بمعنى الطابع، .....

وفيها تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، وهي ابنة عمته، فيكون عمرُ الحسن يومئذ ستين<sup>(١)</sup>.

قوله: و(ولكنَّ) بالتشديد) وهي شاذة، قال ابن جنِّي: روي عن أبي عمرو: ولكن رسول الله محمد<sup>(٢)</sup>، وعليه قول الفرزدق:

فلو كنت ضيياً عرفت قرابتي  
ولكن زنجياً غليظ المشافر

أي: ولكن زنجياً لا تعرف قرابتي، فحذف الخبر لدلالة ما قبله عليه، وهو قوله: عرفت، كما أن قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحْمَرَ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يدل على أنه مخالف لهذا الضرب من الناس<sup>(٣)</sup>. يريد: ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم، مفهومه: أنه ليس ممن عرفتموه، كأنه قيل: محمد ممن عرفتموه من الرجال الذين يعيش لهم أولاد ذكور، ولكن رسول الله ممن عرفتموه أنه لم يعيش له ولدٌ ذَكَر.

قوله: ﴿وَحَاَتَمَ﴾ بفتح التاء) عاصم، والباقون: بكسرها<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: فمن قرأها: «وَحَاتِمٍ» فمعناه: ختم النبيين، ومن قرأه: «حَاتِمٍ» بفتح التاء فمعناه: آخر النبيين لا نبي بعده<sup>(٥)</sup>.

(١) «الكامل في التاريخ» (٢: ٦٤).

(٢) كذا في الأصول الخطية، والظاهر أنه حصل للمؤلف رحمه الله تعالى انتقال بصر من سطر إلى آخر، فعبارة ابن جنِّي في «المحتسب»: «ومن ذلك ما رواه عبد الوهاب عن أبي عمرو: «ولكن رسول الله»، قال أبو الفتح - يعني: ابن جنِّي -: «رسول الله» منصوب على اسم «لكن»، والخبر محذوف، أي: ولكن رسول الله محمد، وعليه قول الفرزدق...

(٣) «المحتسب» (٢: ١٨١).

(٤) انظر: «حجة القراءات» (٥٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ١٩٦).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٣٠).

وبكسرِها: بمعنى الطابعِ وفاعلِ الحَتْمِ، وتقويهِ قراءةُ ابنِ مسعود: (ولكنْ نَبِيًّا حَتَمَ النبيِّينَ). فإن قلت: كيف كان آخرُ الأنبياءِ وعيسى ينزلُ في آخرِ الزمانِ؟ قلت: معنى كونه آخرَ الأنبياءِ: أنه لا يُنبأُ أحدٌ بعده، وعيسى مَن نُبِيٌّ قَبْلَهُ، وحينَ ينزلُ ينزلُ عاملاً على شريعةِ محمَّد، مصلياً إلى قبْلته، كأنه بعضُ أمته.

[﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَخَّرْنَا بَكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ٤١-٤٢]

﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: أثنوا عليه بضرِبِ الثناءِ مِنَ التَّقْدِيسِ والتحميدِ والتهلِيلِ والتكبيرِ وما هو أهله، وأكثرُوا ذلك ﴿بَكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: في كافةِ الأوقات، قال رسولُ الله ﷺ: «ذَكَرُ اللَّهُ عَلَى فَمِ كُلِّ مُسْلِمٍ»، وروي: «في قلبِ كُلِّ مُسْلِمٍ». وعن قتادة: قولوا: سبحانَ الله والحمدُ لله ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ. وعن مجاهد: هذه كلماتٌ يقولها الطاهرُ والجُنُبُ. والفِعْلان - أعني: اذْكُرُوا وسَبَّحُوا - موجَّهان إلى البُكْرَةِ والأصِيلِ، كقولك: صُمِّمٌ وصلُّ يومَ الجمعة. والتسبيحُ من جُملةِ الذِّكْرِ، وإنما اختصَّهُ من بين أنواعِهِ اختصاصَ جبريلَ وميكائيلَ من بين الملائكة؛ لبيِّنِ فَضْلَهُ على سائرِ الأذكار؛ لأنَّ معناه: تنزيهُ ذاته عمَّا لا يجوزُ عليه من

قوله: (بمعنى الطابع)، النهاية: في حديث الدعاء: «اخْتَمَّهُ بِأَمِينٍ، فَإِنَّ آمِينَ مِثْلُ طَابِعٍ - بِالْفَتْحِ - الْخَاتَمِ»<sup>(١)</sup>، يريد: أنه يختم عليها ويرفَعُ كما يفعلُ الإنسانُ بما يعزُّ عليه.

قوله: ﴿بَكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، ذُكِرَ الوقتانِ المخصوصان وأريد الدوام، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مریم: ٦٢]. قال القاضي: وتخصيصُ الوقتين بالذكر للدلالة على فَضْلِهِمَا على سائرِ الأوقات، لكونها مشهودين، كإفراد التسبيح بالذكر من جملة الأذكار لأنها العمدة فيها<sup>(٢)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣٣).

الصِّفَاتِ والأَفْعَالِ، وتبرُّثُهُ مِنَ القَبَائِحِ. ومثَالُ فَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الأَذْكَارِ: فَضْلُ وَصْفِ العَبْدِ بِالنِّزَاهَةِ مِنْ أَدْنَسِ المَعَاصِي، وَطُطُّهِرِ مِنْ أَرْجَاسِ المَآثِمِ، عَلَى سَائِرِ أَوْصَافِهِ مِنْ كَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَالتَّوَقُّرِ عَلَى الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، وَالاِسْتِمَالِ عَلَى العُلُومِ، وَالاِسْتِهَارِ بِالفَضَائِلِ، وَيجوزُ أَنْ يَريَدَ بِالدُّكْرِ وَكَثْرَتِهِ: تَكثِيرَ الطَّاعَاتِ، وَالاِقْبَالَ عَلَى العِبَادَاتِ؛ فَإِنَّ كُلَّ طَاعَةٍ وَكُلَّ خَيْرٍ مِنْ جُمْلَةِ الدُّكْرِ، ثُمَّ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ التَّسْبِيحَ بِكَرَّةٍ وَأَصِيلاً، وَهِيَ الصَّلَاةُ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهَا؛ لِفَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِهَا. أَوْ: صَلَاةُ الفَجْرِ وَالعِشَاءَيْنِ؛ لِأَنَّ أَدَاءَهَا أَشَقُّ وَمِرَاعَاتُهَا أَشَدُّ.

[ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا \* تَجِيئَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا \* ] [ ٤٣-٤٤ ]

قوله: (فَضْلُ وَصْفِ العَبْدِ بِالنِّزَاهَةِ مِنْ أَدْنَسِ المَعَاصِي)، عَلَى سَائِرِ أَوْصَافِهِ مِنْ كَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ. وَذَلِكَ أَنَّ العَادَةَ اسْتَمَرَّتْ أَنَّهُ إِذَا أَرِيدَ المَبَالِغَةُ فِي الوَصْفِ قِيلَ: فَلَانِ مَعْصُومٌ نَقِيُّ الذَّلِيلِ طَاهِرُ الجِيبِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾، وَقَوْلُ حَسَّانِ فِي أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي رِوَايَةِ الشَّيْخِينَ (١):

حَصَّانُ رَزَانٌ مَا تُرَّانُ بَرِيَّةٌ وَتُصْبِحُ عَرَّانِي مِنْ لِحُومِ الغَوَافِلِ

لأن النفس إذا كانت زكية طاهرة يتسهل لها محاسن الشيم ولا يتأبى عليها مكارم الأخلاق.

الحصان - بالفتح -: المرأة العفيفة.

ما تُرَّانُ - بالزاي -: أي: ما تُتَّهَمُ يقال: زَنَّهُ بِكَذَا وَأَزَّنَّهُ: إِذَا اتَّهَمَهُ بِهِ.

وعرَّان: جوعان، وامرأة عرَّانِي.

(١) أخرجه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨).

لَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْمُصَلِّي أَنْ يَنْعَطِفَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ اسْتَعِيرَ لِمَنْ يَنْعَطِفُ عَلَى غَيْرِهِ؛ حُنُوءًا عَلَيْهِ وَتَرَوُّفًا، كَعَائِدِ الْمَرِيضِ فِي انْعِطَافِهِ عَلَيْهِ، وَالْمَرَأَةِ فِي حُنُوءِهَا عَلَى وَلَدِهَا، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتَعْمِلَ فِي الرَّحْمَةِ وَالتَّرَوُّفِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، أَي: تَرَحَّمْ عَلَيْكَ وَتَرَأَّفْ. فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ إِنْ فَسَّرْتَهُ بِ: يَتَرَحَّمُ عَلَيْكُمْ وَيَتَرَأَّفُ، فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾؟ وَمَا مَعْنَى صَلَاتِهِمْ؟ قُلْتَ: هِيَ قَوْلُهُمْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، جُعِلُوا لَكُمْ مُسْتَجَابِي الدَّعْوَةِ كَأَنَّهُمْ فَاعِلُونَ الرَّحْمَةَ وَالرَأْفَةَ. وَنَظِيرُهُ قَوْلُكَ: حَيَّاكَ اللَّهُ، أَي: أَحْيَاكَ وَأَبْقَاكَ، وَ: حَيَّيْتُكَ،

قَوْلُهُ: (لَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْمُصَلِّي أَنْ يَنْعَطِفَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ)، إِشَارَةٌ إِلَى مَا قَالَ فِي «الْبَقْرَةِ» أَنْ اشْتِقَاقَ الصَّلَاةِ مِنْ تَحْرِيكِ الصَّلَوَاتِينَ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (جُعِلُوا لَكُمْ مُسْتَجَابِي الدَّعْوَةِ كَأَنَّهُمْ فَاعِلُونَ الرَّحْمَةَ وَالرَأْفَةَ)، الْإِنْتِصَافُ: هُوَ يَفْرُغُ مِنْ إِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ مَعًا، وَقَدْ التَزَمَهُ هَاهُنَا بِجَعْلِ الصَّلَاةِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ حَقِيقَةً وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ مَجَازًا<sup>(٢)</sup>. وَأَجَابَ صَاحِبُ «الْإِنْصَافِ»: يُصَلُّونَ فِيهِ ضَمِيرٌ جَمْعٌ فَهُوَ مُنَزَّلٌ مِنْزَلَةً تَكَرَّرَ لِفِظَةِ «يُصَلِّي»، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ إِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى اعْتِذَارِ مُحَمَّدٍ<sup>(٣)</sup> وَلَا جَوَابِ أَحْمَدَ<sup>(٤)</sup> عَنْهُ.

قُلْتَ: ذَهَبَ الْمُصَنِّفُ إِلَى الْقَوْلِ بِالْقَدْرِ الْمَشْتَرِكِ وَعَمُومِ الْمَجَازِ وَهُوَ مَعْنَى الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَإِطْلَاقِ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى الصَّلَاتَيْنِ مَجَازًا. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: «اسْتَعِيرَ لِمَنْ يَنْعَطِفُ عَلَى غَيْرِهِ»، نَعَمَ هَذَا فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ مَجَازًا بِمَرْتَبَتَيْنِ، وَذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنَ الْإِيرَادِ، وَذَهَبَ عَنْ صَاحِبِ «الْإِنْصَافِ» أَنَّ النُّحُويِّينَ يَشْبَهُونَ: جَاءَ فِي زَيْدٍ، وَزَيْدٌ وَزَيْدٌ بِقَوْلِهِمْ: جَاءَ فِي الزَّيْدُونَ، فِي أَنْ الْعَامِلَ وَاحِدًا.

(١) «تفسير الكشاف» (٢: ٩٣).

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٤٦).

(٣) يعني الزرخشري.

(٤) يعني ابنُ المُنْتَبِرِ صَاحِبُ «الانتصاف».

أي: دعوتُ لك بأن يُحييكَ اللهُ؛ لأنك لا تكالك على إجابة دعوتك كأنك تُبقيه على الحقيقة، وكذلك: عَمَّرَكَ اللهُ، وعمَّرْتُكَ، وسَقَّاكَ اللهُ، وسَقَيْتُكَ، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦] أي: ادعوا الله بأن يصليَ عليه. والمعنى: هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم باكثارِ الذِّكْرِ والتوفُّرِ على الصلاة والطاعة؛ ﴿لِيُخْرِجَكُمُ﴾ من ظلماتِ المعصية إلى نُورِ الطاعة، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ دليلٌ على أن المراد بالصلاة الرحمة. ويُروى: أنه لما نَزَلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] قال أبو بكرٍ رضي اللهُ عنه: ما خصَّكَ اللهُ يا رسولَ اللهِ بشرفٍ إلا وقد أشركنا فيه؛ فأنزلت. ﴿تَمِيحَتُهُمْ﴾ من إضافة المصدَّر إلى المفعول، أي: يُحيون يومَ لقائه بسلام. فيجوزُ أن يُعظمهم اللهُ بسلامِهِ عليهم، كما يفعلُ بهم سائرُ أنواعِ التعظيم، وأن يكونَ مثلاً كاللقاء على ما فسَّرنا. وقيل: هو سلامٌ مَلَكَ الموت والملائكة معه عليهم، وبشارتهم بالجنة. وقيل: سلامٌ الملائكة عند الخروج من القبور. وقيل: عند دخول الجنة، كما قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ \* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، والأجرُ الكريم: الجنة.

وقال القاضي: الفعل يتعدَّدُ معنى لا لفظاً، والمراد بالصلاة المُشترَكُ وهو العناية بصلاح أمرِكُمْ وظهور شرفِكُمْ، مستعار من الصلاة، وقيل: الترحُّمُ والانعطافُ المعنوي مأخوذٌ من الصلاة المشتملة على الانعطافِ الصوري الذي هو الركوع والسجود<sup>(١)</sup>.

وقلت: هذا التأويلُ أقوى لقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُمُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ولذلك اختاره المصنّف، ونصَّ عليه بقوله: «﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ دليلٌ على أن المراد بالصلاة الرحمة»، والتأويلُ الأولُ أي: ظهورُ الشرفِ أنسبُ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣٤).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا

مُنِيرًا ﴿ ٤٥-٤٦ ﴾

﴿ شَهِيدًا ﴾ على مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ، وعلى تَكْذِيبِهِمْ وَتَصْديقِهِمْ، أي: مَقْبُولًا قَوْلِكَ عند الله لهم وعليهم، كما يُقْبَلُ قَوْلُ الشَّاهِدِ العَدْلِ في الحُكْمِ. فَإِنِ قُلْتَ: وَكَيْفَ كَانَ شَهِيدًا وَقَتَ الإِرْسَالِ، وَإِنِهَا يَكُونُ شَهِيدًا عِنْدَ تَحْمِيلِ الشَّهَادَةِ أَوْ عِنْدَ إِدَائِهَا؟ قُلْتُ: هِيَ حَالٌ مَقْدَرَةٌ كَمَسْأَلَةِ «الْكِتَابِ»: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَائِدًا بِهِ غَدَاً، أَي: مَقْدَرًا بِهِ الصَّيْدَ غَدَاً. فَإِنِ قُلْتَ: قَدْ فَهِمَ مِنْ قَوْلِهِ: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ دَاعِيًا: أَنَّهُ مَأْذُونٌ لَهُ فِي الدُّعَاءِ، فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾؟ قُلْتُ: لَمْ يُرِذْ بِهِ حَقِيقَةَ الإِذْنِ، وَإِنِهَا جُعِلَ الإِذْنُ مُسْتَعَارًا لِلتَّسْهِيلِ وَالتَّيْسِيرِ؛ لِأَنَّ الدَّخُولَ فِي حَقِّ المَالِكِ مُتَعَذِّرٌ، فَإِذَا صُوِّدَ الإِذْنُ تَسَهَّلَ وَتَيْسَّرَ، فَلَمَّا كَانَ الإِذْنُ تَسْهِيلًا لِمَا تَعَذَّرَ مِنْ ذَلِكَ؛ وَوَضِعَ مَوْضِعَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ دُعَاءَ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالجَاهِلِيَّةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالشَّرَائِعِ أَمْرٌ فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ وَالتَّعَذُّرِ، فَقِيلَ: ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ لِلإِيدَانِ بِأَنَّ الأَمْرَ صَعِبٌ لَا يَتَأْتَى وَلَا يُسْتَطَاعُ إِلا إِذَا سَهَّلَهُ اللهُ وَسَيَّرَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الشَّحِيحِ: إِنَّهُ غَيْرُ مَأْذُونٍ لَهُ فِي الإِنْفَاقِ، أَي: غَيْرُ مُسَهَّلٍ لَهُ الإِنْفَاقُ؛ لِكَوْنِهِ شَاقًّا عَلَيْهِ دَاخِلًا فِي حُكْمِ التَّعَذُّرِ. جَلَى بِهِ اللهُ ظُلْمَاتِ الشُّرْكِ، وَاهْتَدَى بِهِ الضَّالُّونَ، كَمَا يُجَلَّى ظُلَامُ اللَّيْلِ بِالسَّرَاجِ المُنِيرِ وَيُهْتَدَى بِهِ. أَوْ: أَمَدَّ اللهُ بِنُورِ نُبُوَّتِهِ نُورَ البصائرِ، كَمَا يَمُدُّ بِنُورِ السَّرَاجِ نُورَ الأبصارِ. وَوَصَفَهُ بِالإِنَارَةِ؛ لِأَنَّ مِنَ السَّرْجِ مَا لَا

قَوْلُهُ: (جَلَى بِهِ اللهُ ظُلْمَاتِ الشُّرْكِ)، اعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: «سَرَجًا مُنِيرًا» مَوْضِعُهُ مَوْضِعُ المُشْبِهِ بِهِ، وَالمُشْبِهَ الكَافِ فِي ﴿ أَرْسَلْنَاكَ ﴾، وَهُوَ عَلَى وَجْهِينِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ يَكُونُ مِنَ التَّشْبِيهِ المَرْكَبِ العَقْلِيِّ؛ شَبَّهَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالسَّرَاجِ المُنِيرِ فِي كَوْنِهِ جَلَى بِهِ الظُّلْمَاءَ وَهَدَى بِهِ الضَّالِّينَ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ يَكُونُ مِنَ التَّمْثِيلِ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الوَجْهَ مُنْتَزِعًا مِنْ عِدَّةِ أُمُورٍ مَتَوَهِّمَةٍ، وَلِهَذَا عَتَبَرَ شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا: قَوْلُهُ: أَمَدَّ اللهُ بِنُورِ نُبُوَّتِهِ نُورَ البصائرِ، وَثَانِيهَا: وَضَفَّهُ بِالزِّيَادَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي مُفَرَّقًا فَالمُشْبَهَ بِهِ يَكُونُ حَسِيًّا وَالمُشْبَهَ عَقْلِيًّا.

يُضيء إذا قَلَّ سَلِيطُهُ وَدَقَّتْ فَتِيلَتُهُ. وفي كلام بعضهم: ثلاثة تُضني: رَسُولُ بَطِيءٍ، وسِرَاجٌ لا يُضيء، ومائدةٌ يُنْتَظَرُ لها مَنْ يَجِيءُ. وسُئِلَ بعضهم عن المَوْجِسَيْنِ؟ فقال: ظلامٌ سائرٌ، وسِرَاجٌ فاتِرٌ. وقيل: وذا سِرَاجٍ مُنِيرٍ. أو: وتالياً سِرَاجاً مُنيراً. ويجوزُ على هذا التفسيرِ أن يُعْطَفَ على كافِ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾.

قوله: (ومائدةٌ يُنْتَظَرُ)، وأنشد في معناه:

رَسْمٌ جَرَى فِي النَّاسِ لَيْسَ بِحَامِدٍ      جَوْعَ الْجَمَاعَةِ بِانْتِظَارِ الْوَاحِدِ<sup>(١)</sup>

قوله: (وقيل: وذا سِرَاجٍ مُنِيرٍ)، قال الزجاج: ﴿وَسِرَاجاً مُنِيرًا﴾ أي: وكتاباً مبيناً. المعنى: أرسلناك شاهداً وذا سِرَاجٍ مُنِيرٍ، أي: وذا كتابٍ نيرٍ، وإن شئتَ كان «سِرَاجاً» منصوباً على معنى: وداعياً وتالياً كتاباً بيناً<sup>(٢)</sup>. وقال أبو البقاء: والسِرَاجُ اسمٌ للتسريحِ وليس بالمصدر<sup>(٣)</sup>.

قوله: (ويجوزُ على هذا التفسيرِ أن يعطف على كافِ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾)، يعني: تفسيرُ «ذا سِرَاجٍ» أو «وتالياً سِرَاجاً». قال صاحبُ «التقريب»: إذ يجوزُ أن يكونَ حالُ الإرسالِ ذا سِرَاجٍ وتالياً له، فيصحُّ تقديرُ «أرسلنا» فيه، وأما على الأولِ - وهو أنه سِرَاجٌ انجلتْ به الظلماتُ - فلا يصحُّ تقديرُ «أرسلنا» معه، إذ لم يكن حالُ الإرسالِ كذا، بل مُقَدِّراً كونه كذلك، فحقُّه أن يُعْطَفَ على الأحوالِ المقدرةِ قبله، ويجوزُ أن يكونَ مرادُه أن السِرَاجَ المنيرِ إذا أريدَ به القرآنُ يُعْطَفُ على الكافِ، أي: أرسلناك وقرآناً وإنما صحَّ بالتبعية وإلا فالقرآنُ لا يكونُ مرسلًا. وقلت: عكسه «وأنزلَ معه الكتابَ»<sup>(٤)</sup>، على معنى: أنزلَ معه نبوته؛ لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به، والتحقيق: أن هذا العطفَ من قبيل:

مُتَقَلِّداً سَيْفًا وَرُمَحًا

(١) البيت لابن المعتز. انظر: «التمثيل والمحاضرة» ص ٢٧٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٣١).

(٣) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥٨).

(٤) لعله يُريدُ قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [٤٧]

الفضل: ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب، وإذا ذكرك المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب؟ ويجوز أن يريد بالفضل: الثواب، من قولهم للعطايا: فضول وفواضل، وأن يريد أن لهم فضلاً كبيراً على سائر الأمم، وذلك الفضل من جهة الله، وأنه آتاهم ما فضلواهم به.

﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

وَكَيْلًا ﴾ [٤٨]

﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ ﴾ معناه: الدوام والثبات على ما كان عليه، أو التهيؤ. ﴿ أَذُنُهُمْ ﴾ يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول، يعني: ودع أن تؤذيهم بصرير أو قتل، وخذ بظاهرهم، وحسابهم على الله في باطنهم. أو: ودع ما يؤذونك به ولا

فإذا فسر سراجاً بـ «ذا سراج» يعني به القرآن، وكان التقدير: إنا أرسلناك شاهداً وأنزلنا عليك ذا سراج منير، وإذا فسر بـ «تالياً سراجاً» كناية عن رسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُفْهُا مُطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢] كان التقدير: أرسلناك شاهداً وجعلناك تالياً سراجاً منيراً، ويجوز على هذا أن يكون من باب ﴿صَّ وَالْقُرْآن﴾ [ص: ١] إن أريد بهما اسماء السورة؛ جرد من رسول الله ﷺ المنعوت بتلك الصفات الكاملة تالياً سراجاً منيراً، كما جرد من الرجل في قوله: مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة، وعطفت عليه وهي هو.

قوله: (الفضل ما يتفضل به عليهم، زيادة على الثواب)، مذهبه، وبيانه مراراً.

قوله: (وكبره فما ظنك بالثواب؟)، أي: وصف المتفضل به بالكبر في قوله: ﴿فضلاً

كبيراً﴾.

قوله: (معناه الدوام والثبات على ما كان عليه)، أي: من عدم إطاعته إياهم في فسح

عهد وفيها لا يحل.



تُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ حَتَّى تُؤْمَرَ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَهُمْ، وَكَفَى بِهِ مُقَوِّضاً إِلَيْهِ. وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: وَصَفَهُ اللَّهُ بِخَمْسَةِ أَوْصَافٍ، وَقَابَلَ كَلَّامًا مِنْهَا بِخَطَابٍ مُنَاسِبٍ لَهُ: قَابَلَ الشَّاهِدَ بِقَوْلِهِ:

قَوْلُهُ: (وصفه الله تعالى بخمسة أوصاف، وقابل كلاً منها بخطاب مناسب له) إلى آخره، نَظْمٌ فِي غَايَةِ مِنَ الْحُسْنِ لَكِنَّ فِي مُقَابَلَةِ الْمُبَشِّرِ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْكَافِرِينَ: كُلفَةٌ، وَهَذَا قَالَ الْقَاضِي: ﴿وَيَبَشِّرِ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى مَحذُوفٍ مِثْلُ: فَرَأَيْتَ أَحْوَالَ أُمَّتِكَ، لِأَنَّ مَا بَعْدَهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ إِلَى آخِرِهِ كَالْتَفْصِيلِ لَهُ، وَقَابَلَ الْمُبَشِّرَ بِالْأَمْرِ بِالْبَشَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالنَّذِيرَ بِالنَّهْيِ عَنِ مَرَاqِيَةِ الْكُفَّارِ وَالْمَبَالَاةِ بِأَذَاهِمُ، وَالِدَاعِي إِلَى اللَّهِ بِتَيْسِيرِهِ بِالْأَمْرِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالسَّرَاجَ الْمُنِيرَ بِالْإِكْتِفَاءِ بِهِ، فَإِنَّ مَنْ أَنَارَهُ اللَّهُ بِرَهَانًا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ كَانَ حَقِيقًا بِأَنْ يُكْتَفَى بِهِ عَنْ غَيْرِهِ<sup>(١)</sup>.

وقلت: نظير هذه الآية ما روينا عن البخاري والإمام أحمد بن حنبل عن عطاء بن يسار قال: لقيتُ عبدَ الله بنَ عمرٍو قلتُ: أخبرني عن صفة رسولِ الله ﷺ في التوراة؟ قال: والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وجزراً للمؤمنين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكلاً، ليس بفظٌ ولا غليظٌ ولا صحابٌ في الأسواق ولا تدفعُ السيئةَ بالسيئةِ ولكن تعفو وتصفحُ، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملةَ العوجاء ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلغلاً<sup>(٢)</sup>.

وقد روى الدارمي نخوة عن عبد الله بن سلام<sup>(٣)</sup>.

فقوله: «جزراً للمؤمنين» مُقَابَلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَدَاعِيَآ إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أَي: بِتَيْسِيرِهِ وَتَسْهِيلِهِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّمَا حَصَلَتْ فَائِدَتُهَا فِيمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ بِتَيْسِيرِهِ وَتَسْهِيلِهِ، فَلِذَلِكَ آمَنُوا مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا وَشِدَائِدِ الْآخِرَةِ، فَكَانَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ جِزْراً لَهُمْ.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢٥)، وأحمد (٦٦٢٢).

(٣) أخرجه الدارمي (٦).

﴿ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٧]؛ لأنه يكون شاهداً على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم، وهو الفضل الكبير؛ والمُبَشِّرُ بالإغراض عن الكافرين والمنافقين؛ لأنه إذا أعرَض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين، وهو مناسبٌ للبشارة؛ والنَّذِيرُ يَدْعُ أذاهم؛ لأنه إذا تَرَكَ أذاهم في الحاضر - والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل - كانوا مُنذرين به في المستقبل؛ والداعي إلى الله بتيسيره بقوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾؛ لأنَّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ يَسِّرْ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ؛ والسَّرَاحُ المنير بالاكْتِفَاءِ به وكيلاً؛ لأنَّ مَنْ أَنَارَهُ اللَّهُ بُرْهَانًا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُكْتَفَى بِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

[﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ ٤٩ ]

وقوله: «سَمَيْتُكَ المتوَكَّلُ» إلى آخر الحديث مُقَابِلُ لقوله: «سِرَاجًا مُنِيرًا».

فَعَلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مناسبٌ لقوله: ﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾، فَإِنَّ السَّرَاحَ مَضِيٌّ فِي نَفْسِهِ وَمُنَوَّرٌ لغيره، فَكَوْنُهُ متوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ يَكُونُ كَمَا لَا فِي نَفْسِهِ، فَهُوَ مُنَاسِبٌ لقوله: «أنت عبدي ورسولي سَمَيْتُكَ المتوَكَّلُ» إلى قوله: «يعفو ويصفح»، وَكَوْنُهُ مُنِيرًا بِقِيْضِ اللَّهِ عَلَيْهِ يَكُونُ كَمَا لِغَيْرِهِ، وَهُوَ مُنَاسِبٌ لقوله: «حتى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ وَيَفْتَحَ بِهَ أَعْيُنًا عُمِيًّا وَأَذَانًا صُمًّا». هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْمُصَنِّفِ: «أَنَارَهُ اللَّهُ بُرْهَانًا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُكْتَفَى بِهِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَيُمْكِنُ أَنْ تُنْزَلَ الْمَرَاتِبُ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ الْعِرْفَانِ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ هُوَ مَقَامُ الشَّرِيعَةِ وَدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْإِيمَانِ وَتَرْكِ الْكُفْرِ وَنَتِيجَةُ بَشَارَةِ مَنْ آمَنَ وَإِنذَارِ مَنْ أَعْرَضَ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ مَقَامُ الطَّرِيقَةِ وَنَتِيجَةُ الْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ، وَالْأَخِذُ فِي السَّيْرِ وَالسَّلْوُكِ وَالِالْتِجَاءِ إِلَى حَرَمِ لُطْفِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ: ﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ هُوَ مَقَامُ الْحَقِيقَةِ وَنَتِيجَةُ فَنَاءِ السَّالِكِ وَقِيَامِهِ بِقِيَوْمِيَّتِهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ مِنْ كَلَامِهِ.

النكاح: الوطء، وتسمية العقد نكاحاً؛ لملاسته له، من حيث إنه طريقٌ إليه. ونظيره تسميتهم الخمر إثماً؛ لأنها سببٌ في اقتراف الإثم، ونحوه في علم البيان قولُ الراجز:

### أُسْنِمَةُ الْآبَالِ فِي سَحَابِهِ

سَمِيَ الْمَاءُ بِأُسْنِمَةِ الْآبَالِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ سَمَّنَ الْمَالَ وَارْتِفَاعِ أُسْنِمَتِهِ. وَلَمْ يَرِدْ لَفْظُ النِّكَاحِ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا فِي مَعْنَى الْعَقْدِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْوَطْءِ مِنْ بَابِ التَّصْرِيحِ بِهِ. وَمِنْ آدَابِ الْقُرْآنِ: الْكِنَايَةُ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمَلَامَسَةِ وَالْمُهَاسَةِ وَالْقُرْبَانِ وَالتَّغْشَى وَالْإِثْيَانِ.

قوله: (تسميتهم الخمر إثماً)، قال:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي      كذاك الإثم يذهب بالعقول

قوله: (أُسْنِمَةُ الْآبَالِ فِي سَحَابِهِ)، بعده:

أقبل في المُسْتَنِّ من ربابه

استنّ الفرس: قَمَصَ. وفي المثل: استنّت الفصال حتى القرعى<sup>(١)</sup>.

قوله: (ومن آداب القرآن الكناية عنه - أي: الوطء - بلفظ الملامسة) ونحوه احترازاً عن الاستهجان. فإن قيل: هذا لا يناسب قوله: «ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا بلفظ العقد»، لأن الكناية أن يعدل من اللفظ الموضوع لمعنى إلى ما يستلزمه، ورعاية الأدب العدول عن لفظ فيه بشاعة إلى ما ليس كذلك، كالملامسة والمهاسة والقربان والغشيان، لا عن لفظ ليس فيه بشاعة كالعقد إلى ما فيه بشاعة كالوطء. والجواب: أن استعمال النكاح في معنى العقد ليس من الكناية في شيء، بل إنه من الحقيقة الشرعية منسباً فيه المعنى اللغوي، ولا يكاد يفهم منه معنى الوطء إلا بقريته، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ﴾ كيف قرئ به حين أراد به ذلك المعنى؟ فعلى هذا قوله: «لأنه في معنى الوطء» تعليلٌ لكونها

(١) ذكره الميداني في «مجمع الأمثال» (١: ٣٣٣).

فإن قلت: لم خصّ المؤمنات، والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابات؟ قلت: في اختصاصهنّ تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير لنظفته، وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة، ويتنزّه عن مُزاوِجَةِ الفواسق، فما بال الكوافر! ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليّه، فالتى في سورة المائدة: تعليم ما هو جائز غير محرّم، من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات. فإن قلت: ما فائدة «ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ طَلَقْتُهُنَّ﴾؟ قلت: فائدته نفى التوهّم عمّن عسى أن يتوهّم تفاوت الحكم بين أن

منقولة شرعية لا أنه كناية فصَحَّ قوله: «من آداب القرآن الكناية عنه بالملامسة» يعني: لا يراد به الكناية، بل الاصطلاح؛ لأن من آداب القرآن عكسه.

قوله: (وهذه فيها تعليم ما هو الأولى)، وبيان الاختصاص أن ما في «المائدة» وردت في بيان تحريم ما يجب تحريمه وتحليل ما هو مباح من الأطعمة والأنكحة كما قال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: ٥] ففيها تعلّم ما هو جائز غير محرّم. وأما اختصاص هذه الآية بما ذكر فهو أنها عقيب قوله: ﴿وَلَا تَطِغِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾، فجعلت تخلصاً إلى ذكر ما هو الأفضل والأولى والأطيب والأزكى بحاله ﷺ من النساء وما يتعلق بهن، فطبقت لذلك مفصل البلاغة.

قوله: (نفى التوهّم عمّن عسى أن يتوهّم)، يعني: لا تفاوت في عدم وجوب العدة عليها سواء كانت قريبة العهد بالنكاح أو بعيدته منه؛ وذلك أن المرأة إذا تراخى بها المدة في جباله الزوج استأنس كل واحد بصاحبه وربما توقع الرجل من توهّم علقة الزوجية وقد تقرر عنده أن العدة حق واجب للنساء على الرجال فجاء بـ«ثم» لإزالة هذا التوهّم وبيان أن العلة إنما تتم بالدخول. قال القاضي: فائدة «ثم» إزاحة ما عسى يتوهّم متوهّم أن تراخي الطلاق ربما تمكن الإصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة<sup>(١)</sup>.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣٥).

يُطَلِّقُهَا وَهِيَ قَرِيبَةُ الْعَهْدِ مِنَ النِّكَاحِ، وَبَيْنَ أَنْ يَبْعُدَ عَهْدُهَا بِالنِّكَاحِ وَيَتَرَخِي بِهَا الْمُدَّةَ فِي حِبَالَةِ الزَّوْجِ ثُمَّ يُطَلِّقُهَا. فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا خَلَا بِهَا خَلْوَةٌ يُمَكِّنُ مَعَهَا الْمِسَاسَ، هَلْ يَقُومُ ذَلِكَ مَقَامَ الْمِسَاسِ؟ قُلْتَ: نَعَمْ، عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ حُكْمُ الْخَلْوَةِ الصَّحِيحَةِ حُكْمُ الْمِسَاسِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعِدَّةَ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى النِّسَاءِ لِلرِّجَالِ. ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾: تَسْتَوْفُونَ عِدَّتَهَا، مِنْ قَوْلِكَ: عَدَدْتُ الدِّرَاهِمَ فَاعْتَدْتُهَا، كَقَوْلِكَ: كَلْتُهُ فَاعْتَلْتُهُ، وَزَيْتُهُ فَاتَّرْتَهُ. وَقُرِي: ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ مَخْفَفًا؛ أَي: تَعْتَدُونَ فِيهَا، كَقَوْلِهِ:

### وَيَوْمٍ شَهِدْنَاهُ

وَالْمَرَادُ بِالْإِعْتِدَادِ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١].

قَوْلُهُ: (فِي حِبَالَةِ الزَّوْجِ)، الْجَوْهَرِيُّ: الْحِبَالَةُ: الَّتِي يُصَادَ بِهَا.

قَوْلُهُ: (نَعَمْ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ)، قَالَ الْقَاضِي: ظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي عَدَمَ وَجُوبِ الْعِدَّةِ بِمُجَرَّدِ الْخَلْوَةِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾: تَسْتَوْفُونَ عِدَّتَهَا أَي: تَعْدُونَهَا عَلَيْهِنَّ، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ تَفْتَعَلُونَهَا مِنَ الْعَدَدِ، أَي: تَعْدُونَهَا عَلَيْهِنَّ، وَمَوْضِعُهُ جَزْرٌ عَلَى اللَّفْظِ أَوْ رَفْعٌ عَلَى الْمَوْضِعِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَقُرِي): ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ مَخْفَفًا، وَهُوَ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١] أَي: لِتُظَلِّمُوا.

قَوْلُهُ: (وَيَوْمٍ شَهِدْنَاهُ)، تَمَامُهُ:

..... سُهَيْلًا وَعَامِرًا  
قَلِيلٍ سِوَى الطَّعْنِ الدَّرَاكِ نَوَافِلُهُ<sup>(٣)</sup>

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣٥).

(٢) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥٨).

(٣) سبق تحريجه.

فإن قلت: ما هذا التمتع؟ أو واجبٌ أو مندوبٌ إليه؟ قلت: إن كانت غير مفروض لها؛ كانت المتعة واجبة، ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات، وإن كانت مفروضاً لها؛ فالمتعة مختلفٌ فيها: فبعض على الندب والاستحباب، ومنهم أبو حنيفة، وبعض على الوجوب. ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرارٍ ولا منعٍ واجب.

قوله: (إن كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة)، قال القاضي: ﴿فَمَتَّعُوهُمْ﴾ إن لم يكن مفروضاً لها، فإن الواجب المفروض لها نصف المفروض دون المتعة، ويجوز أن يؤوَّل التمتعُ بما يعتمها أو الأمر بالمشترك بين الوجوب والندب، فإن المتعة سنة للمفروض لها<sup>(١)</sup>. سبق تقريره في البقرة.

قوله: ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرارٍ، السراح: اسمُ التسريح، وليس بمصدر. الراغب: السرحُ: شجرٌ له ثمر، الواحدة سرحة وسرحتُ الإبل: أن تُرعى السرح ثم جعل لكل إرسالٍ في الرعي قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تَرِيحُونَ وَحَيْثُ تَمْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، والتسريح في الطلاق مستعارٌ من تسريح الإبل، كالطلاق في كونه مُستعاراً من إطلاق الإبل، واعتبر في السرح المُضي، فقيل: ناقةٌ سُرحٌ: تسرحُ في سيرها، ومضى سرحاً جميلاً، والمنسرحُ: ضربٌ من الشعر، استعيرَ لفظه من ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقلت: وأما بيانُ ربط هذه الآية بأنها كالتمهيد للشروع في نوعٍ آخر من كرامة النبي ﷺ وفضائله وهو استئثار الله له الأفضل والأولى واستخارته الأطيب والأزكى في قوله: ﴿ءَأَيَّتَ أَجْوَرَهُمْ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، واختصاصه من دون المؤمنين بنكاح الموهوبة نفسها لإزاحة الحرج عنه وإخلاء باله. ألا ترى كيف صَبَّقَ على المؤمنين في طلاق غير المدخول بها حيث أسقط حَقَّهم من العدة وأمرهم بسوق المتعة والتسريح الجميل هذا يؤيد قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ مُعْتَرِضٌ، هذا ما خطر بالبال، والله أعلم بحقيقة الحال.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣٥).

(٢) «مفردات القرآن» ص ٤٠٦.

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِمَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَوْ رَجَعَكَ إِلَيْهِ أَوْ بَاتَتْ أُجُورُهُمْ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مَعًا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَاتَ عِمَّتِكَ وَبَاتَ خَالِكَ وَبَاتَ خَلْدِكَ إِلَيْهِ هَاجِرًا مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيَكِيَ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [٥٠]

﴿ أُجُورُهُمْ ﴾ : مُهورهنّ؛ لأنّ المهر أجرٌ على البضع. وإيتاؤها: إما إعطاؤها عاجلاً، وإما فَرْضُهَا وتسميتها في العقد. فإن قلت: لم قال: ﴿النَّبِيُّ أَيْتَتْ أُجُورُهُمْ﴾، و: ﴿مَعًا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾، و: ﴿النَّبِيُّ هَاجِرًا مَعَكَ﴾؟ وما فائدة هذه التخصيصات؟ قلت: قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى، واستحبّه بالأطيب الأزكى، كما اختصّه بغيرها من الخصائص، وآثره بما سواها من الإثْر؛ وذلك أنّ تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية، وإن وقع العقد جائزاً؛ وله أن يُأَسَّهَا، وعليه مهر المثل إن دخل بها، والمتعة إن لم يدخل بها. وسوق المهر إليها عاجلاً أفضل من أن يسميه ويؤجله، وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم، وما لا يُعرف بينهم غيره. وكذلك الجارية إذا كانت سيئة مالِكها، وخطبة سيفه ورُحمه، ومما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يُشترى من شقّ الجلب. والسبي على ضربين: سبي طيبة، وسبي خبيثة، فسبي الطيبة: ما سبي من أهل الحرب، وأما من كان له عهدٌ فالمسبي منهم

قوله: (من الإثْر)، أي: من الخِلاصة والنقاوة. الجوهري: الإثْر بالكسر: خِلاصة السمن، ويروى: «من الأثْر» جمع أثرة.

قوله: (وخطبة سيفه ورُحمه)، ينظر إلى قول الفرزدق:

وذاكِ حَلِيلٍ أَنْكَحْتَهَا رَمَاحُنَا      حلالٌ لمن يني بها لم تُطَلِّقِ (١)

(١) انظر: «الأغاني» (١٠: ٣٠٧)، و«العمدة في معاني الشعر» (١: ٥٥).

سَبِي خَيْبَةَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾؛ لِأَنَّ فِيءَ اللَّهِ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الطَّيِّبِ دُونَ الْخَبِيثِ، كَمَا أَنَّ رِزْقَ اللَّهِ يَجِبُ إِطْلَاقُهُ عَلَى الْحَلَالِ دُونَ الْحَرَامِ، وَكَذَلِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَرَائِبِهِ غَيْرِ الْمُحَارِمِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِ الْمُهَاجِرَاتِ مَعَهُ. وَعَنْ أُمِّ هَانِيَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ: خَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ فَعَدَّرَنِي، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ آيَةَ؛ فَلَمْ أَحِلَّ لَهُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَهَاجِرْ مَعَهُ؛ كُنْتُ مِنَ الطُّلُقَاءِ. وَأَحْلَلْنَا لَكَ مَنْ وَقَعَ لَهَا أَنْ تَهَبَ لَكَ نَفْسَهَا .....

قَوْلُهُ: (وَعَنْ أُمِّ هَانِيَةَ)، فِي «جَامِعِ الْأَصُولِ»<sup>(١)</sup>: هِيَ فَاحِشَةُ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ أَخْتُ عَلِيٍّ، خَطَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ مُضَيِّبَةٌ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ فَعَدَّرَهَا<sup>(٢)</sup>. وَعَنْ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أُمِّ هَانِيَةَ: خَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(٣)</sup>، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ فَعَدَّرَنِي، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أُجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ وَالنِّسَاءَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥١]. قَالَتْ: فَلَمْ أَكُنْ أَحِلَّ لَهُ لِأَنِّي لَمْ أَهَاجِرْ، وَكُنْتُ مِنَ الطُّلُقَاءِ<sup>(٤)</sup>.

النهاية: الطلقة؛ هم الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترقهم، الواحد: طليق؛ فعيل بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا أطلق سبيله.

قَوْلُهُ: (وَأَحْلَلْنَا لَكَ مَنْ وَقَعَ لَهَا أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لَكَ)<sup>(٥)</sup>، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ عَلَى تَقْدِيرِ الْفِعْلِ. قَالَ صَاحِبُ «الْكَشْفِ»: مَا أَظْنَكَ أَنَّكَ إِذَا أَعْرَبْتَ ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾ إِلَّا أَنْ تَقُولَ: إِنَّ انْتِصَابَهَا مَحْمُولٌ عَلَى

(١) سقط لفظ «الأصول» من (ط).

(٢) «جامع الأصول» (٢: ١٠٥).

(٣) من قوله: «فقالت: إني امرأة» إلى هنا، سقط من (ح).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٢١٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٤٢)، و«الكبير» (٢٤: ٤٠٥)،

والحاكم في «المستدرک» (٢٧٥٤).

(٥) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «لك نفسها».



ما قَبَلَهُ من قوله: ﴿أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾، وهذا من سوء تأمُّلك<sup>(١)</sup>، لأنَّ ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ شَرْطٌ، والشَرْطُ لا يَصِحُّ في الماضي وكذا الجزاء، ألا ترى أن لو قُلْتَ: إن قمتُ غداً قمتُ أمس، لكنت مخطئاً، وقوله: ﴿إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ﴾ إخبارٌ عن إحلاله في الماضي، فلا يَصِحُّ ذلك التقدير، بل التقدير: ويحلُّ لك امرأةٌ مؤمنةٌ إن وهبتَ، ليصحَّ به الجزاء، كما تقول: أقومُ إن قمتَ، وأخرجُ إن خرجتَ، فافهمه.

وعن أبي علي أنه قال: فإن قلتَ: فإن هذا امتنانٌ منه عزَّ وجلَّ على نبيِّه بأن أحلَّ له امرأةٌ وهبتَ نفسها له فيها مضي، وليس الامتنانُ عليه بامرأةٍ ستفعل ذلك، فإنه يكونُ من باب قوله: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦]، أي: صحَّ أني كنتُ قلته، فكذلك ﴿إِنْ وَهَبْتَ﴾ أي: إن صح أنها وهبتَ فإنه تحلُّ لك، فهذا معنى هذا الكلام<sup>(٢)</sup>.

وقال القاضي: «امرأة» نصبٌ بفعلٍ يُفسَّرُ ما قبله، أو عطفٌ على ما سبق، ولا يدفعه التقيد بـ«إن» التي للاستقبال، فإن المعنى بالإحلال الإعلامُ بالحلِّ، أي: أعلمناك حلَّ امرأةٍ مؤمنةٍ تهبُّ لك نفسها ولا تطلبُ مهرها إن اتفق، ولذلك نكرها<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو البقاء: قيل في ناصب «امرأة» وجهان: أحدهما: ﴿أَحَلَّلْنَا﴾ في أول الآية، وقد ردَّ هذا قوم وقالوا: ﴿أَحَلَّلْنَا﴾ ماضٍ، و﴿إِنْ وَهَبْتَ﴾ - وهو صفةُ المرأة - مُستقبلٌ فـ﴿أَحَلَّلْنَا﴾ في موضع جوابه، وجوابُ الشرط لا يكونُ ماضياً في المعنى، وهذا ليس بصحيح؛ لأن معنى الإحلال هاهنا الإعلامُ بالحلِّ إذا وقع الفعلُ على ذلك، كما تقول: أبحتُ لك أن تكلمَ فلاناً إن سلَّمَ عليك<sup>(٤)</sup>. وقلت: فائدةُ العدولِ المبالغةُ في الامتنان.

(١) من قوله: «على تقدير الفعل. قال صاحب» إلى هنا، سقط من (ج) و(ف).

(٢) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ١٠٨٤-١٠٨٥).

(٣) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٣٥).

(٤) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥٨).

ولا تطلب مهراً من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك؛ ولذلك نكّرها. واختلّف في اتفاق ذلك: فعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يكن عند رسول الله ﷺ أحدٌ منهنّ بالهبة. وقيل: الموهوبات أربع: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة أمّ المساكين الأنصاريّة، وأمّ شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم، رضي الله عنهنّ. قرئ: ﴿إِنْ وَهَبْتَ﴾ على الشرط. وقرأ الحسن رضي الله عنه: (أن) بالفتح، على التعليل بتقدير حذف اللام. ويجوز أن يكون مَصْدَرًا محذوفاً معه الزّمان، كقولك: أجلس ما دام زيدٌ جالساً، بمعنى: وقتٌ دوامه جالساً، وقتٌ هبّتها نفسها. وقرأ ابن مسعود بغير «إن». فإن قلت: ما معنى الشرط الثاني مع الأوّل؟ قلت: هو تقييدٌ له، شرطٌ في الإحلال هبّتها نفسها، وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله ﷺ، كأنه قال: أحلّلناها

قولُه: (ميمونة بنت الحارث)، في «الجامع»: توفي عنها أبو رهم، فتزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة سبع في عمرة القضيّة بسرف، على عشرة أميال من مكة (١).

قولُه: (وزينب بنت خزيمة)، في «الجامع»: وزينب بنت خزيمة بنت الحارث العامرية، كانت تسمى في الجاهلية أمّ المساكين لإطعامها إياهم، كانت تحت عبد الله بن جعش، فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها ﷺ سنة ثلاث (٢).

قولُه: (وأمّ شريك بنت جابر)، في «الجامع»: قيل: أمّ شريك غزيّة بنت جابر طلقها النبي ﷺ قبل أن يدخل بها، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ (٣).

قولُه: (وخولة بنت حكيم)، في «الجامع»: هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، فأرجأها، فتزوجها عثمان بن مظعون (٤).

قولُه: (وقرئ: ﴿إِنْ وَهَبْتَ﴾ على الشرط)، وهي المشهورة.

(١) «جامع الأصول» (١٢: ١٠١).

(٢) المصدر السابق (١٢: ٩٨).

(٣) المصدر السابق (١٢: ١٠٤).

(٤) المصدر السابق (١٢: ١٠٦).

لَكَ إِنْ وَهَبْتَ لَكَ نَفْسَهَا وَأَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَسْتَنْكِحَهَا؛ لِأَنَّ إِرَادَتَهُ هِيَ قَبُولُ الْهِبَةِ وَمَا بِهِ تَتَمُّ. فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ عَدَلْ عَنِ الْخُطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ﴾ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْخُطَابِ؟ قُلْتَ: لِلإِذَانِ بِأَنَّهُ مِمَّا خُصَّ بِهِ وَأُوثِرَ، وَبِحَيْثُ عَلَى لَفْظِ النَّبِيِّ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِخْتِصَاصَ تَكْرِمَةً لَهُ لِأَجْلِ النَّبُوَّةِ، وَتَكَرُّبَهُ تَفْخِيمٌ لَهُ وَتَقْرِيرٌ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْكِرَامَةَ لِنُبُوَّتِهِ. وَاسْتَنْكَاحُهَا: طَلَبُ نِكَاحِهَا وَالرَّغْبَةُ فِيهِ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى جَوَازِ عَقْدِ النِّكَاحِ بِلَفْظِ الْهِبَةِ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأُمَّتَهُ سِوَاهُ فِي الْأَحْكَامِ إِلَّا فِيمَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يَصِحُّ، وَقَدْ خُصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَعْنَى الْهِبَةِ وَلَفْظِهَا جَمِيعاً؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ تَابِعٌ لِمَعْنَى، وَالْمُدَّعِي لِلشَّرَاكِ فِي اللَّفْظِ يَحْتَاجُ

قَوْلُهُ: (وَتَكَرُّبَهُ تَفْخِيمٌ لَهُ [وَتَقْرِيرٌ] لِاسْتِحْقَاقِهِ الْكِرَامَةَ لِنُبُوَّتِهِ)، يَعْنِي: دَلَّ إِقَامَةُ الْمُظْهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ إِنَّمَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، وَجَازَ لَهُ ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ تَكْرِمَةً لِأَجْلِ نُبُوَّتِهِ، وَدَلَّ تَكَرُّبَهُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَثَرَ إِرَادَتَهُ فِي ذَلِكَ لِكُونِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَهْلًا لِذَلِكَ لِأَجْلِ نُبُوَّتِهِ، فَظَهَرَ أَنَّ طَرِيقَ التَّعْلِيلَيْنِ مُخْتَلِفَةٌ، فَكَمَا أَنَّ نُبُوَّتَهُ اقْتَضَتْ ذَلِكَ كَذَا إِرَادَتَهُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿لِلنَّبِيِّ﴾؛ لِأَنَّهُ لَوْ قِيلَ: إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ، كَانَ يَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ ذَلِكَ لِغَيْرِ النَّبِيِّ، كَمَا جَاءَ فِي ﴿وَيُنَاتِ عَمَّكَ وَيُنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ (١).

قَوْلُهُ: (وَقَدْ خُصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَعْنَى الْهِبَةِ وَلَفْظِهَا جَمِيعاً)، قَالَ الْإِمَامُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَعْنَى الْآيَةِ إِبَاحَةُ الْوَطْءِ بِالْهِبَةِ، وَحُصُولُ التَّزْوِجِ بِلَفْظِهَا مِنْ خَوَاصِكِ (٢). وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تِلْكَ الْمَرْأَةُ صَارَتْ زَوْجَةً وَمِنْ أُمَّهَاتِ [الْمُؤْمِنِينَ] لَا تَحُلُّ لِغَيْرِكَ أَبَدًا، وَقَالَ: وَيُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ: فَعَلَى هَذَا التَّخْصِيسُ بِالْوَاهِبَةِ لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكِحَهَا فَهِيَ خَالِصَةٌ لَهُ (٣).

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٣٣).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ١٧٦).

(٣) من قوله: «وقال أبو حنيفة رضي الله عنه» إلى هنا، سقط من (ط).

إلى دليل. وقال أبو الحسن الكرخي: إنَّ عَقْدَ النِّكَاحِ بِلَفْظِ الإِجَارَةِ جَائِزٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ وقال أبو بكر الرازي: لا يصح؛ لأنَّ الإِجَارَةَ عَقْدٌ مُؤَقَّتٌ، وعَقْدُ النِّكَاحِ مُؤَبَّدٌ؛ فهما مُتَنَافِيَانِ. ﴿خَالِصَةٌ﴾ مصدرٌ مُؤَكَّدٌ، كـ ﴿وَعَدَا اللهُ﴾ [النساء: ١٢٢]، [الروم: ٦]، و﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]، أي: خَلَصَ لَكَ إِحْلَالٌ مَا أَحْلَلْنَا لَكَ خَالِصَةً، بمعنى خُلُوصاً، وَالْفَاعِلُ وَالْفَاعِلَةُ فِي الْمَصَادِرِ غَيْرُ عَزِيزَيْنِ، كَالخَارِجِ،

وقلت: وجهُ التقرير: أن الله تعالى ذكر في هذه الآية طبقات النساء المحللات للرسول ﷺ، واختصاصهنَّ بما لم يوجد في غيرهن، وهي كوئنن أمهات المؤمنين ولم يذكر في شيء منها لفظاً تتعدُّ به عُلُقَةُ الزَّوْجِيَّةِ سِوَى مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْوَاهِبَةِ نَفْسَهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى مَا اكْتَفَى بِكُونِهَا صَائِرَةً مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِسَبَبِ إِحْلَالِ اللَّهِ إِيَّاهَا كَالْبِوَاقِي بَلْ صَرَّحَ بِلَفْظِ الْهَبَةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَدْخَلٌ فِي الْإِخْتِصَاصِ لَمْ يَكُنْ لِدَكَرِهِ فَائِدَةٌ، وَلِقَائِلِ أَنْ يَقُولَ: فَرَّقَ بَيْنَ هَذِهِ الصُّورَةِ وَبَيْنَ غَيْرِهَا فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَذَكَرْ لَفْظَ الْهَبَةِ لَمْ يَحْضُرِ الْمَقْصُودُ، بِخِلَافِ غَيْرِهَا فَلِذَلِكَ ذَكَرَهُ لَا أَنْ لَهُ مَدْخَلًا فِي الْإِخْتِصَاصِ.

قوله: (أي خَلَصَ إِحْلَالٌ مَا أَحْلَلْنَا لَكَ خَالِصَةً)، يعني: أن ﴿خَالِصَةٌ﴾ مصدرٌ مؤلَّدٌ لمضامين الجمل كلها كَوَعَدَا اللهُ وَصِبْغَةَ اللهِ، فَلَا تَخْتَصُّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾، كَمَا قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿خَالِصَةٌ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿وَهَبْتَ﴾ أَوْ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ<sup>(١)</sup>، وَاسْتَدَلَّ الْمَصْنُفُ لِمَذْهَبِهِ بِأَنْ قَوْلَهُ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ وَرَدَّ بَعْدَ ذِكْرِ الْإِحْلَالَاتِ الَّتِي جَمَعَهَا مَعْنَى الْإِخْتِصَاصِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقِيلَ: الْغَرَضُ فِي شَرْعِيَّتِهَا لَهُ خَاصَّةٌ. وَمَفْهُومُهُ مُؤَكَّدٌ لِمُضْمُونِ الْمَعَانِي كُلِّهَا لَا تَخْتَصُّ بِوَاحِدَةٍ دُونَ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ مَا قَالَ: «قَدْ عَلِمْنَا مَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ الْمُؤْمِنِينَ فَفَرَضْنَاها وَعَلِمْنَا مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ الرَّسُولِ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ فَفَعَلْنَا»، فَلَوْ عَلَّقَ ﴿خَالِصَةٌ لَكَ﴾ بِقِصَّةِ الْمَوْهَبَةِ لَمْ يَكُنْ ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ مَعْتَرِضًا بَلْ يَكُونُ أَجْنَبِيًّا وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥٩).

والقاعد، والعافية، والكاذبة. والدليل على أنها وردت في أثر الإخلاّات الأربع مخصوصة برسول الله ﷺ على سبيل التوكيد لها، قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ بعد قوله: ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهي جملة اعتراضية، وقوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ متصل بـ ﴿خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ومعنى هذه الجملة الاعتراضية: أن الله قد عَلِمَ ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء، وعلى أيّ حَدٍّ وَصِفَةٍ يجب أن يُفَرَّضَ عليهم؛ ففَرَضَهُ، وَعَلِمَ المصلحةَ في اختصاصِ رسولِ الله ﷺ بها اختصاصه به؛ ففَعَلَ. ومعنى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: لئلا يكون عليك ضيقٌ في دينك؛ حيثُ اختصاصك بالتنزيه واختيارِ ما هو أولى وأفضل، وفي دُنْيَاكَ؛ حيثُ أحلَلْنَا لك أجناسَ المنكوحات، وزدنا لك الواهبةَ نَفْسَهَا. وقُرئ: (خالصة) بالرفع، أي: ذاك خلوصٌ لك وخصوصٌ من دُونِ المؤمنين. وَمَنْ جعل ﴿خَالِصَةٌ﴾ نَعْتًا للمرأة، فعلى مذهبه: هذه المرأة خالصةٌ لك من دونهم.

ويلزم أيضاً أنها وحدها خالصة لك من دونهم، قال محيي السنة: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم من الأحكام، أن لا تزوجوا أكثر من أربع، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهودٍ ومهرٍ وما ملكت أيمانهم، أي: ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين لكي لا يكون عليك حرج، وهذا يرجع إلى أول الآية، أي: أحللنا لك أزواجك، وما ملكت يمينك، والموهوبة؛ لكيلا يكون عليك حرج، أي: ضيق<sup>(١)</sup>.

قوله: (وفي دُنْيَاكَ) عَطْفٌ على «دينك»، يعني: أطلق الحرج ولم يُقَيّد أنه في أيّ شيء، للدلالة سَوَقِ الكلامِ عليه، والمراد باختصاص التبرئة ما يدل عليه قوله: ﴿الَّتِي مَاتَتْ أَجْرُهُمْ﴾ من أن لا تترك التسمية، ولا تعجيل المهر، وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ من أن لا تكون مُشْتَرَاةً مجلوبة، وباختصاص ما هو أولى، ما يُنبئُ عنه قوله: ﴿الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ﴾ فإن المهاجراتِ معه من قرابته أفضل من غير المهاجرات.

(١) معالم التنزيل (٦: ٣٦٤).

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا﴾ للواقع في الحرج إذا تاب ﴿رَجِيمًا﴾ بالتوسعة على عباده.

رُوي: أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله ﷺ، هجرهن شهراً، ونزل التخيير، فأشفقن أن يطلقهن، فقلن: يا رسول الله، افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت.

ورُوي: أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، إني أرى ربك يسارع في هواك.

[﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءِ مَنْهَنْ وَتُعْوَى إِلَيْكَ مِنْ نَشَاءِ وَمَنْ أَنْعَمْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ آيَاتَهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آيَاتُهُنَّ كَلَهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ٥١]

قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا﴾ للواقع في الحرج إذا تاب، اعلم أن قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَجِيمًا﴾ وارد على سبيل التذليل للآية أجمعها، ومضمونها رفع الحرج عن حضرة الرسالة في أمور النساء، وكذا عن الواحدي<sup>(١)</sup>، فجاء بالفاصلة عامة في نفي الحرج من جميع التكاليف في الدين لسائر المؤمنين، فيدخل فيه أمر الرسول ﷺ أولاً فإذا لا مدخل لحديث التوبة.

قوله: ﴿وَعِظَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ﴾، الجوهرى: العيظ: غضب كامن للعاجز، يقال: غاظه فهو مغيظ، ولا يقال: أغاظه.

قوله: ﴿إني أرى ربك يسارع في هواك﴾، روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها. كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل، فلما نزلت: ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءِ مَنْهَنْ﴾، قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير الوسيط (٣: ٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤).

﴿تَرْجِي﴾ بهَمْزٍ وَغَيْرِ هَمْزٍ: تَوَخَّرَ ﴿وَتَوَوَّى﴾: تَضَمُّ، يَعْنِي: تَتْرَكَ مُضَاجَعَةَ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ، وَتَضَاجَعُ مَنْ تَشَاءُ. أَوْ: تَطَلَّقُ مَنْ تَشَاءُ، وَتُمْسِكُ مَنْ تَشَاءُ. أَوْ: لَا تَقْسِمُ لِأَيْتِهِنَّ شَيْئًا، وَتَقْسِمُ لِمَنْ شِئْتَ. أَوْ: تَتْرَكَ تَزْوُجَ مَنْ شِئْتَ مِنْ نِسَاءِ أُمَّتِكَ، وَتَتَزَوَّجُ مَنْ شِئْتَ. وَعَنْ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَاطَبَ امْرَأَةً لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْطِبَهَا حَتَّى يَدْعَهَا. وَهَذِهِ قِسْمَةٌ جَامِعَةٌ لِمَا هُوَ الْغَرَضُ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُطَلَّقَ، وَإِمَّا أَنْ

قَوْلُهُ: ﴿تَرْجِي﴾ بِهَمْزٍ وَغَيْرِ (١) هَمْزٍ، بِالْهَمْزِ: ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ، وَالْبَاقُونَ: بِغَيْرِ هَمْزٍ (٢). قَالَ الزَّجَّاجُ: الْهَمْزُ أَجْوَدُ وَأَكْثَرُ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. يُقَالُ: أَرْجَأْتُ الْأَمْرَ وَأَرْجَيْتُهُ؛ إِذَا أَخَّرْتَهُ (٣).

قَوْلُهُ: (وهذه قسمة جامعة)، قَالَ صَاحِبُ «التَّقْرِيبِ»: أَي: حَاضِرَةٌ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُطَلَّقَ أَوْ يُمَسَّكَ، فَإِذَا أَمْسَكَ ضَاجِعٌ أَوْ لَا، فَسَمِ أَوْ لَا، وَإِذَا طَلَّقَ إِمَّا أَنْ يَبْتَغِيَهَا أَوْ لَا، قَالَ مَحْمِي السَّنَةِ: الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَوَوَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ تَرَدُّدُ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ بَعْدَ الْعِزْلِ، بِلَا تَجْدِيدِ عَقْدٍ (٤).

وَاعْلَمْ أَنَّ الزَّجَّاجَ (٥) وَالْوَاحِدِيَّ (٦) وَأَبَا الْبَقَاءِ (٧) جَعَلُوا ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ خَبْرًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ﴾ فَقَدَّرَ الزَّجَّاجُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُؤْوِيَ إِلَيْكَ امْرَأَةً مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ، وَالْوَاحِدِيُّ قَالَ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُؤْوِيَ إِلَيْكَ امْرَأَةً مِمَّنْ عَزَلْتَهُنَّ مِنَ الْقَسَمِ وَتَضَمَّهَا إِلَيْكَ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ، وَكَذَا هُوَ فِي نَصِّ «الْكَشَافِ» مِنْ (ط)، لَكِنْ فِي الْأَصْلِ الْخَطِيئِ مِنْ «الْكَشَافِ» وَفِي الْمَطْبُوعِ: «وغير» دُونَ الْبَاءِ.

(٢) انظُرْ: «حِجَّةُ الْقِرَاءَاتِ» ص ٥٧٨، وَ«الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (١٤: ٢١٤).

(٣) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (٤: ٢٣٣).

(٤) «مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ» (٦: ٣٦٥).

(٥) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (٤: ٢٣٣).

(٦) «تَفْسِيرُ الْوَسِيطِ» (٣: ٤٧٨).

(٧) «التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ١٠٥٩).

يُمِسِّكُ؛ فإذا أمسك: ضاجع أو ترك، وقسم أو لم يقسم. وإذا طلق وعزل: فإما أن يُخَلِّيَ المعزولة لا يبتغيها، أو يبتغيها. ورُوي: أنه أرجأ منهنَّ سودةً وجويريةً وصفيّةً وميمونةً وأمّ حبيبة، فكان يقسمُ هنَّ ما شاء كما شاء، وكانت ممن آوى إليه: عائشةٌ وحفصةٌ وأمّ سلمةٌ وزينبُ رضي الله عنهنَّ، أرجأ خساً وآوى أربعاً.

ورُوي: أنه كان يُسوِّي مع ما أُطلق له وخيرٌ فيه إلا سودةً؛ فإنها وهبت ليلتها لعائشة، وقالت: لا تطلقني حتى أحشر في زُمرَة نساءك. ﴿ذَلِكَ﴾ التفويضُ إلى مشيئتِكَ ﴿أَدْفَعْ﴾ إلى قَرَّةِ عُيُونٍ وَقَلَّةِ حُزْنٍ وَرِضَاهُنَّ جَمِيعاً؛ لأنه إذا سوَّى بينهنَّ في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء، وارتفع التفاضل، ولم يكن لإحداهنَّ مما تريدُ ومما لا تريدُ إلا مثل ما للأخرى، وعلمنَّ أنّ هذا التفويضُ من عند الله بوحيه؛ اطمأننت نفوسهنَّ، وذهب التنافسُ والتغايرُ، وحصل الرضا، وقرت العيون، وسلت القلوب. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فيه وعيد لمن لم ترض منهنَّ بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسول الله ﷺ، وبعث على تواطؤ قلوبهنَّ والتصافي بينهنَّ والتوافق على طلب رضا رسول الله ﷺ وما فيه طيبٌ نفسه. وقرأ: ﴿تُقَرَّرَ أَعْيُنُهُنَّ﴾ بضم التاء ونصب

فلا سبيل عليك بلوم ولا عتب، فجعل الجملة الشرطية عطفاً على قوله: ﴿وَتَقْوَى إِلَيْكَ مَن نَشَاءُ﴾ وقسماً لقوله: ﴿تُرْجَى مَن نَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ ولم يذكر فائدة المعطوف، والمصنفُ اعتبرها، وذلك أنه فسر: ﴿تُرْجَى مَن نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَقْوَى إِلَيْكَ مَن نَشَاءُ﴾ أولاً بالوجوه الأربعة الماضية، ثم ثنى ببناء التقسيم الحاصر على الوجه الثاني، على طريقة الجمع من الوجوه الأربعة باستعانة انضمام قوله: ﴿وَمَن ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ معها، على أن المراد بـ«مَن عزلت»: المطلقة المبتغى إيواؤها، فأوجب ذلك أن يُضمَّنَ قوله: ﴿تُرْجَى مَن نَشَاءُ﴾ معنى يشمل المعزولة غير المبتغى إيواؤها أيضاً ليستقيم ذلك التقسيم، فحيثُ «أو» في الوجوه المذكورة للتنويع لا للترديد أو للإباحة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩]، وقوله: «ورُوي: أنه أرجأ منهنَّ» إلى آخره: بيان لبعض من وقع إليه التقسيم.



«الْأَعْيُنَ»، و«تُقَرَّرُ أَعْيُنُهُنَّ» على البناء للمفعول. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بذات الصدور، ﴿حَلِيمًا﴾ لا يُعَاجِلُ بالعقاب، فهو حَقِيقٌ بِأَنْ يُتَّقَى وَيُحْذَرُ. ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيدٌ لِنونِ ﴿وَبِرَضَائِكُمْ﴾، وقرأ ابنُ مسعود: (وَبِرَضَائِكُمْ كُلُّهُنَّ بِمَا آتَيْتَهُنَّ) على التقديم. وقرئ: (كُلُّهُنَّ)، تأكيداً لـ«هنَّ» في ﴿ءَايَّتَهُنَّ﴾.

[﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْبَجَكَ خُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ ٥٢]

(لا تحلُّ) وقرئ بالتذكير؛ لأن تأنيتَ الجمعِ غيرُ حقيقيٍّ، وإذا جازَ بغيرِ فصلٍ

قولُهُ: (وَقُرِئَ: «كُلُّهُنَّ»<sup>(١)</sup> تأكيداً لـ«هنَّ» في ﴿ءَايَّتَهُنَّ﴾)، قال ابنُ جنِّي: وهي قراءةُ أبي إياس<sup>(٢)</sup> وهي راجعةٌ إلى معنى قراءةِ العامةِ ﴿كُلُّهُنَّ﴾ بضمِّ اللام، وذلك أن رضاهنَّ كلهنَّ بما أوتيتَ كلهنَّ على انفرادهنَّ واجتماعهنَّ فالمعنيان إذن واحدٌ إلا أن للرفع معنى أقوى<sup>(٣)</sup>، وذلك أن فيه إصراحاً من اللفظِ بأن يَرْضَيْنَ كلهنَّ. والإصراحُ في القراءةِ الشاذةِ - أعني النَّصْبِ - إنما هو في إيتائهنَّ، وإن كان محصُولُ الحالِ فيها واحداً مع التأويلِ.

وقلت: في توكيدِ الفاعلِ دون المفعولِ إظهارٌ لكمالِ الرضى منهن وإن لم يكن الإيتاءُ كاملاً سَوِيًّا، وفي توكيدِ المفعولِ إظهارٌ أنهم مع كمالِ الإيتاءِ غيرُ كاملاتٍ في الرضى، والأولُ أبلغُ في المدح؛ لأن فيه معنى التتميم، وذلك أن المؤكِّدَ رَفَعَ إبهامَ التجوُّزِ عن المؤكِّدِ.

قولُهُ: (﴿لَا يَحِلُّ﴾، وقرئ بالتذكير) أبو عمرو: بالتاءِ الفوقانيةِ، والباقون: بالياءِ<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: مَنْ قرأ بالتاءِ فلأنَّ النساءَ في معنى جميعِ النساءِ، والنساءُ يدلُّ على التأنيتِ فيُستغنى عن تأنيتِ «يحلُّ»، ومعنى التاءِ: لا تحلُّ لك جماعةُ النساءِ<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٢١٨).

(٢) وهو جويزة بن عائذ كما صرح به في «المحتسب» (٢: ١٨٢).

(٣) عبارة ابن جنبي في: «إلا أن الرفع أقوى معنى».

(٤) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٧٩، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٢٢١).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٣٤).

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠]؛ كان مع الفصل أجوز. ﴿مِنْ بَعْدُ﴾ من بعد التسع؛ لأن التسع نصاب رسول الله ﷺ من الأزواج، كما أن الأربع نصاب أمته منهن؛ فلا محل له أن يتجاوز النصاب، ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ﴾: ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجاً آخر بكلهن أو بعضهن، أراد الله لمن كرامة وجزاء على ما اخترن ورزوين فقصر رسول الله ﷺ عليهن، وهن التسع اللاتي مات عنهن: عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر، أم حبيبة بنت أبي سفيان، سودة بنت زمعة، أم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي الخيبرية، ميمونة بنت الحارث الهلالية، زينب بنت جحش الأسدية، جويرية بنت الحارث المصطلقية، رضي الله عنهن. «من» في ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ لتأكيد النفي، وفائدته: استغراق جنس الأزواج بالتحريم. وقيل: معناه: لا محل لك

قوله: (وقيل: معناه: لا محل لك)، معطوف على قوله: «من بعد التسع». والفرق أن الأول فيه حكمان: تحريم الزيادة على التسع وتحريم التبديل، والثاني: فيه حكم واحد، وهو تحريم غير ما نص عليه من الأجناس الأربعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَكْتُمْنَ إِلَهُاتِنَّ إِنْ آتَيْنَا لَكَ أَزْوَاجَ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ﴾ تأكيد لذلك، فيجوز أن يزيد على العدد، وأن تبدل بكلهن أو ببعضهن من جنس ما نص عليه. يدل عليه ما روى محيي السنة عن أبي صالح: أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة، ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمّة والخال والخالة إن شاء ثلاث مئة. فقول المصنف: «من الأعرابيات والغرائب» بيان النساء في ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾، وقوله: «من الأجناس الأربعة» بيان النساء اللاتي نص إحلالهن، والأعرابيات في مقابلة المهاجرات، والغرائب في مقابلة القرايب، والكتابات في مقابلة امرأة مؤمنة، والإماء بالنكاح في مقابلة ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ﴾ (١).

فإن قلت: ما فائدة الاختلاف بأن جاء بـ«أو» في المعطوفين الأخيرين، أي: في قوله:

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٣٦٧).

النساء من بعد النساء اللاتي نُصَّ إِحْلَاهُنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْناسِ الأربعة مِنَ الأعرابيات والغرائب، أو مِنَ الكتائيات، أو مِنَ الإماء بالنكاح. وقيل في تحريم التبذل: هو مِنَ البذل الذي كَانَ في الجاهلية؛ كان يقول الرَّجُلُ للرجل: بادِلْنِي بامرأتك وأبادِلْكَ بامرأتي، فيَنزِلُ كُلُّ واحدٍ منهما عن امرأته لصاحبه. ويُحكى: أَنَّ عُبَيْنَةَ بنَ حِصْنِ دَخَلَ على النبي ﷺ وعنده عائشةُ من غيرِ استئذان، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «يا عُبَيْنَةُ، أَيْنَ الاستئذان؟»، قال: يا رسولَ الله، ما استأذنتُ على رَجُلٍ قطُّ مِمَّنْ مضى منذ أدركتُ، ثم قال: مَنْ هذه الجميلةُ إلى جَنبِكَ؟ فقالَ ﷺ: «هذه عائشةُ أمُّ المؤمنين». قال عُبَيْنَةُ: أفلا أنزِلُ لك عن أحسنِ السَخَلِ؟ فقالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قد حَرَّمَ ذلكَ»، فلمَّا خرج قالت عائشةُ رضي اللهُ عنها: مَنْ هذا يا رسولَ الله؟ قال: «أحمقُ مُطاع، وإنه على ما تَرَيْنَ لَسَيِّدُ قومه». وعن عائشةَ رضي اللهُ عنها: ما ماتَ رسولُ الله ﷺ حتى أُحِلَّ له النساءُ. تعني: أَنَّ الآيةَ قد نُسخَتْ. ولا يَخْلُو نسخُها: إِمَّا أَنْ يَكُونَ بالسُّنَّةِ، وإِمَّا بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وترتيبُ النزولِ ليسَ على ترتيبِ المُصحفِ. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ في موضعِ الحالِ مِنَ الفاعلِ، وهو الضميرُ في ﴿تَبَدَّلَ﴾، لا مِنَ المَفْعُولِ الذي هو ﴿مِنَ أَزْوَاجِكَ﴾؛ .....

«أو من الكتائيات أو من الإماء» دون الثاني، والأصل الواو؟ قلت: ليؤذن بالاختلاف والجمع بين الأقوال، فالواو في «والغرائب» إشارة إلى قول أبي صالح: أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة، و«أو» في «أو من الكتائيات» مشيرة إلى ما روى محيي السنة عن مجاهد: أن معناه: لا يحل لك اليهوديات والنصرانيات، ولا أن تبذل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>، إلا ما ملكت يمينك من الكتائيات أن تتسرى بهن. وأما «أو» في «أو من الإماء» فهو ظاهر، لأنه غير مُستتكر من أحاد المسلمين أن يتزوج أمة الغير، فكيف بمنصب الرسالة، فلو جيء بالواو لم يُعلم اختلاف الأقوال، وكذا لو أتى بـ«أو» في الغرائب لم يُعلم أنه قول واحد، وأما صاحب «التقريب» فقد أجرى الكل على «أو».

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٣٦٧).

لأنه مُوَعِّلٌ في التنكير، وتقديره: مفروضاً إعجابك بهنّ. وقيل: هي أسماء بنت عميس الخنعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، والمراد أنها ممن أعجبه حُسنهنّ. واستثنى ممن حُرِّم عليه الإمام. ﴿رَقِيبًا﴾: حافظاً مُهيمناً، وهو تحذيرٌ عن مُجاوزة حُدوده ومخطي حلاله إلى حرامه.

[يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثِ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾]

[٥٣]

قوله: (لأنه مُوَعِّلٌ في التنكير)، وقلت: جائزٌ أن يكونَ صفةً لـ ﴿أَزْوَاجٍ﴾، والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما تقرّر، فالمعنى: ولا أن تبدلَ بهنّ من أزواج مفروضاً إعجابك بهنّ لا تفارقُ الإعجابَ عنهنّ لحُسنهنّ. وعند صاحبِ «الفتح»<sup>(١)</sup>: يجوزُ أن يكونَ حالاً من ﴿أَزْوَاجٍ﴾، ومُصحّحها موصوفيةٌ ﴿أَزْوَاجٍ﴾، لأنه على تقدير: أزواج من الأزواج، ودخولِ الواو لعدم الإلباس بالصفة بناءً على أنه لا يجوزُ توسيطُ الواو بين الصفة والموصوف. المعنى: ولا أن تبدلَ بهنّ من أزواج وإن كُنَّ بالغاتٍ في الحسنِ غاية، وهذا أبلغ.

قوله: (واستثنى ممن حُرِّم عليه الإمام)، وهنّ اللاتي أشيرَ إليهنّ في ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ وكُرِّرَ تأكيداً لطول الكلام. وقال أبو البقاء: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ في موضع رَفَعٍ بدلاً من ﴿النِّسَاءِ﴾ أو موضع نَصْبٍ على الاستثناء، وهو من الجنس، فيكونُ متصلاً، ويجوزُ أن يكونَ من غير الجنس، فيكونُ مُنقطعاً<sup>(٢)</sup>.

(١) لم أعتد إليه في «مفتاح العلوم» للسكاكي.

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٥٩).

﴿أَنْ يُؤْذَنَ﴾ في معنى الظُّرْفِ، تقديرُه: وَقَتَ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ. و﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾ حالٌ مِنْ ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾ وَقَعَ الاستثناءُ على الوقتِ والحالِ معاً، كأنه قيل: لا تدخلوا بيوتَ النبي ﷺ إلا وقتَ الإذن، ولا تدخلوها إلا غيرَ ناظرين، وهؤلاء قومٌ كانوا يتحَيَّنون طعامَ رسولِ الله، فيدخلونَ ويقعدونَ مُنتظرينَ لإدراكه. ومعناه: لا تدخلوا - يا هؤلاء المتحَيَّنون للطعام - إلا أن يُؤْذَنَ لَكُمْ إلى طعامِ غيرِ ناظرين إناه، وإلا فلو لم يكن هؤلاء خصوصاً، لما جازَ لأحدٍ أن يدخلَ بيوتَ النبي ﷺ إلا أن يُؤْذَنَ له إذناً خاصاً، وهو الإذنُ إلى الطعامِ فحَسَب. وعن ابنِ أبي عَبْلَةَ: أنه قرأ: (غَيْرِ ناظرين) مجروراً صفةً لـ ﴿طَعَامٍ﴾، وليس بالوجه؛ لأنه جرى على غيرِ ما هو له، فمن حَقَّ ضميرٌ ما هو له أن يبرَزَ إلى اللفظ، فيقال: غيرِ ناظرين إناه أنتم، كقولك: هندٌ زيدٌ ضارِبته هي.

قوله: (وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً)، يعني: وقع الاستثناء على وقت الإذن المصحوبِ بقيدِ ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾، وهما قيدان للفعل، فوجبَ تقديرُ مستثنى منه من أعمِّ هذا المستثنى. أي: لا تدخلوا في وقتٍ من الأوقاتِ إلا في هذا الوقتِ، لكنَّ النهيَ واردٌ في قومٍ مخصوصين كانوا يضبطونَ وقتَ إدراكِ الطعامِ فنهوا عن ذلك، وإليه الإشارةُ بقوله: «وإلا فلو لم يكن هؤلاء خصوصاً لما جازَ لأحدٍ أن يدخلَ إلا أن يُؤْذَنَ له إذناً خاصاً، وهو الإذنُ إلى الطعامِ فحَسَب»، لكنه<sup>(١)</sup> يجوزُ الدخولُ بالإذنِ مُطلقاً. قال أبو البقاء: ﴿إِلَّا أَنْتَ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في موضعِ الحال، أي: لا تدخلوا إلا مأذوناً لكم، وهو على هذا حالٍ من فاعلِ ﴿تَدْخُلُوا﴾ أو حالٍ من المجرورِ في ﴿لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله: (يتحَيَّنون)، أي: يضبطونَ وقتَ إدراكِ الطعامِ وحينه.

قوله: (كقولك: هندٌ زيدٌ ضارِبته هي)، في «المقتبس» عن الطَّبَّاخِي: التاءُ علامةٌ لا

(١) من هنا إلى آخر الفقرة سقط من (ح) و(ط).

(٢) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٦٠).

وإِنِّي الطَّعَامُ: إدراكه، يقال: أُنِيَ الطَّعَامُ إِنِّي، كقولك: قَلَاهُ قَلِي، ومنه قوله: ﴿وَيَبِّئْ حَمِيمًا إِنِّي﴾ [الرحمن: ٤٤]: بالغ إناءه. وقيل: ﴿إِنْنَهُ﴾: وقته، أي: غيرَ ناظرين وقتَ الطَّعَامِ وساعةَ أَكَلِهِ.

وروي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْمَ عَلَى زَيْنَبَ بَتْمِرٍ وَسَوِيقٍ وَشَاةٍ، وَأَمَرَ أَنْسَاءً أَنْ يَدْعُوَ

فاعل، والفاعلُ «هي»، وإِنَّمَا أَتَى بِهِ وَإِنْ كَانَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الضَّرْبَ لَهْنِدٍ وَهُوَ النَّاءُ، لِأَنَّهُ يَأْتِي فِي مَوَاضِعَ مُشْكِلًا، فَاحْتِجَّ إِلَى هَذَا الْمُتَفَصِّلِ لِيَجْرِيَ الْمُشْكِلُ وَغَيْرُهُ عَلَى سَنَنِ وَاحِدٍ. قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: إِذَا قُلْتَ: نَحْنُ الزَّيْدُونَ ضَارِبُونَ، أَوْ: أَنَا زَيْدٌ ضَارِبٌ، وَنَحْوَهُمَا، يُوَدِّي إِلَى اللَّبْسِ، فَعَدَلُوا إِلَى الْمُتَفَصِّلِ <sup>(١)</sup>. قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ <sup>(٢)</sup>: يَجِبُ الْإِبْرَازُ فِي قَوْلِكَ: هِنْدٌ ضَارِبَتُهُ هِي، وَلَوْ قُلْتَ: زَيْدٌ هِنْدٌ ضَارِبَتُهُ، لَمْ يَجِبْ؛ لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِ جَرَى الْوَصْفِ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ. قَالَ مَكِّي: ﴿غَيْرٌ﴾ حَالٌ مِنْ «كُم» فِي «لَكُمْ» وَالْعَامِلُ ﴿يُؤَدِّنُ﴾، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا لِلطَّعَامِ إِذْ لَوْ كَانَ وَصْفًا لَهُ لَقِيلَ: غَيْرَ نَاطِرِينَ أَنْتُمْ، لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ إِذَا جَرَى صِفَةً أَوْ حَالًا أَوْ صِلَةً مِنْ غَيْرِ مَنْ هُوَ لَهُ لَمْ يَسْتَتِرْ فِيهِ ضَمِيرُ الْفَاعِلِ بِخِلَافِهِ فِي الْفِعْلِ، فَلَوْ قِيلَ: إِلَى طَعَامٍ لَا يَنْتَظِرُونَ إِنَاءَهُ؛ عَلَى الْوَصْفِ لِحَازٍ <sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَإِنِّي الطَّعَامُ: إدراكه)، قَالَ الزَّجَاجُ: إِنَاءُهُ: نُضِجُهُ وَيُلْوَعُهُ، تَقُولُ: أَنِي يَأْنِي إِنِّي: إِذَا نَضَّجَ وَبَلَغَ <sup>(٤)</sup>. قَالَ مَكِّي: ﴿إِنْنَهُ﴾: ظَرْفُ زَمَانٍ مَقْلُوبٌ مِنْ: أَنْ، الَّتِي بِمَعْنَى الْحِينِ، فَقَلْبَتِ النَّونَ قَبْلَ الْأَلْفِ وَغَيَّرَتْ الْهَمْزَةَ إِلَى الْكَسْرِ، أَي: غَيْرَ نَاطِرِينَ أَنَّهُ، أَي: حِينَهُ، ثُمَّ قُلِبَتْ وَغَيِّرَتْ.

قَوْلُهُ: (أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَبَ بَتْمِرٍ)، الْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ

(١) «الكافية» بشرح الإستراباذي (٢: ٤٣٦).

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «القاهر»، وهو عبد القاهر الجرجاني، وقد سبق التصريح بهذا الاسم.

(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٨٠).

(٤) «معاني القرآن وإعراجه» (٤: ٢٣٤).

بالناس، فترادفوا أفواجاً يأكلُ فَوْجٌ فيخرج، ثم يدخلُ فَوْجٌ، إلى أن قال: يا رسول الله، دعوتُ حتى ما أجدُ أحداً أدعوه، فقال: «ارفعوا طعامكم»، وتفرَّق الناسُ، وبقيَ ثلاثةٌ نفرٍ يتحدثون، فأطالوا؛ فقامَ رسولُ الله ﷺ؛ ليخرُجوا، فانطلقَ إلى حُجْرَةِ عائشةَ رضي الله عنها، فقال: «السلام عليكم أهل البيت»، فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدتَ أهلك؟ وطافَ بالحُجْرَاتِ فسَلَّمَ عليهنَّ، ودَعَوْنَ له؛ ورجعَ، فإذا الثلاثةُ جلوسٌ يتحدثون، وكان رسولُ الله ﷺ شديدَ الحياءِ، فتولَّى، فلما رأوه متولياً خرَّجوا، فرجعَ؛ ونزلت. ﴿وَلَا مُسْتَعْتَبِينَ لِحَدِيثٍ﴾: نُهُوا عن أن يُطِيلُوا الجلوسَ يَسْتَأْنِسُ بعضهم ببعضٍ لأجلِ حديثٍ يُحدِّثُه به، أو عن أن يَسْتَأْنِسُوا حديثَ أهلِ البيتِ. واستثناسُه: تَسْمَعُه وتوجُّسُه. وهو مجرورٌ معطوفٌ على ﴿نَظِيرِينَ﴾. وقيل: هو منصوبٌ على: ولا تدخلوها مستأنسين. لا بدَّ في قوله: ﴿فَيَسْتَعْتَبِي. مِنْكُمْ﴾ من تقديرِ المُضَافِ، أي: من إخراجِكُم، بدليلِ قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَعْتَبِي. مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: إنَّ إخراجَكُم حقٌّ ما يَبْغِي أن يُسْتَحْيَا منه. ....

والنسائي عن أنسٍ قال: كنتُ أعلمُ الناسَ بِشأنِ الحجابِ حينَ أنزَلَ، وكانَ أوَّلَ ما أنزَلَ في مُبْتَنِي رسولِ الله ﷺ بزينب بنتِ جَحْشٍ؛ أصبحَ النبيُّ ﷺ عروساً فدعا القومَ فأصابوا الطعامَ ثم خرَّجوا، وبقيَ رَهْطٌ منهم عندَ رسولِ الله ﷺ فأطالوا المُكْثَ، فقامَ النبيُّ ﷺ، فخرجَ وخرَّجْتُ معه<sup>(١)</sup>، الحديثُ على نحو ما ذكره المصنَّفُ مع تغييرٍ في رواياتٍ شتى.

قوله: (وتوجُّسُه)، الجوهرى: التوجُّسُ: التسمُّعُ إلى الصوتِ الحَقِيّ.

قوله: (بدليلِ قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَعْتَبِي. مِنَ الْحَقِّ﴾)، لأن معناه: لا يتركُ تأديبَكُم، والتأديبُ في هذا المقامِ إخراجُهم من البيتِ لأنَّ جلوسَهم فيه كان يؤذي النبيَّ ﷺ، فوجبَ لذلك أن يُقدَّرَ إخراجُهم ليتطابقَ النفيُّ والإثبات. وفي وَضَعِ الحَقِّ مقامَ الإخراجِ إيدانٌ بتعظيمِ جانبِ الرسولِ ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٥١٦٦)، ومسلم (١٤٢٨)، والترمذي (٣٢١٧)، والنسائي (٣٢٥٢).

ولما كان الحياءُ مما يمنعُ الحييَّ من بعض الأفعال قيل: ﴿لَا يَسْتَحِيءُ مِنْ أَلْحَقٍ﴾ بمعنى: لا يمتنعُ منه ولا يتركه تركُ الحييِّ منكم. وهذا أدبٌ أدبُ الله به الثُّقلاء. وعن عائشة رضي الله عنها: حسبك في الثُّقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾. وقرئ: (لا يَسْتَحِيءُ) بياءً واحدة. الضميرُ في ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ لنساءِ النبي ﷺ، ولم يُذكرن؛ لأنَّ الحالَ ناطقةٌ بذكرهن، ﴿مَتَاعًا﴾ حاجةٌ ﴿فَسَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ المتاع.

قيل: إنَّ عمر رضي الله عنه كان يحبُّ ضَرْبَ الحِجَابِ عليهنَّ شديدةً، وكان يذكره كثيراً، ويودُّ أن يُنزلَ فيه، وكان يقول: لو أطاع فيكنَّ ما أتكنَّ عين، وقال: يا رسول الله، يدخلُ عليك البرُّ والفاجر، فلو أمرت أمهاتِ المؤمنين بالحجاب؛ فترلت. وروى: أنه مرَّ عليهنَّ وهنَّ مع النساءِ في المسجد، فقال: لئن احتجبتنَّ، فإنَّ لكنَّ على النساءِ فضلاً، كما أن لزوجكنَّ على الرجالِ الفضلَ، فقالت زينبُ رضي الله عنها: يا ابنَ الخطاب،

قوله: (ولما كان الحياءُ مما يمنعُ الحييَّ من بعض الأفعال قيل: ﴿لَا يَسْتَحِيءُ﴾)، يعني: استُعير لقولنا: لا يمتنعُ ولا يتركُ، لفظُ: ﴿لَا يَسْتَحِيءُ﴾ بعد التشبيه، بدليل قوله: «تَرَكَ الحَيِّيَّ»، أو لأنَّ الله سبحانه وتعالى إذا وُصفَ بما يختصُّ بالأجسامِ حُمِلَ على نهاياتِ أغراضه لا على بداياته، فإنَّ الإنسان إذا حييَ عن فعلٍ عيبٍ فيه، تركه وامتنع منه.

قوله: (تَرَكَ الحَيِّيَّ)، منصوبٌ على المصدر، أي: لا يتركه تركاً مثلَ تركِ الحييِّ منكم. فيه إشعارٌ بأنَّ استعمالَ الحياءِ هنا مجازٌ مسبوقٌ بالتشبيه، فيكونُ استعارةً، لأنَّ المُشَبَّه المتروك هو: لا يترك.

قوله: (قيل: إنَّ عمرَ رضي الله عنه كان يحبُّ ضَرْبَ الحِجَابِ عليهنَّ)، روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أنسٍ: قال عمر رضي الله عنه: قلتُ: يا رسول الله، يدخلُ عليك البرُّ والفاجر، فلو أمرت أمهاتِ المؤمنين بالحجاب، فأنزلَ الله سبحانه وتعالى آيةَ الحِجَابِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (لو أطاع فيكنَّ ما أتكنَّ عين)، كنايةٌ عن ضَرْبِ الحِجَابِ، أي: عَيْنِ الأجنبي.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩٠)، ومسلم (٢٣٩٩).



إِنَّكَ لَتَنَارُ عَلَيْنَا وَالْوَحْيُ يَنْزُلُ فِي بَيْوتِنَا! فَلَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا يَسِيراً حَتَّى نَزَلَتْ.

وقيل: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَطْعَمُ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَأَصَابَتْ يَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَ عَائِشَةَ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ؛ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ. وَذُكِرَ: أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: أَنْتَهَى أَنْ نَكَلَّمَ بَنَاتِ عَمَّنَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ؟ لَئِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ لَأَتْرُوجَنَّ عَائِشَةَ. فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾: وَمَا صَحَّ إِذْءَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نِكَاحُ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَسَمِيَ نِكَاحَهُنَّ بَعْدَهُ عَظِيماً عِنْدَهُ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ تَعْظِيمِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ وَإِيجَابِ حُرْمَتِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِعْلَامُهُ بِذَلِكَ مِمَّا طَيَّبَ بِهِ نَفْسَهُ وَسَرَّ قَلْبَهُ وَاسْتَغْرَزَ سُكْرَهُ. فَإِنَّ نَحْوَ هَذَا مِمَّا يَحْدُثُ بِهِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَلَا يُحِلِّي مِنْهُ فِكْرَهُ. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَفَرُّطَ غَيْرُهُ عَلَى حُرْمَتِهِ حَتَّى يَتَمَنَّى لَهَا الْمَوْتَ؛ لِثَلَاثِ تَنَكُّحٍ مِنْ بَعْدِهِ. وَعَنْ بَعْضِ الْفُتَيَّانِ: أَنَّهُ كَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ لَا يَرَى الدُّنْيَا بِهَا شَعْفًا وَاسْتَهْتَارًا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ، وَاتَّحَبَّ فَعَلَّا نَحِيْبُهُ مِمَّا ذَهَبَ بِهِ فِكْرُهُ هَذَا الْمَذْهَبَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهَا؛ تَصَوُّرًا لِمَا عَسَى يَتَفَقَّ مِنْ بَقَائِهَا بَعْدَهُ وَحَصُولِهَا تَحْتَ يَدِ غَيْرِهِ. وَعَنْ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ: أَنَّ الزَّوْجَ الثَّانِي فِي هَذَا الثَّلَاثِ يَجْرِي مَجْرَى الْعُقُوبَةِ؛ فَصِيْن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَّا يُلَا حِظُّ ذَلِكَ.

[﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ٥٤]

قوله: (وَذُكِرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: أَنْتَهَى أَنْ نَكَلَّمَ بَنَاتِ عَمَّنَا)، رَوَى مُحِبِّي السَّنَةِ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ: أَنَّهُ طَلَّحَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ. وَفِي رِوَايَتِهِ بَدَلُ «فُلَانِيَّةٍ»: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (١).

قوله: (لَا يَرَى الدُّنْيَا بِهَا)، قِيلَ: الْبَاءُ فِيهِ كَالْبَاءِ فِي: بَعْتُ هَذَا هَذَا.

قوله: (وَاسْتَهْتَارًا)، الْاسْتَهْتَارُ: أَنْ يَبْلُغَ فِي الْحُبِّ غَايَةَ لَا يُبَالِي فِيهِ مَا قِيلَ فِيهِ، مَا خُوذُ مِنَ الْهَيْئِ، وَهُوَ مَرْقُ الْعِرْضِ.

قوله: (فِي هَذَا الثَّلَاثِ)، أَي: الطَّلَاقِ الثَّلَاثِ عِنْدَ إِرَادَةِ التَّحْلِيلِ.

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٣٧١).

﴿إِنْ تَبَدُّوْاْ شَيْئًا﴾ من نكاحهنَّ على ألسنتكم ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ في صدوركم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ يَعْلَمُ ذَلِكَ فِعَاقِبُكُمْ بِهِ. وإنما جاء به على أثر ذلك عامًّا لكلِّ بادٍ وخافٍ؛ ليدخل تحته نكاحهنَّ وغيره؛ ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل.

[﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ وَأَتَقَيْنَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾]

رُوي: أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله، أو نحن أيضاً نكلّمهنَّ من وراء حجاب؟ فنزلت. ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ أي: لا إثم عليهنَّ في أن لا يحتجبين من هؤلاء، ولم يذكّر العمُّ والخال؛ لأنها يجريان مجرى الوالدين، وقد جاءت تسمية العمِّ أباً، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَهُءَابَائِكِ إِزْرَهَعْمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وإسماعيل عمُّ يعقوب. وقيل: كره ترك الاحتجاب عنها؛ لأنها يصفانها لأبنائهما، وأبناؤهما غير محارم، ثم نُقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب، وفي هذا النقل ما يدلُّ على فضل تشديد، فقيل: ﴿وَأَتَقَيْنَ اللَّهَ﴾ فيما أمرتنَّ به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار، واحتطنَ فيه، وفيما استثنى منه ما قدرتنَّ، واحفظنَّ حدودهما، واسلكنَّ طريق التقوى في حفظهما، وليكن عملكنَّ في الحُجب أحسن مما كان وأنتنَّ

قوله: (وإنما جاء به على أثر ذلك عامًّا)، يعني: كان من الظاهر أن يُقال: إن تبدوا إنكاحهنَّ على ألسنتكم فإن الله يعلم ذلك، فوضِع في موضعها ﴿شَيْئًا﴾ و﴿شَيْءٌ﴾؛ ليدخل تحت هذا العامِّ دخولاً أولياً على سبيل البرهان، وكان أجزل وأهول.

قوله: (فقيل: ﴿وَأَتَقَيْنَ اللَّهَ﴾)، متّصل بقوله: «ثم نُقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب»، وقوله: «وفي هذا النقل ما يدلُّ على فضل تشديد» اعتراض، وإنما كان فضل تشديد لأن الخطاب أقوى من الغيبة، ومن كان مُشافهاً في الزجر كان أزدع له مما كان غائباً، ولذلك قيل: كافحه وواجهه في الكلام.

قوله: (واحفظنَّ حدودهما)، أي: حدود الاحتجاب وما استثنى منه من عدم الاحتجاب

غير محتجبات؛ ليفضل سرُّكنَ عَلَنَكُنَّ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من السرِّ والعَنَنِ وظاهر الحجابِ وباطنه ﴿شَهِيدًا﴾ لا يتفاوت في علمه الأحوال.

[﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ٥٦]

قُرئ: (وملائكته) بالرفع؛ عطفًا على محلِّ ﴿إِنَّ﴾ واسمها، وهو ظاهرٌ على مذهب الكوفيين، ووجهه عند البصريين: أن يُحذف الخبر؛ لدلالة ﴿يُصَلُّونَ﴾ عليه. ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾ أي قولوا: الصلاةُ على الرسول والسلام. ومعناه: الدعاءُ بأن يترحمَ عليه اللهُ ويُسلم. فإن قلت: الصلاةُ على رسولِ اللهِ ﷺ واجبةٌ أم مندوبةٌ إليها؟ قلت: بل واجبةٌ، وقد اختلفوا في حالِ وجوبها؛ فمنهم من أوجبها كلَّما جرى ذكْرُه، وفي الحديث: «مَنْ ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ فدخل النار فأبعده اللهُ»، ويُروى: أنه قيل: يا رسولَ اللهُ، أرايتَ قولَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾؟ فقال ﷺ: «هذا من العلمِ المكنونِ، ولولا أنكم سألتُموني عنه ما أخبرتُكم به؛ إنَّ اللهُ

من المذكورين.

قوله: (مَنْ ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ فدخل النار)، روى الشيخُ محيي الدين في «الأذكار»<sup>(١)</sup> عن ابنِ السنِّي عن جابرِ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهُ ﷺ: «مَنْ ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ فقد شقي»<sup>(٢)</sup>.

وروى أيضاً عن الترمذي عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهُ ﷺ: «رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ». قال الترمذي: حديثٌ حسن<sup>(٣)</sup>.

(١) «الأذكار» ص ١١٦.

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» ص ٣٣٦، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٧١)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٧٤٥١)، وابن حبان (٩٠٨).

وكل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي عليّ إلا قال ذاك الملكان: غفر الله لك، وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذّينك الملكين: آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي عليّ إلا قال ذاك الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله وملائكته لذّينك الملكين: آمين؛ ومنهم من قال: تجب في كل مجلس مرّة، وإن تكرّر ذكره، كما قيل في آية السجدة وتسميت العاطس، وكذلك في كل دعاء في أوّله وآخره؛ ومنهم من أوجبها في العمر مرّة، وكذا قال في إظهار الشهادتين. والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر؛ لما ورد من الأخبار. فإن قلت: فالصلاة عليه في الصلاة، أهي شرط في جوازها أم لا؟ قلت: أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطاً، وعن إبراهيم النخعي: كانوا يكتفون عن ذلك - يعني الصحابة - بالتشهد، وهو: السّلام عليك أيها النبي، وأما الشافعي - رحمه الله - فقد جعلها شرطاً. فإن قلت: فما تقول في الصلاة على غيره؟ قلت: القياس جواز الصلاة على كل مؤمن؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقوله ﷺ: «اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»، ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك؛ وهو: أنّها إن كانت على سبيل التبع كقولك: صلّى الله على النبي وآله؛ فلا كلام فيها،

قوله: (وهو أنّها إن كانت على سبيل التبع)،<sup>(١)</sup> قال الشيخ محيي الدين في كتاب «الأذكار»: أجمعوا على الصلاة على نبيّنا وعلى سائر الأنبياء والملائكة استقلالاً، وأما غير الأنبياء فالجمهور لا يصلي عليهم ابتداءً، واختلّف فيه فقيل: هو حرام، وقيل: مكروه كراهة تنزيه، لأنه شعار أهل البدع، وقالوا: إنّ الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء كما أنّ قولنا عزّ وجلّ مخصوص بالله سبحانه وتعالى، وكما لا يقال: محمّد عزّ وجلّ، وإن كان عزيزاً جليلاً، لا يقال: أبو بكر أو عليّ صلى الله عليه وإن كان صحيحاً. وانفقوا على جواز غير الأنبياء تبعاً لهم فيقال: اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَأَتْبَاعِهِ؛ للأحاديث الصحيحة. وأما السّلام فقال الشيخ أبو محمّد الجوّيني: هو في معنى الصلاة،

(١) من قوله: «وروى أيضاً عن الترمذي» إلى هنا سقط من (ط).

وأما إذا أُفِرِدَ غيره من أهل البيت بالصلاة كما يُفَرَدُ هو: فمكروه؛ لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله ﷺ؛ ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرَّفْض، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفَنَّ مَوَاقِفَ التُّهْمِ».

[إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا \* وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فَفَدِّحُوا بِهِنَّ مَائِدًا وَنَمَاءً مُبِينًا ﴿٥٧-٥٨﴾]

﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيه وَجْهان؛ أحدهما: أن يُعَبَّرَ بإيذائهما عن فعلٍ ما يكرهانه ولا يَرْضِيانه من الكفر والمعاصي، وإنكار النبوة، ومخالفة الشريعة، وما كانوا يُصيرون به رسول الله ﷺ من أنواع المكروه، على سبيل المجاز. وإنما جعلته مجازاً فيها جميعاً، وحقيقة الإيذاء صحيحة في رسول الله ﷺ؛ لئلا يجعل العبارة الواحدة مُعْطِيَةً معنى المجاز والحقيقة.

فلا يُسْتَعْمَلُ في الغائبِ فلا يُفَرَدُ به غيرُ الأنبياء فلا يُقال: عليٌّ عليه السلام، وسواء هذا في الأحياء والأموات، وأما الحاضرُ فيُخاطَبُ به، ويُسْتَحَبُّ الترضي والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعُبادِ وسائر الأَخيارِ. وأما ما قاله بعض العلماء: إن قوله: رضي الله عنه، مخصوصٌ بالصحابة، ويُقال في غيرهم: رحمه الله، فليس كما قال، بل الصحيح الذي عليه الجمهورُ استحبابُه ودلائله أكثرُ من أن تُحْصَى (١).

قوله: (على سبيلِ المجاز)، متعلقٌ بقوله: «أن يُعَبَّرَ» يعني: أطلق ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وأريد به فعلٌ ما لا يَرْضِيانه من الكفر والمعاصي وغيرهما، كأنه قيل: إن الذين يَقْعَلُونَ ما لا يَرْضِي الله ورسوله، فأطلق السببُ وأريد المسببُ، وإنما ارتكَبَ طريقَ المجاز، وإن صحَّ إطلاقُ الإيذاء في حقِّ رسولِ الله ﷺ حقيقةً؛ لئلا يجعل العبارة الواحدة مُعْطِيَةً معنى المجاز والحقيقة معاً، هذا الطريقُ هو الذي يُسَمِّيهِ الأصوليون عُمومَ المجاز.

والثاني: أن يُراد: يؤذون رسول الله ﷺ. وقيل في أذى الله: هو قول اليهود والنصارى والمشركين: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، و: ﴿ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، و: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، و: الملائكة بنات الله، و: الأصنام شركاؤه. وقيل: قول الذين يلحدون في أسائه وصفاته. وعن رسول الله ﷺ فيما حكى عن ربه: «سْتَمَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَنْبِغْ لَهُ أَنْ يَشْتَمَنِي، وَأَدَانِي وَلَمْ يَنْبِغْ لَهُ أَنْ يُؤْذِنِي؛ فَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: إِنِّي اتَّخَذْتُ وَكْدًا. وَأَمَّا أَذَاهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُعِيدُنِي بَعْدَ أَنْ بَدَأَنِي». وعن عكرمة: فعل أصحاب التصاوير الذين يرؤمون تكوين خلق مثل خلق الله. وقيل في أذى رسول الله ﷺ: قولهم: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون. وقيل: كَسَرُ رِبَاعِيَّتِهِ وَشَجَّ وَجْهَهُ يَوْمَ أَحُدٍ. وقيل: طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيمي وأطلق إيذاء الله

قوله: (والثاني: أن يُراد: يؤذون رسول الله ﷺ)، فيكون ذكْرُ الله تمهيداً لذكْرِهِ، وأن رسول الله ﷺ عند الله بمكانة حتى إن إيذاءه إيذاؤه.

قوله: (سْتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَنْبِغْ لَهُ أَنْ يَشْتَمَنِي)، الحديث من رواية البخاري والنسائي عن أبي هريرة<sup>(١)</sup>، قد أوردناه، وفيما أوردته اختلاف في الألفاظ.

قوله: (وقيل: [طعنهم عليه] في نكاح صفية بنت حيمي)، روى في «الاستيعاب» عن أبي عبيدة: كانت صفية عند سلام بن مشكم وكان شاعراً، ثم خلف عليها كِنَانَةٌ<sup>(٢)</sup> وهو شاعر، فقتل يوم خيبر، وتزوجها النبي ﷺ سنة سبع من الهجرة. ورؤي عن أنس أنه قال فيه: إن النبي ﷺ لما جمع سبني خيبر جاءه دحية فقال: أعطني جارية من السبي، فقال: «أذهب فخذ جارية»، فأخذ صفية فقيل: يا رسول الله، إنها سيدة بني قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، فقال النبي ﷺ: «خذ جارية غيرها»، قال ابن شهاب: كانت مما آفأ الله عليه فحجبتها، وأولم عليها بتمر وسويق وقسم لها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين<sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) هو ابن أبي الحقيق على ما صرح به ابن عبد البر في «الاستيعاب».

(٣) أخرجه البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥)، وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه.

ورسوله، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات؛ لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حقّ أبداً، وأما أذى المؤمنين والمؤمنات؛ فممنه ومنه. ومعنى ﴿بَغَيْرِ مَا آكْتَسَبُوا﴾: بغير جنائية واستحقاقٍ للأذى. وقيل: نزلت في ناسٍ من المنافقين يؤذون علياً رضي الله عنه ويسمعونه. وقيل: في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها. وقيل: في زناة كانوا يتبعون النساء وهنّ كارهات. وعن الفضيل: لا يحلُّ لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حقّ، فكيف؟ وكان ابنُ عونٍ لا يكره الحوانيت إلا من أهلِ الذمّة؛ لما فيه من الرّوعة عند كسر الحول.

[﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلّاً لِرَؤُوسِكَ وَبِنَائِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَقُ أَنْ يُصْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ ٥٩]

الجلباب: ثوبٌ واسعٌ أوسعُ من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتُبقي منه ما تُرسله على صدرها. وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: الرداء الذي يسرُّ من فوق إلى أسفل. وقيل: الملحفة وكلُّ ما يُستترُّ به من كساءٍ أو غيره. قال أبو زيد:

مُجَلَّبَبٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جِلْبَابًا

وروي أنّ رسولَ الله ﷺ دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: «ما يُبكيك؟» فقالت: إنّ عائشة وحفصة تَنالان مني وتقولان: نحنُ خيرٌ من صفية، قال: «ألا قلتِ هنّ؟» كيف تكُنّ خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد، وكانت من سبط هارون<sup>(١)</sup>.

وليس في «الاستيعاب» ولا في «الجامع»<sup>(٢)</sup> أنّ أحداً طعنَ في نكاحها، والله أعلم.

قوله: (فممنه ومنه)، أي فممنه حقٌّ ومنه باطل. والفاءُ للتعقيبِ دخلت على التفصيل.

(١) «الاستيعاب» (٤: ١٨٧١ - ١٨٧٢)، والحديثُ أخرجه الترمذي (٣٨٩٢)، والطبراني في «المعجم

الكبير» (٢٤: ٧٥)، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ وليس إسناده بذلك القوي.

(٢) يعني «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢: ١٠٢).

ومعنى ﴿يُدْنِينَكَ عَلَيْهِنَ مِنَ الْجَنَابَاتِ﴾: يُرَخِّصُنَهَا عَلَيْهِنَّ، وَيُغَطِّيْنَ بِهَا وَجُوهَهُنَّ وَأَعْطَفَهُنَّ. يقال: إِذَا زَلَّ الثَّوْبُ عَنْ وَجْهِ الْمَرْأَةِ: أَدْنَى ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ عَلَى هَجِيرَاهُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُتَبَدِّلَاتٍ، تَبَرُّزُ الْمَرْأَةُ فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ لَا فَضْلَ بَيْنَ الْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ، وَكَانَ الْفِتْيَانُ وَأَهْلُ الشُّطْرَةِ يَتَعَرَّضُونَ - إِذَا خَرَجُوا بِاللَّيْلِ إِلَى مَقَاضِي حَوَائِجِهِنَّ مِنَ النَّخِيلِ وَالغَيْطَانِ - لِلْإِمَاءِ، وَرَبِّمَا تَعَرَّضُوا لِلْحُرَّةِ بَعْلَةَ الْأَمَةِ؛ يَقُولُونَ: حَسْبُنَاهَا أَمَةٌ، فَأَمْرٌ أَنْ يُخَالِفَنَّ بَزِيَّتَيْنِ عَنِ الْإِمَاءِ بَلْبَسِ الْأُرْدِيَةِ وَالْمَلَايِفِ وَسَرِّ الرَّؤُوسِ وَالْوَجُوهِ؛ لِيَحْتَشِمَنَّ وَيُهَيَّبَنَّ فَلَا يَطْمَعُ فِيهِنَّ طَامِعٌ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَنَّ﴾ أَي: أَوْلَى وَأَجْدَرُ بِأَنْ يُعْرَفَنَّ فَلَا يُتَعَرَّضَنَّ لَهُنَّ وَلَا يَلْقَيْنَ مَا يَكْرَهُنَّ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى ﴿مِنْ﴾ فِي ﴿مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾؟ قُلْتُ: هُوَ لِلتَّبَعِيضِ، إِلَّا أَنَّ مَعْنَى التَّبَعِيضِ مُحْتَمَلٌ وَجَهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَتَجَلَّبَبْنَ بِبَعْضِ مَا لَهُنَّ مِنَ الْجَلَابِيبِ، وَالْمَرَادُ: أَنْ لَا تَكُونَ الْحُرَّةُ مُتَبَدِّلَةً فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ، كَالْأَمَةِ وَالْمَاهِنَةِ، وَلَهَا جِلْبَابَانِ فَصَاعِدًا

قَوْلُهُ: (مُتَبَدِّلَاتٍ<sup>(١)</sup>)، الْجَوْهَرِيُّ: وَابْتَدَأَ الثَّوْبَ وَغَيْرَهُ: امْتَهَانَهُ، وَالتَّبَدُّلُ: تَرَكَ التَّصَاوُنَ.

قَوْلُهُ: (وَالغَيْطَانِ)، الْجَوْهَرِيُّ: أَصْلُ الْغَائِطِ: الْمَطْمِئُنُّ مِنَ الْأَرْضِ الْوَاسِعِ، وَالْجَمْعُ: غُوْطٌ وَأَغْوَاطٌ وَغَيْطَانٌ.

قَوْلُهُ: (وَالْمَرَادُ: أَنْ لَا تَكُونَ الْحُرَّةُ مُتَبَدِّلَةً<sup>(٢)</sup>)، يَعْنِي: عَبَّرَ بِقَوْلِهِ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَ بَعْضَ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ عَنِ كَوْنِ الْحُرَّةِ غَيْرَ مُتَبَدِّلَةٍ، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ ذَاتَ جَلَابِيبٍ، فَلَا تُنْزَلُ نَفْسُهَا بِمَنْزَلَةٍ مَنْ لَيْسَ لَهَا إِلَّا دِرْعٌ وَخِمَارٌ، كَالْأَمَةِ. قَوْلُهُ: «وَلَهَا جِلْبَابَانِ»، حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «مُتَبَدِّلَةً».

قَوْلُهُ: (وَالْمَاهِنَةُ)، أَي: الْخَادِمَةُ. الْجَوْهَرِيُّ: الْمَهْنَةُ بِالْفَتْحِ، أَي: الْخِدْمَةُ، وَحَكَى أَبُو زَيْدٍ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ، وَكَذَا هُوَ فِي نَصِّ «الْكَشَافِ» مِنْ (ط)، لَكِنْ فِي الْأَصْلِ الْخَطِيئِ مِنْ «الْكَشَافِ»

وَفِي الْمَطْبُوعِ: «مُتَبَدِّلَاتٍ»، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

(٢) كَذَا، وَالْأَمْرُ فِيهِ كَسَابِقُهُ.





عن فُجورهم، والمُرَجِفُونَ عما يؤلّفون من أخبارِ السَّوءِ: لنا مُرْتَكٌ بأن تفعلَ بهم الأفاعيلُ التي تسوؤهم وتؤوئهم، ثم بأن تضطرّهم إلى طلبِ الجلاءِ عن المدينة، وإلى أن لا يساكنوك فيها ﴿إِلَّا﴾ ﴿زَمَنًا قَلِيلًا﴾ ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم. فسَمِيَ ذلك إغراءً - وهو التحريش - على سبيلِ المجاز. ﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصبٌ على الشتمِ أو الحال، أي: لا يُجاوِرونك إلّا ملعونين. دخل حرفُ الاستثناء على الظرفِ والحالِ معاً، ما مرَّ في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبِطِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٣]،

قوله: (وتؤوئهم)، الجوهرى: قال ابنُ السكيت: يُقال: له عندي ماساءةٌ وناءةٌ، أي: أثقله، وما يسوءه وينوءه<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: أراد: ساءه وأناؤه، وإنما قال: ناءةٌ، وهو لا يتعدى لأجل «ساءه» ليزدوج الكلام.

قوله: (ويلتقطون أنفسهم)، الأساس: لَقَطَ الحِصَا وَغَيْرَهُ وَالتَّقَطَهُ وَيَلْقُطُهُ. الانتصاف: في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُجاوِرونك فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ إشارةٌ إلى ما فسره الزمخشريُّ إلى أن مَنْ توجّه عليه إخلاءً منزلاً مملوكٌ للغيرِ بوجهٍ شرعيٍّ؛ يُمهّلُ ريثما ينقلُ نفسه ومَتاعه وعياله إن كان له موضعٌ، وإلا يُمهّلُ حتى يتيسرَ له موضعٌ آخر<sup>(٢)</sup>.

قوله: (فسمى ذلك إغراءً)، أي: أطلق على الأمرِ بأن يفعلَ بهم الأفاعيلُ التي تسوؤهم الإغراءَ بقوله: ﴿لِنُغْرِبَنَّكَ﴾ على المجازِ مُبالغةً.

قوله: (التحريش)، النهاية: وفي الحديث: نهى عن تحريشِ البهائم<sup>(٣)</sup>، وهو الإغراءُ وتبشُّجُ بعضها على بعضٍ، كما يفعلُ بين الجمالِ والكباشِ والديوكِ.

قوله: (دخل حرفُ الاستثناء على الظرفِ والحالِ معاً)، كأنه قيل: لا يُجاوِرونك فيها في حالٍ من الأحوالِ وزَمَنٍ من الأزمنةِ، إلّا مطرودين ملعونين، زَمَنًا قَلِيلًا، ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم.

(١) «إصلاح المنطق» ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشف» (٣: ٥٦١).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٣٢)، وابن الجعدي في «مسنده» (١: ٣١٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه. وانظر كلامَ الحكيم الترمذي في علّةِ النهي عن ذلك في كتابه «المنهيات» ص ١٧٤.

ولا يصحُّ أَنْ يَنْتَصِبَ عَنْ ﴿أَخْذُوا﴾؛ لأنَّ ما بعدَ كلمةِ الشرط لا يعملُ فيما قَبْلَها. وقيل في ﴿قَلِيلًا﴾: هو منصوبٌ على الحالِ أيضاً، ومعناه: لا يُجاوِزُونَكَ إلا أَقْلَاءَ أَذْلَاءِ ملعونين. فإن قلت: ما موقعُ ﴿لَا يُجاوِزُونَكَ﴾؟ قلت: ﴿لَا يُجاوِزُونَكَ﴾ عطْفٌ على ﴿لَنْغَرِيَنَّكَ﴾؛ لأنه يجوزُ أَنْ يُجابَ به القَسَمُ، ألا ترى إلى صحّة قولك: لئن لم يَنْتَهوا لا يُجاوِزُونَكَ؟ فإن قلت: أمّا كانَ مِنْ حَقِّ ﴿لَا يُجاوِزُونَكَ﴾ أَنْ يُعْطَفَ بالفاء، وأن يُقال: لَنْغَرِيَنَّكَ بهم فلا يُجاوِرونَكَ؟ قلت: لو جُعِلَ الثاني مُسَبِّباً عن الأوّل لكان الأمرُ كما قلت، ولكنه جُعِلَ جواباً آخَرَ للقَسَمِ معطوفاً على الأوّل، وإنما عَطِفَ بـ«ثم»؛ لأنَّ الجلاءَ عن الأوطانِ كانَ أعظَمَ عليهم وأعظَمَ مِنْ جميع ما أُصيبوا به، فتراخَتْ حالُه عن حالِ المعطوفِ عليه. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ في موضعِ مصدرٍ مُؤكِّد، أي: سنَّ الله في الذين يُنافقون الأنبياءَ أَنْ يُقتلوا حينما تُقفوا. وعن مُقاتل: يعني: كما قُتِلَ أهلُ بَدْرٍ وأَسْرُوا.

[﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ

قَرِيبًا﴾ ﴿٦٣﴾]

كانَ المشركونَ يَسألون رسولَ الله ﷺ عن وقتِ قيامِ الساعة؛ استعجالاً على سبيلِ الهُرء، واليهودُ يَسألونه امتحاناً؛ لأنَّ الله تعالى عَمَى وقتَها في التوراة وفي كلِّ كتاب، فأمرَ رسولَ الله ﷺ أَنْ يُجيبَهُم بأنه عِلْمٌ قد استأثرَ اللهُ به؛ لم يُطْلِعْ عليه ملكاً ولا نبياً، ثم بيَّن لرسولِهِ أنها قَريبةُ الوقوع؛ تهديداً للمُستعجلين، وإسكاتاً للمُمتحنين.

قولُه: (أما كانَ مِنْ حَقِّ ﴿لَا يُجاوِزُونَكَ﴾ أَنْ يُعْطَفَ بالفاء)، لأنَّ جلاءَهم عن الأوطانِ كانَ مُسَبِّباً عن التحريشِ بهم وما يَضطَّرُّهم إلى طَلَبِ الجلاء؟ وخلاصةُ الجواب: أن ما عليه التلاوةُ أبلغ، ولاحتواءِ الفائدةِ أملاً، كأنه قيل: لئن لم يَنْتَه المنافقونَ ليحصلَ لهم خَطْبانِ عَظيمان، لكنَّ الثاني أعظَمُ عليهم من الأوّل، لأنَّ مُفارقةَ الوطنِ أعظَمُ المصائب، ألا ترى إلى بني إسرائيلَ كيفَ اختاروا القَتْلَ على الجلاء.

﴿قَرِيبًا﴾: شيئاً قريباً، أو لأنَّ السَّاعَةَ في معنى اليوم، أو في زمانٍ قَرِيبٍ.

[﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا \* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾]

[٦٥-٦٤]

السَّعِير: النارُ المسعورةُ الشديدة الاتقاد.

[﴿يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ بَلَّيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا﴾ ٦٦]

وَقُرئ: ﴿نُقَلِّبُ﴾ على البناءِ للمفعول، و﴿تُقَلَّبُ﴾ بمعنى: تَتَقَلَّبُ، و﴿نُقَلَّبُ﴾،

أي: نُقَلَّبُ نحن، و﴿تُقَلَّبُ﴾ على أَنَّ الفِعْلَ للسَّعِيرِ. ....

قوله: ﴿قَرِيبًا﴾: شيئاً قريباً، أو لأنَّ السَّاعَةَ في معنى اليوم، يعني: مِنْ حَقِّ الظَّاهِرِ أَنْ يُقال: قريبة، لِأَنَّهَا خَبْرُ «كَانَ» واسمُه مؤنَّث، فقيل: ﴿قَرِيبًا﴾ على تأويلِ أَنَّهُ صِفَةٌ موصوفٍ محذوف، أو السَّاعَةُ بمعنى اليوم أو الزمان. روى الزَّجَّاجُ عن أبي عُبَيْدَةَ: أَنَّ «قَرِيبًا» يَكُونُ للمؤنَّثِ والثنتينِ والجمعِ بلفظِ واحدٍ، ولا يُدْخِلُونَ الهاءَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِصِفَةٍ وَلَكِنْ ظَرْفٌ، وَأُنشِدَ:

وإن تُنْسِ ابنة السَّهْمِيِّ منا  
بعيداً لا تُكَلِّمنا كلاماً<sup>(١)</sup>

فإذا جعلوها صفةً في معنى: مُقْتَرِبَةٌ، قالوا: هي قريبة.

قوله: ﴿وَقُرئ: ﴿نُقَلِّبُ﴾ على البناءِ للمفعول، هي المشهورة.

قوله: ﴿و﴿نُقَلَّبُ﴾، أي: نُقَلَّبُ نحن، و﴿تُقَلَّبُ﴾ على أَنَّ الفِعْلَ للسَّعِيرِ، قال ابن جِنِّي:

﴿نُقَلَّبُ وُجُوهَهُمْ﴾ بالنصب، فاعله ضميرُ السَّعِيرِ، فَنُسِبَ الفِعْلُ إليها، وإن كان المَقْلَبُ هو الله تعالى بدلالةِ قِراءَةِ أبي حَيَّوَةَ: ﴿نُقَلَّبُ﴾ بالنونِ للملابسةِ التي بينهما، قال الله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٌ وَالنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٣] نَسَبَ المَكْرَ إليها لوقوعه فيها، وعليه قولُ الشاعر:

لَقَدْ لُمْتِنا يا أمَّ غَيْلانَ في السُّرى  
ونميت وما ليلُ المطيِّ بنائم<sup>(٢)</sup>

(١) لم أهدت إليه في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج، وهو يتناهى في «مجاز القرآن» لأبي عُبَيْدَةَ (١: ٢١٦).

(٢) البيت لجرير في «ديوانه» ص ٦١٧. يُخاطَبُ ابنته أم غيلان.

ومعنى تقلبيها: تصرّفها في الجهات، كما ترى البضعة تدور في القدر إذا علّت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة. أو: تغييرها عن أحوالها، وتحويلها عن هيئاتها. أو: طرّحها في النار مقلوبين منكوسين. وخصّت الوجوه بالذكر؛ لأنّ الوجه أكرم موضع

ويت «الكتاب»<sup>(١)</sup>:

أما النهارُ ففي قيْدِ وسلسلةِ والليلُ في جَوْفِ مَنْحَوْتِ من الساجِ<sup>(٢)</sup>

أي: المذكورُ في تَمَارِهِ في القَيْدِ وفي لَيْلِهِ في بَطْنِ المَنْحَوْتِ، أي: السفينة، وقد جاء في الأماكنِ نَحْو: سَارَتْ بِهِمِ الفِجَاجُ، أي: ساروا فيها<sup>(٣)</sup>.

قوله: (ومعنى تقلبيها: تصرّفها في الجهات)، الراغب: قَلْبُ الشَّيْءِ: تصرّفه وصرّفه عن وجهٍ إلى وجه، وَقَلْبُ الإنسانِ أي: صرّفه عن طريقته والانتقالُ الانصرافُ قال الله تعالى: ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وَقَلْبُ الإنسانِ قيل: سُمِّيَ به لكثرةِ تَقَلُّبِهِ، وَيُعَبَّرُ بالقلبِ عن المعاني التي تختصُّ به من الروح والعلم والشجاعة وسائر ذلك، وقوله: ﴿وَيَلْبَغِ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] أي: الأرواح، وقوله: ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي: عِلْمٌ وفَهْمٌ. وقوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠] أي: تثبتت به شجاعتكم ويزول خوفكم، وعلى عكسه: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦]، وتقلبُ الشَّيْءُ: تغيّره من حالٍ إلى حالٍ نَحْو: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [الأحزاب: ٦٦]، وتقلبُ الأمور: تدبّرُها والنظرُ فيها، قال الله تعالى: ﴿وَكَلِّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨]، وتقلبُ الله القلوبَ والبصائرَ: صرّفها من رأيٍ إلى رأيٍ، وتقلبُ اليدُ: عبارةٌ عن التَّدَمُّ ذِكْرًا لحالٍ ما يُوجَدُ عليه النادمُ، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ﴾ [الكهف: ٤٢] أي: يُصَفِّقُ ندامَةً، والقَلْبُ: البئرُ التي لم تُطَوَّ، والقَلْبُ: المقلوبُ من الإِسورة<sup>(٤)</sup>.

(١) يعني كتاب سيبويه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «المحتسب» (٢: ١٨٤).

(٤) المصدر السابق (٢: ١٨٤).

على الإنسان من جسده. ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة، وناصب الطرف: ﴿يَقُولُونَ﴾، أو محذوف؛ وهو: «اذكُر»، وإذا نُصِبَ بالمحذوف كان ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً.

[﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا \* رَبَّنَا إِنهِنَّ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ ٦٧-٦٨]

وقرئ: ﴿سَادَتَنَا﴾، و(ساداتنا)، وهم رؤوس الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم. يقال: ضلَّ السبيل وأضله إياه، وزيادة الألف؛ لإطلاق الصوت؛ جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها: الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مستأنف. وقرئ: (كثيراً)؛ تكثيراً لأعداد اللعائن، و﴿كَبِيرًا﴾؛ ليدل على أشد اللعن وأعظمه. ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفاً لضلاله، وضعفاً لإضلاله. يعترفون، ويستغيثون، ويتمنون، ولا ينفعهم شيء من ذلك.

[﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّكِفُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ٦٩]

قوله: (وإذا نُصِبَ بالمحذوف كان ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً)، قال أبو البقاء: ﴿يَقُولُونَ﴾ حالٌ من الوجوه، لأن المراد أصحابها، ويضعف أن يكون حالاً من الضمير المجرور، لأنه مُضَافٌ إليه<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقرئ: ﴿سَادَتَنَا﴾ و«ساداتنا»)، ابنُ عامر: بالجمع وبكسر التاء، والباقون: ﴿سَادَتَنَا﴾ بفتح التاء.

قوله: (وقرئ: «كثيراً»)، عاصمٌ وحده: ﴿كَبِيرًا﴾ بالياء، والباقون: بالثاء المثلثة<sup>(٢)</sup>.  
قوله: (يعترفون ويستغيثون ويتمنون)، إشارة إلى نظم الآيات، فالتمني قَوْلُهُمْ: ﴿يَتَلَيَّنَّا﴾، والاستغاثة: ﴿رَبَّنَا﴾، والاعتراف: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا﴾.

(١) «مفردات القرآن» ص ٦٨١-٦٨٢.

(٢) وهو الأجوذ والأشبه بالمعنى لأنهم يلعنون مرة بعد مرة. انظر: «حجة القراءات» ص ٥٨٠.

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ قيل: نزلت في شأن زيد وزينب، وما سُمع فيه من قالة بعض الناس. وقيل في أذى موسى عليه السلام: هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها. وقيل: اتهمهم إياه بقتل هارون، وكان قد خرَّج معه إلى الجبل فمات هناك، فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتاً، فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول. وقيل: أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام. وقيل: قرفوه بعيب في جسده من برص أو أذرة، فأطلعهم الله على أنه بريء منه. ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاهٍ ومنزلةٍ عنده؛ فلذلك كان يُميط عنه التُّهم، ويدفع الأذى، ويحافظُ عليه؛ لئلا يلحقه وسمٌ ولا يُوصف بنقيصة، كما يفعل الملك بمن به عنده قربةٌ ووجاهة. وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حنيفة: (وكان عبد الله وجيهاً). قال ابن خالويه: صليت خلف بن شنبوذ في شهر رمضان، فسمعتُه يقرأها. وقراءة العامة أوجه؛ لأنها مُفصحةٌ عن

قوله: (وقيل: في أذى موسى عليه السلام)، الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، وهو مشهورٌ وقد أوردناه فيما سبق<sup>(١)</sup>.

قوله: (قرفوه بعيب): اتهموه، الأذرة؛ بالضم: نَفْحَةٌ بِالْحِضْيَةِ.

قوله: (صليت خلف ابن شنبوذ<sup>(٢)</sup> في شهر رمضان فسمعتُه يقرأها)، أي: «عبد الله» بالباء<sup>(٣)</sup>. قال صاحب «الروضة»: «وتجزئ<sup>(٤)</sup> بالقراءات السبعة، وتصحُّ بالقراءة الشاذة إن لم يكن فيها تغييرٌ معنى ولا زيادةٌ حَرْفٍ ولا نقصان<sup>(٥)</sup>»، وهاهنا بين المعنيين بؤن كما ذكره المصنّف، ونحوه عن ابن جنّي<sup>(٦)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) شيخ الإقراء بالعراق: أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ البغدادي (ت ٣٧٢هـ) كان من أعيان العلماء مع التقوى والصلاح، وكان ممن يرى جواز القراءة بالشاذ، وبسببه اشتد عليه تكبير العلماء، له ترجمة حسنة في «غاية النهاية في طبقات القراء» (٢: ٥٤).

(٣) انظر كلام ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ١٢٠.

(٤) يعني قراءة الفاتحة.

(٥) «روضة الطالبين» (١: ٢٤٢).

(٦) في «المحتسب» (٢: ١٨٥).

وَجَاهِتِهِ عِنْدَ اللَّهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]، وهذه ليست كذلك. فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿مِمَّا قَالُوا﴾ معناه: مِنْ قَوْلِهِمْ، أَوْ: مِنْ مَقُولِهِمْ؛ لِأَنَّ «مَا» إِمَّا مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ مَوْصُولَةٌ، وَأَيُّهَا كَانَ؛ فَكَيْفَ تَصِحُّ الْبَرَاءَةُ مِنْهُ؟ قُلْتَ: الْمَرَادُ بِالْقَوْلِ أَوْ الْمَقُولِ: مُؤَدَّاهُ وَمُضْمُونُهُ؛ وَهُوَ الْأَمْرُ الْمَعْيَبُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ سَمَّوْا السُّبَّةَ بِالْقَالَةِ، وَالْقَالَةُ بِمَعْنَى الْقَوْلِ؟

[﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا \* إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا \* لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ٧٠-٧٣]

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: قاصداً إلى الحقِّ. والسَّداد: القصدُ إلى الحقِّ، والقولُ بالعدل. يقال: سَدَّدَ السَّهْمَ نَحْوَ الرَّمِيَةِ: إِذَا لَمْ يَعْدِلْ بِهِ عَنِ سَمْتِهَا، كَمَا قَالُوا: سَهْمٌ قاصِدٌ، والمراد: نَهْيُهُمْ عَمَّا خَاضُوا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَعَدْلٍ فِي الْقَوْلِ،

قَوْلُهُ: (فَكَيْفَ تَصِحُّ الْبَرَاءَةُ مِنْهُ)، يَعْنِي: لَا يَقَالُ: بَرَاءَةٌ مِنَ الْقَوْلِ، بَلْ مِنَ الْعَيْبِ وَالذَّنْبِ.

قَوْلُهُ: (سَمَّوْا السُّبَّةَ بِالْقَالَةِ)، النِّهَايَةُ: فِي الْحَدِيثِ «فَشَتَّ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»، أَي: كَثْرَةُ الْقَوْلِ وَإِيقَاعُ الْخُصُومَةِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يُحْكِي لِلْبَعْضِ عَنِ الْبَعْضِ.

قَوْلُهُ: (وَالْمَرَادُ: نَهْيُهُمْ)، قِيلَ: أَي: بِـ ﴿لَا تَكُونُوا﴾، «وَالْبَعْثُ» أَي: بِقَوْلِهِ: «قُولُوا». وَقُلْتَ: وَلَيْسَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ عَنَى بِالنَّهْيِ خَوْضَهُمْ فِي حَدِيثِ زَيْنَبَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَعَدْلٍ فِي الْقَوْلِ، وَالنَّهْيُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ كَوْنُهُمْ فِي أَدَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ كَوْنِ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَذَاهُ، بَلْ عَطْفُ قَوْلِهِ: «وَالْبَعْثُ» عَلَى «نَهْيُهُمْ» مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالشَّيْءِ نَهْيٌ عَنِ ضِدِّهِ، وَلَوْ أُرِيدَ بِهَذَا الْعَطْفِ ذَلِكَ الْمَعْنَى لَجَاءَ قَوْلُهُ: «وَهَذِهِ الْآيَةُ مُقَرَّرَةٌ لِتِي قَبْلَهَا»



والبعثُ على أن يسدَّ قلوبهم في كلِّ باب؛ لأنَّ حِفْظَ اللسانِ وسدادَ القولِ رأسُ الخيرِ كلِّه. والمعنى: راقِبُوا اللهَ في حِفْظِ ألسنتِكُمْ، وتسديدِ قولِكُمْ؛ فإنكُم إن فعلتُم ذلك أعطاكم اللهُ ما هو غايةُ الطَّلبة؛ مِن: تقبُّلِ حسناتِكُمْ والإثابةِ عليها، ومِن مغفرةِ سيئاتِكُمْ وتكفيرِها. وقيل: إصلاحُ الأعمال: التوفيقُ في المجيءِ بها صالحةً مرصِيَّة. وهذه الآيةُ مقرَّرةٌ للتي قبلها، بَيَّنَّتْ تلكَ على النهيِ عمَّا يؤذي رسولَ الله ﷺ، وهذه على الأمرِ باتِّقاءِ الله تعالى في حِفْظِ اللسانِ؛ ليرادَفَ عليهم النهيُ والأمرُ، مع إتباعِ النهيِ ما يتضمَّنُ الوعيدَ من قصةِ موسى عليه السلام، وإتباعِ الأمرِ الوعدَ البليغِ؛ فيقوى الصارفُ عن الأذى والداعي إلى تركِه. لما قال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وعلَّقَ بالطاعةِ الفوزَ العظيمَ؛ أتبعَه قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ وهو يريدُ بالأمانةِ الطاعةَ؛ فعظَّم أمرَها وفحَمَ شأنها، وفيه وجهان: أحدهما: أنَّ هذه الأجرامَ العظامَ من السماواتِ والأرضِ والجبالِ قد انقادتُ لأمرِ الله عزَّ وعلَّا انقيادَ مثلها، وهو ما يتأتَّى من الجماداتِ، وأطاعتْ له الطاعةَ التي تصحُّ منها وتليقُ بها؛ حيثُ لم تمتنع على مشيئته وإرادتهِ إيجاباً وتكويناً وتسويةً على هيئاتٍ مختلفةٍ وأشكالٍ متنوِّعة، كما قال: ﴿قَالَتَا أَنِنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وأما الإنسانُ فلم تكن حاله فيما يصحُّ منه من الطاعاتِ ويليقُ به مِن الانقيادِ لأوامرِ الله ونواهيه، وهو حيوانٌ عاقلٌ صالحٌ للتكليفِ مثلِ حالِ تلكِ الجماداتِ فيما يصحُّ منها ويليقُ بها مِن الانقيادِ وعدمِ الامتناعِ. والمرادُ بالأمانة: الطاعة؛ لأنَّها لازمةُ الوجودِ، كما أنَّ الأمانةَ لازمةُ الأداءِ. وعَرَضُها على الجماداتِ وإبأؤها وإشفاقُها: مجاز. وأما حَمْلُ الأمانة: فمِن قولك: فلانٌ حاملٌ للأمانةِ

إلى آخره مُكْرَراً مُسْتَدْرَكاً مع إتباعِ النهيِ ما يتضمَّنُ الوعيدَ من قصةِ موسى عليه السلام، وإتباعِ الأمرِ الوعدِ. والأولُ على سبيلِ التشبيهِ لِيُتَصَوَّرَ التهديدُ من قوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهاً﴾ مِن أَنَّ المَلِكَ لا بُدَّ مِن أن يَنْتَقِمَ مَن يُريدُ نقيصةً مَن له عنده قُربةٌ ووجاهةٌ فَيُجْتَنَّبُ عن مثله، والثاني على سبيلِ الاشتقاقِ والتعليلِ فيقوى داعيةُ المأمورِ في الامتثالِ بالمأمورِ به، هذا أحسنُ من قوله: «فيقوى الصارفُ عن الأذى والداعي إلى تركِه»، والله أعلم.

وَمُحْتَمِلٌ لَهَا؛ تَرِيدُ أَنَّهُ لَا يُؤَدِّيهَا إِلَى صَاحِبِهَا حَتَّى تَزُولَ عَن ذِمَّتِهِ وَيَخْرُجَ عَن عَهْدَتِهَا؛ لِأَنَّ الْأَمَانَةَ كَأَنَّهَا رَاكِبَةٌ لِلْمُؤْتَمَنِ عَلَيْهَا وَهُوَ حَامِلُهَا، أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ: رَكِبْتَهُ الدُّيُونَ، وَلِي عَلَيْهِ حَقٌّ، فَإِذَا أَدَاها لَمْ تَبَقْ رَاكِبَةٌ لَهُ وَلَا هُوَ حَامِلًا لَهَا. وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ: لَا يَمْلِكُ مَوْلَى لِمَوْلَى نَصْرًا. يَرِيدُونَ: أَنَّهُ يَبْذُلُ لَهُ النُّصْرَةَ وَيَسَاحِجُهَا، وَلَا يُمَسِكُهَا كَمَا يُمَسِكُهَا الْخَاذِلُ، وَمِنَهُ قَوْلُ الْقَائِلِ:

أَخْوَكَ الَّذِي لَا تَمْلِكُ الْحِسَّ نَفْسُهُ وَتَرْفُضُ عِنْدَ الْمُحْفِظَاتِ الْكَتَائِفُ

أَي: لَا يُمَسِكُ الرَّقَّةَ وَالْعَطْفَ إِمْسَاكَ الْمَالِكِ الصَّنِينِ مَا فِي يَدِهِ؛ بَلْ يَبْذُلُ ذَلِكَ وَيَسْمَحُ بِهِ. وَمِنَهُ قَوْلُهُمْ: أَبْغَضُ حَقَّ أَخِيكَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَحَبَّهُ لَمْ يُخْرِجْهُ إِلَى أَخِيهِ وَلَمْ يُؤَدِّهِ، وَإِذَا أَبْغَضَهُ أَخْرَجَهُ وَأَدَاهُ، فَمَعْنَى ﴿فَأَيُّكُمْ أَن يَحْمِلَنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾: فَأَبِينِ إِلَّا أَنْ يُؤَدِّيَنَهَا، وَأَبَى الْإِنْسَانَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُحْتَمِلًا لَهَا لَا يُؤَدِّيَهَا. ثُمَّ وَصَفَهُ بِالظُّلْمِ؛ لِكَوْنِهِ تَارِكًا لِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَبِالْجَهْلِ؛ لِإِخْطَائِهِ مَا يُسْعِدُهُ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْهُ؛ وَهُوَ أَدَاؤُهَا. وَالثَّانِي: أَنْ مَا كَلَّفَهُ الْإِنْسَانُ.....

قَوْلُهُ: (قَوْلُ الْقَائِلِ - وَهُوَ الْقَطَامِيُّ -: أَخْوَكُ) الْبَيْتُ (١)، الْحِسُّ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ: حَسَّ لَه، أَي: رَفَقَ لَه. وَالْإِرْفَاضُ: تَرْشِيحُ الدَّمْعِ، وَكُلُّ مُتَفَرِّقٍ ذَاهِبٍ: مُرْفَضٌ. الْكَتَيْفَةُ: الْحِقْدُ، وَالْمُحْفِظَاتُ: الْمَغْضِبَاتُ.

يَقُولُ: أَخْوَكُ هُوَ الَّذِي إِنْ أَصَابَكَ مِنْ أَحَدٍ مَا يَسُوؤُكَ يَغْضَبُ لَكَ وَيَرِيقُ لِأَجْلِكَ وَيَذْهَبُ حِقْدُهُ، وَلَا يُمَسِكُ الرَّقَّةَ وَالْعَطْفَ، بَلْ يَبْذُلُ ذَلِكَ وَيَسْمَحُ بِهِ.

قَوْلُهُ: (وَالثَّانِي: أَنْ مَا كَلَّفَهُ الْإِنْسَانُ)، اعْلَمْ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ هُوَ: أَنَّ التَّمْثِيلَ عَلَى الْأَوَّلِ وَاقَعَ فِي هَذِهِ الْأَجْرَامِ الْعِظَامِ؛ شُبِّهَتْ حَالَةُ انْقِيَادِهَا وَأَنَّهَا لَا تَمْتَنِعُ عَنِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ إِجْبَادًا وَتَكْوِينًا وَتَسْوِيَةً بَهِيئَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بِحَالٍ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ مُنْقَادٍ لَا يَتَوَقَّفُ عَنِ الْإِمْتِثَالِ إِذَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَمْرٌ أَمْرِهِ الْمَطَاعِ كَالْأَنْبِيَاءِ وَأَفْرَادِ الْمُؤْمِنِينَ كَقَوْلِهِ: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

قَالَتَا أَيْنَا طَائِعِينَ ﴿ [فُصِّلَتْ: ١١]، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فعلى هذا التأويل: معنى ﴿قَائِلَاتٌ أَنْ يَحْمِلَنَهَا﴾ ﴿أَنَّهُمَا بَعْدَ مَا انْقَادَتِ وَأَطَاعَتِ ثَبَّتَتْ عَلَيْهَا وَأَدَّتْ مَا التَزَمْتَهَا مِنَ الْأَمَانَةِ وَخَرَجَتْ عَنْ عَهْدَيْهَا، سِوَى الْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ مَا وَفَى بِذَلِكَ وَخَاسَ بِهِ، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

وعلى الثاني: بعكس الأول؛ فإنه شَبَّهَ حالةَ الإنسانِ وهي ما كُلفَ من الطاعةِ بحالةِ مفروضةٍ لو عُرِضَتْ على السماواتِ والأرضِ والجبالِ لأبْتَحَمَلَهَا وَأَشْفَقَتْ مِنْهَا لِعِظَمِهِ وَثِقَلِ عَمَلِهِ، وَحَمَلَهُ الْإِنْسَانُ عَلَى صَعْفِهِ وَرِخَاوَةِ قُوَّتِهِ، إِنَّهُ ظَلُومٌ عَلَى نَفْسِهِ جَاهِلٌ بِأَحْوَالِهَا حَيْثُ قَبِلَ مَا لَمْ يُطِيقْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَجْرَامُ الْعِظَامُ.

وعلى هذا: قوله: ﴿وَحَمَلَهَا﴾ مجرئاً على حقيقته. والمرادُ بالأمانة: التكليفُ ومرجعُهُ الطاعة، لأنَّ المُكَلَّفَ ما يريدُ مِنْ تَكْلِيفِهِ عَلَى الْمُكَلَّفِ إِلَّا إِظْهَارَ طَاعَتِهِ، فَلِذَلِكَ صَرَّحَ فِي الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ: «المرادُ بالأمانةِ الطاعةُ لأنها لازمةُ الوجودِ» بعدَ ما قرَعَ الوجهينِ عليها حيثُ قال: «وهو يريدُ بالأمانةِ الطاعةَ»، وفيه وَجْهَانِ، والوجهُ الأولُ مِنْ قولِ الزجاجِ قال: وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْآيَةِ: أَعْلَمْنَا اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ ائْتَمَنَ بِنِي آدَمَ عَلَى مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ، وَائْتَمَنَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ، فَأَمَّا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَإِنَّهُنَّ أَطَعْنَ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١١] ولم تحتمل الأمانة، أي: أدَّتْهَا، وَكُلُّ مَنْ خَانَ الْأَمَانَةَ فَقَدْ احْتَمَلَهَا، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ أَيْمَنَ فَقَدْ احْتَمَلَ الْإِيْمَ، وَأَدَاؤُهَا طَاعَةُ اللهِ فِيهَا أَمْرٌ بِهِ<sup>(٢)</sup>.

قال الحسن: الكافرُ والمُنافقُ حملا الأمانة، أي: خانا ولم يُطِيعا<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: وَمَنْ أَطَاعَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ فَلَا يُقَالُ: كَانَ ظَلُومًا، وَتَصَدِيقُ ذَلِكَ مَا يَتْلُوهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ الآية<sup>(٤)</sup>.

(١) من قوله: «المطاع كالأنبياء وأفراد» إلى هنا، سقط من (ح).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٣٨).

(٣) انظر: «جامع البيان» للطبري (١٩: ٢٠٦).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٣٨).

بَلَّغَ مِنْ عِظْمِهِ وَثَقَلَ مَحْمَلُهُ: أَنَّهُ عُرِضَ عَلَى أَعْظَمِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرَامِ وَأَقْوَاهِ وَأَشَدَّهُ أَنْ يَتَحَمَّلَهُ وَيَسْتَقِلَّ بِهِ، فَأَبَى حَمْلَهُ وَالِاسْتِقْلَالَ بِهِ وَأَشْفَقَ مِنْهُ، وَحَمَلَهُ الْإِنْسَانُ عَلَى ضَعْفِهِ وَرَخَاوَةِ قُوَّتِهِ. ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ حَيْثُ حَمَلَ الْأَمَانَةَ ثُمَّ لَمْ يَفِ بِهَا، وَضَمَّنَهَا ثُمَّ خَاسَ بِضَمَانِهِ فِيهَا، وَنَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ كَثِيرٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَمَا جَاءَ الْقُرْآنُ إِلَّا عَلَى طَرُقِهِمْ وَأَسَالِيهِمْ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: لَوْ قِيلَ لِلشَّحْمِ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟ لِقَالَ: أَسْوَى الْعِوَجِ. وَكَمْ وَكَمْ لَهُمْ مِنْ أَمْثَالٍ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَهَائِمِ وَالْجِمَادَاتِ! وَتَصَوُّرُ

رَوَى صَاحِبُ «الْمُطَّلَعِ» عَنِ الْأَزْهَرِيِّ قَالَ: مَا عَلِمْتُ أَحَدًا فَسَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ مَا فَسَّرَهُ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

هَذَا وَالَّذِي عَلَيْهِ الْإِعْتِمَادُ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَادِرٌ بِقُدْرَتِهِ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَاتِ الْكَائِنَاتِ الْعِلْمَ وَالْحَيَاةَ وَالنُّطْقَ لِلتَّخَاطُبِ.

رَوَى مُحْيِي السَّنَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَرَضَ اللَّهُ الْأَمَانَةَ عَلَى أَعْيَانِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ. وَعَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَأَكْثَرُ السَّلَفِ فَقَالَ لَهُنَّ: أَتَحْمِلْنَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ بِمَا فِيهَا؟ قُلْنَ: وَمَا فِيهَا؟ قَالَ: إِنْ أَحْسَنْتُنَّ جَوْرِيَّتَنَّ وَإِنْ عَصَيْتُنَّ عَوْقِيَّتَنَّ، قُلْنَ: لَا يَا رَبُّ لَا نُرِيدُ ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا خَشِيَةً وَتَعْظِيمًا لِدِينِ اللَّهِ، وَكَانَ الْعَرُضُ تَخْيِيرًا لَا لِإِزْمَامًا، وَلَوْ أَلْزَمَهُنَّ لَمْ يَمْتَنِعْنَ مِنْ حَمْلِهَا، وَالْجِمَادَاتُ كُلُّهَا خَاضِعَةٌ لِلَّهِ سَاجِدَةٌ لَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتْنَا أَئِنَّا لَطَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَبَتْ اللَّهُ يَسْجُدَ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨] الْآيَةَ. قَالَ: بَعْضُهُمْ: رَكَّبَ اللَّهُ فِيهِنَّ الْعَقْلَ وَالْفَهْمَ حِينَ عَرَضَ الْأَمَانَةَ عَلَيْهِنَّ حَتَّى عَقَلْنَ الْخِطَابَ وَأَجَبْنَ بِمَا أَجَبْنَ. تَمَّ كَلَامُهُ<sup>(١)</sup>، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ خَاسَ بِضَمَانِهِ)، الْأَسَاسُ: خَاسَ بَعْدَهُ وَبِوَعْدِهِ: إِذَا نَكَّتْ وَأَخْلَفَ، وَخَاسَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ:

فِيَا رَبِّ إِنْ خَاسَتْ بِمَا كَانَ بَيْنَنَا      مِنْ الْوَدِّ فَابْعَثْ لِي بِمَا فَعَلْتَ صَبْرًا<sup>(٢)</sup>

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٣٨٠).

(٢) هو في زيادات «ديوان ابن الدُّمَيْنَةِ»، ص ٢٠١، نقلًا عن «أساس البلاغة» للزُّعْمَرِيِّ.

مُقاوَلَةِ الشَّحْمِ مُحَالٌ، وَلَكِنَّ الغَرَضَ أَنَّ السَّمْنَ فِي الحَيوانِ مِمَّا يُحَسِّنُ قَبِيحَهُ، كَمَا أَنَّ العَجْفَ مِمَّا يُقَبِّحُ حَسَنَهُ، فَصُورَ أَثَرُ السَّمَنِ فِيهِ تَصَوُّيراً هُوَ أَوْقَعُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ؛ وَهِيَ بِهِ أَنَسٌ، وَلَهُ أَقْبَلُ، وَعَلَى حَقِيقَتِهِ أَوْقَفٌ. وَكَذَلِكَ تَصَوُّيرُ عِظَمِ الأمانَةِ وَصُعوبَةِ أَمْرِهَا وَثِقَلِ مَحْمَلِهَا وَالوفاءِ بِهَا. فَإِنَّ قُلْتَ: قَدْ عَلِمَ وَجْهَ التَّمثِيلِ فِي قَوْلِهِمُ الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ: أَرَأَيْكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وَتَوَخَّرُ أُخْرَى؛ لِأَنَّهُ مُثَلَّتْ حَالُهُ فِي تَمَثُّلِهِ وَتَرْجُّحِهِ بَيْنَ الرَّأْيَيْنِ، وَتَرْكِهُ المُضِيِّ عَلَى أَحَدِهِمَا بِحَالٍ مَنْ يتردَّدُ فِي ذهابِهِ فَلَا يَجْمَعُ رِجْلَيْهِ لِلْمُضِيِّ فِي وَجْهِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ المُمَثَّلِ وَالْمُمَثَّلِ بِهِ شَيْءٌ مُسْتَقِيمٌ دَاخِلٌ تَحْتَ الصَّحَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَا فِي هَذِهِ الآيَةِ؛ فَإِنَّ عَرَضَ الأمانَةِ عَلَى الجهادِ وَإِباءَهُ وَإِشْفاقَهُ مُحالٌ فِي نَفْسِهِ، غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ، فَكَيْفَ صَحَّ بِنَاءُ التَّمثِيلِ عَلَى المُحَالِ؟ وَمَا مِثَالُ هَذَا إِلَّا أَنْ تُشَبَّهَ شَيْئاً وَالْمِشْبَهُ بِهِ غَيْرُ مَعْقُولٍ. قُلْتَ: المُمَثَّلُ بِهِ فِي الآيَةِ، وَفِي قَوْلِهِمُ: لَوْ قِيلَ لِلشَّحْمِ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟ وَفِي نَظائِرِهِ: مَفْرُوضٌ، وَالْمَفْرُوضَاتُ تُتَخَيَّلُ فِي الذَّهْنِ كَمَا المُحَقَّقَاتُ؛ مُثَلَّتْ حَالُ التَّكْلِيفِ فِي صُعُوبَتِهِ وَثِقَلِ مَحْمَلِهِ بِحَالِهِ الْمَفْرُوضَةِ لَوْ عَرَضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبِينِ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَسْفَقْنَ مِنْهَا. وَاللَّامُ فِي ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ لَامُ التَّعْلِيلِ عَلَى طَرِيقِ المِجَازِ؛

قَوْلُهُ: (وَتَرْجُّحِهِ بَيْنَ الرَّأْيَيْنِ)، الأَسَاسُ: تَرْجَّحَ فِي القَوْلِ: تَمَيَّلَ فِيهِ، وَتَرْجَّحَتِ الأَرْجوحَةُ، وَرَجَّحَ أَحَدُ قَوْلَيْهِ عَلَى الأَخرِ.

قَوْلُهُ: (وَاللَّامُ فِي ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ لَامُ التَّعْلِيلِ عَلَى طَرِيقِ المِجَازِ)، يَعْنِي: عَلَّلَ بِقَوْلِهِ: ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ قَوْلُهُ: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ نَتِيجَةُ الخِيانَةِ وَإِلَيْهِ مَأَلُ الحَمَلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القَصصُ: ٨]، وَلِما كانَ كَرَامَةُ العَدُوِّ غَيْظَ العَدُوِّ وَمَوْجِبَ سَهاتِهِ وَكانتِ التَّوْبَةُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِرْغاماً لِلْكَافِرِينَ، عَطَفَ ﴿وَيَتُوبَ﴾ عَلَى ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ لِيَجْمَعَ لَهُمُ بَيْنَ العَذابَيْنِ، وَإِلَيْهِ الإِشارةُ بِقَوْلِهِ: «إِذا تَيَّبَ عَلَى الوَافِي كانَ نوعاً مِنَ عذابِ الغادِرِ».

هذا التكلف<sup>(١)</sup> إنما لزمه لأنه فسّر الإنسان بالكافر، وجعل التعليل للحمل بدليل قوله: «لِيُعَذِّبَ اللَّهُ حَامِلَ الْأَمَانَةِ، وَيَتُوبَ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَحْمِلْهَا» حيث أوقع حامل الأمانة موقع المنافقين والمنافقات، وأوقع «على غيره ممن لم يحملها» موقع «على المؤمنين»، ولو حمل التعليل على عرض الأمانة - كما روى محيي السنة عن ابن قتيبة: عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله، ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه، أي: يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منهم تقصير في بعض الطاعات<sup>(٢)</sup> - وحمل الإنسان على الجنس كما نقلنا عن الزجاج: أن الله ائتمن آدم وأولاده على ما افترضه عليهم من طاعته إلى آخره، كان له مندوحة عن ذلك، وجرت الكلمات الأربع أعني: اللام والحمل والإنسان والتوبة على ظواهرها. ولعله احتزر أن يعلل بإرادة العذاب.

أو نقول - وبالله التوفيق -: إن الله تعالى خلق الخلق ليكون مظاهر أسائه الحسنى وصفاته العلى؛ فحامل معنى الكبرياء والعظمة: السماوات والأرض والجبال من حيث كونها عاجزة عن حمل سائر الأمانات لعدم استعدادها وقبولها، ولذلك أئتمن أن يحملها وأشفق منها ولعظمتها عن أقدارها، وحملها الإنسان لقوة استعداده واقتداره لكونه ظلوماً جهولاً، فاخصص لذلك من بين سائر المخلوقات بقبول تجلي القهارية والتوايية والمغفرة، وشاركها بقبول تجلي الرحمة، وله النصيب الأوفر منها لقوة استعداده واقتداره.

قال السجاوندي: إن الله في الأنبياء والأصفياء ترائك وبدائع من خصائص الإنسانية تحصل بالسّهو وتذهب بالعبر. ذكره في «سورة الرعد». وينصره ما روينا في «مسند الإمام أحمد بن حنبل» عن أبي هريرة: قلنا: يا رسول الله، إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقتك أعجبنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد قال: «لو أنكم تكونون على حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصاغتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم،

(١) في (ط): «التكليف»، وليس بصواب.

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٣٨٢).

لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة، كما أن التأديب في: «ضربته للتأديب» نتيجة الضرب. وقرأ الأعمش: (ويتوب)؛ ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل، ويتدى: (ويتوب الله). ومعنى قراءة العامة: ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها؛ لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر. والله أعلم.

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه، أعطي الأمان من عذاب القبر».

ولو لم تُذنبوا لجاه الله بقوم يُذنبون كي يغفر لهم<sup>(١)</sup>. وروى الفصل الأخير عن أبي أيوب الأنصاري<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام: ﴿إِنَّهٗ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي: كان من شأنه الظلم والجهل، فلما أودع الله الأمانة فيهم ترك بعضهم الظلم والجهل وفاء بما التزمه، وبقي بعضهم على ما كان فيه فخاص فيه<sup>(٣)</sup>. والله تعالى أعلم.



(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٨٠٤٣)، والترمذي (٢٥٢٦)، وصححه ابن جبان (٧٣٨٧) وفيه تمامٌ تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧: ٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩٩٢).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٨٨: ٢٥).

## سورة سبأ مكية أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْخَبِيرُ \* يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ  
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿١ - ٢﴾]

ما في السماوات والأرض كله نعمة من الله، .....

## سورة سبأ مكية، وهي أربع وخمسون آية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (ما في السماوات والأرض كله نعمة من الله تعالى)، وذلك لأنه مسارح أنظار  
المتفكرين، ومهابط أنوار رب العالمين، ومنها مقامات عروج العارفين، فحق لذلك أن  
يُحْمَدَ وَيُسَبَّحَ عَلَيْهِ.

وحين ذكر الله سبحانه وتعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وَصَفَ ذَاتَهُ بأنه مالك هذه النعمة  
الجسيمة وأنها منه، علمنا أنه المحمود على نعم الدنيا، ولما قرن به ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾

(١) في (ط): «خمس وخمسون آية»، وهو موافق لعدّ الشاميين، أما الأول فموافق لعدّ غيرهم. انظر:

«البيان في عدّ آي القرآن» للداني ص ٢٠٩.



وهو مُطلق لم يُعَلِّمْ أَنَّ ذلك الحمدَ لأيِّ شيءٍ هو لِمَا فيه من نعوتِ الكَمالِ أو لِمَا أَنَّ منه النعمةَ والإفضالَ، فقَيَّدَ بالنعمةِ لدلالةِ القرينةِ الأولى عليها، وآل المعنى إلى أنه المحمودُ على النعمةِ الدنيويةِ والمحمودُ على النعمةِ الأخرويةِ.

قال القاضي: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خَلَقًا وَنِعْمَةً، فله الحمدُ في الدنيا لكَمالِ قدرتهِ وعلى تمامِ نعمتهِ، وله الحمدُ في الآخرةِ لأنَّ ما في الآخرةِ أيضًا كذلك، وليس هذا من عَطْفِ الْمُقَيَّدِ عَلَى الْمُطْلَقِ، فَإِنَّ الوصفَ بها يدلُّ على أنه المُنْعِمُ بالنعمِ الدُّنيويةِ قَيَّدَ الحمدَ بها، وتقديمُ الصلوةِ<sup>(١)</sup> للاختصاصِ، فَإِنَّ النعمَ الدُّنيويةَ قد تكونُ بوساطةِ مَنْ يستحقُّ الحمدَ لأجلها ولا كذلك نِعَمُ الآخرةِ<sup>(٢)</sup>.

وقلت: لعلَّه أرادَ بالمُقَيَّدِ الحمدَ الثاني لأنه مُقَيَّدٌ بقوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، والأولُ مُطلقٌ حيثُ لم يُذكرْ معه «في الدنيا»، لكنَّ المصنِّفَ قَيَّدَهُ بِحَسَبِ المُقابِلةِ والعَطْفِ على نحوِ قول الشاعر:

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نَفْسَهُمْ وَمَقْتَلُهُمْ عِنْدَ الْوَعْيِ كَانَ أَعْدَرًا<sup>(٣)</sup>

أي: يقتلون نفوسهم في السَّلْمِ بقرينةِ الوعى، بل قَيَّدَهُ بآتهِ في الدنيا لأنَّ قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يدلُّ على ذلك لقوله: «ثُمَّ وَصَفَ ذَاتَهُ بِالْإِنْعَامِ بِجَمِيعِ النعمِ الدُّنيويةِ»، وهذا عَيَّنَ ما ذكره القاضي، ولعله عَرَّضَ بغيرِ المُصنِّفِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنْ كُلاَ مِنَ الْحَمْدَيْنِ مُقَيَّدٌ وَمُطْلَقٌ بِحَسَبِ التَّقَابُلِ، فالأولُ مُقَيَّدٌ بما يُنبئُ عن التعليلِ وَتَرْتِيبِ الحُكْمِ على الوصفِ. والثاني مُطلقٌ منه، والثاني مُقَيَّدٌ بِكُونِهِ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، والأولُ مُطلقٌ منه.

وأما إطلاقُ الأولِ فليقلَّةُ مبالاةِ بالدنيا وتحقيرِ شأنها، وإطلاقُ الثاني للإيذانِ بِفَخَامَةِ شأنهِ وآتهِ مما لا يدخلُ تحتِ الوصفِ من الإفضالِ والإكرامِ وغيرِ ذلك.

(١) في النسخة «ط»: «الصفحة»، وهو على الجادةِ في «أنوار التنزيل».

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٤١).

(٣) البيت لعروة بن الورد في «ديوانه» ص ٢٢٦، ولتِهام الفاتدة انظر: «الصناعتين» للعسكري ص ١٨٨.

وهو الحقيق بأن يُحمدَ ويثنى عليه من أجله، ولَمَّا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثُمَّ وَصَفَ ذَاتَهُ بِالْإِنْعَامِ بِجَمِيعِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، كَانَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى نِعَمِ الدُّنْيَا، كَمَا تَقُولُ: أَحْمَدُ أَخَاكَ الَّذِي كَسَاكَ وَهَمَلَكَ، تَرِيدُ: أَحْمَدُهُ عَلَى كَسْوَتِهِ وَهَمَلَاتِهِ. وَلَمَّا قَالَ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ عَلِمَ أَنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى نِعَمِ الْآخِرَةِ وَهِيَ الثَّوَابُ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدَيْنِ؟ قُلْتُ: أَمَّا الْحَمْدُ فِي الدُّنْيَا فَوَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ مُتَفَضِّلٍ بِهَا، وَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى تَحْصِيلِ نِعْمَةِ الْآخِرَةِ وَهِيَ الثَّوَابُ. وَأَمَّا الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ؛ لِأَنَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ وَاجِبَةِ الْإِيصَالِ إِلَى مُسْتَحَقِّهَا، .....

قوله: (بجميع النعم الدنيوية)، تأويل لقوله: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لأنه عبارة عن العالم، كما قال المصنف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]: «لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسما والارض»<sup>(١)</sup>.

قوله: (وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب، لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها)، محض التقليد. ويردّه ما رويناه عن البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة وجابر قالا: قال رسول الله ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى لأبي هريرة: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

الانتصاف: الحق في الفرق بين الحمدتين: أن الأول عبادة تُكَلِّفُ بها، والثاني لا تكليف إنما هو في الآخرة كالأمور الجليلية في الدنيا، كما جاء: «يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ»<sup>(٤)</sup>، وإلا فكلا النعمتين فضل<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: «تفسير الكشاف» (٤: ١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه من حديث جابر الإمام مسلم (٢٨١٧).

(٣) وهي ثابتة عند مسلم (٢٨١٦) وابن حبان (٣٤٨) وغيرهما.

(٤) هو جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٧٦٩) والدارمي (٢٨٦٩) ومسلم (٢٨٣٥)

من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٦٦).

وإنها هو تتمّة سرور المؤمنين، وتكملة اغتباطهم: يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته، ﴿الْحَبِيرُ﴾ بكل كائن يكون.

ثم ذكر مما يحيط به علماً ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من العيث، كقوله: ﴿فَسَلَكُهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]، ومن الكنوز والدفائن والأموات، وجميع ما هي له كيفات، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الشجر والنبات، وماء العيون، والفيلز والدواب، وغير ذلك. ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأزراق

وقيل: إن قوله: «لأنه نعمة واجبة الإيصال» ليس على إطلاقه عندهم أيضاً، لأن ما يعطي الله العباد في الآخرة ليس مقصوراً على الجزاء عندهم بل بعض ذلك تفضل وبعضه أجر.

قوله: (تتمّة سرور)، أي: يحمّدونه سروراً به لا تعبداً فهو تميم للسرور، لأن من حصل في نعيم بعد مقاساة الشدة والتعب لا يخلو حاله من تذكّر تلك المقاساة، وإذا أخطره بياله ورأى ما عليه من الكرامة والنعيم يزيد سروره وابتهاجه، فقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤] إشارة إلى هذا المقام. ثم إذا ذكر أن ذلك النعيم وتلك الكرامة دائمة على وجه التعظيم وليس كنعيم الدنيا في أنه في شك الزوال وسرعة الانفصال بل جلّها مشوب بالاستدراج يزيد ذلك السرور والاعتباط، وقوله: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] ناظر إلى هذا المطلوب.

قوله: (العطاش بالماء البارد)، الجوهري: العطاش: داء يصيب الإنسان يشرب الماء لا يروى.

قوله: (ما هي له كيفات)، الجوهري: كفت الشيء أكفته كفتاً: إذا ضمته إلى نفسك والكفات: الموضع الذي يكفت فيه شيء أي: يضم<sup>(١)</sup>.

(١) قوله: «أي: يضم»: سقط من النسختين: «ف» و«ح». وهو على الجادة في «الصحاح».

والملائكة، وأنواع البركاتِ والمقادير، كما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا تَوَعَّدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]. ﴿وَمَا يَعْزُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وأعمالِ العباد. ﴿وَهُوَ﴾ مع كثرةِ نِعَمِهِ، وسبوغِ فضله ﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ للمفْرطينَ في أداءِ مواجِبِ شُكْرِهَا. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه: (نزل)، بالنونِ والتشديد.

[﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمِ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مُثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي﴾

قوله: ﴿﴿وَهُوَ﴾ مع كثرةِ نِعَمِهِ﴾، يعني قوله ﴿﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ تسميماً لمعنى ما يستلزمه قوله: ﴿﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى آخره من الامتنانِ بمُوجبِ الحمدِ من فضائلِهِ المُتكَاثرةِ ومن التفریطِ فيما أوجبَ عليهم من الشُّكْرِ على تلك النعمةِ الجسيمةِ. أي: نَبَهُ بهذا الإعلامِ على هُذَيْنِ المعنَيْنِ، ثُمَّ عقبَهُ بهُذَيْنِ الوصفَيْنِ تسميماً للمقصودِ، يعني: أن الله مع ما أولاهم تلك النعمَ وشهدَ منهم ذلك التقصيرَ يزيدُ في تلك النعمِ ويغفرُ لهم ذلك التفریطِ.

فإن قُلْتُ: أليس من الظاهرِ أن يفصلَ الآيةَ الأولى بقوله ﴿﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ لما اشتملتَ على إيجابِ الحمدِ على نعمةِ الدارينِ ليرحمهم ويغفرَ لهم ما<sup>(١)</sup> أن عسى أن قرطوا فيه. والآيةَ الثانيةَ بقوله ﴿﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ لمُناسبةِ العلمِ الحكمةَ والخبرةَ؟

قلت: بلى ولكنْ حوَلَفَ ليتكاثَرَ المعنى ويحصلَ التسميُّمُ والتكميلُ، فدلَّ انضمامُ الأولى بفواصلِها الدالةِ على نوعِ من العلمِ على معنى التكميلِ، وأن الله تعالى كما أنه مُنعمٌ في الدارينِ كذا يُحكِمُ أمورَهما على وجهِ قوِيٍّ رَصِينٍ ويعلمُ ما يصدرُ عن العبادِ من تفاصيلِ الحمدَيْنِ ليَجْزِيَهُمَ بها على وجهِ الكمالِ والتمامِ، وانضمامُ الثانيةِ بفواصلِها آذَنٌ بالتسميِّمِ الذي أشرنا إليه ولو أُجْرِيَا على الظاهرِ لفاتَ أكثرُ تلك الفوائدِ. والله أعلمُ بأسرارِ كلامِهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) سقط لفظ «ما» من النسخة (ط).

(٢) من قوله: «يعني: أن الله مع ما أولاهم تلك النعم» إلى هنا سقط من (ف).

كَتَبَ مُبِينٌ \* لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣-٤﴾

قولهم: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾: نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة. أو استبطاء لما وُعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية، كقولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [يونس: ٤٨]. أوجب ما بعد النفي بـ ﴿بَلَى﴾ على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل، ثم أمد التوكيد القسَمي إمداداً بما أتبع المقسم به من الوصف بما وُصف به، إلى قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾؛ لأنَّ عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه، وشدة ثباته واستقامته؛ لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر، وكلما كان المستشهد أعلى كعباً، وأبين فضلاً، وأزفع منزلة، كانت الشهادة أقوى وأكد، والمستشهد عليه أثبت وأزسخ. فإن قلت: هل للوصف الذي وُصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى؟ قلت: نعم، وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب، وأدخلها في الخفية، وأولها مسارعة إلى

قوله: (ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين)، قال صاحب «الفرائد»: اقتضى المقام اليمين. لأنَّ من أنكر ما قيل له، فالذي وجب أن يقال بعد ذلك إذا أريد إعادة القول أن يكون مقترناً باليمين، وإلا كان خطأ بالنظر إلى علم المعاني وإن كان صحيحاً بالنظر إلى العربية والنحو، وما ذكر من أن عظمة المقسم به تؤذن بعظمة الحال المقسم عليه مستقيم. فلو وُصف بغير هذا الوصف مما يقتضي العظمة كان كذلك، وأما الوصف المذكور، فلأن إنكارهم البعث باعتبار أن الأجزاء المتفرقة المُنشِرة يمتنع اجتماعها كما كان يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤] فالوصف بهذه الأوصاف رد لزعومهم واستحالتهم؛ وهو أن من كان علمه بهذه المثابة كيف يمتنع ذلك منه؟ ثمَّ كلامه وقد أحسن وأجاد رحمه الله.

قوله: (نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب)، إلى آخره، قال صاحب «الفرائد»: لا شك أنه لزم منه أن يكون عالماً بوقت قيام الساعة لأنَّ من لا يعزُب عن

القلب إذا قيل: ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ﴾، فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة، وأنه كائن لا محالة، ثم وُصِفَ بما يرجع إلى عِلْمِ الْغَيْبِ، وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات، واندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة - فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئاً واضحاً. فإن قلت: الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه، فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأتيان، وأقسم عليهم جهْدَ الْقَسَمِ، فِيمَنْ مَن هُوَ فِي مَعْتَقِدِهِمْ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ كَذِباً، كَيْفَ تَكُونُ مُصَحَّحَةً لِمَا أَنْكَرُوهُ؟ قلتُ: هذا لو اقتصر على اليمين ولم يُتْبِعْهَا الْحِجَّةَ الْقَاطِعَةَ.....

عِلْمِهِ شَيْءٌ لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ. وأما الاختصاص الذي ذكر فلزومه عن ذلك ممنوع.

وقلت: دل على الاختصاص قولهم: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ فإنه إنكار لما هو العُمْدَةُ فِي الْإِتْيَانِ بِهَا مِنَ الْعِلْمِ بِالْكُلِّيَّاتِ وَالْجُزْئِيَّاتِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْمَقْدُورَاتِ، فلما أُجِيبَ بـ ﴿بَلَى﴾ ضُمِّنَ إِثْبَاتُ مَا نَفَوْهُمَا، فَخُصَّ بِأَحَدِي الْعُمْدَتَيْنِ لِاخْتِصَاصِهَا بِالْتَهْدِيدِ وَالْوَعْدِ لِلْمُكْذَبِ. وَعَمَّ (١) لِيَدْخُلَ فِيهِ مَا أُرِيدُ إِثْبَاتَهُ أَوَّلَ شَيْءٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله: (هذا لو اقتصر على اليمين ولم يُتْبِعْهَا الْحِجَّةَ الْقَاطِعَةَ)، قال صاحب «الفرائد»: كلامه مشعر بأن اليمين لم تكن مُصَحَّحَةً، فوجودها وعدمها سواء في التصحيح، والتصحيح إنما يكون بالحجَّة القاطعة بعدها، فلزم أن لا فائدة في اليمين هاهنا، وهذا مما لا سبيل إليه، وقد مرَّ أن إعادة ما قبل الإنكار لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَقْتَرِنًا بِالْقَسَمِ وَإِلَّا كَانَ خَطَأً بِحَسَبِ عِلْمِ الْمَعَانِي، فلما أوجبت الحكمة الإعادة وجب اقترانها بالقسم سواء كان القسم مُصَحَّحًا لِمَا أَنْكَرُوهُ أَوْ غَيْرَ مُصَحَّحٍ.

وقلت: والعجب من هذين الفاضلين كيف ذهبا عن جدوى هذه اليمين وجليل عايدتها في هذا المقام! فإنهم جرَّبوه ﷺ ولم يُشَاهِدُوا مِنْهُ إِلَّا الْحَقَّ وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ غَيْرَ الصِّدْقِ، وَلِهَذَا سَمَّوْهُ بِالْأَمِينِ، وَمَا كَانَ تَكْذِيبُهُمْ إِلَّا عَنْ عِنَادٍ وَمُكَابَرَةٍ وَحَسَدٍ. يدلُّ عليه

(١) في النسخة «ف»: «وزعم»، وهو خطأ.

ما أورد في «الأنعام» عند قوله: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِقَائِلَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] عن أبي جهل: والله إن محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قُصيَّ باللواء، إلى آخره<sup>(١)</sup>، وفي «حم» عند قوله: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] عن عتبة بن ربيعة: وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب قط<sup>(٢)</sup>، إلى غير ذلك، فأتى أولاً بالنص القاطع المؤيد بالقسم المُقترِن بالوصف المُناسب، وعقبه بالبرهان الساطع ليكون تقريراً بعد تقرير. وإنك إذا أمعنت النظر وجدت جُلَّ الإقسام التنزيلي غير مُقترِن بشيء من الحجّة فكان ذكر الحجّة هاهنا كالتميم للنص والمتفرع عليه لا الأصل، وإنما اقتضى هذا التوكيد - وهو إتيان ﴿بَلَى﴾ وإعادة قوله ﴿لَأَتَيْنَنَّكُمْ﴾ ثم الإقسام عليه، ثم إتياعه بالوصف المُناسب ثم انضمام البرهان مع ذلك - أنه تعالى افتتح هذه السورة الكريمة بذكر الحمدَيْن الجامعَيْن لأمر الدارين، فأوجب التكليف لعلّه كونه مالكا لما في السماوات وما في الأرض، ورَتَّبَ عليه الحمد في الآخرة على نعمة الثواب، فأذن بأن القصد في خلق السماوات والأرض ليس إلا المعرفة والعبادة، ثم جزاء المحسن العارف العابد وعقاب المُسيء المعاند كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ولهذا استبعد استبعاد مَنْ يكفرُ بذلك حيث عطف ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ على ما قبله، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ لَوْلَا أَتَانَا السَّاعَةُ لَأِذَا نَا بِقُصُورِ فَهْمِهِمْ عَنِ إدْرَاكِ النَّصِّ الْقَاطِعِ، وَيَنْصُرُهُ قَوْلُ الإِمَامِ:

وعندي أن الدليل المذكور في قوله: ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ أظهر، وذلك

(١) انظر: «الكشاف» (٦: ٧٢)، ولتنام الفائدة انظر: «تفسير ابن كثير» (٣: ٢٥٢).

(٢) انظر: «الكشاف» (١٣: ٥٨٥).

البيّنة الساطعة، وهي قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾، فقد وَضَعَ اللهُ في العقول، وركَّبَ في الغرائز وجوب الجزاء، وأنَّ المحسِنَ لا بدَّ له من ثواب، والمسيءَ لا بدَّ له من عقاب. وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متصلٌ بقوله: ﴿لِيَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تعليلاً له. قرئ: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالياء والياء. ووجهٌ من قرأ بالياء: أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم. أو يُسند إلى ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ﴾، أي: ليأتينكم أمره، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وقال: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرَ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٢٣]. وقرئ: ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ﴾ و(علام الغيب): بالجرّ، صفةٌ لـ «ربي». و(عالم الغيب)، و(عالم الغيوب):

أنه إذا كان عالمًا بجميع الأشياء يعلم أجزاء الأجسام ويقدر على جمعها فالساعة ممكنة القيام، والصادق قد أخبر عنه فتكون واقعة، والله أعلم.

قوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالياء والياء)، بالياء الفوقانية: العامة، وبالياء: شاذة. قال ابن جنّي: روى هارون عن طليق قال: سمعتُ أشياخنا يقرؤون: «ليأتينكم» بالياء<sup>(١)</sup>. وجزاء التذكير بعد قوله: ﴿لَا تَأْتِيْنَا السَّاعَةُ﴾ لأنَّ المخوف منها إنما هو عقابها والمأمول ثوابها، فغلبَ التذكير الذي هو مزجوجٌ ومخوفٌ فذكر، فإذا جاز تأنيث المُذَكَّرِ بالتأويل كان تذكير المؤنث لغلبة التذكير أخرى. قال تعالى: ﴿يَلْبَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] لأن بعضها سيارة أيضًا، وقالوا: ذهبَت أصابعه لأن بعضها أصبع في المعنى<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وَقُرِئَ: ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ﴾)، حمزة والكسائي: «عَلَامِ الْغَيْبِ» بالألف بعد اللام، وخفض الميم على وزنِ فَعَالٍ<sup>(٣)</sup>. والباقون: «عالم» بالألف بعد العين على وزنِ «فاعل»، ورفع الميم نافع وابن عامر، وخفضها الباؤون<sup>(٤)</sup>.

(١) وذكرها ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ١٢١. ووقع عنده: «طَلَق».

(٢) «المحتسب» (٢: ١٨٦).

(٣) وهو أبلغ في المدح. وحجَّتْهم قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَدِّي بَقْدُفٍ بِالْحَقِّ عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨]. انظر: «حجة القراءات» ص ٥٨١.

(٤) لتمام الفائدة انظر: «حجة القراءات» ص ٥٨١-٥٨٢.



بالرَّفْع، على المدح. و﴿لَا يَعْزُبُ﴾: بالضمِّ والكسْرِ في الزَّاي، من العُزُوبِ وهو البُعْد. يقال: رَوَّضَ عَزِيبٌ: بعيدٌ من الناس. ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ مقدارُ أصغرِ نَمْلَةٍ. ﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ إلى ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾. وقرئ: ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾: بالرَّفْعِ على أصلِ الابتداء، وبالفتحِ على نفيِ الجنس، كقولك: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، بالرَّفْعِ والنَّصْبِ، وهو كَلَامٌ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ. فإن قلت: هل يصحُّ عَطْفُ المرفوعِ على ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، كأنه قيل: لا يعزُبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ وأصغرُ وأكبرُ، زيادةً لتأكيدِ النفي، وعطفُ المفتوحِ على ﴿ذَرَّةٍ﴾ بأنه فتحٌ في موضعِ الجرِّ لا متناعِ الضرفِ، كأنه

قوله: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ بالضمِّ والكسْرِ، الكسائيُّ هنا وفي «يونس»<sup>(١)</sup>: بالكسْرِ، والباقون: بالضمِّ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وقرئ) ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾، وهي مشهورة، والفتحُ شاذةٌ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وبالفتحِ على نفيِ الجنس)، وفيه إشكالٌ، لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ مُضَارِعٌ للمضايِفِ، نَحْوُ: لا خَيْرًا منه. فلو كان «لا» لنفيِ الجنسِ لوجبَ فيه النَّصْبُ كما نصَّ عليه في «المفصل»<sup>(٤)</sup>: لا خَيْرًا منه قائمٌ هنا، ويُمكنُ آتِه وضعُ الفتحِ موضعَ النَّصْبِ على الكوفيِّ، كما وضعَ النَّصْبُ موضعَ الفتحِ في قوله: «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» بالرَّفْعِ والنَّصْبِ.

قوله: (وهو كَلَامٌ مُنْقَطِعٌ عما قبله)، قال القاضي: هو جُمْلَةٌ مؤكدةٌ لنفيِ العزوبِ، ورَفَعُهُ بالابتداء، ويُؤيِّده القراءةُ بالفتحِ على نفيِ الجنسِ<sup>(٥)</sup>.

قوله: (هل يصحُّ عَطْفُ المرفوعِ على ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾)، إلى قوله: (عطفُ المفتوحِ على

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١].

(٢) وهما لغتان فيها مثل: عكفَ يعكفُ ويعكفُ.

(٣) ومن قرأها: الأعمشُ وقتادة. انظر: «مختصر شواذ القرآن» ص ١٢١.

(٤) «المفصل» للزخشي ص ١٠٤.

(٥) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٤١).

قيل: لا يعزُبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ ولا مثقالُ أصغرٍ من ذلك ولا أكبر؟ قلت: يَأبَى ذلك حرفُ الاستثناء، إلا إذا جعلت الضميرَ في ﴿عَنَّهُ﴾ للغيب، وجعلت ﴿الغَيْبِ﴾ اسماً للخفِيَّاتِ قبل أن تُكْتَبَ في اللُّوحِ؛ لأنَّ إثباتها في اللُّوحِ نوعٌ من البروزِ عن الحجاب، على معنى: أنه لا ينفصلُ عن الغَيْبِ شيءٌ، ولا يزلُّ عنه إلا مسطوراً في اللُّوحِ.

[ ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴾ ] ٥

وَقُرَى: (معجزين). و﴿أَلِيمٌ﴾: بالرفع والجر. وعن قتادة: الرّجز: سوء العذاب.

﴿ ذَرَّةٌ ﴾؟) وقد قال بها أبو البقاء<sup>(١)</sup>.

قوله: (يَأبَى ذلك حَرْفُ الاستثناء)، لأنَّ الاستثناءَ حينئذٍ مُنْقَطِعٌ، فيكونُ التقديرُ: لا يعزُبُ عن عالمِ الغيبِ مثقالُ ذرَّةٍ ولا أصغرُ من مثقالِ ذرَّةٍ ولا أكبرُ منه، لكن ما في كتابِ مُبِينٍ يعزُبُ عنه. وإذا جعلت الضميرَ للغيبِ بصيرُ المعنى: ولا يعزُبُ، أي: لا ينفصلُ عن الغيبِ، أي: الخَفِيَّاتِ، مثقالُ ذرَّةٍ، ولا أصغرُ منه ولا أكبر، لكن في كتابِ مُبِينٍ يَعزُبُ عنه، لأنَّ ما في اللوحِ خارجٌ من الغَيْبِ لِمَا يَطَّلِعُ فِيهِ الملائكةُ المُقَرَّبُونَ.

والمعنى على هذا: أنَّ ما أظهره من علومه التي تنفذ<sup>(٢)</sup> الأبحرُ دونَ نفاذِها بالنسبةِ إلى ما أخفاه كالقَطْرَةِ بالنسبةِ إلى الأبحرِ السبعة.

قوله: (وَقُرَى: «مُعْجِزِينَ»)، بالتشديد: ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو، والباقون: «مُعْجِزِينَ» بالألفِ. و«أَلِيمٌ» بالرفع: ابنُ كثيرٍ وحَفْصٌ، والباقونُ بالجر<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: «معجزين» بمعنى: مسابقين، ومُعْجِزِينَ: أتهمُ يُعْجِزُونَ مَنْ آمَنَ بِهَا ويكونُ بمعنى: مُتَّبِعِينَ<sup>(٤)</sup>.

(١) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٦٢).

(٢) في النسخة «ط»: لا تنفذ.

(٣) لتسام الفائدة انظر: «حجة القراءات» ص ٥٨٢.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤٠).

[ ﴿ وَبَرَى الَّذِينَ أَوْفُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [٦]

﴿ وَبَرَى ﴾: في موضع الرفع، أي: وَيَعْلَمُ أولو العلم، يعني أصحاب رسول الله ﷺ، ومن يبطأ أعقابهم من أمته. أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا، مثل كعب الأحمار، وعبد الله ابن سلام رضي الله عنهما. ﴿ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ ... الْحَقُّ ﴾: هما مفعولان لـ «يرى»، و﴿ هُوَ ﴾ فُضِّلَ. وَمَنْ قرأ بالرفع جعل «هو» مبتدأ و«الْحَقُّ» خبراً، والجملة في موضع المفعول الثاني. وقيل: «بَرَى»: في موضع النصب، معطوف على ﴿ لِيَجْزِيَ ﴾، أي: وَلِيَعْلَمَ أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علماً لا يُزَادُ عليه في الإيقان، ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا. ويجوز أن يُريد: وليعلم مَنْ لم يؤمن من الأخبار أنه الحق فيزدادوا حسرةً وغماً.

قوله: ﴿ وَبَرَى ﴾ في موضع الرفع، أي: ابتداءً كلام.

قوله: (وَمَنْ يبطأ أعقابهم)، النهاية: في حديث عمار: «أَنَّ رجلاً وشى به إلى عُمَرَ رضي الله عنه فقال: اللهم إِنْ كَانَ كَذِبَ فَاجْعَلْهُ مُوطَأَ الْعَقَبِ»<sup>(١)</sup> أي: كثير الأتباع، دَعَا عليه أَنْ يَكُونَ سُلْطَانًا أَوْ ذَا مَالٍ فَيَتَّبِعُهُ النَّاسُ وَيَمْشُونَ وِرَاءَهُ فَيَقَعُ فِي التَّبِعَةِ.

قوله: (ويجوزُ أَنْ يُريدَ: وليعلم مَنْ لم يؤمن)، عَطَفَ على قَوْلِهِ: «وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة»، هَذَا الْوَجْهَانِ مَبْنِيَانِ عَلَى أَنَّ ﴿ بَرَى ﴾ في موضع النصب، كما بنى على القولِ الْأَوَّلِ الْوَجْهَيْنِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ ﴿ الْحَقُّ ﴾ مفعولاً ثانياً، على قراءة النَّصْبِ، وَالضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ لِلْفَصْلِ، وَعَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ الْجُمْلَةُ سَادَّةٌ مَسَدَّةٌ الْمَفْعُولِ الثَّانِي، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: فَاعِلُ «يهدي» ضَمِيرٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرَ اسْمِ اللَّهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى مَوْضِعِ الْحَقِّ فَتَكُونَ «أَنْ» مَحذُوفَةٌ، فَيَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ اسْمِ الْفَاعِلِ، أَي: وَيَرُونَ الْمُنْتَزَلَ حَقًّا وَهَادِيًا<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أبو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١: ١٤٢) مِنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٦٣).

فإن قلت: كيف حصَّ أحد التفسيرين بقوله: «علماً لا يزد عليه في الإيقان»، والآخر بقوله: «فيزدادوا»<sup>(١)</sup> حسرة وغماً؟

قلت: لأن المراد بـ«يرى» ومفعوليته: حصول العلم بعد عدمه، فإذا أريد بأولي العلم الأخبار الذين لم يؤمنوا؛ كان المعنى: ويعلم الأخبار أن المنزل حق حين<sup>(٢)</sup> لا ينفعهم سوى الحسرة والندامة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَنَا رَسُولٌ نَّبِيٌّ صِدْقُهُ وَظُهُورٌ مَا نَطَقُ بِهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، فَإِذَا فَسَّرَ أُولَى الْعِلْمِ بِالْمُؤْمِنِينَ، يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: انْقَلَبَ عِلْمُ الْيَقِينِ إِلَى حَقِّ الْيَقِينِ لِتَحْصُلِ فَائِدَةِ مَزِيدِ الْعِلْمِ كَمَا قَالَ: «عِلْمًا»<sup>(٣)</sup> لا يزد عليه في الإيقان».

فإن قلت: هل لاختصاص تفسير أولي العلم بالأخبار الذين لم يؤمنوا على وجه إرادة النصب دون الرفع من فائدة؟

قلت: نعم، لأن هذا العطف من قبيل قوله تعالى: ﴿تَقْنَلُواهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ [الفتح: ١٦] في الاشتراك أو الابتداء، فإذا انتصب «يرى» دخل في حيز التعليل، وإذا ارتفع كانت جملة مستقلة معطوفة على جملة قوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث، وحصول العلم حينئذ في الدنيا لا في الآخرة كما في وجه النصب، فلا يحسن التقابل بين المعطوفين إلا على إرادة المؤمنين من أولي العلم، كأنه قيل: وقال الجهلة من الذين كفروا بآيات الله: لا تأتينا الساعة؛ وعلم الذين أوتوا العلم أن المنزل حق وما نطق به من الوعد والوعد صدق، وإليه ينظر قوله ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّبِينٍ الْحَمِيدُ﴾.

ومما يعضد هذا التأويل عطف قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ الآية على قوله:

(١) سقط لفظ: «فيزدادوا» من النسخة «ط».

(٢) سقط لفظ: «حين» من النسخة «ط».

(٣) في النسخة «ف»: الإمام. وهو خطأ.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَئِثُكُمْ إِذَا مَرَّقْتُمْ كُلَّ مَرْقٍ إِنَّكُمْ لَعِنَىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ \* أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ [٧-٨]

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فريش. قَالَ بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يَغْنُونُ عَمَدًا ۖ يُحَدِّثُكُمْ بأعجوبة من الأعاجيب: أنكم تُبْعَثُونَ وتُنشَأُونَ خلقًا جديدًا بعد أن تكونوا رُفَاتًا وترابًا، ويُمَرِّقُ أجسادكم البلى ﴿كُلَّ مَرْقٍ﴾، أي: يفرقكم ويبدد أجزاءكم كلَّ تبديد. أهو مفترٍ على الله كذبًا فيما ينسبُ إليه من ذلك؟ أم به جنونٌ

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، على منوالِ قوله: ﴿أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾، وكقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ إلى قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [يونس: ٤]، وقد وضع ﴿وَالَّذِينَ سَمَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ موضع ضمير الذين كفروا، لأنَّ المعنى: ليأتينكم عالمُ الغيب ليُثِيبَ الْمُؤْمِنِينَ ويُعَاقِبَكُم أيها الساعونَ في إبطالِ آيَاتِنَا سَعِيًّا بليغًا، وفيه إشعارٌ بأنَّ منكر الحشرِ مكذَّبٌ لله وآياته المنزلة، ولذلك ورد: «كذَّبتني ابنُ آدمَ ولم يكنْ له ذلك»<sup>(١)</sup>، وأنه مستحقٌّ بأن يُنكَلَ بها لا بعذِّه من العذابِ والرَّجْزِ الأليم، أعاذنا الله من ذلك.

قوله: ﴿يُحَدِّثُكُمْ بأعجوبة من الأعاجيب﴾، دلَّ على هذا المعنى تسميته صلواتُ الله عليه بـ«رجلٍ» وتنكيره؛ جعلوا القولَ بالإعادة من قبيلِ شيءٍ غريبٍ وأمرٍ عجيبٍ، ونزلوا قائله منزلةً من لا يُعرَف. قال صاحبُ «المفتاح»: كأنهم لم يكونوا يعرفون منه إلا أنه رجلٌ ما، وهو أشهرُّ عندهم من الشمسِ، وهو من باب التجاهل<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿أهو مُفْتَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿أم به جنون﴾، «أم» هذه يحتملُ أن تكونَ متصلةً وأن تكونَ منقطعة. وعلى الأولِ ظاهرُ كلامِ الجاحظِ على ما روي أنه احتجَّ بهذه الآية على أن من الخير

(١) هو جزءٌ من حديثٍ قديمي أخرجه البخاري (٤٩٧٤) من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «مفتاح العلوم» ص ٨٣.

ما ليس بصادق ولا كاذب<sup>(١)</sup>، لأنهم حصرُوا دعوى النبي الرسالة في الافتراء وفي الإخبار حال الجنون، وليس إخباره حال الجنون كذِبًا لجعلهم الافتراء مقابلاً له، ولا صدقاً لأنهم لم يعتقدوا صدقه، فثبت أن من الخير ما ليس بصادق ولا كاذب.

وأجيب: أن الافتراء هو الكذب عن عمد، فهو نوع من الكذب، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون نوعاً منه، وهو الكذب لا عن عمد، فيكون التقسيم للخبر الكاذب لا للخبر مطلقاً<sup>(٢)</sup>.

وقلت: هذا جواب حسن لطيف لكن الأصل مدخول فيه من وجهين: أحدهما: أن ورود الآية في البعث والحشر لا في دعوى الرسالة بدليل السابق أي: قولهم ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مَرَّ فَتَرَكَلْ مَمَرًا﴾ [سبأ: ٧] واللاحق أي: قوله ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ٨]، ولذلك كان قول المصنف: «من ذلك» بياناً لقوله: «ما ينسب إليه»، والمشار إليه ما دل عليه قوله: «إنكم تبعثون وتُنشئون خلقاً جديداً» إلى آخره.

وثانيهما: ظهور «أم» في كونها منقطة لفظاً لاختلاف مدخولي الهمزة و«أم»، لأن المعاندين لما أخرجوا قولهم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ مخرج الطَّنز<sup>(٣)</sup> والسخرية متجاهلين برسول الله ﷺ وبكلامه من إثبات الحشر والنشر، وعقبوه بقوله ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا﴾ أضربوا عنه إلى ما هو أبلغ منه ترقياً من الأهون إلى الأغلظ من نسبة الجنون إليه

(١) لم أهد إليه فيما بين يدي من مصنفات الجاحظ. لكن نقله الخطيب القزويني في «الإيضاح في علوم البلاغة» ص ٦١ وعبارته ثمة. وأنكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين - يعني الصادق والكاذب - وزعم أنه ثلاثة أقسام: صادق، وكاذب، وغير صادق ولا كاذب... واحتج بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨]. وأغلب الظن أن الإمام الطيبي قد استمد من هذا الوطني فإنه قد أجاب عن دعوى الجاحظ بمثل ما أجاب به الخطيب القزويني.

(٢) هذا الجواب مستفاد من الخطيب القزويني بحروفه.

(٣) وهو السخرية وقرف الناس بالذم.

يُوهمه ذلك ويُلقيه على لسانه؟ ثمَّ قال سبحانه: ليس محمدٌ من الافتراءِ والجنونِ في شيءٍ، وهو مبرأٌ منها، بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار فيما يؤذيهم إليه من الضلالِ عن الحقِّ وهم غافلون عن ذلك، وذلك أجنُّ الجنونِ وأشدُّه إطباقاً على عقولهم. جُعِلَ وقوعهم في العذابِ رَسِيلاً لوقوعهم في الضلالِ، كأنَّها كائنانِ في وقتٍ واحدٍ؛ لأنَّ الضلالَ لما كان العذابُ من لوازمه وموجباته؛ جُعِلَا كأنَّهما في الحقيقةِ مقترنان. وقرأ زيدُ بنُ عليٍّ رضي الله عنه: (ينبيكم). فإن قلت: فقد جعلتَ الممزقَ مصدرًا، كَيَّبَتِ الكتاب: .....

أي: دعوا حديثَ الافتراءِ فإنَّ هاهنا ما هو أطمُّ منه، لأنَّ العاقلَ كيف يُحدِّثُ بإنشاءِ خَلْقٍ جديدٍ بعد الرُّفاتِ والترابِ، فإنَّ جنونَه يُوهمه ذلك ويُلقيه على لسانه. ولما كان التعويلُ على ما بعدَ الإضرابِ من إثباتِ الجنونِ أوقعَ الإضرابِ الثاني ردًّا عليهم قولهم، ونفياً عنه صلواتُ الله عليه ما أثبتوا فيه من الجنونِ وإثباتاً له فيهم كما قال المصنِّف: «بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعثِ» إلى قوله: «أجنُّ الجنونِ وأشدُّه إطباقاً على عقولهم» كأنه قيل: لما قالوا: أهو مُقتَرٍ على الله بل به جِنَّة، أضرَبَ عنه وقيل: بل القائلون بهم أشدُّ الجنونِ. فوضعَ موضعَ «القائلون» قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ على سبيلِ العمومِ ليدخلوا فيه دخولاً أولياً، وليُسجَلَ عليهم الجنونُ بالطريقِ البرهاني، ووضعَ موضعَ: «بهم الجنون» قوله: ﴿فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ وضعاً للسببِ موضعَ المُسبَّبِ ليؤدِّنَ بأنَّ الإضلالَ أبعدُ من ضلالِ مُنكرِ البعثِ لأنَّه مُبطلٌ حِكْمَةِ الله في خَلْقِ العالمِ، ومكذِّبٌ الله تعالى في وَعْدِهِ ووَعِيدِهِ كما قال: «كذَّبي ابنُ آدمَ ولم يكنْ له ذلك»<sup>(١)</sup> الحديث، وجاهلٌ مُفْرِطٌ في جهله حيث تعرَّضَ لسخطِ الله وإيقاعِ نَفْسِهِ في العذابِ السَّرمِدِ. والله أعلم.

قوله: (رَسِيلاً لوقوعهم في الضلالِ)، الأساس: يقال: هو رَسِيْلُكَ في الغناء، أي: يباريك في إرسالك، ومن المجاز تقول: القبيحُ سوءُ الذِّكْرِ رَسِيْلُهُ، وسوءُ العاقبةِ رَمِيْلُهُ.

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَّرِحِي الْقَوَافِي فَلَا عِيَاءَ بَيْنَ وَلَا اجْتِلَابَا

فهل يجوز أن يكون مكاناً؟ قلت: نعم. ومعناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع، وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب، وما سفته الرياح فطرخته كل مطرح. فإن قلت: ما العامل في «إذا»؟ .....

قوله: (أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَّرِحِي)، البيت<sup>(١)</sup>: «مُسَّرِحِي»: من: سرح القوم الإبل: إذا أرسلوها في المرعى.

مُسَّرِحِي، أي: تسريحي، فلا أعياء بين إعياء<sup>(٢)</sup>، ولا اجتلبهن اجتلاباً، أي: انتحالاً. قوله: (ما العامل في «إذا»؟)، قال الزجاج: في هذه الآية نظرٌ لطيف، وهو أن «إذا» في موضع نصب بـ «مُرْقَتَم» ولا يعمل فيها «جديد» لأن ما بعد «أن» لا يعمل فيها قبلها. المعنى: هل ندلكم على رجل يقول لكم: إنكم إذا مرقتم تبعثون، ويجوز أن يكون العامل مضمراً يدل عليه «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ». المعنى: هل ندلكم على رجل يقول لكم: إذا مرقتم تبعثتم، إنكم في خلق جديد<sup>(٣)</sup> كقوله تعالى: «أَوَدَا مَسْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْ نَا لَمَبُوتُونَ» [المؤمنون: ٨٢]<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو البقاء: لا يجوز أن يعمل فيها «مُرْقَتَم» لأن «إذا» مضافة إليه<sup>(٥)</sup>. وقال الزجاج: «إذا» حينئذ بمنزلة «إن» الجزء يعمل فيها الذي يليها. قال قيس بن الحظيم:

إِذَا قَصَّرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَضَلُّهَا  
خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبِ<sup>(٦)</sup>

(١) لجرير في «ديوانه» ص ٦٢ وروايته ثمة:

أَلَمْ تَحْبُرْ بِمُسَّرِحِي الْقَوَافِي

(٢) سقط لفظ «إعياء» من النسخة «ف».

(٣) من قوله: «المعنى: هل ندلكم» إلى هنا سقط من (ح) و(ف).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤١-٢٤٢).

(٥) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٦٣).

(٦) سبق تخريجه.



المعنى: يَكُنْ وصلها. والدليل على ذلك جَزْمُ «فَنُضَارِبِ»<sup>(١)</sup>.  
والكناية في «وَصَلُّهَا» للأسياف. المعنى: إذا يكونوا<sup>(٢)</sup> بحيث لا تَصِلُ أسيافنا إليهم  
نحنُ نَتَقَدَّمُ إليهم ونُضَارِبُهُمْ بها.

قال السَّجَاوَنْدِي: عاملٌ «إذا» محذوف، أي: «بُعِثْتُمْ» دَلَّ عليه ﴿إِنَّكُمْ لَنِي خَلَقِ جَسَدِي﴾،  
إذ<sup>(٣)</sup> ﴿مُرْقُتٌ﴾ إِنَّمَا يَعْمَلُ فِي «إِذَا» إِذَا كَانَ كَانَ مجزوماً<sup>(٤)</sup> بها، نحو: مَنْ تَضْرِبُ يَضْرِبُنِي،  
فإنه إذا لم يُجْزَمْ بها كانت مُضَافَةً إِلَى الفِعْلِ، والمضافُ إليه لا يَعْمَلُ فِي المضاف، فالجَزْمُ  
بـ«إذا» وَإِنْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ ضرورةً لا يَحْتَمَلُ عليه القرآن. وروايةُ الجِزْمِ فِي الشَّعْرِ:

إِذَا قَصَّرْتُ أَسْيَافَنَا كَانَ طَوَّلُهَا      خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبِ

وخطأه المَغْرِبِيُّ لِأَنَّ القَصِيدَةَ مرفوعةُ القوافي، وفيها:

وقد عشتُ دهرًا والغواةُ صحابتي      أولئك خُلَصَانِي الَّذِينَ أَصَاحِبُ

وفيها:

وللإلِ عِنْدِي اليَوْمَ رَاعٍ وَكَاتِبُ<sup>(٥)</sup>

ولا يجوزُ أَنْ يَعْمَلَ فِي «إِذَا»: ﴿بِنَيْتِكُمْ﴾، لِأَنَّ التَّنْبِيَةَ<sup>(٦)</sup> قَبْلَ التَّمَرُّقِ.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤٢).

وقد حُرِّكَ بالكسر مراعاةً للقفية، وذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (٧: ٢٨) أنه رُوِيَ بالرفع على الإقواء، وانظر ما كتبه العلامة ناصر الدين الأسد تعليقاً على هذا الموطن من «الديوان» ص ٨٨.

(٢) كذا في الأصول الخطية؛ بالجزم، ووجهه أن تكون «إذا» مُصَمَّنَةً معنى «إِنْ»، على ما ذكره الزجاج أنفأً، وإلا فـ«إذا» ليست جازمة.

(٣) في الأصول الخطية: «إذا»، وصوبناه بحسب السياق.

(٤) في النسخة «ف»: «مَجْرُورًا»، وهو خطأ.

(٥) هذا وهمٌ من الإمام الطيبي، والقصيدة مجرورةٌ الآخر بالكسرة، وما ذكره من الشعر لم أجده في «ديوان قيس بن الخطيم»، ولم أهدد إليه فيها بين يدي من مصادر التخريج.

(٦) في النسخ الخطية: «التنبيه» بالهاء، والحادثة ما أثبتناه.

قلت: ما دلّ عليه: ﴿إِنَّكُمْ لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، وقد سبق نظيره. فإن قلت: الجديد: فعيل، بمعنى فاعِلٍ أم مفعول؟ قلت: هو عند البصريين بمعنى فاعل، تقول: جدّ فهو جديد، كحدّ فهو حديد، وقَلّ فهو قليل. وعند الكوفيين بمعنى: مفعول، من جدّه إذا قطعَه. وقالوا: هو الذي جدّه الناسجُ السّاعةُ في الثوب، ثمّ شاع. ويقولون: ولهذا قالوا: «ملحفةٌ جديدٌ»، وهي عند البصريين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: ٥٦] ونحو ذلك. فإن قلت: لم أسقطتِ الهمزةُ في قوله: ﴿أَفَتَرَى﴾ دون قوله: ﴿السَّحْرُ﴾، وكلتا هما همزةٌ وصل؟ قلت: القياسُ الطّرح، ولكنّ أمرًا اضطرّهم إلى تركِ إسقاطها في نحو: ﴿السَّحْرُ﴾ وهو خوفُ التباسِ الاستفهامِ بالخبر؛ لكونِ همزةِ الوصلِ مفتوحةً كهمزةِ الاستفهام. فإن قلت: ما معنى وصفِ الضّلالِ بالبُعْد؟ قلت: هو من الإسنادِ المجازي؛ لأنّ البعيدَ صفةُ الضّالِّ إذا بُعدَ عن الجادة، وكلّما ازدادَ عنها بُعْدًا كان أضلّ. فإن قلت: كان رسولُ الله ﷺ مشهورًا علمًا في قريش،

قوله: (في الثوب)، مُتعلّقٌ بـ«قالوا». أي: قالوا في الثوب: جديد، لأنه هو الذي جدّه، أي: قطعهُ الناسجُ السّاعةُ، ثم شاع هذا اللفظُ في كلِّ شيء. ويقولون: كتابٌ جديد، وبيتٌ جديد، وغلامٌ جديد.

قوله: (وهي - أي: الملحفةُ جديدٌ - عند البصريين) في تأويلِ شيءٍ جديد، أي: ثوبٌ جديد، أو على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعولٍ نحو: قتيلٌ وأسيرٌ كما شُبّه ذلك به. فقيل: قُتلاءٌ وأسراءٌ، فإنّ فعيلًا يُجمَعُ على فعلاءَ، نحو: كريمٌ وكُرماءَ، ورحيمٌ ورُحماءَ.

قوله: (دونَ قوله ﴿السَّحْرُ﴾)، أي: في قوله تعالى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السَّحْرُ﴾ [يونس: ٨١] على الاستفهامِ في سورةِ يونس عليه السلام<sup>(١)</sup>.

(١) وهي قراءةُ أبي عمرو بن العلاء، وهو استفهامٌ على جهةِ التوبيخِ لأنهم قد علموا أنّه سحر، فقد دخل استفهامٌ على استفهام، فلهاذا يقفُ على قوله ﴿مَا جِئْتُم بِهِ﴾ ثمّ بيتدئ ﴿السحر﴾ بالرفع، وخبره محذوف، المعنى: السحرُ هو؟  
انظر: «حجّة القراءات» ص ٣٣٥.

وكان إنباؤه بالبعث شائعاً عندهم، فما معنى قوله: ﴿هَلْ نَدُّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْتَثِمَ﴾ فنكروه لهم، وعرضوا عليهم الدلالة عليه، كما يُدُلُّ على مجهولٍ في أمرٍ مجهولٍ؟ قلتُ: كانوا يقصدون بذلك الطَّنَزَ والسُّخْرِيَةَ، فأخرجوه مَخْرَجَ التحلِّي بيغضِ الأحاجي التي يُتَحاوَى بها لِلصَّحِيحِ والتلهي، متجاهلين به وبأمره.

[﴿ أَفَلَتَرَوُا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءِ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطَ عَلَيْهِم كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ٩]

أَعْمُوا فلم ينظروا إلى السماء والأرض، وأنها حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم، لا يقدرُونَ أن ينفذوا من أقطارهما، وأن يجرجوا عما هم فيه من ملكوتِ الله عزَّ وجلَّ، ولم يخافوا أن يخسفَ اللهُ بهم، أو يُسْقِطَ عليهم كِسْفًا، لتكذيبهم الآيات، وكفرهم بالرسول ﷺ وبما جاء به، كما فَعَلَ بقارونَ وأصحابِ الأيكة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّالنَّظَرِ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْفِكْرِ فِيهَا، وما يدلان عليه من قدرةِ الله ﴿لَآيَةً﴾،

قوله: (بعض الأحاجي)، الجوهرى: حاجيته فحجونه: إذا داعيته<sup>(١)</sup> فقلبتَه. والاسم: الأَحْجِيَّةُ<sup>(٢)</sup>، وهي لُعبَةٌ وأغلوطة يتعاطاها الناسُ بينهم<sup>(٣)</sup>.

قوله: (أَعْمُوا فلم ينظروا)، يريدُ أن همزة الإنكارِ الداخلة على قوله: ﴿ أَفَلَتَرَوُا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من حيث التقدير داخلٌ على فعلٍ هو السَّبَبُ في الفعلِ المذكورِ، «وأمامهم وخلفهم» خبران و«محيطتان بهم»: عَطْفُ بيانٍ له أو بَدَل.

قوله: (من ملكوتِ الله)، أي: السماواتِ والأرضِ، لأن «من» بيان «ما» في «عما هم فيه».

قوله: (وما يدلان)، عطفٌ على الضميرِ المجرورِ، أي: والفكرِ فيما يدلان عليه، أو على «السماواتِ والأرضِ»، وهو الأصوبُ.

(١) في النسخ الخطية: «داعيته» بالياءِ الموحدة، والجاذة ما أثبتناه. انظر: «الصحاح» (حجا).

(٢) والحجبيًا أيضًا. نصَّ عليه الجوهرى وقدمه في «الصحاح».

(٣) وفسره أبو عبيد بقوله: هو نحو قولهم: أخرج ما في يدي ولك كذا.

ودلالة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: وهو الرَّاجِعُ إلى رَبِّهِ، المطيعُ له؛ لأنَّ المنيبَ لا يخلو من النظرِ في آياتِ الله، على أنه قادرٌ على كلِّ شيءٍ مِنَ البعثِ وَمِن عقابِ مَنْ يكفُرُ به. قُرئ: «يشأ» و«يخسف» و«يسقط» بالياء؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [سبأ: ٨]. وبالنونِ لقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾. و﴿كَسَفًا﴾: بفتحِ السينِ وسكونه. وقرأ الكسائي: (يخسف بهم) بالإدغام، وليست بقوية.

[﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ آوِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ \* أَنِ اعْمَلْ سَبِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَسَلِّمَنَّا الرِّيحَ غَدُومًا

قوله: (على أنه قادرٌ على كلِّ شيءٍ مِنَ البعثِ وَمِن عقابِ مَنْ يكفُرُ به)، مُتعلِّقٌ بقوله: «ودلالة»، يريد أن قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ تذييلٌ لقوله: ﴿أَفَلَتَرَوُا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وتعريضٌ بقلَّةِ النظرِ في مُنكري البعثِ والحشرِ في آياتِ الله، وإليه الإشارةُ بقوله: «لأنَّ المنيبَ لا يخلو من النظرِ في آياتِ الله». وفيه الإشارةُ إلى بيانِ نظمِ هذه الآيةِ بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ يَنْتَسِكُمْ﴾ وبقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ لأنه كالتخلصِ منه إليه، لأنه من المُنيبين المتفكرين في آياتِ الله، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

قال القاضي: قوله: ﴿أَفَلَتَرَوُا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ تذكيرٌ بما يُعابونه مما يدلُّ على كمالِ قدرةِ الله تعالى وما فيه إزاحةٌ استحالتهم الإحياءِ حتى جعلوه افتراءً وهُزواً، وتهديدٌ عليهم<sup>(١)</sup>.

قوله: («يشأ» و«يخسف» و«يسقط»، بالياء): حمزةٌ والكسائي: ثلاثتها بالياء. وأدغم الكسائي الفاء في الباء، والباقون: بالنونِ فيهنَّ، وقرأ حفص: ﴿كَسَفًا﴾ بفتحِ السينِ، والباقون يأسكانها<sup>(٢)</sup>.

قوله: («يخسف بهم» بالإدغام، وليست بقوية)، المُطَّلَع: لزيادةِ صوتِ الفاءِ على صوتِ الباءِ كما لا يجوزُ إدغامُ الراءِ في اللام.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٤٢).

(٢) ولتتام الفائدة انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٨٣.

شَهْرٍ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنْ أَلْحِنَ مِنْ يَمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ \* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ آعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٠ - ١٣﴾

﴿يَجِبَالٌ﴾ إمّا أن يكونَ بدلًا من: ﴿فَضْلًا﴾، وإما من: ﴿ءَأَيْنَا﴾، بتقدير: قولنا: يا جبال. أو: قلنا: يا جبال. وقرئ: ﴿أَوِي﴾ و(أوي) من التأويب والأوب،

قوله: (بتقدير: قولنا: يا جبال، أو قلنا: يا جبال)، روي «قولنا» بالنصب والجر<sup>(١)</sup>. الأول على تقدير أن يكون بدلًا من ﴿فَضْلًا﴾ أي: ولقد آتينا داودَ منا قولنا: ﴿يَجِبَالٌ﴾، والثاني على أن يكون بدلًا من ﴿ءَأَيْنَا﴾ أي: ولقد قلنا: يا جبال أوي مع داود.

قوله: (وقرئ: ﴿أَوِي﴾ و«أوي»)، الأولى هي المشهورة، والثانية شاذة<sup>(٢)</sup>.

الراغب: الأوب: صرّب من الرجوع، لأن الأوب لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة، والرجوع عام يُقال: آب أوبًا وإيابًا ومآبًا. والأوب كالتواب وهو الراجع إلى الله تعالى من<sup>(٣)</sup> المعاصي وفعل الطاعات قال تعالى: ﴿أَوَابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢]، ومنه قيل للتوبة أوبّة.

قوله: (من التأويب والأوب)، قال صاحب «التقريب»: أي: رجعي معه<sup>(٤)</sup> التسبيح أو: ارجعي معه في التسبيح بترجييعه.

قلت: في كلام المصنّف إشعارٌ بأنّ مرّجع معنى القراءتين - وهو الرجوع معه في التسبيح - إلى واحد، وتعليله مُنبئٌ عنه؛ لأنّ الترّجيع مستلزمٌ للرجوع. ذكر في سورة «ص»: وَضَعَ الْأَوَابَ مَوْضِعَ الْمُسَبِّحِ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُرْجَعُ التَّسْبِيحَ وَالْمُرْجَعُ رَجَّاعٌ لِأَنَّهُ يَرْجَعُ إِلَى فِعْلِهِ رَجوعًا بَعْدَ رَجوعٍ<sup>(٥)</sup>، ولأنّه إذا رَجَعَ الصوتُ أي: رَدَدَهُ فَقَدْ رَجَعَ فِيهِ أَي: رَجَعَ إِلَى مَا

(١) في النسخة «ف»: «والجزاء».

(٢) ومن قرأ بها: ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق. انظر: «مختصر شواذ القرآن» ص ١٢١.

(٣) كذا في النسخ الخطية. وفي «مفردات القرآن»: «بترّك»، وهو الجأدة.

(٤) قوله: «التسبيح أو: ارجعي معه» سقط من (ط).

(٥) انظر: «الكشاف» (١٣: ٢٥١).

أي: رَجَعِي مَعَهُ التَّسْبِيحَ. أو: ازْجِعِي مَعَهُ فِي التَّسْبِيحِ كَلِّمَا رَجَعَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا رَجَعَهُ فَقَدْ رَجَعَ فِيهِ، وَمَعْنَى تَسْبِيحِ الْجِبَالِ: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَخْلُقُ فِيهَا تَسْبِيحًا، كَمَا خَلَقَ الْكَلَامَ فِي الشَّجَرَةِ، فَيُسْمَعُ مِنْهَا مَا يُسْمَعُ مِنَ الْمَسْبُوحِ؛ مَعْجَزَةٌ لِدَاوُدَ. وَقِيلَ: كَانَ يَنْوُحُ عَلَى ذَنْبِهِ بِتَرْجِيحٍ وَتَحْزِينٍ، وَكَانَتِ الْجِبَالُ تُسْعِدُهُ عَلَى تَوَجُّهِه بِأَصْدَائِهَا، وَالطَّيْرُ بِأَصْوَاتِهَا. وَقُرئ: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ رَفَعًا وَنَصَبًا عَطْفًا عَلَى لَفْظِ الْجِبَالِ وَمَحَلِّهَا. وَجَوَّزُوا أَنْ يَنْتَصِبَ مَفْعُولًا مَعَهُ، .....

بدأ منه. ويعضده ما روينا عن البخاري ومسلم وأبي داود عن عبد الله بن مغلل قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح، فرجع فيها، قال: ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغلل فقال: لولا أن يجتمع الناس عليكم لرَجَعْتُ كما رَجَعَ ابنُ مغلل يحكي النبي ﷺ فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟ قال: آآ آ ثلاث مرات<sup>(١)</sup>.

النهاية: الترجيع: ترديد القراءة. وقيل: هي تقارب حروف الحركات في الصوت. وقد حكى ابن مغلل ترجيعه بمد الصوت في القراءة. وهذا إنما حصل منه - والله أعلم - يوم الفتح؛ لأنه كان راكبًا فجعلت الناقه تحركه.

قال محيي السنة: ﴿يَجِبَالُ أَوْي مَعَهُ﴾ سَبَّحِي مَعَهُ إِذَا سَبَّحَ، فَقِيلَ: هُوَ تَفْعِيلٌ مِنَ الْإِيَابِ، وَهُوَ الرَّجُوعُ، أَي: رَجَعِي مَعَهُ. قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: أَصْلُهُ مِنَ التَّأْوِيْبِ فِي السَّيْرِ، وَهُوَ أَنْ يَسِيرَ النَّهَارَ كُلَّهُ بِالتَّسْبِيحِ مَعَهُ<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ رَفَعًا وَنَصَبًا، وَالتَّصْبُ هِيَ الْمَشْهُورَةُ وَالرَّفْعُ شَاذٌ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وَجَوَّزُوا أَنْ يَنْتَصِبَ مَفْعُولًا مَعَهُ) قَالَ الزَّجَّاجُ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «الطَّيْرَ» مَنْصُوبًا عَلَى مَعْنَى: مَعِ، كَمَا تَقُولُ: قُمْتُ وَزَيْدًا أَي: قُمْتُ مَعَ زَيْدٍ، فَالْمَعْنَى: أَوْي مَعَهُ وَمَعَ الطَّيْرِ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٠) ومسلم (٧٩٤) وأبو داود (١٤٦٧).

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٣٨٧).

(٣) وعن قرأها: الأعرج وعبد الوارث عن أبي عمرو. انظر: «مختصر شواذ القرآن» ص ١٢١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤٣).

وَأَنْ يُعْطَفَ عَلَى ﴿فَضْلًا﴾، بمعنى: وسَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ. فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ هَذَا النِّظْمِ وَبَيْنَ أَنْ يُقَالَ: ﴿وَأَيُّنَا دَاوُدٌ مِمَّا فَضَّلَا﴾؛ تَأْوِيبَ الْجِبَالِ مَعَهُ وَالطَّيْرَ؟ قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا! أَلَا تَرَى إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْفَخَامَةِ الَّتِي لَا تَخْفَى؛ مِنْ الدَّلَالَةِ عَلَى عِزَّةِ الرَّبُوبِيَّةِ، وَكِبْرِيَاءِ الْإِلَهِيَّةِ؛ حَيْثُ جُعِلَتْ الْجِبَالُ مُنْزَلَةً مُنْزَلَةَ الْعُقَلَاءِ الَّذِي إِذَا أَمَرَهُمْ أَطَاعُوا وَأَذَعَنُوا، وَإِذَا دَعَاهُمْ سَمِعُوا وَأَجَابُوا؛ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ مَا مِنْ حَيَوَانٍ وَجَادٍ وَنَاطِقٍ وَصَامِتٍ إِلَّا وَهُوَ مُنْقَادٌ لِمَشِيئَتِهِ، غَيْرُ مُمْتَنِعٍ عَلَى إِرَادَتِهِ. ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ وَجَعَلْنَاهُ لَهُ لَيْسًا كَالطِّينِ وَالْعَجِينِ وَالشَّمْعِ، يُصَرِّفُهُ بِيَدِهِ كَيْفَ يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا ضَرْبٍ بِمِطْرَقَةٍ. وَقِيلَ: لِأَنَّ الْحَدِيدَ فِي يَدِهِ لِمَا أُوتِيَ مِنْ شِدَّةِ الْقُوَّةِ. وَقُرِئَ: (صَابِغَاتٍ) وَهِيَ الدَّرْوَعُ الْوَاسِعَةُ.....

قوله: (وَأَنْ يُعْطَفَ عَلَى ﴿فَضْلًا﴾، قال الزجاج: حكاة أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء، وهو كقولهِ:

عَلَفْتُهَا تَيْبًا وَمَاءً بَارِدًا

وإليه الإشارة بقوله: «وَسَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ»، وعن بعضهم: يجوز أن يكونَ مَنَادَى كَأَنَّهُ قَالَ: أَدْعُوا الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ<sup>(١)</sup>.

قوله: (كَمْ بَيْنَهُمَا)، أي: مِنْ فَرْقٍ. وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ [البقرة: ٢٤٣] بَدَلْ: أَمَاتَهُمُ اللَّهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَلِيسِينَ﴾ [البقرة: ٦٥] بَدَلْ: مَسَخَهُمْ قِرَدَةً. وَهُوَ أَمْرٌ عَلَى سَبِيلِ التَّسْخِيرِ، وَفَائِدَتُهُ غَايَةُ التَّأْدِيبِ.

قوله: (وَنَاطِقٍ وَصَامِتٍ)، تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: «حَيَوَانٍ وَجَادٍ».

الرَّاعِبُ: النَّطْقُ فِي التَّعَارُفِ: الْأَصْوَاتُ الْمُقَطَّعَةُ الَّتِي يُظْهِرُهَا اللِّسَانُ وَتَعْيِهَا الْأَذَانُ، وَلَا يُكَادُ يُقَالُ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ، وَلَا يُقَالُ لِغَيْرِهِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِ، نَحْوُ: النَّاطِقِ وَالصَّامِتِ، فَيُرَادُ بِالنَّاطِقِ: مَا لَهُ صَوْتٌ، وَبِالصَّامِتِ: مَا لَا صَوْتَ لَهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤٣).

(٢) «مفردات القرآن» ص ٨١١.

الضافية، وهو أول من اتخذها، وكانت قبل صفائح. وقيل: كان يبيع الذرع بأربعة آلاف، فينفق منها على نفسه وعياله، ويتصدق على الفقراء. وقيل: كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكراً، فيسأل الناس عن نفسه، ويقول لهم: ما تقولون في داود؟ فيثنون عليه، فقيض الله له ملكاً في صورة آدمي فسأله على عادته، فقال: نعم الرجل لولا خصلة فيه، فريح داود، فسأله، فقال: لولا أنه يطعم عياله من بيت المال، فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال، فعلمه صنعة الدروع. ﴿وَقَدَّرَ﴾: لا تجعل المسامير دقاقاً فتقلق، ولا غلاظاً فتفصم الحلق. والسرذ: نسج الدروع. ﴿وَأَعْمَلُوا﴾: الضمير لداود وأهله. ﴿و﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحِ﴾ فيمن نصب. وسليمان الرِّيح مسخرة، فيمن رفع. وكذلك فيمن قرأ: (الرياح)، بالرفع. ﴿غَدُوها شهر﴾:

قوله: (الضافية)، الجوهرى: الضفوف: السبوغ وثوب ضاف أي: سابغ.

قال الزجاج: معنى السابغ: الذي يعطي كل ما تحته حتى يفضل عليه<sup>(١)</sup>.

عن بعضهم: قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ «أن» مفسرة كأنه قيل: وألنا له الحديد، أي: اعمل سابغات، وبمعنى: قلنا له: أن اعمل سابغات، أو يكون في معنى: لأن يعمل سابغات، ويصل «أن» بلفظة الأمر، ونظيره: أرسل إليه أن قم إلى فلان، أي: قال له: قم أو يكون بمعنى: أرسل إليه بأن يقوم إلى فلان.

قوله: (والسرذ: نسج الدروع)، قال الزجاج: السرذ في اللغة: تقدمت شيء إلى شيء تأتي به متسبباً بعضه في إثر<sup>(٢)</sup> بعض متتابعاً، ومنه قولهم: سرد فلان الحديث<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿و﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحِ﴾ فيمن نصب، أبو بكر: «الريح» بالرفع، والباقون: بالنصب<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: ومعنى الرفع: ثبت لسليمان الريح، وهو يؤول إلى

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤٤).

(٢) زيادة لازمة من «معاني القرآن» للزجاج.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤٤).

(٤) ولتتام الفائدة انظر: «حجة القراءات» ص ٥٨٣.



جَزِيْهَا بِالغَدَاةِ مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، وَجَزِيْهَا بِالْعَشِيِّ كَذَلِكَ. وَقُرِي: (غَدُوْتُهَا) وَ(رَوْحُهَا).  
 وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَانَ يَغْدُو فَيَقِيلُ بِإِصْطَخْرَ، ثُمَّ يَرُوحُ فَيَكُونُ رَوْحُهُ بِكَأْبِلَ.  
 وَيُحْكِي أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى مَكْتُوبًا فِي مَنْزِلِ بِنَاحِيَةِ دِجْلَةَ كَتَبَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ:  
 نَحْنُ نَزَلْنَا وَمَا بَنَيْنَاهُ وَمَبْنِيًّا وَجَدْنَاهُ، غَدَوْنَا مِنْ إِصْطَخَرَ فَقَلْنَا، وَنَحْنُ رَائِحُونَ مِنْهُ  
 فَبَاتتُونَ بِالشَّامِ إِنْ شَاءَ اللهُ. الْقَطْرُ: النَّحَاسُ الْمُدَابُّ مِنَ الْقَطْرَانِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَاذَا  
 أَرَادَ بِ﴿عَيْنَ الْقَطْرِ﴾؟ قُلْتُ: أَرَادَ بِهَا مَعْدِنَ النَّحَاسِ، وَلَكِنَّهُ أَسَالَهُ كَمَا أَلَانَ الْحَدِيدَ

معنى: سَخَّرْنَا الرِّيحَ، كَمَا إِذَا قُلْتَ: اللهُ الْحَمْدُ، فَتَأْوِيلُهُ: اسْتَقَرَّ اللهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى  
 مَعْنَى: أَحْمَدُ اللهُ الْحَمْدُ<sup>(١)</sup>.

قوله: (جَزِيْهَا بِالغَدَاةِ مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، وَجَزِيْهَا بِالْعَشِيِّ كَذَلِكَ)، قَالَ مَكِّي: مَسِيرَةٌ غَدُوْهَا  
 مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، وَكَذَلِكَ ﴿وَرَوْحُهَا شَهْرٌ﴾. وَإِنَّمَا احْتِيَاجٌ إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّ الْغَدُوَّ وَالرَّوْحَ لَيْسَا  
 بِالشَّهْرِ وَإِنَّمَا يَكُونَانِ فِيهِ<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الحاجب في «الأمالى»: الفائدة في إعادة لفظ الشهر الإعلام بمقدار زمن  
 الغدو والرواح، والألفاظ التي تأتي مبينة للمقادير لا يحسن فيها الإضمار، ألا ترى أنك  
 تقول: زنته هذا مثقال، فلا يحسن الإضمار كما لا يحسن في التمييز، وأيضاً فإنه لو أُضْمِرَ  
 فالضمير إنما يكون لما تقدم باعتبار خصوصيته، فإذا لم يكن له وجب العدول عن المضمير  
 إلى الظاهر، ألا ترى أنك إذا أكرمت رجلاً وكسوته لكانت العبارة: أكرمت رجلاً وكسوته.  
 ولو أكرمت رجلاً وكسوت غيره، لكانت العبارة: أكرمت رجلاً وكسوت رجلاً. فتبين أنه  
 ليس من جعل الظاهر موضع المضمير<sup>(٣)</sup>.

قوله: (النحاس المذاب من القطران)، وعن بعضهم: صح بفتح الطاء، وهو مصدر،  
 وبالكسر مشتق منه.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤٥).

(٢) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٨٤).

(٣) «أمالى ابن الحاجب» (١: ٢٧٢).

لداود، فنبع كما ينبع الماء من العين؛ فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه، كما قال: ﴿إِنِّي أَرِنِّي أَغْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]. وقيل: كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام ﴿وَيَاذُنِ رَبِّي﴾: بأمره. ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ﴾: ومن يعدل ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناه به من طاعة سليمان. وقُرئ: (يُزِغ) من أزاغَه. و﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: عذاب الآخرة. عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن السُّدِّي: كان معه مَلَكٌ بيده سَوْطٌ من نار، كلما استعصى عليه ضَرَبَهُ من حيث لا يراه الجنِّي. المحارِب: المساكنُ والمجالسُ الشريفةُ المصونةُ عن الابتدال، سُمِّيت محارِب؛ لأنه يُحامي عليها ويُذَبُّ عنها. وقيل: هي المساجد. والتمثيل: صورُ الملائكةِ والنبِيِّنَ والصَّالِحِينَ، كانت تُعْمَلُ في المساجدِ من نُحاسٍ

الراغب: القَطْرُ: الجانبُ. وَقَطْرْتُهُ أَلْقَيْتُهُ عَلَى قَطْرِهِ. وَتَقَطَّرَ وَقَعَ عَلَى قَطْرِهِ، وَتَقَاتَرَ الْقَوْمُ: جَاءُوا أَرْسَالًا كَالْقَطْرِ، وَمِنْهُ قَطَارُ الْإِبِلِ، وَالْقَطِرَانُ بَكْسِرِ الطَّاءِ مَا يَتَقَطَّرُ مِنَ الْهِنَاءِ<sup>(١)</sup>. قوله: (باسم ما آل إليه)، يعني: أصله: أسلنا<sup>(٢)</sup> له معدن القطر بأن جعلناه مثل الماء ينبع كما ينبع، ولما كان المأل إلى هذا قيل ابتداءً: ﴿وَأَسَلْنَا لَعْنَةَ الْقَطْرِ﴾ تسميةً للشيء باسم ما يؤول إليه.

قوله: (وقيل: كان يسيل)، أي: القطر. روى مُحمي السنة عن المفسرين: أُجْرِيَتْ لَهُ عَيْنُ النحاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلِيَالِيَهِنَّ بِأَرْضِ الْيَمَنِ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (سُمِّيت محارِب لأنه يُحامي عليها ويُذَبُّ عنها)، رُوِيَ عَنِ الْمَصْنَفِ أَنَّهُ قَالَ: يُقَالُ: رَجُلٌ مَحْرَبٌ وَمِحْرَابٌ؛ لِلكَثِيرِ الْحُرُوبِ كَمَا يُقَالُ: مَكَانٌ مِحْلَالٌ لِكَثْرَةِ مَنْ يَحِلُّ فِيهِ. أَنَشَدَنِي الشَّيْخُ الْأَثِيرُ لِبَعْضِ أَهْلِ الشَّامِ:

قَرَنَ الشَّجَاعَةَ بِالْخُضُوعِ لِرَبِّهِ      مَا أَحْسَنَ الْمِحْرَابِ فِي مِحْرَابِهِ<sup>(٤)</sup>

(١) «مفردات القرآن» ص ٦٧٧.

(٢) في النسخة «ح»: «أرسلنا».

(٣) «معالم التنزيل» (٦: ٣٨٩).

(٤) ذكره الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٥: ١٧٧).

وَصُفْرٍ وَرُجَاجٍ وَرُخَامٍ، ليراها الناسُ فيعبُدوا نحوَ عبادتهم. فإن قلت: كيف استجازَ سليمانُ عليه السَّلامُ عمَلَ التصاويرِ؟ قلتُ: هذا ممَّا يجوزُ أن تختلفَ فيه الشرائعُ؛ لأنه ليسَ من مُقَبَّحاتِ العقلِ كالظلمِ والكذبِ. وعن أبي العالِيَةِ: لم يكنِ اتِّخَاذُ الصُّورِ إِذْ ذاكَ محرَّمًا. ويجوزُ أن تكونَ غيرَ صُورِ الحيوانِ، كصُورِ الأشجارِ وغيرها؛ لأنَّ التمثالَ كُلُّ ما صُوِّرَ على مِثْلِ صورةِ غيره من حيوانٍ وغيرِ حيوانٍ. أو تُصوِّرُ محذوفةَ الرَّؤوسِ. ورُوي: أنهم عملوا له أسدين في أسفلِ كرسيه، ونسرين فوقه، فإذا أرادَ أن يصعدَ بسطَ الأسدانِ له ذراعَيْهما، وإذا قعدَ أظلهُ النسرانِ بأجنحتَيْهما. والجوابي: الحياضُ الكبارُ، قال:

تَرُوحُ عَلَى آلِ الْمُحَلِّقِ جَفْنَةٌ      كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

لأنَّ الماءَ يُجْبَى فيها، أي: يُجْمَعُ. جُعِلَ الفِعْلُ لها مجازًا، وهي من الصِّفَاتِ الغالِبَةِ

سُمِّيَ المحرابُ مجرابًا لكثرة ما يُحَامَى عليه وَضْفًا للمكان بصفة صاحبه.

قوله: (تروح على آل المحلق)، البيت. مضى خبرُ المُحَلِّقِ وَسَبَبُ قولِ الأَعشى فيه

في سورة «طه».

تَفْهَقُ: تَمْتَلِي حتى تطفح. يقال: فَهَقَ الإِناءُ بالكسرِ يَفْهَقُ فَهْقًا؛ إذا امتلأ حتى تصيب، وإنما خصَّ الشَّيْخَ لضعفه، وأنه لا يجد الماءَ في كلِّ وقتٍ فإذا وجده افترض<sup>(١)</sup> وملاً حوضه، قيل: أرادَ بالشَّيْخِ العِرَاقِيِّ كسرى. وفي «ديوان الأَعشى» بالسَّينِ والحاءِ المهملتين، أي: الماءِ الجارِي على وجه الأرض، وقيل: أرادَ به الفرات<sup>(٢)</sup>.

وأما قول المصنِّف: «جعل الفعل لها» أي: «تروح» أسندَ إلى الجفنة، والظاهر أن الجابِيَةَ اسمُ فاعلٍ. الأصلُ مَجْبُوءٌ فيها فأسندَه إلى الجابِيَةِ مجازًا، كما قيل في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور: ٢] سهاها زانيةً وإنما هي المزنيُّ بها.

(١) أي: انتهاز الفرصة.

(٢) وقيل: أرادَ دجلة. انظر: «تاج العروس» (فَهق).

كالدابة. وقيل: كَانَ يَقَعْدُ عَلَى الْجَفْنَةِ أَلْفُ رَجُلٍ. وَقُرِي: بِحَذْفِ الْيَاءِ اِكْتِفَاءً بِالْكَسْرِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦٦]. ﴿رَأْسَيْتِ﴾: ثَابِتَاتٌ عَلَى الْأَثَافِي لَا تُنَزَلُ عَنْهَا لِعِظَمِهَا. ﴿اعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ﴾: حِكَايَةُ مَا قِيلَ لِأَلِ دَاوُدَ. وَانْتَصَبَ ﴿شُكْرًا﴾ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، أَي: اَعْمَلُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوهُ عَلَى وَجْهِ الشُّكْرِ لِنِعْمَاتِهِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ يَجِبُ أَنْ تُؤَدَّى عَلَى طَرِيقِ الشُّكْرِ. أَوْ عَلَى الْحَالِ، أَي: شَاكِرِينَ. أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ: اشْكُرُوا شُكْرًا؛ لِأَنَّ ﴿اعْمَلُوا﴾ فِيهِ مَعْنَى اشْكُرُوا، مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْعَمَلَ لِلْمَنْعِمِ شُكْرٌ لَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصَبَ بِ﴿اعْمَلُوا﴾ مَفْعُولًا بِهِ، وَمَعْنَاهُ: إِنَّا سَخَرْنَا لَكُمْ الْجَنَّ يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا شِئْتُمْ، فَاعْمَلُوا أَنْتُمْ شُكْرًا، عَلَى طَرِيقِ الْمَشَاكِلَةِ. وَ﴿الشُّكُورُ﴾: الْمَتَوَفَّرُ عَلَى

قوله: (وقرى بحذف الياء اكتفاء بالكسرة)، كلهم إلا ابن كثير وأبا عمرو ووزنًا<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: كان الأصل الوقف بالياء إلا أن الكسرة تنوب عنها، وكانت بغير ألف ولا م والوقف عليها بغير ياء، تقول: هذه<sup>(٢)</sup> جواب، فأدخلت الألف واللام، وترك الكلام على ما كان عليه قبل دخولها<sup>(٣)</sup>.

قوله: (ويجوز أن ينتصب ب﴿اعملوا﴾ مفعولاً به)، إلى قوله: (طريق المشاكلة) يعني: كان أصل الكلام: اشكروا الله آل داود شكراً، فأقيم مقام «اشكروا»: ﴿اعملوا﴾؛ ليشاكل قوله: ﴿يعملون له﴾.

قال ابن الحاجب: يجوز أن يكون مفعولاً به، كأن العمل له تعلق بالشكر، كما تقول: عملت كذا، فأجراه لذلك مجرى المفعول به، ويجوز أن ينتصب على المصدر لأنه نوع من العمل نحو: قعدت القرفصاء، وإما لأنه إذا عملوا فقد تضمن ذلك شكراً<sup>(٤)</sup> لا يحتل العمل غيره، فيكون من باب ﴿كُتِبَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٢٤]٥. هذا الذي عناه المصنف بقوله:

(١) انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٨٣. أثبتها ابن كثير وصلاً ورفقاً، وأثبتها أبو عمرو وورش وصلاً.

(٢) في النسخ الخطية: «هذا» وصوبناه من «معاني القرآن» للزجاج.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤٦).

(٤) زيادة من «أمالي ابن الحاجب».

(٥) «أمالي ابن الحاجب» (١: ٢٧٣). وقوله: «فيكون من باب ﴿كُتِبَ اللَّهُ﴾ يعني قوله تعالى: =

أداء الشكر، الباذلُ وسَعَه فيه، قد شَغَلَ به قلبه ولسانه وجوارحه؛ اعتقادًا واعتراقًا وكدحًا، وأكثرَ أوقاته. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من يشكرُ على أحواله كلها. وعن السدي: من يشكرُ على الشكر. وقيل: من يرى عجزه عن الشكر. وعن داود:

«إن العملَ للمُنعمِ شُكْرُه».

قوله: (قد شَغَلَ به قلبه ولسانه وجوارحه)، لفٌّ. وقوله: «اعتقادًا واعتراقًا وكَدْحًا» تَشْرٌ، وهو ينظرُ إلى قوله في الفاتحة: «وأما الشكرُ فعلى النعمةِ خاصَّةً وهو بالقلبِ واللسانِ والجوارح».

الراغب: الشكرُ: تصوُّرُ النعمةِ وإظهارُها، وقيل: هو مقلوبُ الكَشْر، أي: الكشف، ويُضادُّه الكفر، وهو نسيانُ النعمةِ وسترُها، ودابةٌ شكور: مظهرٌ بسمينه إسداءً صاحبه. وقيل: أصله عَيْنٌ شَكْرِي، أي: ممتلئة، فالشكرُ على هذا هو الامتلاءُ من ذِكْرِ المنعم. والشكرُ ثلاثةٌ أُضْرِب: شُكْرٌ بالقلبِ وهو تصوُّرُ النعمةِ، وشُكْرٌ باللسانِ وهو الثناءُ على المُنعمِ، وشُكْرٌ بسائرِ الجوارح وهو مكافأةُ النعمةِ بقَدْرِ استحقاقه، وقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣] قيل: انتصابه على التمييز، أي: اعملوا ما تعملونه شكرًا لله، وقيل: مفعول لقوله: ﴿اعْمَلُوا﴾، وذكر ﴿اعْمَلُوا﴾ ولم يقل: «اشكروا» لئِنَّه على التزامِ الأنواعِ الثلاثة<sup>(١)</sup>.

قوله: (مَنْ يشكرُ على الشكر)، وعليه قال:

إذا كان شُكْرِي نعمةَ الله نعمةً	عليَّ له في مثلها يجبُ الشكرُ
فكيف بلوغُ الشكرِ إلا بفضله	وإن طالَت الأيامُ واتَّسع العُمُرُ
إذا مسَّ بالنعاءِ عَمَّ سرورها	وإن مَسَّ بالضراءِ أعقبها الأجرُ <sup>(٢)</sup>

= ﴿وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الرِّسَالَةِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] قال الإمام البغوي في «معالم التنزيل» (٢: ١٩٣): قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: نصبٌ على المصدر أي: كتب الله عليكم كتاب الله. انتهى.

(١) «مفردات القرآن» ص ٤٦١-٤٦٢.

(٢) الأبياتُ لمحمود الوراق كما في «ربيع الأبرار» للزغشري (٥: ٢٨٤) و«الفاضل» للمبرد ص ٩٥.

أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنساناً من آل داود قائمٌ يصلي. وعن عمر رضي الله عنه: أنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: إني سمعتُ الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾، فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل، فقال عمر: كلُّ الناس أعلمٌ من عمر.

[ ﴿ فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ المَوْتُ ما دَلَّمْنا عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سائِطِهِ فَمَما خَرَبْتِنا لِئِن أن لَوْ كانوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لَيْسُوا فِي العَذابِ المُهِينِ ﴾ ١٤ ]

قُرئ: (فَلَمَّا قُضِيَ عَلَيْهِ المَوْتُ). ودابَّةُ الأرض: الأَرْضُ، وهي الدويبة التي يقال لها: السُرْفَةُ، والأَرْضُ فِعْلُها، فَأُضِيفَتْ إليه. يقال: أَرْضَتِ الخَشْبَةُ أَرْضًا. إذا أَكَلَتْها الأَرْضُ. وقُرئ بفتح الراء، من أَرْضَتِ الخَشْبَةُ أَرْضًا، وهو من بابِ فِعْلُهُ ففَعِل، كقولك: أَكَلَتِ القوادِحُ الأَسنانَ أَكْلاً، وأَكَلَتِ أَكْلاً. والمِنْسَأَةُ: العصا؛ لأنه

وهو أيضاً معنى قوله: «وقيل: مَنْ يرى عَجْزَهُ عن الشُّكْرِ».

قوله: (السُرْفَةُ)، النهاية: دُوْبَةٌ صَغِيرَةٌ تَنْقُبُ الشَّجَرَةَ وتَتَخَذُ بَيْتًا، يُضْرَبُ بها المثل، يقال: أَضْنَعُ من سُرْفَةٍ<sup>(١)</sup>.

الراغب: سُمِّيتَ بذلك لتصوُّرِ معنى الإسرافِ منها، يقال: سُرِفَتِ الشَّجَرَةُ فِهيَ مَسْرُوفَةٌ.

قوله: (والأَرْضُ فِعْلُها)، أي: أَكَلَتْها الخَشْبُ، يُشِيرُ إلى أَنَّ «الأَرْضُ» مصدر.

قوله: (بفتح الراء)، أي: في «دَابَّةِ الأَرْضِ» أي: من الباب الذي يكون مضموم العين متعدياً، ومكسور العين لازماً، ولذلك قال: من: أَرْضَتِ الخَشْبَةُ بالكسْرِ.

قوله: (أَكَلَتِ القوادِحُ الأَسنانَ)، الجوهري: قَدَحَ الدودُ في الأَسنانِ والشَّجَرِ قَدْحًا، وهو تَأْكُلُ يقع فيه، والقادِحَةُ الدود.

(١) انظر: «مجمع الأمثال» (١: ٤١١).

يُنْسَأُ بها، أي: يطردُ ويؤخر. وقُرئَ بفتح الميمِ وبتخفيفِ همزة قلبًا وحذفًا، وكلاهما ليسَ بقياس، ولكن إخراجُ الهمزة بينَ يينَ هو التخفيفُ القياسي. و(منسأته) على مفعالة، كما يقالُ في الميضة: ميضاءة. و(من سآته)، أي: من طَرَفِ عصاه، سُمِّيت بسأة القوسِ على الاستعارة. وفيها لغتان، كقولهم: .....

قوله: (وقرئ بفتح الميمِ وبتخفيفِ الهمزة قلبًا وحذفًا)، وفي «التيسير»: نافعٌ وأبو عمرو: «منسأته» بالفاء ساكنة بدلًا من الهمزة والبدلُ مسموع، وابنُ دُكوان: بهمزة ساكنة، ومثله قد يجيءُ في الشعرِ لإقامة الوزن، وأنشد الأحمشُ الدمشقي:

صريعٌ خمرٍ قامَ من وكأته      كقومه الشيخ إلى منسأته

والباقون: بهمزة مفتوحة. وحزرةٌ إذا وقفَ جعلها بينَ يينَ على أصله<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ جني: المشهورُ ﴿مِنْسَأَتُهُ﴾ و«منسأته» بالهمزِ وبالبدلِ من الهمزِ، وهي العصا، مفعلةٌ؛ من: نَسَأَتِ الناقةَ والبعيرَ إذا زَجَرْتَهُ. قال الفراء: هي من سِيَةِ القوسِ<sup>(٢)</sup>، وهي مَهْمُوزَةٌ، ويجوزُ عند الفراءِ ستةٌ وسأة، وشبهها بالِقِحَّةِ والقِحَّةِ والضَّعَّةِ والضَّعَّةِ، والتفسيرُ إنما هو على العصا لا سِيَةِ القوسِ، وهي من (ن س ء) أو إن كانت السِيَةُ والسأة من: نَسَأَتْ، فهي عِلَّةٌ، والفاءُ محذوفةٌ نحو العِدَّةِ والزَّئِنَةِ والضَّعَّةِ والقِحَّةِ، وذلك مما فاؤهُ «واو» لا نون، ولم يَمُرُّ بنا ما حُدِفَتْ نونُهُ وهي فاء، وسِيَةُ القوسِ: فَعَّةٌ، واللامُ محذوفةٌ.

وسُئِلَ أبو عمرو عن تركِ همزة «منسأته» قال: وجدتُ لها في كتابِ الله تعالى أمثالًا ﴿حَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] و﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]، وكان أبو عمرو يهزُّ ثم تركها. ويريدُ أن البريةَ من: برأ الخلقُ، فتركَ همزها تخفيفًا، و«لترؤن» أصله: تراءى<sup>(٣)</sup>.

قوله: (على الاستعارة)، أي: اللفظية لا المعنوية، كما سيجيءُ في قوله: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُهُوسٌ الشَّيْطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥] ومنه تسميةُ مطلقِ الأنفِ للرَسَنِ.

(١) «التيسير في القراءات السبع» ص ١١٨.

(٢) وهو ما اعرجَّ من رأسها.

(٣) «المحتسب» (٢: ١٨٧).

قِحَّةٌ وَقِحَةٌ. وقُرئ: (أَكَلَتْ مِنْسَاتِهِ). ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ من: تَبَيَّنَ الشَّيْءُ؛ إِذَا ظَهَرَ وَتَجَلَّى. و﴿أَنَّ﴾ مَعَ صَلَاتِهَا بَدَلٌ مِّنَ ﴿الْجِنَّ﴾ بَدَلُ الْاِسْتِمَالِ، كَقَوْلِكَ: تَبَيَّنَ زَيْدٌ جَهْلَهُ. وَالظُّهُورُ لَهُ فِي الْمَعْنَى، أَي: ظَهَرَ أَنَّ الْجِنَّ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ﴾؛ أَوْ: عَلِمَ الْجِنَّ كُلُّهُمْ عِلْمًا بَيِّنًا بَعْدَ التَّبَاسِ الْأَمْرِ عَلَى عَامَّتِهِمْ وَضَعْفَتِهِمْ، وَتَوَقُّهِمْ أَنَّ كِبَارَهُمْ يَصْدُقُونَ فِي إِدْعَائِهِمْ عِلْمَ الْغَيْبِ؛ أَوْ: عَلِمَ الْمُدَّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ مِنْهُمْ عَجْزَهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، وَإِنْ كَانُوا عَالِمِينَ قَبْلَ ذَلِكَ بِحَالِهِمْ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ

قوله: (قِحَّةٌ وَقِحَةٌ)، الجوهري: وَقِحَ الرَّجُلُ: إِذَا صَارَ قَلِيلَ الْحَيَاءِ، فَهُوَ وَقِحٌ وَوَقَاحٌ بَيْنَ الْقِحَّةِ؛ بِفَتْحِ الْقَافِ وَكسرها، وَالْهَاءُ عِوَضٌ مِنَ الْوَاوِ وَكَذَلِكَ سِيَةُ الْقَوْسِ، وَهِيَ مَا عَطَفَ مِنْ طَرَفَيْهَا، وَالْجَمْعُ سِيَّاتٌ، وَالْهَاءُ عِوَضٌ مِنَ الْوَاوِ.

قوله: ﴿أَنَّ﴾ مَعَ صَلَاتِهَا بَدَلٌ مِّنَ ﴿الْجِنَّ﴾، وقيل: بَدَلٌ مِّنْ مُّقَدَّرٍ وَهُوَ أَمْرٌ؛ أَي: تَبَيَّنَ أَمْرُ الْجِنَّ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ مَحَلُّهُ رَفَعٌ.

قوله: (والظهور له)، أي: للجهل في المعنى؛ يعني أَسْنَدَ تَبَيَّنَ الَّذِي بِمَعْنَى ظَهَرَ إِلَى زَيْدٍ، وَفِي الْمَعْنَى الظُّهُورُ لِلْجَهْلِ لَا لَزَيْدٍ، فَجِيءَ بِزَيْدٍ تَوَطُّةً، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ: «ظَهَرَ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» أَي: ظَهَرَ جَهْلُ الْجِنَّ لِلنَّاسِ.

قوله: (أَوْ عَلِمَ الْجِنَّ)، عَطَفَ عَلَى ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ من: تَبَيَّنَ الشَّيْءُ، يعني: ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ يجوز أن يكون لازماً وأن يكون متعدياً.

الجوهري: تَبَيَّنَ الشَّيْءُ، أَي: ظَهَرَ، وَتَبَيَّنَتْهُ أَنَا، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى. وَإِلَى مَعْنَى اللَّازِمِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «ظَهَرَ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ»، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ مُتَعَدِّياً إِذَا جُعِلَ التَّعْرِيفُ فِي «الْجِنَّ» لِلْجِنْسِ كَانَ الْمَعْنَى كَمَا قَالَ: «أَوْ عَلِمَ الْجِنَّ كُلُّهُمْ عِلْمًا بَيِّنًا» إِلَى آخِرِهِ، وَإِذَا جُعِلَ لِلْعَهْدِ وَالْمِرَادُ جِنِّ سَلِيمَانَ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ وَضْعِ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ فَيَفِيدُ بِحَسَبِ الْمَقَامِ مَعْنَى التَّهَكُّمِ، وَأَنْ يُقَالَ: لَوْ عَلِمَ الْمُدَّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ عَجْزَهُمْ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الشَّيْءِ وَهُوَ يَعْلَمُ جَهْلَهُ ثُمَّ يَعْجِزُ عَنْهُ: قَدْ عَلِمَ الْمُدَّعِي أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِهِ.

قوله: (عَجْزَهُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ)، قيل تنازع فيه قوله: «أَوْ عَلِمَ الْجِنَّ كُلُّهُمْ»



التَهَكُّمُ بهم كما تهكَّمُ بمدعي الباطل إذا دُحِضَتْ حجَّتُهُ، وظَهَرَ إبطاله بقولك: هل تَبَيَّنَتْ أنك مُبْطَل. وأنت تعلم أنه لم يزل لذلك متبَيَّنًا. وقُرئ: (تَبَيَّنَتْ الجُنُّ) على البناء للمفعول، على أن المتبَيَّنَ في المعنى هو: ﴿أَنْ﴾ مع ما في صلتها؛ لأنه بَدَل. وفي قراءة أبي: (تَبَيَّنَتْ الإنْسُ). وعن الضَّحَّاك: (تَبَايَنَتْ الإنْسُ)، بمعنى: تَعَارَفَتْ وتَعَالَمَتْ. والضميرُ في ﴿كَأَنُوا﴾ للجُنِّ في قوله: ﴿وَمَنْ أَلْجِنَ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبا: ١٢]، أي: علمتِ الإنْسُ أن لو كَانَ الجُنُّ يَصْدُقُونَ فيما يوهمونهم من عِلْمِهِم الغَيْبِ؛ ما لبثوا. وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب). رُوِيَ: أنه كَانَ من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكفَ في مسجدِ بَيْتِ المقدسِ المُدَدَ الطَّوَالِ، فلَمَّا دنا أَجَلُهُ لم يصبِحْ إلا رأى في محرابِهِ شجرةً نابتةً قد أَنْطَقَتْهَا اللهُ، فَيَسْأَلُهَا: لأَيِّ شَيْءٍ أنت؟ فتقول: لكذا، حتى أَصْبَحَ ذاتَ يومٍ فرأى الخَرْوَبَةَ فسأَلَهَا، فقالت: نبتُ لخرابِ هذا المسجد، فقال: ما كَانَ اللهُ لِيُخْرِبَهُ

وقوله: «وعلم المُدْعُونَ» أو يقول: هو معمولُ الثاني وحُذِفَ مفعولُ الأولِ لدلالة هَذَا عليه، ويؤيِّدُ الوجهَ الأخيرَ قوله: «وإن كانوا عالمينَ قبل ذلك بحالهم» إلى آخره.

قوله: (على أن المتبَيَّنَ في المعنى)، يعني ﴿تَبَيَّنَتْ﴾ قرئ مجهولاً<sup>(١)</sup> بناءً على أن المسندَ إليه «أَنْ» مع ما في صلتها، وذكُرَ الجُنُّ كالتوطئة، ومَرَّجِعُهُ إلى الوجهِ الأولِ.

قوله: (تَبَيَّنَتْ الإنْسُ)، قال ابن جني: هي قراءة ابن عباس والضَّحَّاك وعلي بن الحسين رضي الله عنهم، أي: تبينت الإنس أن الجن لو عَلِمُوا بذلك ما لبثوا في العذاب المُهين، ويدلُّ عليه ما رواه معبدٌ عن قتادة قال: في مُصْحَفِ عبد الله: «تَبَيَّنَتْ الإنْسُ أن الجنَّ لو كانوا يعلمون ما لبثوا»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (الخَرْوَبَةُ)، النهاية: في حديثِ سليمان عليه السلام: كان يَنْبُتُ كُلُّ يومٍ في مُصَلَاةٍ شجرةً فَيَسْأَلُهَا: ما أنت؟ فتقول: أنا شجرةٌ كذا، أنبتُ في أرضِ كذا، أنا دَوَاءٌ من داءِ كذا،

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٢٧٩).

(٢) «المحتسب» (٢: ١٨٨).

وأنا حيّ، أنتِ التي على وجهك هلاكِي وخرابُ بَيْتِ المقدس، فنزَعَهَا وَغَرَسَهَا فِي حَائِطِ لِه وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَمَّ عَلَى الْجَنِّ مَوْتِي، حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ. لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ وَيَمْوَهُونَ عَلَى الْإِنْسِ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ. وَقَالَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ: إِذَا أُمِرْتَ بِي فَأَعْلَمْنِي، فَقَالَ: أُمِرْتُ بِكَ وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْ عُمْرِكَ سَاعَةٌ، فَدَعَا الشَّيَاطِينَ فَبَنَوْا عَلَيْهِ صَرْحًا مِنْ قَوَارِيرَ لَيْسَ لَهُ بَابٌ، فَقَامَ يَصَلِّي مُتَكِنًا عَلَى عَصَاهُ، فَقُبِضَ رُوحُهُ وَهُوَ مُتَكَيِّئٌ عَلَيْهَا؛ وَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَجْتَمِعُ حَوْلَ عَمْرَاهِ أَيُّهَا صَلَّى، فَلَمْ يَكُنْ شَيْطَانٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي صَلَاتِهِ إِلَّا اخْتَرَقَ، فَمَرَّ بِهِ شَيْطَانٌ فَلَمْ يَسْمَعْ صَوْتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَسْمَعْ، فَانظُرْ، فَإِذَا سَلِيمَانُ قَدْ خَرَّ مَيِّتًا، فَفَتَحُوا عَنْهُ فَإِذَا الْعَصَا قَدْ أَكَلَتْهَا الْأَرْضُ، فَأَرَادُوا أَنْ يَعْرِفُوا وَقْتَ مَوْتِهِ، فَوَضَعُوا الْأَرْضَ عَلَى الْعَصَا فَأَكَلَتْ مِنْهَا فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَقْدَارًا، فَحَسَبُوا عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ فَوَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ سَنَةٍ، وَكَانُوا يَعْمَلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَحْسَبُونَهُ حَيًّا، فَأَيَّقَنَ النَّاسُ أَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا الْغَيْبَ لَمَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ سَنَةً. وَرُوي: أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسَسَ بِنَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي مَوْضِعِ فُسْطَاطِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،

فِي أَمْرٍ بِهَا فَتَقَطَّعَ، ثُمَّ تَصَرَّرَ وَيُكْتَبُ عَلَى الصُّرَّةِ اسْمُهَا وَدَوَاوِهَا، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ ذَلِكَ نَبَتْ يَلْبِثُ فِيهَا، فَقَالَ: وَمَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْخَرْبُوبَةُ وَسَكَنْتِ، فَقَالَ: الْآنَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ فِي خَرَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ وَذَهَابِ هَذَا الْمَلِكِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ<sup>(١)</sup>. وَقَرِيبَ مِنْهُ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (في موضعِ فُسْطَاطِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، الجوهري: الفُسْطَاطُ بَيْتٌ مِنْ شَعَرٍ، وَفُسْطَاطٌ: مَدِينَةُ مِصْرَ. وَالظَّاهِرُ غَيْرُ ذَلِكَ. أَمَا الثَّانِي فَظَاهِرٌ، وَأَمَا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَا رَأَاهُ. وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الْمُصَنِّفُ فِي الْمَائِدَةِ فِي

(١) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (٢: ٥٧٦) عن خصيف، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١: ٢٢٥) عن ابن عباس وعبدالله بن شداد، والضياء المقدسي في المختارة (١٠: ٢٩١) عن ابن عباس.

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٣٩١).

فمات قبل أن يُتمَّه، فوصى به إلى سليمان، فأمر الشياطين بإتمامه، فلما بقي من عمره سنة سأل أن يُعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه؛ ليطل دعواهم علم الغيب. روي: أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه، فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها، فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه، وكان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة؛ ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فبقي في ملكه أربعين سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مئتين من ملكه.

[لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ \* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشِقَاقٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٥-١٧﴾]

قُرى: ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالصرف ومنعه، وقلب الهمزة ألفاً. ....

قصته قال: روي أن هارون مات في التيه، ومات موسى بعده فيه بسنة، ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر<sup>(١)</sup>.

وروي في حديث قبض روحه عن البخاري ومسلم والنسائي عن النبي ﷺ: «فسأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر» قال رسول الله ﷺ: «فلو كُنْتُ نَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَيْتِبِ الْأَحْمَرِ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (قُرى: ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالصرف ومنعه)، البرِّي وأبو عمرو: بفتح الهمزة من غير تنوين، وقَبْلُ: بإسكانها على نية الوقف، والباقون: بالخفض مع التنوين<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: مَنْ فَتَحَ وَتَرَكَ الصَّرْفَ فَلَجَعَلَهُ اسْمًا لِلْقَبِيلَةِ وَمَنْ صَرَفَهُ جَعَلَهُ اسْمًا لِرَجُلٍ أَوْ لِلْحَيِّ<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الكشاف (٥: ٣٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٨٥ والجامع لأحكام القرآن (١٤: ٢٨٢).

(٤) «معاني القرآن وإعراجه» (٤: ٢٤٨).

﴿مَسْكِينَهُمْ﴾: بفتح الكاف وكسرها، وهو موضع سكناهم، وهو بلدُهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها، أو مسكن كل واحد منهم. وقُرى: (مساكينهم). و﴿جَنَّاتٍ﴾: بدلٌ من ﴿آيَةٍ﴾. أو خبرٌ مبتدأ محذوف، تقديره: الآية جنتان. وفي الرفع معنى المدح، تدلُّ عليه قراءة من قرأ: (جنتين) بالنصب على المدح. فإن قلت: ما معنى كونها آية؟ قلت: لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية، وإنما جعل قصتهما وأن أهلها أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخرَّبهما، وأبدلهم عنهما الخمط والأثل؛ آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفرِ وغمطِ النعم. ويجوزُ أن تجعلها آية،

قوله: ﴿مَسْكِينَهُمْ﴾ بفتح الكاف وكسرها، حفصٌ وحمزة: بإسكان السين وفتح الكاف، والكسائي كذلك غير أنه يكسر الكاف، والباقون: بفتح السين وكسر الكاف وألف بينهما<sup>(١)</sup>.

قال مكِّي: من قرأ بالتوحيد وفتح الكاف جعله مصدرًا ولم يجمعه وأتى به على القياس، لأن «فَعَلَ يَفْعَلُ» قياس مطرد بالفتح نحو المَقْعَدِ والمَدْحَلِ، وقيل: هو اسمٌ مُفْرَدٌ للمكان يؤدِّي عن الجمع، ومن كسر الكاف جعله اسمًا للمكان كالمسجد، وقيل: هو مصدرٌ خرج عن الأصلِ كالمَطْلَعِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿ويجوز أن تجعلها آية﴾، أي: علامة دالة على الله وعلى قدرته، فعلى الأول المضاف محذوف، وعلى الثاني هو مثل قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] قال: حالها بمجموعها آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فعل<sup>(٣)</sup>.

اعلم أن في مثل هذه الآية يجوز أن ينتفع بها المكلف من حيث الاعتبار، فينزجر ويتردع عن كفران نعم الله لثلا يُصيِّبه بمثل ما أصابهم أو من حيث القدرة الكاملة والإحسان إليه حيث ما ابتلاه بمثل ما ابتلاههم، فيشكر الله عليه وهذا معنى قولهم: تجبُ سجدةُ الشكرِ عند

(١) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٨٥ و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٢٨٣).

(٢) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٨٥).

(٣) انظر: الكشاف (١٠: ٣٩٨).

أي: علامة دالة على الله، وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره. فإن قلت: كيف عَظَّمَ اللهُ جَنَّتِي أَهْلَ سَبَأٍ وجعلها آيةً، ورُبَّ قَرْيَةٍ من قُرَيَاتِ الْعِرَاقِ يَحْتَفُّ بِهَا مِنَ الْجَنَانِ مَا شَتَّتْ؟ قلتُ: لم يُرَدُّ بُسْتَانَيْنِ اثْنَيْنِ فَحَسَبَ، وإنما أرادَ جَمَاعَتَيْنِ مِنَ الْبَسَاتِينِ: جَمَاعَةً عَنِ يَمِينِ بَلَدِهِمْ، وَأُخْرَى عَنِ شِمَالِهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمَاعَتَيْنِ فِي تَقَارِبِهِمَا وَتَضَامُهُمَا، كَأَنَّهَا جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، كَمَا يَكُونُ بِلَادُ الرَّيْفِ الْعَامِرَةُ وَبَسَاتِينُهَا، أَوْ أَرَادَ بَسْتَانِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَنِ يَمِينِ مَسْكِنِهِ وَشِمَالِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الكهف: ٣٢]. ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾: إِمَّا حِكَايَةً لِمَا قَالَ لَهُمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ الْمُبْعُوثُونَ إِلَيْهِمْ، أَوْ لِمَا قَالَ لَهُمْ لِسَانُ الْحَالِ، أَوْ هُمْ أَحْقَاءُ بَأَنَّ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ، وَلَمَّا قَالَ: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾. اتَّبَعَهُ قَوْلُهُ: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾. يَعْنِي: هَذِهِ الْبَلَدَةُ الَّتِي فِيهَا رِزْقُكُمْ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ، وَرَبُّكُمْ الَّذِي رَزَقَكُمْ وَطَلَبَ شُكْرَكُمْ رَبٌّ غَفُورٌ لِمَنْ شَكَرَهُ. وَعَنْ

اندفاعِ نِقْمَةٍ أَوْ مُجُومِ نِعْمَةٍ<sup>(١)</sup>، وَإِلَى الْأَوَّلِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «فَلَا يَعُودُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ» وَإِلَى الثَّانِي بِقَوْلِهِ: «وَإِحْسَانِهِ وَوَجُوبِ شُكْرِهِ».

قَوْلُهُ: (لَمْ يُرَدِّ بُسْتَانَيْنِ اثْنَيْنِ فَحَسَبَ)، أَي: ﴿جَنَّتَانِ﴾ إِمَّا بَدَلٌ مِنْ «آيَةٍ» أَوْ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ وَالْجُمْلَةُ بَيَانٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿لِسَبَأٍ﴾ اسْمٌ قَبِيلَةٌ أَوْ حَيٌّ مَحْمُولٌ عَلَى «آيَةٍ» لِأَنَّهَا اسْمٌ «كَانَ» وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ «جَنَّتَانِ» عَلَى الْكُلِّ: إِمَّا بِاعْتِبَارِ الْجِنْسِ وَمَا يُقَالُ لَهُ: جَنَّتَانِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «وَإِنَّمَا أَرَادَ جَمَاعَتَيْنِ» إِلَى آخِرِهِ، أَوْ بِاعْتِبَارِ أَفْرَادِ الْجِنْسِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «أَوْ أَرَادَ بُسْتَانِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَسَاتِينُ سَائِرِ الْبِلَادِ لِسَائِرِ النَّاسِ»، فَأَدَّى مَأْلَ الْمَعْنَى إِلَى أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْبِلَادِ كَانُوا مُتَرَفِّينَ قَاطِبَةً أَصْحَابَ بَسَاتِينِ.

قَوْلُهُ: (اتَّبَعَهُ)، فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ فِي التَّنْزِيلِ لَفًا وَتَشْرَاهُ، وَأَنَّ وَضَعَ الْبَلَدَةَ بِالطَّيِّبَةِ نَاطِرًا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨]، وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «هَذِهِ الْبَلَدَةُ

(١) عبارة ابن قدامة في «المغني» (١: ٤٤٩): «وُشْتَحِبُّ سَجُودَ الشُّكْرِ عِنْدَ تَجَدُّدِ النِّعْمِ وَانْدِفَاعِ النِّقْمِ، انْتَهَى. فَجَعَلَهُ مِنَ الْاسْتِحْبَابِ لَا الْوَجُوبِ. وَلِتِمَامِ الْفَائِدَةِ انظُرْ: «التَّهْذِيبُ فِي الْفِقْهِ» لِلْإِمَامِ الْبَغَوِيِّ

ابن عباس رضي الله عنهما: كانت أخصب البلاد وأطيبها؛ تخرج المرأة وعلى رأسها المِكتَل، فتعمل يديها وتسير بين تلك الشجر، فيمتلئ المِكتَل مما يتساقط فيه من الثمر. ﴿طَيْبَةٌ﴾: لم تكن سبخة. وقيل: لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا بُرغوث ولا عقرب ولا حية. وقري: (بلدة طيبة وربًا غفورًا) بالنصب على المدح. وعن ثعلب: معناه: اسكن، وابدأ. ﴿الْعَرِمُ﴾: الجُرذ الذي نَقَبَ عليهم السُّكْر؛ ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصَّخِرِ والقار، فحققت به ماء العيون والأمطار، وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم، فلما طغوا قيل: بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيًا يدعوهم إلى الله ويذكروهم نعمته عليهم، فكذبوهم، وقالوا ما نعرفُ الله نعمة - سلط الله على سدِّهم الخُلدَ فنقبه من أسفله فغرقهم. وقيل: العريم: جمع

التي فيها رزقكم بلدة طيبة، إلى قوله: «غفور لمن شكر»، وإيدان بأن شكرهم لم يكن وانما بتلك النعمة، وأنه تعالى يرضى عنهم بقليل الشكر من كثير النعمة<sup>(١)</sup>.

قوله: (اسكن وابدأ)، أي: اسكن بلدة طيبة وابدأ ربًا غفورًا.

قوله: (الجُرذ)، الجوهري: الجُرذ ضرب من الفأر والجمع جُرذان. والخُلد أيضًا ضرب من الجُرذان. قيل: سُمِّيَ خُلدًا لإقامته عند جحره لعماه.

الراغب: قيل: العريمُ الجُرذُ الذَّكَرُ نُسِبَ إليه الفعل لأنه هو الذي نَقَبَ المَسْنَاةَ. وقال: العرامة: شراسةٌ وصُعوبةٌ في الخُلُقِ ويظهر بالفعل يقال: عريمٌ فهو عارم، وعريمٌ تَخَلَّقَ بذلك، ومنه: عرام الجيش، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦] وقيل: العريمُ: المَسْنَاةُ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (والقار)، الجوهري: القار القير والقارة: الأكمة، وجمعها: قار.

قوله: (فحقنت)، الأساس: حَقَنَ اللبن في السقاء: جَعَمَهُ، وسقاه الحَقِينِ أي: اللبن المَحْقُونِ.

(١) هذه الفقرة سقطت من (ح) و(ف).

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٥٦٢.

عَرِمَةٌ، وهي الحجارةُ المركومة. ويقالُ للكُدْسِ من الطعامِ: عَرِمَةٌ، والمرادُ: المُسْنَأَةُ التي عقدوها سِكْرًا. وقيل: العَرِمُ اسمُ الوادي. وقيل: العَرِمُ المطرُ الشديد. وقُرئ: (العَرِم) بسكونِ الرَّاء. وعن الضحَّاك: كانوا في الفترة التي بينَ عيسى ومحمدَ عليها السلام. وقُرئ: (أَكَل) بالضمِّ والسكون، وبالتنوينِ والإضافة. والأكل: الثمر. والخمط: شجرُ الأراك. وعن أبي عبيدة: كلُّ شجرٍ ذي شوك. وقال الزجاج: كلُّ نبتٍ أخذَ طعمًا من مرارة، حتى لا يُمكنُ أكله. والأثل: شجرٌ يشبه الطَّرْفاءَ أعظمُ منه وأجودُ عودًا. ووجهُ مَنْ نَوَّن: أن أصله: ذواتيُّ أَكَلٍ أَكَلٍ خَمَطٍ؛ فحذِفَ المضافُ وأقيِمَ المضافُ إليه مقامه.

قوله: (للكُدْسِ)، الأساس: كُدْسٌ من الطعامِ وأكْداسٌ. ومن المجازِ: مرزُتُ بأكْداسٍ من الطعامِ، وتكُدَّستِ الخيلُ: اجتمعتْ وركبَ بعضها بعضًا في سَيرِها.  
قوله: (المُسْنَأَةُ)، قيل: ما يُبنى للسيلِ ليردَّ الماءَ.

قوله: (عقدوها سِكْرًا)، الجوهرِي: السِّكْرُ: مضدُّ أسكْرَتِ النَّهْرِ أسكْرُهُ سِكْرًا: إذا سدَّدتَه، والسِّكْرُ بالكسْرِ: العَرِم.

و«السِّكْرُ» في الكتابِ حالٌ مُقدَّرةٌ نحوَ قوله: ﴿وَتَنجِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا﴾ [الشعراء: ١٤٩].

قوله: (وقُرئ أَكَلِي، بالضمِّ والسكونِ والتنوينِ<sup>(١)</sup> والإضافة)<sup>(٢)</sup>، قرأ أبو عمرو: بضمِّ الكافِ مع الإضافة، وابنُ كثيرٍ: بالسكونِ مُنَوَّنًا، والباقون: بالضمِّ من غيرِ إضافة. وعن بَغُضهم: التقديرُ: أَكَلٍ ذي خَمَطٍ، وقيل: هو بدلٌ منه، وجُعِلَ خَمَطًا أَكَلًا لمُجاورتهِ إِيَّاه وكَوْنِه سَببًا له.

قوله: (ووجهُ مَنْ نَوَّن)، يعني: التنوينُ في ﴿أَكَلِي﴾ مُشكَل، إما أن يُجْعَلَ ﴿خَمَطِي﴾ بدلًا منه على حذفِ مضافٍ، أو يذهب على تأويلِ الخمط الذي هو اسمُ الشجرِ بمعنى

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «وبالتنوين».

(٢) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٨٧ و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٢٨٨).

أَوْ وُصِفَ الْأَكْلُ بِالخَمْطِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ذَوَاتِي أَكَلِ بَشَع. وَمَنْ أَضَافَ، وَهُوَ أَبُو عَمْرٍو وَحَدَه؛ فَلَأَنَّ أَكَلَ الخَمْطِ فِي مَعْنَى البرِيرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ذَوَاتِي بَرِير. وَالْأَثْلُ وَالسُّدْرُ مَعطوفانِ عَلَى ﴿أَكْلِي﴾، لَا عَلَى ﴿خَمَطِي﴾؛ لِأَنَّ الْأَثْلَ لَا أَكَلَ لَهُ. وَقُرِي: (وَأَثْلًا وَشَيْئًا)، بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى ﴿جَنَّتَيْنِ﴾. وَتَسْمِيَةُ الْبَدَلِ جَتَيْنِ؛ لِأَجْلِ الْمَشَاكَلَةِ، وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّهْكَمِ. وَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَلَّلَ السُّدْرَ؛ لِأَنَّهُ أَكْرَمُ مَا بُدِّلُوا. وَقُرِي: (وَهَلْ يُجَازِي)، ﴿وَهَلْ تُجَازِي﴾ بِالنُّونِ، (وَهَلْ يُجَازِي) وَالْفَاعِلُ اللَّهُ وَحَدَه، (وَهَلْ يُجَازِي) وَالْمَعْنَى: أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا الْكَافِرُ، .....

البشع ليصح الوصفُ به، قال الزجاج: كل نبت أخذ طعمًا من مرارة حتى لا يمكن أكله فهو بشع<sup>(١)</sup>.

قوله: (فِي مَعْنَى البرِيرِ)، النِّهَايَةُ: البرِيرُ: ثَمَرُ الْأَرَاكِ إِذَا اسْوَدَّ وَبَلَغَ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ.

البرير: بالياءِ الموحدةِ والراءِ والياءِ المنقطِ من تحتِ نُقْطَتَانِ وَالرَّاءِ.

قوله: (كَأَنَّهُ قِيلَ: ذَوَاتِي بَرِيرِ)، وَالْإِضَافَةُ لِلْبَيَانِ، نَحْوُ: بَابِ سَاجٍ، وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى بَرِيرِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ: «وَالْأَثْلُ وَالسُّدْرُ مَعطوفانِ عَلَى ﴿أَكْلِي﴾ لَا عَلَى ﴿خَمَطِي﴾» إِذْ لَوْ عَطَفَ عَلَى ﴿خَمَطِي﴾ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ لَهَا ثَمَرٌ وَلَا ثَمَرَ لَهَا. قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: الْأَثْلُ الثَّمَرُ، وَالخَمْطُ الْأَرَاكِ، وَالْبَرِيرُ ثَمَرُ الْأَرَاكِ فَقَوْلُهُ: ﴿ذَوَاتِي أَكْلِي خَمَطِي﴾ يَسَاوِي: ذَوَاتِي بَرِيرِ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي هَذَا التَّقْدِيرِ، أَيُّ: تَقْدِيرِ تَفْسِيرِ الخَمَطِ بِالْأَرَاكِ دُونَ كُلِّ شَجَرٍ ذِي شَوْكٍ، فَيُقَالُ: الْفَائِدَةُ مَزِيدٌ بَيَانٌ وَتَقْرِيرٌ وَإِظْهَارٌ كِمَالِ بَشَاعَةٍ، وَالْمَقَامُ يَنْتَضِيهِ.

قوله: ﴿وَهَلْ تُجَازِي﴾، حَفْصٌ وَحَمَزَةٌ وَالْكَسَاثِيُّ: بِالنُّونِ وَكَسْرِ الزَّايِ، ﴿إِلَّا الْكَفُورَ﴾ بِالنَّصْبِ، وَالْبَاقُونَ: بِالْيَاءِ وَفَتْحِ الزَّايِ، وَبِالرَّفْعِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وَالْمَعْنَى أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا الْكَافِرُ)، وَمَعْنَى الْمِثْلِ مُسْتَفَادٌ مِنْ

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٤٩).

(٢) ولتأمل الفائدة انظر: «حجّة القراءات»، ص ٥٨٧.



إيقاع قوله: ﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ تذييلاً لقوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ يَمَّا كَفَرُوا﴾، وذلك في مثل هذه المواضع يُفِيدُ المعنى الكُلِّيَّ وهو العَلِيَّةُ، وذلك أنه ورد عَقِيبَ أوصافٍ أُجْرِيَتْ عَلَى موصوفٍ، فَأَذِنَ بِأَنَّ المذكَورَ قَبْلَهُ مُسْتَحَقٌّ بِمَا بَعْدَهُ، أَي: ذَلِكَ الجِزَاءُ لِأَجْلِ اتِّصَافِهِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ كَمَا مَرَّ.

قال صاحب «الفرائد»: قوله: «إن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر» صحيح، ولكن قوله: «وهو العقاب العاجل» منظور فيه لأن المؤمن يتلى بالعقاب العاجل أيضا فكيف وقد جاء في الحديث: «جعل عذاب هذه الأمة في الدنيا»<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وقوله: «وليس لقائل أن يقول» إلى آخره منظور فيه يعرف بالتأمل، والوجه أن يقال: وهل نجازي بمثل هذا الجزاء وهو السلب والتبديل إلا الذي بالغ في الامتناع من الشكر وكان في ضمن قوله: ﴿الْكُفُورُ﴾ دون «الكافر» أنه يعفو عن كثير، ولا يُعَاقَبُ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا الَّذِي بَلَغَ هَذَا الحَدَّ مِنَ الكُفْرِ، فَيَلِزُمُ أَنْ يَكُونَ الكُفُورُ كَافِرًا، لِأَنَّ المَوْمِنَ لَا يَكُونُ امْتِنَاعُهُ مِنَ الشُّكْرِ هَذِهِ المَثَابَةَ.

وقلت: ويمكن أن يُسْتَنْبَطَ هَذَا المعنى من قوله: «وقيل: المؤمن تُكْفَرُ سَيِّئَاتُهُ بِحَسَنَاتِهِ» إلى آخره، يعني: مِثْلُ هَذَا الجِزَاءِ أَي: العِقَابُ الَّذِي يَكُونُ مِجَازَةً بِجَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ السُّوِّ لَا يَسْتَحِقُّهُ المَوْمِنُ، لِأَنَّ المَوْمِنَ تُكْفَرُ سَيِّئَاتُهُ بِحَسَنَاتِهِ، وَالكَافِرُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ لِأَنَّ حَسَنَاتِهِ مَحْبُوطَةٌ فَيُجَازَى بِجَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ السُّوِّ، فإِذْنِ التَّعْرِيفِ فِي قَوْلِهِ: «العِقَابُ العَاجِلُ» للعَهْدِ، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ الزَّجَاجِ قَالَ: هَذَا مِمَّا يَسْأَلُ عَنْهُ وَيَقَالُ: إِنَّ اللَّهَ يُجَازِي الكُفُورَ وَغَيْرَ الكُفُورِ. وَجَوَابُهُ: أَنَّ المَوْمِنَ يَكْفَرُ عَنْهُ السَّيِّئَاتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُدْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ﴾ [هود: ١١٤] وَالكَافِرُ يَحْبُطُ عَمَلَهُ فَيُجَازَى بِكُلِّ سُوءٍ يَعْمَلُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَنْتَبَهُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١٥٦) والبيهقي في «شعب الإیمان» (١٢: ٢٤٢) من حديث عبد الله ابن زيد الأنصاري.

(٢) «معاني القرآن وإعراجه» (٤: ٢٤٩).

وهو العقابُ العاجل. وقيل: المؤمنُ تُكفَّرُ سيئاته بحسناته، والكافرُ يُجَبِّطُ عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء. ووجهُ آخر: وهو أن الجزاءَ عامٌّ لكلِّ مكافأة، يُستعملُ تارةً في معنى المعاقبة، وأخرى في معنى الإجابة، فلَمَّا اسْتَعْمِلَ في معنى المعاقبة في قوله: ﴿جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بمعنى: عاقبناهم بكفرهم؛ قيل: (وهل يجازى إِلَّا الْكُفُورُ) بمعنى: وهل يعاقب؟ وهو الوجهُ الصحيح. وليس لقائل أن يقول: لِمَ

قوله: (أن الجزاءَ عامٌّ لكلِّ مكافأة)، أي: مشتركٌ في معنيين متضادَّين فاحتيج إلى تعيين المراد بالقرينة المخصصة لِمَا قُرِنَ هاهنا بقوله: ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ تَعَيَّنَ المراد، ثم قيل: ﴿وَهَلْ يُجَزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ لكونه تذييلًا، فيكون معناه معناه، وهو المراد من قوله بعد هذا: «لم يريد الجزاءُ<sup>(١)</sup> العامَّ وإنما أرادَ الخاصَّ»، ومن قوله: «ولا يجوزُ أن يراذَ العمومُ وليس موضعه، ألا ترى أنك لو قلت: جزيناهم بما كفروا وهل نُجازي إلا الكافرَ والمؤمنَ لا يصحُّ»، فعلى هذا قوله: «وليس لقائل أن يقول: لا افتقارَ إليه، ولعلَّ مرادَ صاحبِ «الفرائد» من قوله: «ولقائل أن يقول: منظورٌ فيه» هذا. ويمكن أن يكونَ أصلُ الكلام: فهل يُجازى إلا العاملُ، فعُدلَ إلى «الكفور» ليشاكلَ قوله: ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾.

قوله: (وهو الوجهُ الصحيح)، مشعرٌ بأن في الآية وجوها، لكنَّ الصحيح هذا، وفيه أن الوجهَ الأولَ ليس بقويًّا لاختصاصِ الجزاءِ والمجازاة فيه بالشرِّ دون الخير ابتداءً.

قال ابنُ جني: ذكر شيخنا أبو علي: أنه كان أبو إسحاق يقول: جزيتُ الرجلَ في الخيرِ وجزيتُهُ في الشرِّ، واستدلَّ عليه بقراءة العامة: ﴿وهل يجازى إلا الكفور﴾، وقرأت على أبي علي عن أبي زيد:

لعمري لقد برَّ الضبابُ بنوه	وبعضُ البنين حُمَّةٌ وسُعال
جزوني بما ربَّيتهم وحملتهم	كذلك ما إن الخطوبَ دوال

وينبغي أن يكونَ أبو إسحاق يقول: يريدُ أنك إذا أرسلتَها ولم تُعدَّها إلى المفعول الثاني كان كذلك، فإذا ذكرته اشتراكًا، ألا ترى إلى قوله:

(١) من قوله: «عامٌّ لكلِّ مكافأة» إلى هنا سقط من (ف).

قيل: وهل يُجْزَى إِلَّا الكفور، على اختصاصِ الكفورِ بالجزاء، والجزاء عامٌّ للكافرِ والمؤمن؟ لأنه لم يُردِ الجزاءُ العامُّ، وإنما أرادَ الخاصَّ وهو العقاب، بل لا يجوزُ أن يُرادَ العموم، وليس بمَوْضِعِهِ. ألا ترى أنك لو قلتَ: جزيناهم بها كفروا، وهل يُجْزَى إِلَّا

جزائي الزُّهْدَ مَا نِ جَزَاءِ سَوْءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءَ أُجْزَى بِالْكَرَامَةِ<sup>(١)</sup>

وأما قراءةُ ابنِ جُنْدَبٍ: «وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ»<sup>(٢)</sup> فوجهُها: إذا كان الجزاءُ عنِ الحسنةِ عَشْرًا، فَذَلِكَ تَفْضُلٌ وليس جزاءً، وإنما الجزاءُ في تعادلِ العملِ والحسابِ والثوابِ عنه، والله دَرُّ جَرِيرٍ حيث يقول:

يَا أُمَّ عَمْرٍو جِزَاكَ اللهُ صَالِحَةً رُدِّي عَلَيَّ فُوَادِي كَالَّذِي كَانَ<sup>(٣)</sup>

وروى مُحمي السَّيِّدُ عن مجاهدٍ: «يُجْزَى» أي: يعاقب، ويقال في العقوبة: تُجْزَى، وفي المثوبة: تُجْزَى<sup>(٤)</sup>. وقال الفراء: المؤمنُ يُجْزَى ولا يُجْزَى، أي: يُجْزَى الثوابَ بِعَمَلِهِ ولا يُكَافَأُ بِسَيِّئَاتِهِ<sup>(٥)</sup>.

وروى الإمامُ عن بعضهم: أَنَّ الْمُجَازَاةَ فِي النِّقْمَةِ وَالْجِزَاءَ فِي النِّعْمَةِ. ثم قال: قوله: ﴿جَزَيْنَهُمْ﴾ يدلُّ على أن «يُجْزَى» يُسْتَعْمَلُ فِي النِّعْمَةِ أَيْضًا، وَلَعَلَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْمَجَازَاةَ مَفَاعِلَةٌ، وَهِيَ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ تُسْتَعْمَلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ بِأَخْذِ كُلِّ وَاحِدٍ جِزَاءَ حَقِّهِ مِنَ الْآخَرِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي النِّعْمَةِ، لِأَسْبَابٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مُبْتَدِئُ النِّعْمِ<sup>(٦)</sup>.

وقلتُ: الْقَوْلُ الْمُخْتَارُ مَا قَالَ الْمَصْنُفُ.

(١) البيت لقيس بن زهير، انظر: «إصلاح المنطق» ص ٢٨١، و«لسان العرب» (١٢: ٢٧٩)، و«تاج العروس» (٣٢٢: ٣٤٣).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٢٨٨).

(٣) البيت لجرير في «ديوانه» ص ٦٥٨. وانظر: «المحتسب» (٢: ١٨٨-١٨٩).

(٤) «معالم التنزيل» (٦: ٣٩٥).

(٥) «معاني القرآن» (٢: ٣٥٩).

(٦) «مفاتيح الغيب» (٢٥: ٢٠١).

الكافر والمؤمن؛ لم يصحَّ ولم يسدَّ كلامًا، فتبيَّن أن ما يُتخيَّل من السؤالِ مُضمحلٌّ، وأن الصحيح الذي لا يجوزُ غيره ما جاء عليه كلامُ الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه.

[﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ \* فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقِيٍّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ١٨ - ١٩]

﴿الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾: هي قرى الشام. ﴿قُرَى ظَهْرَةَ﴾ متواصلة يُرى بعضها من بعض لتقاربها، فهي ظاهرةٌ لأعين الناظرين؛ أو رابطةٌ متنَّ الطريق، ظاهرةٌ للسابلة، لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم. ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ قيل: كان الغادي منهم يقبلُ في قرية، والرائحُ يبيتُ في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخافُ جوعًا ولا عطشًا ولا عدوًّا، ولا يحتاجُ إلى حملِ زادٍ ولا ماء. ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾: وقلنا لهم: سيروا، ولا قولَ ثمَّ، ولكنهم لما مُكَّنوا من السير، وسُوِّت لهم أسبابه؛ كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لِيَالِي وَأَيَّامًا﴾؟ قلتُ: معناه: سيروا فيها

قوله: (ظاهرةٌ لأعين الناظرين)، النهاية: كتب عمر إلى أبي عبيدة رضي الله عنها: «فاظهرَ بمنَّ معك من المسلمين إليها» يعني: إلى الأرض، يعني: اخرج بهم إلى ظاهر الأرض.

عن بعضهم: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ الآية عطفٌ على قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِيرٍ﴾. قوله: (ما معنى قوله: ﴿لِيَالِي وَأَيَّامًا﴾)، أي: السيرُ لا يكون إلا في هذين الزمانين، فما فائدة تخصيصها بالذكر؟

وأجاب بوجوه ثلاثة:

أحدها: المراد بتخصيص الوقتين عدمُ تفاوتِ الأمنِ باختلافِ الأوقات لأنَّ بالليل والنهار يتبيَّن الاختلافُ. وعلى هذا الظاهرُ أن يكونَ الواو بمعنى «أو» قال في قوله تعالى:

إن شتتم بالليل، وإن شتتم بالنهار، فإن الأَمْنَ فيها لا يختلف باختلاف الأوقات. أو: سيروا فيها آمينَ لا تخافون، وإن تطاولت مدة سفركم فيها، وامتدت أياماً وليالي. أو: سيروا فيها ليااليكم وأيامكم مدة أعماركم، فإنكم في كل حين وزمان، لا تلقونَ فيها إلا الأَمْنَ. **قُرئ:** ﴿رَبَّنَا بَعُدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (وبعد) و(يا ربنا)، على الدعاء. بطروا التَّعْمَةَ، وبِشَمُوا من طيبِ العيش، وملوا العافية، فطلبوا الكدَّ والتعب، كما طلب بنو إسرائيل البصلَ والثومَ مكانَ المُنِّ والسَّلوى، وقالوا: لو كان جنى جناننا أبعدَ كانَ أجدَرُ أن نشتَهيه، وتمنَّوا أن يجعلَ اللهُ بينهم وبينَ الشامِ مفاوِزَ ليركبوا الرواحلَ فيها، ويتزوّدوا الأزواد، فعجَّلَ اللهُ لهم الإجابة. **وَقُرئ:** (رَبَّنَا بَعُدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)

﴿فَمَنْ تَمَّ بِحِدَّةٍ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦] الواو قد يجيء للإباحة نحو قولك: جالس الحسن وابن سيرين، ومن تمَّ أتى بالجملة الشرطية في التفسير.

وثانيهما: أن يُعبَّرَ بذكرهما عن طولِ الزمان وامتدادِ المدة من غير اعتبار شيء آخر.

وثالثها: أن يراد امتداد الزمان لكن مقيد بأيام المخاطبين ولياليهم، فإنك إذا قلت لزيد: صم نهاراً وصلَّ ليلاً، لم تُرذ إلا أيامه ولياليه ما عاش، وفيه تعسّف.

قوله: **(قُرئ):** ﴿رَبَّنَا بَعُدْ﴾، ابن كثير وأبو عمرو وهشام: «بعُد»، والباقون: ﴿بَعُدْ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: (بطروا التَّعْمَةَ)، يقال: بطرت عيشك كما يقال: رشدت أمرك. وبشمو: البشم:

التَّخْمَةُ. الجوهرى: بِشِمَ الفصيلُ من كثرة شُرْبِ اللبن.

قوله: (لو كان جنى جناننا)، أي: المُجتنى من الشارِ التي جُنيت.

قوله: (رَبَّنَا بَعُدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)، قال ابن جني: قرأ ابن عباس ومحمد بن الحنفية وغيرهما:

«رَبَّنَا بَعُدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» بضمّ الباء من «رَبَّنَا» على الخير وفتح الباء والعين من «بَعُدْ» ونصب «بَيْنَ». وقرأ «بَعُدْ» بفتح الباء وضمّ العين ورفع «بَيْنَ»: محمد بن السَّمِيعِ وابنُ يَعْمَرَ

(١) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٨٨، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٢٩).

و(بُعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) على النداء وإِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى «بَيْنَ» وَرَفِعَهُ بِهِ، كَمَا تَقُولُ: سِيرٌ فَرَسَخَانُ. وَ(بُوعَدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا). وَقُرِئَ: (رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) وَ(بَيْنَ سَفَرِنَا)، وَ(بَعَدَ) بَرَفَعِ «رَبُّنَا» عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، وَالْمَعْنَى خِلَافُ الْأَوَّلِ، وَهُوَ اسْتِبْعَادُ مَسَائِرِهِمْ عَلَى قَصْرِهَا وَدَنُوبِهَا؛ لِفَرْطِ تَنَعُّمِهِمْ وَتَرْفُّهِمْ، كَأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَشَاجَرُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَحَازِنُونَ عَلَيْهِ. ﴿أَحَادِيثٌ﴾ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهِمْ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، وَفَرَّقْنَاهُمْ تَفْرِيقًا اتَّخَذَهُ النَّاسُ مَثَلًا مُضْرُوبًا، يَقُولُونَ: ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا، وَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا. قَالَ كَثِيرٌ: .....

وغيرهما. وَقَرَأَ «رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا»: ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمَا. أَمَا «بَعْدَ» وَ«بَاعَدَ» فَإِنَّ «بَيْنَ» مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، لَا عَلَى الظَّرْفِ، لِأَنَّهُ يَرِيدُ: بَعْدَ وَبَاعَدَ مَسَافَةَ أَسْفَارِنَا، وَلَا يَرِيدُ: بَعْدَ أَوْ بَاعَدَ فِيمَا بَيْنَ أَسْفَارِنَا، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ «بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» أَي: بَعْدَ مَدَى أَسْفَارِنَا، قَرَفَعَهُ دَلِيلُ كَوْنِهِ اسْمًا، وَلِأَنَّ «بَعْدَ» وَ«بَاعَدَ» فِعْلَانِ مُتَعَدِّيَانِ، فَمَفْعُولُهُمَا مَعَهَا.

وَكَانَ شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ أَصْلَ «بَيْنَ» مُصَدَّرٌ: بَانَ بَيْنَيْنَا، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ ظَرْفًا اتِّسَاعًا وَتَجَوُّزًا، كَمَقْدَمِ الْحَاجِّ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ وَاصِلَةٌ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ فَاصِلَةٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ جِهَتَيْهَا وَصَلْتَا مَا يُجَاوِرُهُمَا: بَيْنَهُمَا، فَصَارَتْ وَاصِلَةٌ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَعَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» [الأنعام: ٩٤] بِالرَّفْعِ أَي: وَضَلَّكُمْ<sup>(١)</sup>.

قوله: (يتشاجرون على ربهم)، الأساس: سَجَاهَ الهمُّ سَجْوًا، وَأَمْرٌ شَاجٍ: مُخْزِنٌ، وَتَشَاجَرَتْ فَلَانَةٌ عَلَى زَوْجِهَا: تَحَازَنَتْ عَلَيْهِ، يَعْنِي: يُدْلُونَ.

قوله: (يقولون: ذهبوا أيدي سبأ)، وعن بعضهم: المعنى: مثل أيدي سبأ فتضمن المثل أن «أيدي سبأ» وقع حالًا عن فاعل «ذهبوا» وهو معرفة، لأن إضافته حقيقة. ومن حق الحال أن يكون نكرة، والتقدير مُتَفَرِّقِينَ. وَسَبَا: مَهْمُوزٌ فِي الْأَصْلِ غَيْرُ أَنَّهُ التَّرِيمُ التَّخْفِيفُ فِي

(١) «المحاسب» (٢: ١٨٩).

أَيَادِي سَبَا يَا عَزَّةُ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ قَلَمٌ يَحُلُّ بِالْعَيْنَيْنِ بَعْدَكَ مَنظَرٌ  
لِحَقِّ غَسَانُ بِالشَّامِ، وَأَنَارُ بِيثْرِبَ، وَجُدَامُ بِتَهَامَةَ، وَالْأَزْدُ بِعِمَانَ. ﴿صَبَّارٍ﴾ عَنْ  
الْمَعَاصِي ﴿شَكُورٍ﴾ لِلنَّعَمِ.

[﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا كَانَ لَهُ  
عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
حَفِيظٌ ﴿٢٠-٢١﴾]

قُرِي: ﴿صَدَقَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، وَرَفَعَ إِبْلِيسَ وَنَصَبَ الظَّنَّ، فَمَنْ شَدَّدَ

هَذَا الْمَثَلُ<sup>(١)</sup>، وَالْأَيَادِي: عِبَارَةٌ عَنِ التَّفْرِقَةِ، أَي: تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَخَذَ يَدَ الْبَحْرِ،  
أَي: طَلَبَ طَرِيقَهُ.

وَقِيلَ: أَيَادِي سَبَا: أَوْلَادُ سَبَا، لِأَنَّ الْأَوْلَادَ أَعْضَادُهُ لِتَقْوِيهِ بِهِمْ. مَضَى قَصَّتُهُمْ فِي النَّمْلِ  
مُسْتَوْفَى.

قَوْلُهُ: (أَيَادِي سَبَا يَا عَزَّةُ)، الْبَيْتُ<sup>(٢)</sup>. تَقْدِيرُهُ: يَا عَزَّةُ كُنْتُ بَعْدَكُمْ أَيَادِي سَبَا، وَ«مَا»  
مَزِيدَةٌ أَوْ لِلدَّوَامِ. وَيُقَالُ: حَلَى الشَّيْءُ فِي فَمِي يَحْلُو، وَحَلَيْ بَعَيْنِي وَقَلْبِي يَحْلَى.

قَوْلُهُ: (قُرِي: ﴿صَدَقَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ)، عَاصِمٌ وَحَمْرَةُ وَالْكِسَائِيُّ، وَالباقونَ: بِالتَّخْفِيفِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: صَدَّقَهُ فِي ظَنِّهِ: أَنَّهُ ظَنَّ بِهِمْ أَنَّهُ إِذَا أَغْوَاهُمْ أَتَبَعُوهُ، فَوَجَدَهُمْ كَذَلِكَ، فَمَنْ  
شَدَّدَ نَصَبَ «الظَّنِّ» لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ، وَمَنْ خَفَّفَ نَصَبَهُ عَلَى مَعْنَى: صَدَّقَ عَلَيْهِمْ فِي ظَنِّهِ<sup>(٤)</sup>.

رَوَى مُحْيِي السَّنَةِ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ: أَنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا سَأَلَ النَّظْرَةَ فَأَنْظَرَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: لِأَغْوِيَنَّهُمْ

(١) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١: ٢٧٥).

(٢) لكثير عزة كما صرح به الزمخشري. انظر: «ديوانه» ص ١٤٩.

(٣) انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٨٨، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٢٩٢).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٥١).

فعلى: حَقَّقَ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُ، أو وَجَدَهُ صَادِقًا؛ وَمِنْ خَفَّفَ فَعَلَى: صَدَقَ فِي ظَنِّهِ، أو صَدَقَ يَظُنُّ ظَنًّا، نَحْوُ: فَعَلْتَهُ جَهْدَكَ؛ وَبَنَصِبِ «إِبْلِيسَ» وَرَفَعِ «الظَّنَّ»، فَمِنْ شَدَّدَ فَعَلَى: وَجَدَهُ ظَنُّهُ صَادِقًا، وَمِنْ خَفَّفَ فَعَلَى: قَالَ لَهُ ظَنُّهُ الصَّدَقَ حِينَ خَيَّلَهُ إِغْوَاءَهُمْ، يَقُولُونَ: صَدَقَكَ ظَنُّكَ. وَبِالتَّخْفِيفِ وَرَفْعِهَا عَلَى: صَدَقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّ إِبْلِيسَ، وَلَوْ قُرئِ بِالتَّشْدِيدِ مَعَ رَفْعِهَا لَكَانَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي صَدَقَ، كَقَوْلِهِ:

### صَدَقْتُ فِيهِمْ ظُنُونِي

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَيْقِنًا وَقَتَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، إِنَّمَا قَالَه ظَنًّا، فَلَمَّا اتَّبَعُوهُ وَأَطَاعُوهُ صَدَقَ عَلَيْهِمْ مَا ظَنَّهُ فِيهِمْ<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ جنِي: «عَلَى» مُتَعَلِّقَةٌ بِـ ﴿صَدَقَ﴾، كَقَوْلِكَ: صَدَقْتُ عَلَيْكَ فِيمَا ظَنَنْتُهُ بِكَ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِالظَّنِّ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وَبَنَصِبِ «إِبْلِيسَ» وَرَفَعِ «الظَّنَّ»)، قال ابنُ جنِي: المُخَفَّفَةُ قَرَأَهَا الزَّهْرِيُّ<sup>(٣)</sup>. وَالْمَعْنَى: أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ سَوَّلَ لَهُ ظَنُّهُ شَيْئًا فِيهِمْ فَصَدَّقَهُ ظَنُّهُ فِيمَا كَانَ عَقَدَ عَلَيْهِ مَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ.

قوله: (وَرَفْعِهَا)، قال أبو البقاء: وَيُقْرَأُ بِرَفْعِهَا بِجَعْلِ الثَّانِي بَدَلِ اشْتِمَالِ<sup>(٤)</sup>.

قال الزَّجَّاجُ: هُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالِ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وَيَجُوزُ: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ»، وَقَدْ قُرئِ بِهَا عَلَى مَعْنَى: صَدَقَ ظَنُّ إِبْلِيسَ اتِّبَاعَهُمْ إِيَّاهُ<sup>(٥)</sup>.

قوله: (صَدَقْتُ فِيهِمْ ظُنُونِي)<sup>(٦)</sup>، تَمَامُهُ:

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٣٩٧).

(٢) «المحتسب» (٢: ١٩١).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٩١).

(٤) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٦٧).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٥٢).

(٦) لأبي الغول الطهري، انظر: «الحيوان» (٣: ٥٤) و«ديوان الحماسة» (١: ٧) و«خزانة الأدب» (٦: ٤٣٤).



ومعناه: أنه حينَ وجدَ آدمَ ضعيفَ العزمِ قد أصغى إلى وسوسته قال: **إِنَّ ذُرِّيَّتَهُ أضعفُ عزمًا منه، فظنَّ بهم اتِّباعه، وقال: ﴿لأضلنَّهم﴾ [النساء: ١١٩]، ﴿لأغرِبَنَّهُم﴾ [ص: ٨٢].** وقيل: ظنَّ ذلكَ عندَ إخبارِ الله تعالى الملائكةَ: أنه يجعلُ ﴿فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، والضميرُ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و«اتَّبِعُوهُ» إما لأهلِ سبأ؛ أو لبني آدم. وقلَّلَ المؤمنين بقوله: ﴿إِلَّا قَرِيبًا﴾؛ لأنهم قليلٌ بالإضافةِ إلى الكفار، كما قال: ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿وَلَا تَحِدُوا أَكْثَرَهُمْ شَكْرِيكَ﴾ [الأعراف: ١٧]. ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ﴾ من تسليطٍ واستيلاءٍ بالوسوسةِ والاستغواءِ إِلَّا لِعَرَضٍ صحيحٍ وحكمةٍ بيِّنة؛ وذلك أن يتميَّزَ المؤمنُ بالآخرةِ من الشاكِّ فيها. وعُلِّلَ التسليطُ بالعلم، والمرادُ ما تعلقَ به العِلْم. وقُرئ: (لِيُعْلَم) على البناءِ للمفعول. ﴿حَفِيظٌ﴾: محافظٌ عليه، وفعيلٌ ومفاعِلٌ متأخيان.

فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي      فَوَارِسَ صَدَقَّتْ فِيهِمْ ظُنُونِي

«فَدَتْ» خبرٌ في معنى الدعاء، وتضعيفُ العينِ في «صَدَقَّتْ» للتكثير، وفوارِسُ - في جمعِ فارسٍ -: شاذٌّ، لأنَّ فواعِلَ إنما يكونُ جمعَ فاعلةٍ في صفاتٍ ما يَعْقِلُ، دونِ فاعلٍ.

قوله: (والضميرُ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و«اتَّبِعُوهُ» إما لأهلِ سبأ أو لبني آدم)، فإن كان الأولُ فالكلامُ تِمَّةٌ للأولِ إما حالًا أو عطفًا، وإن كان الثاني فهو كالتذييلِ تأكيدًا له.

قوله: (وقلَّلَ المؤمنينَ بقوله: ﴿إِلَّا قَرِيبًا﴾ لأنهم قليلٌ بالإضافةِ إلى الكفار)، في «المطلع»: هذا إذا جَعَلْتَ «مِنْ» للتبيين، وإن جعلتها للتبويضِ فالمرادُ بالفريقِ: الخُلُصُ من المؤمنين الذين لم يتبعوه فيها دعاهم إليه من المعاصي.

قوله: (وعُلِّلَ التسليطُ بالعلم، والمرادُ ما تعلقَ به العلم)، المَطَّلَعُ: وهو الإيَّانُ والكفر، والمعنى: إلا لنعلمَ إيَّانَ المؤمنِ بالآخرةِ ظاهرًا موجودًا، وكذلك كُفِّرَ الكافرِ الذي هو في شكٍّ منها، لأنَّ العلمَ بهما موجودٌ هو الذي يتعلَّقُ به الجِزَاء.

وقال القاضي: ﴿إِلَّا لِيُعْلَمَ﴾ إلا ليتعلَّقَ علمُنَا بذلك تعلقًا يترتَّبُ عليه الجزاءُ، أو لِيتميَّزَ

﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ [٢٢]

﴿ قُلْ ﴾ لمشركي قومك: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ﴾ عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله، والتجئوا إليهم فيما يعرؤكم كما تلتجئون إليه. وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم. ثم أجاب عنهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ، أو نفعٍ أو ضرٍّ في السماوات والأرض وما لهم في هذين الجنسيتين من شراكة في الخلق ولا في الملك، كقوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١]، وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه؛ يريد: إنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن

المؤمن من الشاك، أو ليؤمن من قدر إيمانه ويشك من قدر ضلاله، والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة. وفي نظم الصلّتين نكتة لا تخفى<sup>(١)</sup>.

وقلت: لعل النكتة إيقاع الشك في الصلة الثانية في مقابل الإيمان المذكور في الصلة الأولى، وأن لم يقل: من هو مؤمن بالآخرة ممن هو كافر بها، أو: من يوقن بالآخرة ممن هو في شك منها، ليؤذن بأن أدنى شك في الآخرة كفر، وأن الكافرين لا يوقنون بالرد بل هم مستقرّون في الشك لا يتجاوزون إلى اليقين.

قوله: (فيما يعرؤكم)، الجوهرى: عراني هذا الأمر واعتراني: إذا غشيتك، وعرؤ الرجل أعرؤه عرواً: إذا ألممت به وأتته طالباً، وهو معرؤ.

قوله: (ثم أجاب)، عطف على قوله: «قل لمشركي مكة» أي: قال الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لمشركي مكة، ثم أجاب.

قوله: (في هذين الجنسيتين)، أي: السماوات والأرض، يعني: عدل عن ضمير الجمع نحو: «فيهن» و«فيها» إلى التثنية لإرادة الجنسيتين.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٤٦).

أحوال الربوبية، فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى، ويرجوا كما يرجى؟ فإن قلت: أين مفعولا زعم؟ قلت: أحدهما: الضمير المحذوف الرجوع منه إلى الموصول. وأما الثاني: فلا يخلو إما أن يكون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أو ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، أو محذوفاً. فلا يصح الأول؛ لأن قولك: هم من دون الله، لا يلتئم كلاماً، ولا الثاني؛ لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك، فكيف يتكلمون بها هو حجة عليهم، وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد؟ فبقي أن يكون محذوفاً تقديره: زعمتموهم آلهة من دون الله، فحذف الرجوع إلى الموصول كما حذف في قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ﴾ [الفرقان: ٤١] استحقاقاً لطول الموصول لصلته، وحذف «آلهة»؛ لأنه موصوف صفته: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، والموصوف يجوز حذفه، وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً، فإذا مفعولاً «زعم» محذوفان جميعاً بسببين مختلفين.

[﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ٢٣]

تقول: الشفاعة لزيد، على معنى أنه الشافع، كما تقول: الكرم لزيد، وعلى معنى أنه المشفوع له، كما تقول: القيام لزيد، فاحتمل قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أن يكون على أحد هذين الوجهين، أي: لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن

قوله: (بسببين مختلفين)، أي: بسبب الاستحقاق وبسبب إقامة الصفة مقام الموصوف.

قوله: (على أحد هذين الوجهين)، أي: اللام في ﴿أَذِنَ لَهُ﴾ صلة للفعل، فيجوز أن يكون مثل اللام في قولك: الشفاعة لزيد، على أنه الشافع فقوله: «من الشافعين» بيان لقوله: ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، وأن يكون مثل اللام من قولك: القيام لزيد، أي: قام أحد كرامة لزيد على أنه المشفوع له، وقوله: «أي: بشفيعه»، تفسير لقوله: ﴿لَهُ﴾ في قوله: ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أي: لا تنفع الشفاعة إلا لشخص أذن لشفيعه أن يشفع له.

له من الشافعين ومطلقة له. أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أُذِنَ له، أي: لشفيعه؛ أو هي اللامُ الثانيةُ في قولك: أُذِنَ لزيدٍ لعمرٍ، أي لأجله، كأنه قيل: إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله، وهذا وجهٌ لطيفٌ وهو الوجه، وهذا تكذيبٌ لقولهم: ﴿هَتُوْلَاءِ شَفَعْتُوْنَ عِنْدَ اللّٰهِ﴾ [يونس: ١٨]. فإن قلت: بِمَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوْبِهِمْ﴾، ولأي شيء وقعت ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية؟ قلت: بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظارًا للإذن وتوقعًا وتمهلاً وفزعًا من الراجين للشفاعة والشفعاء؛ هل يؤذَن لهم أو لا يؤذَن؟ وأنه لا يُطَلَقُ الإذنُ إلا بعدَ مَلِيٍّ من الزمان، وطولٍ من التريص، ومثل هذه الحال دَلٌّ عليه قوله عز من قائل: ﴿رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ لَا يَمْلِكُوْنَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلٰٓئِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُوْنَ اِلَّا مَن اٰذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا [النبا: ٣٧-٣٨]. كأنه قيل: يتربصون ويتوقفون مليًا فزعين .....

ويجوز أن تكون هذه اللام<sup>(١)</sup> بمعنى: لأجل، ولاُمُ الصلوة مع متعلِّقه محذوفًا، نحو قولك: أُذِنَ لزيدٍ لعمرٍ، وإليه الإشارة بقوله: «وقع الإذن للشفيع لأجله». هذا هو الذي يقتضيه النظم، لأن الذي هو سَوْقُ الكلام أن شركاءهم لا تنفعهم في الدنيا ولا يملكون مثقالَ ذرةٍ من خيرٍ أو شرٍّ أو نفعٍ أو ضرٍّ فيها، ولا لهم تصرفٌ ما، فعبّر بقوله: ﴿فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْاَرْضِ﴾ عن العالم، أي في الدنيا، كما سبق في آل عمران، ولا ينفعهم في الآخرة، لأنه إن قدر لهم نفعٌ فلا يكون إلا في الشفاعة، فجيء بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ اِلَّا لِمَن اٰذِنَ لَهُ﴾، تعريضًا بأن أصنامهم لا يشفعون لأنهم ليسوا في صدَدٍ أن يؤذَن لهم. هذا هو المراد من قوله: «وهو الوجه» - لأن فيه العلم بالشفيع والمشفوع له كليهما - وهذا تكذيبٌ لقولهم ﴿هَتُوْلَاءِ شَفَعْتُوْنَ عِنْدَ اللّٰهِ﴾. قال أبو البقاء: واللام في ﴿لَمَنْ اٰذِنَ لَهُ﴾ يجوز أن يتعلق بالشفاعة، لأنك تقول: شفعتُ له، وأن يتعلق بـ﴿نَفَعُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله: (هل يؤذَن)، مُتَعَلِّقٌ من حيثُ المعنى بقوله «راجين».

قوله: (ويتوقفون مليًا)، وذلك أن المقام مقامُ الهيبة والجلالِ لاسيما المشفوع له خائفٌ

(١) قوله: «هذه اللام» سقط من (ح) و(ف).

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٦٨).

وهلين. ﴿حَقَّقْ إِذَا فُرِّعَ عَنْ قَلُوبِهِمْ﴾، أي: كُشِفَ الْفَرْعُ عَنْ قُلُوبِ الشَّافِعِينَ وَالْمَشْفُوعِ لَهُمْ بِكَلِمَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا رَبُّ الْعِزَّةِ فِي إِطْلَاقِ الْإِذْنِ، تَبَاشَرُوا بِذَلِكَ وَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾: قال ﴿الْحَقُّ﴾، أي: الْقَوْلُ الْحَقُّ، وَهُوَ الْإِذْنُ بِالشَّفَاعَةِ لِمَنْ ارْتَضَى. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِذَا أُذِنَ لِمَنْ أُذِنَ أَنْ يَشْفَعَ فَرْعَتَهُ الشَّفَاعَةُ». وَقُرِئَ: ﴿أُذِنَ لَهُ﴾، أي: أُذِنَ لَهُ اللَّهُ، وَ(أُذِنَ لَهُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. وَقُرَأَ الْحَسَنُ: (فُرِّعَ) مَخْفَفًا، بِمَعْنَى فُرِّعَ. وَقُرِئَ: (فُرِّعَ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ،

وَالشَّافِعُ رَاجٍ هَلْ يُؤذَنُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ أَمْ لَا؟ وَضُمَ مَعَ ذَلِكَ «حَتَّى» الْمَعْطِيَّةُ لِمَعْنَى التَّدْرُجِ وَالْغَايَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا فُرِّعَ عَنْ قَلُوبِهِمْ﴾ يُؤذَنُ بِالْإِمهَالِ وَطَوِيلِ الْإِنْتِظَارِ وَكَمَا نُشَاهِدُ مِنْ أَحْوَالِ الْجَبَابِرَةِ وَمَمْلُوكِ الزَّمَانِ إِذَا ضُرِبَ سُرَادِقُهُمْ لِقَضَاءِ الشُّؤُونِ، وَلِذَلِكَ اسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النبا: ٣٨]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

قوله: (وهلين)، الجوهري: الوهلة: الفرعة، والوهل بالتحريك: الفرع، وقد وهل يوهل فهو وهلٌ ومستوهلٌ.

قوله: (فرعته الشفاعة)، التفریع: إزالة الفرع، كالتمريض والتفريد، أي: أزال الفرع وكشفت عنه الفرع.

الراغب: الفرع: انقباض ونفاذ يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الفرع، ولا يقال: فرعت من الله، كما يقال: خفت منه. وقوله تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا فُرِّعَ عَنْ قَلُوبِهِمْ﴾ [سبا: ٢٣] أي: أزيل، يقال: فرع إليه: إذا استغاث به عند الفرع، وفرع له: أغاثه<sup>(١)</sup>.

قوله: (فرع) على البناء للفاعل، ابن عامر، والباقون: على بناء المفعول<sup>(٢)</sup>. ومعنى ﴿فُرِّعَ﴾: كُشِفَ الْفَرْعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَ«فُرِّعَ»: كُشِفَ اللَّهُ الْفَرْعَ. وَقِرَاءَةُ «فُرِّعَ» بِالرَّاءِ وَالغَيْنِ

(١) مفردات القرآن، ص ٦٣٥.

(٢) انظر: «حجة القراءات»، ص ٥٨٩ و«الجامع لأحكام القرآن»، (١٤: ٢٩٨).

المعجمة ترجع إلى هذا المعنى لأنها فُرِغَتْ من الفَرْع. قال الزجاج: وتفسيرُ هذا: أن جبريلَ عليه السلام لما نزل إلى النبي ﷺ بالوحي ظَنَّتِ الملائكةُ أنه أنزل بشيء من أمر الساعة، ففَزَعَتْ لذلك، فلما انكشَفَ عنها الفَرْعُ قالوا: ماذا قال ربكم؟ سألتُ: لأي شيء نزل جبريلُ؟ قالوا: الحقُّ. تَمَّ كلامه<sup>(١)</sup>، وعليه كلامُ أكثر المفسرين.

وبعضُهُ ما روَّيناهُ عن البخاريِّ والترمذيِّ وابنِ ماجه عن أبي هريرة: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمرَ في السَّاءِ ضربتِ الملائكةُ أجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلةٌ على صفوانٍ، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال الذي قال: الحق وهو العليُّ الكبير»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي داودَ عن ابن مسعود قال: إذا تكلمَ الله عز وجل بالوحي سَمِعَ أهلُ السَّاءِ صلصلةً كجرِّ السلسلةِ على الصِّفا، فيُضعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريلُ، فإذا جاء جبريلُ فُزِعَ عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريلُ ماذا قال ربكم؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحقُّ الحقُّ<sup>(٣)</sup>.

فإن قلتَ: قد ظهرَ من هذه الرواياتِ أنَّ الموصوفينَ بهذه الصفاتِ هم الملائكةُ، والذي ذهب إليه المصنِّفُ هم الشفعاةُ مُطلقاً، وأن هذه الحالة واقعةٌ يومَ القيامةِ لقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَكَةُ صَفًّا﴾ [النبا: ٣٨]، فإذا ما معنى الغايةِ في «حتى»، وما وَجَّهَ انطباقه على الأحاديثِ الصحيحة؟

قلت - والله أعلم -: يُستخرجُ معنى المُعَيَّا من المفهوم؛ وذلك أن المشركينَ لما ادَّعوا شفاعَةَ الألهةِ والملائكةِ وأجيبوا بقوله: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَضِمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾، ومعناه ما قال المصنِّفُ: قل لمُشركي مكة: ادعوا الذين عبدتُم من دونِ الله

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٠١) والترمذي (٣٢٢٣) وابن ماجه (١٩٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨) وابن حبان (٣٧).

وهو الله وحده، و(فَرَّغَ)، أي: نُفِيَ الوجَلُ عنها وأُفْنِيَ، من قولهم: فَرَّغَ الزاد، إذا لم يبقَ منه شيء. ثم تَرَكَ ذَكَرَ الوجَلِ وأَسْنَدَ إلى الجارِّ والمجرور، كما تقول: دَفَعَ إليَّ زيد، إذا عَلِمَ ما المدفوع وقد يُخَفَّفُ، وأصلُه: فَرَّغَ الرَّجُلُ عنها، أي: انتفى عنها وفَنِيَ. ثم حُدِفَ الفاعلُ وأَسْنَدَ إلى الجارِّ والمجرور. وقُرئ: (أَفْرُنِقَعِ عن قلوبهم)، بمعنى: انكشَفَ عنها. وعن أبي علقمة: أنه هاجَ به المُرار، فالتفَّ عليه الناس، فلمَّا أفاقَ

من الأصنامِ والملائكةِ وسَمَّيْتَهُمُ بِاسْمِهِ، والتجثوا إليهم، فإنهم لا يملكون مثقالَ ذرَّةٍ في السماواتِ ولا في الأرض، ولا تنفعُ الشفاعةُ من هؤلاءِ إلا الملائكةُ لكن مع الإذن والفرع العظيم وهم لا يشفعون إلا للمُرتَضِينَ، فعَبَّرَ عن الملائكةِ بقوله: ﴿إِلَّا لِمَنْ أَدْرَكَ لَهُ حَقٌّ إِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ الآية كناية، كأنه قيل: لا تنفعُ الشفاعةُ إلا لمن هذا شأنه ودأبه، وأنه لا يثبت عند صدمةٍ من صدماتِ هذا الكتابِ المُبين وعند سماعِ كلامِ الحقِّ، يعني: الذين إذا نُزِّلَ عليهم الوحيُّ يفزعون ويضعقون، حتى إذا أتاهم جبريلُ فَرَّعَ عن قلوبهم يقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقول: الحقُّ، فيقولون: الحقُّ الحقُّ.

ونحوه في الأسلوبِ قوله تعالى ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزخرف: ٩-١٠]. قال المصنَّف: «معنى ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ إلى آخره: لَيْسُبُنَّ خَلَقَهَا إلى الذي وُصِفَ بهذه الأوصاف وقيل في حَقِّه تلكِ النعوت»<sup>(١)</sup>.

قوله: (فَرَّعَتْهُ الشفاعةُ)، أي أزالَتِ الشفاعةُ عنه الفرع؛ أي إذنُ الشفاعةِ، يدلُّ عليه قوله: كَشِيفَ الْفَرْعُ بكلمةٍ يتكلَّمُ بها ربُّ العِزَّةِ في إطلاقِ الإذن<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وقُرئ: «أَفْرُنِقَعِ»)، قال ابن جنِّي: قال أبو عمرو الدَّوري عن عيسى بن عُمر: أنه كان يقرأ «أَفْرُنِقَعِ عن قلوبهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر «الكشاف» (١٤: ١٠٤).

(٢) هذه الفقرة سقطت من (ط).

(٣) «المحتسب» (٢: ١٩٢).

قال: ما لكم تكا كأتتم عليّ تكا كؤوكم على ذي جنة؟! افرئقعو عني. والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين، كما رُكِبَ «اقمطر» من حروف القمط، مع زيادة الراء. وقريئ: (الحق) بالرفع، أي: مقوؤه الحق. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾: ذو العلو والكبرياء، ليس للملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه، وأن يشفع إلا لمن ارتضى.

[﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾]

أمره بأن يقرّهم بقوله: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾، ثم أمره بأن يتولّى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: يرزقكم الله؛ وذلك بالإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم، إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به؛ لأن الذي تمكّن في صدورهم من العناد وحبّ الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحقّ مع علمهم بصحّته؛ ولأنهم إن تفوّهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم: فما لكم لا تعبدون من يرزقكم، وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق، ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ حتى

الجوهري: التكاكؤ: التجمّع، وقال في باب العين وفضل الفاء: افرئقعو عني، أي: انكشفوا عني. واقمطر يومنا، أي: اشتد.

أبو عبيد: المقمطر: المجمع. قمط الطائر أثناء يقمطها أي: يسفدها. والقماط: حبل يُشدُّ به قوائم الشاة عند الذبح وكذلك ما يُشدُّ به الصبي في المهدي. والمرّة: إحدى الطبائع الأربع. وهذه القصة رواها الجوهري عن عيسى بن عمر، وروى ابن جني في «المحتسب» أيضًا عن أبي علقمة النحوي كما رواه المصنّف، وفي آخرها: قال بعض الحاضرين: إن شيطانه يتكلّم بالهندية<sup>(١)</sup>.

قوله: (ولأنهم إن تفوّهوا)، عطّف على قوله: «لأن الذي تمكّن في صدورهم».

(١) «المحتسب» (٢: ١٩٣).



قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] ثم قال: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢] فكأنهم كانوا يُقِرُّونَ بالسُّبُوتِ مَرَّةً، ومَرَّةً كانوا يتلعمشونَ عنادًا وضرارًا وحذرًا من الإِزامِ الحِجَّةِ، ونحوه قوله عزّ وعلا: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]. وأمّره أن يقول لهم بعد الإِزامِ والإلجامِ الذي إن لم يزد على إقرارهم بالسُّبُوتِ لم يتقاصر عنه: ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَى

قوله: (فماذا بعد الحق إلا الضلال)، يعني: أنهم لو تفوهوا بأن الله رازقهم لزم أن يقال لهم: فما لكم تعبدون من يرزقكم؟ كما قيل لهم في تلك الآية التي مضمونها مضمون هذه: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.

قوله: (يتلعمشون عنادًا)، أي: يتمكثون ويتكلمون. عن الجوهري.

قوله: (وأمّره أن يقول لهم بعد الإِزامِ والإلجامِ)، قال صاحب «الانتصاف»: يعني: ألزمهم الحجة من قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ﴾ إلى هذه الآية. وهذا الإِزامُ وإن لم يزد على إقرارهم بالسُّبُوتِ لم يتقاصر عنه؛ أمره أن يقول: ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وهذا من الكلام الذي يبادر كل سامع من موافقٍ أو مخالف أن يقول: قد أنصفك خصمك، وهذا أوصل إلى الغرض وأقطع للشغب وهو تفسيرٌ مُهذَّبٌ وافتنانٌ مستعذب، فلا يُنكرُ على الفقهاء قولهم في المجادلات: أحدُ الأمرين لازمٌ، فهو غيرٌ بعيدٍ من هذا الوادي<sup>(١)</sup>.

وقلتُ: إنه تعالى لما أمر حبيبه ﷺ أولاً بأن يكافحهم ويحييهم بقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ثم يسألهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ويتولى الإجابة والإقرار عنهم بنفسه في قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ ليؤذن به أن الذي تمكّن في صدرهم من العناد قد أجم أفواههم عن النطق بالحق، أمره بأن يُرخي العنانَ معهم ويقول: ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ لينادي على تماديهم في الضلال، وأتهم مع علمهم بصحة ما جاء به بعد إقرارهم به، مُنغمسون في ضلالٍ ظاهرٍ مكشوفٍ، فالكلام من أوله

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٨١).

هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾، ومعناه: وإنَّ أحدَ الفريقين من الذين يتوحدون الرَّازِقَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْعِبَادَةِ، ومن الذين يشركونَ به الجهادَ الذي لا يُوصَفُ بِالْقُدْرَةِ، لعلَّ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ. وهذا مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْصِفِ الَّذِي كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ مُوَالٍ أَوْ مُنَافٍ قَالَ لِمَنْ حُوْطِبَ بِهِ: قَدْ أَنْصَفَكَ صَاحِبُكَ، وَفِي دَرَجِهِ بَعْدَ تَقْدِيمِهِ مَا قُدِّمَ مِنَ التَّقْرِيرِ الْبَلِيغِ دَلَالَةٌ غَيْرُ خَفِيَّةٍ عَلَى مَنْ هُوَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ هُوَ فِي الضَّلَالِ الْمُبِينِ، وَلَكِنَّ التَّعْرِيفَ وَالتَّوْرِيَةَ أَوْصَلَ بِالْمَجَادِلِ إِلَى الْغَرَضِ، وَأَهْجَمُ بِهِ عَلَى الْعَلْبَةِ، مَعَ قَلَّةِ شَعْبِ الْخِضْمِ، وَقُلُّ شَوْكَةِ الْهُوَيْنَا، وَنَحْوَهُ قَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: عَلِمَ اللهُ الصَّادِقَ مِنِّي وَمَنْكَ، وَإِنْ أَحَدْنَا لِكَاذِبٍ. وَمِنْهُ بَيْتٌ حَسَنٌ:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفٍّ      فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمْ الْفِدَاءُ

فإن قلت: كيف حُولِفَ بينَ حَرْفِي الْجُرِّ الدَّاخِلِينَ عَلَى الْحَقِّ وَالضَّلَالِ؟ قلتُ: لِأَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ كَأَنَّهُ مُسْتَعْلٍ عَلَى فَرَسٍ جَوَادٍ يَرْكُضُهُ حَيْثُ شَاءَ، وَالضَّالُّ كَأَنَّهُ مُنْعَمِسٌ فِي ظِلَامٍ.....

واردٌ عَلَى تَرْتِيبِ أُنْبِيٍّ وَنَظْمِ رَصِينٍ مُشْتَمِلٍ عَلَى فَوَائِدَ وَإِشَارَاتٍ، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّرْقِيِّ.

قوله: (يتوحدون)، ويُروى: «يُوحِدُونَ»، يقال: تَوَحَّدَ بِكَذَا: اعْتَرَفَ بِهِ، وَفُلَانٌ تَوَحَّدَ بِكَذَا: إِذَا اعْتَزَلَ وَتَفَرَّدَ مِنَ النَّاسِ بِهِ، وَمِنْهُ الْأَوْحَدِيُّ، أَي: مِنَ الَّذِينَ يَنْفَرِدُونَ بِعِبَادَةِ مَنْ يَرْزُقُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ بِإِنزَالِ الْأَمْطَارِ وَمِنَ الْأَرْضِ بِإِنْبَاتِ الْبَرَكَاتِ.

قوله: (بالهوينَا)، النّهاية: الهوينَا: تصغيرُ الهونا؛ تَأْنِيثُ الْأَهْوَانِ، وَالْهُونُ: الرَّفَقُ وَاللِّينُ.

قوله: (أتهجوه) البيت<sup>(١)</sup>، قيل: لما أنشدَ حَسَنُ الْبَيْتِ قَالَ مَنْ حَضَرَ: هَذَا أَنْصَفُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ.

(١) سبق تخريجه.

مُرتبكُ فيه لا يدري أين يتوجّه. وفي قراءة أُبي: (وإنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلالٍ ميين).

[قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْتَلَىٰ عَمَّا تَعْمَلُونَ \* قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥-٢٦﴾]

هذا أدخل في الإنصاف، وأبلغ فيه من الأول؛ حيث أسند الإجماع إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين، وإن أراد بالإجماع الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن،

قوله: (مرتبك)، الجوهري: ارتبك الرجل في الأمر، أي: تشبث فيه ولم يكذ يتخلص

منه.

قوله: (وفي قراءة أُبي: «وإنا أو في إياكم إما على هدى أو في ضلالٍ ميين»)، قال أبو البقاء: ﴿أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ معطوف على اسم «إن»، والخبر مكرّر كقولهم: إن زيدًا وعمراً قائم. واختلفوا في الخبر، قال سيبويه: المذكور للثاني والأول محذوف وهو أولى من عكسه، فعلى هذا يكون ﴿لَعَلَّ هُدًى﴾ خبر الأول و﴿أَوْ فِي ضَلَالٍ﴾ معطوفًا عليه وخبر المعطوف محذوفٌ لدلالة المذكور عليه<sup>(١)</sup>. والكلام على المعنى غير الإعراب لأن المعنى: إنا على هدى من غير شك، وأنتم على ضلالة على يقين، لكن خلطه على افتنانهم، كقولهم: أخزى الله الكاذب مني ومنك<sup>(٢)</sup>.

قوله: (هذا أدخل في الإنصاف، وأبلغ فيه)، الانتصاف: وذكر الإجماع المضاف إلى النفس بصيغة الماضي التي تُعطي معنى التحقيق، وذكر العمل المنسوب إلى الخصم بما لا يُعطي ذلك.

قوله: (وإن أراد بالإجماع)، هذا شرط لا يُذكر جوابه للمبالغة والجملة للحال أي: هذا أبلغ من الأول، وإن أريد في الحقيقة بالإجماع الصغائر وبالعمل الكفر لأن في الظاهر أسند مطلق الإجماع إلى المتكلم ومطلق العمل إلى المخاطب.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٦٨).

(٢) في النسخة «ط»: «الكاذب بيني وبينك».



لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ [الأنبياء: ٦٧] بعدما حجَّهم، وقد نبه على تفاخُّسِ غَلَطِهِمْ وإن لم يقدرُوا الله حقَّ قدره بقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، كأنه قال: أين الذين ألحقتُم به شركاء من هذه الصفات، وهو راجعٌ إلى الله وحده، أو هو ضميرُ الشأن، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٨]

﴿إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ إلا إرساله عامَّة لهم محيطه بهم؛ لأنها إذا شملتهم فقد كَفَّتْهم أن يخرج منها أحدٌ منهم. وقال الزجاج: المعنى: أرسلناك جامعًا للناس في الإنذار والإبلاغ، فجعله حالًا من الكاف، وحقُّ التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة،

عليه السلام: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴿ [الأنعام: ٧٨-٧٩] بعد قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨].

قوله: (وهو راجعٌ إلى الله)، أي: الضميرُ منهم راجعٌ إلى الله في الذهن، وجازَ لأن ما بعده يفسره، كما قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧] في «المؤمنين»: «هذا ضميرٌ لا يُعلم ما يعني به إلا بما يتلوه، وأصله: إن الحياةَ إلا حياتنا الدنيا، ثم وضع «هي» موضعَ «الحياة»، لأن الخبرَ يدلُّ عليها، ومنه: هي العربُ تقولُ ما شاءت». والفرقُ بين هذا الضميرِ وضميرِ الشأن أن الجملة بعد ضميرِ الشأن مُبيِّنة له وخبرُه هذا الضميرِ وَحْدَهُ مُفسِّرٌ له، ولذلك قال: «هو راجعٌ إلى الله وَحْدَهُ»، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] في وجوه، وقولك: رَبِّي رُجُلًا، ونحو هذا الضميرِ اسم في قولك: هذا أخوك، قال المصنِّف: «هذا» إشارةٌ إلى غيرِ الأخ»<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقال الزجاج المعنى: أرسلناك جامعًا للناس في الإنذار والإبلاغ، فقد جعله<sup>(٢)</sup>

(١) انظر: «الكشاف» (٩: ٥٣٢).

(٢) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «فجعله».

ومن جعله حالاً من المجرور متقدماً عليه فقد أخطأ؛ لأنَّ تقدُّمَ حالِ المجرورِ عليه في الإحالة بمنزلة تقدُّمِ المجرورِ على الجارِ، .....

حالاً من الكاف<sup>(١)</sup>. وأما حكاية كلامه فإنه قال: معنى ﴿كَأَفَّةٌ﴾: الإحاطة في اللغة، والمعنى: أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ، وأرسل ﷺ إلى العرب والعجم. وقال أبو البقاء: كأنه حالٌ من الكاف، والهاء زائدة للمبالغة، و﴿لِلنَّاسِ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِهِ، أي: وما أرسلناك إلا كافةً للناسِ عن الكفر والمعاصي<sup>(٢)</sup>.

وقال المالكي في «شرح التسهيل»: قولُ الزجاج باطلٌ لأنه جعل ﴿كَأَفَّةٌ﴾ حالاً من مفرد، ولا يُعرَفُ ذلك في غير محلِّ النزاع، وجعلهُ من مُدَكِّرٍ مع كَوْنِهِ مُؤَنَّثًا، ولا يتأتى ذلك إلا بجعلِ تائه للمبالغة، وبأبه مقصورٌ على السماع، ولا يتأتى غالباً ما هي فيه إلا على أحدِ أمثلة المبالغة، كَسَيَابِةٍ وفُرُوقَةٍ ومَهْدَارَةٍ، وكأفة بخلاف ذلك، فبطل أن يكونَ منها لكونها على فاعلة. فإن مُجِلَّتْ على رواية حملت على شاذِّ الشاذِّ، لأنَّ إلحاقَ تاءِ المبالغة لأحدِ الأمثلةِ شاذٌّ، وإلحاقه لما لا مُبالغة فيه أشدُّ.

وأما الزمخشري فقد جعل ﴿كَأَفَّةٌ﴾ صفةً، ولم يستعمله العربُ إلا حالاً، وليتبه إذ أُخْرِجَ «كافة» عن استعمالِ العربِ سلكَ به سبيلَ القياسِ بل جعله لموصوفٍ محذوفٍ لم تستعمله العرب مفرداً ولا مقروناً بصفة؛ أعني: إرساله، وحقَّ الموصوفِ المُستغني بصفته أن يُعتادَ ذكُّره مع صفته قبل الحذفِ ولا تصلح الصفة لغيره.

قوله: (ومن جعله حالاً من المجرور متقدماً عليه فقد أخطأ، لأنَّ تقدُّمَ حالِ المجرورِ عليه في الإحالة بمنزلة تقدُّمِ المجرورِ على الجارِ)، وقال ابن الحاجب: تقديمُ الحالِ على المجرورِ - إذا كان صاحبُ الحالِ هو المجرورُ - مختلفٌ فيه؛ فأكثرُ البصريين على منعه، وكثيرٌ من النحويين على تجويزه، ووجه الجواز: أنه حال عن معمولٍ فعلٍ لفظيٍّ فجاز التصرف فيه بالتقديم والتأخير كسائرِ أحوالِ الأفعال.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٥٤).

(٢) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٦٩).

وجه المنع: أنه كَثُرَ الحال من المجرور في كلامهم ولم يُسَمَّعَ من الفصحاءِ تقديمه، ولأنَّ حالَ المجرورِ صفةٌ لصاحبها، وهي معمولة في المعنى بحَرْفِ الجرِّ، إلا أنهم نصبوها لغرضِ الفصلِ بين الصفة والحال، وكما أن معمولَ الجارِّ لا يتقدَّم عليه ففَرَعُ معمولِ الجارِّ بأن لا يتقدَّم على الجارِّ أجدر.

وقلت: ويمكن أن يُنَزَلَ قولُ المالكِ منزلةَ الجوابِ عن هذين الاحتجاجين، أعني قوله: ومن أمثلة تقديم الحال على صاحبها إذا كان مجرورًا ما ذكره أبو علي في «التذكرة»: زيدٌ خيرٌ ما يكون خَيْرًا منك، على أن المراد: زيدٌ خَيْرٌ منك خَيْرٌ ما يكون، فجعل «خَيْرًا ما يكون» حالًا من الكافِ المجرورِ، ومن الأمثلة قول الشاعر:

إِذَا المرءُ أعيتهُ المروءةُ ناشئًا فمطلبُها كهلًا عليه شديد<sup>(١)</sup>

أراد: فمطلبُها عليه كهلًا شديدٌ، ومن ذلك قول الآخر:

تسليتُ طرًّا عنكمُ بعدَ بينكمُ بذكر أكم حتى كاتكم عندي<sup>(٢)</sup>

أراد: تسليتُ عنكم طرًّا. وربَّما قدَّم الحال على صاحبِ المجرورِ وعلى ما يتعلَّقُ به الجارُّ، كقوله:

غافلًا تعرَّضَ المنيةُ للمرءِ فيُدعى ولاتَ حينَ إباءٍ<sup>(٣)</sup>

أراد: تعرَّضَ المنيةُ للمرءِ غافلًا.

وإذ قد ثبتت دلائل السماعِ مستوفاة، فلا بُدَّ من ضَعْفِ شُبهِ المنعِ، فمن ذلك: ادعاءُ أن حقَّ الحال إذا عدي العامل لصاحبه بواسطة أن يعدى إليه بتلك الوساطة، فيقال للمدعي

(١) اختلف في نسبه. فقيل: هو للمعلوطِ الربيعي. انظر: «التذكرة الحمدونية» (٢: ٢٤) وقيل: لرجل من

بني قريع. انظر: المصدر نفسه (١: ٢٨٥).

(٢) ذكره الأشموني في «شرح الألفية» (٢: ١٥) بلا عزو لأحد.

(٣) ذكره ابن مالك في «شرح الكافية الشافية» (٢: ٧٤٦) من غير عزو لأحد.

ذلك: لا نسلم هذا الحق حتى يترتب عليه التزام التأخر تعريضاً، بل حقُّ الحالِ المُشَبَّهَةِ بالظرفِ أن يستغني عن واسطة، على أن الحال أشدُّ استغناء عن الواسطة، ولذلك يعمل فيها ما لا يعدى بحرف الجر كاسم الإشارة وحرف التنبيه والتشبيه والتمني.

ومن الشُّبْهِ لالتزام التأخير: إجراء الحالِ المجرورِ بالحرفِ مُجرى الحالِ المجرورِ بالإضافة، فيقال لصاحب هذه الشبهة: المجرورُ بالحرفِ كالأصلِ للمجرورِ بالإضافة، فلا يصلحُ أن يحمل حال المجرور بحرف عليه لثلاثي يكون الفرع متبوعاً والأصل تابعاً، وأيضاً فالمضافُ بمنزلة موصولٍ والمضافُ إليه بمنزلة صلته، والحالُ منه بمنزلة جزء صلته، فوجب تأخيره كما يجب تأخير أجزاء الصلَّة، وحال المجرورِ بحرفٍ لا يُشْبِهُ جزء صلَّة، فأجيز تقديمه إذ لا محذورٌ في ذلك.

ومن الشُّبْهِ: تشبيهُ باب: مرزتُ بهند جالسةً، بباب: زيدٌ في الدار متكئاً، فيقال: بين البابين بؤن، فإن «جالسةً» منصوبٌ بـ«مرزتُ»، وهو فعل مُتصرفٌ لا يفتقر في نصبِ الحالِ إلى واسطة، كما لا يفتقر إليها في نصبِ ظرفٍ أو مفعولٍ له وحرفُ الجر الذي عداه لا عمل له إلا الجر، ولا جيء به إلا لتعدية: مررت، والمجرور به بمنزلة المنصوب فيتقدم حاله كما يتقدم حال المنصوب، وأما «متكئاً» في المسألة الثانية فمنصوبٌ بـ«في» لتضمينها معنى الاستقرار وهي أيضاً رافعةٌ ضميراً عائداً على زيد، وهو صاحبُ الحالِ، فلم يجز لنا أن نقدّم «متكئاً» على «في» لأن العمل لها، وهي عاملٌ ضعيفٌ متضمنٌ معنى الفعلِ دون حروفه، فمانعُ التقديم في نحو: زيدٌ في الدار متكئاً، غيرٌ موجودٍ في نحو: مرزتُ بهند جالسةً، وإذا بطل قول الزجاج والزمخشري تعيّن القول بصحة أن يكون الأصل: وما أرسلناك إلا للناس كافة، فقدّم الحالُ على صاحبها مع كونه مجروراً، وهو مذهبُ أبي علي وابن كيسان، حكاه ابن برهان<sup>(١)</sup>، ويجوزُ غيره، وقال غيره: جَوَزَ ابنُ كَيْسَانَ وأبو علي الفارسي كون ﴿كَافَّةً﴾ حالاً من المجرور باللام وهو ﴿لِلنَّاسِ﴾ من حيث إنّ العامل في الحال هو

(١) هو العلامة أبو الفتح أحمد بن علي بن برهان، فقيهٌ بغدادي غلب عليه علم الأصول، وكان من أصحاب ابن عقيل الحنبلي، ثم تحوّل شافعيّاً، توفي سنة ٥١٨ هـ.



وكم ترى عن يرتكب هذا بالخطأ، ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى؛ لأنه لا يستوي له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني، فلا بد له من ارتكاب الخطأين.

[ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِزُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٩-٣٠﴾ ]

قُرئ: ﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾، و(مِيعَادُ يَوْمٍ). و(مِيعَادُ يَوْمًا). والمِيعَادُ: ظَرْفُ الْوَعْدِ مِنْ مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ، وَهُوَ هَاهُنَا الزَّمَانُ. وَالِدَلِيلِ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مِنْ قَرَأَ: (مِيعَادُ يَوْمٍ) فَأَبْدَلُ مِنْهُ الْيَوْمَ. فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَأْوِيلُ مَنْ أَضَافَهُ إِلَى (يَوْمٍ)، أَوْ نَصَبَ (يَوْمًا)؟ قُلْتَ: أَمَّا الْإِضَافَةُ فِإِضَافَةُ تَبْيِينٍ، كَمَا تَقُولُ: سَحَقْتُ ثُوبًا، وَبَعِيرٌ سَانِيَةٌ. وَأَمَّا نَصَبُ «الْيَوْمِ» فَعَلَى التَّعْظِيمِ بِإِضْهَارِ فِعْلِ تَقْدِيرِهِ: لَكُمْ مِيعَادُ أَعْنِي يَوْمًا، وَأُرِيدُ يَوْمًا؛ مِنْ صِفَتِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرَّفْعُ عَلَى هَذَا، أَعْنِي التَّعْظِيمَ. فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ انْطَبَقَ هَذَا جَوَابًا عَلَى سُؤْلِهِمْ؟ .....

الفعل، ولا يفتقر الفعل في عمله في الحال إلى الجار، وإنما يفتقر إليه في عمله في المفعول به، فإذا جاز أن يعمل في الحال ما لا يعمل في صاحب الحال كان أولى بالجواز.

وقول القائل: المجزور لا يتقدم الجار، فإنما يلزم هذا أن لو كان الجار عاملًا في الحال، كقولك: قائمًا في الدار زيد، لا يجوز لكون الجار عاملًا في الحال، وقد ذكر بأن العامل هو الفعل فلذلك جاز.

واعلم أن المالكي يجوز تعدد العامل في الحال وصاحبها، وقد أسلفنا القول فيه في سورة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢] مستوفى.

قوله: (وبعير سانية)، الجوهري: السانية: الناضحة، وهي الناقة التي يستقى عليها.

قوله: (كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم؟)، يعني: أنهم سألوا عن وقت إرساء الساعة وأجيبوا عن أحوالهم فيها، وتلخيصُ الجواب: أنه من الأسلوب الحكيم يعني: دعوا السؤال عن وقت إرسائها، فإن كينونته لا بد منه؛ بل سلوا عن أحوال أنفسكم وكيف

قلت: ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتًا لا استرشادًا، فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقًا لمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت، وأنهم مُرصدون ليوم يُفاجئهم، فلا يستطيعون تأخرًا عنه ولا تقدمًا عليه.

[﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [٣١]

الذي بين يديه: ما نزل قبل القرآن من كتب الله. يروى: أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله ﷺ في كتبهم، فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في الكفر، فكفروا بها جميعًا. وقيل: الذي بين يديه: يوم القيامة. والمعنى: أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى، أو أن تكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة، ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة، فقال لرسوله عليه السلام أو للمخاطب: ﴿ وَلَوْ تَرَى ﴾ في الآخرة موقفهم

تكونون مبهوتين متحيرين فيها من هول ما تشاهدون، هذا اليق بحالكم من أن تسألوا عنه. هذا المعنى وإن لم يعلم ظاهرًا من جواب المصنف لكن مآله إليه.

قوله: (ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتًا لا استرشادًا)، قوله: «إلا تعنتًا» استثناء مفرغ والمستثنى منه أعم الأحوال، وهذا التركيب مثل قولك: ما زيد إلا قائم لا قاعد، وقد أباه صاحب «المفتاح»<sup>(١)</sup>، مضى بيانه غير مرة.

قوله: (أو أن يكون لما دل عليه)، يجوز أن تكون «كان» ناقصة، واسمه ضمير الشأن، و«حقيقة» بالرفع مبتدأ، والخبر: «لما دل عليه»، والجملة مبينة ضمير الشأن وخبر له، وأن تكون ناقصة، وفاعلها «حقيقة»، و«لما دل» متعلق بـ«حقيقة».

(١) «مفتاح العلوم» ص ٢٩٣.

وهم يتجاذبون أطراف المحاورّة ويتراجعونها بينهم؛ لرأيت العجب، فحذّف الجواب.  
والمستضعفون: هم الأتباع، والمستكبرون: هم الرؤوس والمقدمون.

[﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْتَنكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾  
بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ \* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ  
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُمْ أَدَادًا وَأَسْرًا﴾ التَّدَامَةُ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَلَّ  
فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَمْلُونَ ﴿٣٢-٣٣﴾]

أولي الاسم - أعني «أنحن» - حَرْفُ الْإِنكَارِ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ إِنْكَارُ أَنْ يَكُونُوا هُم  
الصَّادِقِينَ لَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، وَإِثْبَاتُ أَنَّهُمْ هُم الَّذِينَ صَدَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ أَتَوْا  
مِنْ قِبَلِ اخْتِيَارِهِمْ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَنَحْنُ أَجْبَرْنَاكُمْ وَحُلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كَوْنِكُمْ مُمَكِّنِينَ  
مُخْتَارِينَ. ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ بَعْدَ أَنْ صَمَّمْتُمْ عَلَى الدَّخُولِ فِي الْإِيمَانِ، وَصَحَّتْ نِيَّاتُكُمْ  
فِي اخْتِيَارِهِ؟ بَلِ أَنْتُمْ مَنَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ حَظَّهَا، وَأَثَرْتُمْ الضَّلَالَ عَلَى الْهُدَى، وَأَطَعْتُمْ أَمْرَ  
الشَّهْوَةِ دُونَ أَمْرِ النَّهْيِ، فَكُنْتُمْ مُجْرِمِينَ كَافِرِينَ؛ لِاخْتِيَارِكُمْ لَا لِقَوْلِنَا وَتَسْوِيلِنَا. فَإِنْ  
قُلْتُمْ: «إِذَا» وَ«إِذَا» مِنَ الظَّرْفِ اللَّزِمَةِ لِلظَّرْفِيَّةِ، فَلِمَ وَقَعَتْ «إِذَا» مُضَافًا إِلَيْهَا؟  
قُلْتُمْ: قَدْ اتَّسَعَ فِي الزَّمَانِ مَا لَمْ يُتَّسَعِ فِي غَيْرِهِ، فَأُضِيفَ إِلَيْهَا الزَّمَانُ، .....

قوله: (وهم يتجاذبون أطراف المحاورّة)، ينظر إلى قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا  
ومسح بالأركان من هو ماسح  
وسالت بأعناق المطي الأباطح<sup>(١)</sup>

أراد بأطراف الأحاديث ما يتعاطاه المحبون وذوو الصبابة من التعريض والتلويح  
دون البيان والتصريح.

قوله: (قد اتَّسَعَ فِي الزَّمَانِ مَا لَمْ يُتَّسَعِ فِي غَيْرِهِ، فَأُضِيفَ إِلَيْهَا الزَّمَانُ)، قال صاحب

(١) لكثير عزة. انظر: «زهر الآداب» (٢: ٤٠٤).

«التقريب»: وإنما أضيف إلى «إن» مع لزومه الظرفية اتساعاً بإضافة الظرف إليه، كما أضيف إلى الجُمَل نحو: حينَ جاءَ زيد.

وقال صاحب «الفرائد»: لزومُ ظرفيّتها إذا كانتا مُستعملتين لحقيقتيهما، فإذا استعملتا بمعنى آخر كان لهما حكم لفظ ذلك المعنى، وهنا المراد بعد مجيء الهدى لأن المراد من وقت الهدى لا وقته، وما ذكر ليس بجواب السؤال الذي ذكر، لأن لزوم الظرفية يأبى جواز ما ذكر.

وقلت: كفى بقوله: «يُتَسَّعُ فيها ما لم يُتَّسَعِ في غيرها» جواباً، وتقدير السؤال: أن «إذا» و«إذا» من الظروف اللازمة الظرفية، فكيف وقعت «إذا» هاهنا مجرورة مضافاً إليها.

وأجاب: أن الظروفَ لا سيما الزمانية يُتَّسَعُ فيها ما لم يُتَّسَعِ في غيرها، ويمكن أن يكون مراده: أنه «إذا» جُرِّدَتْ «إذا» عن معنى الظرفية وانسلخت عنه رأساً وصُيِّرَتْ اسماً صِرْفاً فأضيفَ إليها، ألا ترى كيف وقعت مجرورة في قولك: جئتكَ بعد إذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ، فإذاً معنى الآية: أنحنُ صدذناكم عن الهدى بعد مجيئه إياكم، فليس فيه رائحةُ الظرفية.

وعن صاحب «الضوء»: نصَّ سيبويه في «الكتاب»<sup>(١)</sup> وأجاز: إذا يقومُ زيدٌ إذا يقعدُ عمرو، بمعنى: وقتُ قيامِ زيدٍ وقتُ قعودِ عمرو، فارتفع إذا هاهنا مبتدأ وخبراً، وأنشد:

وبعد غدٍ يا لهفَ نفسي من غَدٍ      إذا راح أصحابي ولست برائح<sup>(٢)</sup>

قالوا: «إذا» هاهنا مجرور المحلُّ على البدلية من «غد»، ولذلك حكموا عليه بأنه منصوبُ المحلِّ بوقوع الفعل عليه في أوائل القصص، وهو «اذكر» مُضمراً أو ظاهراً، نحو ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾.

(١) لم أقف عليه فيه.

(٢) لأبي الطحان القيني. انظر: «مغني اللبيب» (١: ١٣٨).

كما أضيفَ إلى الجُمَلِ في قولك: جئتُك بعدَ إذ جاءَ زيد، وحيثُتد، ويؤمُتد، وكان ذلكَ أو أنَ الحجاجُ أميرٌ، وحينَ خرَجَ زيد. لما أنكرَ المستكبرونَ بقولهم: ﴿أَتَنْخُنُ صَدَدَ نَكْرٍ﴾ أن يكونوا هم السببُ في كُفْرِ المستضعفينَ، وأثبتوا بقولهم: ﴿بَلْ كُنْتُمْ تُخْرِمِينَ﴾ أن ذلكَ بكسبِهِم واختيارِهِم، كرَّ عليهمَ المستضعفونَ بقولهم: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾، فأبطلوا إضرابَهُم بإضرابِهِم، كأنهم قالوا: ما كانَ الإجراءُ من جهتنا، بل من جهة مكرِكُم لنا دائبًا ليلاً ونهارًا، وحملِكُم إيانا على الشركِ واتخاذِ الأنداد. ومعنى مكرِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ: مكرُكُم في اللَّيْلِ والنَّهَارِ، فأتسَّعَ في الظرفِ بإجرائه مجرى المفعولِ به وإضافةِ المَكْرِ إليه. أو جُعِلَ ليْلَهُم ونهارُهُم مأكريْنِ على الإسنادِ المجازيِّ. وقُرئ: (بل مكرُّ اللَّيْلِ والنَّهَارِ) بالتنوينِ ونصبِ الظرفينَ، و(بل مكرُّ اللَّيْلِ والنَّهَارِ) بالرفعِ والنصبِ، أي: تكَرَّرَ الإغواءُ مَكْرًا دائبًا لا تفترونَ عنه؛ فإن قلتَ: ما وجهُ الرِّفْعِ والنَّصْبِ؟ قلتُ: هو مبتدأٌ أو خَبَرٌ، على معنى: بل سببُ ذلكَ مكرُّكُم، أو مكرُّكُم، أو مكرُّكُم سببُ ذلكَ. والنصبُ على: بل

قوله: (ما وجه الرفع والنصب؟)، أي: في القراءتين، يعني: قراءة من قرأ «مكر» من المكر، ومن قرأ: «مكر» من الكرور. وأجاب: إنه يجوز أن تكون «مكرم» خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: سبب ذلك مكرُّكُم أو مكرُّكُم، أو مبتدأ خبره محذوف، أي: مكرُّكُم أو مكرُّكُم سبب ذلك. قال ابن جني: «بل مكرُّ اللَّيْلِ والنَّهَارِ» قراءة أبي، و«بل مكرُّ اللَّيْلِ والنَّهَارِ» قراءة قتادة، وقرأ راشد «بل مكرُّ» بالنصب، وأما المَكْرُ والكَرُّورُ أي: اختلاف الأوقات، فَمَنْ رَفَعَهُ فإِما على فِعْلٍ مضمِرٍ دَلَّ عليه قوله: ﴿أَتَنْخُنُ صَدَدَ نَكْرٍ عَنِ الْمُدَى﴾ فإنه كالجواب له، أي: بل صدر مكرُّ اللَّيْلِ والنَّهَارِ في كرورهما، وإما على حذف الخبر، أي: مكر اللَّيْلِ والنَّهَارِ صَدَدًا، فَمَنْ نَصَبَهُ فعلى الظرف كقولك: زُرْتُكَ خفوقَ النجم، وهو متعلق بفعل محذوف، أي: صددمونا في هذه الأوقات على هذه الأحوال<sup>(١)</sup>.

(١) «المحتسب» (٢: ١٩٣).

تَكْرُونَ الْإِغْوَاءَ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ قِيلَ: ﴿قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا﴾ بِغَيْرِ عَاطِفٍ؛ وَقِيلَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَسْتَضْعَفُوا﴾؟ قُلْتَ: لِأَنَّ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا مَرًّا أَوْ لَا كَلَامُهُمْ، فَجِيءَ بِالْجَوَابِ مَحذُوفِ الْعَاطِفِ عَلَى طَرِيقَةِ الِاسْتِثْنَاءِ، ثُمَّ جِيءَ بِكَلَامٍ آخَرَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ، فَعُطِفَ عَلَى كَلَامِهِمُ الْأَوَّلِ. فَإِنْ قُلْتَ: مِنْ صَاحِبِ الضَّمِيرِ فِي ﴿وَأَسْرُوا﴾؟ قُلْتَ: الْجِنْسُ الْمَشْتَمِلُ عَلَى التَّوَعِينِ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، وَهُمْ الظَّالِمُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ: ٣١]. يَنْدُمُ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَلَى ضَلَالِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ، وَالْمُسْتَضْعَفُونَ عَلَى ضَلَالِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمُ الْمُضِلِّينَ. ﴿وَفِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أَي: فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَجَاءَ بِالصَّرِيحِ لِلتَّنْوِيهِ بِذَمِّهِمْ؛ وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا اسْتَحَقُّوهُ مِنَ الْأَغْلَالِ. وَعَنْ قَتَادَةَ: أَسْرُوا الْكَلَامَ بِذَلِكَ بَيْنَهُمْ. وَقِيلَ: أَسْرُوا النَّدَامَةَ: أَظْهَرُوهَا، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ.

قوله: (فعطف على كلامهم الأول)، أي: على قوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ أَسْتَضْعَفُوا﴾، وفيه أن المستضعفين تكلموا بكلامين، وأجابهم المستكبرون عن أحدهما دون الآخر لإفحامهم بقوله: ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إلى آخره، ثم كلا الفريقين مكروا وأسروا الندامة حين لم ينفعهم الندم سرًّا.

قوله: (يندم المستكبرون على ضلالهم)، يعني: الضمير في «أسروا» راجع في قوله: ﴿وَإِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ وإنما فسروا ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ وهو ماض بقوله: «يندمون» وهو مضارع ليوافق قوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾، ولم يعكس لأنه حكاية للحال الآتية استحضارًا لصورة المجرمين وأنهم موقوفون عند ربهم راجعون بعضهم إلى بعض.

قوله: (أسروا الندامة: أظهوها، [وهو] من الأضداد) عطف على قوله: «يندم المستكبرون»، فعلى الأول أضمر الفريقان الندامة وأخفوها مخافة التعبير، والثاني الوجه، لأن التعبير واقع وقد علم من قوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ ذلك وقيل: أسره إذا ثبت له الخفاء، وأسره أزال عنه الخفاء ونظيره. أشكيت، أي: أثبت له الشكاية أو أزلتها عنه، وأنشد المصنف لنفسه:

[ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ \* وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ ٣٤ - ٣٥ ]

هذه تسليية لرسول الله ﷺ مما مُنِّي به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به، والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد، والمفاخرة وزخارفها، والتكبر بذلك على المؤمنين، والاستهانة بهم من أجله، وقولهم: ﴿ أَيُّ الْقَرْيَاتِ خَيْرٌ مِّمَّا مَآءًا وَأَحْسَنُ نَذِيرًا ﴾ [مريم: ٧٣]، وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله ﷺ أهل

شكوت إلى الأيام سوء صنعها      ومن عجب بالك تشكى إلى المبكي  
فما زادني الأيام إلا شكاية      وما زالت الأيام تُشكى ولا تُشكي

الراغب: الندم: والندامة: التحسُّر من تغرُّ رأي في أمر فائت، قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣١]، وأصله من منادمة الحزن له، والنديم والندمان والمنادم متقارب. وقال بعضهم: المنادمة والمداومة يتقاربان، وقال بعضهم: الشريان سُمِّيا نديمين لما يتعقب أحوالهما من الندامة على فعلهما<sup>(١)</sup>.

قوله: (مما مني به من قومه)، يقال: منوته ومنيته، أي: ابتليته.

قوله: (والاستهانة بهم من أجله)، أي: من أجل التكبر، قال القاضي: واستهانوا بمن لم يحظ منها. ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة إلى التكذيب ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ على مقابلة الجمع بالجمع، قوبل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا ... مِنْ نَّذِيرٍ ﴾ بقوله: ﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾، ومن ثم طابقه قوله: ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وأنه لم يرسل)، عطف على قوله: «تسليية» على سبيل البيان.

(١) «مفردات القرآن» ص ٧٩٦.

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٤٨).

مَكَّةَ، وَكَادُوهُ بِنَحْوِ مَا كَادُوهُ بِهِ، وَقَاسُوا أَمْرَ الْآخِرَةِ الْمُوْهُومَةِ أَوْ الْمَفْرُوضَةِ عِنْدَهُمْ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَكْرُمُوا عَلَى اللَّهِ لَمَا رَزَقَهُمْ، وَلَوْ لَا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ هَانُوا عَلَيْهِ لَمَا حَرَمَهُمْ؛ فَعَلِيَ قِيَاسِهِمْ ذَلِكَ قَالُوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾: أَرَادُوا أَنَّهُمْ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ؛ نَظَرًا إِلَى أَحْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

[﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٦]

وقد أبطل الله تعالى حساباتهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح، فربما وسع على العاصي وضيّق على المطيع، وربّما عكس، وربّما وسع عليهما وضيّق عليهما، فلا ينفاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق. وقدّر الرزق: تضييقه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧] وقُرئ: «يَقْدِرُ» بالتشديد والتخفيف.

[﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ \* وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ٣٧-٣٨]

أراد: وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم ﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ﴾، وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلاؤه سواء في حكم التانيث، ويجوز أن يكون «التي» هي التقوى، وهي المقرّبة عند الله زلفى وحدها، أي: ليست أموالكم بتلك الموضوعّة

قوله: («يَقْدِرُ» بالتشديد والتخفيف)، بالتخفيف: مشهورة، وبالتشديد: شاذة.

قوله: (ويجوز أن يكون «التي» هي التقوى)، يعني: عبر عن التقوى بقوله: ﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ كناية، كأنه قيل: وما أموالكم ولا أولادكم بالتقوى، لأن التقوى هي المقرّبة عند الله زلفى وحدها؛ يدل عليه قوله: «ليست أموالكم بتلك الموضوعّة للتقريب» أي: وضع الشارع لفظة التقوى بإزاء معنى التقريب، كما أن صاحب اللغة وضع الألفاظ



للتقريب. وقرأ الحَسَن: (باللّاتي تقرّبكم)؛ لأنها جماعات. وقُرى: (بالذي يقربكم)، أي: بالشيء الذي يُقربكم. والزلفى والزلفة: كالقربى والقربة، ومحلها النَّصْب، أي: تقرّبكم قربةً، كقوله تعالى: ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]. ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ استثناءً من «كم» في ﴿تُقَرَّبُكُمْ﴾، والمعنى: أن الأموال لا تُقرب أحدًا إلا المؤمن الصّالح الذي يُنفقها في سبيل الله، والأولاد لا تُقرب أحدًا إلا من علّمهم الخير، وفقههم في الدين، ورشّحهم للصّلاح والطاعة. ﴿جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾: من إضافة المصدر إلى المفعول، أصله: فأولئك لهم أن يُجازوا الضّعف، ثم: جزاء الضّعف، ثم ﴿جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾. ومعنى ﴿جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾: أن تضاعف لهم حسناتهم، الواحدة عشرًا.

للمعاني، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: ١٣]، قال القاضي: أو أنها صفة موصوف محذوف، أي: ما أموالكم ولا أولادكم بالتقوى التي تقربكم عندنا زلفى<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ استثناءً من «كم» قال الزجاج: موضع ﴿مَنْ﴾ نَصْبٌ بالاستثناء على البذل من الكاف والميم، أي: لا يُقرب الأموال إلا مَنْ آمن وعمل بها في طاعة الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وقال القاضي: ويجوز أن يكون مستثنى من ﴿أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ﴾ على حذف المضاف، أي: إلا مال من آمن وولد من آمن<sup>(٣)</sup>. وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون في موضع رفع على الابتداء، أي: ﴿مَنْ﴾ مبتدأ، وما بعده خبر<sup>(٤)</sup>.

قوله: (ورشّحهم)، أي: ربّاهم وهبّاهم.

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٤٩).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٥٥).

(٣) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٤٩).

(٤) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٧).

وَقُرِئَ: (جزاء الضعف)، على: فأولئك لهم الضعف جزاء، و(جزاء الضعف) على: أن يجازوا الضعف. و(جزاء الضعف) مرفوعان، «الضعف» بدل من «جزاء». وَقُرِئَ: ﴿فِي الْغُرْفَتِ﴾ بضمّ الرّاء وفتحها وسكونها، و(في الغُرفة).

[﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [٣٩]

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾: فهو يعوّضه، لا معوّض سواه؛ إمّا عاجلاً بالمال، أو القناعة التي هي كنز لا يتفد؛ وإمّا آجلاً بالثواب الذي كلُّ خَلَفٍ دونه. وعن مُجاهد: من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد، فإنّ الرزق مقسوم، ولعلّ ما قُسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه، فينفق جميع ما في يده، ثم يبقى طول عمره في فقر، ولا يتأوّلن: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، .....

قوله: و(جزاء الضعف) مرفوعان، قال الزجاج: ويجوز رفع «الضعف» من جهتين: على معنى: فأولئك لهم الضعف، على أن يكون «الضعف» بدلاً من «جزاء»، ويكون مرفوعاً على إضمار «هو»، كأنه لما قيل: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ﴾، كأن قائلًا قال: ما هو؟ فقال: هو الضعف، ويجوزُ النصب في «الضعف» على مفعول ما لم يسم فاعله، على معنى: فأولئك لهم أن يجازوا الضعف، والقراءة المشهورة: خفض «الضعف» ورفع «الجزاء»<sup>(١)</sup>.

قوله: (قُرِئَ): ﴿فِي الْغُرْفَتِ﴾، كلُّهم إلا حمزة، فإنه قرأ: «في الغُرفة» بسكون الرّاء<sup>(٢)</sup>.  
قوله: (ولا يتأوّل) ويروى: (ولا يتأوّلن) ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: لا يصرّفه عن ظاهره ويقول: وما أنفقتم من شيء فإن الله يعوضه في الدنيا لأن «ما» شرط، وقوله: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ جزاء، والآية واردة على سبيل الوعد على الإنفاق وأن الله لا يضيع أجر المحسنين على الإنفاق.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٥٥).

(٢) انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٩٠.

وفي «المعالم»: عن جابر بن عبد الله قال قال النبي ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ مَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا وَقَى بِهِ الرَّجُلَ عَرَضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ، وَمَا أَنْفَقَ الْمُؤْمِنُ مِنْ نَفَقَةٍ فَعَلَّ اللَّهُ خَلْفَهَا ضَامِنًا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَفَقَتِهِ فِي بُيَانٍ أَوْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي الكواشي: «ما» شَرْطٌ نُصِبَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْفَقْتُمْ﴾ و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾، بيانه، وجواب الشرط الفاء بعد، أو بمعنى الذي مبتدأ، وخبره ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: فالله يعوضه هنا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا يفنى، ثم بالثواب في العقبى، وفي الحديث: «من أيقن بالخلفِ جادًا بالعطية»<sup>(٢)</sup>، وفيه حكاية عن الله تعالى: «أنفق أنفق عليك»<sup>(٣)</sup>.

وقلت: هذا هو الوجه، وعليه الوجه الأول، ولذلك أردفه بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرٌ الرَّزْقَيْنِ﴾ تذييلًا للكلام، أي: ﴿وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرُهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَقْدَرًا ﴿[الطلاق: ٣].

ويؤيده ما روينا عن البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبحُ العبادُ فيه إلا وملكان يترلان فيقول أحدهما: اللهم أعطِ مُتْنَفِقًا خَلْفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ مُسْكِنًا تَلْفًا»<sup>(٤)</sup>.

وعن الإمام أحمد بن حنبل عن أبي أمامة: قال أبو ذرٍّ: يا نبي الله أرأيتَ الصدقةَ ماذا هي؟ قال: أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد»<sup>(٥)</sup>.

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٤٠٣). وحديث جابر أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٢٠٤٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠: ٤٠٩).

(٢) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١: ٢٣٣) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٢٨٨).

فإن هذا في الآخرة. ومعنى الآية: وما كان من خَلْفٍ فهو منه. ﴿هَخَيْرُ الرَّزْقِ﴾ وأعلامهم ربُّ العزة، لأنَّ كلَّ ما رَزَقَ غيرُه؛ من سلطانِ يَرْزُقُ جنده، أو سيِّد يَرْزُقُ عبده، أو رجل يَرْزُقُ عياله؛ فهو من رَزَقِ الله، أجراه على أيدي هؤلاء، وهو خالقُ الرزق، وخالقُ الأسبابِ التي بها ينتفعُ المرزوقُ بالرزق. وعن بعضهم: الحمدُ لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي؛ فكم من مشتهٍ لا يجِد، وواجدٍ لا يشتهي.

[﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَذَا الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ٤٠-٤١]

هذا الكلامُ خطابٌ للملائكة، وتقريعٌ للكفار، واردةٌ على السَّمَلِ السائر:

إِيَّاكَ أَغْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ

والنظمُ أيضًا يساعِدُ عليه، لأن الآية حث على الصدقةِ والإنفاقِ في سبيلِ الله، ولأنَّ هذه الآيةُ تقريرٌ لمعنى قوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ أَضْعَافٍ﴾ كما قال: «إن الأموال لا تقرب أحدًا إلا المؤمن الصالح الذي يُنفقها في سبيلِ الله» فمعنى الآية: أن الله هو القابضُ الباسطُ، فلا تخافوا النفقةَ في سبيله، فإن الله خير الرازقين ولا يُضيعُ أجرَ المحسنين.

قوله: (الحمد لله الذي أوجدني). الجوهرى: أوجده، أي: أغناه، يقال: الحمد لله الذي أوجدني بعد فقر، وأوجدني بعد ضعف، أي: قَوَانِي.

قوله: (إياك أعني واسمعي يا جارة) قال الميداني: أول من قال ذلك سهَّلُ بن مالك الفزاري، وذلك أنه خرج يريد النعمان فمرَّ ببعضِ أحياءِ طيم، فسأل عن سيِّد الحيِّ فقيل: حارثة بن لأم، فأمرَ رَحَلَهُ فلم يُصِبْهُ، فقالت له أخته: انزِلْ في الرَّحْبِ والسَّعَةِ، فنزل فأكرمتها وألطفته، ثم خرجت من خيائها. فرآها أجملُ أهل دهرها وألطفهم وكانت عَقِيلَةً قومها وسيدة نساها، فوقع في نفسه، فجلس يوماً بفناء الخباء يُشِيدُ وهي تسمع:

يا أختَ خَيْرِ البَدْوِ والحضارَةِ      كيفَ تَسْرَيْنَ في فتى فزارَةِ

ونحوه قوله عزّ وعلا: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقد عَلِمَ سبحانه كَوْنَ الملائكةِ وعيسى منزّهين برأءٍ مَّا وَجَّهَ عَلَيْهِم من السُّؤالِ الواردِ على طريقِ التقرير، والغَرَضُ أن يقولَ ويقولوا، ويسألَ ويُجيبوا؛ فيكونُ تقرُّبُهُم أشدَّ، وتعييرُهُم أبلغ، وخجلُهُم أعظم؛ وهو أنه ألزَم، ويكونُ اقتصاصُ ذلكَ لطفًا لِمَن سمِعَه، وزاجرًا لمن اقتَصَصَ عليه. والموالاةُ: خِلافُ المُعاداة. ومنها: اللهمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه. وهي مفاعلةٌ من الوَلَّى، وهو القُرْب. كما

أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةَ مِعْطَارَةَ      إِيَّاكَ أَغْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ

فَقَالَتْ لَهُ مَجِيئَةً:

إِنِّي أَقُولُ يَا فَتَى فَرَارَةَ      لَا أَبْتَغِي الزَّوْجَ وَلَا الدَّعَارَةَ  
وَلَا فِرَاقَ أَهْلِ هَذِي الْجَارَةَ      فَازْحَلْ إِلَى أَهْلِكَ بِاسْتِخَارَةَ

فاسْتَحَى الفتى، وقال: ما أردتُ منكرًا. قالت: صدقت. فكأنها استخيت من تسرُّعها إلى تَهْمَتِهِ، فارتملت إلى النعمان، فلما رجع نزلَ على أخيها، فتطلَّعت إليه وكان جميلًا. فأرسلت إليه: أن اخطبني، فخطبها وتزوجها، وسارَ بها إلى قومه<sup>(١)</sup>.

يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئًا آخر.

قال أبو البقاء: «هؤلاء» مبتدأ، و﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ خبره، و﴿إِيَّاكَ﴾ في موضع نصب بـ﴿يعبدون﴾ وفيه دلالة على جواز تقديم خبر «كان» عليها، لأن معمول الخبر بمنزلة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (اللهمَّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه)، رويها في «مسند الإمام أحمد بن حنبل» عن البراء بن عازبٍ وزيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ لما نزل بغدير حُجْمَ أَخَذَ بيدِ عليٍّ رضي الله عنه فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، فقال: «اللهم من كُنْتُ مولاة فعليٍّ مولاة، اللهمَّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه» فلقبه عمر رضي الله عنه فقال:

(١) «مجمع الأمثال» (١: ٤٩).

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٧).

أَنَّ الْمَعَادَةَ مِنَ الْعُدْوَاءِ، وَهِيَ الْبُعْدُ. وَالْوَلِيُّ: يَقَعُ عَلَى الْمَوَالِي وَالْمَوَالِي جَمِيعًا. وَالْمَعْنَى: أَنْتَ الَّذِي نَوَالِيهِ مِنْ دُونِهِمْ، إِذْ لَا مَوَالَاةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. فَبَيَّنَّا بِإِثْبَاتِ مَوَالَاةِ اللَّهِ وَمَعَادَاةِ الْكُفَّارِ بِرَاءَتِهِمْ مِنَ الرَّضَا بِعِبَادَتِهِمْ لَهُمْ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ كَانَتْ حَالُهُ مُنَافِيَةً لِذَلِكَ. ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: يَرِيدُونَ الشَّيَاطِينَ؛ حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ. وَقِيلَ: صَوَّرَتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ صُورَ قَوْمٍ مِنَ الْجِنَّ، وَقَالُوا: هَذِهِ صُورُ الْمَلَائِكَةِ فَاعْبُدُوها. وَقِيلَ: كَانُوا يَدْخُلُونَ فِي أَجْوَابِ الْأَصْنَامِ إِذَا عُبِدَتْ، فَيُعْبَدُونَ بِعِبَادَتِهَا. وَقُرِئَ: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ و﴿نَقُولُ﴾ بِالنُّونِ وَالْبَاءِ.

[﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وَقَوْلُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٢﴾]

الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلَّهِ وَخِذَهُ، لَا يَمْلِكُ فِيهِ أَحَدٌ مَنفَعَةً وَلَا مَضَرَّةً لِأَحَدٍ؛ لِأَنَّ الدَّارَ دَارَ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ، وَالْمَثِيبُ وَالْمَعَاقِبُ هُوَ اللَّهُ، فَكَانَتْ حَالُهَا خِلَافَ حَالِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ دَارُ تَكْلِيفٍ، وَالنَّاسُ فِيهَا مَخْلُؤٌ بَيْنَهُمْ، يَتَضَارَوْنَ وَيَتَنَافَعُونَ. وَالْمَرَادُ: أَنَّهُ لَا

هَنِيئًا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ<sup>(١)</sup>.

فِي «الْمَطْلَعِ»: الْوَلِيُّ: فَعِيلٌ مِنَ الْوَالَايَةِ، بِمَعْنَى الْمَوْلَى وَالْمَوَالِي جَمِيعًا، الْوَلِيُّ الْقُرْبُ مِنَ بَابِ فَعَلَ بِفَعْلٍ بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ مَعًا مِنَ الشَّوَادِ، وَوَلِيَ الْوَالِي الْبَلَدَ، وَوَلِيَ الْبَيْعَ وَغَيْرَهُ وَوَالَايَةَ، فَهِيَ مِنَ الْبَابِ أَيْضًا.

قَوْلُهُ: (مِنَ الْعُدْوَاءِ)، وَالْعُدْوَاءُ: بُعْدُ الدَّارِ، وَمِنْهَا قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ:

مِنْهَا عَلَى عُدْوَاءِ الدَّارِ تَسْتَقِمُّ<sup>(٢)</sup>

قَوْلُهُ: (وَقُرِئَ) ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ و﴿نَقُولُ﴾ بِالنُّونِ وَالْبَاءِ، بِالنُّونِ: حَفْصٌ، وَبِالْبَاءِ: <sup>(٣)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٨٤٧٩) مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ (١٩٣٠٢) مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ.

(٢) «دِيوَانُ ذِي الرِّمَّةِ» ص ٢٩٢.

(٣) انظُرْ: «حَجَّةُ الْقِرَاءَاتِ» ص ٥٩٠.

ضارًّا ولا نافع يومئذٍ إلا هو وخذه، ثم ذكر مُعاقبته الظالمين بقوله: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ معطوفًا على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾.

[﴿وَلِإِنَّا نُنزِّلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَنَتَّبِعُ قَالَوَا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالَوَا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ٤٣]

الإشارة الأولى: إلى رسول الله ﷺ. والثانية: إلى القرآن. والثالثة: إلى الحق. والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو. وفي قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي أن لم يُقَل: وقالوا، وفي قوله: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، وما في اللامين، من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه، وفي «لَمَّا» من المبادهة بالكفر - دليل على صدور الكلام عن إنكارٍ عظيم، وغضبٍ شديد، وتعجبٍ من أمرهم بليغ، كأنه قال: وقال أولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فبتوا القضاء على أنه سحر، ثم بتوه على أنه بين ظاهر، كل عاقل تأمله سباه سحرًا.

قوله: (وما في اللامين من الإشارة)، عطف تفسيري نحو: أعجبني زيد وكرمه، على قوله: «وفي قوله: وقال الذين كفروا» إلى آخره، يعني: أن اللامين في «الذين كفروا» وفي «الحق» للعهد ومدخولها أقبا مقام المضميرين، أما أولًا فإن قوله: ﴿وَلِإِنَّا نُنزِّلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَنَتَّبِعُ﴾ يوجب الإضمار وأن يقال: قالوا، وأما ثانيًا: فإن قوله: ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ﴾ وقوله: ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ﴾ يقتضيان أن يقال: لهما، وقد تقرر أن سلوك هذه الطريقة لا يكون إلا للإيدان بأن الأمر عظيم والخطب جليل، وإليه الإشارة بقوله: «أولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل هذا الحق النير قالوا: إن هذا إلا سحرٌ مبين»، أما قوله: «قبل أن يذوقوه» فإشارة إلى دلالة لما جاءهم على المبادهة وقوله: «فبتوا القضاء» إشارة إلى معنى ما يعطيه «أن» و«إلا» من معنى الحصر، وقوله: «ثم بتوه على أنه بين ظاهر» إشارة إلى معنى «هَذَا» ولفظة «مُبِينٌ».

﴿ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ \* وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [٤٤-٤٥]

وما آتيناهم كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك، ولا أرسلنا إليهم نذيراً يُنذِرهم بالعقاب إن لم يُشركوا، كما قال عز وجل: ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْاْ بِكُمْ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٣٥]. أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية، لا ملّة لهم، وليس لهم عهدٌ بإنزال كتاب ولا بعثة رسول، كما قال: ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٢١] فليس لتكذيبهم وجهٌ مُسَبَّبٌ، ولا شبهةً متعلّق، كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مُبطلين: نحنُ أهلُ كُتُبٍ وشرائع، ومُستندون إلى رُسلٍ من رُسلِ الله. ثمّ توعدّهم على تكذيبهم بقوله: ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ كَانُوا يُشْرِكُونَ ﴾ تقدّموهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا، وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار، وقوة الأجرام، وكثرة الأموال، فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال، ولم يُغن عنهم استظهارهم بما هم به مُستظهِرون،

قوله: (أو وصفهم بأنهم قوم أميون)، عطف على قوله: ﴿ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ فيها برهان من حيث المعنى.

اعلم أن وصف كُتُبٍ بقوله: ﴿ يَدْرُسُونَهَا ﴾ يمكن أن يكون من قولك: ما عندي كتاب يقرأ، فهو نفي القراءة وحدها وأن عنده كتاباً إلا أنه لا يقرأ، أو نفيها جميعاً وأن لا كتاب عنده ولا كونه مقروءاً، والوجهان اللذان قرّهما من القليل الثاني.

قوله: (جاءهم إنكاري بالتدمير)، يعني: قوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ يقتضي هذا المقدر. صرّح القاضي به حيث قال: فحين كذبوا رُسلِي جاءهم إنكاري بالتدمير فكيف كان نكيري فليحذر هؤلاء من مثله<sup>(١)</sup> فتكون الفاء في ﴿ فَكَيْفَ ﴾ فصيحة لأنها تقتضي هذا المقدر، والنكير والإنكار وتغيير المنكر، ويجوز أن يجعل العذاب من جنس الإنكار تنزيلاً للفعل

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٥٠).



فما بال هؤلاء؟ وقرئ: (يدرسونها) من التدريس، وهو تكرير الدرس. أو من درس الكتاب، ودرس الكتب. و(يدرسونها)، بتشديد الدال: يفتعلون من الدرس. والمعشائر كالمزباج، وهما: العشر والرُّبع. فإن قلت: فما معنى: ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي﴾ وهو مستغنى عنه بقوله: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؟ قلت: لما كان معنى قوله: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه؛ جعل تكذيب الرسل مبيها

منزلة القول ادعاء نحو قوله:

نَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ صَرَبٌ وَجِيعٌ<sup>(١)</sup>

قوله: (وقرئ: «يدرسونها»، من التدريس) قال ابن جني: وهي قراءة أبي حيوة، وهو أقوى معنى من ﴿يَدْرُسُونَهَا﴾ لأن افتعل بزيادة التاء أقوى من فعل، كما أن قوله: ﴿أَخَذَ عَرَبِيٌّ مَقْدِيرًا﴾ [القمر: ٤٢] أقوى من: قادر<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وأقدموا عليه)، يعني: هو من أسلوب قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: ٦]، فعلى هذا قوله: ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ﴾ جملة معترضة، لأن المراد منهم المشركون، فقدم اهتماماً وإيداناً بأن إيراد هذا الكلام سببه هؤلاء المكذَّبون تهديداً ووعيداً، ويجوز أن لا تكون معترضة، بل يكون قوله: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ توطئة وتمهيداً لقوله: ﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾، وينعطف قوله: ﴿فَكَذَّبُوا﴾ على ﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾ أي: وما بلغ هؤلاء المكذَّبون معشَارَ ما آتينا أولئك المكذِّبين السابقين من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال، فكيف أقدموا على كفر أعظم وتكذيب أبلغ من أولئك، فكذبوا سيد الرسل لدلالة جميع الرسل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَهُمْ كَانَتْ أُمَّةٌ﴾ [النحل: ١٢٠] ويجوز أن يكون من قبيل قوله: ﴿وَقَوْمٌ نُوِّجَ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ [الفرقان: ٣٧] وإنما كذبوه وحده لأن الرسالة وصف جامع، فيلزم من تكذيبه تكذبيهم، وهذا الوجه أحسن من الاعتراض وأبلغ وللمقصود ادعى.

(١) سبق تخريجه.

(٢) «المحتسب» (٢: ١٩٥).

عنه، ونظيره أن يقول القائل: أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد ﷺ. ويجوز أن يعطف على قوله: ﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾، كقولك: ما بلغ زيد معشار فضل عمرو وفضل علي. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي: للمكذبين الأولين، فليحذروا من مثله.

[﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْءٍ وَفُرَدَىٰ ثُمَّ نَنفَكُوا مَا يُصَاحِبِكُمْ مِنَ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ٤٦]

﴿بِوَجْهِ اللَّهِ﴾: بخصلة واحدة، وقد فسرها بقوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾، على أنه عطف بيان لها، وأراد بقيامهم: إمام القيام عن مجلس رسول الله ﷺ، وتفرقهم عن مجتمعهم عنده، وإمام القيام الذي لا يراد به المثل على القدمين، ولكن الانتصاب في الأمر، والنهوض فيه بالهمة. والمعنى: ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ﴾ إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم، وهي: أن تقوموا لوجه الله خالصا، متفرقين اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا، ﴿ثُمَّ نَنفَكُوا﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به. أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين، لا يميل بهما اتباع هوى، ولا ينبض لهما عزق عصبية، حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر على جادة الحق وسننه. وكذلك الفرد: يفكر في نفسه بعدل ونصفة، من غير أن

قوله: (على أنه عطف بيان لها)، قال أبو البقاء: محل ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾ جر؛ بدلًا من ﴿وَجْهِ اللَّهِ﴾، أو رفع على تقدير: هي أن تقوموا، أو نصب على تقدير: أعني<sup>(١)</sup>.

قلت: هذا التقدير أوفق لاختيار المصنف، وأدعى لاقتضاء المقام، لأن طلب الواحدة مقصود أولي في كلام المصنف وأرخص للعنان.

قوله: (وتفرقهم عن مجتمعهم عنده)، قيل: «عنده» حال من «مجتمعهم»، ولا يجوز أن يعمل فيه، لأنه اسم المكان لا يعمل.

(١) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٧٠).

يكابرها، ويعرضُ فكره على عقله وذهنه، وما استقرَّ عنده من عاداتِ العقلاء، ومجاري أحوالهم. والذي أوجبَ تفرُّقهم مني وفرادى أن الاجتماعَ مما يشوشُ الخواطر، ويُغمي البصائر، ويمنعُ من الروية، ويخلطُ القول؛ ومع ذلك يقلُّ الإنصاف، ويكثرُ الاعتساف، ويثورُ عجاجُ التعصب، ولا يُسمعُ إلا نضرةُ المذهب. وأزاهم بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ أن هذا الأمرَ العظيمَ الذي تحتهُ مُلكُ الدنيا والآخرةِ جميعاً، لا يتصدى لادعاءٍ مثله إلا رجلاً: إما مجنونٌ لا يُبالي بافتضاحه إذا طُولبَ بالبرهانِ فمعجز، بل لا يدري ما الافتضاحُ وما رِقبةُ العواقب. وإما عاقلٌ راجحُ العقل، مُرشحٌ للنبوة، مختارٌ من أهل الدنيا، لا يدعيه إلا بعدَ صحتهِ عنده بحجتهِ وبرهانه، وإلا فما يُجدي على العاقلِ دعوى شيءٍ لا بينةَ له عليه، وقد علمتمُ أن محمداً ﷺ ما به من جنة، بل علمتموه أرحمَ قريشِ عقلاً، وأزرتهم حلماً، وأثقبهم ذهنًا، وأصلهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأنزهم نفساً، وأجمعهم لما يُحمدُ عليه الرجالُ ويُمدحونَ به؛ فكانَ مظنةً لأن تظنوا به الخير، وتُرَّجحوا فيه جانبَ الصدقِ على الكذب، وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تُطالبوه بأن يأتيكم بآية، فإذا أتى بها تبينَ أنه نذيرٌ مبين. فإن قلت: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ بم يتعلق؟ قلت: يجوزُ أن يكونَ كلاماً مستأنفاً؛ تنبيهاً من الله عزَّ وجلَّ

قوله: (رِقبةُ العواقب) أي: خوفها، الأساس: رَقَبَه وراقبته: حاذره، لأن الخائف يرقب العقابَ ويتوقَّعه.

قوله: (بل علمتموه أرحمَ قريشِ عقلاً، وأزرتهم حلماً، وأثقبهم ذهنًا، وأصلهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأنزهم نفساً، وأجمعهم لما يُحمدُ عليه الرجالُ ويُمدحونَ به)، هذه المعاني كلها تلوحُ من الأسلوبِ الاستدراجي والكلامِ المنصفِ وتخصيصِ «صاحبكم» واقتراحه بـ ﴿جِنَّةٍ﴾، لله دَرَه ما أحسنَ بيانه وما أعذبَ ألفاظه وما أدقَّ مسالكه، اللهم أحسنَ جزاءه فيما يتعاطاه من هذا القبيل، وتجاوز عن فرطاته من قبيل التعصب.

قوله: (وأصلهم رأياً)، هو من قولهم: هو أصيل الرأي، وقد أصل أصالة.

قوله: (كلاماً مستأنفاً)، أي يكونُ ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ مبتدأ، والخبرُ ﴿بِصَاحِبِكُمْ﴾، وزيدت

على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ. ويجوز أن يكون المعنى: ثم تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة. وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية. ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ كقوله عليه السلام: «بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ».

[﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤٧]

﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾: جزاء الشرط الذي هو قوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾، تقديره: أي شيء سألتكم من أجر فهو لكم، كقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [فاطر: ١٢]. وفيه معنيان، أحدهما: نفى مسألة الأجر رأساً، كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني

«من» الاستغراقية لنفي ما يقال له جنة، كأنهم لما سمعوا ذلك الكلام الذي يقطر منه معنى الإنصاف والانتصاف بخطب خطير اتجه لهم أن يسألوا: أي شيء هذه الإقامة وهذا الخلوص، وهذا النظر الدقيق واستعمال الفكر؟ فقبل لهم: ذلك لاستعلام حال صاحبكم واستكشاف أمره لأنه تصدى للأمر العظيم الذي تحته ملئ الدنيا والآخرة، وفي إطلاق ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾ مبالغة ليست في تقييده.

قوله: (بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ)، رَوينا عن الترمذي عن المستورد بن شداد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ لِهَذِهِ» لِأَصْبَعِيهِ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى<sup>(١)</sup>.

النهاية: قيل: هو جمع نسمة، أي: بُعثت في ذوي أرواح خلقهم الله قبل اقتراب الساعة، كأنه قال في آخر البسائر من بني آدم.

الجوهري: نَسَمُ الرِّيحِ: أولها حين يُقبَلُ بليين قبل أن يشتدَّ، ومنه الحديث: «بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ» أي: حين ابتدأت وأقبلت أوائلها.

قوله: (نَفْيُ مَسْأَلَةِ الْأَجْرِ رَأْسًا)، قيل: «رأساً» حال، أي: في حال كون الأمر منفياً منفرداً

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٠٨: ٢٠) وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

شيئاً فخذهُ، وهو يعلمُ أنه لم يُعْطِه شيئاً، ولكنه يريدُ به البتَّ؛ لتعليقهِ الأخذَ بما لم يكن.  
والثاني: أن يريدَ بالأجرِ ما أرادَ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ  
أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنِ رِيبَةً سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]، وفي قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي  
الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]؛ لأنَّ اتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلَى اللَّهِ نَصِيحَتُهُمْ وَمَا فِيهِ نَفْعُهُمْ، وَكَذَلِكَ الْمَوَدَّةُ  
فِي الْقَرَابَةِ؛ لِأَنَّ الْقَرَابَةَ قَدْ انْتَضَمَتْ وَإِيَاهُمْ. ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: حَفِظْتُ مَهِيْمًا، يَعْلَمُ  
أَنِّي لَا أَطْلُبُ الْأَجْرَ عَلَى نَصِيحَتِكُمْ وَدَعَائِكُمْ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا أَطْمَعُ مِنْكُمْ فِي شَيْءٍ.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ بِأَلْسِنَةِ الْغُيُوبِ﴾ [٤٨]

بِحَيْثُ لَا يَشُدُّ مِنْهُ شَيْءٌ، فَلِذَلِكَ يُقَالُ: هُوَ بِمَعْنَى مَجْمُوعًا، يُقَالُ: مَا تَرَكْتُهُ أَصْلًا وَرَأْسًا،  
أَيُّ: بِالْكُلِّيَّةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا، أَيُّ: نَفْيًا كُلِّيًّا، كَأَنَّهُ قِيلَ: تَنَبَّهُوا فَاعْلَمُوا أَنِّي أَيُّ شَيْءٍ  
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَجْرِ فَذَلِكَ الشَّيْءُ حَقُّكُمْ وَمَلِكُكُمْ، وَلَيْسَ لِي فِي ذَلِكَ مِنْ حَقِّ، وَأَنَا مُقَرَّرٌ  
بِذَلِكَ مُعْتَرَفٌ بِهِ فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ لَوْ قِيلَ: مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «يُرِيدُ  
بِهِ الْبَتَّ وَالْقَطْعَ».

قوله: (لتعليقهِ الأخذَ بما لم يكن)، يعني: علقَ الجزاءَ وهو الأخذُ بما لم يكن وهو  
الإعطاءُ، وهو أبلغُ من مجردِ قولك: ما أعطيتني شيئاً، لأنه تقريرٌ للخِصْمِ وإقرارٌ منه بآته ما  
أعطاك شيئاً، لأنَّ له أن يقول: كيف أخذُ ما لم أعطك، فينبغي الإعطاءَ بانتفاءِ الأخذِ على  
البت.

قوله: (والثاني: أن يريدَ بالأجرِ ما أرادَ في قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ﴾)، يعني: إن كان  
أجري هدايتكم وسلوكَ طريقِ الحقِّ فأنا أطلبُ منكم ذلك، وقد علمتُم أن نفعَ ذلك لا  
يعودُ إلَّا إليكم، وكذلك معنى الآية: الذي أسألكم من أجرٍ هو إيمانكم وهدايتكم وقد  
عرفتُم أن نفعَ ذلك ليسَ إليّ، يدلُّ عليه قوله: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ «فما» في قوله: ﴿مَا  
سَأَلْتُكُمْ﴾ على الأول: شرطية، وعلى هذا: موصولة.

قوله: (لأنَّ القرابةَ قد انتضمت وإياهم)، يعني: أجري أن تصلوا الرِّحْمَ، وهذا المعنى  
غير مختص به، لأنه وإياهم سواء في هذا الحكم، لأن أقاربه أقاربهم ويرجعُ نفعُ ذلك إليهم.

القَذْفُ والرَّمِي: تَرْجِيَةُ السَّهْمِ وَنَحْوِهِ بِدَفْعٍ وَأَعْتِمَادٍ، وَتُسْتَعَارَانِ مِنْ حَقِيقَتَيْهِمَا لِمَعْنَى الْإِلْقَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦]، ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ [طه: ٣٩]. وَمَعْنَى ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يَلْقِيهِ وَيَنْزِلُهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ. أَوْ: يَرْمِي بِهِ الْبَاطِلَ فَيَدْمَعُهُ وَيُزْهِقُهُ. ﴿عَلَّمَ الْفُيُوبِ﴾: رَفَعَ مَحْمُولٌ عَلَى مَحَلِّ «إِنَّ» وَاسْمِهَا، أَوْ عَلَى

قوله: (تَرْجِيَةُ السَّهْمِ وَنَحْوِهِ)، قيل: التَرْجِيَةُ: دَفْعُ الشَّيْءِ بِرَفْقٍ وَهِيَ غَيْرُ مَنَاسِبٍ لِلْمَقَامِ؛ لِأَنَّ فِيهِ دَفْعَ الشَّيْءِ بِعَنْفٍ. وَفِي «مَجْمَلِ اللُّغَةِ»: التَرْجِيَةُ: دَفْعُ الشَّيْءِ كَمَا تُرْجِي الْبَقْرَةَ وَلَدَهَا وَتَسُوقُهُ، وَالرِّيْحُ تُرْجِي السَّحَابَ تَسُوقُهُ سَوْقًا رَفِيقًا<sup>(١)</sup>. وَكَذَا فِي «الصَّحَاحِ» وَ«الْأَسَاسِ»، وَلَعَلَّ الْمَصْنُفَ جَعَلَ التَرْجِيَةَ عَامًّا ثُمَّ قَيَّدَهُ بِدَفْعٍ وَأَعْتِمَادٍ.

قوله: (وَتُسْتَعَارَانِ مِنْ حَقِيقَتَيْهِمَا لِمَعْنَى الْإِلْقَاءِ)، وَنَحْوُهُ فِي الْمَجَازِ: اسْتِعْمَالُ الْمَرْسُومِ - وَهُوَ مَوْضُوعٌ لِلْأَنْفِ فِيهِ رَسَنٌ - فِي مُطْلَقِ الْأَنْفِ.

قوله: (أَوْ يَرْمِي بِهِ الْبَاطِلَ فَيَدْمَعُهُ وَيُزْهِقُهُ)، فَعَلَى هَذَا: هُوَ مِنَ اسْتِعَارَةِ الْمَصْرُوحَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ كَمَا قَالَ صَاحِبُ «الْمِفْتَاحِ»<sup>(٢)</sup>: أَصْلُ اسْتِعْمَالِ الْقَذْفِ وَالدَّمْعِ فِي الْأَجْسَامِ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ الْقَذْفُ لِإِيرَادِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالدَّمَاعُ لِإِذْهَابِ الْبَاطِلِ، فَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ حَسْبِيٌّ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ عَقْلِيٌّ، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعْيِدُ﴾ كَمَا قَرَّرَ تَدْوِيلٌ، لِأَنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ مَقْرَرَةٌ لِلأُولَى، وَعَلَى الْأُولَى تَكْمِيلٌ، لِأَنَّ الْأُولَى إِثْبَاتٌ لِلْحَقِّ وَالثَّانِيَةُ إِزَالَةٌ لِلْبَاطِلِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الطَّرْدِ وَالْعَكْسِ.

قوله: (مَحْمُولٌ عَلَى مَحَلِّ «إِنَّ» وَاسْمِهَا)، قَالَ مَكِّي: مَنْ رَفَعَ جَعَلَهُ نَعْتًا لـ«رَبِّ» عَلَى الْمَوْضِعِ، أَوْ عَلَى الْبَدَلِ مِنْهُ، أَوْ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْمَضْمَرِ فِي ﴿يَقْذِفُ﴾، وَنَصَبَهُ عَيْسَى بْنُ عُمَرَ نَعْتًا لـ«رَبِّ» عَلَى اللَّفْظِ أَوْ عَلَى الْبَدَلِ. وَيَجُوزُ الرِّفْعُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ أَوْ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ فِي<sup>(٣)</sup>.

(١) «مَجْمَلِ اللُّغَةِ» (١: ٤٤٩).

(٢) «مِفْتَاحِ الْعُلُومِ» ص ٣٩٠.

(٣) «مَشْكَلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ٥٩٠).

المستكنّ في ﴿يَذْفُ﴾، أو هو حَبْرٌ مبتدأ محذوف. وقرئ: بالنَّصْبِ صفةٌ لـ ﴿رَبِّي﴾، أو على المدح. وقرئ: ﴿الْغُيُوبِ﴾ بالحركات الثلاث، فالغُيُوبُ كاليُوبِ. والغُيُوبُ كالصُّيُودِ، وهو الأمرُ الذي غابَ وخفيَ جدًّا.

[﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ٤٩]

والحيّ إمّا أن يبتدئَ فعلاً أو يعيده، فإذا هلكَ لم يبقَ له إيداءٌ ولا إعادة، فجعلوا قولهم: «لا يبدئُ ولا يعيدُ» مثلاً في الهلاك. ومنه .....

وعن بعضهم: لا يقال: لا يجوزُ البدليةُ لأنه يُفسدُ التركيبَ إذا حُذِفَ المُبدَلُ منه، لأن البدليةَ لا تستلزمُ جوازَ حَذْفِ البدلِ مطلقاً كما ذكر في «المفصل».

قوله: (وقرئ: ﴿الْغُيُوبِ﴾ بالحركات الثلاث)، أبو بكرٍ وحمزة: بكسر الغين حيث وقع، والباقون: بضمّها<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: الأجودُ الضمُّ<sup>(٢)</sup>.

قيل: «الغُيُوبُ» بالكسر والضمُّ: جمع غَيْبٍ، كاليُوبِ جمعُ بَيْتٍ، وبالفَتْحِ: مُفْرَدٌ كالضُّرُوبِ للمبالغة.

قوله: (كالصُّيُودِ)، الجوهري: كَلْبٌ صَيُودٌ، وكَلْبٌ صَيِدٌ وَصِيْدٌ أَيضاً.

قوله: «(لا يبدئُ ولا يعيدُ) مثلاً في الهلاك»، قال بعضهم: أي: هلكَ، كما تقول: لا يأكلُ ولا يشربُ، أي: مات.

وقال الواحدي: ما يُبدئُ الباطلُ وما يُعيدُ، أي: ذهبَ الباطلُ ذهاباً لم يبقَ منه إقبالٌ ولا إدبارٌ ولا إعادة<sup>(٣)</sup>. يريدُ أنّ هذا الكلامَ مُعَبَّرٌ عن معنى الهلاكِ كنايةً عنه من غيرِ نظيرٍ إلى مفرداته، وإليه الإشارةُ بقوله: «وجاءَ<sup>(٤)</sup> الحقُّ وهلكَ الباطلُ».

(١) انظر: «حجّة القراءات» ص ١٢٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٥٧).

(٣) «الوسيط» للواحدي (٣: ٤٩٩).

(٤) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «جاء» دون واو.

## قول عبيد:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدٌ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

والمعنى: جاء الحقُّ وهلك الباطل، كقوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] وعن ابن مسعود رضي الله عنه: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاث مئة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود نبتة ويقول: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ» إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿[الإسراء: ٨١]، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾. والحق: القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: السيف. وقيل: الباطل: إبليس، أي: ما ينشئ خلقاً ولا يعيده، المنشئ والباعث: هو الله تعالى. وعن الحسن: لا يبدي لأهله خيراً ولا

قوله: (قول عبيد)، وهو عبيد بن الأبرص. أقفر: أي: خلا من أهله وهلك. وذلك أن المنذر بن ماء السماء كان ملكاً. وكان له يوم في السنة يذبح فيه أول من يلقي، فاتفق اليوم إشراف عبيد فأمر بقتله، فقيل له: امدحه، فقال: حال الجريض دون القريض، فقال الملك: أنشدنا قولك:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطِيبَاتُ فَالذَّنُوبُ

فقال:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدٌ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ<sup>(١)</sup>

الجريض: العضة من الجرّض وهو الريق يُعَصَّ به على همّ وحزن، والقريض: الشعر، وملحوب: موضع، وكذلك القطيبات والذنوب.

قوله: (وعن ابن مسعود)، الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي<sup>(٢)</sup>، وليس في آخره هذه الآية.

قوله: (أي ما ينشئ خلقاً ولا يعيده)، الفاعل إبليس وما نافية والكلام مجرى على

(١) انظر الخبر في «جمهرة الأمثال» (١: ٣٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٨) ومسلم (١٧٨١) وغيرهما.



يعيده، أي: لا ينفعهم في الدنيا والآخرة. وقال الزجاج: أي شيء ينشئ إبليس ويعيده، فجعله للاستفهام. وقيل للشيطان: الباطل؛ لأنه صاحب الباطل، أو لأنه هالك، كما قيل له: الشيطان، من شاط إذا هلك.

[ ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ ٥٠ ]

قُرئ: ﴿ ضَلَلْتُ ﴾ ﴿ أَضِلُّ ﴾ بفتح العين مع كسرها. و«ضَلَلْتُ» «أَضَلُّ»، بكسرهما مع فتحهما، وهما لغتان، نحو: ظَلَلْتُ أَظِلُّ، ظَلَلْتُ أَظِلُّ. وقُرئ: (إِضَلُّ) بكسر الهمزة مع فتح العين. فإن قلت: أين التقابل بين قوله: ﴿ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ﴾ وقوله: ﴿ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾؟ وإنما كان يستقيم أن يُقال: فإنما أضلُّ على نفسي، وإن اهتديت فإنما

التصريح لا الكناية كما في الوجه السابق وقال الزجاج: «ما» في موضع نصب على معنى: وأي شيء يُبدئ الباطل وأي شيء يُعيد، والأجود أن يكون نفيًا على معنى: ما يُبدئ الباطل وما يُعيد، والباطل إبليس؛ أي لا يبعث الخلق ولا يخلق، والله عز وجل الخالق الباعث<sup>(١)</sup>.

وقلت: الوجه هذا هو الأول لأنه تعالى لما قال: ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِف بِالْحَقِّ ﴾ أي شأنه عز وجل أن يرمي بالحق الباطل فيزهره قال صلوات الله عليه: «ثم ماذا أقول؟» قال: قل جاء الحق أي: الإسلام أو القرآن فزهق الباطل والشيطان.

قوله: (وقرئ<sup>(٢)</sup>): ﴿ ضَلَلْتُ ﴾ ﴿ أَضِلُّ ﴾ بفتح العين مع كسرهما، وهي المشهورة، و«ضَلَلْتُ» و«أَضَلُّ» شاذتان. في «المطلع»: «ضَلَلْتُ» بفتح اللام «أَضِلُّ» بكسر الضاد، و«ضَلَلْتُ» بكسر اللام «أَضِلُّ» بفتح الضاد، من باب: ضرب، وعلى نحو: ظَلَلْتُ أَظِلُّ، وظَلَلْتُ أَظِلُّ، وإِضَلُّ: بكسر الهمزة مع فتح الضاد، على لغة من يقول: أعلم.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٨٥).

(٢) كذا في الأصول الخطية، وكذا هو في نص «الكشاف» من (ط)، لكن في الأصل الخطي من «الكشاف» وفي المطبوع: «قُرئ» دون واو.

أهتدي لها، كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الزمر: ٤١]، أو يقال: فإنما أضلُّ بنفسي؟ قلت: هما متقابلان من جهة المعنى؛ لأنَّ النفسَ كلُّ ما عليها فهو بها، أعني: أن كل ما هو وبالٌ عليها، وضارٌّ لها فهو بها وبسببها؛ لأنها الأمانة بالسوء، وما لها مما ينفعها فبهداية ربِّها وتوفيقه، وهذا حكمٌ عامٌّ لكلِّ مكلف، وإنما أمرَ رسولُه ﷺ

قوله: (أو<sup>(١)</sup> يقال: فإنما أضلُّ بنفسي)، يريد: أن التقابل الحقيقي هو أن يقابل «على» باللام كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أو يطابق بين البابين ليكون المعنى: إن ضللتُ فإنما أضلُّ بسببِ نفسي، فإن اهتديتُ فإنما أهتدي بتسديدِ الله بسببِ وحيِّ يُنزِّله عليّ.

وتلخيصُ الجواب: أن المقصودَ أن يكون الكلامُ جامعًا لهذين المعنيين مع سلوكِ طريق الاختصار. والمعنى: أن ما على النفس من الوبال هو بسببها، وأن ما لها من النفع هو بسبب الله، فدل لفظ «على» في القرينة الأولى على معنى اللام في الثانية، والباء في القرينة الثانية على معنى السببية في الأولى، فإذا التقدير: قل إن ضللتُ فإنما أضلُّ بسببِ نفسي، وإن اهتديتُ فإنما أهتدي لنفسي بعونِ الله وتوفيقه، فقوله: «لأنَّ النفسَ كلُّ ما عليها فهو بها» تعليل لصحة تقدير الباء في القرينة الأولى، وقوله: «وما لها مما ينفعها فبهداية ربِّها» تعليل لاستقامة تقدير «لها» في الثانية، انظر إلى هذا النظر الدقيق.

قوله: (وهذا حكمٌ عامٌّ لكلِّ مكلف)، وإنما أمرَ رسولُه أن يسنده إلى نفسه لأنه إذا دخل تحتَه كان غيره أولى. وقال الإمام: فيه إشارةٌ إلى أن ضلالَ نفسي كضلالِكُم لأنه صادرٌ من نفسي ووبالُه على نفسي، وأما اهتدائي فليس كاهتدائِكُم بالنظر والاستدلال، وإنما هو بالوحي المنير<sup>(٢)</sup>.

وقلت: هذا البيانُ يدلُّ على أن دليلَ النقلِ أعلى وأفحَمُ من دليلِ العقل. وقال محيي

(١) في الأصول الخطية: «أن»، وصوبناه من «الكشاف».

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٢: ٢١٧).

أن يسنده إلى نفسه؛ لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلاله محله، وسداد طريقته كان غيره أولى به. ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله، لا يخفى عليه منها شيء.

[ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَعُوا فَلَا قَوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ٥١ ]

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾: جوابه محذوف، يعني: لرأيت أمراً عظيماً وحالاً هائلة. و«لو» و«إذ» والأفعال التي هي ﴿فَرَعُوا﴾ و﴿وَأَخَذُوا﴾ و«حيل بينهم»؛ كلها للمضي. والمراد بها الاستقبال؛ لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحقيقه. ووقت الفرع: وقت البعث وقيام الساعة. وقيل: وقت الموت. وقيل: يوم بدر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في خسف البيداء، وذلك أن ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها، فإذا دخلوا البيداء خسف بهم. ﴿فَلَا قَوَّةَ﴾: فلا يفوتون الله ولا يسبقونه.

السنة: إن كفار قريش كانوا يقولون: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أي: إنم ضللتني على نفسي، وإن اهتديت فيما يوحى إلي من ربي من القرآن والحكمة<sup>(١)</sup>.

قوله: (نزلت في خسف البيداء)، روي في «مسند أحمد بن حنبل» عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي جيش من قبل المشرق يريدون مكة حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم» فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان منهم مستكرها؟ قال: «يُصِيبُهُمْ كُلَّهُمْ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ امْرِئٍ عَلَىٰ نِيَّتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

قيل: كان ذلك في أيام ابن الزبير. والبيداء: بيداء أهل المدينة، ونحواً منه رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وليس فيه ذكر أيام ابن الزبير<sup>(٣)</sup>.

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٤٠٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٤٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢١١٨) ومسلم (٢٨٨٤) وغيرهما.

وَقُرِئَ: (فلا فوت). وَالْأَخَذُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ: مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى النَّارِ إِذَا بُعِثُوا، أَوْ مِنْ ظَهْرِ الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا إِذَا مَاتُوا، أَوْ مِنْ صَحْرَاءٍ بَدْرٍ إِلَى الْقَلْبِ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ إِذَا حَسِفَ بِهِمْ. فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عَطَفَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَخِذُوا﴾؟ قُلْتَ: فِيهِ وَجْهَانِ: الْعَطْفُ عَلَى ﴿فَزِعُوا﴾، أَي: فَزِعُوا وَأَخِذُوا فَلَا فَوْتَ لَهُمْ. أَوْ عَلَى «لَا فَوْتَ»، عَلَى مَعْنَى: إِذَا فَزِعُوا فَلَمْ يَفُوتُوا وَأَخِذُوا. وَقُرِئَ: (وَأَخِذْ)، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَحَلِّ (لَا فَوْتَ)، وَمَعْنَاهُ: فَلَا فَوْتَ هُنَاكَ، وَهُنَاكَ أَخِذْ.

قوله: (والأخذ من مكان قريب)، قيل: هذا مبتدأ، والخبر: «من الموقف»، أي: الأخذ من مكان قريب هو الأخذ من الموقف منتهيًا بهم إلى النار.

قوله: (العطف على ﴿فَزِعُوا﴾)، أي: فَزِعُوا وَأَخِذُوا فَلَا فَوْتَ لَهُمْ، أي: الفاء فيه معنى السببية، أي: حَصَلَ فَزَعُهُمْ وَأَخِذْنَا إِيَّاهُمْ فَإِذَنْ فَلَا فَوْتَ لَهُمْ. لَعَلَّ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ ابْنِ جَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ﴿وَأَخِذُوا﴾ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَةِ مَعْطُوفًا عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أَي: أَحِيطَ بِهِمْ وَأَخِذُوا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿فَزِعُوا﴾ لِأَنَّهُ لَا يُرَادُ: وَلَوْ تَرَى وَقْتَ فَزَعِهِمْ وَأَخِذَهُمْ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا، فَلَمْ يَفُوتُوا وَأَخِذُوا، فَعَطَفَ عَلَى مَا فِيهِ الْفَاءُ السَّبْبِيَّةُ فَيَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَهُ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَقُرِئَ: «وَأَخِذْ» وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَحَلِّ «لَا فَوْتَ»)، قَالَ الزَّجَّاجُ: وَيَجُوزُ: «فَلَا فَوْتَ»، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهَا، فَإِنْ لَمْ تُثَبِّتْ بِهَا رِوَايَةٌ فَلَا تَقْرَأَنَّ بِهَا<sup>(٢)</sup>.

قال ابن جني: «وَأَخِذْ» قِرَاءَةُ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مَرْفُوعٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أَي: وَأَحَاطَ بِهِمْ أَخِذْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَذَكَرَ الْقُرْبُ لِأَنَّهُ أَلْزَمُ، وَثَانِيهَا: أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ مَحْذُوفٌ، أَي: هُنَاكَ أَخِذْ وَإِحَاطَةٌ بِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

(١) «المحتسب» (٢: ١٩٦).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٥٨) وزاد: فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ سَنَةٌ.

(٣) «المحتسب» (٢: ١٩٦).

﴿ وَقَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ ءِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ \* وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ \* وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ﴾ [٥٢ - ٥٤]

﴿ءَأَمْنَا بِهِ﴾ بمحمد ﷺ؛ لمرور ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِحِكُمْ مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]. والتناوش والتناول أخوان؛ إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب، يُقال: نَاشَهُ يَنُوشُهُ، وتناوشه القوم. ويُقال: تناوشوا في الحزب، ناش بعضهم بعضًا. وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون، وهو أن ينفعهم إياهم في ذلك الوقت، كما ينفع المؤمنين إياهم في الدنيا. مُثَلَّتْ حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة، كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولًا سهلًا لا تعب فيه. ....

قوله: ﴿ءَأَمْنَا بِهِ﴾<sup>(١)</sup> بمحمد صلوات الله عليه، لمرور ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِحِكُمْ مِّن جِنَّةٍ﴾، إشارة إلى بيان النظم، وذلك أن كلاً من الآيات المُصدَّرة بـ«قل» من قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ﴾ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ﴾ ﴿قُلْ إِنِّي رَقِيٌّ يَقْدِفُ بِالْحَقِّ﴾ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ ﴿قُلْ إِن صَلَّيْتُ﴾ فيه تذكير بليغ ووعظ شافٍ كافٍ، فلما ختمت بقوله: ﴿قُلْ إِن صَلَّيْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ - وفيه إيحاء إلى معنى المشاركة وأن تلك النصيحة ما نفعت فيهم - قيل له مسليًا والتفت إلى كل من يتأتى منه النظرُ مخاطبًا بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ لعظم الأمر وفخامة الشأن، أي: ولو ترى أيها الناظر وقت فرعهم وأخذهم فلا فوت لهم، ووقت قولهم: أمنا بمحمد، ﷺ فلا ينفعهم إياهم حينئذ، لرأيت خطابًا جليلاً وأمرًا هائلاً.

قوله: (من غلوة)، وهي مقدار رمية.

المغرب: من مُستعارِ المجاز: الغلوة مقدار رمية. وعن الليث: الفرسخ التام: خمس وعشرون غلوة، يقال: غلا بسهمه غلوا، أو غالى به غلاء: إذا رمى به أبعد ما قدر عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) في الأصول الخطية: ﴿ءَأَمْنَا﴾، دون ﴿به﴾، وأثبتناها من «الكشاف».

(٢) «المغرب في ترتيب المغرب» (٢: ١١١).

وَقُرِئَ: (التناوُس): هُمَزَتِ الواوُ المضمومةُ كما هُمَزَتِ في أجْوَهِه وأذْوَِر. وعن أبي عَمْرٍو: التناوُسُ بالهمز: التناوُلُ من بُعْد، من قولِهِم: نَأَسْتُ: إذا أَبْطَأَتْ وتَأَخَّرت. ومنه البيت:

تَمَنَّى نَيْشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي

أي: أخيراً. ﴿وَيَقْدِفُونَ﴾ معطوفٌ على «قد كفروا»، على حكاية الحالِ الماضيَّة، يعني: وكانوا يتكلمون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ ويأتون به ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾. وهو قولُهُم في رسولِ الله ﷺ: شاعرٌ ساحرٌ كذاب. وهذا تكلمٌ بالغيبِ والأمرِ الخفي؛ لأنهم لم يشاهدوا منه سِحْرًا ولا شِعْرًا ولا كِذْبًا، وقد أتوا بهذا الغيبِ من جهةٍ بعيدةٍ من حاله؛ لأنَّ أبعدَ شيءٍ ممَّا جاءَ به الشِعْرُ والسحر، وأبعدُ شيءٍ من عادته التي عُرِفَتْ بينهم وجُرِّبَت الكذبُ والزور. وقُرِئَ: (وَيَقْدِفُونَ بالغيب)، على البناءِ للمفعول، أي: يأتيهم به شياطينُهُم ويلقنُونَهُم إِيَّاه. وإن شئتَ فعلقه بقوله: ﴿وَقَالُوا ءَأَمَنَّا بِهِ﴾ على أنه مثَلُهُم في طلبِهِم تحصيلَ ما عَطَّلوه من الإيِّانِ في الدُّنْيَا بقولِهِم: أمنا في

قوله: (وقرئ: «التناوُس»)، الحرَمِيَّان وابنُ عامِرٍ وحَفْص: «التَّناوُسُ» بضمِّ الواوِ، والباقون: بهمزها<sup>(١)</sup>.

قوله: (تمنى نيشًا أن يكون أطاعني)، تمامه في «المطلع»:

وقد حدثت بعد الأمور أمور<sup>(٢)</sup>

يقول: إنَّ صاحبي تمنى آخرَ الأمرِ أن يكونَ أطاعني فيما نصحتُه مِنْ قَبْلُ، والحالُ أنَّ قد حدثتْ أمورٌ بعد أمورٍ دلَّتْ على رَشادي وصدقِ رأيي.

قوله: (وإن شئت)، عطفٌ على قوله: ﴿وَيَقْدِفُونَ﴾ معطوفٌ على (قد كفروا) أي: يكونُ حالًا من ضميرِ «قالوا»، أي: قالوا: أمنا به، والحالُ أنَّهم يُرْمونُ مِنْ مَكَانٍ بعيد،

(١) ولتمام الفائدة انظر: «حجّة القراءات» ص ٥٩٠.

(٢) البيت لتَهشَل بن حَرَى. انظر: «جمهرة الأمثال» (١: ٢٣٥).

الآخرة، وذلك مطلبٌ مستبعدٌ بمنْ يَقْدِفُ شيئاً من مكانٍ بعيدٍ لا مجالٌ للظنِّ في لُحوقه؛ حيثُ يريدُ أنْ يقعَ فيه لكونه غائباً عنه شاحِطاً. والغيبُ: الشيءُ الغائبُ. ويجوزُ أنْ يكونَ الضميرُ للعذابِ الشديدِ في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيِ عَذَابِ شَدِيدٍ﴾ وكانوا يقولون: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥]، إنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ، وَنَحْنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَعَذَّبَنَا، قَائِسِينَ أَمْرَ الْآخِرَةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا؛ فَهَذَا كَانَ قَدْ فَهَمَ بِالْغَيْبِ، وَهُوَ غَيْبٌ وَمَقْدُوفٌ بِهِ مِنْ جِهَةٍ بَعِيدَةٍ؛ لِأَنَّ دَارَ الْجَزَاءِ لَا تَنْقَاسُ عَلَى دَارِ التَّكْلِيفِ.

﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيثار يومئذٍ والنَّجاةُ به من النَّارِ والفوزِ بِالْجَنَّةِ، أَوْ مِنَ الرَّذِّ إِلَى الدُّنْيَا، كَمَا حَكَى عَنْهُمْ: ﴿فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢].

﴿بِأَشْيَاعِهِمْ﴾: بِأَشْبَاهِهِمْ مِنْ كُفْرَةِ الْأُمَّمِ وَمَنْ كَانَ مَذْهَبُهُ مَذْهَبَهُمْ. ﴿مُرِيْبٍ﴾: إِمَّا مِنْ أَرَابِهِ، إِذَا أَوْقَعَهُ فِي الرِّيْبَةِ وَالتَّهْمَةِ. أَوْ مِنْ أَرَابِ الرَّجْلِ، إِذَا صَارَ ذَارِيْبَةً وَدَخَلَ فِيهَا، وَكِلَاهُمَا مَجَازٌ؛ إِلَّا أَنَّ بَيْنَهُمَا فُرْقًا وَهُوَ أَنَّ الْمُرِيْبَ مِنَ الْأَوَّلِ مَنْقُولٌ مِمَّنْ يَصْحُحُ أَنْ يَكُونَ مُرِيْبًا مِنَ الْأَعْيَانِ إِلَى الْمَعْنَى، وَالْمُرِيْبُ مِنَ الثَّانِي مَنْقُولٌ مِنْ صَاحِبِ الشُّكِّ إِلَى الشُّكِّ، كَمَا تَقُولُ: شَعَرَ شَاعِرٍ.

ويرومون ما حصوله أبعده، وإليه الإشارة بقوله: «مثلهم في طلبهم» إلى قوله: «بمن يقذف شيئاً من مكان بعيد» وهو استعارة تمثيلية.

قوله: (ويجوزُ أنْ يكونَ الضميرُ)، عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ (١): «آمَنَّا بِمُحَمَّدٍ ﷺ»، يَعْنِي الضَّمِيرُ إِمَّا رَاجِعٌ إِلَى عَذَابِ شَدِيدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنْفِثُكُمْ رُؤُوسًا مِصْحَاحِكُمْ مِنْ جِنْدٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابِ شَدِيدٍ﴾ أَوْ إِلَى صَاحِبِكُمْ.

قوله: (مُرِيْبًا)، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُرِيْبَ صِفَةٌ لِلْعَاقِلِ، لَا يَصْحُحُ وَضْفُ الشُّكِّ بِهِ، فَلِذَا أَنْ يُجْعَلَ الشُّكُّ كَالْإِنْسَانِ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ، ثُمَّ يُنْسَبُ إِلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ خَوَاصِّ الْإِنْسَانِ

(١) من قوله: «مثلهم في طلبهم» إلى هنا سقط من (ف).

عن رسولِ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ سَبِّإٍ لَمْ يَبْقَ رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَفِيقًا وَمُصَافِحًا».

بلازمه وهو الرِّيبُ على سبيلِ الاستعارةِ التخييلية، وإليه الإشارةُ بقوله: «إنَّ المريبَ منقولٌ من الأعيانِ إلى المعنى» أو أن يُستعارَ الإسنادُ من صاحبِ الشكِّ ليكونَ من الإسنادِ المجازيِّ.

تمتِ السورةُ بحمْدِ الله وغُفرانه.

\* \* \*



## سورة الملائكة

مكية، خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولِي أجنحةٍ مثنى وثلاث وربع  
يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شئ قدير ﴿١﴾]

﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾: مبتدئها ومبتدعها. وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله  
عنهما: ما كنت أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، حتى اختصم إليّ أعرابيان في

## سورة الملائكة (١)

مكية، خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (عن ابن عباس: ما كنت أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾)، ورواه الزجاج  
أيضاً<sup>(٢)</sup>، وقال الراغب: أصل الفطر: الشق طويلاً، يقال: فطر فلان كذا فطراً، وأفطر  
هو فطوراً، وانفطر انفطاراً، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]، أي: من اختلال  
ووهي فيه، وفطرت الشاة: حلبتها بأصبعين وفطرت العجين: إذا عجنته فخبزته من وقته،  
ومنه الفطرة، وفطر الله الخلق، وهو إيجاده وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال،

(١) في (ط): «سورة فاطر»، وهو اسم مشهور لهذه السورة الكريمة أيضاً.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ١٩٧).

بئر، فقال أحدهما: أنا فطرْتُها، أي: ابتدأتها. وقُرئ: (الذي فطر السماوات والأرض وجعل الملائكة). وقُرئ: (جاعلُ الملائكة)، بالرفعِ على المدح. ....

فقوله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، إشارة إلى ما أبدع وركز في الناس من معرفته، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ويصح أن يكون الانفطارُ في قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]، إشارة إلى قبول ما أبدعها وأفاضه عليها منه، والفطرُ: ترك الصوم، يقال: فطرته وأفطرته، وأفطر هو (١).

وقال أبو البقاء: الإضافة محضة، لأنه للماضي لا غير، وأما ﴿جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ﴾ فكذلك في أجود المذهبتين، وأجاز بعضهم أن تكون غير محضة على حكاية الحال، و﴿رُسُلًا﴾ مفعول ثان، و﴿أُولَئِكَ﴾ بدل منه أو نعت له، ويجوز أن يكون ﴿جَاعِلُ﴾ بمعنى: خالق، و﴿رُسُلًا﴾ حالٌ مقدره (٢).

وقال غيره: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾ صفةٌ لله ومعرفةٌ إذ لم يجر على الفعل، بل أريد به الاستمرار والثبات والدوام، كما يقال: زيدٌ مالكُ العبيدِ جاء، أي: زيدٌ الذي من شأنه أن يملك العبيد.

قوله: (وقرئ: «الذي فطر») (٣)، قال ابن جني: هي قراءة الضحاك (٤).

قوله: «جاعلُ الملائكة» (٥)، بالرفعِ على المدح. قال ابن جني: وهي قراءة الحسن، هذا على الثناء على الله وإبرازه في الجملة بما فيها من الضميرِ أبلغ، وكلما زاد في الإسهاب كان أحرى، ألا ترى إلى قولِ خزينق:

(١) «المفردات في غريب القرآن»: ٦٤٠.

(٢) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٧٢).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣١٩).

(٤) «المحتسب» (٢: ١٩٨).

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣١٩).

﴿رُسُلًا﴾ بِضَمِّ السَّيْنِ وَسُكُونِهَا. ﴿أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ﴾ أَصْحَابَ أَجْنَحَةٍ. وَأُولُوا: اسْمٌ جَمْعٌ لـ «ذو»، كَمَا أَنَّ أَوْلَاءَ اسْمٌ جَمْعٌ لـ «ذَا»، وَنظِيرُهُمَا فِي التَّمَكُّنَةِ: الْمُخَاضُ وَالْحَلِيفَةُ. ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَّةَ وَرَبْعَ﴾: صِفَاتٌ لِأَجْنَحَةٍ، وَإِنَّمَا لَمْ تَنْصَرَفْ؛ لِتَكَرَّرِ الْعَدْلِ فِيهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا عُدِلَتْ

لَا يَبْعُدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ      سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَقَّةُ الْجُرُزْرِ  
النازلينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ      وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ<sup>(١)</sup>

وَيُرَوَى: «النازلون... والطيبون» و«النازلون... والطيبين» وبالعكس، فكلما اختلفتِ الْجُمْلَةُ كَانَ الْكَلَامُ أَفَانِينَ وَضُرُوبًا فَكَانَ أُبْلَغُ مِنْهُ إِذَا لَزِمَ سِرْحًا وَاحِدًا، فَقَوْلُكَ: أَتْنِي عَلَى اللَّهِ الَّذِي<sup>(٢)</sup> أَعْطَانَا فَأَعْنِي، أُبْلَغُ، مِنْ قَوْلِكَ: أَتْنِي عَلَى اللَّهِ الْمُعْطِينَا وَالْمُعْنِينَا، لِأَنَّ مَعَكَ هُنَا جَمَلَةٌ وَاحِدَةٌ وَهَنَّاكَ ثَلَاثُ جُمَلٍ، وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَعْنَى قِرَاءَةُ حَلِيدٍ<sup>(٣)</sup>: «جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ» قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِذَا طَالَ الْكَلَامُ خَرَجُوا فِيهِ مِنَ الرَّفْعِ إِلَى النَّصْبِ، وَمِنَ النَّصْبِ إِلَى الرَّفْعِ، يَرِيدُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ لِتَخْتَلَفَ ضُرُوبُهُ وَتَتَبَايَنَ تَرَكَيبُهُ.

قَوْلُهُ: ﴿رُسُلًا﴾ بِضَمِّ السَّيْنِ، وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ، وَسُكُونُهَا شَاذَةٌ. قَالَ الْقَاضِي: ﴿رُسُلًا﴾: وَسَائِطٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ بِرِسَالَاتِهِ بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ وَالرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ يُوَصِّلُونَ إِلَيْهِ آثَارَ صِنْعِهِ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ: (الْمَخَاضُ وَالْحَلِيفَةُ)، الْجَوْهَرِيُّ: الْمَخَاضُ: الْحَوَامِلُ مِنَ النُّوقِ، وَاحِدُهَا خَلِيفَةٌ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، وَأَمَّا «أُولُو» فَجَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَوَاحِدُهُ: ذُو.

قَوْلُهُ: (وَإِنَّمَا لَمْ تَنْصَرَفْ لِتَكَرَّرِ الْعَدْلُ فِيهَا)، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنْ ثَلَاثَةِ ثَلَاثَةٍ وَأَرْبَعَةٍ أَرْبَعَةٍ، وَالثَّانِي: أَنَّ عَدْلَهُ وَقَعَ فِي حَالِ النُّكْرَةِ، قَالَ:

(١) البیتان الحِزْبِ بِنْتِ هَفَّانَ تَرْتَمِي زَوْجَهَا عَمْرُو بْنُ مَرْثَدٍ، انظر: «كتاب سيبويه» (١: ٢٠٢)، و«الكامل في اللغة والأدب» (٣: ٣١)، و«التذكرة الحمدونية» (٣: ٤٠٢).

(٢) قوله: «الذي» زيادة من شرح الطيبي ليست في «المحتسب»، وعبارة ابن جنبي هي الأبلغ والأشبه بالصواب.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣١٩). ووقع في «المحتسب» (٢: ١٩٨). «الحسن».

(٤) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٥٣).

عن ألفاظ الأعداد عن صِيغٍ إلى صِيغٍ آخر، كما عُدِلَ «عَمَر» عن «عامر»، و«حذام» عن «حاذمة»؛ وعن تكريرٍ إلى غيرِ تكرير؛ وأما الوصفيةُ فلا تفترقُ الحالُ فيها بينَ

ولكتما أهلي بواوٍ أنيسه ذئابٌ تَبغى الناسَ مثنى وموحداً<sup>(١)</sup>

وروي أن سيبويه زعم: أن عدمَ الصرفِ للعدلِ والصفة<sup>(٢)</sup> وغيره: أن عدمَ الصرفِ للعدولِ عن لفظِ ثلاثةٍ إلى مثَلث، وعن معنى ثلاثةٍ ثلاثةٍ إلى هذا، لأنك إذا قلت: جاءتِ الخيلُ مثَلثَ عَيْنَتَ به ثلاثةٌ ثلاثة.

وقال صاحبُ «الكشف»: معنى قولهم: ﴿مَثْنَى﴾ معدولٌ عن اثنينِ اثنين: أنك إذا أردتَ بـ«مثنى»: ما أردتَ باثنينِ اثنين، والأصلُ أن تُريدَ بالكلمةِ معناها دون معنى كلمةٍ أخرى، فالعدلُ ضدُّ الاستواءِ، لأنَّ الاستواءَ هو الذي ذكرنا، والعدلُ أن تلفظَ كلمةً وأنت تريدُ كلمةً أخرى، فلما كان كذلك كان العدلُ ثابتاً فإذا اجتمعَ مع الصفةِ وجبَ أن يَمُنعا الصرف<sup>(٣)</sup>.

قوله: (و«حذام» من «حاذمة»)، عن بعضهم: حاذمة في أسماءِ الأجناسِ القاطعة، ثم نُقِلَ إلى العَلَمية، ثم نُقِلَ عن حاذمة إلى حذام.

قوله: (وأما الوصفيةُ فلا تفترقُ الحالُ فيها... فلا يُعرَّجُ عليها)، أي: لو كانت الوصفيةُ مؤثرةً في المنعِ من الصرفِ لقلتُ: مررتُ بنسوةٍ أربعٍ مفتوحاً، فلما صرفته عَلِمَ أنها ليستَ بمؤثرةٍ أي: أن الوصفيةَ ليست بأصل، لأن الواضعَ لم يَضَعها وصفاً بل عرَّضتَ لها، وذلك نَحْو: مررتُ بجُبَّةٍ ذراعٍ ورجلٍ أسد، فالذراعُ والأسدُ ليسا بصفتينِ للجُبَّةِ والرجلِ حقيقة. قال صاحبُ «الفرائد»: يفترقُ الحالُ فيها؛ فإنَّ مثنى وغيرَها يقعُ صفةً البتة، والثلاثةُ

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٦١) والبيت المذكور: لساعدة بن جؤية، انظر: «كتاب سيبويه»

(٢٢٥:٣) وفيه بلفظ: «سباع» بدل «ذئاب».

(٢) «كتاب سيبويه» (٣: ٢٢٥).

(٣) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ١١٠٥).

(٤) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «عن».

المعدولة والمعدول عنها. ألا تراك تقول: مررتُ بنسوة أربع، وبرجالٍ ثلاثة، فلا يعرَّجُ عليها. والمعنى: أن من الملائكة خلقاً أجنحتهم اثنانِ اثنان، أي: لكل واحد منهم جناحان، وخلقاً أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، وخلقاً أجنحتهم أربعة أربعة. ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، أي: يزيد في خلق الأجنحة، وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته. والأصل الجناحان؛ لأنها بمنزلة اليدين، ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل، وذاك أقوى للطيران، وأعون عليه، فإن قلت: قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه، فما صورة الثلاثة؟ قلت: لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوة. أو لعله لغير الطيران؛ فقد مرّ في بعض الكتب أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة؛ فجناحان يلقون بها أجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان مُرخيان على وجوههم حياة من الله. وعن رسول الله ﷺ: «أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ست مئة جناح. وروى: أنه سأل جبريل

وغيرها وقوعها صفة بالتأويل، تقول: رجالٌ ثلاثة أي: مُقدَّرة بثلاثة، وكذا عن صاحب «التقريب»، فإنه قال: لا يلزم من عدم اعتبار عدم الوصفية في المعدول عنه لعروضها فيه عدم اعتبارها في المعدول مع أنه لم يقع إلا وصفاً. ووجدت لبعض المغاربة كلاماً يصلح أن يكون جواباً عنه وهو: أن «ثلاث ورباع» لا يخلو من أن يكون موضوعاً للصفة من غير اعتبار الثلاثة أو لا يكون، فإن كان الأول لم يكن فيه العدد، والمقدّر خلافه، وإن كان الثاني كان الوصف عارضاً لثلاث كما كان عارضاً لثلاثة فيمكن أن يُقال: إن هذه الأعداد غير مُنصرفة للمعدول المكرّر كالجمع وألغى التانيث.

قوله: (فلا يعرَّجُ عليها) مسبب عن قوله: «فلا تفرق الحال فيها». النهاية: وفي الحديث: فلم أعرَّج عليه<sup>(١)</sup>، أي: لم أقم ولم أحبس، أي: لا يلتفت إليها ولا تُعتبر.

قوله: (أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج)، روي عن البخاري ومسلم والترمذي

(١) أخرجه الحارث في «المسند» (بغية الباحث) (١: ١٧٠)، والأجري في «الشریعة» (٣: ١٥٢٩) عن أبي

صلوات الله عليه أن يترأى له في صورته، فقال: إنك لن تطيق ذلك. قال: «إني أحب أن تفعل»، فخرج رسول الله ﷺ في ليلة مُقَمَّرَة، فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مُسْنَدُه، وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، فقال: «سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا»، فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرافيل، له اثنا عشر جناحاً؛ جناح منها بالشرق، وجناح بالمغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحابن لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع، وهو العصفور الصغير. ورؤي: عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ

عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، قال: رأى جبريل عليه السلام له ست مئة جناح<sup>(١)</sup>.

وعن الترمذي<sup>(٢)</sup> قال مسروق عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين: مرة عند سدره المنتهى، ومرة في جِياذ<sup>(٣)</sup>، له ست مئة جناح قد سد الأفق.

قوله: (ليتضاءل)، النهاية: وفي حديث إسرافيل: «إنه ليتضاءل من خشية الله»<sup>(٤)</sup>، أي: يتصاغر تواضعاً له. وتضاءل الشيء: إذا انقبض فانضَمَّ بعضه إلى بعض.

الضئيل: النحيف الرقيق.

قوله: (حتى يعود مثل الوصع)، النهاية: «إن العرش على منكب إسرافيل، وإنه ليتواضع لله تعالى حتى يصير مثل الوصع» بفتح الصاد المهملة وسكونها؛ طائر أصغر من العصفور، والجمع: وُضعان.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٦) ومسلم (١٧٤/٢٨٠) والترمذي (٣٢٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٧٨).

(٣) ويقال: أجياد أيضاً. انظر: «معجم البلدان» (أجياد).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١: ٧٤) عن ابن شهاب.

مَا يَشَاءُ: ﴿هو الوجهُ الحَسَنُ، والصوتُ الحَسَنُ، والشَّعْرُ الحَسَنُ﴾ وقيل: «الخطُّ الحَسَنُ»؛ وعن قَتَادَةَ: المَلاحَةُ في العَينين؛ والآيَةُ مَطلَقَةٌ تَتَنَاولُ كُلَّ زِيَادَةٍ في الخَلْقِ؛ من طَوْلِ قَامَةٍ، وَاِعْتِدَالِ صُورَةٍ، وَتَمَامِ في الأَعْضَاءِ، وَقُوَّةِ في البَطْشِ، وَحِصَافَةِ في العَقْلِ، وَجِزَالَةٍ في الرَّأْيِ، وَجُرْأَةٍ في القَلْبِ، وَسِمَاحَةٍ في النَفْسِ، وَذِلَاقَةٍ في اللِّسَانِ، وَلِبَاقَةٍ في التَّكَلُّمِ، وَحَسَنِ تَأْتِي في مَزَاوِلَةِ الأُمُورِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَحِيطُ بِهِ الوُصْفُ.

﴿مَا يَفْتَحُ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢]

اسْتَعْبِرَ الفَتْحُ لِلإِطْلَاقِ وَالإِرْسَالِ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ مَكَانًا: لَا فَاتِحَ لَهُ، يَعْنِي: أَيُّ شَيْءٍ يَطْلُقُ اللهُ مِنْ رَحْمَةٍ، أَي: مِنْ نِعْمَةٍ؛ رِزْقٍ أَوْ مَطَرٍ أَوْ صِحَّةٍ أَوْ أَمْنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِنُوفِ نِعَمَاتِهِ الَّتِي لَا يُحَاطَبُ بِعَدَدِهَا، وَتَتَكَبَّرُ الرَّحْمَةُ لِلإِشَاعَةِ وَالإِبْهَامِ، كَأَنَّهُ قَالَ: مِنْ آيَةٍ رَحْمَةٍ كَانَتْ سَمَاوِيَّةً أَوْ أَرْضِيَّةً، فَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِهَا وَحَبْسِهَا. وَأَيُّ شَيْءٍ يُمَسِّكُ اللهُ فَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى إِطْلَاقِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ أَتَتْ الضَّمِيرَ أَوَّلًا، ثُمَّ ذَكَرَهُ، وَهُوَ رَاجِعٌ فِي الحَالِئِينَ إِلَى الأَسْمِ المَتَضَمِّنِ مَعْنَى الشَّرْطِ؟ قُلْتُ: هُمَا لِعِغْتَانِ: الحَمْلُ عَلَى المَعْنَى وَعَلَى اللَّفْظِ، وَالتَّكَلُّمُ عَلَى الخَيْرَةِ فِيهِمَا، فَأَنَّ عَلَى مَعْنَى الرَّحْمَةِ، وَذُكِّرَ عَلَى أَنَّ لَفْظَ المَرْجُوعِ إِلَيْهِ لَا تَأْنِيثَ فِيهِ؛ وَلِأَنَّ الأَوَّلَ فُسِّرَ بِالرَّحْمَةِ، فَحَسُنَ اتِّبَاعُ الضَّمِيرِ التَّفْسِيرِ، وَلَمْ يَفْسَرْ الثَّانِي فَتَرَكَ عَلَى أَصْلِ التَّذْكِيرِ. وَقُرِئَ: (فَلَا مَرْسِلَ

قَوْلُهُ: (وَخِصَافَةٍ فِي العَقْلِ)، النِّهَايَةُ: الحَصِيفُ: المُحَكَّمُ العَقْلِي، وَإِحْصَافُ الأَمْرِ: إِحْكَامُهُ.

قَوْلُهُ: (وَذِلَاقَةٍ فِي اللِّسَانِ)، النِّهَايَةُ: ذَلَّقُ كُلَّ شَيْءٍ: حَدَّهُ. يُقَالُ: لِسَانٌ ذَلَّقُ طَلَّقَ، أَي: فَصِيحٌ بَلِيغٌ.

قَوْلُهُ: (وَلِبَاقَةٍ فِي التَّكَلُّمِ)، الجَوْهَرِيُّ: اللَّبِيقُ وَاللَّبِيقُ: الرَّجُلُ الحَاذِقُ الرَّفِيقُ بِمَا يَعْمَلُهُ، وَقَدْ لَبَّقَ - بِالكَسْرِ - لِبَاقَةً.

لها). فإن قلت: لا بدّ للثاني من تفسير، فما تفسيره؟ قلت: يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول. ولكنّه تُرِكَ لدلالته عليه، وأن يكون مطلقاً في كلّ ما يمسكُه من غضبه ورحمته، وإنما فسّر الأول دون الثاني؛ للدلالة على أنّ رحمته سبقت غضبه. فإن قلت: فما تقولُ فيمن فسّر الرحمة بالتوبة، وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما؟ قلت:

قوله: (فما تقولُ)، الفاء تدلّ على إنكارٍ على الكلام السابق، يعني: أنك إن فسّرت الرحمة بالنعمة من الرزق والصحة والأمن وما يتصل بها فهو صحيح، لأن إمسакها وإرسالها مبنيٌّ على مُراعاة الأصلح، فما تقولُ فيمن فسّر بالتوبة؛ لأنه يعودُ إلى خلق الأفعال. وأن الله تعالى إذا فتح التوبة على أحدٍ فلا يُمسكُ لها، وما يُمسكُ منها فلا يُرسل لها، وهذا غيرُ صحيح لما يلزم من ذلك انتقاصُ التكليفِ المبنيّ على الاختيار.

فأجاب بها يوافقُ مذهبه من التأويل البعيد.

والذي يستدعيه النظم: العمومُ في كلّ رحمةٍ مُختصةٍ بالإنسان، وذلك أنه لما بيّن كما لا قدرته في خلق السماوات والأرض والملائكة وغيرها أتبعه أنه مُولي جميع النعم على الناس ظاهرةً وباطنة، دينيةً ودنيويةً، وكما فصلت تلك الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ليدلّ على عموم المقدورِ وفصلت هذه بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ليدلّ على شمول المعسورِ والميسور، على أن تخصيص ذكر العزیز والحكيم يُشعران بما ذهب إليه خبر الأمة لقوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، لأنه لا يفتح على من يفتح عليه بالتوبة، ولا يُمسكُ على من يُمسكُ عليه بالتوبة، إلا من ليس له فوقه أحدٌ يمنعه من ذلك، وإلا من علم الحكمة فيما فعله وإن خفيت على غيره، فالأول دلّ على أنه الغالب الذي يفعل<sup>(١)</sup> ما يشاء في ملكه فما يمنعه أحد، والثاني على أنه تعالى عالم بما خفي على كلّ أحدٍ فلا يقفُ على أسرارِ حكّمته أحد.

فإن قلت: فما تقولُ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِ كَرِهْتُمْ هَلْ مِنْ خَلْقِ عِبْرٍ اللَّهُ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٠]، لأنه خصّ فيه النعمة الظاهرة دون الباطنة؟

(١) سقط لفظ «يفعل» من (ط).



إن أرادَ بالتوبةِ الهدايةَ لها والتوفيقَ فيها، وهو الذي أرادَه ابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهما - إن قاله - فمقبول؛ وإن أرادَ أنه إن شاء أن يتوبَ العاصي تاب، وإن لم يشأ لم يتب؛ فمردود؛ لأنَّ الله تعالى يشاءُ التوبةَ أبداً، ولا يجوزُ عليه أن لا يشاءها. ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعدِ إمساكه، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجنائىة: ٢٣]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ [الجنائىة: ٦]، أي: من بعدِ هدايته، وبعدَ آياته. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالبُ القادرُ على الإرسالِ والإمساكِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يرسلُ ويمسكُ ما تقتضي الحكمةُ إرساله وإمساكه.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [٣]

ليس المرادُ بذكرِ النعمةِ ذكرُها باللسانِ فقط، ولكن به وبالقلب، وحفظُها

قلت: ليس التعريفُ في الناسِ الثاني كما في الأول، لأنه للجنس، والثاني للعهد، وأن المرادَ بالناسِ قومٌ بأعيانهم وهم قريشٌ، كما قال ابنُ عباسٍ: هم أهلُ مكة أنعمَ اللهُ عليهم بالنعمةِ الظاهرةِ لتكونَ وسيلةً إلى تحصيلِ الباطنة، فكفروا بالمنعمِ وغمطوا تلكَ النعمةَ، فويحهم سُبْحانهِ وتعالى عليها بهذه الآية؛ يدلُّ عليه الترتُّبُ في قوله: ﴿فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾، ثم تعقبه بقوله: ﴿وَلَنْ يُكْذِبُوكَ﴾، والله أعلم.

قوله: (لأنَّ الله يشاءُ التوبةَ أبداً، ولا يجوزُ عليه أن لا يشاءها)، مردودٌ باطلٌ لما أجمع سلفُ الأمةِ وخلفُها على كلمةٍ لا يجحدُها أهلُ الإسلام، وهي: «ما شاء اللهُ كانَ وما لم يشأ لم يكن» وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِيدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشِرْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قوله: (وحفظُها)، عطفٌ على مُضمَرٍ بعدَ «لكن»، أي: ولكن ذكرُها باللسانِ وبالقلبِ وحفظُها عن الكُفران. وقوله: «واعترافٌ<sup>(١)</sup> بها»، عطفٌ على «معرفةٍ حقَّها» أي: وشكُّرُ

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «والاعتراف».

من الكفران والغمط، وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليتها. ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه: اذكر أيادي عندك، يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها. والخطاب عام للجميع؛ لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد: يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم؛ حيث أسكنكم حرمة، ومنعكم من جميع العالم، والناس يتخطفون من حولكم. وعنه: نعمة الله العافية وقريء: ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾؛ بالحركات الثلاث؛ فالجرُّ والرفع على الوصف لفظاً ومحلاً، والنصب على الاستثناء. فإن قلت: ما محلُّ ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾؟ قلت: يتحمل أن يكون له محلُّ إذا أوقعت صفة لـ ﴿خَلْقٍ﴾، وأن لا يكون له محلُّ إذا رفعت محلُّ ﴿مِنْ خَلْقٍ﴾، بإضمار ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾، وأوقعت ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ تفسيرا له، أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾.

النعمة بالقلب، بمعرفة المنعم وباللسان بالاعتراف بأثباتها منه، وبالجوارح بالطاعة لمولائها أخذة من قول القائل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجَّب<sup>(١)</sup>

قوله: (وقريء: ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾)، بالحركات الثلاث: حمزة والكسائي: بالجر، والباقون: بالرفع<sup>(٢)</sup>. والنصب: شاذ. وعن بعضهم: الخبر وصف الخالق لفظاً والرفع نعت له محلاً، لأن ﴿خَلْقٍ﴾ مبتدأ محذوف الخبر، و«من» زائدة، تقديره: هل من خالق غير الله أو للأشياء. وقيل: ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾ يجوز أن يكون مرفوعاً على فاعل ﴿خَلْقٍ﴾، أي: هل يخلق غير الله شيئاً؟

قوله: (أو جعلته كلاماً مبتدأ، بعد قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾)، قيل: هذا الوجه ضعيف، لأنه مثل قولك: هل زيدٌ خرج؟

(١) ذكره الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٢٧٧:٥) من غير عزو لأحد.

(٢) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٩٢، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣٢١).

قال ابنُ الحَاجِبِ في «شرح المَفْصَلِ»: هل زَيْدٌ خَرَجَ؟ شَادَ، فهو على شُدُوذِهِ مُقَدَّرٌ على ما ذَكَرَهُ، وَإِنَّمَا لم يَحْسُنْ عِنْدَهُم: هل زَيْدٌ خَرَجَ؟ وَشِبْهُهُ إِمَّا لِأَنَّ «هل» بِمَعْنَى «قَدْ» على ما يَقُولُهُ سَيِّبَوِيَّةٌ، فَكَانَتْ بِالفِعْلِ أَوَّلِي، فَإِذَا وَقَعَ بَعْدَهَا الأِسْمُ كَانَ وَقوعُهُ بَعْدَ «قد» وَلَا يَسُوغُ ذَلِكَ، فَلَا يَسُوغُ هَذَا، وَإِمَّا لِأَنَّ «هل» مَوْضُوعٌ لِلإِسْتِفْهَامِ مُقْتَضِي لِلْفِعْلِ فِي المَعْنَى، فَكَانَ ذِكْرُ الفِعْلِ بَعْدَهُ لَفْظًا هُوَ القِيَاسُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيْهِ: أَرِيدُ خَرَجَ؟ فَإِنَّ الهمزةَ تَصْرَفُوا فِيهَا مَا لم يَتَصَرَّفُوا فِيهَا فِي «هل».

وقلت: شهدَ هذا القائلُ على نَفْسِهِ أَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ زُمْرَةِ البُلْغَاءِ، وَللهِ دَرْ صَاحِبِ «المَفْتاحِ» حَيْثُ تَفَرَّسَ لِمِثْلِ هَذَا وَقَالَ: وَلِكَوْنِ «هل» أَدْعَى لِلْفِعْلِ مِنَ الهمزةِ لَا يَحْسُنُ: هَلْ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، إِلَّا مِنَ البَلِيغِ<sup>(١)</sup>.

ولما ثَبِتَ أَنَّ «هل» أَدْعَى لِلْفِعْلِ مِنَ الهمزةِ، فَتَرَكَ الفِعْلُ مَعَهُ يَكُونُ أَدْخَلَ فِي الإِنْبَاءِ لِإِسْتِدْعَاءِ المَقَامِ عَدَمِ التَّجَدُّدِ، يَعْنِي: فِي قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وَنَحْوَهُ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. وَقَوْلُ تَابُطِ شَرَّاءَ:

هل أنتَ باعِثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا<sup>(٢)</sup>

وَأَمَّا قَوْلُ سَيِّبَوِيَّةٍ: «هل» بِمَعْنَى: «قد»، فَمَعْنَاهُ: أَنَّ «هل» مُتَضَمِّنَةٌ لِمَعْنَى «الهمزة» و«قد»، فَإِذَا جُرِّدَتْ مِنْهَا خُلِصَتْ لِمَعْنَى<sup>(٣)</sup> «قد»؛ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ المَصْنُفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَنْتَ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ﴾ [الإنسان: ١]: الأَصْلُ أَهْلٌ؟ وَالمَعْنَى: «أَقْدُ<sup>(٤)</sup> أَمِي» يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّكَ لَا تُقَدِّرُ الهمزةَ م.ع. «قَدْ» فِي مِثْلِ «قَدْ أَفْلَحَ»، كَمَا تَقْدِرُ فِي «هَلْ أَنْتَ»، فَإِذَنْ يَسُوغُ فِي «هل»

(١) «مفتاح العلوم» ص ٣٠٩.

(٢) انظر: «كتاب سيبويه» (١: ١٧١) و«خزانة الأدب» (٨: ٢١٥) وتمام البيت:

أَوْ عَبَدَ رَبِّ أَخَا عَزْونِ بِنِ مَخْرَاقِ

(٣) لتمام الفائدة انظر: «مغني اللبيب» ص ٤٦٠.

(٤) «تفسير الكشاف» (١٦: ١٧٨-١٧٩).

فإن قلت: هل فيه دليل على أن الخالق لا يُطلق على غير الله عز وجل؟ قلت: نعم، إن جعلت ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ كلاماً مبتدأً، وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة. وأما على الوجهين الآخرين: وهما الوصف والتفسير. فقد يُقيدُ فيهما بالرزق من السماء والأرض، وخرج من الإطلاق، فكيف يُستشهدُ به على اختصاصه، بالإطلاق؟

ما لا يسوغُ في «قد»، فيقال: هل زيدا ضربت؟ ولا يقال: قد زيدا ضربت. ونصَّ بخلافه ابنُ الحاجب أيضاً في قسم الحروف.

قوله: (فكيف يُستشهدُ به على اختصاصه بالإطلاق)، أي: كيف يُستشهدُ به على اختصاصِ الله بإطلاقه عليه وقد تقيّد بـ «يَرْزُقُكُمْ» فإن المعنى على وجهين: ليس خالقٌ سوى الله صفته أنه يرزقكم، فيفهم أن هناك خالقاً سوى الله ليس برزاق. وأما على الابتداء فمعناه: ليس خالقٌ سوى الله موجوداً.

فأتجه لسائل أن يقول: لِمَ لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ خالِقاً؟ فقول: لأنه يرزقكم من السماء والأرض؛ لأن الخالق ينبغي أن يكون رازقاً، فإنَّ صفة الرزاقية كالتتيم للخالقية. هذا هو الوجه الفصيح القوي وعليه مذهب أهل الحق.

الانتصاف: القدرِيُّ يقول: نعم، [نَمَّ] (١) خالقٌ غيرُ الله. وكلُّ أحدٍ عندهم مخلوق، ولهذا وسَّع الدائرة وأتى بالأوجه النافرة، والذي يُحقِّق الوجه الثالث المانع من إطلاق الخالق على غير الله: أن المخاطبين مُشركون إذا سُئلوا: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قالوا: الله، وإذا سُئلوا: من يرزقُ منها؟ قالوا: الله، فقررُوا بإقامة الحجة عليهم بإقرارهم، ولو كان كما قال الرَّمَحْشَرِيُّ لكانَ مفهومه إثبات خالقٍ غيرِ الله، لكن لا يرزق، وهؤلاء الكفرة قد تبرَّءوا منه فلا وَجْهَ لتقريعهم بما لا يلائم قولهم، وأيضاً فإنَّ ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملتان سيقتا مساقاً واحداً والثانية مفصلة اتفاقاً فكذا الأولى (٢).

وقلت: قد أحسن وأجاد حيث نظر إلى النظم.

(١) زيادة من «الانتصاف» يقتضيها السياق.

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٩٨).

والرزق من السماء: المطر، ومن الأرض: النبات. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مفصولة لا محل لها، مثل: ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ في الوجه الثالث، ولو وصلت كما وصلت ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ لم يساعِد عليه المعنى؛ لأن قولك: هل من خالقٍ آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق، غير مُستقيم؛ لأن قولك: هل من خالقٍ سوى الله؟ إثباتٌ لله. فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضاً بالنفي بعد الإثبات. ﴿فَأَنْتَ تُؤَفِّكُونَ﴾: فمن أي وجه تُصرفون عن التوحيد إلى الشرك؟

قوله: (والرزق من السماء المطر)، قيل: إن جعل الرزق مصدراً للمضاف من الخير محذوف أي: إنزال المطر وإنبات النبات وإن جعلته اسماً بمعنى المرزوق فلا حاجة إلى التقدير. قوله: (فلو ذهبت تقول ذلك لكنت<sup>(١)</sup> مناقضاً)، وذلك أن الصفة هاهنا مميزة، والاستفهام مؤكّد للإنكار، وفيه معنى النفي، لأن الكلام مع المعاندين، ولذلك زيد «من» الاستغراقية، فإذا أنكرت أن يكون خالقاً غير الله، يلزم منه إثبات ذاته عز وجل، وهو المراد من قوله: «هل من خالقٍ سوى الله؟ إثباتٌ لله» ثم إذا رجعت وميزته مرةً أخرى بقولك: «لا إله إلا ذلك الخالق» لزم نفي ما أثبتته أولاً، وهو المراد بقوله: «لكنت مناقضاً بالنفي بعد الإثبات».

قال صاحب «التقريب»: في لزوم التناقض نظر، إذ التقدير: لا خالق مُنفرداً بالإلهية إلا الله على الاستثناء أو مغايراً لله على الوصف، ولا تناقض فيه. نعم، لو فصلت مع عود الضمير إلى الخالق المغاير لزم، أما مع الوصل فلا.

قلت: ويمكن أن يقال: إن قولك للمشرك: هل من خالقٍ سوى الله، إثباتٌ لله بوصف المغايرة؛ لأن إثبات المغايرة إثبات المتغايرين، فيلزم منه إثبات الله، ثم إذا قلت: «لا إله إلا ذلك الخالق» يلزم منه نفي الله، أما إذا كان الإثبات ناشئاً من الإنكار الوارد على الموصوف والصفة معاً لزم ما ذكره صاحب «التقريب».

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «كنت» دون لام.

[وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾]

نَعَى بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ سُوءَ تَلْقِيهِمْ لآيَاتِ اللَّهِ، وَتَكْذِيبَهُمْ بِهَا، وَسَلَّى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّ لَهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ أَسُوءَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا يَشْتَمِلُ عَلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ؛ مِنْ رَجُوعِ الْأُمُورِ إِلَى حُكْمِهِ، وَمُجَازَاةِ الْمُكْذِبِ وَالْمُكْذَّبِ بِهَا يَسْتَحِقُّهَا. وَقُرِئَ: ﴿تُرْجَعُ﴾ بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِهَا. فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ صِحَّةِ جِزَاءِ الشَّرْطِ وَمِنْ حَقِّ الْجِزَاءِ أَنْ يَتَعَقَّبَ الشَّرْطَ، وَهَذَا سَابِقٌ لَهُ؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَتَأْسُّ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ، فَوُضِعَ: ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ مَوْضِعَ: فَتَأْسُّ؛ اسْتِغْنَاءً بِالسَّبَبِ عَنِ الْمُسَبَّبِ، أَعْنِي بِالتَّكْذِيبِ عَنِ التَّأْسِي. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى التَّنْكِيرِ فِي ﴿رُسُلٌ﴾؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ: فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ، أَي: رُسُلٌ ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ، وَأُولُو آيَاتٍ وَنُذُرٍ، وَأَهْلُ أَعْمَارٍ طَوَالٍ وَأَصْحَابُ صَبْرٍ وَعِزْمٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَهَذَا أُسْلِي لَهُ، وَأَحْتُّ عَلَى الْمُصَابِرَةِ.

[بَيِّنَاتٍ لِلنَّاسِ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَثُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَتُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُودُ \* إِنْ الشَّيْطَانُ لَكَرَّ عَدُوًّا فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ \* الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٥-٧﴾]

وَالْحَقُّ أَنَّ الْمَانِعَ مِنْ ذَلِكَ التَّقْدِيرِ النِّظْمُ الْمَعْجِزُ، وَحَاكِمُهُ الذُّوقُ السَّلِيمُ، لِأَنَّ السُّؤَالَ بِقَوْلِهِ: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزَّ اللَّهُ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سَوْأَلُ تَبْكِيَةٍ وَارِدٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: تَقْرِيرٌ لِلتَّوْحِيدِ بَعْدَ تَقْرِيرِ إِقْرَارِهِمْ بِنَفْيِ الْغَيْرِ، وَلِذَلِكَ رَتَّبَ عَلَيْهِ بِالْفَاءِ قَوْلَهُ: ﴿فَإِنَّ تَوْفِيقَنَا لَا يَلِيكَ سِوَى اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ فَلَا يَكُونُ سِوَاهُ مَعْبُودًا، لِأَنَّ الْمَعْبُودَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خَالِقًا رَازِقًا فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْهُ وَتُكْفَرُونَ نِعْمَتَهُ وَتَعْبُدُونَ غَيْرَهُ.

قَوْلُهُ: (وَمِنْ حَقِّ الْجِزَاءِ أَنْ يَتَعَقَّبَ الشَّرْطَ) وَالْآيَةُ مِثْلُ: إِنْ أَكْرَمْتَنِي الْآنَ فَقَدْ أَكْرَمْتُكَ أَمْس. وَخُلَاصَةُ الْجَوَابِ: أَنَّ الْجِزَاءَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِخْبَارِ وَالتَّشْبِيهِ عَلَى التَّأْسِي وَالتَّسْلِي، كَمَا أَنَّ الْمِثَالَ فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى الْإِعْتِقَادِ.

وَعَدُ اللَّهِ: الجزاءُ بالثوابِ والعقاب. ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ﴾ فلا تَخْدَعَنَّكُمْ ﴿الدُّنْيَا﴾ ولا يُذْهِبَنَّكُمْ التَّمَتُّعُ بها والتَلَذُّدُ بمنافعِها عَنِ العَمَلِ لِلاِخِرَةِ وطلبِ ما عِنْدَ الله. ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾: لا يَقُولَنَّ لَكُمْ: اعمَلُوا ما شِئْتُمْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ يَغْفِرُ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَيَعْفُو عَن كُلِّ خَطِيئَةٍ. والغُرُورُ: الشيطانُ؛ لِأَنَّ ذلكَ دَيْدَنُهُ. وَقُرِئَ بِالضَّمِّ وَهُوَ مَصْدَرٌ غَرَّه، كَاللُّزُومِ والنُّهُوكِ أو جَمْعُ غَارٍ، كَقَاعِدِ وَقُعودِ. أَخْبَرَنَا عَزَّ وَجَلَّ:

قوله: (لا يقولنَّ لكم: اعمَلُوا ما شِئْتُمْ، فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ يَغْفِرُ كُلَّ كَبِيرَةٍ، وَيَعْفُو عَن كُلِّ خَطِيئَةٍ)، الانْتِصافُ: يُعْرَضُ باعْتِقادِ أَهْلِ السَّنَةِ، وهذا لا يَناقِضُ مُعْتَقَدَهُمْ، فَإِنَّ اللهَ وَعَدَ العَفْوَ عَلى الكَبائِرِ، وَقَرَنَ الوَعِيدَ بِالْمُشِيئَةِ في حَقِّ الموحِّدِينَ، في مِثْلِ قولِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ، وَيَغْفِرُ مِمَّا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] (١).

قوله: (والغُرُورُ: الشيطانُ؛ لِأَنَّ ذلكَ دَيْدَنُهُ)، الراغِبُ: غَرِزْتُ فُلاناً: أَصَبْتُ غِرَّتَهُ ونبَلْتُ مِنْهُ ما أريدُهُ، فالغِرَّةُ غَفْلَةٌ في يَقْظَةٍ، والغَرارُ غَفْلَةٌ مع غَفْوَةٍ. وأصلُ ذلكَ مِنَ العَرِّ وهو الأثرُ الظاهرُ مِنَ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ: غُرَّةُ الفَرَسِ، وَغَرارُ السِّيفِ: حَدُّهُ، وَغَرُّ الثوبِ: أَثَرُ كَسْرِهِ، وَقيلَ: اطْوَاهُ عَلى غَرِّهِ. وَغَرَّه كَذَا غَروراً كَأَنَّها طَواهُ عَلى غَرِّهِ، قالَ تَعالَى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾، فالغُرُورُ: كُلُّ ما يَغُرُّ الإنسانَ مِنَ مالٍ وَجاءِ وَسَهْوَةٍ وَشيطانِ، وَقَدْ فَسَّرَ بِالشَّيطانِ إِذْ هو أَخْبَثُ الغارِّينَ، وَالغَررُ: الحَقْطَرُ مِنَ الغَرِّ، وَباَعْتِبارِ غُرَّةِ الفَرَسِ وَشُهْرَتِهِ قيلَ: فُلانٌ أَغَرُّ؛ إِذا كانَ مَشهوراً كَرِيماً، وَيُقَالُ: الغُرُّ لثَلَاثِ لَيالٍ مِنَ أوَّلِ الشَّهِرِ لكونِ ذلكَ مِنْهُ كَالغُرَّةِ (٢).

قوله: (وَقُرِئَ بِالضَّمِّ وَهُوَ مَصْدَرٌ) (٣)، وَعَن بَعْضِهِم: الغُرُورُ بِالضَّمِّ: الأَباطيلُ، وَقُعودُ في الأَفعالِ المُتَعَدِّيَةِ قَليلٌ، مِنْهُ: لَزِمَهُ لُزوماً، وَتَهَكَّه المَرَضُ مُهوكاً.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٥٩٩).

(٢) «المفردات في غريب القرآن» ٦٠٣.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣٢٣).

أَنَّ الشَّيْطَانَ لَنَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَاقْتَصَصَ عَلَيْنَا قِصَّتَهُ وَمَا فَعَلَ بِأَيِّنَا آدَمَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ انْتَدَبَ لِعَدَاوَةِ جَنِينِنَا مِنْ قَبْلِ وُجُودِهِ وَبَعْدَهُ، وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ نَتَوَلَّاهُ وَنَطِيعُهُ فِيهَا يَرِيدُ مِنَّا مِمَّا فِيهِ هَلَاكُنَا، فَوَعظْنَا عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ كَمَا عَلِمْتُمْ عَدُوَّكُمْ الَّذِي لَا عَدُوَّ أَعْرَقَ فِي الْعَدَاوَةِ مِنْهُ، وَأَنْتُمْ تَعَامِلُونَهُ مَعَامِلَةً مِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِحَالِهِ ﴿فَأَخَذُوهُ عَدُوًّا﴾ فِي عِقَائِدِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ. وَلَا يُوَجِّدَنَّ مِنْكُمْ مَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى مُعَادَاتِهِ وَمُنَاصِبَتِهِ فِي سِرِّكُمْ

وقال المصنّف: كُلُّ مَغْرُورٍ غُرُورُهُ مُصْلِحَةٌ لَهُ فِي تَرْكِ غُرُورِهِ، وَأَنْتُمْ لَقَرَطٍ اغْتِرَارِكُمْ غُرُورَكُمْ مَفْسُدَةٌ لَكُمْ دَاعِيَةٌ إِلَى الْغُرُورِ، أَوِ الْمَرَادُ أَهْلَ الْغُرُورِ، أَوْ ذُو الْغُرُورِ.

قوله: (وكيف انتدب لعداوة جنينا قبل وجوده)، أي: قبل وجود جنينا، وهي عداوته لأدم عليه السلام، وبعد وجود الجنس، وهو توريط بني آدم في كل ضلالٍ وخزيٍ ونكال، فكما قال في «مريم»: وهو عدوك وعدو أهلك وأبناء جنسك<sup>(١)</sup>.

الأساس: نُذِبَ لِكُذَا وَإِلَى كُذَا فَانْتَدَبَ لَهُ، وَتَكَلَّمَ فَانْتَدَبَ لَهُ فَلَانَ إِذَا عَارَضَهُ، وَرَجُلٌ نَذِبٌ؛ إِذَا نُذِبَ لِأَمْرٍ خَفَّ لَهُ، وَأَرَاكَ نَذِبًا فِي الْخَوَائِجِ، وَنَذِبَهُ لِأَمْرٍ كُذَا فَانْتَدَبَ لَهُ، أَي: دَعَا لَهُ فَأَجَابَ.

قوله: (وأنتم تعاملونه) أي: نَزَلَ الْعَالِمَ مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ خَاطِبَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَشْكُونَ فِيهِ، وَأَدْخَلَ عَلَى الْجُمْلَةِ حَرْفَ التَّحْقِيقِ مَعَ أَنَّهُمْ مُقَرَّرُونَ بِذَلِكَ وَلَا يُنْكِرُونَهُ؛ لِغَدَمِ جَزِيمِهِمْ عَلَى مُوجِبِ الْعِلْمِ، وَمَعَادِيهِمْ فِي اتِّبَاعِ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ.

قوله: (ولا يوجدن منكم ما يدل إلا على معاداته)، إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْرِفُكُمْ﴾ تَهَيُّ لِلشَّيْطَانِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ تَهَيُّ لِلْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى وَصْفِ يَتِمَكَّنُ الشَّيْطَانُ مِنْهُ عَلَى الْغُرُورِ، نَحْو: لَا أَرَيْتَكَ هَاهُنَا.

قوله: (ومناصبته)، يقال: نَصَبَ لِفُلَانٍ نَصَبًا: إِذَا عَادَيْتَهُ، وَنَاصَبْتَهُ الْحَزْبَ مُنَاصِبَةً.

(١) انظر: «الكشاف» (١٠: ٣٠).



وجهرِكم. ثم لخص سرَّ أمره، وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمُّه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته؛ هو أن يُوردَهم مَوردَ الشَّقوةِ والهلاك، وأن يكونوا من أصحابِ السعير. ثم كَشَفَ الغطاء، وقَشَرَ اللِّحاء؛ ليقطع الأطماعِ الفارغة، والأمانِي الكاذبة، فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتزكُّيهما.

[﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ٨]

لَمَّا ذَكَرَ الْفَرِيقَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا؛ قَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾، يَعْنِي: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ مِنْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ كَمَنْ لَمْ يُزَيَّنْ لَهُ،

قَوْلُهُ: (وَقَشَرَ اللَّحْيَاءُ)، قَالَ الْمِيدَانِي: «قَشَرْتُ لَهُ الْعَصَا»؛ أَظْهَرْتُ لَهُ مَا كَانَ فِي نَفْسِي وَيُقَالُ: أَقَشَرْتُ لَهُ الْعَصَا، أَي: كَاثَفْتُهُ وَأَظْهَرْتُ لَهُ الْعِدَاوَةَ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (لَمَّا ذَكَرَ الْفَرِيقَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا قَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾) يَعْنِي: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ مِنْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ كَمَنْ لَمْ يُزَيَّنْ لَهُ، جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ.

وَقُلْتُ: الْأَحْسَنُ أَنْ تُجْعَلَ الْآيَاتُ مِنَ الْجَمْعِ وَالتَّقْسِيمِ وَالتَّفْرِيقِ، فَقَوْلُهُ: ﴿ يَكَايِبًا أَلْنَأَسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ جَمَعَ الْفَرِيقَيْنِ مَعًا فِي حُكْمِ نِدَاءِ النَّاسِ وَجَمَعَ مَالَهُمَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي حُكْمِ الْوَعْدِ وَحَدَّرَهُمَا مَعًا عَنِ الْغُرُورِ بِالدُّنْيَا وَالشَّيْطَانِ، وَأَمَّا التَّقْسِيمُ فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ لِأَنَّهُ بَيَّنَّ فِيهِ أَحْوَالَ الْفَرِيقَيْنِ وَمَا لُهُمَا وَعَلَيْهِمَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

وَأَمَّا التَّفْرِيقُ فَقَوْلُهُ: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ لِأَنَّهُ فَرَّقَ فِيهِ، وَبَيَّنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كَمَا قَالَ: ﴿ ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ مِنْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ كَمَنْ لَمْ يُزَيَّنْ لَهُ، فَظَهَرَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ «الْفَاءَ» فِي «أَفَمَنْ» لِلتَّعْقِيبِ وَالْهَمْزَةُ الدَّاخِلَةُ بَيْنَ الْمُعْطُوفِ وَالْمُعْطُوفِ

(١) «مجمع الأمثال» (٢: ١٠٢).

فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لا، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾. ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد، وهو أن يكون العاصي على صفة لا تُجدي عليه المصالح، حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى

عليه لإنكار المساواة وتقرير البون العظيم بين الفريقين، وأن المختار من الوجوه المذكورة في «المفتاح»<sup>(١)</sup>: تقدير «كمن هداه الله»، فحذف لدلالة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. قال محيي السنة: في الآية حذف مجازه: أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقاً كمن هداه الله فرأى الحق حقاً والباطل باطلاً، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: معنى الآية: فلا تغتم بكفرهم وهلاكهم، وهو المراد من قول المصنف: وإذا خذل الله المصنمين على الكفر وخلاهم وشأنهم، فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم. وفيه التسلي والتخلي من الاهتمام بشأن المدعو فلا يدخل فيه العاصي من أمة محمد ﷺ، فلا وجه لقوله: «وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح» إلى آخره، لأن معناه: يكون العاصي على وجه لا يتفنع من رعاية المصالح التي أوجبها الله على نفسه بوجه من الوجوه. فقوله: «لا تُجدي» إلى آخره صفة لصفة، والعائد محذوف، أي: معها.

قوله: (فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لا)، واعلم أن الفاء في قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ﴾ رابطة للجملة التالية بالسابقة، وقد وسطت همزة الإنكار بينهما، و«مَنْ» موصولة، والفاء «فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ جزائية، ولا يستقيم أن تكون خبراً لها، لأن الإنكار دافعه، فيجب أن تُقدَّر خبراً لها، وشرطاً للجزاء. والمنكر ما كان يرتكبه صلوات الله عليه من الحرص على إيمان القوم وتهاكبه في أن يسلك الضالين في زمرة المهتدين فقبل له على سبيل الإنكار: أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له، فلا بُد من أن يُقرَّر بالنفي ويقول: لا، فحينئذ يقال له: فإذا كان كذلك ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، فقدّم وأخر، وما أوضحه من دليل على مذهب أهل السنة.

(١) «مفتاح العلوم» ص ٢٧٩.

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٤١٣).

وتخليته وشأنه، فعند ذلك يبيم في الضلال، ويطلق أمر النهي، ويعتق طاعة الهوى، حتى يرى القبح حسناً والحسن قبيحاً، كأنها غلبت على عقله وسلبت تمييزه، ويقعد تحت قول أبي نواس:

اسقيني حتى تراني حسناً عندي القبيح

وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم؛ فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالآ إلى ذكرهم، ولا يجزى ولا يتحسر عليهم؛ اقتداء بسنة الله تعالى في خذلانهم وتخليتهم. وذكر الزجاج: أن المعنى: أفمن زين له سوء عمله ذهب نفسك عليهم حسرة، فحذف الجواب؛ لدلالة ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ﴾ عليه.

أو: أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، فحذف لدلالة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ عليه. ﴿حَسَرْتِ﴾: مفعول له، يعني: فلا تهلك نفسك

قوله: (سلب تمييزه)، «تمييزه» نصب على أنه تمييز، وإن كان معرفة، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

قوله: (ويقعد تحت قول أبي نواس)، الأساس: إن حسبك كحقيقتك عن بلوغ الشرف، وما يقعد وما اقتعده إلا لئوم عنضره، وقوله:

غَرْدَ الدِيكَ الصَّبُوحُ	فاسقني طاب الصَّبُوحُ
فَهْوَةٌ تُذَكِّرُ نَوْحاً	حين شاد الفلَّكُ نَوْحُ
نَحْنُ نُخْفِيهَا فَتَأْتِي	طيبُ رِيحٍ فَتَفُوحُ
اسقيني حتى تراني	حَسَناً عِنْدِي الْقَبِيحُ <sup>(١)</sup>

قيل: «حسناً» مفعول ثانٍ لـ «تراني»، و«القبيح» فاعل «حسناً»، يقول للساقى: اسقيني حتى يكون القبيح عندي حسناً.

(١) انظر: «ديوان أبي نواس» ص ٢١٧ و«الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء» للمرزياني ص ٣٣٩.

للحسرات. و﴿عَلَيْتُمْ﴾ صلة ﴿نَذَهَبَ﴾، كما تقول: هَلَكَ عَلَيْهِ حُبًّا، وماتَ عَلَيْهِ حُزْنًا. أو هو بيانٌ للمتَحَسِّرِ عليه. ولا يجوزُ أن يتعلَّقَ بـ﴿حَسَرْتِ﴾؛ لأنَّ المصدرَ لا يتقدَّمُ عليه صلته، ويجوزُ أن يكونَ حالاً كأنَّ كلَّها صارتَ حسراتٍ لفرطِ التَحَسُّرِ، كما قال جرير:

مَشَّقَ الْهُوَاجِرُ لِحَمَهُنَّ مَعَ السُّرَى      حَتَّى ذَهَبْنَ كَلَاكِلًا وَصُدُورًا

قوله: (وذكر الزجاج)، والمذكورُ في «كتابه»: الجوابُ هاهنا على ضربين: أحدهما يدلُّ عليه: ﴿فَلَا نَذَهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرْتِ﴾، ويكونُ المعنى: أَمَنْ رُؤْيَ له سوءُ عمله كَمَنْ هداه الله، ويكونُ دليله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقلت: فيه تنبيهٌ على أنَّ كلَّ واحدٍ من الجُمَلِ المدخولِ عليها الفاء لا يصحُّ أن يكونَ جواباً لمانعٍ معنى الإنكارِ في الهزمة.

قوله: (هلكَ عليه حُبًّا وماتَ عليه حُزْنًا)، قال صاحب «الفرائد»: التقدير: لا تذهبَ نَفْسُكَ واقعةٌ عليهم حَسراتٍ؛ لأنَّ المُحِبَّ يَنحني إلى المحبوبِ إذا أشرفَ على الهلاكِ وإذا بالغَ في الميلِ إليه وقعَ عليه.

قوله: (أو هو بيانٌ للمتَحَسِّرِ عليه)، فإنه لما قيلَ له صلواتُ الله عليه: ﴿فَلَا نَذَهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرْتِ﴾ فقال: على مَنْ؟ فقيل: عليهم، على أنَّ ﴿عَلَيْتُمْ﴾ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ يُفسِّره هذا الظاهرُ بناءً على أنَّ «حَسراتٍ» لا يعملُ فيما قبله لكونها مصدرًا، ويجوزُ أن يُضْمَنَ «تذهبَ» معنى: «تَحَسَّرَ» بوساطةِ «على»، وأنَّ الأصل: فلا تَتَحَسَّرَ عليهم ذهاباً بنفسك، أي: هالِكًا. وأما قوله: كما تقولُ: هَلَكَ عَلَيْهِ حُبًّا، فمِنْ بابِ المجازِ لا التضمينِ.

قوله: (مَشَّقَ الْهُوَاجِرُ) البيت<sup>(٢)</sup>، المَشَّقُ: السرعةُ في الطعنِ والضربِ والكتابة. أي: برى لحومَهُنَّ السَّيرُ في الهواجِرِ والسُّرى في اللَّيالي حتى رجَعْنَ ولم يَبْقَ منهنَّ إلا كلاكِلُها وصدورُها.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٦٤).

(٢) لجرير في «ديوانه» ص ٢٨٣، و«كتاب سيويه» (١: ١٦٢) و«خزانة الأدب» (٤: ٩٨).

يريد: رجعت كلاكلاً وصدوراً، أي: لم يبق إلا كلاكلها وصدورها. ومنه قوله:

فَعَلَىٰ إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي حَسْرَاتٍ وَذِكْرُهُمْ لِي سَقَامٌ

وقرى: (فلا تذهب نفسك). ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم.

[﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فَسَقَنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيْتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ ٩]

وقرى: (أرسل الريح). فإن قلت: لم جاء ﴿فثير﴾ على المضارعة دون ما قبله وبعده؟ قلت: لتحكى الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القُدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز

قوله: (فعلى إثرهم) البيت<sup>(١)</sup>، «إثرهم»: أي: عقبهم، «تساقط»: أي: تساقط، و«حسرات» حال من «نفسى». يقول: إن الأحبة رحلوا ونفسي تساقطت حسرات في عقبهم، وذكرهم سقام لي بعدهم.

قوله: (وقرى: «أرسل الريح»)، حمزة والكسائي وابن كثير<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وهكذا يفعلون)، يريد: أن كل فعل ماضٍ إذا أريد به نوعٌ خصوصيةٌ بحال - إما أن تكون مُستغربةً أو مهتماً بشأنها أو غير ذلك - يُعدّلُ منه إلى المضارع ليؤدّنَ بأن هناك نكتةً سرّيةً؛ إما الاستغراب كما تنبئُ عنه هذه الآية وقولُ تَابَطُ شَرًّا لما استحضرَ منها الحالة العجيبة الشأن في ذهن السامع وجعلنا مشاهدتين لنظيره، وإما الاهتمام كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُنْعَرِفُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، لاقتضاء «لو» معنى المُضي؛

(١) البيت لأبي دؤاد الإيادي، انظر: «الحماسة البصرية» (١: ٢٧٨) و«خزانة الأدب» (٩: ٥٩١).

(٢) انظر: «التسير» للداني ص ٧٨، و«حجة القراءات» ص ٥٩٢.

وْخُصُوصِيَّةً، بِحَالٍ تُسْتَعْرَبُ، أَوْ تُهَمُّ الْمُخَاطَبُ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَابَّطَ شَرًّا:

بِأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ الْغَوْلَ تَهْوِي      بَسَّهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانَ  
فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ      صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ

لِأَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يُصَوِّرَ لِقَوْمِهِ الْحَالَةَ الَّتِي تَشْجَعُ فِيهَا بَزْعَمِهِ عَلَى صَرْبِ الْغَوْلِ، كَأَنَّهُ يُبْصِرُهُمْ أَيَّاهَا وَيُطْلِعُهُمْ عَلَى كُنْهَيْهَا مُشَاهِدَةً؛ لِلتَّعْجِيبِ مِنْ جُرْأَتِهِ عَلَى كُلِّ هَوْلٍ وَكَذَلِكَ سَوَّقَ السَّحَابِ إِلَى الْبَلَدِ الْمَيْتِ، وَإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ بَعْدَ مَوْتِهَا، لَمَا كَانَا مِنْ الدَّلَائِلِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، قِيلَ: فَسَقْنَا، وَأَحْيَيْنَا؛ مَعْدُولاً بِهَا عَنْ لَفْظِ الْغِيْبَةِ إِلَى مَا هُوَ أَدْخُلُ فِي الْاِخْتِصَاصِ وَأَدُلُّ عَلَيْهِ. وَالْكَافُ فِي ﴿كَذَلِكَ﴾ فِي مَعْلَى الرَّفْعِ، أَي: مِثْلُ إِحْيَاءِ الْمَوَاتِ نَشُورُ الْأَمْوَاتِ. رُوِيَ: .....

أَنْزَلَ أَمْرُ الْقِيَامَةِ مَنْزِلَةَ الْمَاضِي الْمَقْطُوعِ بِهِ؛ لِاهْتِمَامِ وَقُوعِهِ، وَإِمَا غَيْرُ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، جُعِلَتْ طَاعَتُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مُسْتَمِرَّةً الْاِمْتِنَاعَ عَلَى سَبِيلِ التَّجَدُّدِ لِيَفِيدَ اسْتِمْرَارَ اِمْتِنَاعِ عَتَبَتِهِمْ سَاعَةً فَسَاعَةً.

قَوْلُهُ: (بِأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ الْغَوْلَ)، الْبَيْتَيْنِ، قَبْلَهُ:

فَمَنْ يُنْكَرُ وَجُودَ الْغَوْلِ إِنِّي      أَخْبَرٌ عَنْ يَقِينٍ بِلِ عِيَانِ

تهوي، أي: تهبط، بسهب: بفلاة واسعة، والصحصحان: المكان المستوي من الفلاة. والجِرَانُ: مُقَدَّمُ عُنُقِ الْبَعِيرِ مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى مَنْحَرِهِ وَالْجَمْعُ: الْجِرْنُ، فَكَذَلِكَ مِنَ الْفَرَسِ.

وَالْيَدَيْنِ أَي: عَلَى الْيَدَيْنِ، إِنَّمَا عَدَلَ مِنْ «عَلَى» إِلَى الْاِمْتِنَاعِ؛ لِيَفِيدَ أَنَّهُ جَعَلَ الْيَدَ وَالْجِرَانَ لِلصَّرْعِ، وَاخْتَصَّ بِهَا؛ لِأَنَّ الْاِمْتِنَاعَ لِلْاِخْتِصَاصِ، كَمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَجُوزُونَ الْأَذْقَانَ﴾ [الإسراء: ١٠٧]: وَجَعَلَ ذُقْنَهُ وَوَجْهَهُ لِلخُرُورِ وَاخْتَصَّه.

قَوْلُهُ: (مُشَاهِدَةً؛ لِلتَّعْجِيبِ)، «مُشَاهِدَةً»: صِيغَةُ مَفْعُولٍ حَالٍ مِنَ الْحَالَةِ.

أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ يُجِيبِي اللَّهُ الْمَوْتَى؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ فَقَالَ: «هَلْ مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مَحَلًّا ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَرُ خَضِرًا». فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: «فَكَذَلِكَ يُجِيبِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَتِلْكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ». وَقِيلَ: يُجِيبِي اللَّهُ الْخَلْقَ بِإِذْنِ رُسُلِهِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَنْبِيِّ الرَّجَالِ، تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ الْخَلْقِ.

[مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَوْمٌ ﴿١٠﴾]

كَانَ الْكَافِرُونَ يَتَعَزَّزُونَ بِالْأَصْنَامِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إلهَةً يُكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم]، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالسَّنَنِ مِنْ غَيْرِ مَوَاطَاةِ قُلُوبِهِمْ كَانُوا يَتَعَزَّزُونَ بِالْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُوكَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء]، فَبَيَّنَ أَنَّ لََا عِزَّةَ إِلَّا لِلَّهِ وَلِأَوْلِيَائِهِ. وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، .....

قَوْلُهُ: (أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ يُجِيبِي اللَّهُ الْمَوْتَى؟)، الْحَدِيثُ (١) مَذْكُورٌ فِي «جَامِعِ الْأَصُولِ» (٢)، رَوَاهُ رَزِينُ الْعَبْدَرِيُّ عَنْ أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ تَغْيِيرِ يَسِيرِ.

قَوْلُهُ: (كَمَنْبِيِّ الرَّجَالِ)، فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُنزَلُ اللَّهُ مَطْرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، فَتَنْبُتُ أَجْسَادُ النَّاسِ» الْحَدِيثُ (٣).

قَوْلُهُ: (كَانَ الْكَافِرُونَ يَتَعَزَّزُونَ بِالْأَصْنَامِ)، إِلَى قَوْلِهِ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالسَّنَنِ كَانُوا يَتَعَزَّزُونَ بِالْمُشْرِكِينَ)، وَإِلَى قَوْلِهِ: (فَبَيَّنَ أَنَّ لََا عِزَّةَ إِلَّا لِلَّهِ وَلِأَوْلِيَائِهِ)، وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى آخِرِهِ. فِيهِ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٦١٩٢)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٨٦٨٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (١٩): (٢٠٨).

(٢) «جَامِعِ الْأَصُولِ» (١٠: ٤٢٢).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٠).

إشعار بأن الخطاب بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ مع المخالفين، والتعريف في «العزة» الأولى: للجنس، وفي الثانية: للاستغراق، بشهادة قوله: ﴿جَمِيعًا﴾، وأن تقديم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ لاختصاص العزة بالله أصالةً ورسوله تبعاً باقتضاء المقام، ولهذا قال: «أَنَّ لَا عِزَّةَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَا وَلِيَّائِهِ»، وأن قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ كالبیان لطريق تحصيل العزة وسلوك السبيل إلى تليها.

واعلم أن في انتظام قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ بما قبله نظراً دقيقاً يحتاج إلى فضل تأمل.

نقل محيي السنة في «تفسيره» عن أبي العالية: أنها في الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، كما قال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسُوكَ أَوْ يُقَتِّلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. وروى عن مجاهد وشهر بن حوشب: هم أصحاب الرُّبَا<sup>(١)</sup>.

ومختار المصنف القول الأول.

فحيث قد قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الآية كالاستطراد والتقرير لمضمون الأولى على طريق الاستشهاد والتمثيل، وفي إخراج الكلام مخرج الشرط نوع توبيخ وتنبيه للمخاطبين على خطأ رأيهم وفساد طريقتهم وتضليلهم فيما هم فيه من طلب العزة من غير موضعها ومكانها، كأنه قيل: أيها الضالون تنبهوا على خطئكم وتيقنوا أن ليس الوصول إلى المطلوب ما أنتم عليه من روم العزة من عند غير الله، لأن العزة كلها ملك الله ومحتصة به وبأوليائه، وطريق الوصول إليها الإيمان والعمل الصالح، واعلموا أن من أعزه الله فلا مُدِيلَ له ومن أذله فلا مُعزَّ له.

ألا ترون إلى قريش حين بدّلوا جهنّداهم في إطفاء نور الله وإذلال من أعزه الله ورفع من قدره، ومكروا تلك المنكرات السيئات من الإثبات والقتل والإخراج، وأبى الله إلا أن

(١) معالم التنزيل، (٤: ٢٥٥).



والمعنى فليطلبها عند الله، فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضعه؛ استغناءً به عنه لدلالته عليه؛ لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه. ونظيره قولك: من أراد النصيحة فهي عند الأبرار، تريد: فليطلبها عندهم، إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه. ومعنى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: أن العزة كلها مختصة بالله: عزة الدنيا وعزة الآخرة. ثم عرّف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، والكلم الطيب: لا إله إلا الله. عن ابن عباس: يعني: أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة، كما قال عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها ورفعها وأصعدها. وقيل: الرافع الكلم، والمرفوع

يتم نوره، كيف قلب الأمر عليهم حيث أخرجهم من مكة وأبادهم بالقتل في بدر وأثبتهم في قلبه ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

وعلى أن يراد بهم أصحاب الربا فالجملة عطف على جملة الشرط والجزاء، فيجب حينئذ مراعاة التطابق بين القريتين والتقابل بين الفريقين بحسب الإمكان بأن يُقدَّر في كل منهما ما يحصل به التقابل بدلالة المذكور في الأولى على المتروك في الأخرى وبالعكس، و﴿يَتَكْرَهُنَّ﴾ على القولين يجري على غير حقيقته، فعلى الأول: حكاية للحال الماضية لتصويرها في مشاهدة السامع، وعلى الثاني: مراد منه الاستمرار والدوام.

قوله: (والمعنى: فليطلبها عند الله)، فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضعه، يعني: وضع السبب موضع المسبب؛ لأن الطلب مسبب عن حصولها عند الله تعالى، وفي العدول - أي: ترك السبب - إلى المسبب إيداناً بأن المقصود الأولى هو: العزة، والطلب هو: الوسيلة، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْتَ أَضْرِبُ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

قوله: (العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها)، قال صاحب «الكشف»: المختار أن يرفع العمل الصالح الكلم، دون أن تكون الهاء المنصوبة تعود إلى العمل، لأنه لو كان عائداً إليه لكان «العمل الصالح» بالنصب على مقتضى قول سيبويه؛ لأنه قال: إذا قلت: قام زيد

الْعَمَلُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا مِنْ مُوَحَّدٍ. وَقِيلَ: الرَّافِعُ اللَّهُ، وَالْمَرْفُوعُ الْعَمَلُ. وَقِيلَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: كُلُّ ذِكْرٍ مِنْ تَكْبِيرٍ وَتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ وَقِرَاءَةِ قُرْآنٍ وَدُعَاءٍ وَاسْتِغْفَارٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَعَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، إِذَا قَالَهَا الْعَبْدُ عَرَجَ بِهَا الْمَلَكُ إِلَى السَّمَاءِ فَحَيَّاهَا وَجَهَ الرَّحْمَنَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ صَالِحٌ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ». وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ قَوْلًا إِلَّا بِعَمَلٍ، .....

وَعَمَّرُو يَضْرِبُهُ، كَانَ الْاِخْتِيَارُ فِي «عَمَّرُو» النَّصْبِ، لِأَنَّ الْمَصْدَرَ فَعَلٌ وَفَاعِلٌ (١)، وَإِنَّمَا أَنْتَ الْمَصْنُفُ ضَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: مَذْكَرٌ؛ لَوْصِفَهُ بِالطَّيِّبِ؛ لِأَنَّهُ اعْتَبَرَ الْكَثْرَةَ فِي الْجِنْسِ.

قَالَ شَارِحُ «الْإِيضَاحِ» لِأَبِي عَلِيٍّ (٢): الْكَلِمَةُ: جَمْعُ كَلِمَةٍ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، وَإِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْجَمْعِ مَجَازًا، وَهِيَ: كَثْمَرٌ وَتَمْرَةٌ، وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّيغِ الَّتِي يَبِينُ جَمْعُهَا وَوَاحِدُهَا «الْهَاءُ».

ثُمَّ إِنَّهُ لَوْ كَانَ جَمْعًا لَمْ يَخْلُ إِذَا أَنْ يَكُونَ: جَمْعٌ صَحِيحٌ، وَلَيْسَ بِهِ، لِكَوْنِهِ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ وَالْأَلْفِ وَالتَّاءِ، أَوْ جَمْعٌ تَكْسِيرٍ، وَلَيْسَ بِهِ أَيْضًا، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْكَسِرَ فِيهِ الْوَاحِدُ، وَالْكَلِمَةُ لَمْ يَتَغَيَّرْ نَظْمُهَا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ فِي وَاحِدِهِ، وَهُوَ كَلِمَةٌ، فَوَضَّحَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَمْعٍ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ جَمْعًا وَهُوَ يَفِيدُ الْكَثْرَةَ عَلِمْنَا أَنَّ إِفَادَةَ الْكَثْرَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ جِنْسٌ.

قَوْلُهُ: (فَحَيَّاهَا وَجَهَ الرَّحْمَنَ)، اسْتِعَارَةٌ مِنْ اسْتِقْبَالِ الْمُحَيَّاهَا وَهُوَ الْوَجْهَ، وَمِنْهُ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ.

النِّهَايَةُ: وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ لِأَدَمَ: حَيَّاكَ اللَّهُ» (٣) مَعْنَاهُ: أَبْقَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ اسْتِقْبَالِ الْمُحَيَّاهَا - وَهُوَ الْوَجْهَ - مِنَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ.

(١) «كشَفُ الْمَشْكَلاتِ» لِلْباقُولِيِّ (٢: ١١٠٦).

(٢) يَعْنِي الْفَارِسِيَّ. وَلِتَهَامِ الْفَائِدَةُ انظُرْ: «الْمُقْتَصِدُ فِي شَرْحِ الْإِيضَاحِ» لِعَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيِّ (١: ٦٨).

(٣) أَخْرَجَهُ هَذَا اللَّفْظُ: «حَيَّاكَ اللَّهُ»؛ الطَّبْرِيُّ (٨: ٣٢٥) وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، انظُرْ: «الدرُ الْمُنْتَوَرُ» (٣: ٦٣).

ولا يَقْبَلُ قَوْلًا وَلَا عَمَلًا إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَقْبَلُ قَوْلًا وَعَمَلًا وَنِيَّةً إِلَّا بِإِصَابَةِ السَّنَةِ». وَعَنْ ابْنِ الْمُفْتَعِ: قَوْلُ بِلَا عَمَلٍ كَثْرِيْدٌ بِلَا دَسَمٍ، وَسَحَابٌ بِلَا مَطَرٍ، وَقَوْسٌ بِلَا وَتَرٍ. وَقُرِي: (إِلَيْهِ يُصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. وَ(إِلَيْهِ يُصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ، مِنْ: أَصْعَدَ. وَالْمُصْعِدُ: هُوَ الرَّجُلُ، أَيْ: يُصْعَدُ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَإِلَيْهِ يُصْعَدُ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ. وَقُرِي: (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)، بِنَصْبِ الْعَمَلِ وَالرَّافِعِ الْكَلِمَ أَوْ اللَّهُ عِزَّ وَعَلَا. فَإِنْ قُلْتَ: مَكْرَرٌ: فَعَلٌ غَيْرٌ مُتَعَدِّ، لَا يُقَالُ: مَكْرَرٌ فَلَانٌ عَمَلُهُ، فِيمَ نَصَبَ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾؟ قُلْتُ: هَذِهِ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ، أَوْ لِمَا فِي حُكْمِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، أَصْلُهُ وَالَّذِينَ مَكَّرُوا الْمَكْرَاتِ السَّيِّئَاتِ، أَوْ أَصْنَافَ الْمَكْرِ السَّيِّئَاتِ، وَعُنِيَ بِهِنَّ مَكْرَاتُ قُرَيْشٍ حِينَ اجْتَمَعُوا.....

قوله: (ولا يقبل قولاً وعملاً إلا بنية)، يُمكنُ أن يكونَ تعريضاً بأهلِ الرياء. قيل: إنَّ قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ فيهم.

نقل الإمامُ في «تفسيره» عن الأستاذِ أبي عليِّ الدِّقَاقِ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: عَلَامَةٌ أَنَّ الْحَقَّ - عِزَّ اسْمُهُ - رَفَعَ عَمَلَكَ: أَنْ لَا يَبْقَى عِنْدَكَ، فَإِنْ بَقِيَ عَمَلُكَ فِي نَظْرِكَ فَهُوَ مَدْفُوعٌ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مَعَكَ فَهُوَ مَرْفُوعٌ<sup>(١)</sup>.

قوله: (إلا بإصابة السنة)، وفيه مَسْحَةٌ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَالْإِصَابَةُ هُنَا بِمَعْنَى الْمُنَاوَلَةِ وَمَتَابَعَتِهَا.

النهاية: «يُصَيِّونَ مَا أَصَابَ النَّاسُ»، أَيْ: يَنَالُونَ مَا نَالُوا. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «يُصِيبُ مِنْ بَعْضِ نِسَائِهِ وَهُوَ صَائِمٌ»<sup>(٢)</sup> أَرَادَ التَّقْبِيلَ.

قوله: (وقرئ: «إليه يصعد»<sup>(٣)</sup>)، كَلَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتُ شَوَادِءَ سِوَى ﴿يُصْعَدُ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١: ٤٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٢٩١) والطبراني في «المعجم الصغير» (١٧٢) و«الكبير» (١١: ٣١٩) من حديث

عائشة، وابن خزيمة (٢٠٠٢) من حديث ابن عباس.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣٣٠).

في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يَمْكُرُونَهَا برسول الله ﷺ؛ إما إثباته، أو قتله، أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. ﴿وَمَكَرُوا لِيَكْتُمُوا صَوْلَاتِكَ وَلِيُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة بيور، أي: يكسُدُ ويفسُدُ، دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قلب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعاً، وحقق فيهم قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

[﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ١١]

قوله: (في دار الندوة)، هي الدار التي بناها قضي بمكة كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، يقال: ندوت القوم، أي: جمعهم.

قوله: (إما إثباته)، المغرب: أثبت الجريح: أوهته حتى لا يقدر على الحراك، ومنه قول محمد<sup>(١)</sup>: أثبتته الأول وذفف عليه الثاني، وفي التنزيل: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ليجرحوك جراحة لا تقوم معها<sup>(٢)</sup>.

قوله: (بيور، أي: يكسد)، الأساس: فلان له نوره وعليك بوره، أي: هلاكه. ومن المجاز: باربت البيعات؛ كسدت، وبارت الأرض؛ إذا لم تزرع، وأرض بوار.

وقال الراغب: البوار: فرط الكساد، ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد، كما قيل: كسد حتى فسد، عبّر بالبوار عن الهلاك، قال تعالى: ﴿تَجَحَّرَ لَنْ كَسْبُورٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقلت: ﴿لَنْ كَسْبُورٍ﴾ على هذا ترشيح لاستعارة التجارة بمزاولة الطاعة، وعلى ما في «الأساس» يقرب أن يكون تجريداً لها.

(١) يعني محمد بن الحسن الشيباني، إمام الحنفية المشهور.

(٢) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ١١٣).

(٣) «مفردات القرآن» ص ١٥٢.

﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً، أو ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا، كقوله: ﴿أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٥٠]، وَعَنْ قَتَادَةَ: رَزَّجَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا. ﴿بِعَلِيهِ﴾ في مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي: إِلَّا مَعْلُومَةٌ لَهُ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ: وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ مُعَمَّرًا بِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ. فَإِنْ قُلْتَ: الْإِنْسَانُ إِذَا مُعَمَّرَ، أَي: طَوِيلُ الْعُمُرِ، أَوْ مَقْصُودُ الْعُمُرِ، أَي: قَصِيرُهُ. فَأَمَّا أَنْ يَتَعَاقَبَ عَلَيْهِ التَّعْمِيرُ وَخِلَافُهُ فَمُحَالٌ، فَكَيْفَ صَحَّ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾؟ قُلْتَ: هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُتَسَامِحِ فِيهِ، ثِقَّةٌ فِي تَأْوِيلِهِ بِأَفْهَامِ السَّامِعِينَ، وَاتِّكَالًا عَلَى تَسْدِيدِهِمْ

قَوْلُهُ: (إِلَّا مَعْلُومَةٌ)، أَي: هُوَ حَالٌ مِنْ ﴿أَنْتَى﴾ فاعِلٌ ﴿تَحْمِلُ﴾ و﴿تَضَعُ﴾، و﴿مِنْ﴾ زائدة، لِأَنَّ «مَا» نافية.

فإن قلت: سياق الكلام يقتضي أن يكون حالاً من المحمول والموضوع لأنها مفعولان مُقَدَّرَانِ، والكلام فيهما لا في الأنتى، لقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ و﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

قلت: لا يخلو المُقَدَّرُ أن يكون منوياً أو لا، فإن كان الثاني فلا يقَعُ عنه الحال، وإن كان الأول فإثبات العلم على المحمول والموضوع بإثبات العلم بالحامل والواضع لأجلها أبلغ من إثباته لهما ابتداءً، كما سبق في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَفْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٨]، والذي يقتضيه مقام الخطاب بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ وقوله: ﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ هذا الثاني كما سيجيء.

قوله: (هذا من الكلام المتسامح فيه، ثقة في تأويله بأفهام السامعين) وعن بعضهم: مثاله قول القائل: له عليٌّ درهمٌ ونصفه، فإن الضمير يعود إلى درهم آخر. وفي «المطلع»: قال الفراء: يريد آخر غير الأول فكفى عنه كأنه الأول، لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول، وجزاءً لأمن الإلباس، كأنه قيل: لا يطولُ عُمرُ أحدٍ ولا ينقصُ من عُمرِ أحدٍ، وهذا كما يقال: ما تنعمتُ بلداً ولا اجتويتُه<sup>(١)</sup>، أي: اجتويتُ بلداً آخر.

(١) قوله: «اجتويتُه» بالجيم أي: كرهته؛ ومنه حديث الرجل الذي هاجر إلى المدينة، فاجتواها، فقطع أصابعه من الجزع ومات، انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢: ١٣٠-١٣١).

معناه بعقولهم، وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد، وعليه كلام الناس المستفيض؛ يقولون: لا يُثيبُ اللهُ عبداً، ولا يُعاقبه إلا بحق. وما تنعمتُ بِلداً ولا اجتويته إلا قل فيه ثوابي. وفيه تأويل آخر: .....

الجوهري: النعمة بالفتح: التنعم، يقال: نعمة الله فتنعم، ويقال: أتيت أرض فلان فتنعمتني: إذا وافقته، واجتويت المقام: إذا كرهت المقام فيه.

قوله: (لا يُثيب اللهُ)، إلى آخره، فيه اعتزال خفي وذلك أن مذهبهم: أن استحقات العقاب بالكبيرة يحبط استحقات الثواب بالطاعة، فعلى هذا لا يجتمع الثواب والعقاب في شخص واحد، وأما عند أهل السنة فلا يبعد ذلك، لأن أهل النار من العاصين لا يُخلدون فيها.

وقال القاضي: المعنى: ما يمد من عمر بصيرة إلى الكبر ولا يُقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصاً، والضمير له وإن لم يُذكر لدلالة مقابله عليه<sup>(١)</sup>. وهذا قريب من الوجه الأول في المعنى.

قوله: (وفيه تأويل آخر)، إلى آخره. وقلت: القول الجامع فيه يظهر من بيان النظم والعلم عند الله؛ وذلك أنه عز وجل ذكر في هذه الآية الكريمة سائر أحوال الإنسان وتقلبه في أطوار مختلفة مما هو أصولها ويعرف منه توابعها ولو احقها على مراتب ثلاث كما هو عليه في الوجود، وسلك فيه فن غريب وأسلوب عجيب، حيث أخرج في جمل ثلاث على طريق ينبي عن صفات جلاله وحسن تدبيره من القدرة الكاملة والعلم الشامل وثبوت القضاء والقدر بحسب تلك المراتب، فبدأ أولاً بقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ إظهاراً لتصرفه فيه في تلك الأطوار، وثنى بقوله: ﴿وَمَا تَحْسِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ بياناً للطف علمه ونفوذه فيما هو من أدق أحوال الإنسان من علقة النطفة حين المباشرة واستقرارها في مكانة الرجم، ثم ما تكابد الأنثى من ثقل الحمل ومقاساة شدته وما يجري عليها عند الوضع من وجع المخاض، وما تَلَطَّفَ عليها من الخلاص من

(١) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٥٥).

تلك الورطة المهلكة، وثَلَّث بقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ﴾ على إرادة وما يُعَمَّرُ منكم أيها الإنسان مَنْ يُعَمَّرُ ﴿وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ إثباتاً لقضائه وقَدَرِهِ وأن ما هو من خويصة الإنسان الذي هو أعظم مطالبه ليس إليه بل إلى الله وإلى قضائه، وأنه مُبْتَعٌ عنده لا يزيد ولا ينقص عما هو عليه ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

فَعَلِمَ من قولنا خُوِيصَّةُ الإنسان أن «مُعَمَّرًا» محمولٌ على الجنس، أي: ما مِنْ شأنِهِ أن يُعَمَّرَ وأن يُنْقَضَ من عُمرِهِ وإليه يُنظَرُ قولُ أبي الطيب:

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها أقواتٌ وحشٍ كُنَّ من أقواتها<sup>(١)</sup>

فإن الوحش منها جنسٌ شائعٌ في مأكولِ اللحم وغيره شرعاً؛ ليصحَّ أن يكونَ قوتاً للإنسان، والإنسانُ له أخرى وإلا لزمَ أن يكونَ الأكلُ عَيْنَ المأكول، ولأنَّ عودَ الضميرِ من «كُنَّ» إلى الوحشِ يوجبُ أن يكونَ جنساً.

وإما بمعنى الزيادة في العمرِ بالصدقةِ وصلَّةِ الرِّجَمِ على ما وردَ عليه الألفاظُ النبويةُ فبيانٌ وإعلامٌ لما قَدَّرَ في الكتابِ من مدِّ العمرِ ونقصانه وما يتَّصلُ بهما من الأسبابِ المُثَبِّتَةِ فيه وينصرُّه ما روَّينا عن الترمذي عن أبي خزيمة قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أرايتَ رُقي تَسْتَرِقي بها، ودواءً تَنَدَاوى بها، وتقاةً تَنَقِّيها هل تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئاً؟ قال: «هو مِنْ قَدَرِ الله»<sup>(٢)</sup>.

وأما معنى قولِ كعب: فهو أنَّ عمرَ رضيَّ الله عنه لو دَعَا الله ووافقَه القَدْرُ لأخَّرَ في أَجَلِهِ لأنه كانَ رفيعَ القَدْرِ مُستجابَ الدعوة. ونَحْوُهُ ما روَى البخاريُّ ومُسلمٌ وأبو داودَ والنسائي عن أنس بن مالك: أنَّ الرُّبِيعَ عَمَّتَهُ كَسَرَتْ نَبِيَّةً جاريةً فطلبوا إليها العَفْوَ فأبوا، فَعَرَضُوا الأَرْضَ، فَأَتَوْا رسولَ الله ﷺ وأبوا إلا القِصاصَ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ بالقِصاصِ، فقال أنسُ ابنُ النَّضْرِ: يا رسولَ الله أَتُكْسَرُ نَبِيَّةُ الرُّبِيعِ؟! لا والذي بعثك بالحقِّ لا تُكْسَرُ

(١) انظر: «ديوان المتنبي» بشرح الواحدي (١: ١٤١). والمقانب: جمعُ مِقْنَبٍ وهي جماعة الخليل.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٦٥) وابن ماجه (٣٤٣٧) وأحمد (١٥٤٧٢). وقال الترمذي: هذا حديثٌ

ثَبِّتُهَا. فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس، أليس كتاب الله القصاصُ؟ فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ»<sup>(١)</sup>، هذه رواية البخاري، وروى مسلمٌ قريباً منه.

وأما قوله: فقد قال: ﴿وَمَا يَعْزُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ في جواب من قال: أليس قد قال الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فتفسيره ما روى محيي السنة في «المعالم» بعد هذا المذكور في «الكشاف»: فقيل له: إن الله يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فقال: هذا إذا حضر الأجل، فأما ما قبل ذلك فيجوز أن يُزَادَ وَيُنْقَصَ، وقرأ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وروى الشيخ محيي الدين في «شرح صحيح مسلم»<sup>(٣)</sup> عن بعض العلماء أنه قال: قد تقررَ بالدلائل القاطعة أن الله تعالى عالمٌ بالأجالِ والأرزاقِ وغيرها، وحقيقة العلم: معرفةُ المعلوم على ما هو به، فإذا علمَ الله تعالى أن زيدا يموتُ سنةً خمس مئة استحالَ أن يموتَ قبلها أو بعدها، فاستحالَ أن الأجالَ التي عليها علمُ الله أن تزيدَ أو تنقصَ، فتعيَّن تأويلُ الزيادةِ أتمها بالنسبةِ إلى ملكِ الموتِ أو غيره ممن وكلَّ بقبضِ الأرواحِ وأمره بأجالٍ محدودة، فإنه تعالى بعد أن يأمره بذلك أو يثبت في اللوح المحفوظ ينقصُ منه أو يزيدُ على ما سبقَ به علمُه في كلِّ شيء، وهو معنى قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، وعلى ما ذكرناه يُحمَلُ قوله: ﴿تُعَرِّضُ أَجَلًا وَآجَلًا مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢].

وقال الراغب: القضاءُ من الله أخصُّ من القدر؛ لأنه الفضلُ بين التقدير، والقدر هو التقدير، والقضاء هو التفصيلُ والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدرَ بمنزلة المَعْدِّ للكَيْلِ، والقضاء بمنزلة الكيل، ولهذا قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنها لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: أتفرُّ من القضاء؟ قال: أفرُّ من قضاءِ الله إلى قدرِ الله، تنبيهاً على أن القدرَ

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٣) ومسلم (١٦٧٥) وأبو داود (٤٥٩٥) والنسائي (٤٧٥٦).

(٢) «معالم التنزيل» (٤١٦: ٦).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢١٣: ١٦).



وهو أنه لا يطولُ عمرُ إنسانٍ ولا يُقصرُ إلا في كتابٍ، وصورته: أن يُكتبَ في اللوح: إن حجَّ فلانٌ أو غزا فعمره أربعون سنة، وإن حجَّ وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمعَ بينها فبلغَ الستين فقد عمّر. وإذا أفرَدَ أحدهما فلم يُتجاوزَ به الأربعون، فقد نُقِصَ من عمره الذي هو الغاية، وهو الستون. وإليه أشارَ رسولُ الله ﷺ في قوله: «إن الصدقةَ والصلةَ تعمرانِ الديارَ، وتزيدانِ في الأعمارِ» وعن كعب: أنه قال حين طعنَ عمرُ رضيَ اللهُ عنه: لو أن عمرَ دعا اللهُ لأخرَ في أجله، فقيلَ لكعب: أليس قد قال اللهُ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]؟ قال: فقد

ما لم يكن قضاءً فمرجواً أن يدفعه اللهُ فإذا قضِيَ فلا مدفعَ له ويشهدُ لذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]، وقوله: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، تنبئها على أنه صار بحيث لا يُمكنُ تلافيه<sup>(١)</sup>.

وقلت: ذكر صاحبُ «التاريخ الكامل»<sup>(٢)</sup>: أن عمرَ بن الخطاب رضيَ اللهُ عنه قَدِمَ الشامَ، فلما كان بسُرغ لقيه أمراءُ الأجنادِ فيهم أبو عبيدة بن الجراح، فأخبروه بالوباءِ وشِدته، وكان معه المهاجرون والأنصار فاستشارهم فاختلَفوا عليه، فنادى عمرُ في الناس: إني مُضْبِعٌ على ظَهري، فقال أبو عبيدة: أفراراً من قَدْرِ اللهِ تعالى؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم نَفِرُ من قَدْرِ اللهِ إلى قَدْرِ اللهِ، أرأيتَ لو كان لك إِبِلٌ فهبطتَ وادياً له عُذوتان: إحداهما: خِضْبَةٌ، والأخرى: جَذْبَةٌ، أليس إن رعيتَها الخِضْبَةَ رعيتها بقَدْرِ اللهِ، وإن رعيتَ الجَذْبَةَ رعيتها بقَدْرِ اللهِ تعالى، فسمعَ بهم عبدُ الرحمن بن عوف فأخبره أن النبي ﷺ قال: «إذا سَمِعْتُمْ بهذا الوباءِ ببلدٍ فلا تخرجوا فراراً منه» فانصرفَ عمرُ بالناسِ إلى المدينة.

والروايةُ الأخيرةُ أخرجهَا البخاريُّ ومسلم<sup>(٣)</sup> في «صحيحَيْهِمَا»، والأولى مختصرةٌ من «صحيحِ البخاري» عن ابن عباس.

(١) «مفردات القرآن» ص ٦٧٥.

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢: ٣٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩)، من حديث ابن عباس رضي اللهُ عنهما.

قَالَ اللهُ: ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾. وقد استفاض على الألسنة: أطال الله بقاءك، وفسح في مدتك، وما أشبهه. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: يُكْتَبُ في الصَّحِيفَةِ: عمره كذا وكذا سنة، ثم يُكْتَبُ في أسفل ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، حتى يأتي على آخره. وعن قتادة: المعمر من بلغ الستين سنة، والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة. والكتاب: اللوح. عن ابن عباس رضي الله عنهما: ويجوز أن يُراد بكتاب الله علم الله، أو صحيفة الإنسان. وقرئ: (ولا ينقص) على تسمية الفاعل. (من عمره) بالتخفيف.

[﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَبَنًا مِنْ فُضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٢]

ضَرَبَ الْبَحْرَيْنِ - الْعَذْبُ وَالْمِلْحُ - مَثَلَيْنِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، ثُمَّ قَالَ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِطْرَادِ فِي صِفَةِ الْبَحْرَيْنِ وَمَا عُلِقَ بِهِمَا مِنْ نِعْمَتِهِ وَعَطَائِهِ: ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾، أَي: وَمِنْ كُلِّ كَلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: وَهُوَ السَّمَكُ، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلِيَّةً﴾:

قوله: (العذب والملح)، الراغب: الملح: الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد، ويُقال له: ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد، فيقال: ماء ملح، وقلما تقول العرب: ماء ملح، قال تعالى: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، وملح القدر: ألقبت فيها الملح، ثم استعير من لفظ الملح الملاحه، فقيل: رجلٌ مليحٌ وذلك راجعٌ إلى حسنٍ يغمض إدراكه<sup>(١)</sup>.

قوله: (على سبيل الاستطراد)، عن بعضهم: وذلك لأنه لما ضرب البحر الملح مثلاً للكافر وكان لا يناسب وصفه بما يشعر بمدحه؛ لأنه في معرض الدم، استعذر بأنه على سبيل الاستطراد، مثاله: أن يذهب الرجل إلى موضع مخصوص صائداً، فيعرض له صيدٌ آخر، فاشتغل به، فأعرض عن الصيد الأول، وفيه بحث.

(١) «مفردات القرآن»: ٧٧٤.

وهي اللؤلؤ والمرجان. ﴿وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ﴾: في كلِّ ﴿مَوَاحِرَ﴾: شواقٍ للماءِ بجريها، يقال: مَحَرَّتِ السَّفِينَةُ الماءَ. ويقال للسحاب: بنات مَحْرٍ، لأنها تَمَحَرُّ الهواءَ. والسَّفْنُ الذي اشْتَقَّتْ منه السَّفِينَةُ قَرِيبٌ مِنَ الْمَحْرِ؛ لأنها تَسْفِنُ الماءَ كأنها تَقْسِرُهُ كما تَمَحَرُّه. ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: من فَضْلِ اللهِ، ولم يَجِرْ له ذِكْرٌ في الآية، ولكن فيما قَبَلَهَا، ولو لم يَجِرْ لم يُشْكَلْ؛ لدلالة المعنى عليه. وحَرْفُ الرَّجَاءِ مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى الْإِرَادَةِ، أَلَا تَرَى كَيْفَ سُلِّكَ بِهِ مَسَلِّكَ لَامِ التَّعْلِيلِ، كَأَنَّهَا قِيلَ: لَتَبْتَغُوا، وَلَتَشْكُرُوا. وَالْفِرَاتُ: الَّذِي يَكْسِرُ الْعَطَشَ. وَالسَّائِعُ: الْمَرِيءُ السَّهْلُ الْإِنْحِدَارِ لِعَذُوبِيَّتِهِ. وَقُرَى: (سَيْغ) بوزن سيد،

قوله: (بنات مَحْرٍ)، عن بعضهم: بنات مَحْرٍ: سحائب رِقاأٍ بيضٌ ينشأن في أيام الربيع، ويقال: بنات بَحْرٍ، بالباءِ والحاءِ المهملة؛ لأن معناه الشَّقُّ، يقال: شَقَّه، أي: قَسَرَهُ، وَالسَّفْنُ: الَّذِي اشْتَقَّتْ مِنْهُ السَّفِينَةُ.

الجوهري: السَّفْنُ: مَا يُنْحَتُ بِهِ الشَّيْءُ، قَالَ:

وَأَنْتَ فِي كَفِّكَ الْمِرْبَاةُ وَالسَّفْنُ

أي: أَنْتَ نَجَّارٌ.

وفي «الأساس»: بَرَى الْعُودَ بِالسَّفْنِ، وَهُوَ مِرْبَاةُ السُّهَامِ، وَمِنْهُ السَّفِينَةُ؛ لِأَنَّهَا تَسْفِنُ الْمَاءَ كَمَا تَمَحَرُّهُ.

قوله: (وحرف الرجاء مستعار لمعنى الإرادة)، أو هو تمثيلٌ، شَبَّهَ مَعَامَلَتَهُ مَعَ الْمُكَلَّفِينَ فِيهَا مَنْحَهُمْ مِنَ الْإِخْتِبَارِ الظَّاهِرِ وَابْتِلَائِهِمْ بِالْبَلْوَى بِصُورَةٍ مَنْ يَرْجُو وَيَأْمَلُ، وَإِنَّمَا خُولِفَ بَيْنَ الْمُعْطُوفِ وَالْمُعْطُوفِ عَلَيْهِ، أَي: ﴿تَبْتَغُوا﴾ و﴿لَمَلَكْكُمْ﴾، لِيُؤْذَنَ بِأَنَّ الْمِرَادَةَ بِالشُّكْرِ: الْعِبَادَةُ وَالتَّقْوَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَلَكْتُ لِنَفْسِي﴾ و﴿لَمَلَكْتُكُمْ تَرْحَمُونَ﴾، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ابْتِغَاءُ الْفَضْلِ، فَجَاءَ أَنْ يُجَاءَ فِي كُلِّ بَإِ يَنَاسِبُهُ.

قوله: (والفرات: الذي يكسر العطش)، الراغب: الفرات: الماء العذب. يقال للواحد

و(سَيْغ) بالتخفيف؛ و(مَلَح): على فَعِل. والأجاج: الذي يُحْرِقُ بملوحته. ويَحْتَمَلُ  
غَيْرَ طَرِيقَةٍ الاستطراد: وهو أن يُشَبَّهَ الجنسَيْنِ بالبحرَيْنِ، ثم يُفْضَلُ البحرَ الأجاجَ

والجمع<sup>(١)</sup>. والأجاجُ: شديدُ الملوحة والحرارة، من قولهم: أجاج النار وأجتها، وقد  
أجَّت، واتيح النهار، ويأجوجُ وماجوجُ منه شُبَّهوا بالنار المضطربة والمياه المتوجهة؛ لكثرة  
اضطرابهم، وأج الظلم: إذا عدا أجاجاً تشبيهاً بأجاج النار<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ويحتملُ غيرَ طريقة الاستطراد)، وفي اتصال ﴿وَمِن كُلِّ تَأْكُوتٍ﴾ بما قبله وجوه:

أحدها: أن يكونَ مُستطرداً وذلك إذا لم يُنظر إلى التمثيلِ أي: المُثَلِّ والمُثَلُّ به بل  
إلى نفس المُثَلِّ به فلما قيل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ أوردَ قوله: ﴿وَمِن كُلِّ تَأْكُوتٍ لَحْمًا  
طَرِيحًا﴾ في الذكر من غيرِ قَصْد، ولما كان له نوعٌ تعلقُ بأصلِ الكلامِ أي: ما عطفَ عليه  
وهو المُثَلُّ به بالواو.

وثانيها: أن يكونَ ترشيحاً للاستعارة، لأنه تفرُّعٌ على المستعار منه بعد الفراغ من  
الاستعارة، ومُصَحِّحُه خَلَقَ النفع في المُشَبَّه دون المُشَبَّه به، وموقعُه موقعُ التميمِ صيانةً لحقِّ  
البحرِ لأنَّ في تشبيه الكافرِ بالبحرِ المالح إيداناً بهضمِ جانبه، وهو المراد من قوله: أن يُشَبَّهَ  
الجنسَيْنِ بالبحرَيْنِ، ثم يُفْضَلُ البحرَ الأجاجَ على الكافرِ. نظيره في الاستدراك صيانةً قوله:  
﴿وَلَنْ مِنَ الْحَاجِرَةِ لَمَا يَنْفَجِرُ مِنْهُ إِلَّا نَهْرٌ﴾ [البقرة: ٧٤].

وثالثها: أن يكونَ من تَمَمَةِ التمثيلِ: إمَّا مُرَكَّبٌ وَهْمِي، أو مُرَكَّبٌ عَقْلِي، وعلى الأولِ  
كَانَ مُفْرَدًا عَقْلِيًّا.

قال القاضي: وهو استطرادٌ أو هو تمامُ التمثيلِ. والمعنى: كما أنها وإن اشتركا في بعض  
الفوائد لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات؛ لأنه خالط أحد المائين ما أفسده وغيَّرَ من  
كمالِ فطرته، وكذا لا يساوي المؤمنُ الكافرَ وإن اتفقَ اشتراكهما في بعض الصفاتِ

(١) «مفردات القرآن» ص ٦٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٦٤.

على الكافر؛ بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ، وجري الفلك فيه، والكافر خلّو من النفع، فهو في طريقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

[﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ١٣]

﴿ذَلِكَكُمْ﴾ مبتدأ، و﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ أخبار مترادفة. أو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خبران، و﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ جملة مبتدأة واقعة في قران قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم

كالشجاعة والسخاوة والعفة<sup>(١)</sup>، لاختلافها فيما هو الخاصية العظمى وبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ جملة مبتدأة واقعة في قران قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، وعلى الأول داخل في حيز الحكم المعلل، أي: ذلكم الموصوف بتلك الصفات التي أجريت عليه مستحق؛ لأن يُعبد ويُتخذ مالكا، ويخص بالعبادة دون الغير، فقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ عطف على<sup>(٣)</sup>: ﴿ذَلِكَكُمْ اللَّهُ﴾ وعلى الثاني قوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ يكون مستأنفا مقررًا للجمل السابقة من قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾، ويكون قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ حالاً من الضمير المستقر في الظرف.

(١) زيادة من كلام الطيبي.

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٥٦).

(٣) من قوله: «أي: ذلكم الموصوف بتلك الصفات» إلى هنا سقط من (ح).

الإشارة، أو عطف بيان، و﴿رَبُّكُمْ﴾ خبراً لولا أن المعنى ياباه. والقَطْمِير: لفافة التّوأة؛ وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها.

[﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ ١٤]

إِنْ تَدْعُوا الْأَوْثَانَ ﴿لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾؛ لأنهم جماد ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ على سبيل الفرض والتمثيل لـ ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾؛ لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية، ويتبرؤون منها. وقيل: ما نفعوكم: ﴿يَكْفُرُونَ بِشْرِكِكُمْ﴾. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾: ولا يُخْبِرُكَ بالأمر مُخْبِرٌ هو مثلُ خبيرٍ عالم به. يريد: أَنَّ الخبير بالأمر وَخَدَهُ هو الذي يُخْبِرُكَ بالحقيقة دون سائر المُخْبِرِينَ به. والمعنى: أَنَّ هذا الذي أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ حَالِ

قوله: (لولا أن المعنى ياباه)، عن بعضهم: إنما ياباه؛ لأن ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ إشارة إلى معلوم سبق ذكره، وكونه صفة أو عطف بيان يقتضي أن يكون فيما سبق ضرب إبهام، وفيه نظر بحسب كونه صفة، وأما جعله عطف بيان ففيه تخيل للشركة، ألا ترى إذا قلت: ذلك الرجل سيّدك، ففيه نوع شركة؛ لأن «ذا» اسمٌ مُبْهِمٌ ثم تُبَيِّنُهُ.

وقلت: ويُمكنُ أن يقال: إنَّ المشار إليه باسم الإشارة ما سبق، كما قررناه آنفاً، ولو جعل موصوفاً أو مُبَيَّنّاً لكان المشار إليه ما بعده، فلا يبقى ذلك الترتيب المُعتبر، وهو أن ما قبله جديرٌ بما بعده لأجل إجراء تلك الصفات عليه، إذ المعنى: ذلك الموصوفُ بتلك الصفات المُميّزة والنعوت الكاملة هو المعبود المستحق للعبادة المالك المُتفردُ بالإلهية، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، وفيه: أن ليس كل ما يصحُّ إعراباً كان وجهاً؛ لأن الإعراب تابعٌ للمعاني ولا ينعكس.

قوله: (وقيل: ما نفعوكم)، عطف على قوله: ﴿لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ لأنهم جماد، أي: ما نفعوكم لعدم قدرتهم على شيء، وذلك أن المراد بالدعاء طلب النفع.

قوله: (يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة)، هذا الاختصاص يُفيدُه

الأوثان هو الحق؛ لأنني خبيرٌ بما أخبرتُ به. وقرئ: ﴿تَدْعُونَ﴾، بالبناء والياء.

[﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ \* إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٥-١٧﴾]

فإن قلت: لم عرّف الفقراء؟ قلت: قصدتُ بذلك أن يُريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنسُ الفقراء، وإن كانت الخلائقُ كلُّهم مُفتقرين إليه من الناس وغيرهم؛ لأنَّ

لفظُ ﴿مِثْلُ﴾، ووَضَعُ ﴿خَبِيرٌ﴾ موضعَ الْمُضْمَرِ، قال محيي السُّنَّة: ﴿وَلَا يُبْنِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يُبْنِتُكَ أَحَدٌ مِثْلِي خَبِيرٌ<sup>(١)</sup>.

وقلت: نظيره ما إذا أخبرك بالأمرِ مُخْبِرٌ صادقٌ مُتَقِنٌ في الأمور، ثم قال بعده: ما يُخْبِرُكَ به مِثْلُ خَبِيرٍ، أي: مثلي، يعني: أنا مُتَخَصِّصٌ به فلا تسأل عن غيري، فالمعنى: لا يُخْبِرُكَ بِالْأَمْرِ مُخْبِرٌ هو مِثْلُ الْخَبِيرِ الْعَالِمِ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَعْرَبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

قوله: ﴿وَقُرِّي﴾: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالبناء والياء)، بالبناء الفوقانية: العامة، والياء: شاذة.

قوله: (أن يُريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنسُ الفقراء)، يريد: أنه تعالى أوقع الفقراء خبراً لـ ﴿أَنْتُمْ﴾ وهو محلى بلام الجنس وهو يفيد الاختصاص، وأن غيرهم من المخلوقات ليس كذلك، وليس كذلك؛ لأن الخلائق كلُّهم مُفتَقرون إليه، لكن سلك فيه المبالغة وأن افتقار غيرهم بالنسبة إلى افتقارهم كلاً افتقار، وإليه الإشارة بقوله: «وإن كانت الخلائقُ كلُّهم مُفتقرين إليه».

قال صاحب «الفرائد»: الوجه أن يُقال - والله أعلم - المرادُ النَّاسُ وغيرهم، وهو على طريقة تغليب الحاضر على الغائب وأولي العلم على غيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ [الصفات: ١١]، يريدُ أُولِي الْعَقْلِ وغيرهم، وهو كما أن واحداً من

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٤١٧).

الفقر مما يتبع الضعف، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر، وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤]؛ ولو نكر لكان المعنى: أنتم بعض الفقراء. فإن قلت: قد قيل ﴿الْفُقَرَاءُ﴾ بـ ﴿الْفَقْرِ﴾، فما فائدة ﴿الْحَمِيدُ﴾؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم، وليس كل غني نافعاً بغناه إلا إذا كان الغني جواداً مُنعمًا، فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم، واستحق عليهم الحمد.....

القوم حاضرٌ وهو زيد، وبقيةًهم غيرُ حاضرين فقال له مَنْ هو حاكمٌ على القوم بعد أن عدَّ عليه نعمته في حق القوم وأظهر أنهم لا يمثلون أمره ولا يتمتعون عما ناه: يا زيد أنتم المحتاجون إليّ في حصولِ فائدةٍ ما أمرتكم به وحصولِ فائدةٍ ما نهيتكم عنه، وفي غيرهما من كل الوجوه، لا أنا محتاجٌ إليكم في حصولِ فائدتهما أو في شيءٍ غيرهما، لأنني غنيٌّ على الإطلاق، حميدٌ على الإطلاق<sup>(١)</sup>، لا يرجعُ إليّ نفعٌ من أمثالكم ولا مدمّةٌ من تقصيركم، وبعضهم غيرُ مأمورٍ وغيرُ منهيٍّ، إلا أن الكلَّ مُفتقرٌ إليه من جميع الوجوه، وهو غنيٌّ عن الكلِّ بجميع الوجوه، وهو الذي أراد من قوله: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ والله الهادي.

وقلت: الذي يقتضيه النظم - والله أعلم -: أن يُحمَلَ التعريفُ في ﴿النَّاسُ﴾ على العهد، وفي ﴿الْفُقَرَاءُ﴾ على الجنس؛ لأنَّ المخاطبين هم الذين خوطبوا في قوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ أي: ذلکم المعبودُ وهو الذي وُصِفَ بصفاتِ الجلالِ لا الذين تدعون من دونه، وأنتم أشدُّ الخلاقِ احتياجاً إليه، وهو غنيٌّ عنكم وعن عبادتكم؛ لأنه حميدٌ له عبادٌ يحمَدونه وإن لم تحمدوه أنتم، وهو المراد من قوله: «الحميد على السنة مؤمنهم»، ويؤيده قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وتفسيره بقوله: وهذا غضبٌ عليهم لا تخاذم لهم أنداداً، ولأنَّ القصدَ من الإيرادِ إظهارُ كمالِ استغنائهم عما يدعون من دونِ الله وكمالِ افتقارهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وغاية عجزهم وعظم قدرته.

(١) قوله: «حميد على الإطلاق» سقط من (ط).



ذَكَرَ الْحَمِيدَ؛ لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ الْغَنِيُّ النَّافِعُ بِغِنَاهُ خَلَقَهُ الْجَوَادُ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ، الْمُسْتَحِقُّ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْمَدُوهُ. ﴿الْحَمِيدُ﴾ عَلَى ألسنة مؤمنينهم. ﴿بِعَزِيزٍ﴾: بِمُتَمَتِّعٍ، وَهَذَا غَضَبٌ عَلَيْهِمْ؛ لِاتِّخَاذِهِمْ لَهُ أُنْدَادًا، وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِهِ، وَمَعَاصِيهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَخْلُقُ بَعْدَكُمْ مَنْ يَعْبدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

[﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلَيْهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ١٨]

الْوِزْرُ وَالْوِزْرُ أَحْوَانٌ؛ وَوَزَّرَ الشَّيْءَ: إِذَا حَمَلَهُ. وَالوَازِرَةُ: صِفَةٌ لِلنَّفْسِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تَحْمِلُ إِلَّا وَزْرَهَا الَّذِي اقْتَرَفَتْهُ، لَا تَوْحَدُ نَفْسٌ بَدَنِبَ نَفْسٍ، كَمَا تَأْخُذُ جِبَابِرَةُ الدُّنْيَا الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ، وَالْجَارَ بِالْجَارِ. فَإِن قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: وَلَا تَزِرُ نَفْسٌ وِزْرَ أُخْرَى؟ وَلَمْ قِيلَ: ﴿وَازِرَةٌ﴾؟ قُلْتُ: لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّ النُّفُوسَ الْوَازِرَاتِ لَا تَرَى مِنْهِنَّ وَاحِدَةً إِلَّا حَامِلَةً وِزْرَهَا، لَا وِزْرَ غَيْرِهَا. فَإِن قُلْتَ: كَيْفَ تَوْفَّقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ

قَوْلِهِ: (ذَكَرَ الْحَمِيدَ؛ لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ الْغَنِيُّ النَّافِعُ بِغِنَاهُ خَلَقَهُ)، وَهُوَ مِنَ التَّكْمِيلِ، كَقَوْلِ كَعْبِ الْغَنَوِيِّ:

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ      مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيْبٌ<sup>(١)</sup>

فَإِنَّهُ رَأَى أَنَّ الْوَصْفَ بِمُجَرَّدِ الْحِلْمِ غَيْرُ وَافٍ، فَكَمَّلَ بِقَوْلِهِ: «فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيْبٌ».

قَوْلُهُ: (لَا تَرَى مِنْهِنَّ وَاحِدَةً إِلَّا حَامِلَةً وِزْرَهَا، لَا وِزْرَ غَيْرِهَا)، هُوَ مِثْلُ قَوْلِكَ: مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ.

(١) لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه، انظر: «التذكرة الحمدونية» (٤: ٢٦٠) و«خزانة الأدب» (١): (٣٧٤).

قوله: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]؟ قلت: تلك الآية في الضالين المضلين، وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم، ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: ١٢]؟ فإن قلت: ما الفرق بين معنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ومعنى ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾؟ قلت: الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه، وأنه تعالى لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها، والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث، حتى أن نفساً قد أثقلتها الأوزار وبهطتها، لو دعت إلى أن يخفف بعض وقبرها لم تُجِبْ ولم تُغث، وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ. فإن قلت: .....

قوله: (ما الفرق بين معنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾) إلى آخره، توجيه السؤال أن يقال: إذا كان معنى الأول: أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها، وكان معنى الثاني: أن النفس المثقلة بذنوبها إن تدع نفساً أخرى وندبت إلى جملها لا تحمِلُ ثقلها رجعا إلى معنى واحد، فما الفرق؟

وأجاب: أن المقصود في الإيراد مفهومهما وإظهار وصفين من أوصاف بارئتهما، دل الأول على ظهور عدل الله، والثاني على ظهور الهيبة والجلال على طريق الكناية، كقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والمقام يقتضيه، لأنه لما قيل: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إظهاراً لغضبه على المشركين، وأنه لا أحد يمتنعهم من إمضاء قهره عليهم، وأتبعه بذكر أهوال يوم القيامة، فدل قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ على عدله وأنه إن أهلكهم فبشؤم عملهم: من كفرهم بآيات الله واتخاذهم له أندادا، لأن من شأن عدله عز وجل أن لا يؤاخذ نفساً إلا بذنبها لا بذنب غيرها، ومن شأن عزته أن لا يمتعه أحد عند صدمات جلاله عما أراد وشاء، وإليه الإشارة بقوله: ﴿بِعَزِيزٍ﴾: بممتنع.

الإلام أسند ﴿كَانَ﴾ في ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾؟ قلت: إلى المدعو المفهوم من قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾. فإن قلت: فلم تُرك ذكر المدعو؟ قلت: ليعم ويشمل كل مدعو. فإن قلت: كيف استقام إضمار العام؟ ولا يصح أن يكون العام ذا قرى للمثقلة. قلت: هو من العموم الكائين على طريق البدل. فإن قلت: ما تقول فيمن قرأ: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ على «كان» التامة، كقوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٩٠]؟ قلت: نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة؛ لأن المعنى على أن المثقلة إن دعت أحداً إلى حملها لا يحمل منه، وإن كان مدعوها ذا قرى، وهو معنى صحيح مُلتئم، ولو قلت: ولو وجد ذو قرى؛ لتفكك وخرج من اتساقه والتثامه، على أن هاهنا ما ساع أن يستتر له

قوله: (الإلام أسند) هذا السؤال والجواب مُستدرَك لقوله آنفاً: «وإن كان المدعو بعض قرابتها».

قوله: (فلم تُرك ذكر المدعو؟)، أي: مفعول ﴿تَدْعُ﴾ في قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾.

قوله: (ليعم ويشمل كل مدعو) أي: ممن يصح أن يدعى نحو المعبود بالحق والجن والإنس، وبما لا يصح أن يدعى مثل الأصنام وغيرها، ولو قُدِّرَ شيء من ذلك لاختص به ولفات العموم المراد.

قوله: (ولا يصح أن يكون العام ذا قرى)، يريد: أن خبر ﴿كَانَ﴾: ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾، فإذا جعل اسمه أعم منه لا يصح حمل عليه. وخلاصة الجواب: أن العام على نوعين: عام على وجه الشمول، وعام على وجه البدل، والمراد هنا الثاني، فيكون المعنى: وإن تدع النفس المثقلة الناس: إما هذا وإما ذلك، لا يحمل منه شيء وإن كان ذلك المدعو ذا قرى.

قوله: (لتفكك وخرج عن<sup>(١)</sup> اتساقه)، لأن الجملة الشرطية كالتميم والمبالغة في أن لا غيات البتة، ولو قُدِّرَ المدعو ذا قرى.

روى محيي السنة: عن ابن عباس: يلقي الأب والأم ابته فيقول: يا بُنَيَّ احمل عني

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «من».

ضميرٌ في الفعل بخلاف ما أوردته. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حالٌ من الفاعل أو المفعول، أي: يخشون ربهم غائبين عن عذابه، أو: يخشون عذابه غائباً عنهم. وقيل: بالغيب في السر. وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ من أصحابه، فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله، وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوا ما مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً. يعني: إنما تقدّر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك، وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم. ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: ومن تطهّر بفعل الطاعات وترك

بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع حسبي ما علي<sup>(١)</sup>. إذ لو قلت: إن تدع النفس المثقلة إلى تخفيف ما عليها لا تجد أحداً يساعده، ولو وجد ذا قرى لا يحسن ذلك الحسن.

قوله: (بخلاف ما أوردته)، يعني: في قوله: ﴿وَلِنْ كَاتِذُوعَسْرَقٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، و«ما» في «ما ساع» بمعنى: الذي. قيل: وفيه نظر، لأنه يجوز أن يقال: وإن كان الغريم ذا عسرة لدلالة السياق. نعم يصح أن يقال: الإضمار هاهنا أولى لدلالة «إن تدع» على المدعو، بخلافه ثمة، لأنه ليس في اللفظ ما يدل على الغريم، ولذلك لم يُقرأ في المشهورة هنا بالرفع وهناك بالنصب.

وعن بعضهم: المعنى أن مسوغ الاستتار هاهنا بخلاف المسوغ في ﴿وَلِنْ كَاتِذُوعَسْرَقٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، لأنه هاهنا جملة اعتراضية فارتبطت بها قبلها، وفي تلك منقطعة عما قبلها، بدليل ذكر جوابه لفظاً وهو ﴿فَنَظَرُهُ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قوله: ﴿إِنَّمَا تَقْدِرُ عَلَىٰ إِذَارِ هَؤُلَاءِ﴾ [وتحذيرهم] من قومك ... دون متمرديهم، إشارة إلى أن بيان مواقع استعماله، لأن «إنما» يستعمل في حكم لا يعوز تحقيقه، ولا يخفى على من به مسكة أن الإنذار إنما يكون إنذاراً ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله والبعث والقيامة وأهوالها، لا مع غيره.

وبيانه: أنه تعالى لما أظهر غضبه على من اتّخذ من دون الله أنداداً بقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ﴾

(١) «معالم التنزيل» (٦: ٤١٧).

المعاصي. وقرئ: (وَمَنْ أَرَكَمِي فَإِنَّا يَرَكَمِي)، وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة؛ لأنها من جملة التزكّي. ﴿وَالِي اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ وعدد للمتزكّين بالشواب. فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ بما قبله؟ قلت: لما غضب عليهم في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أتبعه الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها، ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ كأن رسول الله ﷺ أسمعهم ذلك، فلم ينفع؛ فنزل ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾، أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم.

[﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ \* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ \* إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ١٩ - ٢٣]

يُذْهِبْكُمْ﴾ وأتبعه الإنذار بيوم القيامة وأهوالها التفت إلى حبيبه صلوات الله عليه ناعياً له تمردهم وعنادهم وأن الوعظ لا يُنفع فيهم، لأنهم لا يخافون عقابه لأنهم جهال لا يتفكرون في العاقبة، وإنما يُنفع فيمن يُوقن أنه لا بد من المصير إلى الله فيخشى عقابه وإليه ينظر قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

قوله: (من قومك) أي: من جملة قومك ومن بينهم، قيل: «من» للتبويض، وهو حال إما من قوله: «هؤلاء»: أو من «هم» في «تحذيرهم»، والوجه أن يكون المشار إليه بقوله: «هؤلاء»: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، و«من قومك» بيان لاسم الإشارة حال منه.

وقلت: وإذا جعل «من» تبويضاً، فالظاهر أن «من قومك» بدل من «هؤلاء»، أي: إنما تقدّر على إنذار بعض قومك دون مُتمرّديهم.

قوله: (وقرئ: «وَمَنْ أَرَكَمِي»<sup>(١)</sup>)، أصله: تزكى، أدغم التاء في الزاي، ثم أتى بهمزة الوصل، ثم أسقطت في الدّرج.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣٣٩).

الأعمى والبصيرُ مثلٌ للكافر والمؤمن - كما ضَرَبَ البحرَينِ مثلاً لهما - أو للصنمِ  
والله عزَّ وعلًا، .....

قوله: (الأعمى والبصيرُ مثلٌ للكافر والمؤمن ... أو للصنمِ والله عزَّ وجل)، أي: يجوزُ أن يكونَ المُشَبَّهُ بالأعمى الكافر وأن يكونَ الصنم، وأن يكونَ المُشَبَّهُ بالبصيرِ المؤمن، وأن يكونَ الله تعالى، فعلى الأول: التمثيلُ مردودٌ على التمثيلِ الأول، أي: قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾، وإليه الإشارةُ بقوله: «كما ضَرَبَ البحرَينِ مثلاً لهما»، وعلى الثاني: مَلزوزٌ في قَرْنِ (١) قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، والأولُ أجرى على تأليفِ النظم، فإنه شَبَّهَ أولاً مَنْ آمَنَ بِالْبَحْرِ الْعَذْبِ وَالْكَافِرِ بِالْمَلْحِ الْأَجَاجِ وَبَيَّنَّ فِيهِ عَدَمَ الْإِسْتِوَاءِ، ثُمَّ نَبَّهَ أَنَّ الْكَافِرَ أَدْوَنُ حَالاً مِنَ الْبَحْرِ الْمَلْحِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيحًا﴾ الآية، لأن فيه منافعَ جَمَّةٍ وَالْكَافِرُ خَلُوٌ مِنَ النِّفْعِ، ثُمَّ أَتَى بِتَمَثِيلِ آخَرَ، فَشَبَّهَهُمَا بِالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ فِي الضَّلَالِ وَالْإِهْتِدَاءِ وَشَبَّهَ مَا يَزِدُّهُمَا مِنْ مَتَابَعَةِ الْحَقِّ الَّتِي تَوَرَّثَ الْمُؤْمِنُ الثَّوَابَ وَمِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْبَاطِلِ الَّذِي يُوَدِّي الْكَافِرَ إِلَى الْعِقَابِ بِالظُّلْمَاتِ وَالنُّورِ وَالظَّلِّ وَالْحَرُورِ، ثُمَّ جَعَلَ كُلاًّ مِنَ التَّمَثِيلَيْنِ تَمْهِيداً وَتَوَطُّعَةً لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾؛ لأن المراد بالأحياء: المؤمنون الذين دَخَلُوا فِي دَارِ السَّلَامِ، وَانْتَفَعُوا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَبِالْأَمْوَاتِ: الَّذِينَ بَقُوا خَارِجِينَ عَنِ دَارِ أَمَانِ الدَّعْوَةِ، وَلَمْ يَرَفَعُوا رَأْساً وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «وَالْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ مَثَلٌ لِلَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِيهِ وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ».

وفهم من هذا التقرير: أن التعريفَ في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ وفي قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ للجنس، وفي: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ للعهد، وأن المقصودَ الأولي في الإيرادِ هذا التمثيلُ الثالث، ولهذا كَرَّرَ ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾، وأكدَ النفيَ بتكريرِ «لا»، وعلَّله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ مُسَلِّياً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وإقناظاً له من إيمانِ المُصْرِّينَ وإيداناً بأنَّ الهادي والمُضِلَّ هو الله سبحانه وتعالى. يعني: أن

(١) هذا كالمستفاد من قول جرير:

لم يستطع صَوْلَةُ البُرْلِ القناعيس

وابنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنِ

وَالظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ وَالظَّلُّ وَالْحَرُورُ: مَثَلَانِ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمَا يُؤَدِّيانِ إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ

الذي تعلقت مشيئة الله وإرادته بإسلامه كالأحياء فانتفع بدعوتك وانتجع<sup>(١)</sup> فيه وعظك، ومن تعلقت مشيئته بضلالته كالموتى فلا ينتفع بوعظك، فكلُّ ميسرٍ لما خلق له، فلا تهالك أنت في إسلام من يريد الله إضلاله فما أنت بمُسمعٍ للموتى.

هذا تقريرٌ واردٌ على مذهب أهل السنة، وهو ظاهرٌ مطابقٌ للآية.

وأما المصنّف فأراد بقوله: «فِيهْدِي الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْهُدَايَةَ تَنْفَعُ فِيهِ، وَيُخْذَلُ مَنْ عَلِمَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِيهِ» تقريرَ مذهبه، وهو كما ترى مُتَعَسِّفٌ من حيثُ النظم، على أنه يؤدّي إلى أن تكون مشيئة الله تابعةً لفعل العبد.

وقال القاضي: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين، أبلغ من الأول، ولذلك كرر الفعل. وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ترشيح لتمثيل المصيرين على الكفر بالأموات ومبالغة في إقناطه عنهم<sup>(٢)</sup>.

وقلت: في التمثيلات الثلاث ترقى من الأهون إلى الأغلظ وفي كل منها تفرغ على الأصل: بنى على البحرين اللحم الطري وجريان الفلك وعلى الأعمى والبصير: الظلمات والنور وعلى الأحياء والأموات: استماع الحق وعدمه.

قوله: (وَالظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ وَالظَّلُّ وَالْحَرُورُ: مَثَلَانِ)، اعلم أن «لا» في: ﴿وَلَا النُّورُ﴾ و﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾ مزيدة، لأن المعنى: الظلمات لا تُساوي النور، وليس المراد أن النور في نفسه لا يستوي، وكذلك في: ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾، قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤]: إن الحسنه والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، فخذ بالحسنه التي هي أحسن من أختها<sup>(٣)</sup>، وقيل: «لا» مزيدة، والمعنى: ولا تستوي الحسنه والسيئة، وهنا ليس المعنى: على

(١) كذا في النسخ الخطية، والأشبه بالصواب: «وتجع». انظر: «القاموس المحيط» (نجم).

(٢) «أنوار التنزيل» (٤: ٢٥٧).

(٣) انظر: «الكشاف» (١٣: ٦٠٨).

والعقاب. والأحياء والأموات: مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه، وأصروا على الكفر. والحرور: السموم؛ إلا أن السموم تكون بالنهار، والحرور بالليل والنهار. وقيل: بالليل خاصة. فإن قلت: «لا» المقرونة بواو العطف ما هي؟ قلت: إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها؛ لتأكيد معنى النفي. فإن قلت: هل من فرق بين هذه الواوات؟ قلت: بعضها ضمت شفعاً إلى شفع، وبعضها وترأ إلى وتر. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾: يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه، فيهدي الذي قد علم أن الهداية تنفع فيه، ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه. وأما أنت فخفي عليك أمرهم؛ فلذلك تحرض وتتهالك على إسلام قوم من المخدولين، ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين ويُنذر، وذلك ما لا سبيل إليه، ثم قال: ﴿إِنَّ

أَنَّ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ مَثَلًا مَّتَّفَاوِتَانِ فَمِن مَّنِ أَدْوَنَ حَالًا مِنْ مَيِّتٍ، وَحَيٍّ أَرْفَعُ مَنْزَلَةً مِنْ حَيٍّ، فَتُحْمَلُ عَلَى مُجَرَّدِ التَّأَكِيدِ.

فإن قلت: فلم أخليت القرينة الأولى وهي الأعمى والبصير من التوكيد؟

قلت: هي كالتوطئة لذكر ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾، ولذلك أعيد ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾، وعُلِّم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ﴾ الآية، وأما القريبتان المتوسطتان فهما مقصودان أيضاً، لأنها مثلاً للحق والباطل وما يؤدبان إليه من الثواب والعقاب.

قوله: (ضَمَّتْ شَفْعًا إِلَى شَفْعٍ)، أما التي ضَمَّتِ الشَّفْعَ فهي <sup>(١)</sup> الواوات في: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلْمَتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحرُّورُ \* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾، وأما التي ضَمَّتِ الوترَ فهي التي توسَّطت بين الضدَّين.

قوله: (فيهدي الذي قد علم أن الهداية تنفع فيه، ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه)، هذا التقرير يهدم قاعدة الاعتزال، لأنَّ خلاف علم الله محال وقوعه، فلا يصدُر عنه إلا ما علم الله تعالى صدوره عنه، فإذا لا اختيار له فيه.

(١) سقط لفظ: «فهي» من النسخة (ط).



أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ أَي: مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُبَلِّغَ وَتُنذِرَ، فَإِنْ كَانَ الْمُنذَرُ مِمَّنْ يَسْمَعُ الْإِنذَارَ نَفَعٌ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُصْرَبِينَ فَلَا عَلَيْكَ. وَيَحْتَمَلُ أَنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَهْدِيَ الْمَطْبُوعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ عَلَى وَجْهِ الْقَسْرِ وَالْإِلْجَاءِ، وَغَيْرَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْهَدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَأَمَّا أَنْتَ فَلَا حِيلَةَ لَكَ فِي الْمَطْبُوعِ عَلَى قُلُوبِهِمُ الَّذِينَ هُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمَوْتَى.

[﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ٢٤]

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ حَالٌ مِنْ أَحَدِ الضَّمِيرَيْنِ، يَعْنِي: مُحَقَّقًا أَوْ مُحَقِّقِينَ، أَوْ صِفَةً لِلْمُصَدِّرِ، أَي: إِسْرَالًا مَصْحُوبًا بِالْحَقِّ، أَوْ صِلَةً لِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ عَلَى: بَشِيرًا بِالْوَعْدِ الْحَقِّ، وَنَذِيرًا بِالْوَعِيدِ الْحَقِّ. وَالْأُمَّةُ: الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ ﴾ [القصص: ٢٣]، وَيُقَالُ لِأَهْلِ كُلِّ عَصْرٍ: أُمَّةٌ، وَفِي حُدُودِ الْمُتَكَلِّمِينَ: الْأُمَّةُ: هُمُ الْمَصْدُقُونَ بِالرِّسُولِ دُونَ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ يُعْتَبَرُ إِجْمَاعُهُمْ، وَالْمُرَادُ هَاهُنَا: أَهْلُ الْعَصْرِ. فَإِنْ قُلْتَ: كَمْ مِنْ أُمَّةٍ فِي الْفِتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلَمْ يَحُلْ فِيهَا نَذِيرٌ؟ قُلْتَ: إِذَا كَانَتْ آثَارُ النَّذَارَةِ بَاقِيَةً لَمْ تَحُلْ مِنْ نَذِيرٍ إِلَى أَنْ تَنْدَرَسَ، وَحِينَ انْدَرَسَتْ آثَارُ نَذَارَةِ عِيسَى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ. فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اكْتَفَيْ بِذِكْرِ النَّذِيرِ عَنِ الْبَشِيرِ فِي

قَوْلِهِ: (وَيُقَالُ لِأَهْلِ كُلِّ عَصْرٍ أُمَّةٌ)، قَالَ التَّوْرِبِشْتِيُّ - فِي شَرْحِ قَوْلِهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ <sup>(١)</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -: الْأُمَّةُ: كُلُّ جَمَاعَةٍ يَجْمَعُهُمْ أَمْرٌ؛ إِمَادِينَ أَوْ دَعْوَةً وَاحِدَةً أَوْ طَرِيقَةً وَاحِدَةً أَوْ زَمَانًا وَاحِدًا أَوْ مَكَانًا وَاحِدًا. وَأَرَادَ بِهِ هَاهُنَا الْجَمَاعَةَ الَّتِي يَجْمَعُهَا زَمَانُ الدَّعْوَةِ إِلَى الشَّرِيعَةِ الْحَنِيفِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ أَدْخَلَ فِي جُمْلَتِهِمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى. وَعَلَى هَذَا يَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ الدَّعْوَةُ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ الزَّائِعَةِ وَالْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ، وَخُصَّتِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لِخُصُوصِيَّةِ فِيهِمْ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٥٣).

آخر الآية بعد ذكرهما؟ قلت: لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة، دلّ ذكرها على ذكرها، لا سيّما وقد اشتملت الآية على ذكرهما.

[ ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ  
وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ \* ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ ٢٥ - ٢٦ ]

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾: بالشواهد على صحّة النبوة، وهي المعجزات ﴿ وَبِالزُّبُرِ ﴾: وبالصّحف، ﴿ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾: نحو التوراة والإنجيل والزبور. لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسناداً مطلقاً، وإن كان بعضها في جميعهم؛ وهي البيّنات، وبعضها في بعضهم؛ وهي الزُّبُر والكتاب. وفيه مسلاة لرسول الله ﷺ.

قوله: (لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسناداً مطلقاً)، يريد أن قوله: ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ ﴾ من قبيل: بنو فلان قتلوا فلاناً، وإنما القاتل رجل منهم.

قوله: (وفيه مسلاة)، أي: في قوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ إلى آخر قوله: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ المعنى: أعرض عن هؤلاء المصرّين المعاندين ولا تحرض ولا تنهالك على هداهم، إن أنت إلا نذير وما عليك إلا أن تُبلِّغ وتُنذِر، فإن أصرّوا فلا عليك، وكذلك دأب الأمم السالفة مع أنبيائهم الماضية ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾، فجيء بقوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ توطئة لقوله: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وأقحم بشيراً مزيداً للتسلية وتتمياً وصيانة عن توهم أنه مقصور على النذارة كقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ في قوله: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]، وحينئذ لا يُفتقر إلى ذكر البشير مشفوعاً مع النذير في قوله: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وأيضاً فيه: أن الناس لتهاديهم في الضلال والغفلة وتهالكهم

[﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ \* وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٧﴾ -

[٢٨

﴿أَلْوَانُهَا﴾: أجناسها؛ من الرُّمَّان، والتفاح، والتين، والعنب، وغيرها مما لا يُحصَر، أو هيئاتها؛ من: الحُمرة، والصُّفرة، والخضرة، ونحوها. والسُّجْدَد: الخُطَطُ والطَّرَائِقُ. قال لبيد:

### أَوْ مُذْهَبٌ جُدَدٌ عَلَى الْوَاحِحِ

في حُبِّ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَتَقْلِيدِ الْبَاطِلِ أَشَدُّ احتياجاً إلى المُنْذِرِ مِنَ الْمُبَشِّرِ، وكثيراً ما ترى في التنزيلِ النَّذِيرَ غَيْرَ مَشْفُوعٍ بِالْبَشِيرِ وَلَا تَرَى الْبَشِيرَ بَدُونَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الراغب: الإنذار: إخبارٌ فيه تَخْوِيفٌ، كما أَنَّ الْبَشِيرَ إخبارٌ فيه سرور<sup>(١)</sup>. والنَّذِيرُ: المُنْذِرُ ويقَعُ على كُلِّ شَيْءٍ إِنْذَارٌ إِنْ سَانَ كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، وَالنُّذُرُ جَمْعُهُ.

قوله: (أَوْ مُذْهَبٌ جُدَدٌ عَلَى الْوَاحِحِ)، تمامه:

وَالنَّاطِقُ الْمَبْرُورُ وَالْمَخْتومُ<sup>(٢)</sup>

وقبله:

فَكَانَ مَعْرُوفَ الدِّيَارِ بِقَادِمٍ فَبُرَاقِ عَوَلٍ فَالرَّجَامِ وَشُومٍ

شَبَّهَ مَا عَرَفَ مِنَ الدِّيَارِ كَالطَّلَلِ بِالْوَشُومِ وَهِيَ مَا بَقِيَ مِنْ آثَارِ الْوَشْمِ، أَوْ بَلَوَحٍ مُذْهَبٍ عَلَى ظَوَاهِرِهِ جُدَدٌ وَطَّرَائِقُ، وَالنَّاطِقُ الْكِتَابُ.

(١) «مفردات القرآن» ص ٧٩٧.

(٢) «ديوان لبيد» ص ٩٩، وروايته ثَمَّة:

أَوْ مُذْهَبٌ جُدَدٌ عَلَى الْوَاحِحِينَ نَ النَّاطِقُ الْمَبْرُورُ وَالْمَخْتومُ

ويقال: جُدَّةُ الحِمارِ: للخطَّةِ السوداء على ظَهْرِهِ، وقد يكون للطَّبِّي جُدَّتَانِ مسكِتَانِ تَفْصِلَانِ بَيْنَ لَوْنِي ظَهْرِهِ وَيَطْنُهُ. ﴿وَعَرَابِيْبٌ﴾ معطوفٌ على ﴿بَيْضٌ﴾، أو على ﴿جُدَّةٌ﴾، كأنه قيل: ومنَ الجبالِ مَخْطَطٌ ذو جُدَدٍ، ومنها ما هو على لونٍ واحدٍ عَرَابِيْبٌ. وعن عِكْرَمَةَ: هي الجبالُ الطَّوَالِ السُّودِ. فإن قلت: الغَرِيْبُ تأكيدٌ للأسودِ، يقال: أسودُ غَرِيْبٌ، وأسود حُلُوكُ؛ وهو الذي أبعَدَ في السوادِ وأغرَبَ فيه، ومنه: الغُرَابُ، ومن حقِّ التأكيدِ أن يَتَّبِعَ المؤكِّدُ، كقولك: أصفرُ فاقِعٌ، وأبيضُ يَقَقُ، وما أشبهَ ذلك! قلتُ: وجهُه: أن يُضَمَّرَ المؤكِّدُ قَبْلَهُ، ويكون الذي بعده تفسيراً لِمَا أُضْمِرَ، كقولِ النابغة: .....

وذكر في «الصحاح»: أن الرواية: «الناطق» بقطع الألف وإن كان وصلاً، وذلك جائز في ابتداء الأَنصاف<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ التقديرَ الوقْفُ على النُصْفِ من الصَّدْرِ.

وقال: كتابٌ مَبْرُوزٌ، أي: مَنشورٌ، وقال<sup>(٢)</sup>: لعلَّ المَزْبُورَ وهو المَكْتُوبُ. وقال لبيدٌ في كلمةٍ أخرى:

كما لآحَ عنوانٌ مَبْرُوزَةٌ يَلوْحُ مَعَ الكَفِّ عنوانُها

هذا يدل على أنه لُغْتُهُ، والرواةُ كُلُّهُم على هذا، فلا معنى لإنكارٍ من أنكره. والمختوم: المكتومُ، وهو الدارس.

الراغب: جُدَدٌ بِيضٌ: جَمْعُ جُدَّةٍ، أي: طريقةٌ ظاهرةٌ من قولهم: طريقٌ مَجْدُودٌ، أي: مَسْلُوكٌ مَقْطُوعٌ، ومنه: جادَّةُ الطريقِ<sup>(٣)</sup>. وقيل: الحُطَّةُ: الطريقةُ، وهي اسمُ المَخْطُوطِ، فُعْلَةٌ بمعنى: المفعولِ، كالغُرْفَةِ والقُنْصَةِ، من الخطِّ، كالنُقْطَةِ.

(١) يعني أنصاف الأبيات.

(٢) نقلًا عن أبي حاتم السُّجستاني من كبار اللغويين، وليس هو من كلام صاحب «الصحاح» كما يوهَّم كلامُ الطيبي.

(٣) «مفردات القرآن» ص ١٨٨.

### والمؤمن العائذات الطير

وإنما يُفَعَّل ذلك لزيادة التوكيد، حيثُ يَدُلُّ على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً، ولا بد من تقديرِ حَذْفِ المضاف في قوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ بمعنى: وَمِنَ الْجِبَالِ ذُو جُدَدٍ بِيضٍ وَحُمْرٍ وَسُودٍ، حتى يؤولَ إلى قولك: وَمِنَ الْجِبَالِ مَخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كما قال: ﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾. ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَآلَاتٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾، يعني: ومنهم بعضٌ مختلف ألوانه. وقرئ: (ألوانها)، وقرأ الزُّهري: (جُدُدٌ)، بالضمِّ: جمع جَدِيدَةٍ؛ وهي الجُدَّة، يقال: جَدِيدَةٌ وَجُدُدٌ وَجَدَانُدٌ، كسفينته وسُفْنٌ وسَفَائِنٌ. وقد فُسِّرَ بها قولُ أبي ذُؤيبٍ يَصِفُ حِمَارَ وَحْشٍ:

قوله: (والمؤمن العائذات الطير)، تمامه:

رُكبانٌ مَكَّةَ بينَ العَيْلِ والسَّنَدِ ..... يمسحُها  
ما إن نَدَيْتُ بشيءٍ أنتَ تَكْرَهُه إذا فلا رَفَعْتَ سَوْطِي إليَّ يَدِي<sup>(١)</sup>

المؤمن: اسمُ الفاعل وهو الله تعالى، من: آمن. والعائذات: الحمايم، لما عَادَتْ بِمَكَّةَ والتجأت إليها حَرَمَ قَتْلِهَا وَصَيْدُهَا وَأَنْ تُهَاجَ. والعَيْلُ والسَّنَدُ: موضعان، و«المؤمن» مجرورٌ بالقَسَمِ، و«العائذات» منصوبٌ باسمِ الفاعل وهو المؤمن، و«الطير» منصوب: إما بَدَلٌ أو عَطْفٌ بيانٍ أو بإضمار: أعني، وفيه نَظَرٌ، لأنَّ الاستشهادَ بأنَّ هذا الطيرَ المذكورَ دالٌّ على المحذوف وهو مفعولٌ لاسمِ الفاعل، والعائذاتُ صِفَتُهُ، أي: المؤمن الطيرَ العائذاتِ الطيرِ، وقوله: «ما إن نَدَيْتُ» جوابُ القَسَمِ، يقول: والله المؤمن الطيرَ العائذاتِ ما نَطَقْتُ ولا بَلَلْتُ به لِسَانِي، وما أَتَيْتُ بشيءٍ تَكْرَهُه وإلا فَسَلَّتْ يَدِي.

قوله: (ولا بُدُّ من تقديرِ حَذْفِ المضاف)، يعني: حصلَّتْ هاهنا قرائنُ ثلاث، والقرينتان هاهنا اتَّفقتا على معنى، فوجبَ تنزيلُ الفَدَّةِ<sup>(٢)</sup> منها على معنى أختيَّها، وإلا لَزِمَ الاختلافُ

(١) للناطقة الديباني في «ديوانه» ص ٢٥.

(٢) يعني: الواحدة المفردة.

## جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ

ورُوي عنه: (جَدَدٌ)، بفتحِ حَيْتَيْنِ؛ وهو الطريقُ الواضحُ المُسْفَرُ، وَصَّعَهُ مَوْضِعَ

بين أشياء انخرطت في سلكٍ واحدٍ، وإليه الإشارةُ بقوله: «حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبالِ مختلفُ ألوانه» إلى آخره، وتحريزه: أن التنكيرَ في قوله: ﴿فَمَرَّتْ مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهَا﴾ للنوع، والمعنى: فأخرَجْنَا بالماءِ نوعاً من الثمراتِ مختلفاً ألوانه، وكذلك قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾، فإن المعنى: منهم بعضٌ مختلفٌ ألوانه، كما نصَّ عليه، وهو قول الفراء قال: ﴿أَلْوَانُهُ﴾ على تأويل: خُلِقَ مُخْتَلِفِ ألوانه<sup>(١)</sup>.

وقال محيي السنة: ذكر الكناية لأنها رُدُّ إلى ما في الإضمارِ، وبجأزه: ومن الناس والدوابِّ والأنعام ما هو مختلفٌ ألوانه<sup>(٢)</sup>.

قوله: (جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ)، أوله:

والدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ<sup>(٣)</sup>

الجَوْنُ: الأسود، والسَّرَاةُ: الظَّهْرُ، والجدائد: الأتْنُ<sup>(٤)</sup> اللاتي قد جَفَّتْ ألبانهنَّ، مِن جَدَّ اللَّبَنِ أَي: قَطَعَ، أَي: أَهْلَكَ الدَّهْرُ بَنِيَّ، وتواترت على المصائب، ثم عزى نفسه بأن الدهر لا يَبْقَى على حَدَثَانِهِ شيءٌ، حتى الحمارِ مع الأتْنِ التي ترعى في القفار.

قال ابن جني: «جَدَدٌ» بفتح الجيم والدال في رواية سهل عن الوقاصي عن الزُّهري. قال فطرب: قراءة الزُّهري: «جُدُدٌ» بضمِّها، أما «جُدُدٌ» فجمعٌ جديد، أي: آثارٌ جُدُدٌ غيرٌ مُخْلَقَةٌ فهو أوضحٌ لونها، وأما «جَدَدٌ»: فهو الطريقُ الواضحُ المُسْفَرُ فالمعنى نحو الأول<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: «معاني القرآن» (٢: ٣٦٩).

(٢) «معالم التنزيل» (٦: ٤١٩).

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: «المفضليات»: ٤١٩ و«خزانة الأدب» (١: ٤٢٠) و«جمهرة أشعار العرب» (١: ٥٣٨).

(٤) جمعُ أتانٍ، وهي: أنثى حمارِ الوحش.

(٥) «المحتسب» (٢: ١٩٩).

الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض. وقرئ: (والدواب) مخففاً، ونظيرُ هذا التخفيفِ قراءةٌ من قرأ: (ولا الضالِّين)؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما فرارٌ من التقاء الساكنين؛ فحرَّك ذاك أولهما، وحذَف هذا آخرهما. وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كاختلاف الثمرات والجبال.....

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كاختلاف الثمرات والجبال، يعني: الكاف نَصَبٌ على المصدَر، والأظهرُ أنه رفعٌ على الخبر، والإشارةُ بـ«ذلك» إلى المذكور من الدلائل في هذه الآية وحدها، ويكونُ قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ مقطوعاً لهذه الآية، ونظيرُ «ما» قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوَّرَتْ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابِ وَرَزَعٍ وَيَخِيلُ صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَتَفْضِيلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

فإن قلت: لِمَ حُولِفَ بينَ المقطعين؟ قلت: ما نحنُ فيه أبسطُ وأجمعُ من تلك الآية، لأنَّ فيها ذَكَرَ الثمارَ والجبالَ والناسَ والدوابَّ والأنعامَ واختلافها، وهي مختصَّةٌ بالثمرات، وصُدِّرت هذه الآيةُ بهمزة الاستفهام وحرفِ النفي لإفادة مزيدِ التقرير، وبالخطابِ العامِّ لئلا تختصَّ الرؤيةُ براءِ دونَ راءٍ لفخامةِ الأمر، ثم قَرَّرَ هذا المعنى في أثنائها بقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: الأمرُ كما ذكرت، كأنه تعالى يقول: هذه الأشياءُ كلها مُتساويةٌ في الجسميَّة، واختلافُ أنواعها ثم اختلافُ كلِّ منها بما حُصَّ به من الأصنافِ لا بدُّ له من قادرٍ مختارٍ قاهرٍ يتصرَّفُ في ملكه كيف يشاء. وهذا ظاهرٌ جليٌّ عندَ كلِّ ذي مُسكة<sup>(١)</sup>، فمَن أنكرَ ذلك وقالَ بالإيجاب فهو مُعانِدٌ جاهلٌ لم يخشِ الله، وإن جمعَ أسفارَ الحِكم، ومَن أنصفَ وسلكَ السَّبيلَ المُستقيماً وخشيَ الله فهو عالمٌ جدُّ عالم، فحينئذٍ من أين اختصَّ ﴿الْعُلَمَاءُ﴾ بالعلماءِ العَدليَّة؟ عفا اللهُ عنه.

فإن قلت: لِمَ لا تجعلُ ﴿كَذَلِكَ﴾ نَصْباً على المصدَر، كما ذهبَ إليه المُصنِّف؟ قلت: لِقِلَّةِ جدِّواه، وعلى ما ذهبنا إليه تصيرُ جملةٌ مُقرَّرةٌ لِمَا في شأنه الاهتمامُ على ما مرَّ، ويكونُ موقعاً للسُّؤالِ على الاستِثناف، يعني: إذا كان الأمرُ ظاهراً لكلِّ أحدٍ كما ذكرت، فلمَ

(١) يعني: صاحب عقل.

والمراد: العلماء به الذين عَلِمُوهُ بصفاته وَعَدَلِهِ وتوحيده، وما يجوزُ عليه وما لا يجوزُ، فعظّموه وقَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَخَشَوْهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ، وَمَنْ ازدادَ به عِلْمًا ازدادَ منه خوفاً،

اخْتَصَّ العلماءُ بالذكرِ دونَ غيرهم؟ أُجيب: لخشية هؤلاء وإنصافهم، ولعناد أولئك وَعَدَمَ خشيتهم.

وتلخيصه: أن المذكورَ إن لم يَدُلَّ على ذلك بالتصريح، يَدُلُّ عليه بالتعريض.

قوله: (العلماء<sup>(١)</sup>) الذين عَلِمُوهُ بصفاته وَعَدَلِهِ وتوحيده وما يجوزُ عليه وما لا يجوزُ)، اعلم أنه تعالى كما جعلَ مقطعَ التمثيلِ الأولِ قوله: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْتَوُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، جعلَ مقطعَ هذين التمثيلين بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ والمُشارُ إليه بقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ جميع ما سبق من البيانات والإنذارات الكافية، أي: الأمرُ كما ذُكِرَ لكن إنما ينجعُ فيمن خَشِيَ الرحمنَ بالغيب، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ خَشِئَهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، فوضعَ موضعه «العلماء» تعريضاً بجهل الكفرة، وجاهلٍ مَنْ يدعي العلمَ ولم يخشِ الله تعالى، وتنوياً برفعة منزلة العلماء العاملين المحققين، وإليه أشارَ بقوله: «مِثْلُكَ وَمَنْ عَلَى صِفَتِكَ».

ثم الآية كالتخلص من ذكر أعداء الدين إلى ذكر الأولياء من المؤمنين التالين كتابه آتاء الليل وأطراف النهار، المقيمين الصلاة والمنفقين أموالهم سراً وعلانية، ومع ذلك يزجون رحمة الله، ويأملون أن يُوقَّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، ولا يُوجبون على الله شيئاً بأعمالهم، ولا يَقْطعون بشيءٍ من ذلك، وكذلك لا يحكمون على الظالم لنفسه والمقتصد بالوعيد وكونها من أصحاب النار، ولهذا فصلت الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ لأنه كالتعليل للكلام السابق، أي: أنه تعالى عزيزٌ غالبٌ يفعلُ ما يشاءُ في مُلكه لا أحد فوقه يوجبُ عليه شيئاً، فالعمالُ يَعْمَلُونَ ويأملون أن يُوقَّيهم أجورهم، والظالمُ لنفسه يرجو الغفران ولا يَقْطعُ بالدمار، لأنه تعالى بليغُ الغفران والرحمة.

(١) كذا في الأصول الخطية، وكذا هو في نص «الكشاف» من (ط)، لكن في الأصل الخطي من «الكشاف»

وفي المطبوع: «العلماء به».



وَمَنْ كَانَ عِلْمُهُ بِهِ أَقَلَّ كَانَ آمَنَ. وفي الحديث: «أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً»، وعن مسروق: كفى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى، وكفى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ. وقال رجلٌ لِلشَّعْبِيِّ: أَفْتِنِي أَيُّهَا الْعَالِمُ، فقال: الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ. وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عُرِفَتْ فِيهِ. فإن قلت: هل يَخْتَلِفُ الْمَعْنَى إِذَا قُدِّمَ الْمَفْعُولُ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَوْ أُخِّرَ؟ قلت: لا بد من ذلك؛ فإنك إِذَا قَدَّمْتَ اسْمَ اللَّهِ وَأَخَّرْتَ ﴿الْعَلَمَتُوا﴾ كان المعنى: أَنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ هُمُ الْعُلَمَاءُ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَإِذَا عَمَلْتَ عَلَى الْعَكْسِ انْقَلَبَ الْمَعْنَى إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَخْشَوْنَ

قوله: (وفي الحديث: «أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَشَدُّكُمْ [له] خَشْيَةً»)(١)، وَرَوَيْنَا عَنِ الدَّارِمِيِّ عَنِ عَطَاءٍ قَالَ: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ. قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى؟ قَالَ: أَرْضَاهُمْ بِمَا قَسَمْتُ لَهُ. قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَخْشَى؟ قَالَ: أَعْلَمُهُمْ بِي(٢).

قوله: (وَإِذَا عَمَلْتَ عَلَى الْعَكْسِ انْقَلَبَ الْمَعْنَى)، وَذَلِكَ أَنَّ «إِنَّمَا» فَرْعٌ «مَا» وَ«إِلَّا»، وَفِي الْأَصْلِ: الْحَضْرُ أَبْدَأُ فِي «مَا» يَلِي «إِلَّا»، وَفِي الْفَرْعِ الْحَضْرُ فِي الْجُزْءِ الْأَخِيرِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فَرْعٌ «مَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الْعُلَمَاءُ»، وَهُوَ يَقْتَضِي انْحِصَارَ خَشْيَةِ اللَّهِ عَلَى الْعُلَمَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَقَوْلُكَ: إِنَّمَا يَخْشَى الْعُلَمَاءُ مِنْ عِبَادِهِ اللَّهَ، فَرْعٌ قَوْلِكَ: مَا يَخْشَى الْعُلَمَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا اللَّهَ، فَيَلْزَمُ انْحِصَارَ خَشْيَةِ اللَّهِ دُونَ غَيْرِهِ.

قال الشيخ عبد القاهر رحمه الله: لما كان الغرض من الآية بيان الخاشعين والإخبار بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم قَدِّمَ اسْمَ «اللَّهِ» عَلَى «الْعُلَمَاءِ»، وَلَوْ أُخِّرَ مِنْهُ لَصَارَ الْمَعْنَى عَلَى ضِدِّ مَا عَلَيْهِ وَهُوَ: أَنَّ الْغَرَضَ بَيَانُ الْمَخْشِيِّ وَالْإِخْبَارُ بِأَنَّهُ تَعَالَى دُونَ غَيْرِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى الْأَخِيرُ وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، لَكِنْ لَيْسَ

(١) لم أهد إلى تخرجه، لكن في تخرجه أحاديث «الكشاف» (٣: ١٥٢): الحديث غريب، وذكره الثعلبي هكذا.

(٢) أخرجه الدارمي (٣٧٤) وابن المبارك في «الزهد» (١: ١٨٨).

إِلَّا اللَّهَ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وهما معنيان مُخْتَلِفَانِ. فَإِن قُلْتَ: ما وجه اتِّصَالِ هذا الكلامِ بما قبله؟ قلتُ: لَمَّا قال: ﴿الَّذِينَ﴾ بمعنى: أَلَمْ تَعْلَمْ ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، وَعَدَّدَ آيَاتِ اللَّهِ وَأَعْلَامَ قُدْرَتِهِ وَأَثَارَ صِنْعَتِهِ وَمَا خَلَقَ مِنَ الْفِطْرِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَجْنَاسِ، وَمَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى صِفَاتِهِ، أَتَبَعَ ذَلِكَ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، كانه قال: إِنَّمَا يَخْشَاهُ مِثْلُكَ وَمَنْ عَلَى صِفَتِكَ مِمَّنْ عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمَهُ كُنْهُ عِلْمِهِ. وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَتَقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِهِ».....

هذا الغرض هاهنا، ولا اللفظ يحتمل له البتة، ومن أجاز حملها عليه كأنه قد أبطل فائدة التقديم وسوى بين الكلامين، فإذاً يلزم أن يسوي بين قولنا: ما ضرب عمرو وإلا زيدا وما ضرب زيدا إلا عمرو وذلك مما لا شبهة في امتناعه<sup>(١)</sup>.

وقلتُ: قوله: «لكن ليس هو الغرض هاهنا»، معناه: أن اقتضاء المقام يوجب بيان الخاشين والإخبار بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم ليكون تعريضا بالندرين المصرين على العناد والكفر وأنهم جهلاء بالله وبصفاته، ولذلك لا يخشون الله ولا يخافون عقابه، ولو قلت: ما يخشى العلماء من عباده إلا الله لم يكن من التعريض في شيء والمقام يقتضيه، أما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، فكلام في تبليغ الرسالة وتعريض به صلوات الله عليه بعد التصريح بقوله: ﴿وَيَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ فبين المقامين بون.

قوله: (أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به)، روي عن البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: صنع رسول الله ﷺ شيئا فترخص فيه فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله تعالى ثم قال: «ما بأل أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعته، فوالله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «دلائل الإعجاز» لعبدالقاهر الجرجاني ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠١) ومسلم (٢٣٥٦).

فإن قلت: فما وجه قراءة مَنْ قرأ: ﴿إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وهو عمرُ بن عبد العزيز، ويحكى عن أبي حنيفة؟ قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى: إنما يُجلُّهم ويعظِّمُهم، كما يُجلُّ المهيَّبُ المخشِيُّ من الرجال بين الناس ومن بين جميع عبادِه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليلٌ لوجوب الخشية؛ لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم، وإثابة أهل الطاعة والعتو عنهم، والمعاقبُ المثيبُ حقُّه أن يُخشى.

قوله: (فما وجهُ قراءة)، الفاءُ تدلُّ على إنكارِ قوله: «لا بدَّ من ذلك»، أي: من تقديم المفعول، أي: إذا كان الواجب ذلك لصحة المعنى، فما وجهُ هذه القراءة؟

قوله: (كما يُجلُّ المهيَّبُ)، «ما» مصدرية، أي: إنما يُجلُّهم إجلالاً مثل إجلالِ المهيَّبِ المخشِيِّ من الرجال. هذا بيانُ وجهِ الاستعارة، وذلك أن الاستعارة مسبوقةٌ بالتشبيه، شبه حالة مُعاملةِ الله تعالى مع العلماء في تعظيمه إياهم وإجلاله لهم كمعاملة مَنْ يُجلُّ ويُعظِّمُ السلطان<sup>(١)</sup> ومَنْ هو بصدده خشية سَطَوته وهيبته، فأدخل المشبَّه في جنس المشبِّه به، واستعمل فيما يُستعمل في المشبَّه به دالاً عليه، بقرينة ما هو مُنزَّه من ذلك ومُتعالٍ عنه من الخشية، وهي الاستعارة التَّبعية الواقعة على طريق التمثيل<sup>(٢)</sup>.

قوله: (المعاقبُ المثيبُ حقُّه أن يُخشى)، فإن قلت: المثيبُ كيف يخشى، والوصفُ بالغُفرانِ موجبٌ للرجاء لا للخوف؟

قلت: جوابه ما ذكر في «الفرقان» في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦]: «دل بهذا على القدرة التامة؛ لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادرُ على العقوبة». ويمكن أن يقال: إن حاليَّ سَطَوَاتِ القهر إما أن تكون بَعْتَةً أو إمهالاً، فدلل العزيزُ على الأول والغفورُ على الثاني، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَّ لهمُ الْعَذَابَ﴾ [الكهف: ٥٨]، فالعالمُ يخافُ الحالتين خصوصاً الثانية؛ لأنها قد تكون استدراجاً، بخلاف الجاهل لأنه لا يأمنُ فيها كلَّ الأمان.

(١) لفظة «السلطان» غير واضحة في (ط)، وقدرتها بما أثبت.

(٢) هذه الفقرة سقطت من (ح) و(ف).

[ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ \* لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ ] ٢٩ - ٣٠

﴿ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ يداومون على تلاوته، وهي شأئهم ودينتهم. وعن مُطَرِّف رحمه الله: هي آية القراء. وعن الكلبي: يأخذون بها فيه. وقيل: يعلمون ما فيه ويعملون به. وعن السدي: هم أصحاب رسول الله ﷺ ورَضِيَ عنهم. وعن عطاء: هم المؤمنون. ﴿ يَرْجُونَ ﴾ خبر ﴿ إِنَّ ﴾. والتجارة: طلب الثواب بالطاعة. و ﴿ لِيُوفِيَهُمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ لَّن تَبُورَ ﴾، أي: تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها

قوله: ﴿ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ يداومون [على] تلاوته) يعني: دلَّ عطف الماضي - أي: قوله: ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا ﴾ - على المضارع على أن المراد به الاستمرار والمداومة والتحقق فيه، ويساعده مقام المدح نحو: فلان يقرى الضيف ويحمي الحریم.

قوله: (عن<sup>(١)</sup> مُطَرِّف)، قال صاحب «الجامع»<sup>(٢)</sup>: وهو أبو عبد الله مُطَرِّف بن عبد الله ابن الشيخ العامري البصري، روى عن أبي ذرٍّ وعثمان بن أبي العاص مات سنة سبع وثمانين.

قوله: (يعلمون ما فيه ويعملون به)، يريد: أوجب عطف قوله: ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا ﴾ على ﴿ يَتْلُونَ ﴾ أن تُفسَّر التلاوة بالعمل بما فيه، لأن التلاوة لم تكن مُعتبرة إذا لم يُعلم معنى التلو، ولم يُعتدَّ بالعلم إذا لم يُقرن معه العمل.

قوله: ﴿ لِيُوفِيَهُمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ لَّن تَبُورَ ﴾، أي: تجارة ينتفي عنها الكساد، وقوله: «ينتفي عنها الكساد» تفسير لقوله: ﴿ لَّن تَبُورَ ﴾ لا بالمطابقة؛ لأن أصل البوار الهلاك. قال في «الأساس»: ومن المجاز: بارت البياعات كسدت. وقوله: «وتنفق عند الله» تفسير

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «وعن» بالواو.

(٢) «جامع الأصول» (١٢: ٩٠٥).

عنده ﴿أَجُورَهُمْ﴾؛ وهي ما استحقَّوه من الثواب، ﴿وَيَزِيدَهُمْ﴾ من التفضُّل على المستحقِّ.

وإن شئتَ جعلتَ ﴿يَرْجُونَ﴾ في موضع الحالِ على: وأنفقوا راجينَ ليوْفِيهِمْ، أي: فَعَلُوا جميعَ ذلك؛ من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله لهذا الغرض. وخبرٌ ﴿إِنَّ﴾ قوله: ﴿إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ على معنى: غفورٌ لهم شكورٌ لأعمالهم.

للتفسير فيكون كناية، لأن ﴿لَنْ تَكْبُرَ﴾ لازمُ انتفاء الكساد وهو لازمٌ كونها نافقة، كأنه قيل: يرجون تجارةً نافقةً عند الله مُربحةً ليوْفِيهِمْ الله أجورهم، ثم هذه الكناية ترشيحٌ للاستعارة.

قوله: (وإن شئتَ جعلتَ ﴿يَرْجُونَ﴾ في موضع الحال)، فعلى هذا «ليوفِيهِمْ الله أجورهم» يتعلَّق بالتلاوة وأقاموا الصلاة والإنفاق، ولهذا قال: «فَعَلُوا جميعَ ذلك... لهذا الغرض»، وهو التوفية، وإنما علَّق المصنّف ﴿يَرْجُونَ﴾ بقوله: ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ دون ﴿يَتْلُونَ﴾ و﴿وَأَقَامُوا﴾، لثلاث تجتمع على معمولٍ واحدٍ عوامل، ولأنَّ ما يتعلَّقُ الجُمْلُ من القيد يختصُّ بالأخيرِ على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

ويمكنُ أن يُعلَّقَ بمحذوفٍ على معنى: فَعَلُوا جميعَ ذلك راجينَ لهذا الغرض، وهو الظاهر. قال أبو البقاء: ﴿يَرْجُونَ﴾ خبرٌ ﴿إِنَّ﴾، ﴿لِيُوفِيَهُمْ﴾ يتعلَّقُ بـ﴿يَرْجُونَ﴾، وهي لامُ الصيرورة<sup>(١)</sup>.

وقلت: تأويله: أن غرضهم فيما فعلوا لم يكن سوى تجارةٍ غير كاسدة، لأنَّ صلة الموصولِ هنا علَّةٌ وإيدانٌ بتحقيق الخبر، ولما أدى ذلك إلى أن وفاهم الله أجورهم أتى باللام، وإنما لم يذهب إليه المصنّف؛ لأن هذه اللام لا توجدُ إلا في أمرٍ يترتَّبُ الثاني على الأول، ولا يكونُ مطلوباً به كقوله تعالى: ﴿فَالنَّظْمَ أَهْلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَمًا﴾ [القصص: ٨].

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٧٥).

والشكرُ تجارٌ عن الإثابة.

[﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ﴾

لَخَيْرٍ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾]

﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن، و﴿مِنَ﴾ للتبيين، أو الجنس و﴿مِنَ﴾ للتبعيض ﴿مُصَدِّقًا﴾ حالٌ مؤكدة؛ لأنَّ الحقَّ لا ينفكُ عن هذا التصديق. ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما تقدّمه مِن الكُتُب. ﴿لَخَيْرٍ بَصِيرٌ﴾ يعني أنه خَبَرَكَ وأبَصَرَ أحوالك، فراك أهلاً لأنَّ يوجي إليك مثلَ هذا الكتاب المعجز الذي هو عيارٌ على سائر الكُتُب.

[﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ \* جَعَلْتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ \* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ \* الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٢-٣٥﴾]

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما:

قوله: (والشكرُ تجارٌ عن الإثابة)، النهاية: في أسماء الله: الشُّكور، وهو الذي يَزُكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، فشكره لعباده مغفرته لهم، والشُّكور من أبنية المبالغة.

قوله: (عيارٌ على سائر الكُتُب)، أي: معيارٌ لسائر الكُتُب، وبه يُقاسُ صحّة غيره.

المغرب: عايزتُ المكايل والموازن: إذا قايستها، والمعيارُ: الذي يُقاسُ به غيره ويُسَوَّى<sup>(١)</sup>.

قوله: (ما معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾؟)، يعني: الظاهر أن قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ عطفٌ

(١) «المغرب في ترتيب المغرب» (٢: ٩٢).

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ ثُمَّ أَوْرَثْنَا مَنْ بَعْدَكَ، أَي: حَكَمْنَا بِتَوْرِيثِهِ. أَوْ قَالَ: أَوْرَثْنَا، وَهُوَ يَرِيدُ: نُورثُهُ؛ لِمَا عَلَيْهِ أَخْبَارُ اللَّهِ. ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؛ وَهُمْ أُمَّتُهُ مِنْ

عَلَى ﴿أَوْحَيْنَا﴾، وَ«ثُمَّ» يَقْتَضِي التَّرَاخِيَّ فِي الزَّمَانِ، وَأَنْ يُقَالَ: ثُمَّ نُورثُهُ بَعْدَكَ الْمُصْطَفَيْنِ، فَمَا مَعْنَى جَمْعِ ﴿أَوْرَثْنَا﴾ مَا ضَمِيَا؟

وَأَجَابَ بِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ: ثُمَّ حَكَمْنَا بَعْدَكَ بِتَوْرِيثِهِ، أَوْ وَضَعَ الْمَاضِي مَوْضِعَ الْمُسْتَقْبَلِ، تَنْزِيلًا لِمَا هُوَ الْكَائِنُ بِمَنْزِلَةِ الْكَائِنِ.

وِثَانِيهِمَا: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مُتَّصِلَةٌ بِمَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: إِنَّهُ قَدَّمَ إِرسَالَهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا، أَي: قَدَّمَ اللَّهُ عَلَى إِرسَالِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِرسَالَ الرَّسْلِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، وَعَقَّبَهُ بِمَا يُنبِئُ أَنَّ تِلْكَ الْأُمَّةَ تَفَرَّقَتْ حَزْبَيْنِ: حِزْبٌ كَذَّبُوا الرَّسْلَ وَمَا أُنزِلَ مَعَهُمْ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾، وَحِزْبٌ صَدَّقُوهُمْ وَأَمَنُوا وَتَلَّوْا كِتَابَ اللَّهِ وَعَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا﴾، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ ﴿أَوْرَثْنَا﴾ مَا ضَمِيَا يَجْرِي عَلَى ظَاهِرِهِ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى هَذَا التَّقْسِيمِ قَوْلُ الْمُصَنِّفِ: «فَأَثْنَى عَلَى التَّالِيْنَ لِكُتْبِهِ، الْعَامِلِينَ بِشَرَائِعِهِ، مِنْ بَيْنِ الْمُكْذِبِينَ بِهَا مِنْ سَائِرِ الْأُمَّةِ».

وَلَمَّا فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ جَاءَ بِمَا يَخْتَصُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ أَلْكِتَابٍ﴾ الْآيَةَ مُسْتَطَرِّدًا مُعْتَرِضًا، ثُمَّ أَخْبَرَ بَعْدَ ذَلِكَ إِيرَآئَهُ هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، بِهَذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ إِعْطَاءِ تِلْكَ الْأُمَّةِ الزُّبُرَ وَالْكِتَابَ الْمُنِيرَ؛ فَيَكُونُ ثُمَّ لِلتَّرَاخِي فِي الْإِخْبَارِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «ثُمَّ قَالَ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ أَي: مِنْ بَعْدِ أَوْلَئِكَ الْمَذْكُورِينَ»، وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْمَلَ «ثُمَّ» عَلَى التَّرَاخِي فِي الْمُرْتَبَةِ أَيْضًا إِذَا نَأَى بِفَضْلِ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى سَائِرِ الْكِتَابِ، وَفَضْلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَّةِ (١).

(١) قَوْلُهُ: «وَفَضْلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَّةِ» سَقَطَ مِنْ (ف) وَ(ح).

الصحابه والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة؛ لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم، وجعلهم أمةً وسطاً؛ ليكونوا شهداء على الناس، واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رُسُلِ الله، وحمل الكتاب الذي هو أفضل كُتُبِ الله، ثم قَسَمَهُم إلى ظالم لنفسه مجرم: وهو المرجأ لأمر الله؛ ومقتصد: وهو الذي خلطَ عملاً صالحاً وآخر سيئاً؛ وسابق من السابقين. والوجه الثاني: أنه قدّم إرساله في كل أمة رسولاً، وأنهم كذبوا برُسُلِهِم وقد جاؤوهم بالبيّنات والزُّبُرِ والكتاب المنير، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩]، فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذّبين بها من سائر الأمم، واعتزّض بقوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾، ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: من بعد أولئك المذكورين، يريد بالمصطفين من عباده: أهل الملة الحنيفية. فإن قلت: فكيف جعلت ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ بدلاً من ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، .....

قوله: (ظالم لنفسه مجرم)، الراغب: ظلم النفس في الحقيقة هو التقصير في تهذيبها وسياستها المذكورة في قوله ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ١٠]، وذلك أن كل إنسان سائس نفسه، فمتى لم يوفِّ حقَّ السياسة فقد ظلمها ظلم الوالي رعيتيه، وخوطب بذلك مَنْ أُعْطِيَ القوَّةَ ومكَّن من البلوغ إلى الدرجات الرفيعة فرضي لنفسه بأدنى منزلة<sup>(١)</sup>.

قوله: (المرجأ لأمر الله)، النهاية: الإرجاء: التأخير، مهموز.

وفي حديث توبة كعب بن مالك: «وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا»<sup>(٢)</sup>: أخرنا. قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرُوتُ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، أي: مؤخرون حتى يُنزِلَ الله فيهم ما يُريد.

قوله: (فكيف جعلت ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ بدلاً من ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾)، يعني: لما كانت

(١) «مفردات القرآن» ص ٥٣٨.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).



﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ بدلاً من ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>، وهو عبارة عن السبق بالخيرات، فيلزم أن يكون ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ بدلاً من السبق بالخيرات، وليس بينهما مناسبة ظاهرًا ليبدل منه.

وتلخيصُ الجواب: أن السبق بالخيرات لما كان سبباً لنيلِ الثوابِ حُمِلَ على نفسِ الثوابِ إقامةً للسببِ مقامَ المُسبَّبِ، ثم أُبدِلَ منه، ولعمري هذا بعيدٌ عن الذوق، متعسفٌ جداً، وما دعاهُ إليه إلا تصحيحُ مذهبِهِ، ونحن معاشرَ أهلِ السنَّةِ نجعلُ المشارَ إليه بقوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ما سبق من معنى الإيراث، كما في «الوسيط»<sup>(٢)</sup>، ونجعلُ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ جملةً مستأنفة.

قال محيي السنَّة: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يعني: إيراثهم الكتاب، ثم أخبر بثوابهم فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ يعني: الأصناف الثلاثة<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو البقاء: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ خبرٌ مُبتدأٌ محذوفٌ أو مبتدأ، والخبر ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾<sup>(٤)</sup>. ويؤيدُهُ ما رواه المصنّفُ أَنَّهُ قُرِي: «جَنَاتٍ عَدْنٍ»<sup>(٥)</sup> بالنصبِ على إضمارِ فعلٍ يُفسِّرُهُ الظاهرُ، أي: يدخلون جناتِ عَدْنٍ يدخلونها، فتتخلَّص بهذا التأويلِ من هذا المضيقي ويسلمَ النظمُ السريُّ من الانفكاك، وهذا أولى مما ذهبَ إليه بوجوه:

أحدها: أن سنَّة الله جاريةٌ في هذا الكتابِ المجيدِ أن يُقابلَ ذكْرَ المؤمنينَ بذكرِ مخالفينهم، ويقارنَ ذكْرَ الجنةِ بذكرِ النارِ.

ولما ذكر أوصافَ المؤمنينَ وما إليه مصيرهم في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وهلمَّ جرّاً إلى قوله: ﴿وَلَا يَمَسُّنَّ فِيهَا لُغُوبٌ﴾ قابله بذكرِ الكافرين وما

(١) من بداية الفقرة إلى هنا سقط من (ح) و(ف).

(٢) يعني «تفسير الوسيط للواحدّي» (٣: ٥٠٥).

(٣) «معالم التنزيل» (٦: ٤٢٣).

(٤) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٧٥).

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣٥٠).

إليه مصيرهم في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾، فلو جعل بعض أولئك من أهل النار لبطل التقابل ولناقض تفسير رسول الله ﷺ على ما رواه الترمذي<sup>(١)</sup> عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة».

وثانيها: أن قولهم: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ لا يلتئم بما قبله إذا جعل الشكور مقولاً للسابق بالخيرات والغفور للظالم والمقتصد، والعجب أنه كيف بادر إلى لفظ الشكور وقال: دل الشكور على أن القوم كثيرو الحسنات وتقاعد عن لفظ الغفور في أنه دل على أن القوم كثيرو السيئات، وعن قول ابن عباس: «غفر العظام من ذنوبهم، وشكر اليسير من محاسن أعمالهم»!

وما روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ بعد ما ذكر تفسير الفريقين قال: «وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يُخْبَسُونَ في طولِ المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي «المعالم»<sup>(٣)</sup>: نحوه.

وثالثها: وهل يليق ويستقيم أن يمدح الله قوماً في أول كلامه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ - وقد قال المصنف: «وهم أمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة، لأن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله، ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه إلى آخر ما قال فيه - ثم يرجع إلى آخر كلامه ويجعل أكثرهم من الذين يُخْلَدُونَ في النار؟! قال صاحب «الانتصاف»: قد صُدِّرتِ القصة

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٢٥) وأحمد (١١٧٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٧٢٧).

(٣) «معالم التنزيل» (٦: ٤٢٤).

الذي هو السَّبْقُ بالخيرات المشار إليه بـ ﴿ذَلِكَ﴾؟ قلتُ: لَمَّا كان السَّبَبُ في نيل الثواب، نُزِلَ منزلةً المسبَّب، كأنه هو الثواب؛ فأبدلتُ عنه ﴿جَنَنْتُ عَدْنٍ﴾. وفي اختصاصِ السابقين بعد التقسيم بذكرِ ثوابهم والسكوتِ عن الآخرين ما فيه من وجوبِ الحذر، فليَحْذِرِ المقتصد، وليَهْلِكِ الظالمُ لنفسه حذراً، وعليهما بالتوبةِ النَّصوحِ المُخلَّصةِ من عذابِ الله، ولا يَغْتَرَا بما رواه عمرُ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمَقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ»؛ فَإِنَّ شَرْطَ ذَلِكَ صِحَّةُ التَّوْبَةِ؛ لقوله

بذكرِ المصْطَفَيْنِ من عبادِ الله، ثم قَسَمَهُم إلى الظالمِ والمقتصدِ والسابقِ فيلزمُ اندراجُ الظالمِ الموحِّدِ في المصْطَفَيْنِ وإثمه لمنهم، وأيُّ نِعْمَةٍ أعظمُ من اصطفايته للتوحيد والعقائد السالمة من البدع، فما بالُ الزمخشريِّ يُطَنِّبُ في التسوية بين الموحِّدِ المصْطَفِي وبين الكافرِ المَخْزِي. وقوله: ﴿جَنَنْتُ عَدْنٍ﴾ عائدٌ إلى المصْطَفَيْنِ عموماً، وإعرابها مبتدأ، و﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ خبره، وقوله: ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا﴾ إلى آخرِ الآيةِ خبرٌ بعدَ خبرٍ (١).

قوله: (حَذَرًا) أي: فليَحْذِرْ حَذَرًا أَيَّ حَذَرٍ، وليَهْلِكْ من جِهَةِ الحِذَارِ، أو لأجلِهِ، أو حالُ كونه حَذَرًا.

قوله: (وعليهما بالتوبة النصوح)، عن بعضهم: هو من قولهم: نصحت الإبل الشربَ تنصحُ نصحاً، أي: صدقتها، وأنصحتها أنا وأرؤيتها، ومنه التوبة النصوحُ، وهي الصادقة. قوله: (سابقنا سابق)، الحديث رواه البيهقيُّ في «البعث والنشور» (٢)، ومعنى: «سابقنا سابق» أي: مَنْ زادت حسناته على سيئاته فهو الذي يدخل الجنة بغير حساب، و«مقتصدنا ناج»: أن من استوت حسناته وسيئاته فهو يحاسب حساباً يسيراً، ثم يدخل الجنة، و«ظالمنا مغفورٌ له»: أن من أوثق نفسه بالذنوب، فهو إما أن تُدركه الشفاعةُ، أو يغفر الله تعالى له بفضله، أو يُعَذِّبُهُ بِقَدْرِ ذَنْبِهِ ثم يخرجُه ويدخله الجنة. روى البيهقيُّ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حديثاً موقوفاً عليه هذا معناه.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٣: ٦١٣).

(٢) برقم (٦١).

تعالى: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعِدُكُم بِإِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٦]، ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر، ولم يعلل نفسه بالخذع. وقرأ: (سباق). ومعنى: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بتيسيره وتوفيقه. فإن قلت: لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيدان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل. وقرأ: (جنة عدن) على الأفراد، كأنها جنة مختصة بالسابقين، و: (جنات عدن): بالنصب على إضمار فعل يفسر الظاهر؛ أي: يدخلون جنات عدن يدخلونها، و: (يُدْخَلُونَهَا) على البناء للمفعول، و (يُخَلَّوْنَ) من: حَلَيْتِ المرأة، فهي حال. ﴿وَلَوْلَوْ﴾ معطوفاً على محل ﴿مِنَ الْأَسَاوِرِ﴾، و﴿مِنْ﴾ داخلة للتبويض، أي: يجلون بعض أساور من ذهب، كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض، كما سبق المسورون به غيرهم. وقيل: إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ. و(ولولوا) بتخفيف الهمزة الأولى. وقرأ: (الحزن) والمراد: حزن المتقين، وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ فَمَنْ كَفَرَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿ [الطور: ٢٦-٢٧]. وعن ابن عباس

قوله: (كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض)، أي: في ذكر البعض الدلالة على فضلها وتفوقها على سائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم بهذا البعض من الأساور، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وأريد به محمد صلوات الله عليه، واللام في «لسائر» كاللام في: «أنا ضارب لزيد».

قوله: «(ولولوا)»<sup>(١)</sup> بتخفيف الهمزة الأولى، في «التيسير»<sup>(٢)</sup>: ترك أبو بكر وأبو عمرو - إذا خفف - الهمزة الأولى من «لؤلؤا»، وحرمة إذا وقف: سهّل الهمزتين على أصله، وهشام: سهّل الثانية فيه في غير النصب على أصله، والباقون يحققونها.

(١) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٩٢ و«الجامع لأحكام القرآن» (١٢: ٢٨).

(٢) «التيسير في القراءات السبع» ص ١٥٦.

رضي الله عنها: حُزِنَ الْأَعْرَاضِ وَالْآفَاتِ. وعنه: حُزِنَ الْمَوْتِ. وعن الضحَّاك: حُزِنَ إبليسٌ ووسوسيته. وقيل: همُّ المعاش. وقيل: حُزِنَ زَوَالِ النَّعْمِ، وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كِرَاءُ الدَّارِ، ومعناه: أنه يعمُّ كلَّ حُزْنٍ من أحزان الدِّين والدنيا، حتى هذا. وعن رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وَحْشَةٌ في قُبُورِهِمْ ولا في مَحْشَرِهِمْ ولا في مَسِيرِهِمْ؛ وكأني بأهل لا إله إلا الله يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ وهم يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ وُجُوهِهِمْ ويقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾». وذكرُ الشُّكُورِ دليلٌ على أن القومَ كثيرَ الحَسَنَاتِ. ﴿الْمُقَامَةُ﴾: بمعنى الإقامة، يقال: أقمْتُ إقامةً ومقاماً ومُقامةً. ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: من عطائه وإفضاله؛ من قولهم: لفلانٍ فَضُولٌ على قومه وفواضِلٌ، وليس من الفضل الذي هو التفضُّل؛ لأنَّ الثوابَ بمنزلة الأجرِ المستحقِّ،

قوله: (يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ وهم يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ وُجُوهِهِمْ ويقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾)، الحديث ما وجدته في الأصول<sup>(١)</sup>، غير أنه غيرٌ موافقٍ لظاهر الآية؛ لأنَّ السابقَ جنات عدن يدخلونها، واللاحق الذي أحلنا دار المقامة صريح في أن مثل هذا القول صادر عنهم في الجنة.

قوله: ﴿الْمُقَامَةُ﴾ بمعنى الإقامة، عن بعضهم: دار المقامة مفعولٌ ثانٍ لـ ﴿أَحَلَّنَا﴾، وليست بظرفٍ لأنها محدودة، ﴿وَلَا يَمَسُّنَا﴾ حالٌ من المفعول الأول.

قوله: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: من عطائه وإفضاله، الإفضال: الإحسان. أفضَلُ عليه وتفضَّل: بمعنى، وأفضَلُ منه فَضْلَةٌ.

قوله: (وليس من الفضل الذي هو التفضُّل)، وعند أهل السنة مِنْ تَفْضُلِهِ وكرمه. قال الزجاج<sup>(٢)</sup> والواحدي<sup>(٣)</sup>: ذلك بتفضله لا بأعمالنا، وفي «المطلع»: لا باستحقاقنا. لأن العمل

(١) أخرجه البيهقي في: «البعث والنشور» ص ٩٢ والطبراني في «الدعاء» ص ٤٣٦ وفي: «المعجم الأوسط» (٩٤٧٨) عن ابن عمر.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٧١).

(٣) «التفسير الوسيط» (٣: ٥٠٦).

والتفضّل كالترُّع. وقُرئ: (لُغُوبٌ) بالفتح؛ وهو اسمٌ ما يلغُبُ منه، أي: لا تتكَلَّفُ عملاً يُلغِبُنَا، أو مصدرٌ كالقُبُولِ والوَلُوعِ، أو صفةٌ للمصدر، كأنه لُغُوبٌ لُغُوبٌ، كقولك: موتٌ مائت. فإن قلت: ما الفرقُ بين النَّصَبِ واللُّغُوبِ؟ قلتُ: النَّصَبُ: التَّعَبُ والمشقة التي تُصيبُ المنتصبَ للأمر المزاوِلَ له، وأمَّا اللُّغُوبُ: فما يلحقُه من الفتور بسببِ النَّصَبِ، فالنَّصَبُ: نفسُ المشقة والكلفة، واللُّغُوبُ: نتيجته وما يحدث منه من الكلالِ والفترة.

معناه زائلٌ، وثوابُ الجنةِ دائمٌ لا يزولُ، ولعلَّ المصنّفَ لما خصَّ قوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ إلى آخره بالسابقِ دونَ الظالمِ والمقتصدِ ذهبَ إلى هذا المعنى.

قوله: (وقُرئ: «الغوب» بالفتح)، قال ابنُ جنِّي<sup>(١)</sup>: وهي قراءةٌ عليٌّ رضي الله عنه والسُّلَمِيُّ، وفيه وجهان: إن شئتَ حملته على ما جاء من المصادر على الفَعُولِ، نحو: الوَضوءِ والولوعِ والوقودِ، وإن شئتَ جعلته صفةً لمصدرٍ محذوفٍ، أي: لا يَمَسُّنا فيها لُغُوبٌ لُغُوبٌ، على قولهم: شِعْرٌ شاعِرٌ وموتٌ مائتٌ، كأنه وصفَ اللُّغُوبَ بأنه قد لَغِبَ، أي: أعى وتعب. وعليه قولهم: جُنٌّ جنونُهُ، وخرجتْ خوارجُهُ، وعلى هذا حملَ أبو بكرٍ قولهم: توضأت وضوءاً، أي: وضوءاً وضوءاً.

وحكى أبو زيد: رجلٌ ساكوتٌ بينَ الساكوتِ، فلما قرأتُ هذا على أبي عليٍّ حمله على قياس قول أبي بكرٍ، فقال: تقديرُهُ بينَ السكتِ الساكوتِ، فجعلَ الساكوتَ صفةً لمصدرٍ محذوفٍ، وحسَّنَ ذلك عندي أنه من لفظه.

قوله: (واللُّغُوبُ: نتيجته)، أجابَ عن الفَرَقِ ولم يُبينِ الأسلوبَ بأنه من أيِّ قبيلٍ هو، ولأيِّ فائدةٍ تكررُ «المس»؟

أما الأسلوبُ فمن باب قولِه:

لا ترى الضَّبَّ بها ينجحِر

(١) «المحتسب» (٢: ٢٠٠).

[ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوًّا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ \* وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿ ٣٦-٣٧ ﴾ ]

﴿ فِيمَوْتُوًّا ﴾ جوابُ النفي، ونصبه بإضمارِ «أن». وقرئ: (فيموتون) عطفاً على ﴿ يُقْضَىٰ ﴾، وإدخالاً له في حُكْمِ النفي، أي: لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون، كقوله: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدُونَ ﴾ [المسلات: ٣٦]. ﴿ كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الجزاء (يُجْزَى)، وقرئ: (يُجْزَى)، و﴿ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ بالنون. ﴿ يَصْطَرِخُونَ ﴾: يتصارخون: يفتعلون وقوله:

على لاجِبٍ لا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ (١)

أي: لا ضَبٌّ ولا انجِحار، ولا مَنَارٌ ولا اهْتِدَاءٌ، ولا نَصَبٌ ولا لُغُوبٌ. والمرادُ نفي النَّصَبِ، وإنما ضَمَّ إليه نتيجةه لِيُؤْذَنَ بأن انتفاء السَّبَبِ أمرٌ مُحَقَّقٌ لا نزاعَ فيه، وبلغ في تحقُّقه إلى أن صارَ كالشاهدِ على نفي المُسَبَّبِ، وهو اللُّغُوبُ.

وتكريرُ «المس» للترديدِ وتعليقِ كُلِّ مرَّةٍ ما لم تُعَلِّقْ به أولاً، كقولِ الشاعر:

لو مَسَّهَا حَجْرٌ مَسَّتُهُ سَرَاءُ (٢)

قوله: ﴿ فِيمَوْتُوًّا ﴾ جوابُ النفي، ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ﴾ في محلِّ فاعلٍ ﴿ يُخَفَّفُ ﴾، و﴿ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ في موضعِ نصبٍ، ويجوز العكس.

قوله: (وقرئ «يُجْزَى» و«يُجْزَى» و«يُجْزَى» (٣)، بالنون: كلهم إلا أبا عمرو، فإنه قرأ بالياء مضمومةً وفتح الزاي (٤).

(١) سبق تحريجه.

(٢) سبق تحريجه.

(٣) كذا في الأصول الخطية، وفيه بعض مخالفة للفظ الزمخشري في «الكشاف» كما لا يخفى.

(٤) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٩٣.

من الصَّراخ؛ وهو الصياحُ بجهدٍ وشدة. قال:

كَصْرَخَةِ حُبْلَى أَسْلَمَتْهَا قَبِيلُهَا

واستُعْمِلَ في الاستغاثة لجهد المستغيثِ صَوْتَهُ.

فإن قلت: هَلَا اِكْتَفِيَ بِ﴿صَلِحًا﴾ كَمَا اِكْتَفِيَ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢]؟ وما فائدةُ زيادةِ ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ عَلَى أَنَّهُ يُؤْهِمُ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ صَالِحًا آخَرَ غَيْرَ الصَّالِحِ الَّذِي عَمِلُوهُ؟ قلتُ: فائدةُ زيادتها التحشُّرُ عَلَى مَا عَمِلُوهُ مِنْ غَيْرِ الصَّالِحِ مَعَ الاعْتِرَافِ بِهِ. وَأَمَّا الْوَهْمُ فزائِلٌ بظهور حالهم في الكُفْرِ وَرُكُوبِ الْمَعَاصِي؛ وَلأنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى سِيْرَةِ صَالِحَةٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، فَقَالُوا: أَخْرَجْنَا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ

قَوْلُهُ: (كَصْرَخَةِ حُبْلَى)، أَوْلُهُ:

قَصَدْتُ إِلَى عَنَسِي لِأَجْدَحَ رَحْلَهَا      وَقَدْ حَانَ مِنْ تِلْكَ الدِّيَارِ رَحِيلُهَا  
فَأَنْتَ كَمَا أَنَّ الْأَسِيرُ وَصَرَخَتْ      كَصْرَخَةِ حُبْلَى أَسْلَمَتْهَا قَبِيلُهَا

أَسْلَمَتْهَا: خَذَلْتَهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَسْلَمَهُ، أَي: خَذَلَهُ. وَالْقَبِيلُ: الْقَابِلَةُ، وَقِيلَ: كُلُّ جَيْلٍ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ قَبِيلٌ.

قَوْلُهُ: (وَلأنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ)، تَسْلِيمٌ لِلْإِعْتِرَاضِ بَعْدَ الْإِعْتِزَالِ مِنْهُ، أَي: يَجُوزُ اعْتِبَارُ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ صَالِحًا آخَرَ بِنَاءٍ عَلَى رَعْمِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُحْسِنُونَ صُنْعًا، فَعَلِيَ الْأَوَّلُ: الصَّفَةُ مُؤَكَّدَةٌ، وَعَلَى الثَّانِي: مُمَيِّزَةٌ.

قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿صَلِحًا غَيْرَ الَّذِي﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَتَيْنِ لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ أَوْ مَفْعُولٍ مَحذُوفٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿صَلِحًا﴾ نَعْتًا لِلْمَصْدَرِ وَ﴿غَيْرَ الَّذِي﴾ مَفْعُولًا<sup>(١)</sup>.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ١٠٧٦).



الذي كنا نحسبه صالحاً فنعمله. ﴿أَوْلَتْ نَعْمَتَكُمْ﴾ توبيخ من الله، يعني: فنقول لهم. وقرئ: (ما يذكركم فيه من اذكار) على الإدغام، وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر؛ إلا أن التوبيخ في المتناول أعظم. وعن النبي ﷺ: «العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة». وعن مجاهد: ما بين العشرين إلى الستين. وقيل: ثمان عشرة وسبع عشرة. و﴿النذير﴾: الرسول. وقيل: الشيب. وقرئ: (وجاءتكم النذر). فإن قلت: علام عطف ﴿وجاءتكم النذير﴾؟ قلت: على معنى: ﴿أَوْلَتْ نَعْمَتَكُمْ﴾؛ لأن لفظه لفظ استخبار. ومعناه معنى إخبار، كأنه قيل: قد

قوله: ﴿أَوْلَتْ نَعْمَتَكُمْ﴾ توبيخ من الله، يعني: فنقول لهم، أي: يقول الله لهم ذلك موبخاً. قال الزجاج: معناه: أولم نعمتكم العمر الذي يتذكر فيه من تذكر<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الحاجب<sup>(٢)</sup>: ﴿مَا﴾ لا يستقيم أن تكون نافية من حيث اللفظ ومن حيث المعنى. وأما اللفظ فلاها يجب قطعها عن ﴿نَعْمَتَكُمْ﴾، لأنه لا يجوز أن يكون النفي من معموله، وأيضاً فإن الضمير في ﴿فيه﴾ يرجع إلى غير مذكور. وأما المعنى: فلأن قوله: ﴿أَوْلَتْ نَعْمَتَكُمْ﴾ إنما سبق لإثبات التعمير وتوبيخهم على تركهم التذكير فيه، فإذا جعل نفياً كان فيه إخبار عن نفي تذكر متذكر فيه فظاهره على ذلك نفي التعمير؛ لأنه إذا كان زماناً لا يتذكر فيه متذكر لزم أن لا يكون تعميراً وهو خلاف قوله: ﴿أَوْلَتْ نَعْمَتَكُمْ﴾.

قوله: (العمر الذي أعذر الله فيه) الحديث من رواية البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة»<sup>(٣)</sup>.

النهاية: أي: لم يبق فيه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر. يقال: أعذر الرجل؛ إذا بلغ أقصى الغاية في العذر.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٧٢).

(٢) في «الأمالي» (١: ٢٠٧).

(٣) سبق تخريجه.

عَمَّرْنَاكُمْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ.

[﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٣٨]

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ كالتعليل؛ لأنه إذا عَلِمَ ما في الصُّدُورِ وهو أخفى ما يكون؛ فقد عَلِمَ كُلَّ غَيْبٍ في العالم. وذاتُ الصدور: مُضَمَّرَاتُهَا، وهي تَأْنِيثُ «ذو» في نحو قول أبي بكرٍ رضي الله عنه: ذُو بَطْنٍ [بنت] (١) خَارِجَةٌ جَارِيَةٌ. وقوله:

لِتُغْنِي عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعًا

قوله: (ذو بطنٍ [بنت] خارِجَةٌ)، قيل: خارِجَةٌ: جَارِيَةٌ امْرَأَةٌ مِنْ بَجِيلَةٍ وَلَدَتْ كَثِيرًا مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ. أَي: جَنِينُهَا جَارِيَةٌ.

المغرب: ذُو بَطْنٍ بِنْتٍ خَارِجَةٌ جَارِيَةٌ؛ أَي: جَنِينُهَا، وَأَلْقَتِ الدَّجَاجَةَ ذَا بَطْنِهَا.

قوله: (لِتُغْنِي عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعًا)، أوله:

إِذَا قَالَ قَدْنِي قُلْتُ بِاللَّهِ حِلْفَةً (٢)

قَدْنِي وَقَطْنِي؛ أَي: حَسْبِي. حِلْفَةٌ: نَضْبٌ مَضَدَّرٌ لِلْفِعْلِ الْمَحْذُوفِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ الْبَاءُ فِي «بِاللَّهِ»، وَاللَّامُ فِي «لِتُغْنِي» لِلْقَسَمِ وَأَصْلُهُ: «لِتُغْنِيَنَّ» بِالنُّونِ الْخَفِيفَةِ الْمَوْكَدَةِ، فَلَمَّا حُذِفَتْ بَقِيَتِ الْيَاءُ مَفْتُوحَةً عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ الْحَذْفِ لِثَبُوتِ النُّونِ الْخَفِيفَةِ فِي النِّيَّةِ.

«لِتُغْنِي عَنِّي» أَي: بَعْدَ عَنِّي وَتَنَحَّ جَمِيعَ مَا فِي إِنَائِكَ، وَلَا تُعِدُّهُ إِلَيَّ بَلِ اشْرَبْ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: اغْنِ عَنِّي وَجْهَكَ، أَي: بَعْدَهُ، وَإِنَّمَا أَضَافَ الْإِنَاءَ إِلَى الْمَخَاطَبِ وَلَيْسَ الْإِنَاءُ لَهُ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْمَتَكَلِّمِ؛ لِمَا بَيْنَ الْمَخَاطَبِ وَبَيْنَ الْإِنَاءِ نَوْعٌ مُلَابَسَةٌ، تَقُولُ لِمَا نَزَلَ الضَّيْفُ بِالْمُضَيَّفِ: أَكْرَمَ مِثْوَاهُ، وَبَالِغٌ فِي سَقْيِهِ، فَقَالَ الضَّيْفُ لِلْمُضَيَّفِ وَهُوَ يَسْقِيهِ مَا فِي الْإِنَاءِ: حَسْبِي مَا شَرِبْتُهُ، فَقَالَ لَهُ السَّاقِي: أَقْسِمُ بِاللَّهِ لِتَشْرَبَنَّ جَمِيعَ مَا فِي إِنَائِكَ مِنَ اللَّبَنِ. قَالَ الْمُصَنِّفُ: فَرَّقَ

(١) زيادة مقتضاة من مظان تخريج الأثر.

(٢) البيت لحريث بن عتاب الطائي كما في «شواهد الكشاف» (٣: ٦١٦).

المعنى: ما في بطنها من الحَبَل، و: ما في إناثك من الشَّرَاب؛ لأنَّ الحَبْلَ والشَّرَابَ يصحبانِ البَطْنَ والإِنَاءَ. ألا ترى إلى قولهم: مَعَهَا حَبْلٌ؟ وكذلك المَضْمَرَاتُ تصحبُ الصدورَ، وهي: مَعَهَا، وذو: موضوعٌ لمعنى الصحبة.

[هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾]

يقال للمستخلف: خَلِيفَةٌ وخَلِيفٌ؛ فالخليفةُ يُجْمَعُ: خَلَائِفٌ، والخَلِيفُ: خُلَفَاءُ، والمعنى: أَنَّهُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَهُ فِي أَرْضِهِ قَدْ مَلَكَكُمْ مَقَالِيدَ التَّصَرُّفِ فِيهَا وَسَلَّطَكُمْ عَلَى مَا فِيهَا، وَأَبَاحَ لَكُمْ مَنَافِعَهَا؛ لِتَشْكُرُوهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، ﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾ مِنْكُمْ وَغَمَطًا مِثْلَ هَذِهِ النِّعْمَةِ السَّنِيَّةِ، فَوَبَّالُ كُفْرِهِ رَاجِعٌ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ مَقْتُ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ وِرَاءَهُ خِزْيٌ وَصَغَارٌ، وَخَسَارُ الْآخِرَةِ الَّذِي مَا بَعْدَهُ خَسَارٌ. وَالْمَقْتُ: أَشَدُّ الْبُغْضِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِمَنْ يَنْكُحُ امْرَأَةً أَبِيهِ: مَقْتِيٌّ؛ لِكَوْنِهِ مَمْقُوتًا فِي كُلِّ قَلْبٍ. وَهُوَ خِطَابٌ لِلنَّاسِ، وَقِيلَ: خِطَابٌ لِمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ اللَّهُ ﷺ؛ أَي: جَعَلَكُمْ أُمَّةً خَلَفَتْ مِنْ قَبْلِهَا، وَرَأَتْ

بين قولك: رجلٌ ذو إناءٍ وقولك: اشربَ ذا إناثك، وذلك أنك وصفتَ الرجلَ بأنه صاحبُ إناءٍ ومالكه وليس كالآخر لا إناءَ له، وأردتَ بالثاني: أَنَّهُ فِي الْإِنَاءِ إِضَافَتُهُ كِإِضَافَةِ اشْرَبَ شَرَابَ إِنْثَاكِ. أَي: اشْرَبَ جَمِيعَ مَا فِي الْإِنَاءِ.

قوله: (خُلَفَاءَهُ فِي أَرْضِهِ)، الرَّاعِبُ<sup>(١)</sup>: خَلَفَ فُلَانٌ فُلَانًا: قَامَ بِالأَمْرِ إِذَا بَعَدَهُ وَإِمَامًا مَعَهُ، وَالخَلَافَةُ: النِّيَابَةُ عَنِ الْغَيْرِ إِذَا لَغِيْبَةُ السَّمْنُوبِ عَنْهُ، وَإِمَامُ لَمُوتِهِ، وَإِمَامُ لَعَجْزِهِ، وَإِمَامٌ لِتَشْرِيفِ الْمُسْتَخْلَفِ، وَعَلَى الْوَجْهِ الأَخِيرِ اسْتَخْلَفَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ فِي الأَرْضِ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ﴾.

وقلت: وإلى هذا المعنى نظر المصنّف حيث قال: «وَعَمَطَ مِثْلَ هَذِهِ النِّعْمَةِ السَّنِيَّةِ».

وشاهدت فيمن سَلَفَ ما يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَبِرَ بِهِ، فَمَنْ كَفَرَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ جِزَاءُ كُفْرِهِ مِنْ مَقْتِ اللَّهِ وَخَسَارِ الْآخِرَةِ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ حُكْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ.

[﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾

[٤٠]

﴿أَرُونِي﴾ بدلٌ من ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾؛ لأنَّ معنى ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمّا استحقّوا به الإلهية والشركة، أروني أيّ جزءٍ من أجزاء الأرض استبدّوا بخلقه دون الله، أم لهم مع الله شركةٌ في خلق السماوات؟ أم معهم كتابٌ من عند الله ينطقُ بأنهم شركاؤه فهم على حُجّةٍ وبرهانٍ من ذلك الكتاب؛ أو يكون الضميرُ في ﴿آتَيْنَهُمْ﴾ للمشركين، كقوله: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ [الروم: ٣٥]. ﴿آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾ من قبله. ﴿بَلْ إِن يَعِدُ﴾ بعضهم؛ وهم الرؤوساء ﴿بَعْضًا﴾؛ وهم الاتباع ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾؛ وهو قولهم: ﴿هَتُوْلَاءَ شَفَعْتُوْنَأَعِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. وقرئ: (بيّنات).

قوله: (أيّ جزءٍ من أجزاء الأرض استبدّوا بخلقه دون الله)، إنها فسر ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ بهذا، وجعل «ما» استفهامية ليتنزّل إلى قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ثم إلى قوله: ﴿آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾، لأن «أم» منقطة متضمّنة للهمزة، و«بل» تقتضي التدرّج، كأنه قيل: أخبروني الذين تدّعون من دون الله هل استبدّوا بخلق شيءٍ حتى يكونوا معبودين مثل الله، ثم نزل منه إلى: ألهم شركةٌ في الخلق؟ ثم نزل منه إلى: أم معهم بيّنةٌ وحُجّةٌ مكتوبةٌ بالشركة؟ وإذا جعل الضميرُ في ﴿آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾ للمشركين لا للأصنام، فيكون التدرّج من دليل العقل إلى دليل النقل.

قوله: (وقرئ: «بيّنات»<sup>(١)</sup>)، نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ والكِسائي: بالجمع، والباقون: بغير ألفٍ على التوحيد.

(١) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٩٤، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣٥٦).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [٤١]

﴿أَنْ تَزُولَا﴾: كراهة أَنْ تَزُولَا، أو: يمنعها مِنْ أَنْ تَزُولَا؛ لِأَنَّ الإِمْسَاكَ مَنَعٌ. ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ غَيْرَ مُعَاجِلٍ بِالعُقُوبَةِ، حَيْثُ يُمَسِّكُهُمَا، وَكَانَتَا جَدِيرَتَيْنِ بِأَنْ يُهْدَا هَذَا؛ لِعَظَمِ كَلِمَةِ الشَّرْكِ، كَمَا قَالَ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ﴾ [مريم: ٩٠]. وَقُرئ: (ولو زالتا). وَإِنْ أَمْسَكَهُمَا: جَوَابُ القَسَمِ فِي ﴿وَلَئِن زَالَتَا﴾ سَدًّا مَسَدَّ الجَوَابَيْنِ، وَ﴿مِنْ﴾ الأُولَى مَزِيدَةٌ لِتَأْكِيدِ النِّفْيِ، وَالثَّانِيَةُ: لِلإِبْتِدَاءِ. وَ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: مِنْ بَعْدِ إِمْسَاكِهِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مُقْبِلٍ مِنَ الشَّامِ: مَنْ لَقِيتَ بِهِ؟ قَالَ: كَعْبًا. قَالَ: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ السَّمَاوَاتِ عَلَى مَنكِبِ مَلِكٍ. قَالَ: كَذَبَ كَعْبُ! أَمَا تَرَكَ يَهُودِيَّتَهُ بَعْدُ؟! ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا \* أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن نَحْدِ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا \* أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [٤٢-٤٤]

قَوْلُهُ: (غَيْرَ مُعَاجِلٍ بِالعُقُوبَةِ حَيْثُ يُمَسِّكُهُمَا)، قَالَ الزَّجَّاجُ: سَأَلَ بَعْضُهُمْ: لِمَ كَانَ فِي هَذَا المَوْضِعِ ذِكْرُ الحِلْمِ وَالمَغْفِرَةِ وَالمَقَامِ يَدُلُّ عَلَى القُدْرَةِ؟ وَالجَوَابُ: أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمْسَكَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ عِنْدَ قَوْلِهِمْ: ﴿أَتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨]، حَلَمَ فَلَمْ يُعَجَّلْ لَهُم بِالعُقُوبَةِ، وَكَانَ مِنْ حَقِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْ تَزُولَا مِنْ عَظِيمِ فِرْيَتِهِمْ<sup>(١)</sup>.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٠٧).

بَلَّغَ قَرِيشًا قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَقَالُوا: لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَتْتَهُمُ الرِّسْلُ فَكَذَّبُوهُمْ، فَوَاللَّهِ لئن أَنَا رَسُولٌ لَنَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَّبُوهُ. وَفِي ﴿إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ وَجِهَانِ؛ أَحَدُهُمَا: مِنْ بَعْضِ الْأُمَمِ، وَمِنْ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأُمَمِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ. وَالثَّانِي: مِنَ الْأُمَّةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: إِحْدَى الْأُمَمِ؛ تَفْضِيلًا لَهَا عَلَى غَيْرِهَا فِي الْهُدَى وَالِاسْتِقَامَةِ. ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ إِسْنَادٌ مَجَازِيٌّ؛ لِأَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنْ زَادُوا أَنْفُسَهُمْ نَفُورًا عَنِ الْحَقِّ وَابْتِعَادًا عَنْهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]. ﴿أَسْتَكْبَارًا﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿نُفُورًا﴾، أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ، عَلَى مَعْنَى: فَمَا زَادَهُمْ إِلَّا أَنْ نَفَرُوا اسْتِكْبَارًا وَعُلُوقًا فِي الْأَرْضِ، أَوْ حَالٌ بِمَعْنَى: مُسْتَكْبِرِينَ وَمَاكِرِينَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿نُفُورًا﴾. فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾؟ قُلْتُ: أَصْلُهُ: وَأَنْ مَكَرُوا السَّيِّئِ، أَيِ: الْمَكْرَ السَّيِّئِ، ثُمَّ: وَمَكْرًا

قَوْلُهُ: (مِنَ الْأُمَّةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا إِحْدَى الْأُمَمِ<sup>(١)</sup>)، هَذَا كَمَا يُقَالُ: وَاحِدُ الْقَوْمِ أَوْ وَاحِدُ الْعَصْرِ، أَيِ: أَفْضَلُهُمْ.

الأساس: وهو واحد قومه وأوحدهم، وهو واحد أمته، وفلانٌ واحدٌ ووحيدٌ، واستوحدَ: انفرد، وأوحد الله فلاناً: جعله بلا نظير، وعن بعضهم: تقول العربُ للداهية العظيمة: هي إحدى الإحد، وإحدى من سبع، أي: إحدى ليالي عادي في الشدة.

قَوْلُهُ: (أَصْلُهُ: وَأَنْ مَكَرُوا السَّيِّئِ، أَيِ: الْمَكْرَ السَّيِّئِ)، قَالَ مَكِّي: هُوَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَى الصِّفَةِ تَقْدِيرُهُ: وَمَكَرُوا الْمَكْرَ السَّيِّئِ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَلَا يَجِيئُ الْمَكْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾. فَ«مَكْرَ السَّيِّئِ» انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ ثُمَّ أُضِيفَ إِلَى نَعْتِهِ اتِّسَاعًا، كَصَلَاةِ الْأُولَى وَمَسْجِدِ الْجَمَاعِ<sup>(٢)</sup>. وَفِي «التيسير»: نَحْوُهُ إِضَافَةُ الْحَقِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَوصفه بالسَّيِّئِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ، وَيُؤَافِقُهُ نَصُّ «الكشاف» مِنْ (ط)، وَالْمَطْبُوعُ مِنْ «الكشاف»، لَكِنْ فِي الْأَصْلِ

الخطي منه - أعني: مِنْ «الكشاف» - : «التي يُقَالُ فِيهَا: هِيَ إِحْدَى الْأُمَمِ».

(٢) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٩٦).

السَّيِّءِ، ثم: وَمَكَرَ السَّيِّئُ. والدليل عليه: قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾. ومعنى ﴿يَحِيقُ﴾: يُحِيطُ وَيَنْزِلُ. وقرئ: (ولا يُحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئَ) أي: لا يُحِيقُ اللهُ، ولقد حاقَ بهم يومَ بدر. وعن النبي ﷺ: «لا تَمَكُّرُوا وَلَا تُعِينُوا مَآكِرَآ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾»، ولا تَبْغُوا وَلَا تُعِينُوا بَآغِيَا، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]. وعن كَعْبٍ: أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: قرأتُ في التوراة: مَنْ حَفَرَ مُغَوَّاةً وَقَعَ فِيهَا. قال: أنا وجدتُ ذلك في كتابِ الله، وقرأ الآية. وفي أمثالِ العرب: مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ جُبًّا، وَقَعَ فِيهِ مُنْكَبًّا. وقرأ حمزة: (ومكر السَّيِّئِ) بِإِسْكَانِ الْهَمْزَةِ؛ .....

للصدِّ عن الحق، وقد يكون المكر حسناً إذا كان احتيالياً للدعاء، ومنه قوله: ﴿وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [آل عمران: ٥٤].

قوله: (مُغَوَّاةٌ)، الجوهري: الْمُغَوَّيَاتُ بَفَتْحِ الْوَاوِ مُشَدَّدَةٌ جَمْعُ الْمُغَوَّاةِ، وَهِيَ: حُفْرَةٌ كَالزُّبْيَةِ بِالزَّيِّ الْمَضْمُومَةِ، يُقَالُ: مَنْ حَفَرَ مُغَوَّاةً وَقَعَ فِيهَا. وفي «المستقصى»: يُضْرَبُ لِمَنْ أَرَادَ بِصَاحِبِهِ مَكْرًا فَحَاقَ بِهِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقرأ حمزة: «ومكر السَّيِّئِ»<sup>(٢)</sup>)، بِإِسْكَانِ الْهَمْزَةِ، في «التيسير»<sup>(٣)</sup>: قرأها حمزة في الوصلِ لتوالي الحركات تخفيفاً، كما سَكَنَ أَبُو عَمْرٍو الْهَمْزَةَ فِي ﴿بَارِيكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> [البقرة: ٥٤] لذلك، وَإِذَا وَقَفَ أَبْدَلَهَا يَاءً سَاكِنَةً، وَالباقون: بِخَفْضِهَا فِي الْوَصْلِ، وَيَجُوزُ رَوْمُهَا وَإِسْكَانُهَا فِي الْوَقْفِ.

وفي «المطلع»: قال أبو جعفر النحاس: وَقَفَ عَلَيْهِ حَمْزَةٌ، وَهُوَ وَقَفٌ تَامٌ<sup>(٥)</sup>، فَظَنَّ الرَّاوي أَنَّهُ وَضَلَ لَخْفَةِ الْوَقْفَةِ.

(١) «المستقصى في أمثال العرب» (٢: ٣٥٤).

(٢) انظر: «حجة القراءات» ص ٥٩٤ و«الجامع لأحكام القرآن» (١٤: ٣٥٨).

(٣) «التيسير في القراءات السبع» ص ١٨٢.

(٤) انظر: «حجة القراءات» ص ٩٧.

(٥) انظر: «القطع والانتاف» للنحاس ص ٤٢٨.

وقال الزجاج: وقرأ حمزة: «ومَكَرَ السَّيِّءُ» موقوفاً<sup>(١)</sup>، وهذا عند النحويين لَحْنٌ، وإنما يجوز في اضطرار الشعر، وأنشدوا:

إذا عوجَجْنِ قُلْتُ: صاحِ قَوْمِ

أي: يا صاحب، والأصل: يا صاحبُ قَوْمِ، لكنه حذف مُضْطَرّاً، وكان الضم بعد الكسر، والكسر بعد الكسر مستقلاً، وأنشدوا:

فاليومَ أَشْرَبَ غيرَ مُسْتَحِقِّبِ      إِنَّمَا مِنْ اللهِ ولا واغِلبِ<sup>(٢)</sup>

وهذان البيتان قد أنشدتهما جميعُ النحويينَ الحدّاقِ، وزعموا كلهم أن هذا من الاضطرار لا يجوز مثله في كتاب الله تعالى، وأنشدتهما<sup>(٣)</sup> محمدُ بن يزيد:

إذا عوجَجْنِ قُلْتُ: صاحِ قَوْمِ

وهذا جيد بالغ، وأنشدنا:

فاليومَ فاشْرَبَ غيرَ مُسْتَحِقِّبِ

وأما ما يروى عن أبي عمرو بن العلاء: «إلى بارئكم» [البقرة: ٥٤]، فإنها هو أن يختلس الكسر اختلاساً ولا يَجْزِمُ، وراويه غيرُ ضابط<sup>(٤)</sup> صَبَطَ سَيِّئِيهِ والخليل. ورواهُ سيويهِ باختلاسِ الكسر، كأنه يقلل صوته عند الكسر<sup>(٥)</sup>.

(١) عبارة الزجاج: على الوقف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) كذا في الأصول الخطية، وفي «معاني القرآن» للزجاج: «وأنشدناهما».

(٤) صحّت عن أبي عمرو روايةُ التسكينِ في «بارئكم» من طرق عنه، كما صحت عنه روايةُ التسكينِ، ولا وَجْهَ لاتهامِ القراءِ بعدمِ الضبطِ أو قَلْتَهُ، فقد ثبت ضبطهم وتثبتهم. انظر: «النشر» لابن الجزري

(٢: ٢١٢-٢١٤).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» (٤: ٢٧٥-٢٧٦).



وذلك لاستثقاله الحركات مع الياءِ والهمزة، ولعلّه اختلَسَ فظنَّ سكوناً، أو وَقَفَ وقفةً خفيفة، ثم ابتدأ ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾. وقرأ ابنُ مسعود: (ومكراً سيئاً). ﴿سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾: إنزال العذاب على الذين كذبوا برسولهم من الأمم قبلهم، وجعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم، وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحوّلها، أي: لا يغيّرها؛ وأن ذلك مفعولٌ له لا محالة، واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسائرهم ومتاجرهم في رحلهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار الماضيِ وعلاماتِ هلاكهم ودمارهم. ﴿لِيُعْجِزَهُ﴾: ليسبقه ويفوته.

[﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبِهِمْ وَلَا كُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾]

[٤٥]

وقال أبو علي: هو على إجراء الوصل مجرى الوقف كما حكى سيويه من قوله: ثلثهم. وقيل: يحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الكسرتين والياءين، كما خففوا الباء من «إبل»؛ لتوالي الكسرتين، ونزل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب.

قوله: (ومكراً سيئاً)، قال ابنُ جنّي: يشهد لتكثيره تنكير ما قبله وهو ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾، وقراءة العامة أقوى معنى لتعريفه، كأنه قال: المكر السيئ مستنكر في النفوس<sup>(١)</sup>، مفعولٌ له لا محالة، أي: لله تعالى أن يفعله.

قوله: (وجعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم)، اللام متعلقٌ بـ«انتظاراً» أي: أريد أن يقال: فهل يستقبلون إلا ما فعلنا بما مضى من الأمم الماضية من الدمار، وقيل: فهل ينتظرون، إيداناً بأن المنتظر حقهم اللازم، فهل ينتظرون حلول ميعاده؟

قوله: (أي: لا يغيّرها)، معنى التبديل والتحويل. وقوله: «وأن ذلك مفعولٌ له» أي: لله تعالى، عطفٌ تفسيريٌّ، فسّر معنى «لن» وتكريره وما يتصلُ بها.

(١) «المحتسب» (٢: ٢٠٢)، ولفظه: «كأنه قال: والمكر السيئ الذي هو عالٍ مستكرةٌ مستنكرٌ في النفوس».

﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾: بما اقترفوا من معاصيهم. ﴿عَلَى ظَهْرِهَا﴾: على ظهر الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾: من نَسَمَة تَدِبُّ عليها، يريدُ بني آدم. وقيل: ما تَرَكَ بني آدمَ وغيرهم من سائر الدوابِّ بشؤم ذُنُوبِهِمْ. وعن ابنِ مسعود رضي الله عنه: كَادَ الْجُعَلُ يُعَذِّبُ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. وعن أنسٍ: إِنَّ الضَّبَّ لَيَمُوتُ هَزْلاً فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ. وقيل: يَحْبِسُ الْمَطْرَ فِيهِلُكُ كُلُّ شَيْءٍ. ﴿إِلَى أَجَلٍ

قوله: ﴿عَلَى ظَهْرِهَا﴾ على ظهر الأرض، قد جرى ذكرُ الأرض فيما قبل هذه الآية، يليها قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ فلذلك جاء ﴿عَلَى ظَهْرِهَا﴾. قال مكي في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾: العاملُ في «إِذَا» هو «جَاءَ» لأن «إِذَا» فيها معنى الجزاء، والأسماء التي يُجَازَى بها يعملُ فيها ما بعدها، تقول: مَنْ أَكْرَمَ يُكْرِمُنِي، فأكرم هو العاملُ في «مَنْ» بلا خلاف فأشبهتُ إذن حروفَ الشرطِ لما فيها من معناه فعملٌ فيها ما بعدها، وكان حقُّها أن لا يعملَ فيها، لأنها مُضَافَةٌ إلى ما بعدها من الجملِ والمضَافُ إليه لا يعملُ في المضَافِ لأنه من تمامه وفيه خلاف. والحقُّ أن الموضعَ الذي يُجَازَى بها يمكنُ أن يعملَ فيها الفعلُ الذي يليها، والموضعُ الذي لا يُجَازَى بها لا يحسُنُ أن يعملَ بها<sup>(١)</sup>.

قوله: (إِنَّ الضَّبَّ لَيَمُوتُ هَزْلاً فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ)<sup>(٢)</sup>، النهاية: أي: يحتبسُ عنه المطرُ بشؤم ذُنُوبِهِمْ، وإنما خَصَّ الضَّبَّ، لأنه أطولُ الحيوانِ نَفْساً، وأصبرُها على الجوع. ورُوي: «الْحُبَّارِيُّ»<sup>(٣)</sup> بدَل «الضَّبِّ» لأنها أبعدُ الطيرِ نُجْعَةً.

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢: ٥٩٦).

(٢) بلفظ «الجعل» بدل «الضب» أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٧: ٢٣١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩: ٥٤٤) والحاكم في: «المستدرک» (٣٦٠٢) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩: ٢١٣) وابن أبي شيبَةَ في «المصنف» (٧: ١٠٨) كلهم من حديث عبد الله بن مسعود.

وفي «تخریج أحاديث الكشاف» (٣: ١٥٨) قال: رواه البيهقي في «شعب الإیمان» عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإیمان» (٩: ٥٤٤) بلفظ «حتى الحبارى لتموت في وكرها هزلاً لظلم الظالم».

مُسَمَّى ﴿: إلى يوم القيامة. ﴿كَانَ بَعْبَادِيهِ بَصِيرًا﴾ وعيدُ بالجزاء.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمَلَائِكَةِ دَعَتْهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَيِّ بَابٍ شِئَتْ».

هَزَلَتِ الدَّابَّةُ هُرَالًا، وَأَهْزَلْتُهَا أَنَا هَزْلًا، وَأَهْزَلَ الْقَوْمَ: إِذَا أَصَابَتْ مَوَاشِيَهُمُ السَّنَةَ، فَهَزَلْتُ، أَي: ضَعُفَتْ، وَالْهَزْلُ ضِدُّ السَّمَنِ.

تَمَّتِ السُّورَةُ بِحَمْدِ اللَّهِ

\* \* \*

## فهرس زُمر الآيات المُفسّرة

الصفحة	الآيات
	سورة القصص
٥	[٣-١]
٨-٦	[٤]
١٠-٨	[٦-٥]
١٢-١٠	[٧]
١٤-١٢	[٨]
١٦-١٤	[٩]
٢٠-١٧	[١١-١٠]
٢٣-٢٠	[١٣-١٢]
٢٤-٢٣	[١٤]
٢٦-٢٤	[١٧-١٥]
٢٧-٢٦	[١٩-١٨]
٢٩-٢٧	[٢٠]
٢٩	[٢١]
٢٩	[٢٢]
٤٥-٢٩	[٢٨-٢٣]

الصفحة	الآيات
٥٢-٤٦	[٣٢-٢٩]
٥٥-٥٢	[٣٤-٣٣]
٥٦-٥٥	[٣٥]
٥٧-٥٦	[٣٦]
٥٩-٥٧	[٣٧]
٦٣-٥٩	[٣٨]
٦٤-٦٣	[٤٠-٣٩]
٦٦-٦٤	[٤٢-٤١]
٦٧-٦٦	[٤٣]
٦٨-٦٧	[٤٤]
٦٩-٦٨	[٤٥]
٧٠-٦٩	[٤٦]
٧٣-٧٠	[٤٧]
٧٦-٧٣	[٤٨]
٧٦	[٤٩]
٧٧-٧٦	[٥٠]
٧٨-٧٧	[٥١]
٧٨	[٥٢]
٧٨	[٥٣]
٧٩-٧٨	[٥٤]
٧٩	[٥٥]
٨١-٧٩	[٥٦]

الصفحة	الآيات
٨٣-٨١	[٥٧]
٨٤-٨٣	[٥٨]
٨٦-٨٤	[٥٩]
٨٧-٨٦	[٦٠]
٨٩-٨٧	[٦١]
٩١-٨٩	[٦٢]
٩٥-٩٢	[٦٣]
٩٨-٩٥	[٦٤-٦٦]
٩٨	[٦٧]
١٠٠-٩٨	[٦٨]
١٠١-١٠٠	[٦٩-٧٠]
١٠٤-١٠١	[٧١-٧٣]
١٠٥-١٠٤	[٧٤]
١٠٥	[٧٥]
١٠٩-١٠٦	[٧٦-٧٧]
١١٢-١٠٩	[٧٨]
١١٣-١١٢	[٧٩]
١١٧-١١٤	[٨٠-٨١]
١٢٠-١١٧	[٨٢]
١٢٢-١٢٠	[٨٣]
١٢٣-١٢٢	[٨٤]
١٢٤-١٢٣	[٨٥]

الصفحة	الآيات
١٢٥	[٨٦]
١٢٦-١٢٥	[٨٧]
١٢٧-١٢٦	[٨٨]

سورة العنكبوت

١٣٥-١٢٨	[٣-١]
١٣٦-١٣٥	[٤]
١٣٩-١٣٦	[٥]
١٣٩	[٦]
١٤٠-١٣٩	[٧]
١٤٤-١٤٠	[٨]
١٤٥-١٤٤	[٩]
١٤٦-١٤٥	[١١-١٠]
١٤٩-١٤٦	[١٣-١٢]
١٥١-١٤٩	[١٥-١٤]
١٥٤-١٥١	[١٨-١٦]
١٥٩-١٥٤	[٢٢-١٩]
١٦٠-١٥٩	[٢٣]
١٦١	[٢٤]
١٦٣-١٦١	[٢٥]
١٦٤-١٦٣	[٢٦]
١٦٥-١٦٤	[٢٧]
١٦٦-١٦٥	[٣٠-٢٨]

الصفحة	الآيات
١٦٨-١٦٦	[٣٢-٣١]
١٦٩-١٦٨	[٣٣]
١٦٩	[٣٥-٣٤]
١٧٠-١٦٩	[٣٧-٣٦]
١٧١-١٧٠	[٣٨]
١٧١	[٤٠-٣٩]
١٧٥-١٧١	[٤٢-٤١]
١٧٥	[٤٣]
١٧٧-١٧٦	[٤٤]
١٧٩-١٧٧	[٤٥]
١٨١-١٧٩	[٤٦]
١٨٢-١٨١	[٤٧]
١٨٦-١٨٢	[٤٩-٤٨]
١٨٩-١٨٦	[٥٢-٥٠]
١٩١-١٩٠	[٥٥-٥٣]
١٩٣-١٩١	[٥٦]
١٩٤-١٩٣	[٥٧]
١٩٥-١٩٤	[٥٩-٥٨]
١٩٧-١٩٥	[٦٠]
١٩٧	[٦١]
١٩٩-١٩٨	[٦٢]
١٩٩	[٦٣]



الصفحة	الآيات
٢٠١-٢٠٠	[٦٤]
٢٠٣-٢٠١	[٦٦-٦٥]
٢٠٣	[٦٧]
٢٠٥-٢٠٣	[٦٨]
٢٠٦-٢٠٥	[٦٩]

سورة الروم

٢١٢-٢٠٧	[٥-١]
٢١٣-٢١٢	[٧-٦]
٢١٥-٢١٤	[٨]
٢١٦-٢١٥	[٩]
٢١٨-٢١٦	[١٠]
٢١٩-٢١٨	[١١]
٢٢٠-٢١٩	[١٣-١٢]
٢٢١-٢٢٠	[١٦-١٤]
٢٢٤-٢٢١	[١٩-١٧]
٢٢٦-٢٢٤	[٢١-٢٠]
٢٢٧-٢٢٦	[٢٢]
٢٢٨-٢٢٧	[٢٣]
٢٣١-٢٢٨	[٢٤]
٢٣٣-٢٣١	[٢٦-٢٥]
٢٣٨-٢٣٣	[٢٧]
٢٤٠-٢٣٩	[٢٨]

الصفحة	الآيات
٢٤٢-٢٤١	[٢٩]
٢٤٦-٢٤٢	[٣٢-٣٠]
٢٤٧-٢٤٦	[٣٤-٣٣]
٢٤٧	[٣٥]
٢٤٧	[٣٦]
٢٤٨	[٣٧]
٢٥٠-٢٤٨	[٣٨]
٢٥٢-٢٥٠	[٣٩]
٢٥٣	[٤٠]
٢٥٦-٢٥٤	[٤١]
٢٥٦	[٤٢]
٢٥٧-٢٥٦	[٤٣]
٢٦٠-٢٥٧	[٤٥-٤٤]
٢٦٢-٢٦١	[٤٦]
٢٦٥-٢٦٣	[٤٧]
٢٦٥	[٤٩-٤٨]
٢٦٧-٢٦٦	[٥٠]
٢٧٠-٢٦٧	[٥٣-٥١]
٢٧١-٢٧٠	[٥٤]
٢٧٤-٢٧١	[٥٥]
٢٧٦-٢٧٤	[٥٧-٥٦]
٢٧٧-٢٧٦	[٦٠-٥٨]

## الصفحة

## الآيات

## سورة لقمان

٢٨٠-٢٧٨	[٥-١]
٢٨٥-٢٨٠	[٧-٦]
٢٨٦-٢٨٥	[١١-٨]
٢٨٩-٢٨٦	[١٢]
٢٩٠-٢٨٩	[١٣]
٢٩٤-٢٩٠	[١٥-١٤]
٢٩٥-٢٩٤	[١٦]
٢٩٧-٢٩٥	[١٧]
٣٠٠-٢٩٧	[١٩-١٨]
٣٠٣-٣٠٠	[٢٠]
٣٠٣	[٢١]
٣٠٤-٣٠٣	[٢٢]
٣٠٥-٣٠٤	[٢٤-٢٣]
٣١٢-٣٠٥	[٢٧-٢٥]
٣١٣-٣١٢	[٢٨]
٣١٥-٣١٣	[٣٠-٢٩]
٣١٧-٣١٥	[٣١]
٣١٨-٣١٧	[٣٢]
٣٢١-٣١٨	[٣٣]
٣٢٧-٣٢٢	[٣٤]

## الصفحة

## الآيات

## سورة السجدة

٣٣١-٣٢٨	[٣-١]
٣٣٣-٣٣٢	[٤]
٣٣٧-٣٣٣	[٥]
٣٣٨-٣٣٧	[٩-٦]
٣٤٠-٣٣٨	[١١-١٠]
٣٤٤-٣٤٠	[١٤-١٢]
٣٤٩-٣٤٤	[١٧-١٥]
٣٥٥-٣٤٩	[٢١-١٨]
٣٥٦-٣٥٥	[٢٢]
٣٥٩-٣٥٧	[٢٥-٢٣]
٣٦١-٣٦٠	[٢٦]
٣٦١	[٢٧]
٣٦٣-٣٦١	[٣٠-٢٨]

## سورة الأحزاب

٣٦٨-٣٦٤	[٣-١]
٣٧٩-٣٦٨	[٥-٤]
٣٨٣-٣٧٩	[٦]
٣٨٧-٣٨٤	[٨-٧]
٣٩١-٣٨٧	[١١-٩]
٣٩٥-٣٩٢	[١٤-١٢]

الصفحة	الآيات
٣٩٦-٣٩٥	[١٦-١٥]
٣٩٦	[١٧]
٤٠١-٣٩٧	[٢٠-١٨]
٤٠٤-٤٠٢	[٢١]
٤٠٤	[٢٢]
٤١١-٤٠٥	[٢٧-٢٣]
٤١٤-٤١١	[٢٩-٢٨]
٤١٦-٤١٤	[٣١-٣٠]
٤١٨-٤١٦	[٣٢]
٤٢٢-٤١٨	[٣٣]
٤٢٣	[٣٤]
٤٢٦-٤٢٤	[٣٥]
٤٢٧-٤٢٦	[٣٦]
٤٣٧-٤٢٧	[٣٧]
٤٣٨-٤٣٧	[٣٩-٣٨]
٤٤١-٤٣٨	[٤٠]
٤٤٢-٤٤١	[٤٢-٤١]
٤٤٥-٤٤٢	[٤٤-٤٣]
٤٤٦-٤٤٥	[٤٦-٤٥]
٤٤٧	[٤٧]
٤٤٩-٤٤٧	[٤٨]

الصفحة	الآيات
٤٥٣-٤٤٩	[٤٩]
٤٦١-٤٥٤	[٥٠]
٤٦٤-٤٦١	[٥١]
٤٦٧-٤٦٤	[٥٢]
٤٧٢-٤٦٧	[٥٣]
٤٧٣-٤٧٢	[٥٤]
٤٧٤-٤٧٣	[٥٥]
٤٧٦-٤٧٤	[٥٦]
٤٧٨-٤٧٦	[٥٨-٥٧]
٤٨٠-٤٧٨	[٥٩]
٤٨٢-٤٨٠	[٦٢-٦٠]
٤٨٣-٤٨٢	[٦٣]
٤٨٣	[٦٥-٦٤]
٤٨٥-٤٨٣	[٦٦]
٤٨٥	[٦٨-٦٧]
٤٨٧-٤٨٥	[٦٩]
٤٩٤-٤٨٧	[٧٣-٧٠]
سورة سبأ	
٤٩٩-٤٩٥	[٢-١]
٥٠٥-٤٩٩	[٤-٣]
٥٠٥	[٥]
٥٠٧-٥٠٦	[٦]

الصفحة	الآيات
٥١٤-٥٠٨	[٨-٧]
٥١٥-٥١٤	[٩]
٥٢٥-٥١٥	[١٣-١٠]
٥٣٠-٥٢٥	[١٤]
٥٣٩-٥٣٠	[١٧-١٥]
٥٤٢-٥٣٩	[١٩-١٨]
٥٤٤-٥٤٢	[٢١-٢٠]
٥٤٦-٥٤٥	[٢٢]
٥٥١-٥٤٦	[٢٣]
٥٥٤-٥٥١	[٢٤]
٥٥٥-٥٥٤	[٢٦-٢٥]
٥٥٦-٥٥٥	[٢٧]
٥٦٠-٥٥٦	[٢٨]
٥٦١-٥٦٠	[٣٠-٢٩]
٥٦٢-٥٦١	[٣١]
٥٦٥-٥٦٢	[٣٣-٣٢]
٥٦٧-٥٦٦	[٣٥-٣٤]
٥٦٧	[٣٦]
٥٦٩-٥٦٧	[٣٨-٣٧]
٥٧١-٥٦٩	[٣٩]
٥٧٣-٥٧١	[٤١-٤٠]
٥٧٤-٥٧٣	[٤٢]

الصفحة	الآيات
٥٧٤	[٤٣]
٥٧٧-٥٧٥	[٤٤-٤٥]
٥٧٩-٥٧٧	[٤٦]
٥٨٠-٥٧٩	[٤٧]
٥٨٢-٥٨٠	[٤٨]
٥٨٤-٥٨٢	[٤٩]
٥٨٦-٥٨٤	[٥٠]
٥٨٧-٥٨٦	[٥١]
٥٩١-٥٨٨	[٥٢-٥٤]

## سورة الملائكة (فاطر)

٥٩٨-٥٩٢	[١]
٦٠٠-٥٩٨	[٢]
٦٠٤-٦٠٠	[٣]
٦٠٥	[٤]
٦٠٨-٦٠٥	[٥-٧]
٦١٢-٦٠٨	[٨]
٦١٤-٦١٢	[٩]
٦١٩-٦١٤	[١٠]
٦٢٥-٦١٩	[١١]
٦٢٨-٦٢٥	[١٢]
٦٢٩-٦٢٨	[١٣]
٦٣٠-٦٢٩	[١٤]



الصفحة	الآيات
٦٣٢-٦٣٠	[١٧-١٥]
٦٣٦-٦٣٢	[١٨]
٦٤٠-٦٣٦	[٢٣-١٩]
٦٤١-٦٤٠	[٢٤]
٦٤١	[٢٦-٢٥]
٦٥٠-٦٤٢	[٢٨-٢٧]
٦٥٣-٦٥١	[٣٠-٢٩]
٦٥٣	[٣١]
٦٦١-٦٥٣	[٣٥-٣٢]
٦٦٤-٦٦٢	[٣٧-٣٦]
٦٦٦-٦٦٥	[٣٨]
٦٦٧-٦٦٦	[٣٩]
٦٦٧	[٤٠]
٦٦٨	[٤١]
٦٧٢-٦٦٨	[٤٤-٤٢]
٦٧٤-٦٧٢	[٤٥]

\* \* \*